BARCODE ON
OTHER COVER

New York University
Bobst Library
70 Washington Square South
New York, NY 10012-1091

Phone Renewal:
212-998-2482
Web Renewal:
www.bobcatplus.nyu.edu

DUE DATE	DUE DATE	DUE DATE
ALL LOAN ITEMS ARE SUBJECT TO RECALL		

PHONE/WEB RENEWAL DATE

149613

FD 80,2
a''
6.
FRONT

فهرسة الجزء الثانى من السيرة الحلبية

صحيفة	
٢	باب عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه على القبائل من العرب ان يحموه الخ
٤٦	باب الهجرة الى المدينة
١٠٤	باب بدء الاذان ومشروعيته
١٣٦	باب ذكر مغازيه صلى الله عليه وسلم
١٤٠	غزوة بواط
١٤١	غزوة العشيرة
١٤٣	غزوة سفوان
١٤٣	باب تحويل القبلة
١٥٩	باب غزوة بدر الكبرى
٢٢٧	غزوة بنى سليم
٢٣٠	غزوة بنى قينقاع
٢٣٢	غزوة السويق
٢٣٤	غزوة قرقرة الكدر
٢٣٥	غزوة ذى امر
٢٣٦	غزوة بحران
٢٣٩	غزوة أحد
٢٨٤	غزوة حمراء الاسد
٢٩٠	غزوة بنى النضير
٢٩٨	غزوة ذات الرقاع
٣٠٤	غزوة بدر الآخرة
٣٠٦	غزوة دومة الجندل
٣٠٧	غزوة بنى المصطلق
٣٣٩	غزوة الخندق
٣٦٠	غزوة بنى قريظة

فهرسة الجزء الثانى من السيرة النبوية التى بهامش السيرة الحلبية

صحيفة	
٢	غزوة بنى سليم
٢	غزوة بنى قينقاع
٥	غزوة السويق
١١	سرية محمد بن مسلمة
١٧	غزوة غطفان
١٨	غزوة بحران
١٩	سرية زيد بن حارثة الى القردة
١٩	غزوة أحد
٦٣	غزوة حمراء الاسد
٦٧	سرية أبى سلمة
٦٨	سرية عبد الله بن أنيس رضى الله عنه
٦٩	بعث الرجيع
٧٥	سرية بئر معونة
٧٩	غزوة بنى النضير
٨٦	غزوة ذات الرقاع
٨٨	غزوة بدر الاخيرة
٩٠	غزوة دومة الجندل
٩١	غزوة المريسيع
١٠٢	غزوة الخندق
١٢٢	غزوة بنى قريظة
١٣٧	سرية القرطاء وحديث ثمامة
١٤٠	غزوة بنى لحيان
١٤١	غزوة الغابة
١٤٥	سرية الغمر
١٤٥	سرية محمد بن مسلمة الانصارى
١٤٦	سرية زيد بن حارثة رضى الله عنه الى بنى سليم
١٤٦	سرية زيد بن حارثة رضى الله عنه أيضا الى العيص
١٤٨	سرية زيد بن حارثة رضى الله عنه أيضا الى الطرف
١٤٨	سرية زيد بن حارثة رضى الله عنه أيضا الى حسمى
١٥١	سرية زيد بن حارثة أيضا رضى الله عنه الى وادى القرى
١٥١	سرية عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه الى دومة الجندل
١٥٢	سرية على بن أبى طالب كرم الله وجهه الى بنى سعد بن بكر
١٥٣	سرية زيد بن حارثة رضى الله عنه الى أم قرفة
١٥٤	سرية عبد الله بن عتيك لقتل أبى رافع

31789

صحيفة

١٥٧ سرية عبد الله بن رواحة الانصارى رضى الله عنه الى أسير
١٥٩ قصة عكل وعرينة
١٦٠ سرية عمرو بن أمية الضمرى رضى الله عنه الى أبى سفيان
١٦٣ قصة الحديبية
١٩٧ غزوة خيبر
٢١٥ غزوة وادى القرى
٢١٦ ذكر خمس سرايا بين خيبر وعمرة القضاء
٢١٦ سرية عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى تربة
٢١٦ سرية أبى بكر الصديق رضى الله عنه الى بنى كلاب
٢١٧ سرية بشير بن سعد رضى الله عنه الى بنى مرة
٢١٧ سرية غالب بن عبد الله الليثى رضى الله عنه الى أهل الميفعة
٢١٨ سرية بشير بن سعد أيضا رضى الله عنه الى يمن وجبار
٢١٨ عمرة القضاء
٢٢١ ذكر خمس سرايا قبل سرية مؤتة
٢٢١ سرية الاخرم بن أبى العوجاء السلمى رضى الله عنه الى بنى سليم
٢٢٢ سرية غالب بن عبد الله الليثى رضى الله عنه الى بنى الملوح
٢٢٣ اسلام خالد بن الوليد وعثمان بن طلحة الحجبى وعمرو بن العاص رضى الله عنهم
٢٢٦ سرية غالب بن عبد الله الليثى رضى الله عنه أيضا
٢٢٧ سرية شجاع بن وهب الاسدى رضى الله عنه الى جمع من هوازن
٢٢٧ سرية كعب بن عمير الغفارى رضى الله عنه الى ذات اطلاح من أرض الشام
٢٢٨ سرية مؤتة
٢٣٦ سرية عمرو بن العاص رضى الله عنه الى بلاد بلى وعذرة
٢٣٨ سرية الخبط
٢٤٠ سرية أبى قتادة رضى الله عنه الى نجد
٢٤٠ سرية أبى قتادة أيضا رضى الله عنه الى اضم

صحيفة

٢٤٢ غزوة الفتح الاعظم وهو فتح مكة شرفها الله تعالى
٢٩٩ هدم العزى وتعرف بسرية خالد بن الوليد
٣٠٠ هدم سواع وهى سرية عمرو بن العاص
٣٠١ هدم مناة وهى سرية سعد بن زيد الاشهلى رضى الله عنه
٣٠٢ غزوة حنين
٣١٢ سرية أبى عامر الاشعرى رضى الله عنه
٣١٣ سرية الطفيل بن عمرو الدوسى رضى الله عنه الى ذى الكفين وهو صنم الخ
٣١٣ غزوة الطائف
٣٢٠ ذكر قسمة الغنائم
٣٢٦ بعث قيس بن سعد الى صداء
٣٢٦ البعث الى بنى تميم
٣٣١ بعث الوليد بن عقبة الى بنى المصطلق
٣٣٢ سرية عبد الله بن عوسجة رضى الله عنه الى بنى عمرو بن حارثة
٣٣٢ سرية قطبة بن عامر الخزرجى رضى الله عنه الى خثعم
٣٣٢ سرية الضحاك بن سفيان الكلابى رضى الله عنه الى بنى كلاب
٣٣٢ سرية علقمة بن مجزز الى طائفة من الحبشة
٣٣٣ سرية على بن أبى طالب رضى الله عنه لهدم صنم طيئ
٣٣٥ سرية عكاشة بن محصن الاسدى رضى الله عنه الى الجباب
٣٣٥ غزوة تبوك
٣٥٩ سرية أبى سفيان والمغيرة بن شعبة رضى الله عنهما لهدم اللات بالطائف
٣٥٩ سرية جرير بن عبد الله البجلى رضى الله عنه الى ذى الخلصة
٣٦٠ سرية اسامة بن زيد رضى الله عنهما الى أبنى
٣٦٤ بعث الصديق رضى الله عنه يحج بالناس
٣٦٧ البعث الى اليمن
٣٦٨ بعث خالد بن الوليد الى اليمن
٣٦٩ بعث على بن أبى طالب رضى الله عنه الى اليمن

﴿تمت﴾

Al-Halabi, 'Alī ibn Ibrahim...
/Insān al-'uyun fī sīrat al-amīn al-ma'mun./
31,789
v. 2

الجزء الثانى

من انسان العيون فى سيرة الامين المأمون
المعروفة بالسيرة الحلبية تأليف الامام
العالم العلامة الحبر البحر الفهامة
علىّ بن برهان الدين الحلبىّ
الشافعى نفع الله
بعلومه
آمين

وبهامشها السيرة النبوية والآثار المحمدية
لمفتى السادة الشافعية بمكة المشرفة السيد
أحمد زينى المشهور بدحلان نفع الله به
المسلمين آمين

بمطبعة
محمد افندى مصطفى
بمصر

Near East
BP 75 .2 .N87 1890 v.2
BP 75 .2 H35 v2 c1

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿باب عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه على القبائل من العرب أن يحموه وينا صروه على ما جاء به من الحق﴾

أى لانه صلى الله عليه وسلم أخفى رسالته ثلاث سنين ثم أعلن بها فى الرابعة على ما تقدم ودعا الى الاسلام عشر سنين يوافى الموسم كل عام يتبع الحجاج فى منازلهم أى بمنى والموقف يسأل عن القبائل قبيلة قبيلة ويسأل عن منازلهم ويأتى اليهم فى أسواق المواسم وهى عكاظ ومجنة وذو المجاز فقد تقدم أن العرب كانت اذا حجت تقيم بعكاظ شهر شوال ثم تجىء الى سوق مجنة تقيم فيه عشرين يوما ثم تجىء سوق ذى المجاز فتقيم به الى أيام الحج يدعوهم الى أن يمنعوه حتى يبلغ رسالات ربه فمن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على الناس فى الموقف ويقول الا رجل يعرض على قومه فان قريشا قد منعونى أن أبلغ كلام ربى وعن بعضهم رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يهاجر الى المدينة يطوف على الناس فى منازلهم أى بمنى يقول يا أيها الناس ان الله يأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيأ ووراءه رجل يقول يا أيها الناس ان هذا يأمركم أن تتركوا دين آبائكم فسألت من هذا الرجل فقيل أبو لهب يعنى عمه وفى رواية عن أبى طارق رضى الله تعالى عنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوق ذى المجاز يعرض نفسه على قبائل العرب يقول يا أيها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا وخلفه رجل له غديرتان أى ذؤابتان يرجمه بالحجارة حتى أدمى كعبيه يقول يا أيها الناس لا تسمعوا منه فانه كذاب فسألت عنه فقيل انه غلام عبد المطلب فقلت ومن الرجل الذى يرجمه فقيل هو عمه عبد العزى يعنى أبا لهب اى وفى السيرة الهشامية عن بعضهم قال انى لغلام شاب مع أبى بمنى ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقف فى منازل القبائل من العرب فيقول يا بنى فلان انى رسول الله اليكم يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وان تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الانداد وأن تؤمنوا بى وتصدقونى وتمنعونى حتى أبين عن

﴿غزوة بنى سليم﴾

ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من بدر لم يقم الا سبع ليال حتى غزا بنفسه يريد بنى سليم واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفارى وعلى الصلاة ابن أم مكتوم بل كل غزوة استعمل فيها ابن أم مكتوم فهو على الصلاة فقد بناء على ان قضاء الاعمى غير صحيح وقيل غير ذلك وكان لواؤه ابيض حمله على بن أبى طالب رضى الله عنه فبلغ صلى الله عليه وسلم ماء من مياههم يقال له الكدر فأقام صلى الله عليه وسلم ثلاث ليال ثم رجع الى المدينة ولم يلق حربا وارتفع القوم وهربوا وبقيت نعمهم فظفر بها صلى الله عليه وسلم وانحدر بها الى المدينة وقسمها بصرار على ثلاثة أميال من المدينة وكانت خمسمائة بعير وكانت مدة غيبته خمس عشرة ليلة

﴿غزوة بنى قينقاع﴾

بضم النون وقيل بكسرها وقيل بفتحها والضم أشهر قوم من اليهود كانت منازلهم بطحان مما يلى العالية وكانوا أشجع اليهود وكانوا صاغة وكانوا حلفاء عبادة بن الصامت رضى الله عنه وعبد الله ابن أبى ابن سلول فلما كانت وقعة بدر أظهروا البغى والحسد ونبذوا العهد أى لانه صلى الله عليه وسلم كان عاهدهم وعاهد بنى قريظة وبنى النضير أن لا يحاربوه ولا يظاهروا عليه عدوه وقيل على أن يكونوا معه لا عليه وقيل على أن ينصروه على من دهمه من عدوه فهم أول من غدر من اليهود مع ما هم عليه من العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسبب غدرهم ونقضهم العهد ان امرأة من العرب وكانت زوجة لبعض الانصار الساكنين بالبدو وقدمت بجلب لها

THE PAGES IN THIS VOLUME HAVE BEEN INTERLEAVED WITH AN ACID FREE PAPER TO PERMIT BINDING AND TO REDUCE FURTHER DETERIORATION.

وهو ما يجلب ليباع من ابل وغنم وغيرهما فباعته بسوق بني قينقاع وجلست الى صائغ منهم فجعل جماعة منهم يراودونها عن كشف وجهها فابت فعمد الصائغ الى طرف ثوبها فعقده الى ظهرها وقيل خله بشوكة وهي لا تشعر فلما قامت انكشفت سوأتها فضحكوا منها فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله وشدت اليهود على المسلم فقتلوه فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود فغضب المسلمون وتواثبوا من كل جهة فبلغ الخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال ٣ ما على هذا أقررناهم فتبرأ عبادة بن الصامت

الله عز وجل ما بعثني به قال وخلفه رجل أحول وضيء له غديرتان عليه حلة عدنية فاذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله قال ذلك الرجل يا بني فلان ان هذا الرجل انما يدعوكم الى أن تسلخوا اللات والعزى من أعناقكم الى ما جاء به من البدعة والضلالة فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه فقلت لابي من هذا الرجل الذي يتبعه يرد عليه ما يقول قال هذا عمه عبد العزى بن عبد المطلب * وذكر ابن اسحق انه صلى الله عليه وسلم عرض نفسه على كندة وكلب أي الى بطن منهم يقال لهم بنو عبد الله فقال لهم ان الله قد أحسن اسم أبيكم أي عبد الله أي فقد قال صلى الله عليه وسلم أحب الاسماء الى الله عز وجل عبد الله وعبد الرحمن ثم عرض عليهم فلم يقبلوا منه ما عرض عليهم وعرض على بني حنيفة وبني عامر بن صعصعة أي فقال له رجل منهم أرأيت ان نحن بايعناك على أمرك ثم أظفرك الله على من خالفك أيكون لنا الامر من بعدك فقال الامر الى الله يضعه حيث شاء قال فقال له أنقاتل العرب دونك وفي رواية أنهدف نحورنا للعرب دونك أي تجعل نحورنا هدفا لنبلهم فاذا أظهرك الله كان الامر لغيرنا لا حاجة لنا بأمرك وأبوا عليه فلما رجعت بنو عامر الى منازلهم وكان فيهم شيخ أدركه السن حتى لا يقدر أن يوافي معهم الموسم فلما قدموا عليه سألهم عما كان في موسمهم فقالوا جاءنا فتى من قريش أحد بني عبد المطلب يزعم انه نبي يدعونا الى أن نمنعه ونقوم معه ونخرج به الى بلادنا فوضع الشيخ يده على رأسه ثم قال يا بني عامر هل لها من تلاف أي تدارك هل لها من مطلب والذي نفس فلان بيده ما يقولها أي ما يدعي النبوة كاذبا أحد من بني اسمعيل قط وانها لحق وان رأيكم غاب عنكم * وذكر الواقدي انه صلى الله عليه وسلم أتى بني عبس أي وبني سليم وغسان وبني محارب أي وفزارة وبني نضر ومرة وعذرة والحضارمة فيردون عليه صلى الله عليه وسلم أقبح الرد ويقولون أسرتك وعشيرتك أعلم بك حيث لم يتبعوك ولم يكن أحد من العرب أقبح ردا عليه من بني حنيفة أي وهم أهل اليمامة قوم مسيلمة الكذاب وقيل لهم بنو حنيفة لان أمهم حنيفة قيل لها ذلك لحنف كان في رجلها وثقيف أي ومن ثم جاء شر قبائل العرب بنو حنيفة وثقيف أي ودفع صلى الله عليه وسلم هو وأبو بكر رضي الله تعالى عنه الى مجلس من مجالس العرب فتقدم أبو بكر فسلم وقال ممن القوم قالوا من ربيعة قال وأي ربيعة من هامتها أو من لهازمها قالوا بل الهامة العظمى قال من أيها قالوا من ذهل الاكبر قال منكم حامي الذمار ومانع الجار فلان قالوا لا قال منكم قاتل الملوك وسالبها فلان قالوا لا قال منكم صاحب العمامة الفريدة فلان قالوا لا قال فاستم من ذهل الاكبر أنتم ذهل الاصغر فقام اليه شاب حين بقل وجهه أي طلع شعر وجهه فقال له ان على سائلنا أن نسأله يا هذا نك أقد سألتنا فأخبرنا فمن الرجل فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه أنا من قريش فقال الفتى بخ بخ أهل الشرف والرياسة فمن أي قريش أنت قال من ولد تيم بن مرة فقال الفتى أمكنت أمنكم قصي الذي كان يدعى مجمعا قال لا قال فمنكم هاشم الذي هشم الثريد لقومه قال لا قال

من حلفهم وقال أتولى الله ورسوله وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار وتشبث به عبد الله بن أبي ابن سلول ولم يتبرأ كما تبرأ عبادة بن الصامت رضي الله عنه وفي ذلك أنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض الى قوله فان حزب الله هم الغالبون فجمعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لهم يا معشر يهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة أي ببدر واسلموا فانكم قد عرفتم أني مرسل تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله تعالى اليكم به قالوا يا محمد انك ترى أنا قومك أي تظننا أنا مثل قومك ولا يغرنك انك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة انا والله لو حاربناك لتعلمن انا نحن الناس وفي لفظ لتعلمن انك لم تقاتل مثلنا أي لانهم كانوا أشجع اليهود وأكثرهم أموالا وأشدهم بغيا وأنزل الله تعالى فيهم قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد قد كان لكم آية في فئتين التقتا يعني وقعة بدر وأنزل الله تعالى وأما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء الآية ثم ان القوم تحصنوا في حصونهم فسار اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاصرهم خمس عشرة ليلة أشد الحصار وكان خروجه في نصف شوال واستمر الى هلال ذي القعدة الحرام وحمل اللواء حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه واستعمل على المدينة أبا لبابة الانصاري رضي الله عنه فقذف الله في قلوبهم الرعب وكانوا أربعمائة حاسر وثلثمائة دراع فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخلي سبيلهم وأن يجلوا من المدينة أي يخرجوا منها وان لهم النساء والذرية ويجعلون بقية الاموال للنبي صلى الله عليه وسلم ومنها الحلقة التي هي السلاح ولم يكن لهم نخيل ولا أراضي تزرع فصالحهم على ذلك فنزلوا وخمست

أموالهم جعل منها أربعة أخماس للمؤمنين المجاهدين وخمس له صلى الله عليه وسلم ثم أجلاهم الى الشأم وقيل انهم نزلوا على أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بهم أن يكتفوا فكتفوا فأراد قتلهم فكلمه فيهم عبد الله بن أبي ابن سلول وألح عليه فقال يا محمد أحسن في موالي فأعرض عنه صلى الله عليه وسلم فأدخل يده في جيب درع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خلفه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك أرسلني وغضب رسول ٤ الله صلى الله عليه وسلم حتى رأوا لوجهه سمرة لشدة غضبه ثم قال ويحك أرسلني فقال والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي فانهم أعزتي وأنا امرؤ أخشى الدوائر وفي لفظ والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي أربعمائة حاسر أي لا درع له وثلثمائة دراع وقد منعوني من الاحمر والاسود وتحصدهم في غداة واحدة اني امرؤ أخشى الدوائر فقال صلى الله عليه وسلم خلوهم لعنهم الله ولعنه معهم وتركهم من القتل وقال له خذهم لا بارك الله لك فيهم والى ذلك أشار سبحانه وتعالى بقوله فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة الآية ثم أمر صلى الله عليه وسلم ان يجلوا من المدينة وكلوا اجلائهم عبادة بن الصامت رضي الله عنه وأمهلهم ثلاثة أيام فجلوا منها بعد ثلاث أي بعد ان سألوا عبادة بن الصامت أن يمهلهم فوق الثلاث فقال لا ولا ساعة فوق الثلاث فقال لا ولا ساعة واحدة وتولى اخراجهم وذهبوا الى أذرعات بلدة بالشام ولم يدر الحول عليهم حتى هلكوا أجمعين بدعوته صلى الله عليه وسلم في قوله لابن أبي لا بارك الله لك فيهم ويذكر أن ابن أبي قبل خروجهم جاء الى منزله صلى الله عليه وسلم ليسأله في اقرارهم فحجب عنه فأراد الدخول فدفعه بعض الصحابة فصدم وجهه في الحائط فشجه فانصرف مغضبا فقال بنو قينقاع لا نمكث في بلد يفعل فيه بأبي الحباب مفروق هذا ولا ننتصر له ونتأهبوا للجلاء وقيل الذي تولى اخراجهم محمد بن مسلمة رضي الله عنه ولا مانع أن يكون هو وعبادة بن الصامت اشتركا في اخراجهم ووجد صلى الله عليه وسلم في منازلهم سلاحا كثيرا لانهم كما تقدم كانوا أكثر اليهود أموالا وأشدهم بأسا وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلاحهم ثلاث قسي قوساندي الكتوم لا يسمع لها صوت اذا رمى بها وقوساندي الروحاء وقوساندي

فمنكم شيبة الحمد عبد المطلب مطعم طير السماء الذي كأن وجهه القمر يضيء في الليلة الظلماء قال لا واجتذب أبو بكر رضي الله تعالى عنه زمام ناقته ورجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بذلك فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له علي رضي الله تعالى عنه لقد وقعت من الاعرابي على باقعة أي داهية أي ذو دهاء وهو في الاصل اسم لطائر حذر يطير بمنة ويسرة قال أجل أبا حسن ما من طامة الا فوقها طامة والبلاء موكل بالمنطق أي واستفهام الفتى توبيخي لا حقيقي لان من المعلوم ان من ذكر ليس وامن تيم لان أبا بكر كما تقدم انما يجتمع مع النبي صلى الله عليه وسلم في مرة ومرة جد لقصي فكأنه يقول له ان قبيلتكم لم تشتمل على هؤلاء الاشراف أي كما ان قبيلتنا لم تشتمل على أولئك الاشراف * وعن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما انه صلى الله عليه وسلم لقي جماعة من شيبان بن ثعلبة وكان معه أبو بكر وعلي رضي الله تعالى عنهما وان أبا بكر سألهم ممن القوم فقالوا من شيبان بن ثعلبة فالتفت أبو بكر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بأبي أنت وأمي هؤلاء غرر أي سادات في قومهم وفيهم مفروق بن عمرو وهانئ بالهمز ابن قبيصة بفتح القاف ومثنى بن حارثة والنعمان بن شريك وكان مفروق ابن عمرو قد غلبهم جمالا ولسانا له غديرتان أي ذؤابتان من شعر وكان أدنى القوم أي أقرب مجلسا من أبي بكر رضي الله تعالى عنه فقال له أبو بكر كيف العدد فيكم قال مفروق انا لنزيد على الالف ولن تغلب الالف من قلة والذي قاله صلى الله عليه وسلم لن تغلب اثنا عشر ألفا من قلة قاله لما أراد ان يغزو هوازن وكان جيشه العدد المذكور كما سيأتي فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه كيف المنعة فيكم قال مفروق علينا الجهد أي بفتح الجيم وضمها أي الطاقة ولكل قوم جد بفتح الجيم أي حظ وسعادة أي علينا ان نجهد وليس علينا أن يكون لنا الظفر لانه من عند الله يؤتيه من يشاء فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه فكيف الحرب بينكم وبين عدوكم فقال مفروق انا لاشد ما يكون غضبا حين نلقى وانا لاشد ما يكون لقاء حين نغضب وانا لنؤثر الجياد أي من الخيل على الاولاد والسلاح على اللقاح أي ذوات اللبن من الابل وربما قيل للبقر والغنم أيضا والنصر من عند الله يديلنا بضم أوله وكسر الدال المهملة أي ينصرنا مرة ويديل علينا مرة أي ينصر علينا أخرى لعلك أخو قريش فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه أو قد بلغكم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم وذا فقال مفروق بلغنا أنه يذكر ذلك فالام تدعو يا أخا قريش فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أدعو الى شهادة أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأني رسول الله والى أن تؤووني وتنصروني فان قريشا قد تظاهرت أي تعاونت على أمر الله وكذبت رسوله واستغنت بالباطل عن الحق والله هو الغني الحميد قال مفروق والام تدعو أيضا يا أخا قريش فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيأ وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون قال

البيضاء وأخذ درعين درعا يقال لها السغدية بسين مهملة وغين معجمة ويقال انها درع داود عليه السلام التي لبسها حين قتل جالوت والاخرى يقال لها فضة وثلاثة أرماح وثلاثة أسياف ووهب صلى الله عليه وسلم درعا لمحمد بن مسلمة ودرعا لسعد بن معاذ رضى الله عنهما وقسم بقية الاموال والسلاح كما تقدم ﴿قتل أبي عفك اليهودي﴾ وقدم في المواهب قتل أبي عفك على غزوة بني قينقاع فقال ثم في شوال كانت سرية سالم بن عمير الى أبي عفك بفتح المهملة والفاء اليهودي وكان شيخا ○ كبيرا قد بلغ من السنين عشرين ومائة سنة

مفروق ما هذا من كلام أهل الارض ولو كان من كلامهم عرفناه ثم قال والام تدعو أيضا يا أخا قريش فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون وهذه الآية ذكرها العز بن عبد السلام انها اشتملت على جميع الاحكام الشرعية وبين ذلك في سائر الابواب الفقهية وضمن ذلك كتابا سماه الشجرة فقال مفروق دعوت والله الى مكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال ولقد أفك قوم أي صرفوا عن الحق كذبوك وظاهروا أي عاونوا عليك وكان مفروق أراد أن يشركه أي يشاركه في الكلام هانئ بن قبيصة فقال هذا هانئ بن قبيصة شيخنا وصاحب ديننا فقال هانئ قد سمعنا مقالتك يا أخا قريش واني أرى أن تركنا ديننا واتباعنا اياك على دينك بمجلس جلستنا الينا ليس له أول ولا آخر زلة في الرأي وقلة نظر في العاقبة وانما تكون الزلة مع العجلة ومن ورائنا قوم نكره ان نعقد عليهم عقدا ولكن نرجع ونرجع وننظر وتنظر وكأنه أحب أن يشركه في الكلام المثنى بن حارثة فقال هذا المثنى بن حارثة شيخنا وصاحب حربنا فقال المثنى قد سمعنا مقالتك يا أخا قريش والجواب هو جواب هانئ بن قبيصة في تركنا ديننا واتباعنا دينك بمجلس جلستنا الينا ليس له أول ولا آخر وان أحببت ان نؤويك وننصرك مما يلي مياه العرب دون ما يلي أنهار كسرى فعلنا فانا انما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى أن لا نحدث حدثا ولا نؤوي محدثا وانى أرى هذا الامر الذي تدعونا اليه أنت هو مما تكرهه الملوك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أسأتم في الرد اذ أفصحتم بالصدق وان دين الله عز وجل لن ينصره الا من أحاط به من جميع جوانبه أرأيتم ان لم تلبثوا الا قليلا حتى يورثكم الله أرضهم وأموالهم ويغرسكم نساءهم تسبحون الله وتقدسونه فقال النعمان بن شريك اللهم لك ذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وبشر المؤمنين ثم نهض رسول الله صلى الله عليه وسلم أي وهؤلاء لم أقف على اسلام أحد منهم الا أن في الصحابة شخصا يقال له المثنى بن حارثة الشيباني وكان فارس قومه وسيدهم والمطاع فيهم ولعله هو هذا القول هانئ بن قبيصة فيه انه صاحب حربنا ورأيت بعضهم ذكر أن النعمان بن شريك له وفادة فيكون من الصحابة أي وفي أسد الغابة أن مفروق ابن عمرو من الصحابة ونقل عن أبي نعيم أنه قال لا أعرف لمفروق اسلاما * ولما قدمت بكر بن وائل مكة للحج قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر ائتهم فاعرضني عليهم فأتاهم فعرض عليهم فقال لهم كيف العدد فيكم قالوا كثير مثل الثرى قال فكيف المنعة قالوا لا منعة جارنا فارس فنحن لا نمنع منهم ولا نجير عليهم قال فتجعلون لله عليكم ان هو أبقاكم حتى تنزلوا منازلهم وتستنكحوا نساءهم وتستعبدوا أبناءهم أن تسبحوا الله ثلاثا وثلاثين وتحمدونه ثلاثا وثلاثين وتكبرونه ثلاثا وثلاثين قالوا ومن أنت قال أنا رسول الله ثم مر بهم أبو لهب فقالوا له هل تعرف هذا الرجل قال نعم فأخبروه بما دعاهم اليه وأنه زعم أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم

وكان يحرض الناس على قتال النبي صلى الله عليه وسلم ويقول فيه الشعر فقال صلى الله عليه وسلم من لي بهذا الخبيث فقال سالم بن عمير على نذر ان أقتل أبا عفك أو أموت دونه فأمهل يطلب له غرة أي غفلة حتى كانت ليلة صائفة نام أبو عفك بفناء منزله وعلم به سالم فأقبل اليه ووضع سيفه على كبده ثم اعتمد عليه حتى خش أي دخل في الفراش فصاح عدو الله أبو عفك فثار اليه ناس ممن كانوا على موافقته في الكفر والتحريض فأدخلوه منزله فمات فقبروه ورجع سالم بن عمير رضى الله عنه الى النبي صلى الله عليه وسلم فبشر بذلك فدعا له بخير

﴿غزوة السويق﴾

لما أصاب قريشا في بدر ما أصابهم حلف أبو سفيان أن لا يمس النساء والطيب حتى يغزو محمدا فخرج في مائتي راكب من قريش ليسير بينه وبين المدينة نحو بريد ثم أتى لبني النضير وهم حي من اليهود وقصد حيي ابن أخطب وكان من رؤساء بني النضير وكان مجيئه اليه في الليل فضرب عليه بابه فأبى ان يفتح له لانه خافه فانصرف وجاء الى سلام ابن مشكم سيد بني النضير وصاحب كنزهم أي مالهم الذي كانوا يجمعونه ويدخرونه لنوائبهم فاستأذن عليه فأذن له واجتمع به ثم خرج به الى أصحابه فبعث رجالا من قريش فأتوا ناحية من المدينة فحرقوا نخلا منها ووجدوا رجلا من الانصار وهو معبد بن عمرو وحليفا للانصار فقتلوهما ثم انصرفوا راجعين فعلم بهم الناس فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلبهم في مائتين من المهاجرين والانصار وكان خروجه لخمس خلون من ذي الحجة واستعمل على المدينة بشير بن عبد المنذر الانصاري رضى الله عنه وجعل أبو سفيان وأصحابه يخففون رواحلهم

للهرب فجعلوا يلقون جرب السويق وهو عامة أزوادهم فأخذه المسلمون ولم يلحقوهم وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا الى المدينة وكانت غيبته صلى الله عليه وسلم خمسة أيام ورأى أبو سفيان انه بفعله ذلك خرج من حلفه وهو انه لا يمس النساء ولا الطيب حتى يغزو محمدا وحكى بعضهم ان أبا سفيان عبر عن ذلك بقوله لا يمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمدا وهذا يدل على انهم كانوا يغتسلون من الجنابة ومن ثم قال الدميرى ٦ ان الحكمة فى عدم بيان الغسل فى آية الوضوء كون الغسل من الجنابة معلوما قبل الاسلام وذلك من بقية دين ابراهيم واسمعيل عليهما السلام فهو من الشرائع القديمة قال بعضهم كانوا فى الجاهلية يغتسلون من الجنابة ويغسلون موتاهم ويكفنونهم ويصلون عليهم وهو ان يقوم وليه بعد ان يوضع على سريره ويذكر محاسنه ويثنى عليه ثم يقول رحمه الله ثم يدفن وماذكره الدميرى تبع فيه السهيلى حيث قال ان الغسل من الجنابة كان معمولا به فى الجاهلية بقية دين ابراهيم واسمعيل عليهما الصلاة والسلام كما بقى فيهم الحج والنكاح وكان الحدث الاكبر معروفا عندهم ولذلك قال تعالى وان كنتم جنبا فاطهروا فلم يحتاجوا الى تفسيرها وأما الحدث الاصغر فلم يكن معروفا عندهم قبل الاسلام فلهذا لم يقل وان كنتم محدثين فتوضؤا بل قال فاغسلوا ونازع بعضهم فى ثبوت ذلك عندهم وقال ان أبا سفيان انما قال لا يمس الطيب ولا النساء وكنى بذلك عن التمتع بالنساء فغيره بعض الرواة بقوله لا يمس رأسه ماء من جنابة لان هذا اللفظ صار عند أهل الاسلام كناية عن التمتع بالنساء فسأوى المراد منه ما قصده أبو سفيان والله أعلم بحقيقة الحال

﴿ذكر تزويج فاطمة رضى الله عنها﴾ بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعلى رضى الله عنه وهى الزهراء والبتول أفضل نساء الدنيا حتى مريم يوم رضى الله عنها كما اختاره المقريزى والزركشى والحافظ السيوطى فى كتابيه شرح النقاية وشرح جمع الجوامع بالادلة الواضحة التى منها ان هذه الامة أفضل من غيرها والصحيح ان مريم ليست نبية بل حكى الاجماع على انه لم يتنبأ امرأة قط وقد قال صلى الله عليه وسلم مريم خير نساء عالمها وفاطمة خير نساء عالمها رواه الترمذى وقال صلى الله عليه وسلم يا بنية ألا ترضين انك سيدة نساء العالمين قالت

فقال لهم لا ترفعوا بقوله رأسا فانه مجنون يهذى من أم رأسه فقالوا لقد رأينا ذلك حيث ذكر من أمر فارس ما ذكر وفى رواية انه لما سألهم قالوا له حتى يجىء شيخنا حارثة فلما جاء قال ان بيننا وبينك من الفرس حربا فاذا افرغنا مما بيننا وبينهم عدنا فنظرنا فيما تقول فلما التقوا مع الفرس قال شيخهم ما اسم الرجل الذى دعاكم اليه قالوا محمد قال فهو شعاركم فنصروا على الفرس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بى نصروا أى نصروا بذكرهم اسمى * ولا زال صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على القبائل فى كل موسم ويقول لا أكره أحدا على شىء من رضى الذى أدعوه اليه فذلك ومن كره لم أكرهه انما أريد منعى من القتل حتى أبلغ رسالات ربى فلم يقبله أحد من تلك القبائل ويقولون قوم الرجل أعلم به أترون أن رجلا يصلحنا وقد أفسد قومه * وعن ابن اسحق لما أراد الله تعالى اظهار دينه واعزاز نبيه صلى الله عليه وسلم وانجاز موعده له خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الموسم وفى سيرة مغلطاى ومستدرك الحاكم ان ذلك كان فى شهر رجب يعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع فى كل موسم فبينا هو عند العقبة التى تضاف اليها الجمرة فيقال جمرة العقبة أى وهى عند يسار الطريق لقاصد منى من مكة وبها الآن مسجد يقال له مسجد البيعة اذ لقى بها رهطا من الخزرج أى لان الاوس والخزرج كانوا يحجون فيمن يحج من العرب أى والاوس فى الاصل أى اللغة العطية ويقال للذئب ويقال لرجل اللهو واللعب والخزرج فى الاصل الريح الباردة قيل هى الجنوب خاصة وكانوا ستة نفر وقيل ثمانية أراد الله تعالى بهم خيرا وقد عد الستة فى الاصل وبين الناس اختلاف فى ذكرهم فقال لهم من أنتم قالوا نفر من الخزرج فقال أمن موالى يهود أى من حلفاء يهود المدينة قريظة والنضير لانهم تحالفوا معهم على التناصر والتعاضد على من سواهم وان يأمن بعضهم من بعض وهذا كان فى أول أمرهم قبل ان تقوى شوكتهم على يهود ٥ قالوا نعم قال أفلا تجلسون أكلمكم قالوا بلى فجلسوا معه صلى الله عليه وسلم وفى لفظ وجدهم يحلقون رؤسهم فجلس اليهم فدعاهم الى الله عز وجل وعرض عليهم الاسلام أى وأرأى أمارات الصدق عليه صلى الله عليه وسلم لائحة فقال بعضهم لبعض تعلمون والله انه للنبى الذى يوعدكم به يهود فلا تسبقنكم اليه لان يهود كانوا اذا وقع بينهم وبينهم شىء من الشر قالوا لهم سيبعث نبى قد أظل أى قرب زمانه نتبعه نقتلكم معه قتلة عاد وارم أى كما تقدم فى اخبار الاحبار والمراد نستأصلكم بالقتل فلما دعاهم الى الاسلام أجابوه وصدقوه واسلموا وقالوا له انا تركنا قومنا يعنون الاوس والخزرج بينهم من العداوة والشر ما بينهم أى فان الاوس والخزرج كانا أخوين لاب وأم فوقعت بينهما العداوة وتطاولت بينهما الحروب فكثوا على المحاربة والمقاتلة أكثر من مائة سنة أى مائة وعشرين كما فى الكشاف فان يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك ﴿أقول﴾ وفى رواية قالوا يا رسول الله انما كانت بعاث أى بضم الموحدة ثم عين مهملة مخففة وفى آخره ثاء مثلثة وقيل بفتح الموحدة وبدل المهملة معجمة قيل وذكر المعجمة تصحيف فعن ابن دريد صحف الخليل بن أحمد

يا أبت فأين مريم قال تلك سيدة نساء عالمها رواه ابن عبد البر وقد أخرج الطبراني باسناد على شرط الشيخين قالت عائشة رضي الله عنها ما رأيت أحدا قط أفضل من فاطمة غير أبيها وكان تزوجها من علي رضي الله عنه في السنة الثانية من الهجرة عقد عليها في صفر وقيل في المحرم وقيل في رجب وقيل في رمضان ودخل بها في ذي الحجة من السنة المذكورة وهي ابنة خمس عشرة سنة وخمسة أشهر أو ستة أشهر ونصف وكان سن علي رضي الله عنه يومئذ احدى وعشرين سنة ٧ وخمسة أشهر ولم يتزوج عليها رضي الله عنها حتى ماتت وعن أنس رضي الله عنه قال جاء أبو بكر وعمر رضي الله عنهما يخطبان فاطمة الى النبي صلى الله عليه وسلم فسكت ولم يرجع اليهما شيأ وفي رواية قال لكل منهما أنتظر بها القضاء فانطلقا الى علي رضي الله عنه يأمرانه ان يخطبها لنفسه قال علي رضي الله عنه فنبهاني لامر كنت غافلا عنه فقمت أجر ردائي فرحا بما نبهت له حتى أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت تزوجني فاطمة قال أو عندك شيء فقلت فرسي وبدني يعني درعه قال أما فرسك فلا بد لك منها وأما بدنك فبعها فبعتها من عثمان بن عفان رضي الله عنه بأربعمائة وثمانين درهما قال الزرقاني ثم ان عثمان رضي الله عنه ردّ الدرع الى علي رضي الله عنه فجاء بالدرع والدراهم الى المصطفى صلى الله عليه وسلم فدعا لعثمان بدعوات ولما جاء علي رضي الله عنه بالدراهم وضعها في حجر النبي صلى الله عليه وسلم فقبض منها قبضة فقال أي بلال ابتع بها الناطيا وأمرهم أن يجهزوها فجعل لها سرير مشروط ووسادة من أدم حشوها ليف وقال لعلي رضي الله عنه اذا أنت فلا تحدث شيأ حتى آتيك فأرسل صلى الله عليه وسلم أسماء بنت عميس فهيأت البيت فصلى العشاء

يوم بغاث بالغين المعجمة واغاث هو بالمهملة وفي القاموس بالمهملة والمعجمة عام أول يوم من أيامنا اقتتلنا به ونحن كذلك لا يكون لنا عليك اجتماع حتى نرجع الى غابرنا لعل الله أن يصلح ذات بيننا وندعوهم الى مادعوتنا فعسى الله أن يجمعهم عليك فان اجتمعت كلمتهم عليك واتبعوك فلا أحد أعز منك وبعاث مكان قريب من المدينة على ليلتين منها عند بني قريظة ويقال انه حصن للاوس كان به القتال قبل قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة بخمس سنين بين الاوس والخزرج وسيد الاوس ورئيسهم حينئذ حضير والد أسيد وبه قتل مع من قتل من قومه وكان النصر فيهم أولا للخزرج ثم صار للاوس * وسبب القتال أنه كان من قاعدتهم ان الاصيل لا يقتل بالحليف فقتل رجلا من الاوس أي وهو سويد بن الصامت رجلا حليفا للخزرج أي وهو ذياد والد المحذر بن ذياد وذياد بالذال المعجمة مكسورة ومفتوحة وتخفيف المثناة تحت والمحذر بالذال المعجمة مشددة مفتوحة فأرادوا أن يقتلوا سويدا فيه فأبى عليه الاوس ذلك لان سويدا هذا كان تسميه قومه الكامل لشرفه ونسبه وشعره وجلده كان ابن خالة عبد المطلب لان أمه أخت سلمى أم عبد المطلب وكان قدم مكة حاجا أو معتمرا فتصدى له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به لانه صلى الله عليه وسلم كان لا يسمع بقادم قدم مكة من العرب له اسم وشرف الا تصدى له ودعاه الى الله تعالى فدعا سويدا الى الله عز وجل والى الاسلام فقال له سويد لعل الذي معك مثل الذي معي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وما الذي معك قال حكمة لقمان فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اعرضها علي فعرضها عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا الكلام حسن والذي معي أفضل من هذا قرآن أنزله الله علي هو هدى ونور فتلا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن ودعاه الى الاسلام فلم يبعد منه وقال ان هذا القول حسن ثم انصرف وقدم المدينة فلم يلبث أن قتله الخزرج وفي كلام بعضهم أنه آمن بالله ورسوله وسافر حتى دخل المدينة الى قومه فشعروا بايمانه فقتلته الخزرج بغتة وقيل القاتل له المحذر ولد ذياد الذي قتله سويد لان سويدا كان قد شرب الخمر وجلس يبول وهو ممتلئ سكرا فضربه انسان من الخزرج فخرج حتى أتى المحذر بن ذياد فقال هل لك في الغنيمة الباردة قال ما هي قال سويد أعزل لا سلاح معه فخرج المحذر بالسيف مصلتا فلما أبصر سويدا قال له قد أمكن الله منك قال ما تريد مني قال قتلك فقتله فكان ذلك سبب الحرب بين الاوس والخزرج ببعاث فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أسلم الحرث ابن سويد والمحذر بن زياد وشهد بدرا فجعل الحرث بن سويد يطلب محذرا يقتله بأبيه فلم يقدر عليه حتى كان وقعة أحد قدر عليه فقتله غيلة كما سيأتي * وممن قتل في هذه الحرب التي يقال لها بعاث شخص يقال له اياس بن معاذ قدم مكة هو وشخص يقال له أبو الحيسر أنس بن رافع مع جماعة من قومهم يلتمسون الحلف من قريش على قومهم الخزرج فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس اليهم وقال لهم هل لكم في خير مما جئتم له قالوا له وما ذاك قال أنا رسول الله

وأرسل فاطمة رضي الله عنها فجاءت مع أم أيمن بركة الحبشية مولاته صلى الله عليه وسلم حتى قعدت في جانب البيت على رضي الله عنه في جانب آخر ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما صلى العشاء الآخرة فقال أههنا أخي قالت أم أيمن أخوك وقد زوجته ابنتك قال نعم أي هو كأخي في المنزلة والمؤاخاة فلا يمتنع على تزويجي اياه بنتي ودخل صلى الله عليه وسلم وقال لفاطمة رضي الله عنها ائتيني بماء فقامت تعثر في ثوبها من الحياء الى قعب في البيت فأتت فيه بماء فأخذه ومج فيه أي وضعه في فمه ورمى به في القعب ثم قال لها

تقدمى وتقدمت فتضع بين ثديها وعلى رأسها وقال اللهم انى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ثم قال أدبرى فأدبرت فصب بين كتفيها ثم فعل مثل ذلك بعلى وفى رواية ثم قال لعلى ائتنى بماء قال فعلمت الذى يريد فقمت فملأت القعب ماء فأتيته به فأخذه فجج فيه ثم صب على رأسى وبين ثدى ثم قال لى أدبر فصب بين كتفى ثم قال اللهم انى أعيذه بك وذريته من الشيطان الرجيم ثم قال له ادخل بأهلك باسم الله والبركة وفى رواية انه ٨ صلى الله عليه وسلم توضأ فى اناء ثم أفرغه على على وفاطمة رضى الله عنهما ثم قال اللهم بارك فيهما وبارك لهما فى شملهما وهو بالتحريك الجماع وفى رواية فى شبليهما والشبل ولد الاسد فيكون ذلك كشفاوا طلاعا منه صلى الله عليه وسلم على انها تلد الحسن والحسين رضى الله عنهما فأطلق عليهما شبلين وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم دعا بماء فجه ثم صبه ثم رشه على جبينه وبين كتفيه وعوذه بقل هو الله أحد والمعوذتين والجمع بين هذه الروايات ممكن لاحتمال انه فعل جميع ذلك واقتصر بعض الرواة فى كل رواية على البعض وروى ابن عساكر عن أنس رضى الله عنه خطبها على رضى الله عنه بعد أن خطبها أبو بكر ثم عمر رضى الله عنهما فقال صلى الله عليه وسلم لعلى قد أمرنى ربى ان أزوجها منك وروى الطبرانى مرفوعا برجال ثقات ان الله أمرنى أن أزوج فاطمة رضى الله عنها من على رضى الله عنه قال أنس ثم دعانى عليه الصلاة والسلام بعد أيام فقال لى ادع لى أبا بكر وعمر وعثمان وعبد الرحمن ابن عوف وعدة من الانصار رضى الله عنهم فلما اجتمعوا عنده وأخذوا مجالسهم وكان على رضى الله عنه غائبا قال صلى الله عليه وسلم الحمد لله المحمود بنعمته المعبود بقدرته المطاع بسلطانه المرهوب من عذابه وسطوته النافذ أمره فى سمائه وأرضه الذى خلق الخلق بقدرته وميزهم باحكامه وأعزهم بدينه وأكرمهم بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك اسمه وتعالت عظمته جعل المصاهرة سببا لاحقا وأمرا مفترضا أوشج به الارحام وألزم به الانام فقال عز من قائل وهو الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا فأمر الله يجرى الى قضائه وقضاؤه يجرى الى قدره ولكل قضاء قدر ولكل قدر أجل ولكل أجل كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ثم

بعثنى للعباد أدعوهم ان يعبدوه ولا يشركوا به شيأ وأنزل على الكتاب ثم ذكر لهم الاسلام وتلا عليهم القرآن فقال اياس بن معاذ وكان صغيرا أى قوم والله خير مما جئنا اليه فأخذ أبو الحيسر حفنة من تراب فضرب بها وجه اياس وانتهره وقال له دعنا منك لقد جئنا لغير هذا فسكت اياس وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فلما دنا موت اياس صار يحمد الله ويسبحه ويهلله ويكبره حتى مات والله أعلم ثم انصرف أولئك الرهط من الخزرج راجعين الى بلادهم قال وفى رواية انهم لما آمنوا به صلى الله عليه وسلم وصدقوه قالوا له انا نشير عليك ان تمكث على رسلك اى على حالك باسم الله حتى نرجع الى قومنا فنذكر لهم شأنك وندعوهم الى الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم لعل الله يصلح ذات بينهم ونواعدك الموسم من العام المقبل فرضى بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى أى فلم يقع لهؤلاء الستة أو الثمانية مبايعة ويسمى هذا ابتداء الاسلام للانصار وربما سماه بعضهم العقبة الاولى فلما كان العام المقبل قدم من الاوس والخزرج اثنا عشر رجلا أى عشرة من الخزرج واثنان من الاوس وقيل كانوا أحد عشر رجلا منهم خمسة من الستة أو الثمانية الذين اجتمعوا به صلى الله عليه وسلم عند العقبة أولا فاجتمع بهم صلى الله عليه وسلم عند العقبة أيضا فبايعوهم أى عاهدهم صلى الله عليه وسلم أى وسميت المعاهدة مبايعة تشبيها بالمعاوضة المالية وتلا عليهم آية النساء أى الآية التى نزلت بعد ذلك فى شأن النساء يوم الفتح لما فرغ من مبايعة الرجال وأراد مبايعة النساء * فعن عبادة بن الصامت بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة النساء أى كبيعة النساء أى كمبايعته للنساء التى كانت يوم فتح مكة وهى على أن لا نشرك بالله شيأ ولا نسرق ولا نزنى ولا نقتل أولادنا أى لان قتل الاولاد كان سائغا فيهم وهو وأد البنات قيل والبنين خوف الاملاق * وفى النهر كان جمهور العرب لا يئدون بناتهم وكان بعض ربيعة ومضر يئدونهن وهو دفنهن أحياء فبعضهم يئد خوف العيلة والافتقار وبعضهم خوف السبى قال ولا نأتى ببهتان أى الكذب الذى يبهت صاحبه سامعه نفتريه بين أيدينا وأرجلنا أى فى الحال والاستقبال قيل وغير ذلك ولا نعصيه فى معروف أى ما عرف من الشارع حسنه نهيا وأمرا * قال الحافظ ابن حجر المبايعة المذكورة فى حديث عبادة بن الصامت على الصفة المذكورة لم تقع ليلة العقبة وانما نص بيعة العقبة ما ذكر ابن اسحق وغيره عن أهل المغازى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لمن حضر من الانصار أبايعكم على أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم فبايعوه على ذلك وعلى أن يرحل اليهم هو صلى الله عليه وسلم وأصحابه ثم ذكر جملة من الاحاديث وقال هذه أدلة صريحة فى ان هذه البيعة بعد نزول الآية بعد فتح مكة (أقول) ليس فى كلام عبادة ان هذه البيعة بيعة العقبة اذ لم يقل بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة العقبة وان كان السياق يقتضيه وحينئذ فلا يحسن أن يكون كلام عبادة شاهدا لمن قال وتلا عليهم آية النساء فلا يحسن التفريع المتقدم بل هو دليل على ان هذه المبايعة متأخرة عن يوم الفتح كما قال الحافظ والله أعلم * زاد

ان الله تعالى أمرني ان أزوج فاطمة من علي بن أبي طالب فاشهدوا اني قد زوجته اياها على أربعمائة مثقال فضة ان رضي بذلك علي ثم دعا صلى الله عليه وسلم بطبق من بسر ثم قال انتهبوا فانتهبنا ودخل علي رضي الله عنه فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم في وجهه ثم قال ان الله عز وجل أمرني ان أزوجك فاطمة على أربعمائة درهم فضة أرضيت بذلك قال قد رضيت بذلك يا رسول الله أي بعد ان خطب خطبة منها الحمد لله شكر الأنعمه وأياديه وأشهد أن لا اله الا الله شهادة تبلغه وترضيه الحمد لله الذي لا يموت وهذا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجني ابنته على صداق مبلغه أربعمائة درهم فاسمعوا ما يقول واشهدوا قالوا ما تقول يا رسول الله قال اشهدوا اني قد زوجته كذا رواه ابن عساكر ثم قال صلى الله عليه وسلم جمع الله شملكما وأعز جدكما أي حظكما وبارك عليكما وأخرج منكما كثيرا طيبا وفي رواية أبي الحسن بن شاذان لما زوجه وهو غائب قال جمع الله شملهما وجعل نسلهما مفاتيح الرحمة ومعادن الحكمة وأمن الامة فلما حضر علي رضي الله عنه تبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان الله أمرني ان أزوجك فاطمة وان الله أمرني أن أزوجكها على أربعمائة مثقال فضة فقال رضيتها يا رسول الله ثم خر علي رضي الله عنه ساجدا شكرا لله تعالى فلما رفع رأسه قال صلى الله عليه وسلم بارك الله لكما وبارك فيكما وأعز جدكما وأخرج منكما الكثير الطيب قال أنس رضي الله عنه فوالله لقد أخرج الله منهما الكثير الطيب وقد روى الطبراني والخطيب عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبعث الله نبيا قط الا جعل ذريته من صلبه غيري فان الله جعل ذريتي من صلب علي رضي الله عنه والعقد

بعضهم والسمع والطاعة في اليسر والعسر والمنشط والمكره وأن لا ننازع الامر أهله وان نقول الحق حيث كنا لا نخاف في الله لومة لائم ثم قال ومن وفى بالتخفيف والتشديد أي ثبت على العهد فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيأ فعوقب به في الدنيا فهو أي العقاب طهرة له أو قال كفارة له * واستشكل بأن أبا هريرة روى انه صلى الله عليه وسلم قال لا أدري الحدود كفارة لاهلها أولا واسلام أبي هريرة تأخر عن بيعة العقبة بسبع سنين كما سيأتي فانه كان عام خيبر سنة سبع * ويجاب بأن هذه البيعة التي ذكرها عبادة ليست بيعة العقبة بل بيعة غيرها وقعت بعد فتح مكة كما علمت وحينئذ يكون ما رواه أبو هريرة رضي الله تعالى عنه كان قبل ان يعلم صلى الله عليه وسلم ذلك ثم علمه أي ان الحدود كفارة قال صلى الله عليه وسلم ومن أصاب من ذلك شيأ فستره الله عليه فأمره الى الله عز وجل ان شاء غفر له وان شاء عذبه أي وكون الحدود كفارة وطهرة مخصوص بغير الشرك فقتل المرتد لا يكون كفارة وطهرة له لان الله لا يغفر ان يشرك به وفي رواية فان رضيتم فلكم الجنة وان غشيتم من ذلك شيأ فأصبتم بحد في الدنيا فهو كفارة لكم في الدنيا وان سترتم عليه فأمركم الى الله ان شاء عذب وان شاء غفر أي وفي هذا رد على من قال بوجوب التعذيب لمن مات بلا توبة وعلى من قال يكفر مرتكب الكبيرة فلما انصرفوا راجعين الى بلادهم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم ابن أم مكتوم واسمها عاتكة واسمه عمرو وقيل عبد الله وهو ابن خال خديجة بنت خويلد أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها * قال الشعبي غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة غزوة ما فيها غزوة الا واستخلف ابن أم مكتوم على المدينة وكان يصلي بهم وليس له رواية ومصعب بن عمير رضي الله تعالى عنهما يعلمان من أسلم منهم القرآن ويعلمانهم أي من أرادان يسلم الاسلام ويفقهانهم في الدين ويدعوان من لم يسلم منهم الى الاسلام وهذا ما في أكثر الروايات وهو يفيد انه صلى الله عليه وسلم بعث بهما معا ويدل له ما روى عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه أول من قدم علينا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير وابن أم مكتوم فجعلا يقرئان الناس القرآن أي وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث اليهم مصعبا حين كتبوا اليه يبعث اليهم * وفي رواية ثم بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ بن عفراء ورافع بن مالك رضي الله تعالى عنهما ان ابعث الينا رجلا من قبلك يفقهنا ويدعو الناس بكتاب الله وفي رواية كتبوا اليه صلى الله عليه وسلم بذلك فبعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير وكان يقال له المقرئ وهو أول من تسمى بهذا الاسم وهذا يدل على ان مصعبا لم يكن منهم (أقول) وقد يقال لا منافاة لانه يجوز ان يكون كتبوا وأرسلوا اليه صلى الله عليه وسلم بذلك عند خروجهم من مكة وقبل ان ينصرفوا منها راجعين الى المدينة والاقتصار على مصعب لا ينافي ما تقدم من ذكر ابن أم مكتوم معه ثم رأيت ما يعد الجمع الاول وهو عن ابن اسحق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما بعثه يعني مصعب بن عمير بعدهم وانما كتبوا اليه ان الاسلام قد فشا فينا فابعث

٢ سيره ثاني لعلي رضي الله عنه وهو غائب محمول على انه كان له وكيل حاضر أو على انه لم يرد به العقد بل اظهار ذلك ثم عقد معه لما حضر كما علم من الروايات السابقة أو على تخصيصه بذلك لانه صلى الله عليه وسلم أولى بالمؤمنين من أنفسهم فله أن يزوج من شاء لمن شاء جمعا بينه وبين ما ورد مما يدل على شرط القبول على الفور وقد ذهب المالكية الى أن التفريق اليسير لا يضر فلعل غيبة علي كانت قريبة جدا وقد يفهم من ظاهر الحديث انه أتى في المجلس وهم ينتهبون البسر أو بعده وأجاز أبو حنيفة التفريق مطلقا ومنعه الشافعي

مطلقا * وكانت وليمة على رضى الله عنه آصعا من شعير وتمر وحيس والحيس تمر يخلط بسمن وأقط ويطبخ شديدا وفى رواية أولم بكبش من سعد وآصع من ذرة من عند جماعة من الانصار * وكان جهاز فاطمة رضى الله عنها خميلة أى بساط له خمل أى هدب رقيق وقربة ووسادة من أدم حشوها ليف وسرير امشروطا وكان فرشهما ليلة عرسهما جلد كبش وعن الحسن البصرى كان لعلى وفاطمة رضى الله عنهما قطيفة اذا بسطوها بالطول ١٠ انكشفت ظهورهما واذا بسطوها بالعرض انكشفت رؤسهما وجاء انه صلى الله عليه وسلم مكث لم يدخل عليهما بعد البناء ثلاثة أيام ثم دخل فى الرابع فى غداة باردة وهما فى لحاف واحد فقال كما أنتما وجلس عند رأسهما ثم أدخل قدميه وسانيه بينهما فأخذ على احداهما فوضعها على صدره وبطنه ليدفئها وأخذت فاطمة الاخرى فوضعتها على صدرها وبطنها لتدفئها وعن أنس رضى الله عنه قال جاءت فاطمة الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله انى وابن عمى مالنا فراش الا جلد كبش ننام عليه ونعلف عليه ناضحنا بالنهار فقال يابنية اصبرى فان موسى بن عمران أقام مع امرأته عشر سنين مالهما فراش الا عباءة قطوانية أى بيضاء كثيرة الخمل وفى مسند الامام أحمد عن على رضى الله عنه ان فاطمة رضى الله عنها شكت ماتلقى من أثر الرحى مما تطحن فأتى النبى صلى الله عليه وسلم سبى فانطلقت فلم تجده فأخبرت عائشة فلما جاء صلى الله عليه وسلم أخبرته عائشة بمجيئها قالت فاطمة رضى الله عنها فجاء صلى الله عليه وسلم الينا وقد أخذنا مضاجعنا فذهبت لاقوم فقال على مكانكما فقعد بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدرى وقال ألا أعلمكما خيرا مما سألتمانى فقلنا بلى قال كلمات علمنيهن جبريل عليه السلام اذا أخذتما مضاجعكما من الليل فكبرا ثلاثا وثلاثين وسبحا ثلاثا وثلاثين واحمدا ثلاثا وثلاثين فهن خير لكما من خادم ولم يتزوج على رضى الله عنه عليها حتى توفيت رضى الله عنها ولما خطب جويرية بنت أبى جهل قام صلى الله عليه وسلم على المنبر وقال ان بنى هشام بن المغيرة استأذنونى فى أن ينكحوا ابنتهم على بن أبى طالب فلا آذن لهم ثم لا آذن لهم الا أن يريد ابن أبى طالب ان يطلق ابنتى وينكح ابنتهم انما هى بضعة منى يريبنى ما رابها ويؤذينى ما آذاها والله

الينا رجلا من أصحابك يقرئنا القرآن ويفقهنا فى الاسلام ويعلمنا بسنته وشرائعه ويؤمنا فى صلاتنا فبعث مصعب بن عمير وما يعد الجمع الثانى وهو ما نقل عن الواقدى ان ابن أم مكتوم قدم المدينة بعد بدر بيسير وفى كلام ابن قتيبة وقدم ابن أم مكتوم المدينة مهاجرا بعد بدر بسنتين وقد يقال لا منافاة لانه يجوز ان يكون كل من مصعب بن عمير وابن أم مكتوم رجعا الى مكة بعد مجيئهما مع القوم وان مكاتبتهم بأن الاسلام فشا فيها الى آخره كانت وهم بالمدينة فجاء اليهم مصعب وتخلف ابن أم مكتوم فليتأمل ذلك والله تعالى أعلم * وهذه المبايعة يقال لها العقبة الاولى لوجود تلك المبايعة عندها ولما قدم مصعب المدينة نزل على أبى امامة أسعد بن زرارة رضى الله تعالى عنه دون بقية رفقته وكان سالم مولى أبى حذيفة رضى الله تعالى عنه يؤم المهاجرين بقباء قبل ان يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مصعب يؤم القوم أى الاوس والخزرج لان الاوس والخزرج كره بعضهم أن يؤمه بعض وجمع بهم أول جمعة جمعت فى الاسلام قبل قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة وقبل نزول سورة الجمعة الآمرة بها فانها مدنية * وقال الشيخ أبو حامد فرضت الجمعة بمكة ولم يتمكن من فعلها قال الحافظ ابن حجر وهو غريب أى وعلى صحته فهو ما تقدم حكمه على تلاوته * وعند ابن اسحق ان اول من جمع بهم أبو امامة أسعد بن زرارة وكانوا أربعين رجلا أى فعن كعب بن مالك قال أول من جمع بنا فى المدينة أسعد ابن زرارة قبل مقدم النبى صلى الله عليه وسلم فى نقيع الخضمان والنقيع بالنون قيل أو بالباء الموحدة لكن قال الخطابى انه خطأ والخضمان جمع خضمة وهى الماشية التى تخضم أى تأكل بفمها كله مما فى ذلك المحل من الكلا وهو اسم لقرية من قرى المدينة قال وكنا أربعين رجلا أى ولا مخالفة لان مصعب بن عمير كان عند أبى امامة اسعد بن زرارة كما علمت فكان هو المعاون على الجمع وكان الخطيب والمصلى مصعب بن عمير فنسب الجمع لكل منهما أى ويكون ما فى الرواية الآتية من ان أسعد بن زرارة هو الذى صلى بهم على التجوز أى جمعهم على الصلاة ويؤيده ما تقدم من أن الاوس والخزرج كره بعضهم أن يؤمه بعض وأيضا المأمور بالتجميع مصعب بن عمير كما سيأتى قال السهيلى وتسميتهم أى الانصار اياها بهذا الاسم أى تسميتهم اليوم بيوم الجمعة لاجتماعهم فيه هداية من الله تعالى لهم والا فكانت تسمى فى الجاهلية العروبة أى يسمى ذلك اليوم بيوم العروبة أى الرحمة وقال عليه الصلاة والسلام فى حق ذلك اليوم انه اليوم الذى فرض عليهم أى على اليهود والنصارى أى طلب منهم تعظيمه والتفرغ للعبادة فيه كما فرض علينا أضلته اليهود والنصارى وهدانا الله تعالى له أى ان كلا من اليهود والنصارى أمر بذلك اليوم يعظمون فيه الحق سبحانه وتعالى ويتفرغون فيه لعبادته واختار اليهود من قبل أنفسهم بدله السبت لانهم يزعمون انه اليوم السابع الذى استراح فيه الحق سبحانه وتعالى من خلق السموات والارض وما فيهن من المخلوقات أى بناء على ان أول الاسبوع الاحد وانه مبدأ الخلق قال بعضهم وهو الراجح وفى كلام بعضهم أول الاسبوع الاحد

لاتجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل أبدا فتركه على الخطبة قال أبو داود حرم الله على على رضى الله عنه أن ينكح على فاطمة رضى الله عنها مدة حياتها لقوله عز وجل وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا وألحق بعضهم أخواتها بها ويحتمل اختصاصها بذلك رضى الله عنها وعنهن وقد ورد فى فضائل على رضى الله عنه أحاديث كثيرة حتى قال الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه ماورد لاحد من الصحابة رضى الله عنهم ماورد لعلى كرم الله وجهه أى من ثنائه ١١ صلى الله عليه وسلم عليه وسبب ذلك كثرة أعدائه والطاعنين فيه من الخوارج وغيرهم فاضطر الصحابة ان يظهر كل منهم من فضله ماحفظه ردا على الخوارج وغيرهم وقال ابن عباس رضى الله عنهما ماانزل فى أحد من الصحابة فى كتاب الله مانزل فى على كرم الله وجهه نزل فى على ثلثمائة آية وعن ابن عباس رضى الله عنهما كل ماتكلمت به فى التفسير فانما أخذته عن على كرم الله وجهه وقد أفردت مناقبه بالتاليف رضى الله عنه والله سبحانه وتعالى أعلم

الاحد لغة وأوله السبت عرفا أى فى عرف الفقهاء فى الايمان ونحوها ويؤيد الاول ان السبت مأخوذ من السبات وهى الراحة قال تعالى وجعلنا نومكم سباتا أى راحة ظنا منهم انه أولى بالتعظيم لهذه الفضيلة واختارت النصارى من قبل أنفسهم بدل يوم الجمعة يوم الاحد أى بناء على انه أول يوم ابتدأ الله فيه بايجاد المخلوقات ظنا منهم انه أولى بالتعظيم لهذه الفضيلة وحينئذ يكون معنى قوله أضلوه تركوه مع علمهم به ويؤيد ذلك ماجاء أن الله تعالى فرض على اليهود الجمعة فأبوا وقالوا يا موسى اجعل لنا يوم السبت فجعل عليهم وهدى الله تعالى المسلمين ليوم الجمعة أى وهداية المسلمين له تدل على انهم لم يعلموا عينه وانما اجتهدوا فيه فصادفوه وفى سفر السعادة كان من عوائده الكريمة صلى الله عليه وسلم أن يعظم يوم الجمعة غاية التعظيم ويخصه بأنواع التشريف والتكريم * وجاء ان أهل الجنة يتباشرون فى الجنة بيوم الجمعة كما تتباشر به أهل الدنيا فى الدنيا واسمه عندهم يوم المزيد كما تقدم لان الله تعالى يتجلى عليهم فى ذلك اليوم ويعطيهم كل مايتمنونه ويقول لهم لكم ماتمنيتم ولدينا مزيد فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم فيه ربهم من الخير وقد جاء فى المرفوع يوم الجمعة سيد الايام وأعظمها عند الله تعالى فهو فى الايام كشهر رمضان فى الشهور وساعة الاجابة فيه كليلة القدر فى رمضان * والذى فى البخارى ثم هذا أى يوم الجمعة يومهم الذى فرض عليهم أى على اليهود والنصارى فاختلفوا فيه فهدانا الله تعالى له فالناس لنا فيه تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد وقوله فاختلفوا فيه يدل على انهم لم يعلموا عينه ويوافقه مانقل عن بعض أهل العلم أن اليهود أمروا بيوم من الاسبوع يعظمون الله تعالى فيه ويتفرغون لعبادته فاختاروا من قبل أنفسهم السبت فاكرموه فى شرعهم وكذلك النصارى أمروا على لسان عيسى بيوم من الاسبوع فاختاروا من قبل أنفسهم الاحد فالتزموه شرعا لهم وهو يخالف ماسبق فليتأمل * قال بعضهم والراجح ان أول الاسبوع السبت لانه أول يوم ابتدئ فيه بايجاد المخلوقات فقد جاء فى الصحيح أن الله خلق التربة يوم السبت والجبال يوم الاحد والشجر يوم الاثنين والمكروه يوم الثلاثاء والنور يوم الاربعاء كذا فى مسلم وعليه يشكل تسمية اليوم الذى يليه الاحد وأجيب بأنه من تسمية اليهود وتبعهم غيرهم * وقد ذكر السهيلى ان تسمية هذه الايام طارئة ولو كان الله سبحانه وتعالى سماها فى القرآن بهذه الاسماء المشتقة من العدد لقلنا هى تسمية صادقة لكن لم يذكر منها الا الجمعة والسبت وانهما ليسا مشتقين من العدد هذا كلامه وورد بأنه جاء ان الله تعالى خلق يوما فسماه الاحد ثم خلق ثانيا فسماه الاثنين ثم خلق ثالثا فسماه الثلاثاء ثم خلق رابعا فسماه الاربعاء ثم خلق خامسا فسماه الخميس وأجاب ابن حجر الهيثمى بأن هذه أى التسمية المذكورة لم تثبت وان العرب تسمى خامس الورد أربعاء هذا كلامه فيكون أول الاسبوع السبت ثم رأيت السهيلى قال لم يسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاحد والاثنين الى سائرها الا احاكيا للغة قومه لا مبتدئا تسميتها ولعل قومه أن يكونوا أخذوا معانى هذه الاسماء من أهل الكتاب

﴿سرية محمد بن مسلمة﴾

التى قتل فيها كعب بن الاشرف اليهودى لعنه الله وكانت لاربع عشرة ليلة مضت من ربيع الاول على رأس خمسة وعشرين شهرا من الهجرة بعث صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة الانصارى الاوسى ومعه أربعة من الانصار الى كعب ابن الاشرف اليهودى ليقتلوه قال ابن اسحق ان كعب بن الاشرف كان مع اليهود بالحلف وكان أبوه عربيا من بنى نبهان أصاب دما فى الجاهلية فأتى المدينة فحالف بنى النضير فشرف فيهم وتزوج عقيلة بنت أبى الحقيق فولدت له كعبا وكان طويلا جسيما ذا بطن وهامة شاعرا مجيدا سادا يهود الحجاز بكثرة ماله فكان يعطى أحبار يهود ويصلهم فلما قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة جاء أحبار اليهود من بنى قينقاع وبنى قريظة الى كعب بن الاشرف ليأخذوا صلته على عادتهم فقال لهم ماعندكم من أمر هذا الرجل فقالوا هو الذى كنا ننتظره ما أنكرنا من نعوته شيأ فقال لهم قد حرمتم كثيرا من الخير ارجعوا الى أهليكم فان الحقوق فى مالى كثير فرجعوا عنه خائبين ثم رجعوا اليه وقالوا انا عجلنا فيما أخبرنا به أولا ولما استنبأنا علماءنا غلطنا وليس هو المنتظر فرضى عنهم ووصلهم وجعل لكل من تابعهم من الاحبار شيأ من ماله وكان يهجو

رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أشعاره ويحرّض كفار قريش على قتاله وكان النبى صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة مأمورا بتألف الناس وبالصبر على الاذى كما قال تعالى ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور لانه صلى الله عليه وسلم ورد المدينة وأهلها أخلاط مجتمعون من قبائل شتى مختلفة أحوالهم وعقائدهم فأراد استصلاحهم بجمعهم ١٢ على كلمة الاسلام وكان المشركون واليهود يؤذون المسلمين أشد الاذى فصبروا على ذلك

وكان كعب بن الاشرف من أشد الناس أذى للنبى صلى الله عليه وسلم وللمسلمين وكان قد عاهد النبى صلى الله عليه وسلم أن لا يعين عليه أحدا فنقض العهد وسبه وسب أصحابه وكان من عداوته انه لما قدم البشير ان بقتل من قتل ببدر وأسر من أسر قال كعب أحق هذا ترون أن محمدا قتل هؤلاء الذين يسمى هذان الرجلان فهؤلاء أشراف العرب وملوك الناس والله ان كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الارض خير من ظهرها فلما أيقن الخبر ورأى الاسرى مقرّنين كبت وذل وخرج الى قريش يبكى على قتلاهم ويحرضهم على قتال النبى صلى الله عليه وسلم فنزل بمكة على المطلب بن أبى وداعة السهمى وعنده زوجته عاتكة بنت أسيد بن أبى العيص فأنزلته وأكرمته فجعل يحرض على النبى صلى الله عليه وسلم وينشد الاشعار فبلغ النبى صلى الله عليه وسلم ذلك فدعا حسانا فهجا المطلب وزوجته وأسلما بعد ذلك رضى الله عنهما فلما بلغ ذلك عاتكة ألقت رحله وقالت ما لنا ولهذا اليهودى فخرج من عندها وصار يتحول من قوم الى قوم فيفعل مثل ما فعل عند عاتكة ويبلغ خبره النبى صلى الله عليه وسلم فيذكره لحسان فيهجوه فيفعلون معه مثل ما فعلت عاتكة ثم رجع الى المدينة فتغزل فى نساء المسلمين وذكرهن بسوء فلما أبى أن ينزع عن أذاه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لنا بابن الاشرف وفى رواية من لكعب بن الاشرف أى من ينتدب لقتله فقد استعلن بعداوتنا وهجائنا وقد خرج الى المشركين بمكة فجمعهم على قتالنا وجاء فى رواية انه حالف قريشا عند أستار الكعبة على قتال المسلمين فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه بخبره وكعب بمكة وقال لهم ان الله أخبرنى بذلك ثم قرأ على المسلمين ما أنزل الله

المجاورين لهم فألقوا عليها هذه الاسماء اتباعا لهم هذا كلامه فليتأمل * وفى السبعيات للهمدانى أكرم الله موسى عليه الصلاة والسلام بالسبت وعيسى بالاحد وداود بالاثنين وسليمان بالثلاثاء ويعقوب بالاربعاء وآدم بالخميس ومحمدا صلى الله عليه وسلم بالجمعة وهذا يدل على ان اليهود لم يختاروا يوم السبت والنصارى يوم الاحد من عند أنفسهم فليتأمل الجمع * وقد سئل صلى الله عليه وسلم عن يوم السبت قال يوم مكر وخديعة أى وقع فيه المكر والخديعة أى لانه اليوم الذى اجتمعت فيه قريش فى دار الندوة للاستشارة فى أمره صلى الله عليه وسلم * وسئل عن يوم الاحد فقال يوم غرس وعمارة لان الله تعالى ابتدأ فيه خلق الدنيا وعمارتها * وفى رواية لان الجنة بنيت فيه وغرست * وسئل عن يوم الاثنين فقال يوم سفر وتجارة لان فيه سافر شعيب فربح فى تجارته * وسئل عن يوم الثلاثاء فقال يوم دم لان فيه حاضت حوّاء وقتل ابن آدم أخاه * وذكر الهمدانى فى السبعيات أيضا انه قتل فيه سبعة جرجيس وزكريا ويحيى ولده عليهم الصلاة والسلام وسحرة فرعون وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون وبقرة بنى اسرائيل وهابيل بن آدم وبين قصة كل واحد أى ومن ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحجامة يوم الثلاثاء أشد النهى وقال فيه ساعة لا يرقأ فيها الدم وفيه نزل ابليس الى الارض وفيه خلقت جهنم وفيه سلط الله ملك الموت على أرواح بنى آدم وفيه ابتلى أيوب وفى بعض الروايات ان اليوم الذى ابتلى الله فيه أيوب يوم الاربعاء * وسئل عن يوم الاربعاء قال يوم نحس لان فيه أغرق فرعون وقومه وأهلك فيه عاد وثمود وقوم صالح أى ومن ثم كان يسمى فى الجاهلية دبار والدبار الملهى لكن الذى فى الحديث الموقوف على ابن عباس الذى لا يقال من قبل الرأى آخر أربعاء فى الشهر يوم نحس مستمر وجاء يوم الاربعاء لا أخذ ولا عطاء * وذكر الزمخشرى ان بعضهم قال لاخيه اخرج معى فى حاجة فقال هذا الاربعاء قال فيه ولد يونس قال لا جرم قد بانت له بركته أى حيث ابتلعه الحوت قال وفيه ولد يوسف قال فما أحسن ما فعل به اخوته طال حبسه وغربته قال وفيه نصر المصطفى صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب قال أجل ولكن بعد ان زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر * وورد فى بعض الآثار النهى عن قص الاظفار يوم الاربعاء وانه يورث البرص وعن ابن الحاج صاحب المدخل انه هتم بقص أظفاره يوم الاربعاء فتذكر ذلك فترك ثم رأى ان قص الاظفار سنة حاضرة ولم يصح عنده النهى فقصها فلحقه البرص فرأى النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم فقال له ألم تسمع نهيى عن ذلك فقال يا رسول الله لم يصح ذلك عندى فقال يكفيك أن تسمع ثم مسح صلى الله عليه وسلم بيده على بدنه فزال البرص جميعا قال ابن الحاج فجددت مع الله توبة أنى لا أخالف ما سمعت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبدا * وجاء فى حديث خرجه ابن ماجه عن ابن عمر مرفوعا وخرجه الحاكم من طريقين آخرين لا بأس بهما وجذام ولا مرض الا يوم الاربعاء وكره بعضهم عيادة المريض يوم الاربعاء * وفى منهاج الحليمى وشعب الايمان للبيهقى ان الدعاء مستجاب يوم الاربعاء

عليه فيه ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا عن عروة بن الزبير قال انبعث عدو الله يحرض رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ويمتدح عدوهم ويحرضهم عليهم فلم يرض بذلك حتى ركب الى قريش فاستقوا هم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أبو سفيان والمشركون أدينا أحب اليك أم دين محمد وأصحابه وأي ديننا أهدى ١٣ في رأيك وأقرب الى الحق فقال أنتم أهدى سبيلا وأفضل فأنزل الله تعالى ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب الآية وخمس آيات فيه وفي قريش فجزم عروة بانها نزلت في كعب ونحوه ماروى الامام أحمد وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما قدم كعب مكة قالت له قريش ألا ترى الى هذا المتصبر المنبتر من قومه يزعم انه خير منا ونحن أهل الحجيج وأهل السدانة وأهل السقاية قال أنتم خير فنزل فيهم ان شانئك هو الابتر ونزلت ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب الى نصيرا وأخرج ابن اسحق عن ابن عباس رضي الله عنهما كان الذين حزبوا الاحزاب من قريش وغطفان وبني قريظة حيي بن اخطب وسلام بن أبي الحقيق وأبو رافع والربيع وعمارة وهوذة فلما قدموا مكة قالت قريش هؤلاء أحبار اليهود وأهل العلم بالكتب الاولى فسلوهم أدينكم خير أم دين محمد فسألوهم فقالوا دينكم خير وأنتم أهدى منه وممن اتبعه فأنزل الله ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب الى قوله ملكا عظيما ولذا قال الجلال والبيضاوي انها نزلت في كعب وفي جمع من اليهود خرجوا الى مكة وساق نحو القصة وزاد البيضاوي أنهم سجدوا لآلهة الكفار ليطمئنوا اليهم ومن عداوة كعب بن الاشرف له صلى الله عليه وسلم ونقضه العهد ما جاء ان كعبا صنع طعاما وواطأ جماعة من اليهود انه يدعو رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الوليمة فاذا حضر فتكوا به ثم دعاه فجاء صلى الله عليه وسلم ومعه بعض أصحابه فأعلمه جبريل عليه السلام بما أضمروه بعد ان جالسه فقام يستره جبريل بجناحه فلما فقدوه تفرقوا فقال حينئذ من ينتدب لقتل كعب ويمكن الجمع بتعدد الاسباب ولما قال صلى الله عليه وسلم من ينتدب لقتل كعب قال محمد بن مسلمة الاوسي رضي الله عنه أنا أتكفل لك به

الاربعاء بعد الزوال قبل وقت العصر لانه صلى الله عليه وسلم استجيب له الدعاء على الاحزاب في ذلك اليوم في ذلك الوقت وكان جابر يتحرى ذلك بالدعاء في مهماته وذكر انه ما بدئ بشئ يوم الاربعاء الا وتم فينبغي البداءة بنحو التدريس فيه * وسئل عن يوم الخميس فقال يوم قضاء الحوائج لان فيه دخل ابراهيم الخليل على ملك مصر فقضى حاجته وأعطاه هاجر ومن ثم زاد في رواية والدخول على السلطان * وسئل عن يوم الجمعة فقال يوم نكاح نكح فيه آدم حواء ويوسف زليخا وموسى بنت شعيب وسليمان بلقيس أي ونكح فيه صلى الله عليه وسلم خديجة وعائشة * وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أذن النبي صلى الله عليه وسلم لهم قبل الهجرة أي قبل أن يهاجر صلى الله عليه وسلم في اقامة الجمعة أي فلم يفعلوها باجتهاد بل باذنه صلى الله عليه وسلم كتب الى مصعب بن عمير رضي الله تعالى عنه أما بعد فانظر اليوم الذي تجهر فيه اليهود بالزبور لسبتهم أي اليوم الذي يليه يوم السبت فاجمعوا نساءكم وأبناءكم فاذا مال النهار عن شطره فتقربوا الى الله بركعتين فجمع مصعب بن عمير عند الزوال أي صلى الجمعة حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم أي استمر على ذلك حتى قدم النبي صلى الله عليه وسلم وهذا يدل على أنه صلى الله عليه وسلم عين لهم ذلك اليوم وهو خلاف قوله السابق فهداكم الله له الظاهر في ان هدايتهم له باجتهادهم ويدل له ما روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما باسناد صحيح ان الانصار قالوا ان لليهود يوما يجتمعون فيه كل سبعة أيام وللنصارى مثل ذلك فهلم فلنجعل يوما نجتمع فيه فنذكر الله ونصلي ونشكره فجعلوه يوم العروبة أي لانه اليوم الذي وقع فيه خلق آدم الذي هو مبدأ هذا الجنس وجعل فيه فناء الخلق وانقضاءهم اذ فيه تقوم الساعة ففيه المبدأ والمعاد اذ هو المروي عن ابن عباس يقتضي ان الانصار اختاروه باجتهاد منهم الا أن يقال لا مخالفة لانه يجوز أن يكون هذا العزم على ذلك حصل منهم أولا ثم أرسلوا له صلى الله عليه وسلم يستأذنوه في ذلك فأذن لهم فيه فقد جاء الوحي موافقة لما اختاروه وفيه انه لو كان كذلك لقال صلى الله عليه وسلم لمصعب بن عمير افعلوا ذلك ولم يقل له انظروا الى اليوم الى آخره الا أن يقال يجوز أنهم لما استأذنوه صلى الله عليه وسلم في الاجتماع لم يعينوا له اليوم فبينه صلى الله عليه وسلم لهم وتقدم عن الشيخ أبي حامد أن الجمعة أمر بها صلى الله عليه وسلم وهو بمكة وتركها العدم التمكن من فعلها وتقدم عن الحافظ ابن حجر أنه غريب ويؤيده أنه لو كان أمر بها صلى الله عليه وسلم وهو بمكة وتركها لعدم التمكن من فعلها لامر بها مصعب بن عمير عند ارساله للمدينة ولم يأمره بها الا بعد ذلك الا ان يقال انما لم يأمره بها حينئذ لانه يجوز أن يكون انما أمر بها بعد ذهاب مصعب الى المدينة أو انه انما لم يأمره بذلك لان لاقامتها شروطا منها العدد وهو عندنا مائة والشافعي رضي الله تعالى عنه أربعون بشروط ولم يكن ذلك موجودا عند ارساله صلى الله عليه وسلم ومن ثم لما علم صلى الله عليه وسلم وجود العدد المذكور أرسل له يأمره بذلك في قوله أما بعد فانظر

يارسول الله وفى رواية أنا أقتله قال فافعل ان قدرت وفى رواية أنت له ثم قال له ان كنت فاعلا فلا تعجل حتى تشاور سعد بن معاذ رضى الله عنه فشاوره فقال توجه اليه وأشك اليه الحاجة وسله ان يسلفكم طعاما فمكث محمد بن مسلمة ثلاثا لا يأكل ولا يشرب الا ما تعلق به نفسه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاه فقال لم تركت الطعام والشراب قال يارسول الله قلت لك قولا لا أدرى هل أفين لك به أم لا قال انما عليك الجهد ثم أتى ١٤ أبا نائلة وعباد بن بشر والحرث بن أوس وأبا عبس بن جبر فاخبرهم بما وعده به رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتله فأجابوه وقالوا كلنا نقتله ثم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يارسول الله لا بد لنا أن نقول أى قولا غير مطابق للواقع يسر كعبا لنتوصل به الى التمكن من قتله قال قولوا ما بدا لكم فأنتم فى حل من ذلك فاباح لهم الكذب لانه من خدع الحرب وكأنهم استأذنوه فى أن يشكوا منه ويعيبوا دينه لان كعبا كان يحرض على قتل المسلمين وكان فى قتله خلاصهم فكأنه أكره الناس على النطق بهذا الكلام بتعريضه اياهم للقتل فدفعوا عن أنفسهم بألسنتهم مع ان قلوبهم مطمئنة بالايمان ولولا هذا العذر لكان التعرض لمثل ذلك كفرا لكنه يباح بالاكراه وهذا بمنزلته فجاء محمد بن مسلمة كعب بن الاشرف فقال ان هذا الرجل يعنى النبى صلى الله عليه وسلم قد سألنا الصدقة ونحن ما نجد ما نأكل وفى رواية ان نبينا أراد منا الصدقة وليس لنا مال نصدقه وانه قد عنانا وانى قد أتيتك استسلفك قال كعب وأيضا والله لتملنه قال انا قد اتبعناه فلا نحب أن ندعه حتى ننظر الى أى شئ يصير شأنه وقد أردنا أن تسلفنا وسقا أو وسقين وفى رواية واحب أن تسلفنا طعاما قال وأين طعامكم قالوا أنفقناه على هذا الرجل وعلى أصحابه قال ألم يأن لكم أن تعرفوا ما أنتم عليه من الباطل ثم أجابهم بأنه لم يسلفهم وقال ارهنونى قالوا أى شئ تريد قال ارهنونى نساءكم قالوا كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب ولا نأمنك وأى امرأة تمتنع منك لجمالك وقولهم هذا له على سبيل التهكم وان كان هو فى نفسه جميلا قال فارهنونى أبناءكم قالوا وكيف نرهنك أبناءنا فيسب أحدهم فيقال رهن بوسق أو وسقين هذا عار علينا ولكن نرهنك اللامة يعنى السلاح مع عملك بحاجتنا قال نعم وانما قالوا ذلك لئلا ينكر

اليوم الخ ثم لا يخفى ان ظاهر سياق الروايات يدل على ان الذى هداهم الله اليه انما هو ايقاع العبادة فى هذا اليوم لا تسميته بيوم الجمعة كما تقدم عن السهيلى على أن تسميتهم له بذلك لم أقف عليها فى رواية على أن السهيلى ذكر عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم سماها يوم الجمعة لما أرسل لمصعب بن عمير أن يفعلها كما تقدم فى الاسراء * وذكر أيضا أن كعب بن لؤى أول من سمى يوم العروبة الجمعة وقد يقال لا مخالفة لانه يجوز أن تكون الانصار ومن معهم من المهاجرين لم يبلغهم ما ذكر عن كعب بن لؤى ان ثبت أنهم سموها بهذا الاسم اجتهادا منهم * وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبب تسمية هذا اليوم بيوم الجمعة فقال لان فيها جمعت طينة أبيك آدم وقدمنا أنه لا مخالفة بين ما هنا وما تقدم فى الاسراء والله أعلم * وأسلم سعد بن معاذ وابن عمه أسيد بن حضير رضى الله تعالى عنهما على يد مصعب بن عمير وكان اسلام أسيد قبل سعد فى يوم فعن ابن اسحق أن أسعد بن زرارة رضى الله تعالى عنه خرج بمصعب بن عمير الى حائط أى بستان من حوائط بنى ظفر فجلسا فيه واجتمع اليهما رجال ممن أسلم وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير يومئذ سيدا قومهما أى بنى عبد الاشهل وكلاهما مشرك على دين قومه فقال سعد بن معاذ لاسيد بن حضير لا أبا لك انطلق بنا الى هذين الرجلين يعنى أسعد بن زرارة ومصعب بن عمير الذين أتيا دارينا تثنية دار وهى المحلة والمراد قبيلتنا وعشيرتنا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما وانهرهما أى وفى لفظ قال له ائت أسعد ابن زرارة فازجره عنا فليكف عنا ما نكره فانه بلغنى أنه قد جاء بهذا الرجل الغريب يسفه سفهاءنا وضعفاءنا فانه لولا أسعد بن زرارة منى حيث علمت لكفيتك ذلك هو وابن خالتى ولا أجد عليه مقدما فأخذ أسيد بن حضير حربته ثم أقبل اليهما فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب بن عمير هذا سيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه ثم قال مصعب ان يجلس هذا كلمته قال فوقف عليهما متشتما قال ما جاء بكما الينا تسفهان ضعفاءنا اعتزلانا ان كانت لكما بانفسكما حاجة وفى لفظ قال يا أسعد ما لنا ولك تأتينا بهذا الرجل الغريب تسفه به سفهاءنا وضعفاءنا وفى رواية علام أتيتنا فى دورنا بهذا الرجل الوحيد الغريب الطريد يسفه ضعفاءنا بالباطل ويدعوهم اليه فقال له مصعب أو تجلس بفتح الواو استفهاما فتسمع بالنصب فى جواب الاستفهام فان رضيت أمرا قبلته وان كرهته كف عنك ما تكره أى منعنا عنك ما تكره قال انصفت ثم ركز حربته وجلس اليهما فكلمه مصعب بالاسلام وقرأ عليه القرآن فقال ما أحسن هذا وأجمله بالنصب على التعجب كيف تصنعون اذا أردتم أن تدخلوا فى هذا الدين قالا له تغتسل وتتطهر وتغسل ثوبك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلى فقام واغتسل وطهر ثوبه وشهد بشهادة الحق ثم قام فركع ركعتين أى وهما صلاة التوبة فقد روى أصحاب السنن وقال الترمذى حديث حسن أنه صلى الله عليه وسلم قال ما من عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلى ركعتين ثم يستغفر الله عز وجل الا غفر له ثم قال لهما ان ورائى رجلا ان اتبعكما

عليهم مجيئهم اليه بالسلاح فواعده أن يأتيه وجاءه أيضا أبو نائلة وقال له ويحك يا ابن الاشرف انى قد جئتك لحاجة أريد أن أذكرها لك فاكتم عنى قال افعل قال كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء من البلاء عادتنا العرب ورمتنا عن قوس واحدة وقطعت عنا السبل حتى جاع العيال وجهدت الانفس وأصبحنا قد جهدنا وجهد عيالنا فقال كعب أنا ابن الاشرف أما والله لقد كنت أخبرك يا ابن سلامة ان الامر سيصير الى ما أقول فقال انى أردت أن تبيعنا طعاما ونرهنك ونوثق لك وتحسن فى ذلك وان معى أصحابا على مثل رأيى وقد أردت أن آتيك بهم فتبيعهم وتحسن اليهم ونرهنك من الحلقة ما فيه وفاء فقال ان فى الحلقة لوفاء وكان أبو نائلة أخا لكعب من الرضاع ومحمد بن مسلمة ابن أخيه من الرضاع فجاء محمد ابن مسلمة وأبو نائلة ومعهما عباد ابن بشر والحرث بن أوس بن معاذ وأبو عبس بن جبر وكلهم من الاوس ولما فارقوا النبى صلى الله عليه وسلم مشى معهم الى بقيع الغرقد ثم وجههم وقال انطلقوا على اسم الله اللهم أعنهم ثم رجع صلى الله عليه وسلم الى بيته وكان ذلك بالليل وكانت الليلة مقمرة فأقبلوا حتى انتهوا الى حصنه وكان حديث عهد بعرس فناداه أبو نائلة ثم بقية أصحابه فنهرفهم فوثب فى ملحفته فأخذته امرأته بناحيتها وقالت انك امرؤ تحارب وان أصحاب الحروب لا ينزلون فى مثل هذه الساعة قال لها انه أبو نائلة لو وجدنى نائما ما أيقظنى فقالت والله انى لاعرف فى صوته الشر وفى رواية قالت أسمع صوتا كأنه يقطر منه الدم قال انما هو ابن أخى محمد بن مسلمة ورضيعى أبو نائلة ان الكريم لو دعى الى طعنة بليل لاجاب فنزل فتحدث معهم ساعة وتحدثوا معه ثم قالوا له هل لك يا ابن الاشرف ان تمشى الى شعب العجوز اسم موضع كان قريبا منهم نتحدث به بقية ليلتنا فقال ان شئتم فخرجوا يتماشون فمشوا ساعة ثم ان أبا نائلة أدخل يده فى باطن رأسه ثم شم يده فقال ما رأيت كالليلة طيبا أعطر ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها حتى اطمأن ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها وأمسكه من شعره وقال اضربوا عدو الله وفى البخارى أن ابن مسلمة قال لاصحابه اذا ما جاء كعب فانى قائل بشعره أى آخذ به فاذا رأيتمونى استمكنت من رأسه فاضربوه فنزل اليهم متوشحا وهو ينفح منه ريح الطيب فقال ابن مسلمة ما رأيت كاليوم طيبا فقال عندى اعطر

لم يتخلف عنه أحد من قومه وسأرسله اليكما الآن وهو سعد بن معاذ رضى الله تعالى عنه ثم أخذ حربته فانصرف الى سعد وقومه وهم جلوس فى ناديهم فلما نظر اليه سعد مقبلا قال أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بن حضير بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم فلما وقف على النادى قال له سعد ما فعلت قال كلمت الرجلين فوالله ما رأيت بهما بأسا وقد نهيتهما فقالا نفعل ما أحببت وقد حدثت أن بنى حارثة خرجوا الى أسعد بن زرارة ليقتلوه وذلك أنهم عرفوا أنه ابن خالتك ليخفروك أى ينقضوا عهدك فقام سعد مغضبا مبادرا فأخذ الحربة من يده وقال والله ما أراك اغنيت شيأ ثم خرج اليهما ولما أقبل سعد قال أسعد لصعب لقد جاءك والله سيد من وراء من قومه ان يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان فلما رآهما سعد مطمئنين عرف سعد بن أسيد انما أراد منه ان يسمع منهما فوقف عليهما متشتما ثم قال لاسعد بن زرارة يا أبا أمامة والله لولا ما بينى وبينك من القرابة ما رمت منى هذا هذا يغشانا فى دارنا بما نكره فقال له مصعب أو تقعد تسمع فان رضيت أمرا قبلته وان كرهت عزلنا عنك ما تكره فقال سعد أنصفت ثم ركز الحربة وجلس فعرض عليه الاسلام وعرض عليه القرآن فقال لهما كيف تصنعون اذا أنتم اسلمتم ودخلتم فى هذا الدين فقال تغتسل وتتطهر وتطهر ثوبك ثم تشهد شهادة الحق ثم تركع ركعتين فقام سعد فاغتسل وطهر ثوبه ثم شهد شهادة الحق ثم ركع ركعتين ثم أخذ حربته فاقبل عامدا الى نادى قومه ومعه أى مع ذلك النادى أسيد بن حضير فلما رآه قومه مقبلا قالوا نحلف بالله لقد رجع اليكم سعد بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم فلما وقف عليهم قال يا بنى عبد الاشهل كيف تعلمون أمرى فيكم قالوا سيدنا وأفضلنا رأيا وأيمننا وأبركنا نقيبة أى نفسا وأمرا قال فان كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله قال فوالله ما أمسى فى دار أى قبيلة بنى الاشهل رجل ولا امرأة الا مسلما ومسلمة فأسلموا فى يوم واحد كلهم وكان ذلك بعد العقبة الاولى وقبل العقبة الثانية الا ما كان من الاصيرم وهو عمرو بن ثابت من بنى عبد الاشهل فانه تأخر اسلامه الى يوم أحد فأسلم واستشهد ولم يسجد لله سجدة وأخبر صلى الله عليه وسلم أنه من أهل الجنة أى وفى كلام ابن الجوزى أول دار أى قبيلة أسلمت من دور الانصار دار بنى عبد الاشهل ثم رجع مصعب الى دار أسعد بن زرارة رضى الله تعالى عنه فأقام عنده يدعو الناس الى الاسلام حتى لم يبق دار من دور الانصار الا فيها رجال ونساء مسلمون الا ما كان من سكان عوالى المدينة أى قراها من جهة نجد قال وفى كلام بعضهم الاجماعة من الاوس بن حارثة وذلك أنه كان فيهم أبو قيس وهو صيفى بن الاسلت وكان شاعرا لهم يسمعون منه ويطيعونه لانه كان قوالا بالحق معظما قد ترهب فى الجاهلية ولبس المسوح واغتسل من الجنابة ودخل بيته فاتخذه مسجدا وقال اعبد اله ابراهيم لا يدخل فيه حائض ولا جنب فوقف بهم عن الاسلام فلم يزل على ذلك حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ومضى بدرا وأحد والخندق فأسلم وحسن اسلامه وهو شيخ كبير اه أى وسبب تأخر اسلامه ما ذكره بعضهم

نساء العرب وأجملهن فقال أتأذن لى ان أشم رأسك قال نعم فشمه ثم اشم أصحابه ثم قال أتأذن لى قال نعم ويحتمل ان كلا من محمد بن مسلمة وأبى نائلة استأذنه فى ذلك وكان كعب يدهن بالمسك المفتت والعنبر حتى يتلبد فى صدغيه فلما تمكن أبو نائلة أو محمد بن مسلمة من امساكه ضربوه باسيافهم وقد صاح عدو الله صيحة منكرة وصاحت امرأته يا آل قريظة والنضير مرتين فلم يبق حصن الا أوقدت عليه نار قال محمد بن مسلمة فوضعت سيفى فى ثنته ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته فوقع عدو الله فجزوا رأسه واحتملوه فى مخلاة كانت معهم واجتمعت اليهود من كل ناحية فاخذوا على غير الطريق ففاتوهم فلما بلغوا بقيع الغرقد كبروا وقد قام النبى صلى الله عليه وسلم تلك الليلة يصلى فلما سمع تكبيرهم كبر وعرف انهم قد قتلوه ثم انتهوا اليه فاخبروه بمقتل عدو الله فقال أفلحت الوجوه قالوا ووجهك يا رسول الله ورموا برأسه بين يديه فحمد الله على قتله لعنه الله وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال أصاب ذباب السيف الحرث بن اوس بن معاذ رضى الله عنه فجرح فى رجله أو فى رأسه حتى ترف الدم فتفل صلى الله عليه وسلم على جرحه فلم يؤذه بعد وقد خافت اليهود بعد قتل عدو الله فليس بالمدينة يهودى الا وهو يخاف على نفسه وفى رواية فلما أصبح صلى الله عليه وسلم قال من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه فخافت اليهود فلم يطلع من عظمائهم أحد ولم ينطقوا وخافوا أن يبيتوا كما بيت وفى رواية فاصبحت يهود مذعورين فأتوا النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا قتل سيدنا غيلة فذكرهم صنيعه وما كان يحرض عليه ويؤذى المسلمين فخافوا فلم ينطقوا ثم دعاهم الى ان يكتبوا بينهم وبينه صلحا فكان ذلك الكتاب مع على رضى الله عنه وفى قصة قتل كعب المذكورة يقول عباد بن بشر وفى

صرخت به فلم يعرض لصوتى * ووافى طالعا من رأس خدر فعدت له فقال من المنادى * فقلت أخوك عباد بن بشر
وهذى درعنا رهنا نخذها * لشهران وفى أو نصف شهر فقال معاشر سغبوا وجاعوا * وما عدموا الغنى من غير فقر
فاقبل نحونا يهوى سريعا * وقال انا لقد جئتم لامر وفى ايماننا بيض حداد * مجربة بها الكفار نفرى

انه لما أراد الاسلام عند قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة لقيه أبى ابن سلول وكلمه بما أغضبه ونفره عن الاسلام وقال أو قبس لا أتبعه الآخر الناس فلما احتضر أرسل اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قل لا اله الا الله أشفع لك بها فقالها وهم ابنه أن ينكح امرأة أبيه أى على ما هو عادة الجاهلية أى وكان ذلك فى المدينة حتى فى أول الاسلام ان أكبر أولاد الرجل يخلفه على زوجته بعد موته فنزل التحريم أى قوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء وتقدم الكلام على سبب نزول هذه الآية مستوفى ثم ان مصعب بن عمير رجع الى مكة مع من خرج من المسلمين من الانصار الى الموسم مع حجاج قومهم من أهل الشرك حتى قدموا مكة أى وأخبر النبى صلى الله عليه وسلم بن أسلم فسر بذلك وعن كعب بن مالك قال خرجنا فى حجاج قومنا من المشركين ومعنا البراء بن معرور سيدنا وكبيرنا والبراء بالمد لغة آخر ليلة من الشهر سمى بذلك لانه ولد فيها ومعرور معناه لغة مقصود فلما خرجنا من المدينة قال البراء لنا انى قد رأيت رأيا ما أدرى أتوافقونى عليه أم لا قال قلنا وما ذاك قال رأيت أن لا أدع هذه البنية أى بفتح الموحدة وكسر النون وتشديد المثناة تحت المفتوحة ثم تاء التأنيث على وزن فعيلة يعنى الكعبة منى بظهر وأن أصلى اليها قال قلنا والله ما بلغنا أن نبينا صلى الله عليه وسلم يصلى الا الى الشام يعنون بيت المقدس أى صخرته وما نريد أن نخالفه قال فقال انى أصلى اليها قال فقلنا له لكنا لا نفعل قال فكنا اذا حضرت الصلاة صلينا الى الشام يعنى بيت المقدس أى واستدبرنا الكعبة وصلى الى الكعبة أى مستدبر الشام حتى قدمنا مكة وقد كنا عبنا عليه ذلك وأبى الا الاقامة على ذلك فلما قدمنا مكة قال لى يا ابن أخى انطلق بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسأله عما صنعت فى سفرى هذا فانه والله لقد وقع فى نفسى منه شئ لما رأيت من خلافكم اياى فيه قال فخرجنا نسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنا لا نعرفه لانا لم نره قبل ذلك فلقينا رجلا من أهل مكة فسألناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تعرفانه قلنا لا قال فهل تعرفان العباس بن عبد المطلب عمه قلنا نعم وكنا نعرف العباس كان لا يزال يقدم علينا تاجرا قال فاذا دخلتما المسجد فاذا هو الرجل الجالس مع العباس فدخلنا المسجد فاذا العباس جالس ورسول الله صلى الله عليه وسلم معه فسلمنا حين جلسنا اليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل قال نعم هذا البراء بن معرور سيد قومه وهذا كعب بن مالك قال كعب فوالله ما أنسى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم الشاعر قال نعم فقال له البراء بن معرور يا رسول الله انى خرجت فى سفرى هذا وقد هدانى الله بالاسلام فرأيت أن لا أجعل هذه البنية منى بظهر يعنى الكعبة فصليت اليها وخالفنى أصحابى فى ذلك حتى وقع فى نفسى من ذلك شئ فماذا ترى يا رسول الله قال قد كنت على قبلة لو صبرت عليها فرجع البراء الى قبلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى بيت المقدس أى ولم يأمره باعادة ما صلاه مع أنه كان مسلما وبين له أنه كان الواجب عليه استقبال بيت المقدس لانه كان متأولا فليتأمل

فعانقه ابن مسلمة المرادى * به الكفار كالليث الهزبر وشد بسيفه صلتا عليه * فقطره أبو عبس بن جبر
وكان الله سادسنا فابنا * بانعم نعمة وأعز نصر وجاء برأسه نفر كرام * هم ناهيك من صدق وبر

ولا يشكل قتله على هذا الوجه لانه نقض عهد النبى صلى الله عليه وسلم وهجاءه وسبه وكان عاهده أن لا يعين عليه أحدا ثم جاء مع أهل الحرب معينا عليه قال القاضى عياض ان محمد بن مسلمة لم يصرح له بالامان ١٧ فى شئ من كلامه انما كلمه فى أمر البيع والشراء واشتكى اليه وليس فى كلامه عهد ولا أمان ولا يحل لاحد أن يقول ان قتله كان غدرا وقد قال ذلك انسان فى مجلس على بن أبى طالب رضى الله عنه فامر به فضربت عنقه وانما يكون الغدر بعد أمان موجود وكعب كان قد نقض عهده صلى الله عليه وسلم ولم يؤمنه محمد ورفقته لكنه استأنس بهم فتمكنوا منه من غير عهد ولا أمان قال الحافظ ابن حجر ان كعبا كان محاربا حيث ترجم لقصته البخارى بالفتك باهل الحرب والكذب فى الحرب والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿غزوة غطفان﴾

ويقال لها غزوة ذى أمر بفتح الهمزة والميم وشد الراء وغزوه أغار وهى بناحية نجد وكانت لثنتى عشرة مضت من ربيع الاول على رأس خمسة وعشرين شهرا من الهجرة وسببها ان جمعا من بنى ثعلبة ومحارب تجمعوا يريدون الاغارة جمعهم دعثور بن الحرث المحاربى سماه بعضهم غورث بن الحرث فخرج صلى الله عليه وسلم اليهم فى أربعمائة وخمسين رجلا واستعمل على المدينة عثمان بن عفان رضى الله عنه فلما سمعوا بمجيئه صلى الله عليه وسلم هربوا فى رؤس الجبال وأصاب المسلمون

وفى هذا تصريح بانه صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا بمكة قبل الهجرة وبعدها يصلون الى بيت المقدس قبل أن تحول القبلة وقد تقدم الوعد بذلك قال كعب ثم خرجنا الى الحج وأوعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة أى الى أن يوافوه فى الشعب الايمن اذا انحدروا من منى أسفل العقبة حيث المسجد اليوم أى الذى يقال له مسجد البيعة كما تقدم وأمرهم أن لا ينبهوا نائما ولا ينتظروا غائبا وذلك فى ليلة اليوم الذى هو يوم النفر الاول قال فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التى واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لها وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا وكان من جملة المشركين أبو جابر عبد الله بن عمرو بن حرام بفتح الحاء والراء المهملتين سيد من ساداتنا فكلمناه وقلنا له يا أبا جابر انك سيد من ساداتنا وشريف من أشرافنا وانا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطبا للنار غدا ثم دعوناه الى الاسلام فأسلم وأخبرناه بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد معنا العقبة فكنا تلك الليلة مع قومنا فى رحالنا حتى اذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم أى بعد هدءة يتسال الرجل والرجلان تسلل القطا مستخفين حتى اذا اجتمعنا فى الشعب عند العقبة ونحن ثلاث وسبعون رجلا وامرأتان نسيبة بالتصغير وهى أم عمارة من بنى النجار أى وكانت تشهد الحرب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم هى وزوجها وابناها حبيب وعبد الله رضى الله تعالى عنهم وحبيبة هذا اكتنفه مسيلمة الكذاب وصار يعذبه يقول له أتشهد أن محمدا رسول الله فيقول نعم ثم يقول وتشهد أنى رسول الله فيقول لا فيقطع عضوا من أعضائه وهكذا حتى فنيت أعضاؤه ومات وسيأتى ما وقع لها رضى الله تعالى عنها فى حرب مسيلمة وأم منيع أى وهذه الرواية لا تخالف رواية الحاكم خمسة وسبعون نفسا نعم تخالف قول ابن مسعود وهم سبعون رجلا يزيدون رجلا أو رجلين وامرأتان أى منهم احد عشر رجلا من الاوس قال فلا زلنا ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءنا أى وفى رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سبقهم وانتظرهم ○ ﴿أقول﴾ وقد يقال لا مخالفة لانه يجوز أن يكون سبقهم وانتظرهم فلما لم يجيؤا ذهب ثم جاءهم بعد مجيئهم والله أعلم ومعه عمه العباس بن عبد المطلب أى ليس معه غيره وهو يومئذ على دين قومه الا انه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له ﴿أقول﴾ وهذا لا يخالف ما جاء انه كان معه أيضا أبو بكر وعلى لان العباس أوقف عليا على فم الشعب عيناله وأوقف أبا بكر على فم الطريق الآخر عينا فلم يكن معه عند هم الا العباس والله أعلم فلما جلسوا كان العباس أول من تكلم فقال يا معشر الخزرج أى قال ذلك لان العرب كانت تطلق الخزرج على ما يشمل الاوس وكانت تغلب الخزرج على الاوس فيقولون الخزرجين ○ ان محمدا منا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فهو فى عز من قومه ومنعة فى بلده وقد أبى الا الانحياز اليكم واللحوق بكم فان كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه اليه ومانعوه ممن خالفه فانتم وما تحملتم من ذلك وان كنتم ترون أنكم مسلمو وخاذلوه بعد الخروج به اليكم فمن الآن

٢ سيره ثانى رجلا منهم يقال له حبار وقيل حبان فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بخبرهم وقال ان يلا قوك سمعوا بسيرك وهربوا فى رؤس الجبال وأناس آثر معك فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم للاسلام فاسلم وضمه الى بلال ليعلمه الشرائع ويأخذ ذلك الرجل بالنبى صلى الله عليه وسلم والمسلمين طريقا وهبط بهم على قومه فوصل المسلمون ما يقال له ذو أمر فعسكر به صلى الله عليه وسلم وأصابهم مطر كثير بل ثياب رسول الله صلى الله عليه وسلم وثياب أصحابه فنزع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبيه ونشرهما على شجرة

أيضا واضطجع تحتها وكان ذلك بموضع قريب من المشركين فكانوا ينظرون اليه وهم فى رؤس الجبال واشتغل المسلمون بشؤنهم فقال المشركون لدعثور وكان سجاعا سيد قومه قد انفرد محمد فعليك به فاقبل ومعه سيفه حتى قام على رأسه صلى الله عليه وسلم فقال من يمنعك منى اليوم فقال له النبى صلى الله عليه وسلم الله ودفع جبريل فى صدره فوقع السيف من يده وسقط هو على ظهره فاخذ السيف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له ١٨ من يمنعك منى قال له أجل أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله فرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه ثم أتى قومه فجعل يدعوهم الى الاسلام وأخبرهم انه رأى رجلا طويلا دفع فى صدره فوقع على ظهره قال فقلت انه ملك فاسلمت وعلمت أنه رسول الله ولا أكثر علمه جمعا فاهتدى به خلق كثير وأنزل الله تعالى فى ذلك يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم وقيل نزلت فى بنى النضير حين أرادوا اغتياله صلى الله عليه وسلم كما سيأتى وقيل نزلت فى كفار قريش لما أرادوا الفتك به وهو والمسلمون بعسفان يصلون صلاة الخوف قال القشيرى وقد تنزل الآية فى قصة ثم تنزل فى اخرى لاذكار ما سبق ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يلق كيدا وكانت غيبته احدى عشرة ليلة

﴿غزوة بحران﴾

بفتح الباء وتضم وسكون الحاء المهملة موضع بناحية الفرع وتسمى غزوة بنى سليم أيضا خرج صلى الله عليه وسلم فى ثلثمائة من أصحابه لست خلون من جمادى الاولى ولم يظهر وجها للمسير واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم رضى الله عنه وكان قد بلغه ان جمعا كثيرا من بنى سليم اجتمعوا بحران فأحث السير حتى بلغها وكان قبل وصوله اليها لقى رجلا فاخبره ان القوم قد تفرقوا فحبسه مع رجل فلما وصل العباس اليها وجدهم قد تفرقوا فى مياههم فرجع ولم يلق كيدا وأطلق الرجل وكانت غيبته عشر ليال * وفى هذه السنة عقد لعثمان رضى الله عنه على أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موت اختها رقية وتقدم ان موتها كان يوم جاء البشيران بخبر أهل بدر * وفى شعبان من هذه السنة تزوج صلى الله عليه وسلم بحفصة بنت عمر رضى الله عنهما بعد ان انقضت عدتها من زوجها خنيس بن حذافة

تدعوه فانه فى عز ومنعة من قومه وبلده فقال البراء بن معرور انا والله لو كان فى أنفسنا غير ما ننطق به لقلناه ولكنا نريد الوفاء والصدق وبذل مهج نفسنا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم أى والبراء بن معرور هو أول من أوصى بثلث ماله وفى رواية ان العباس قال قد أبى محمد الناس كلهم غيركم فان كنتم أهل قوة وجلد وبصر بالحرب واستقلال بعداوة العرب قاطبة ترميكم عن قوس واحدة فأروا رائكم واثقوا بأنفسكم ولا تفرقوا الا عن ملامتكم واجتماع فان أحسن الحديث أصدقه ﴿أقول﴾ قول العباس قد أبى محمد الناس كلهم غيركم ربما يفيد أن الناس غير الانصار وافقوه على مناصرته فاباهم ولا يساعد عليه ما تقدم ولولا التأكيد بلفظ كلهم لامكن أن يراد بالناس قبيلة شيبان بن ثعلبة فانهم كما تقدم قالوا له ننصرك بما يلى مياه العرب دون ما يلى مياه كسرى فابى ذلك ويحتمل أن المراد بالناس الذين أباهم أهله وعشيرته والله أعلم وعند ما تكلم العباس بما ذكر قالوا له قد سمعنا مقالتك فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما احببت وفى رواية خذ لنفسك ما شئت واشترط لربك ما شئت فقال النبى صلى الله عليه وسلم أشترط لربى عز وجل أن تعبدوه ولا تشركوا به شيأ ولنفسى أن تمنعونى مما تمنعون منه أنفسكم وأبناءكم ونساءكم فقال ابن رواحة فاذا فعلنا فما لنا قال صلى الله عليه وسلم لكم الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل وفى رواية فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا القرآن ودعا الى الله عز وجل ورغب فى الاسلام ثم قال أبايعكم على أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم أى وفى رواية أنهم قالوا له يا رسول الله نبايعك قال تبايعونى على السمع والطاعة فى النشاط والكسل والنفقة فى العسر واليسر وعلى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وأن تقولوا فى الله لا تخافوا فى الله لومة لائم وعلى أن تنصرونى فتمنعونى اذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة فاخذ البراء بن معرور بيده صلى الله عليه وسلم ثم قال نعم والذى بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع به أزرنا أى نساءنا وأنفسنا لان العرب تكنى بالازار عن المرأة وعن النفس فنحن والله أهل الحرب وأهل الحلقة أى السلاح ورثناها كابرا عن كابر وبينا البراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو الهيثم بن التيهان بتشديد المثناة تحت وتخفيفها نقبله على مصيبة المال وقتل الاشراف فقال العباس اخفوا جرسكم أى صوتكم فان علينا عيونا ثم قال أبو الهيثم يا رسول الله ان بيننا وبين الرجال يعنى اليهود حبالا أى عهودا وانا قاطعوها فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ثم اظهرك الله أن ترجع الى قومك وتدعنا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال بل الدم الدم والهدم الهدم بفتح الدال وسكونها اهدار دم القتيل أى دمى دمكم أى تطلبون بدمى وأطلب بدمكم فدمى ودمكم واحد وفى لفظ بدل الدم اللدم وهو بالتحريك الحرم من القرابات أى حرمى حرمكم تقول العرب اللدم اللدم اذا أرادت تأكيد المخالفة هدمى وهدمكم واحد أى واذا اهدرتم الدم أهدرته وذمتى ذمتكم ورحلتى مع رحلتكم أنا منكم وأنتم منى أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم أى وعند ذلك قال لهم

من شهداء بدر رضى الله عنه * وفى رمضان تزوج زينب بنت جحش ﴿سرية زيد بن حارثة رضى الله عنه الى القردة﴾ بالقاف المفتوحة وسكون الراء اسم ماء من مياه نجد وسببها ان قريشا خافوا من طريقهم التى يسلكونها الى الشام حين كان من وقعة بدر ما كان فسلكوا طريق العراق فخرج منهم تجار فيهم أبو سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وحويطب بن عبد العزى وكلهم أسلموا عام الفتح رضى الله عنهم ومعهم فضة كثيرة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ١٩ زيد بن حارثة رضى الله عنه فى مائة راكب

العباس رضى الله تعالى عنه عليكم بما ذكرتم ذمة الله مع ذمتكم وعهد الله مع عهدكم فى هذا الشهر الحرام والبلد الحرام يد الله فوق أيديكم لتجدن فى نصرته ولتشدن من أزره قالوا جميعا نعم قال العباس اللهم انك سامع شاهد وان ابن أخى قد استرعاهم ذمته واستحفظهم نفسه اللهم كن لابن أخى عليهم شهيدا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجوا الىّ منكم اثنى عشر نقيبا يكونون على قومهم بما فيهم فاخرجوا تسعة من الخزرج وثلاثة من الاوس أى وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال لهم ان موسى أخذ من بنى اسرائيل اثنى عشر نقيبا فلا يحدث أحد فى نفسه أن يؤخذ غيره فانما يختارلى جبريل أى لانه عليه الصلاة والسلام حضر البيعة فلما تخيرهم أى وهم سعد بن عبادة وأسعد بن زرارة وسعد بن الربيع وسعد ابن أبى خيثمة والمنذر بن عمرو وعبد الله بن رواحة والبراء بن معرور وأبو الهيثم بن التيهان وأسيد ابن حضير وعبد الله بن عمرو بن حرام وعبادة بن الصامت ورافع بن مالك كل واحد على قبيلة رضى الله عنهم أجمعين وقال صلى الله عليه وسلم لاولئك النقباء أنتم كفلاء على غيركم ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم وأنا كفيل على قومى يعنى المهاجرين وقيل ان الذى تولى الكلام من الانصار وشد العقدة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أسعد بن زرارة أى وهو من أصغرهم فانه أخذ بيد النبى صلى الله عليه وسلم وقال رويدا يا أهل يثرب انا لن نضرب اليه أكباد الابل الا ونحن نعلم أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن اخراجه اليوم مفارقة لجميع العرب وقتل خياركم وان تعضكم السيوف فاما أنتم قوم تصبرون على ذلك اذا مسستكم بقتل خياركم ومفارقة العرب كافة أى جميعا فخذوه وأجركم على الله تعالى وأما أنتم تخافون من أنفسكم خيفة فذروه فهو عذر لكم عند الله عز وجل فقالوا يا أسعد أمط عنا يدك فوالله لا نذر اى نترك هذه البيعة ولا نستقيلها أى لا نطلب الاقالة منها وقيل ان الذى تكلم مع الانصار وشد العقدة العباس ابن عبادة بن نضلة قال يا معشر الخزرج هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل انكم تبايعونه على حرب الاحمر والاسود من الناس أى على من حاربه منهم والا فهو صلى الله عليه وسلم لم يؤذن له فى البداءة بالمحاربة الا بعد أن هاجر الى المدينة بمدة كما سيأتى وكان قبل ذلك مأمورا بالدعاء الى الله تعالى والصبر على الاذى والصفح عن الجاهل ثم ذكر ما تقدم عن اسعد بن زرارة اى ثم توافقوا على ذلك وقالوا يا رسول الله ما لنا بذلك ان نحن قضينا قال رضوان الله والجنة قالوا رضينا ابسط يدك فبسط يده صلى الله عليه وسلم فبايعوه ○ أى وأول من بايعه صلى الله عليه وسلم البراء بن معرور وقيل أسعد بن زرارة وقيل أبو الهيثم بن التيهان ثم بايعه السبعون كلهم أى وبايعه المرأتان المذكورتان من غير مصافحة لانه صلى الله عليه وسلم كان لا يصافح النساء انما كان يأخذ عليهن فاذا أحرزن قال اذهبن فقد بايعتكن كما سيأتى فكانت هذه البيعة على حرب الاسود والاحمر أى العرب والعجم فهؤلاء الثلاثة لم يتقدم عليهم أحد غيرهم وحينئذ تكون الاولية فيهم حقيقية واضافية أى ويقال ان أبا الهيثم قال أبايعك يا رسول الله على ما بايع

فتقيهم على ذلك الماء فاصاب العير وما فيها وهرب الرجال فقدم بالعير على رسول الله صلى الله عليه وسلم فخمسها فبلغ الخمس قيمة عشرين ألف درهم وكانت هذه السرية فى جمادى الآخرة من السنة الثالثة من الهجرة

﴿غزوة أحد﴾

وهو جبل مشهور بالمدينة وكانت فى شوال سنة ثلاث من الهجرة يوم السبت لاحدى عشرة ليلة من شوال وسببها ان قريشا لما أصابهم يوم بدر ما أصابهم مشى عبد الله بن أبى ربيعة وعكرمة بن أبى جهل وصفوان بن أمية وكلهم أسلموا بعد ذلك رضى الله عنهم ومشى معهم رجال آخرون من أشراف قريش الى أبى سفيان رضى الله عنه فانه أسلم بعد ذلك أيضا والى كل من كان له تجارة فى تلك العير التى كانت سبب وقعة بدر وكانت تلك العير موقوفة بدار لندوة لم تعط لاربابها فقالوا ان محمدا قد وترنا وقتل خياركم فاعينونا بهذا المال على حربه لعلنا ندرك منه ثارا ممن أصاب منا ونحن طيبو النفس ان تجهزوا بربح هذه العير جيشا الى محمد فقال أبو سفيان وأنا أول من أجاب الى ذلك وبنو عبد مناف معى فجعلوا ذلك ربح المال فسلم لاهل

العير رؤس أموالهم وكانت خمسين ألف دينار وأخرجوا أرباحها وكان الربح لكل دينار دينارا فكان الذى أخرج خمسين ألف دينار وتجهزت قريش ومن والاهم من قبائل كنانة وتهامة وقال صفوان بن أمية لابى عزة الجمحى يا أبا عزة انك رجل شاعر فأعنا بلسانك ولك علىّ ان رجعت ان أغنمك وان أصبت اجعل بناتك مع بناتى يصبن من عسر ويسر فقال ان محمدا قد منّ على وأطلقنى يعنى يوم بدر وأخذ علىّ ان لا اظاهر عليه أحدا حين اطلقنى فلا أريد ان أظاهر عليه قال بلى فأعنا بلسانك فخرج أبو عزة

ومسافع يستنفران الناس باشعارهما فقيل ان مسافعا لم يعرف له اسلام وقيل اسلم بعد ذلك وأما أبو عزة فجيء به الى النبي صلى الله عليه وسلم فامر عاصم بن ثابت رضي الله عنه فضرب عنقه ودعا جبير بن مطعم رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك غلاما حبشيا يقال له وحشي رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك وكان يقذف بحربته له قذف الحبشة فلما يخطئ بها فقال له اخرج مع الناس فان أنت قتلت حمزة بن عبد المطلب بعمي طعيمة بن عدي فانت حر ٢٠ لان حمزة هو القاتل لطعيمة بن عدي يوم بدر وقيل ان ابنة سيده طعيمة قالت له ان قتلت محمدا أو حمزة أو عليا في أبي فاني لا أرى في القوم كفؤا له غيرهم فانت عتيق فسار القوم بالقيان والدفوف والمعازف أي آلات الملاهي والخمور والبغايا وخرج من نساء قريش خمس عشرة امرأة مع أزواجهن منهن هند بنت عتبة زوج أبي سفيان رضي الله عنهما فانهما أسلما عام الفتح هي وزوجها وخرجت أم حكيم بنت طارق مع زوجها عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنهما فانهما أسلما أيضا وفاطمة بنت الوليد بن المغيرة مع زوجها الحرث ابن هشام وريطة بنت منبه السهمية مع زوجها عمرو بن العاص وغيرهن من النسوة يبكين قتلى بدر ويحثهن عليهم ويحرضنهم على القتال وعدم الهزيمة والفرار وكان خروجهم من مكة لخمس مضين من شوال وكتب العباس للنبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بجمعهم وخروجهم وراودوه على الخروج معهم فابى واعتذر بما لحقه يوم بدر ولم يساعدهم بشيء من المال فجاء كتابه للنبي صلى الله عليه وسلم وهو بقباء وكان العباس أرسل الكتاب مع رجل من بني غفار استأجره وشرط عليه أن يأتي المدينة في ثلاثة أيام بلياليها ففعل ذلك فلما جاء الكتاب فك ختمه ودفعه لابي بن كعب فقرأه عليه فاستكتم أبيا ثم نزل صلى الله عليه وسلم على سعد بن الربيع فاخبره بكتاب العباس رضي الله عنه فقال والله اني لارجو أن يكون خيرا فاستكتمه اياه ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من عنده قالت له امرأته ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها يا أم محمد ما أنت وذاك فقالت قد سمعت ما قال وأخبرته بما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسترجع وأخذ سيفه وأتى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره خبرها وقال يا رسول الله اني خفت أن يفشو الخبر

عليه الاثنا عشر نقيبا من بني اسرائيل موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام وان عبد الله ابن رواحة قال أبايعك يا رسول الله على ما بايع عليه الاثنا عشر من الحواريين عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام وقال أسعد بن زرارة أبايع الله عز وجل يا رسول الله فأبايعك على أن أتم عهدي بوفائي وأصدق قولي بفعلي في نصرك وقال النعمان بن مارثة أبايع الله عز وجل يا رسول الله وأبايعك على الاقدام في أمر الله عز وجل لا أرأف فيه القريب ولا البعيد أي لا أعامل فيه بالرأفة والرحمة وقال عبادة بن الصامت أبايعك يا رسول الله على ان لا تأخذني في الله لومة لائم وقال سعد بن الربيع أبايع الله وأبايعك يا رسول الله على أن لا أعصي لكما أمرا ولا أكذبكما حديثا فلما انتهت البيعة وهذه البيعة يقال لها العقبة الثانية ولما وقعت صرخ الشيطان من رأس العقبة بأشد صوت وأبعده يا أهل الجباجب أي بجيمين الاولى مفتوحة والثانية مكسورة وبعد كل جيم باء موحدة وهي منازل منى وفي الهدى يا أهل الاخاشب هل لكم في مذمم والصباة معه يعني بمذمم النبي صلى الله عليه وسلم لان قريشا كانت تقول بدل محمد صلى الله عليه وسلم مذمم ويعني بالصباة أصحابه الذين بايعوه لانهم كانوا يقولون لمن أسلم صابئ لان الصابئ من خرج من دين الى دين وقد جاء ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم يسبون مذمما وأنا محمد فانهم قد أجمعوا أي عزموا على حربكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا أزب العقبة اسمع أي عدو الله أما والله لا أفرغن لك أزب بكسر الهمزة واسكان الزاي ثم بالباء الموحدة الخفيفة وقيل بفتح الهمزة وفتح الزاي وتشديد الموحدة أي شيطان سمي بهذا الاسم المركب من المضاف والمضاف اليه عامر هو الازب في الاصل القصير ومن ثم رأى عبد الله بن الزبير رجلا طوله شبران على بزذعة رحله فقال له ما أنت قال ازب قال وما ازب قال رجل من الجن فضربه على رأسه بعود سوطه فهرب وعند ذلك قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ارفضوا وفي لفظ انفضوا الى رحالكم ﴿أقول﴾ وفي رواية لما بايع الانصار بالعقبة صاح الشيطان من رأس الجبل يا معشر قريش هذه بنو الاوس والخزرج تحالف على قتالكم ففزعوا أي الانصار عند ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يروعكم هذا الصوت فانما هو عدو الله ابليس وليس يسمعه أحد مما تخافون ولا مانع من اجتماع صراخ ازب العقبة وصراخ ابليس الذي هو أبو الجن ويجوز أن يكون المراد بعدو الله ابليس ازب العقبة لانه من الابالسة وأنه أتى باللفظين معا وقد حضر البيعة جبريل كما تقدم فعن حارثة بن النعمان رضي الله تعالى عنه لما فرغوا من المبايعة قلت يا نبي الله لقد رأيت رجلا عليه ثياب بيض أنكرته قائما على يمينك قال وقد رأيته قلت نعم قال ذاك جبريل والله أعلم ثم ان الحديث نما وسمع المشركون من قريش بذلك أي وفي كتاب الشريعة ان الشيطان لما نادى بما ذكر شبه صوته بصوت منبه بن الحجاج فنال عمرو بن العاص ما نال أبو جهل قال عمر وذهبت أنا وهو الى عتبة ابن ربيعة فاخبره بصوت منبه بن الحجاج فلم يرعه ما رأعنا وقال هل أتاكم فاخبركم بهذا منبه

فترى انى أنا المفشى له وقد استمتنى اياه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خل عنها وسارت قريش وهم ثلاثة آلاف وفيهم مائتا فارس وسبعمائة دارع ومعهم الاحابيش الذين حالفوا قريشا وهم بنو المصطلق وبنو الهون بن خزيمة اجتمعوا عند حبيش وهو جبل باسفل مكة وتحالفوا على انهم مع قريش يدا واحدة ما سجا ليل ووضح نهار وما رسا حبيش مكانه فسموا أحابيش باسم الجبل وقيل سموا بذلك لتحبشهم أى تجمعهم وخرج معهم أبو عامر الراهب فى سبعين ٢١ فارسا من الاوس وكان أبو عامر الراهب فى

فقلنا لا فقال لعله ابليس الكذاب الحديث وفيه طول وأمور مستغربة ولا ينافى سماع عمرو وأبى جهل صوت ابليس قوله صلى الله عليه وسلم ليس يسمعه أحد مما تخافون لان سماعهما لم يحصل منه خوف لهم وعند فشو الخبر جاء أجلتهم وأشرافهم حتى دخلوا شعب الانصار فقالوا يا معشر الاوس والخزرج وفى رواية يا معشر الخزرج أى بالتغليب بلغنا أنكم جئتم الى صاحبنا هذا لتخرجوه من بين أظهرنا وتبايعوه على حربنا والله ما من حى أبغض الينا أن نشب الحرب بيننا وبينه منكم فصار مشركو الاوس والخزرج يحلفون لهم ما كان من هذا شئ وما علمناه أى حتى ان أبىّ بن سلول جعل يقول هذا باطل وما كان هذا وما كان قومى ليفتاتوا على بمثل هذا لو كنت بيثرب ما صنع هذا قومى حتى يؤامرونى وصدقوا لانهم لم يعلموه كما علم مما تقدم أى ونفر الناس من منى وبحثت قريش عن خبر الانصار فوجدوه حقا فلما تحققوا الخبر اقتفوا آثارهم فلم يدركوا الا سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو فأما سعد فامسك وعذب فى الله وأما المنذر فأفلت ثم أنقذ الله سعدا من أيدى المشركين قال نقل عنه أنه قال لما ظفروا بى ربطوا يدى فى عنقى فلازالوا يلطمونى على وجهى ويجذبونى بجمتى أى وكان ذا شعر كثير حتى ادخلونى مكة فاومأ الىّ رجل أى وهو أبو البخترى بن هشام مات كافرا ○ وقال ويحك ما بينك وبين أحد من قريش جوار ولا عهد قال بلى قد كنت أجير لجبير بن مطعم تجارة وأمنعهم ممن أراد ظلمهم ببلادى وللحرث بن حرب بن أمية أى وهو أخو أبى سفيان والاول اسلم بعد الحديبية والثانى لا يعلم له اسلام فقال ويحك فاهتف باسم الرجلين ففعلت فخرج ذلك الرجل اليهما فوجدهما فى المسجد فقال لهما ان رجلا من الخزرج يضرب بالابطح يهتف باسمكما فقالا من هو قال يقول انه سعد بن عبادة فجاآ فخلصانى من أيديهم اهـ وعن سعد بينا أنا مع القوم أضرب اذ طلع علىّ رجل أبيض وضىء عشعاش أى طويل زائد الحسن حلو من الرجال فقلت فى نفسى ان يكن عند أحد من القوم خير فعند هذا فلما دنا منى رفع يديه ولكمنى لكمة شديدة فقلت فى نفسى والله ما عندهم بعد هذا خير أى وهذا الرجل سهيل بن عمرو رضى الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك فلما قدم الانصار المدينة أظهروا الاسلام أى اظهارا كليا وتجاهروا والا فقد تقدم ان الاسلام فشا فيهم قبل قدومهم لهذه البيعة وكان عمرو بن الجموح وهو من سادات بنى سلمة بكسر اللام واشرافهم قبل ان يكن أسلم وكان ممن أسلم ولده معاذ بن عمرو ○ وكان لعمرو فى داره صنم أى من خشب يقال له مناة لان الدماء كانت تمنى أى تصب عنده تقربا اليه وكان يعظمه فكان فتيان قومه ممن أسلم كمعاذ بن جبل وولده عمرو بن معاذ ومعاذ بن عمرو يدلجون بالليل على ذلك الصنم فيطرحونه أى ولعله بعد اخراجه من داره فى بعض الحفر التى فيها خرء الناس منكسا فاذا أصبح عمرو قال ويحكم من عدا على الهنا هذه الليلة ثم يعود يلتمسه حتى اذا وجده غسله فاذا أمسى عدوا عليه وفعلوا به مثل ذلك الى أن غسله وطيبه وحماه بسيف علقه فى عنقه ثم قال له ما أعلم من يصنع

المدينة مقاوما للنبى صلى الله عليه وسلم ومباعدا له ومنكر النبوة وكان قبل ذلك مترهبا يزعم أنه ينتظر النبى المبعوث ويذكر للناس كثيرا من صفاته ويقول لهم قد قرب خروجه فلما هاجر صلى الله عليه وسلم الى المدينة وانتخت صفاته للانصار واتبعوه حسده أبو عامر وأنكر نبوته وكان رئيسا فى الاوس كعبد الله بن أبى فى الخزرج فكل منهما حسد النبى صلى الله عليه وسلم لكن عبد الله ابن أبى دخل فى الاسلام ظاهرا وهذا خرج من المدينة كافرا مباعدا فدعا عليه النبى صلى الله عليه وسلم بأنه يموت وحيدا طريدا فاستجاب الله دعاءه وسماه الفاسق بدلا عن الراهب وأما ابنه حنظلة فهو من فضلاء الصحابة رضى الله عنه وهو من المستشهدين باحد وهو الذى غسلته الملائكة ومات أبو عامر الفاسق كافرا بارض الروم وحيدا طريدا اجابة لدعائه صلى الله عليه وسلم لانه لما فتحت مكة خرج فارا الى الروم ثم ان القوم بعد ان تجهزوا خرجوا وكان قائدهم أبو سفيان فسار بهم حتى نزلوا ببطن الوادى من قبل أحد مقابل المدينة وكان وصولهم يوم الاربعاء ثانى عشر شوال فاقاموا به الاربعاء والخميس والجمعة فخرج

اليهم صلى الله عليه وسلم فاصبح بالشعب من أحد يوم السبت للنصف من شوال وكان رجال من المسلمين اسفوا على ما فاتهم من مشهد بدر وقد رأى النبى صلى الله عليه وسلم رؤيا قبل خروجه وكانت ليلة الجمعة فلما أصبح قال والله انى قد رأيت خيرا رأيت بقرا تذبح و رأيت فى ذباب سيفى أى طرفه الذى يضرب به ثلما و رأيت انى أدخلت يدى فى درع حصينة وكأنى مردف كبشا فاما البقر فناس من أصحابى يقتلون وأما الثلم الذى رأيت فى سيفى فهو رجل من أهل بيتى يقتل وأولت الدرع الحصينة المدينة وأولتم

الكبش باتى أقتل صاحب الكتيبة وقد صدق الله رؤياه صلى الله عليه وسلم فكان الرجل الذى من أهل بيته حمزة سيد الشهداء رضى الله عنه وقتل على رضى الله عنه طلحة بن عثمان العبدرى صاحب لواء المشركين فهو صاحب الكتيبة وكبش القوم سيدهم وقال عروة بن الزبير وجماعة كان الذى بسيفه ما أصاب وجهه الشريف فان العدو أصابوا وجهه الشريف صلى الله عليه وسلم يومئذ وكسروا رباعيته وجرحوا شفته السفلى ثم ٢٢ قال صلى الله عليه وسلم لاصحابه امكثوا بالمدينة فان دخل القوم المدينة قاتلناهم ورموا من فوق البيوت وفى رواية فان رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا فان أقاموا أقاموا بشر مقام وان هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها وأرسل النبى صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن أبى ابن سلول يستشيره تألفا له ولم يستشره قبل ذلك فكان رأى عبد الله بن أبى ابن سلول مع رأيه صلى الله عليه وسلم فقال رجال من المسلمين لم يحضروا بدرا وأسفوا على ما فاتهم من مشهدها يارسول انا كنا نتمنى هذا اليوم اخرج بنا الى أعدائنا لا يرون اناجبنا عنهم فقال ابن أبى يارسول الله أقم بالمدينة لا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو لنا قط الا أصاب منا ولا دخلها علينا الا أصبنا منهم فدعهم يارسول الله فان أقاموا أقاموا بشر مجلس وان دخلوا قاتلهم الرجال فى وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم وان رجعوا رجعوا خائبين كما جاؤا وقال حمزة ابن عبد المطلب عم النبى صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنه وسعد بن عبادة والنعمان بن مالك وطائفة من الانصار رضى الله عنهم انا نخشى يارسول الله أن يظن عدونا انا كرهنا الخروج جبنا عن لقائهم فيكون هذا جرأة منهم علينا زاد حمزة والذى أنزل عليك الكتاب لا أطعم اليوم طعاما حتى أجالدهم بسيفى خارج المدينة وقال النعمان يارسول وطلحة الله لا تحرمنا الجنة فوالذى نفسى بيده لادخلنها فقال صلى الله عليه وسلم له فقال لانى أحب الله ورسوله وفى لفظ اشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ولا أفر يوم الزحف فقال صلى الله عليه وسلم صدقت فاستشهد يومئذ فترجح عنده صلى الله عليه وسلم موافقة رأيهم وان كرهه ابتداء ليقضى الله أمرا كان مفعولا فصلى عليه الصلاة والسلام بالناس الجمعة ثم وعظهم وأمرهم بالجد والاجتهاد

بك فان كان فيك خير فامتنع فهذا السيف معك فلما أمسى عدوا عليه وأخذوا السيف من عنقه ثم أخذوا كلبا ميتا فقرنوه به بحبل ثم ألقوه فى بئر من آبار بنى سلمة فيها خراء الناس فلما أصبح عمرو غدا اليه فلم يجده ثم تطلبه الى أن وجده فى تلك البئر فلما رآه كذلك رجع الى عقله وكلمه من أسلم من قومه فأسلم وحسن اسلامه وأنشد أبياتا منها

والله لو كنت الهالم تكن * أنت وكلب وسط بئر فى قرن

أى جبل وأمر صلى الله عليه وسلم من كان معه من المسلمين بالهجرة الى المدينة أى لان قريشا لما علمت أنه صلى الله عليه وسلم آوى أى استند الى قوم أهل حرب وتحمل ضيقوا على أصحابه ونالوا منهم ما لم يكونوا ينالونه من الشتم والاذى وجعل البلاء يشتد عليهم وصاروا مابين مفتون فى دينه وبين معذب فى أيديهم وبين هارب فى البلاد شكوا اليه صلى الله عليه وسلم واستأذنوه فى الهجرة أى فمكث أياما لا يأذن لهم ثم قال لهم أريت دار هجرتكم أريت سبخة ذات نخل بين لابتين وهما الحرتان ولو كانت السراة أرض نخل وسباخ لقلت هى هى والسراة بفتح السين أعظم جبال بلاد العرب ثم خرج اليهم مسرورا فقال قد اخبرت بدار هجرتكم وهى يثرب فأذن لهم وقال من أراد أن يخرج فليخرج اليها فخرجوا اليها ارسالا أى متتابعين يخفون ذلك أى وفى رواية أريت فى المنام أنى هاجرت من مكة الى أرض بها نخل فذهب وهلى أى وهمى الى أنها اليمامة أو هجر فاذا هى المدينة يثرب وفى الترمذى عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله أوحى الى أى هؤلاء الثلاثة نزلت هى دار هجرتك المدينة أو البحرين أو قنسرين قال الترمذى هذا حديث غريب وزاد الحاكم فاختار المدينة ﴿أقول﴾ فيه ان هذا السياق المتقدم يدل على ان استئذانهم فى الهجرة عبارة عن خروجهم من مكة لا لخصوص المدينة وأن عدم اذنه صلى الله عليه وسلم لهم فى الهجرة لعدم تعيين المحل الذى يهاجرون اليه له صلى الله عليه وسلم وكل ذلك لا يناسب ما تقدم فى حديث المعراج من قول جبريل له صليت بطيبة واليها المهاجرة وقد يجاب بانه يجوز أن يكون صلى الله عليه وسلم أنسى قول جبريل المذكور حينئذ ثم تذكره بعد ذلك فى قوله قد اخبرت بدار هجرتكم الى آخره وفيه ان هذا لا يحسن بعد مبايعته صلى الله عليه وسلم للاوس والخزرج على مناصرته ومحاربة عدوه مع علمه بان وطنه المدينة وكونهم يبايعونه على مناصرته مع كونه ساكنا فى البحرين أو قنسرين فى غاية البعد على أنه سيأتى فى غزوة بدر أنه صلى الله عليه وسلم خشى ان الانصار لا ترى مناصرته الا فى المدينة أى فان فى بعض الروايات وعلى أن تنصرونى اذا قدمت عليكم يثرب والله أعلم وقبل الهجرة آخى صلى الله عليه وسلم بين المسلمين أى المهاجرين على الحق والمواساة فآخى بين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما وآخى بين حمزة وزيد بن حارثة وبين عثمان وعبد الرحمن بن عوف وبين الزبير وابن مسعود وبين عبادة بن الحارثة وبلال وبين مصعب بن عمير وسعد بن أبى وقاص وبين أبى عبيدة بن الجراح وسالم مولى أبى حذيفة وبين سعيد بن زيد

وأخبرهم بان لهم النصر ما صبروا أى مدة صبرهم على أمره وأمرهم بالتهيؤ لعدوهم ففرح الناس بذلك لانهم لا غرض لهم فى الدنيا وزهرتها لما وقر فى قلوبهم وارتاحت له نفوسهم من حب لقاء الله والمسارعة الى جنات النعيم ثم صلى بالناس العصر وقد اجتمعوا وحضر أهل العوالى ثم دخل عليه الصلاة والسلام بيته ومعه صاحباه فى الدنيا والبرزخ والموقف والحوض والجنة فعمماه وألبساه أى عاوناه فى لبس عمامته وثيابه والتقليد بسيفه وغير ذلك مما تعاطاه عند ارادة ٢٣ الخروج وصف الناس ينتظرون خروجه

وطلحة بن عبيد الله وبين على ونفسه صلى الله عليه وسلم وقال أما ترضى أن أكون أخاك قال بلى يارسول الله رضيت قال فأنت أخى فى الدنيا والآخرة قال وأنكر العباس بن تيمية المؤاخاة بين المهاجرين سيما مؤاخاة النبى صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله تعالى عنه قال لان المؤاخاة بين المهاجرين والانصار انما جعلت لارفاق بعضهم ببعض ولتألف قلوب بعضهم ببعض فلا معنى لمؤاخاة مهاجرى لمهاجرى قال الحافظ ابن حجر وهذا رد للنص بالقياس وبعض المهاجرين كان أقوى من بعض بالمال والعشيرة فاخى بين الاعلى والادنى ليرتفق الادنى بالاعلى وليستعين الاعلى بالادنى ولهذا تظهر مؤاخاته صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله تعالى عنه كان هو الذى يقوم بامره قبل البعثة وفى الصحيح فى عمرة القضاء ان زيد بن حارثة قال ان بنت حمزة بنت أخى أى بسبب المؤاخاة اه وكان أول من هاجر منهم اليها أى لاصحهم أبو سلمة عبد الله بن عبد الاسد المخزومى وهو أخوه من الرضاع وابن عمته وهو أول من يدعى للحساب اليسير كما تقدم فانه لما قدم من الحبشة لمكة آذاه أهلها وأراد الرجوع الى الحبشة فلما بلغه اسلام من أسلم من الانصار أى الاثنى عشر الذين بايعوا البيعة الاولى خرج اليهم وقدم المدينة بكرة النهار ولما عزم على الرحيل رحل بعيره وحمل عليه أم سلمة وابنها سلمة فى حجرها وخرج يقود البعير رآه رجال من قوم أم سلمة فقاموا اليه وقالوا يا أبا سلمة قد غلبتنا على نفسك فصاحبتناهذه علام نتركك تسير بها فى البلاد ثم نزعوا خطام البعير منه فجاء رجال من قوم أبى سلمة وقال ان ابننا معها اذا نزعتموها من صاحبنا تنزع ولدنا منها ثم تجاذبوه حتى خلعوا يده وأخذه قوم أبيه ففرق بينها وبين زوجها وولدها فكانت تخرج كل غداة بالابطح فتبكى حتى المساء مدة سنة فمر بها رجل من بنى عمها فرأى ما بها فرحمها وقال لقومها ألا ترحمون هذه المسكينة فرقتم بينها وبين ولدها وزوجها فقالوا لها الحقى بزوجك فلما بلغ ذلك قوم أبى سلمة ردوا عليها ولدها فارتحلت بعيرا وجعلت ولدها فى حجرها وخرجت تريد المدينة وما معها أحد من خلق الله تعالى حتى اذا كانت بالتنعيم لقيها عثمان بن طلحة أى الحجبى صاحب مفتاح الكعبة وكان عثمان بن طلحة يومئذ مشركا ثم أسلم رضى الله تعالى عنه فى هدنة الحديبية وهاجر مع خالد بن الوليد وعمرو بن العاص كما سيأتى فتبعها الى المدينة حتى اذا وافى على قباء قال لها هذا زوجك هنا ثم انصرف وهى أول ظعينة دخلت من المهاجرين المدينة رضى الله تعالى عنها وكانت أم سلمة تقول ما رأيت صاحبا أكرم من عثمان بن طلحة قال وقال ابن اسحق وابن سعد ثم كان أول من قدمها بعد أبى سلمة عامر بن ربيعة ومعه امرأته ليلى بنت أبى حثمة بالحاء المهملة المفتوحة وسكون الثاء المثلثة وهى أول ظعينة قدمت المدينة اه ﴿أقول﴾ فام سلمة أول ظعينة قدمت المدينة لا مع زوجها وليلى أول ظعينة قدمت المدينة مع زوجها فلا منافاة وفى كلام ابن الجوزى أول من هاجر الى المدينة من النساء أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط والله أعلم قال بينت أى أم سلمة ما تقدم عنها فى حق عثمان بن طلحة بقولها فانه لما رآنى قال الى أين قلت الى زوجى قال أو ما معك أحد قلت لا ما معى الا الله وابنى هذا

عليه الصلاة والسلام فقال لهم سعد بن معاذ رضى الله عنه وأسيد ابن حضير استكرهتم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الخروج فردوا الامر اليه وكان سعد بن معاذ سيد الاوس وهو فى الانصار كالصديق فى المهاجرين رضى الله عنهم قال الزرقانى فهو أفضل الانصار فخرج صلى الله عليه وسلم وقد لبس لامته وهى بالهمز وتركه الدرع وقيل السلاح وتقلد سيفه فقدم الطالبون لخروجه على ما صنعوا وقالوا ما كان ينبغى لنا أن نخالفك فاصنع ما شئت وفى رواية فان شئت فاقعد فقال ما ينبغى لنبى اذا لبس لامته ان يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم رضى الله عنه وعقد صلى الله عليه وسلم لواء الاوس وجعله بيد أسيد ابن حضير ولواء الخزرج وجعله بيد الحباب بن المنذر وقيل بيد سعد بن عبادة ولواء المهاجرين وجعله بيد على بن أبى طالب رضى الله عنه ثم سأل عمن يحمل لواء المشركين فقيل طلحة بن أبى طلحة العبدرى فقال نحن أحق بالوفاء منهم فاخذه من على ودفعه الى مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار أكبر أولاد قصى فجعل أبوه قصى

القيادة واللواء والحجابة والسقاية والرفادة ودار الندوة كلها اليه ثم اختلفت بنو عبد الدار وبنو عبد مناف بعد موت عبد الدار ثم تفقوا على ان اللواء والحجابة ودار الندوة لبنى عبد الدار والقيادة والسقاية والرفادة لبنى عبد مناف وتقدمت القصة مستوفاة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم نحن أحق بالوفاء منهم وفى شرح الزرقانى على المواهب انه لما قتل مصعب بن عمير رضى الله عنه أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم الراية عليا رضى الله عنه وكان فى المسلمين مائة دارع وهو لابس الدرع وركب صلى الله عليه وسلم

فرسه السكب وقيل خرج ماشيا وخرج السعدان أمامه يعدوان سعد بن معاذ وسعد بن عبادة القائل فيهما الهاتف بمكة
فان يسلم السعدان يصح محمد * بمكة لا يخشى خلاف المخالف وكانا دارعين وردصلى الله عليه وسلم جماعة من المسلمين لصغرهم
نحو سبعة عشر منهم أسامة بن زيد وعبد الله بن عمرو زيد بن ثابت وأبو سعيد الخدري والنعمان بن بشير ورافع بن خديج وسمرة بن
جندب رضي الله عنهم ثم أجاز رافع بن خديج ٢٤ لما قيل له انه رام فخرج وأصيب بسهم فقال صلى الله عليه وسلم أنا أشهد له يوم

القيامة وعاش الى زمن عبد الملك ابن مروان ولما أجازه قال سمرة ابن جندب رضي الله عنه لزوج أمه أجاز رافعا وردني وأنا أصرعه فأعلم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال تصارعا فصرع سمرة رافعا فأجازه ورأى صلى الله عليه وسلم جماعة من اليهود مع عبد الله ابن أبي يريدون الخروج فقال وقد أسلموا قالوا لا يا رسول الله قال مروهم فليرجعوا فانا لا نستعين بالمشركين على المشركين وكان المسلمون الخارجون معه صلى الله عليه وسلم ألفا رجل ثم انخزل عبد الله بن أبي ورجع هو ومن معه من المنافقين وكانوا ثلثمائة فبقي المسلمون سبعمائة وكان المشركون ثلاثة آلاف رجل من قريش والاحابيش المحالفين لهم وقال ابن أبي حين أراد الرجوع عصاني وأطاع الولدان ومن لا رأي له علام نقتل أنفسنا ارجعوا أيها الناس فقال لهم عبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر رضي الله عنه وكان خزرجيا كان أبي أذكركم الله أن تخذلوا قومكم ونبيكم بعد ما حضر عدوهم قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناهم فلما أبوا قالوا أبعدكم الله سيغني الله عنكم قال موسى بن عقبة لما انخزل ابن أبي بمن معه سقط في أيدي طائفتين من المسلمين وهمتا ان تفشلا وهما بنو حارثة من الخزرج وبنو سلمة بكسر اللام من الاوس وفي الصحيح بالكاف عن جابر رضي الله عنه نزلت هذه الآية فينا اذ همت طائفتان منكم أن تفشلا بنى سلمة وبنى حارثة وما أحب انها لم تنزل والله يقول والله وليهما أي الدافع عنهما قال الحافظ ابن حجر أي ان الآية وان كان في ظاهرها عتاب عليهم لكن في آخرها غاية الشرف لهم قال ابن اسحق قوله والله وليهما أي الدافع عنهما ما هما به من الفشل لان ذلك كان من وسوسة الشيطان من غيرهن منهم في دينهم وفي

فقال والله لا أتركك ثم أخذ بخطام البعير وسار معي فكان اذا وصلنا المنزل أناخ بي ثم استأخر فاذا نزلت جاء وأخذ بعيري فحط عنه ثم قيده في الشجرة ثم أتى الى شجرة فاضطجع تحتها فاذا دنا الرواح قام الى بعيري فرحله وقدمه ثم استأخر عني وقال اركبي فاذا ركبت أخذ بخطامه فقادني اه أي وقد قال فقهاؤنا من الصغائر مسافرة المرأة بغير زوج ولا محرم ولا امرأة ثقة في غير الهجرة وفرض الحج والعمرة أما في ذلك فيجوز حيث أمنت الطريق وقولنا لا معهم لا ينافي أن أول من قدم المدينة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير لان قدومه كان معهم على ما تقدم أو يقال أبو سلمة أول من قدم المدينة بوازع طبعه وأما مصعب فكان بارسال منه صلى الله عليه وسلم ثم رأيت في السيرة الهشامية أول من هاجر الى المدينة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني مخزوم أبو سلمة وعليه فلا اشكال ثم جاء عمار وبلال وسعد وفي رواية ثم قدم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسالا بعد العقبة الثانية فنزلوا على الانصار في دورهم فآووهم وواسوهم ثم قدم المدينة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وعياش بن أبي ربيعة في عشرين راكبا وكان هشام بن العاص واعد عمر بن الخطاب أن يهاجر معه وقال تجدني أواجدك عند محل كذا فتفطن بهشام قومه فحبسوه عن الهجرة وعن علي رضي الله تعالى عنه قال ما علمت أحدا من المهاجرين هاجر الا مختفيا الا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فانه لما هم بالهجرة تقلد بسيفه وتنكب قوسه وانتضى في يديه أسهما واختصر عنزته أي وهي الحربة الصغيرة علقها عند خاصرته ومضى قبل الكعبة والملأ من قريش بفنائها فطاف بالبيت سبعا ثم أتى المقام فصلى ركعتين ثم وقف على الحلق واحدة واحدة فقال شاهت الوجوه لا يرغم الله الا هذه المعاطس أي الانوف من أراد ان تثكله أمه أي تفقده أو يتم ولده أو ترمل زوجته فليلقني وراء هذا الوادي قال علي رضي الله تعالى عنه فما تبعه أحد ثم مضى لوجهه ثم ان أبا جهل وأخاه شقيقه الحرث بن هشام رضي الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك يوم الفتح قدما المدينة والنبي صلى الله عليه وسلم بمكة لم يهاجر فكلما عياش بن أبي ربيعة وكان أخاهما لامهما وابن عمهما كان أصغر ولد أمه وأخبراه ان أمه قد نذرت أن لا تغسل رأسها وفي لفظ ولا يمس رأسها مشط ولا تستظل من شمس حتى تراه أي وفي لفظ أن لا تأكل ولا تشرب ولا تدخل مسكا حتى يرجع اليها وقالا له وأنت احب ولد أمك اليها وأنت في دين منه بر الوالدين فارجع الى مكة فاعبد ربك كما تعبده بالمدينة فرقت نفسه وصدقهما أي وأخذ عليهما المواثيق أن لا يغشياه بسوء وقال له عمر ان يريد الا فتنتك عن دينك فاحذرهما والله لو آذى أمك القمل امتشطت ولو اشتد عليها حر مكة لا ستظلت فقال عياش أبر أمي ولي مال هنالك آخذه فقال عمر خذ نصف مالي ولا تذهب معهما فأبى الا ذلك فقال له عمر فحيث صممت فخذ ناقتي هذه فانها نجيبة ذلول فالزم ظهرها فان رابك منهما ريب فاتج عليها فأبى ذلك وخرج راجعا معهما الى مكة فلما خرجا من المدينة كتفاه بتخفيف التاء أي شد يديه الى خلف

الصحيح أيضا عن عبد الله بن زيد رضى الله عنه لما خرج صلى الله عليه وسلم الى غزوة أحد رجع ناس ممن خرج معه وكان أصحابه صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة تقول نقاتلهم وفرقة تقول لا نقاتلهم فنزل فما لكم فى المنافقين فئتين والله اركسهم بما كسبوا أى ردهم الى كفرهم بما كسبوا ثم قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل الشعب من أحد فى غدوة الوادى فى الجبل فجعل ظهره وعسكره الى أحد وصلى الصبح باصحابه صفوفا ثم اصطف المسلمون باصل أحد واصطف ٢٥ المشركون بالسبخة وكان على ميمنة خيل المشركين

بالكتاف فى الطريق أى وفى السيرة الهشامية انه أخذ الناقة وخرج عليها معهما حتى اذا كانوا ببعض الطريق قال له أبو جهل يا أخى والله لقد استغلظت بعيرى هذا أفلا تعقبنى على ناقتك هذه قال بلى قال فاناخ وأناخا ليتحول عليها فلما استووا بالارض عدوا عليه وأوثقاه رباطا ودخلا به مكة نهارا موثقا وقال لاياهل مكة هكذا فافعلوا بسفهائكم كما فعلنا بسفهائنا وفى لفظ بسفيهنا فحبس بمكة مع هشام بن العاص فانه كما تقدم منع وحبس عن الهجرة وجعل كل فى قيد وفى لفظ أنهما الماذكر له ان أمه حلفت أن لا يظلها اسقف بيت حتى تراه وأعطياه موثقا أن لا يمنعاه وأن يخليا سبيله بعد أن تراه أمه فانطلق معهما حتى اذا خرجا من المدينة عمدا اليه فشداه وثاقا وجلداه نحوا من مائة جلدة وكان أعانهما عليه رجل من بنى كنانة أى يقال له الحرث بن يزيد القرشى وفى كلام ابن عبد البر أنه كان ممن يعذبه بمكة مع أبى جهل وفى الينبوع جلده كل واحد منهما مائة جلدة وأنه لما جىء به الى مكة ألقى فى الشمس وحلفت أمه انه لا يحل عنه حتى يرجع عن دينه ففتن قيل وكان سبب نزول قوله تعالى ووصينا الانسان بوالديه الآية وفيه أنه تقدم انها نزلت فى سعد بن أبى وقاص الا أن يقال يجوز أن يكون مما تكرر نزوله فتكون نزلت فيهما وحلف عياش ليقتلن ذلك الرجل ان قدر عليه قيل ولم يزل عياش محبوسا حتى فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فخرج عياش فلقى ذلك الرجل الكنانى وكان قد أسلم وعياش لا يعلم باسلامه فقتله وأعلم النبى صلى الله عليه وسلم بذلك فانزل الله تعالى وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ فقرأها النبى صلى الله عليه وسلم وقال لعياش فم فحرر أى أعتق رقبة وماذكر من أن عياشا استمر محبوسا الى الفتح يخالف قول بعضهم مكث صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة كما سيأتى أربعين صباحا يقنت فى صلاة الصبح بعد الركوع أى من الركعة الاخيرة وكان يقول فى قنوته اللهم أنج الوليد بن الوليد وعياش بن أبى ربيعة وهشام ابن العاص والمستضعفين من المؤمنين بمكة الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فان هذا يدل على ان هشام بن العاص وعياش بن أبى ربيعة لم يفتتنا ولم يرجعا عن الاسلام وفى السيرة الهشامية ما يفيد أنهما فتنا الاول صريحا والثانى ظاهرا وفى السيرة الشامية التصريح بافتتانهما وفيه نظر لما ذكر ولانهما لو كانا فتنا الاطلقا من الحبس والقيد ودامت ذلك الا ان يقال فعل بهما ذلك لعدم الوثوق برجوعهما عن الاسلام ومما يدل على أن رجوعهما عن الاسلام ان صح انما كان ظاهرا فقط دعاؤه صلى الله عليه وسلم لهما أى وسيأتى أن الوليد كان سببا لتخليص عياش بن أبى ربيعة وهشام بن أبى العاص بعد أن تخلص من الحبس وهاجر الى المدينة فان الوليد كان أسر ببدر ثم افتداه أخواه خالد وهشام ابنا الوليد بن المغيرة وذهبا به الى مكة فأسلم وأراد الهجرة فحبساه بمكة وقيل له هلا أسلمت قبل أن تفدى قال كرهت أن يظن فى انى جزعت اليسار ثم نجا وتوصل الى المدينة ورجع الى مكة مستخفيا وخلص عياشا وهشاما وجاء بهما الى المدينة فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وشكر صنيعه وبه يعلم ضعف

خالد بن الوليد رضى الله عنه فانه أسلم بعد ذلك وصار سيفا لله له على المشركين وعلى ميسرتها عكرمة ابن أبى جهل رضى الله عنه فانه أسلم بعد ذلك وعلى المشاة صفوان ابن أمية وقيل عمرو بن العاص رضى الله عنهما فانهما أسلما بعد ذلك وقال النبى صلى الله عليه وسلم للزبير بن العوام استقبل خالد بن الوليد وكن بازائه وأمر جماعة آخرين ان يكونوا بازاء خيل اخرى للمشركين ولم يكن مع المسلمين الا فرس أو فرسان قال الحلبى وما وقع فى الهدى لابن القيم ان الفرسان من المسلمين يوم أحد كانوا خمسين سبق قلم وجعل النبى صلى الله عليه وسلم على الرماة عبد الله ابن جبير بن النعمان الاوسى البدرى المستشهد يوم أحد رضى الله عنه وهو أخو خوات بن جبير رضى الله عنه وكان الرماة خمسين رجلا فاقامهم النبى صلى الله عليه وسلم على جبل صغير مرتفع وقال لهم احموا ظهورنا لا يأتونا من خلفنا وارشقوهم بالنبل فان الخيل لا تقوم على النبل انا لن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم اللهم انى اشهدك عليهم وفى رواية قال لهم ان رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا من مكانكم هذا حتى ارسل اليكم وان رأيتمونا هزمنا القوم وأوطأناهم أى مشينا عليهم وهم قتلى فلا تبرحوا

٤ سيره ثانى حتى ارسل اليكم وفى رواية فان رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا وان رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا اللهم انى اشهدك عليهم ثم عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفا وقال من يأخذ هذا السيف بحقه وكان مكتوبا عليه فى الجبن عار وفى الاقدام مكرمة * والمرء بالجبن لا ينجو من القدر فقام رجال وبسطوا أيديهم كل انسان منهم يقول أنا يا رسول الله منهم أبو بكر وعمر وعلى والزبير رضى الله عنهم فامسكه عنهم ولم يعطه لهم حتى قام اليه أبو دجانة واسمه سماك بن أوس الانصارى رضى الله عنه فقال وما حقه

يارسول الله قال ان تضرب به فى وجه العدو حتى ينحنى قال أنا آخذه يارسول الله قال لعلك ان أعطيتكه تقاتل فى الكيول أى مؤخر الصفوف قال لا يارسول الله فاعطاه اياه وكان رجلا شجاعا يختال عند الحرب فلما رآه صلى الله عليه وسلم يتبختر قال انها لمشية يبغضها الله تعالى الا فى مثل هذا الموطن وليس فى هذه القصة دليل على ان أبا دجانة اشجع من النفر الذين منعهم النبى صلى الله عليه وسلم اعطاء السيف بل هذه خصوصية لابى دجانة واعمل ذلك بوحى من الله تعالى لاظهار شأن الانصار وفضلهم حيث أعطاه لرجل منهم قال الزبير رضى الله عنه لما منعنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطاه أبا دجانة قلت والله لانظرن ما يصنع أبو دجانة فاتبعته فأخذ عصابة له حمراء مكتوبا فى أحد طرفيها نصر من الله وفتح قريب وفى طرفها الآخر الجبانة فى الحرب عار ومن فر لم ينج من النار فعصب بها رأسه فقالت الانصار اخرج عصابة الموت فخرج وهو يقول

أنا الذى عاهدنى خليلى
ونحن بالسفح لدى النخيل
أن لا أقوم الدهر فى الكيول
أضرب بسيف الله والرسول

فجعل لا يلقى احدا من المشركين الا قتله قال أنس فلقى أبو دجانة بالسيف هام المشركين قال الزبير وكان فى المشركين رجل لا يدع لنا جريحا الا ذفف عليه أى قتله فجعل كل واحد منهما يدنو من صاحبه فدعوت الله ان يجمع بينهما فالتقيا فاختلفا ضربتين فضرب المشرك أبا دجانة فاتقاه بدرقته فعضت بسيفه وضربه أبو دجانة فقتله ثم رأيته حمل بالسيف على رأس هند بنت عتبة ثم عدل السيف عنها قال أبو دجانة رأيت انسانا يحمس الناس أى يشجعهم حمسا شديدا فعمدت اليه فلما حملت السيف عليه ولول أى دعا بالويل أى قال ياويلاه فعلمت انه امرأة فاكرمت سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اضرب به امرأة وعن الزبير رضى الله عنه بيعك قال خرج أبو دجانة بعدما أخذ السيف واتبعته فجعل لا يمر بشئ الا افراه وهتكه وفلق به المشركين وكان اذا كل شحذه بالحجارة يضرب به العدو كأنه منجل حتى أتى نسوة فى سفح الجبل ومعهن هند وهى تغنى تحرض المشركين فحمل عليها فنادت يا للصخر فلم يعرض أحد فانصرف عنها فقلت له كل سيفك رأيته فأعجبنى غير انك لم تقتل المرأة قال كرهت ان أضرب بسيف رسول الله صلى الله عليه

ماتقدم من أن عياشا لم يزل محبوسا الى يوم الفتح وممن هاجر قبل النبى صلى الله عليه وسلم سالم مولى أبى حذيفة بن عتبة بن ربيعة أى لانه لما أعتقته زوجة أبى حذيفة وكانت أنصارية تبناه أبو حذيفة وكان يؤم المهاجرين بالمدينة فيهم عمر بن الخطاب لانه كان أكثرهم أخذا للقرآن فكان عمر بن الخطاب يثنى عليه كثيرا حتى قال لما أوصى عند قتله لو كان سالم مولى أبى حذيفة حيا ما جعلتها شورى قال ابن عبد البر معناه انه كان يأخذ برأيه فيمن يوليه الخلافة أى فانه قتل فى يوم اليمامة وأرسل عمر بميراثه لمعتقته فابت أن تقبله فجعله فى بيت المال ولما أراد صهيب الهجرة الى المدينة أى بعد أن هاجر اليها صلى الله عليه وسلم خلا فالما يوهمه كلام الاصل والشامى قال له كفار قريش أتيتنا صعلوكا فقيرا فكثر مالك عندنا ثم تريد أن تخرج بمالك لا والله لا يكون ذلك فقال لهم صهيب أرأيتم ان جعلت لكم مالى أتخلون سبيلى قالوا نعم قال فانى جعلته لكم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ربح صهيب (أقول) وذكر أن صهيبا تواعد معه صلى الله عليه وسلم أن يكون معه فى الهجرة فلما أراد صلى الله عليه وسلم الخروج للغار أرسل اليه أبا بكر مرتين أو ثلاثا فوجده يصلى فكره أن يقطع عليه صلاته كما سيأتى وحينئذ يكون قول صهيب المذكور بعد هجرته صلى الله عليه وسلم الى المدينة كما تقدم وهو ما فى الخصائص الكبرى عن صهيب لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وخرج معه أبو بكر وقد كنت هممت بالخروج معه فصدنى فتيان من قريش أى بعد أن أردت الخروج بعده وقالوا له جئتنا فقيرا حقيرا صعلوكا فكثر مالك عندنا وتريد أن تخرج بمالك ونفسك لا يكون ذلك أبدا قال فقلت لهم أنا أعطيكم أواقى من الذهب وفى لفظ ثلث مالى وفى لفظ مالى وتخلون سبيلى ففعلوا فقلت احفروا تحت أسكفة الباب فان تحتها الاواقى وخرجت حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قباء قبل أن يتحول منها فلما رآنى قال يا أبا يحيى ربح البيع ثلاثا فقلت يارسول الله انه ما سبقنى اليك أحد وما أخبرك الا جبريل عليه السلام أى وأخرج أبو نعيم فى الحلية عن سعيد بن المسيب قال اقبل صهيب مهاجرا نحو النبى صلى الله عليه وسلم وقد أخذ سيفه وكنانته وقوسه فاتبعه نفر من قريش فنزل عن راحلته وانتثل ما فى كنانته ثم قال يا معشر قريش قد علمتم انى من أرماكم رجلا وايم الله لا تصلون الى حتى أرمى بكل سهم فى كنانتى ثم أضرب بسيفى ما بقى فى يدى منه شئ ثم افعلوا ما شئتم وان شئتم دللتكم على مالى بمكة وخليتم سبيلى فقالوا نعم فقال لهم ما تقدم وفى رواية أنهم قالوا له دلنا على مالك ونخلى عنك وعاهدوه على ذلك ففعل وذكر بعض المفسرين أن المشركين أخذوه وعذبوه فقال لهم انى شيخ كبير لا يضركم أمنكم كنت أم من غيركم فهل لكم أن تأخذوا مالى وتذروننى وديننى وتتركوا لى راحلتى ونفقتى ففعلوا ونزل قوله تعالى ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله قال فلما قدمت وجدت النبى صلى الله عليه وسلم وأبا بكر جالسين فلما رآنى أبو بكر قام الى فبشرنى بالآية التى نزلت فى أى وفى رواية فتلقانى أبو بكر وعمر ورجال فقال لى أبو بكر ربح

وسلم امرأة لا ناصر لها وكان أول من أنشب الحرب بينهم أبو عامر الراهب وسماه النبي صلى الله عليه وسلم الفاسق لانه كما تقدم كان في المدينة فلما هاجر صلى الله عليه وسلم اليها حسده وكفر به وخرج الى مكة وكان بعد قريشا انه لو لقي قومه لم يختلف عليه منهم رجلان فخرج من معه مع من خرج من قريش والاحابيش فنادى يا معشر الاوس أنا أبو عامر فقالوا لا انعم الله بك عينا يا فاسق فلما سمع ردهم عليه قال لقد أصاب قومي بعدي شر ثم قاتلهم قتالا شديدا قال ابن سعد ترامو ٢٧ بالحجارة حتى ولى أبو عامر وأصحابه وجعل نساء المشركين يضربن بالدفوف ويحرضن ويذكرنهم قتلى بدر ويقلن

ويها بني عبد الدار

ويها حماة الادبار

ضربا بكل بتار

وويها كلمة اغراء وتحريض كما تقول دونك يا فلان والادبار الاعقاب أي الذين يحمون أعقاب الناس والبتار القاطع ويقلن أيضا نحن بنات طارق * نمشي على النمارق * مشي القطا البوارق * والمسك في المفارق * والدر في المخانق * ان تقبلوا نعانق * ونفرش النمارق * أو تدبروا نفارق * فراق غير وامق * والطارق النجم قيل المراد بنات رجل بلغ غاية العلو وارتفاع القدر كالنجم وكان صلى الله عليه وسلم اذا سمع تحريض النساء وقولهن ذلك يقول اللهم بك أجول وبك أصول وفيك أقاتل حسبي الله ونعم الوكيل وعند اصطفاف القوم نادى أبو سفيان رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك يا معشر الاوس والخزرج خلوا بيننا وبين بني عمنا ونصرف عنكم فشتموه أقبح شتم ولعنوه أشد اللعن * وخرج رجل من المشركين على بعير له فدعا للبراز فأحجم عنه الناس حتى دعا ثلاثا فقام اليه الزبير رضي الله عنه فوثب حتى استوى معه على البعير ثم عانقه فاقتتلا فوق البعير فقال النبي صلى الله عليه وسلم الذي يلي حضيض الارض مقتول فوقع المشرك فوقع عليه الزبير رضي الله عنه فذبحه فأثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لكل نبي حواري وان حواري الزبير وقال صلى الله عليه وسلم لو لم يبرز له الزبير لبرزت له لما رأى من احجام الناس عنه * وخرج رجل من المشركين بين الصفين وهو طلحة بن أبي طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار وكان بيده لواء المشركين فطلب المبارزة مرارا فلم يخرج اليه أحد

بيعك أيا يحيى فقلت وبيعك هلا تخبرني ماذا نزل الله فيك كذا وقرأ علي الآية وفي تفسير سهل بن عبد الله التستري أن صهيبا كان من المشتاقين لم يكن له قرار كان لا ينام لا بالليل ولا بالنهار وقد حكي ان امرأة اشترته فرأته كذلك فقالت لا أرضى لك حتى تنام بالليل لانك تضعف فلا يتهيأ لك الاشتغال بأعمالي فبكى وقال ان صهيبا اذا ذكر النار طار نومه واذا ذكر الجنة جاء شوقه واذا ذكر الله طال شوقه أي وليتأمل هذا مع ما في تاريخ ابن كثير ان الروم أغارت على بلاد صهيب وكانت على دجلة وقيل على الفرات فأسرته وهو صغير ثم اشتراه منهم بنو كلب فحملوه الى مكة فابتاعه عبد الله بن جدعان فأعتقه وأقام بمكة حينا فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلم وكان اسلامه واسلام عمار بن ياسر في يوم واحد وقد يقال يجوز أن تكون تلك المرأة التي اشترته كانت من بني كلب وعن صهيب رضي الله تعالى عنه صحبت النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يوحى اليه وانه قال له عمر رضي الله تعالى عنه يا صهيب اكتنيت وليس لك ولد فقال كناني رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي يحيى فهو من جملة من كناه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ولد له وكان في لسانه عجمة شديدة وكان فيه دعابة رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل تمرا وهو أرمد احدى عينيه فقال له تأكل رطبا وأنت أرمد فقال انما آكل من ناحية عيني الصحيحة ففحك صلى الله عليه وسلم وفي المعجم الكبير للطبراني عن صهيب قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يديه تمر وخبز فقال ادن فكل فاخذت آكل من التمر فقال لي أتأكل التمر وعينك رمدة فقلت يا رسول الله أمضه من الناحية الاخرى فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم أي ولا مانع من التعدد ولما أذن صلى الله عليه وسلم لاصحابه في الهجرة وهاجر واستمكث صلى الله عليه وسلم بعد أصحابه ينتظر أن يؤذن له في الهجرة ولم يتخلف معه الا علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وأبو بكر أي وصهيب كما علمت ومن كان محبوسا أو مريضا أو عاجزا عن الخروج وكان أبو بكر رضي الله تعالى عنه كثيرا ما يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة فيقول له لا تعجل لعل الله أن يجعل لك صاحبا فيطمع أبو بكر أن يكون هو وفي رواية تجهز أبو بكر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم على رسلك فاني أرجو أن يؤذن لي فقال له أبو بكر هل ترجو ذلك بأبي أنت وامي قال نعم فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصحبه وعلف راحلتين عنده الخبط أي وفي لفظ ورق السمر بفتح المهملة وضم الميم قال الزهري وهو الخبط قال ابن فارس والخبط ما يخبط بالعصا فيسقط من ورق الشجر وكان مدة علفها أربعة أشهر وكان اشتراهما بثمانمائة درهم ﴿أقول﴾ ظاهر هذا السياق أن علفه للراحلتين كان بعد قول المصطفى صلى الله عليه وسلم له ما ذكر ومعلوم أن ذلك بعد مبايعة الانصار له صلى الله عليه وسلم والمدة بين مبايعة الانصار له صلى الله عليه وسلم والهجرة كانت ثلاثة أشهر أو قريبا منها لانها كانت في ذي الحجة ومهاجرته صلى الله عليه وسلم كانت في ربيع الاول وفي السيرة الشامية ما يصرح بان علفه للراحلتين كان بعد

فقال يا أصحاب محمد زعم ان الله يجعلنا بسيوفكم الى النار ويجعلكم بسيوفنا الى الجنة فهل أحد منكم يجعلني بسيفه الى النار أو أعجله بسيفي الى الجنة كذبتم واللات والعزى لو تعلمون ذلك حقا لخرج الى بعضكم فخرج اليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه فاختلفا ضربتين وفي رواية فالتقيا بين الصفين فبدر علي رضي الله عنه فضربه فقطع رجله ووقع على الارض وبدت عورته فقال يا ابن عم أنشدك الله والرحم فرجع عنه ولم يجهز عليه ٣٨ فقال له بعض أصحابه أفلا اجهزت عليه فقال انه استقبلني بعورته فعطفني عليه السؤال بالرحم وعرفت ان الله قد قتله وفي رواية قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منعك أن تجهز عليه فقال ناشدني الله والرحم فقال اقتله فرجع اليه فقتله فاخذ لواء المشركين أخو طلحة وهو عثمان بن أبي طلحة وعثمان هذا هو أبو شيبة الذي تنسب اليه الشيبيون فيقال لهم بنو شيبة فحمل عليه حمزة رضي الله عنه فقطع يده وكتفه حتى انتهى الى مؤتزره فرجع حمزة رضي الله عنه وهو يقول أنا ابن ساقي الحجيج يعني عبد المطلب فأخذه أخو عثمان وأخو طلحة وهو أبو سعيد بن أبي طلحة فرماه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه فاصاب حنجرته فقتله فحمله مسافع بن طلحة بن أبي طلحة فرماه عاصم بن ثابت بن أبي الافلح فقتله ثم حمله أخو مسافع وهو الحرث بن طلحة فرماه عاصم أيضا فقتله وكانت أمهما معهما واسمها سلافة فكان كل واحد منهما بعد ان رماه عاصم يأتي أمه ويضع رأسه في حجرها فتقول له يا بني من أصابك فيقول سمعت رجلا حين رمى يقول خذها وأنا ابن أبي الافلح فنذرت ان أمكنها الله من رأس عاصم ان تشرب الخمر فيه وجعلت لمن جاء برأس عاصم مائة من الابل فحمل اللواء أخو مسافع وأخو الحرث وهو كلاب بن طلحة فقتله الزبير رضي الله عنه فحمله أخوهم وهو جلاس بن طلحة فقتله طلحة بن عبيد الله فكل من مسافع والحرث وكلاب وجلاس الاربعة اولاد طلحة بن أبي طلحة وكلهم قتلوا كآبيهم وعمهم وهما عثمان وأبو سعيد وعند ذلك حمله أرطاة بن شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي وهو ابن عم مصعب بن عمير بن هاشم فقتله علي رضي الله عنه وقيل حمزة رضي الله عنه ثم حمله أبو زيد بن عمرو بن عبد مناف بن هاشم بن عبد الدار فقتله قزمان فحمله ولد لشرحبيل بن هاشم فقتله

قول المصطفى صلى الله عليه وسلم له ماذكر ففيها أنه صلى الله عليه وسلم لما قال لابي بكر وقد استأذنه في الهجرة لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحبا طمع بان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما يعني نفسه فابتاع راحلتين فحبسهما في داره يعلفهما اعدادا لذلك وسيأتي عن الحافظ ابن حجر أن بين ابتداء هجرة الصحابة وبين هجرته صلى الله عليه وسلم شهرين ونصف شهر على التحرير والله أعلم فلما رأت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صار له شيعة أي أنصار وأصحاب من غيرهم ورأوا خروج أصحابه اليهم وانهم أصابوا منعة لان الانصار قوم أهل حلقة أي سلاح وبأس حذروا أي خافوا أن يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن يجمع على حربهم فاجتمعوا في دار الندوة يتشاورون فيما يصنعون في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت محل مشورتهم لا يقطعون أمرا الا فيها أي وهي أول دار بنيت بمكة كانت منزل قصي بن كلاب كما تقدم ثم صارت لولده عبد الدار ثم ابتاعها معاوية لما حج وهو خليفة من أولاد عبد الدار وتقدم ان معاوية انما اشتراها من حكيم بن حزام ويدل لذلك ما جاء عن مصعب بن عبد الله قال جاء الاسلام ودار الندوة بيد حكيم بن حزام فباعها من معاوية بن أبي سفيان بمائة ألف درهم فقال له عبد الله بن الزبير بعت مكرمة قريش فقال له حكيم ذهبت المكارم الا التقوى يا ابن أخي الى آخر ما تقدم وكانت دار الندوة جهة الحجر عند المقام الحنفي الآن وكان لها باب للمسجد وكان لا يدخلها عند المشورة من غير ولد قصي الا ابن أربعين سنة وفي كلام بعضهم

* ساد أبو جهل وما طر شاربه * ودخل دار الندوة وما استدارت لحيته وقد أدخلت في المسجد قيل لها دار الندوة لاجتماع الندي وهو الجماعة فيها وكان ذلك اليوم يسمى يوم الرحمة لانه اجتمع فيه أشراف بني عبد شمس وبني نوفل وبني عبد الدار وبني أسد وبني مخزوم وبني سهم وبني جمح وغيرهم مما لا يعد من قريش ولم يتخلف من أهل الرأي والحجى أحد ثم ان ابليس جاء اليهم في صورة شيخ نجدي عليه طيلسان من خز وقيل من صوف أي وانما فعل ذلك ليقبل منه ما يشير به لان أهل الطيالسة في العادة من أهل الوقار والمعرفة ووقف ذلك الشيخ على الباب فقالوا له من الشيخ قال شيخ من أهل نجد سمع بالذي اجتمعتم له فحضر معكم ليسمع ما تقولون وعسى أن لا يعدم منه رأيا ونصحا قالوا أجل أي نعم فادخل فدخل معهم أي وانما قال لهم من أهل نجد لان قريشا قالوا لا يدخلن معكم في المشاورة أحد من أهل تهامة لان هواهم كان مع محمد صلى الله عليه وسلم * قيل لما سمعهم يقولون لا يدخل معكم اليوم الا من هو معكم قال لهم لما سألوه وقالوا له من أنت قال شيخ من نجد وأنا ابن أختكم فقالوا ابن أختنا القوم منهم وقيل ان ابليس لما دخل عليهم أنكروه وقالوا له من أنت وما أدخلك علينا في خلوتنا هذه بغير اذننا فقال اني رجل من أهل نجد رأيتكم حسنة وجوهكم طيبة ريحكم فأحببت أن أجلس اليكم وأسمع كلامكم فان كرهتم ذلك خرجت عنكم فقال بعضهم لبعض هذا نجدي ولا عين عليكم منه وفي لفظ هذا من أهل نجد لا من مكة فلا يضركم حضوره معكم

وعند المشورة قال بعضهم لبعض ان هذا الرجل يعنى النبى صلى الله عليه وسلم قد كان من أمره ما قد رأيتم وانا والله لانا منه على الوثوب علينا بمن قد اتبعه من غيرنا فأجمعوا فيه رأيا فتشاوروا فقال قائل أى وهو أبو البخترى بن هشام أحبسوه فى الحديد وأغلقوا عليه بابا ثم تربصوا به ما أصاب اشباهه من الشعراء حتى يصيبه ما أصابهم من هذا الموت فقال الشيخ النجدى لا والله ما هذا لكم برأى والله لو حبستموه كما تقولون ليخرجن أمره من وراء الباب الذى أغلقتم دونه الى أصحابه فلا تشكوا أن يثبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم ثم يكاثروكم حتى يغلبوكم على أمركم ما هذا برأى فانظروا رأيا غيره فتشاوروا فقال قائل منهم أى وهو الاسود بن ربيعة بن عمير نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا فاذا خرج عنا فوالله ما نبالى أين يذهب فقال الشيخ النجدى والله ما هذا برأى ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما يأتى الله به والله لو فعلتم ذلك ما امنتم أن يحل بفتح أوله وضم الحاء المهملة أى ينزل ويجوز أن يكون بكسرها أى يسقط على حى من العرب فيغلب بذلك عليهم من قوله وحديثه حتى يبايعوه ثم يسير به اليكم حتى يطأكم بهم فيأخذوا أمركم من أيديكم ثم يفعل بكم ما أراد دبروا فيه رأيا غير هذا فقال أبو جهل بن هشام والله ان لى فيه لرأيا ما أراكم وقعتم عليه بعد قالوا وما هو يا أبا الحكم قال الرأى أن تأخذوا من كل قبيلة شابا جلدا أى قويا حسيبا فى قومه نسيبا وسطا ثم يعطى كل فتى منهم سيفا صارما ثم يغدون اليه فيضربونه ضربة رجل واحد فيقتلونه فنستريح منه فانهم اذا فعلوا ذلك تفرق دمه فى القبائل جميعا فلم تقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا فيرضوا منا بالعقل أى الدية فعقلنا لهم فقال النجدى القول ما قال هذا الرجل هذا هو الرأى ولا أرى غيره فتفرق القوم على ذلك فأتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تبت هذه الليلة فى فراشك الذى كنت تبيت عليه أى وأخبره بمكرهم وأنزل الله عز وجل عليه واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك الآية فلما كانت عتمة من الليل أى الثلث الاول من الليل اجتمعوا على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرصدونه حتى ينام فيثبوا عليه أى وكانوا مائة (أقول) فى الدر المنثور أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن عبيد بن عمير لما ائتمروا بالنبى صلى الله عليه وسلم ليثبتوه أو يقتلوه أو يخرجوه قال له أبو طالب هل تدرى ما ائتمروا بك قال يريدون أن يحبسونى أو يقتلونى أو يخرجونى قال من حدثك بهذا قال ربى قال نعم الرب ربك فاستوص به خيرا قال أنا استوصى به بل هو يستوصى بى هذا كلامه ولم يتعقبه بان هذا كان بعد موت أبى طالب قال وكان ائتمارهم يوم السبت فقد سئل صلى الله عليه وسلم عن يوم السبت فقال يوم مكر وخديعة قالوا ولم يا رسول الله قال ان قريشا أرادوا ان يمكروا فيه بى أى أرادوا فيه المكر فانزل الله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا * وفى سيرة الحافظ الدمياطى فاجتمع أولئك القوم من قريش يتطلعون من صير الباب أى شقه ويرصدونه يريدون بياته أى يوقعون به الامر ليلا ويأتمرون أيهم يحمل على المضطجع وفيه ان ائتمارهم

فزمان أيضا ثم حمله صواب غلامهم وكان عبدا حبشيا فقتله على وقيل سعد بن أبى وقاص رضى الله عنهما ثم لم يزل اللواء طريحا حتى أخذته عمرة بنت علقمة الحارثية ولا يعرف لها اسلام فرفعته لقريش فلاثوا به أى استداروا حوله وقد كان أبو سفيان قبل القتال قال لاصحاب اللواء أى لواء المشركين من بنى عبد الدار يحرضهم على القتال يا بنى عبد الدار انكم قد تركتم لواءنا يوم بدر فاصابنا ما قد رأيتم وانما يؤتى الناس من قبل راياتهم اذا زالت زالوا فاما أن تكفونا لواءنا واما أن تخلوا بيننا وبينه فنكفيكموه فهموا به وتواعدوه وقالوا نحن نسلم اليك لواءنا ستعلم غدا اذا التقينا كيف نصنع وذلك الذى أراد أبو سفيان ولما صرع صاحب لواء المشركين الذى هو طلحة بن أبى طلحة استبشر النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه أى لانه كبش الكتيبة أى الجيش أى حاميهم الذى رأى صلى الله عليه وسلم انه مردفه فى رؤياه المتقدمة ثم قال أولت ذلك انى أقتل صاحب الكتيبة فهذا كبش الكتيبة وعند وجود ما ذكر من قتل أصحاب اللواء صاروا كتائب متفرقة فجاش المسلمون فيهم ضربا حتى أجهضوهم وأزالوهم عن أمكنتهم وكان شعار المسلمين يومئذ امت امت وهو أمر بالموت والمراد التفاؤل بالنصر وجعلوا هذه الكلمة يتعارفون بها مع حصول التفاؤل بها وشعار الكفار يا للعزى وهى شجرة كانوا يعبدونها يا لهبل وهو صنم كان داخل الكعبة وقيل خارجها بجانب الباب وخرج عبد الرحمن ابن أبى بكر رضى الله عنهما فانه أسلم بعد ذلك فقال من يبارز فنهض اليه أبو بكر رضى الله عنه شاهرا سيفه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم شم سيفك وارجع الى مكانك ومتعنا بنفسك وتقدم طلب عبد الرحمن المبارزة أيضا يوم بدر وقد وقع للصديق رضى الله عنه أن العرب لما ارتدت بعد موته صلى الله عليه وسلم خرج مع الجيش لقتال أهل الردة شاهرا سيفه فأخذ على كرم الله وجهه بزمام راحلته وقال الى أين يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أقول لك كما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد شم سيفك ولا تفجعنا بنفسك وارجع الى المدينة فوالله لئن فجعنا بك لا يكون للاسلام نظام أبدا فرجع وأمضى الجيش وعلى رضى الله عنه مع الجيش وفى أول الامر يوم أحد حملت خيل المشركين على المسلمين ثلاثا والمسلمون ينضحونهم بالنبل فترجع

متفرقة منهزمة وحمل المسلمون على المشركين فهكموهم أى أضعفوهم قتلا ولما حميت الحرب قامت هند فى النسوة اللاتى معها وأخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال ويقلن ويها بنى عبد الدار الخ الابيات المتقدمة ثم أنزل الله نصره على المسلمين فساروا يحسونهم الكفار حسا أى يقتلونهم قتلا كما قال تعالى ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى كشفوهم وانهزموا فولى الكفار لا يلوون على شئ ونساؤهم يدعون الويل ٣٠ قال الزبير والله لقد رأيتنى أنظر الى خدم هند بنت عتبة أى ما فى ساقها من الحلى

هى وصواحبها مشمرات هوارب وتبعهم المسلمون حتى أجهضوهم ووقعوا ينتهبون المعسكر ويأخذون ما فيه من الغنائم واشتغلوا عن الحرب فقال أصحاب عبد الله بن جبير وهم الرماة الذين أمرهم النبى صلى الله عليه وسلم بالبقاء بمكانهم الغنيمة أى قوم قد غلب أصحابكم فما تنتظرون فقال لهم عبد الله بن جبير أنسيتم ما قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى قوله لا تبرحوا فأبوا أن يطيعوه وقالوا والله لنأتين الناس ولنصيبن من الغنيمة فان المشركين قد انهزموا فما مقامنا ههنا فلما أتوهم متوجهين الى محل الغنيمة كر المشركون راجعين فرجعوا منهزمين عقوبة لهم لمخالفتهم قوله صلى الله عليه وسلم وتظر خالد بن الوليد الى خلاء الجبل الذى كان فيه الرماة وقلة أهله فكر بالخيل وتبعه عكرمة بن أبى جهل فحملوا على من بقى من الرماة وهم دون العشرة فقتلوهم وقتلوا أميرهم عبد الله بن جبير رضى الله عنه ووقعت الهزيمة فى المسلمين قال الحافظ ابن حجر وفيه شؤم ارتكاب النهى وانه يعم ضرره من لم يقع منه كما قال تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ولذا قال تعالى ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم فى الامر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين اذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم فى أخراكم فأثابكم غما بغم أى أصابتكم الهزيمة التى أغمتكم بسبب ادخالكم الغم على النبى صلى الله عليه وسلم فى مخالفة أمره ومع ذلك فقد أخبر الله فى كتابه بأنه عفا عنهم بقوله ولقد عفا عنكم وصرخ ابليس لعنه الله أى عباد الله يعنى المسلمين أخراكم

فى ذلك لا يناسب ما اجتمع رأيهم عليه من أنهم يجتمعون على قتله ليتفرق دمه فى القبائل ثم رأيت بعضهم قال وأحد قوا بابه صلى الله عليه وسلم وعليهم السلاح يرصدون طلوع الفجر ليقتلوه ظاهرا فيذهب دمه لمشاهدة بنى هاشم قاتله من جميع القبائل فلا يتم لهم أخذ ثاره وهو المناسب لما ذكروا الله أعلم فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانهم أى علم ما يكون منهم قال لعلى بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه نم على فراشى والتحف بردائى هذا الحضرمى وقد كان يشهد فيه العيدين وقد كان طوله أربعة أذرع وعرضه ذراعان وشبر وهل كان أخضر أو أحمر يدل للثانى قول جابر كان يلبس رداء أحمر فى العيدين والجمعة ثم رأيت فى بعض الروايات انه كان أخضر فلينظر الجمع وفى سيرة الدمياطى وارتد بردائى هذا الاحمر والحضرمى منسوب الى حضرموت التى هى البلدة أو القبيلة باليمن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتسجى بذلك البرد عند نومه فانه لن يخلص اليك شئ تكرهه منهم (أقول) وأما ما روى ان الله تعالى أوحى الى جبريل وميكائيل انى قد آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة فاختار كلاهما الحياة فاوحى الله اليهما الا كنتما مثل على بن أبى طالب آخيت بينه وبين محمد صلى الله عليه وسلم فبات على فراشه ليفديه بنفسه ويؤثره بالحياة اهبطا الى الارض فاحفظاه من عدوه فنزلا فكان جبريل عند رأسه وميكائيل عند رجليه فقال جبريل بخ بخ من مثلك يا ابن أبى طالب باهى الله بك الملائكة وأنزل الله عز وجل ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله قال فيه الامام ابن تيمية انه كذب باتفاق أهل العلم بالحديث والسير وأيضا قد حصلت له الطمأنينة بقول الصادق له لن يخلص اليك شئ تكرهه منهم فلم يكن فيه فداء بالنفس ولا ايثار بالحياة والآية المذكورة فى سورة البقرة وهى مدنية باتفاق وقد قيل انها نزلت فى صهيب رضى الله تعالى عنه لما هاجر أى كما تقدم لكنه فى الامتاع لم يذكر أنه صلى الله عليه وسلم قال لعلى ما ذكر وعليه فيكون فداؤه للنبى صلى الله عليه وسلم بنفسه واضحا ولا مانع من تكرر نزول الآية فى حق على وفى حق صهيب وحينئذ يكون شرى فى حق على رضى الله تعالى عنه بمعنى باع أى باع نفسه بحياة المصطفى صلى الله عليه وسلم وفى حق صهيب بمعنى اشترى أى اشترى نفسه بماله ونزول هذه الآية بمكة لا يخرج سورة البقرة عن كونها مدنية لان الحكم يكون للغالب وفى السبعيات انه صلى الله عليه وسلم نظر الى أصحابه وقال أيكم يبيت على فراشى وأنا أضمن له الجنة فقال على أنا أبيت وأجعل نفسى فداءك هذا كلامه ولعله لا يصح ثم رأيت فى الامتاع ما يدل لعدم الصحة وهو قال ابن اسحق ولم يعلم فيما بلغنى بخبر وجه صلى الله عليه وسلم حين خرج الا على وأبو بكر الصديق فليتأمل والله تعالى أعلم وكان فى القوم الحكم بن أبى العاص وعقبة بن أبى معيط والنضر بن الحرث وامية بن خلف وزمعة بن الاسود وأبو لهب وأبو جهل فقال وهم على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان محمدا يزعم انكم ان تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم ثم بعثتم بعد موتكم فجعلت لكم جنان كجنان

أى احترزوا من جهة أخراكم وهى كلمة تقال لمن يخشى أن يؤتى عند القتال من ورائه فرجعت أولاهم فاقتتلت مع أخراهم واختلط العسكران فلم يتميزوا لشدة مادهشهم لكنه عليه الصلاة والسلام لم يفارق مكانه الذى وصل اليه وقت انهزام المشركين ولم تزل قدمه شبرا واحدا عن موقفه كما فى شرح الزرقانى وعند الاختلاط صار والا يعرفون المسلم من الكافر وترك المسلمون شعارهم الذى يتعارفون به وهو أمت أمت فوقع القتل فى المسلمين بعضهم فى بعض فكان ممن قتلوه ٣١ خطأ اليمان والد حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما فقال ابنه غفر الله لكم وترك ديته وأحاط المشركون بالمسلمين وصاروا ينادون بشعارهم باللعزى بالهبل ووضعوا السيوف فى المسلمين وهم آمنون وتفرقت المسلمون من كل وجه وتركوا ما انتهبوا وقاتل حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه ذلك اليوم قتالا شديدا حتى بلغ الذين قتلهم أحدا وثلاثين رجلا كلهم من شجعانهم وكان رضى الله عنه يقاتل بسيفين بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول انا أسد الله وخرج سباع بكسر السين وتخفيف الباء ابن عبد العزى الخزاعى فقال هل من مبارز فبرز له حمزة رضى الله عنه وقال هلم يا ابن مقطعة البظور أى لان أمه أم أنمار مولاة شريق والد الاخنس كانت ختانة بمكة ثم قال حمزة رضى الله عنه أتحاد الله ورسوله أى تحاربهما وتعاندهما ثم شد عليه حمزة رضى الله عنه فضربه ضربة قتله بها فكان كأمس الذاهب وكان ذلك آخر قتيل قتله حمزة رضى الله عنه واكب حمزة عليه ليأخذ درعه قال وحشى غلام جبير بن مطعم انى لانظر الى حمزة يهد الناس بسيفه وقد عثر حمزة رضى الله عنه فانكشف الدرع عن بطنه فهززت حربتى حتى اذا رضيت منها دفعتها اليه فوقعت فى ثنته بالمثلثة وهو موضع تحت السرة وفوق العانة فاقبل نحوى ثم وقع فأمهلته حتى مات فجئته فأخذت حربتى ثم تنحيت الى العسكر ولم يكن لى فى شئ حاجة غيره لما تقدم ان حمزة رضى الله عنه قتل طعيمة بن عدى يوم بدر فقالت بنة طعيمة لوحشى ان قتلت محمدا أو حمزة أو عليا فى أبى فانت عتيق وفى رواية قال لى مولاى جبير بن مطعم ان قتلت حمزة بعمى فأنت حر ولا مخالفة لاحتمال ان كلا من ابنة طعيمة وجبير قالا له ذلك وجاء فى بعض الروايات عن وحشى رضى الله عنه فانه أسلم بعد ذلك قال

الاردن أى بضم الهمزة وتشديد النون وهو محل بأرض الشام بقرب بيت المقدس وان لم تفعلوا كان فيكم ذبح ثم بعثتم من بعد موتكم فجعلت لكم نار تحترقون فيها وسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج عليهم وهو يقول نعم أنا أقول ذلك وأخذ حفنة من تراب وتلا قوله تعالى يس والقرآن الحكيم الى قوله فاغشيناهم فهم لا يبصرون فأخذ الله تعالى على أبصارهم عنه فلم يروه وفى مسند الحرث بن أبى اسامة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه ذكر فى فضل يس انها ان قرأها خائف أمن أو جائع شبع أو عار كسى أو عاطش سقى أو سقيم شفى وعند خروجه صلى الله عليه وسلم جعل ينثر التراب على رؤسهم فلم يبق رجل الا وضع على رأسه ترابا ثم انصرف الى حيث أراد فأتاهم آت فقال ما تنتظرون ههنا قالوا محمدا فقال قد خيبكم الله والله خرج عليكم محمد ثم ما ترك منكم رجلا الا وضع على رأسه ترابا وانطلق لحاجته أفما ترون ما بكم قال فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فاذا عليه تراب قال فى النور وهذا يعارضه حديث مارية خادم النبى صلى الله عليه وسلم تكنى أم الرباب انها طأطأت لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد حائطا ليلة فرمن المشركين وينبغى ان يوفق بينهما ان صحا والا فالعبرة بالصحيح منهما هذا كلامه (أقول) التوفيق حاصل وهو انه يجوز أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم لم يحب ان يخرج عليهم من الباب فتسور الحائط التى نزل منها عليهم والله أعلم أى وكان ذهابه صلى الله عليه وسلم فى تلك الليلة الى بيت أبى بكر رضى الله عنه فكان فيه الى الليل أى الى الليلة المقبلة ثم خرج هو وأبو بكر رضى الله عنه ثم مضيا الى جبل ثور كذا فى سيرة الدمياطى ثم أى بعد اخبارهم بخروجه صلى الله عليه وسلم ووضعه التراب على رؤسهم جعلوا يطلعون فيرون عليا نائما على الفراش فيحبى ببرد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون والله ان هذا محمد نائما عليه برده فلم يزالوا كذلك أى يريدون أن يوقعوا به الفعل والله مانع لهم من ذلك حتى أصبحوا واتضح النهار فقام على رضى الله تعالى عنه عن الفراش فقالوا والله لقد صدقنا الذى كان حدثنا أى ولما قام على رضى الله تعالى عنه سألوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا علم لى به وفى رواية فلما أصبحوا ثاروا اليه يحسبونه النبى صلى الله عليه وسلم فلما رأوا عليا رضى الله تعالى عنه رد الله تعالى مكرهم فقالوا أين صاحبك قال لا أدرى فأنزل الله تعالى قوله أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون وأنزل الله عز وجل واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين كذا فى الاصل تبعا لابن اسحق ولا يخفى ان الآية الثانية موفية بما ذكروه من المشاورة قال والمانع من اقتحام الجدار عليه فى الدار مع قصر الجدار وقد جاؤا لقتله انهم هموا بذلك فصاحت امرأة من الدار فقال بعضهم لبعض انها السبة فى العرب أن يتحدث عنا أنا تسورنا الحيطان على بنات العم وهتكنا ستر حرمنا انتهى (أقول) لا يخفى ان هذا لا يناسب ما قدمناه عن بعضهم انهم انما أرادوا قتله صلى الله عليه وسلم عند طلوع الفجر ليظهروا لبنى هاشم قاتلوه فلا يثبوا عليه لئلا يتسور الجدار الا أن يقال ارادة ذلك

وخرجت ما أريد ان أقتل ولا اقاتل الا حمزة وكان وحشي يقذف بالحربة قذف الحبشة قلما يخطئ ثم أسلم بعد ذلك وقتل بتلك الحربة مسيلمة الكذاب وكان يقول ارجو ان هذه تكفر قتلك وهذا لا ينافي ما ورد ان الذي قتل مسيلمة عبد الله بن زيد بن عاصم الانصاري أو أبو دجانة رضي الله عنهم لاحتمال أن يكون وحشي ضربه بحربته وهما أجهزا عليه فيكونوا مشتركين في قتله لعنه الله وكان عمر مسيلمة حين قتل مائة وخمسين سنة وكان ٣٢ مصعب بن عمير رضي الله عنه يقاتل يوم أحد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم

وكان حامل اللواء فقاتل قتالا شديدا حتى قتل فأخذ اللواء ملك في صورته وفي رواية لما قتل اعطى النبي صلى الله عليه وسلم الراية عليا رضي الله عنه فلعل الملك حمل اللواء عنه قبل ظهور رميته لهم وشيوعه فيهم فلما ظهر وشاع اعطى النبي صلى الله عليه وسلم الراية لعلي رضي الله عنه وكان الذي قتله عبد الله بن قمئة بكسر الميم لعنه الله وهو يظنه رسول الله صلى الله عليه وسلم لان مصعبا رضي الله عنه كان اذا لبس لأمته يشبه النبي صلى الله عليه وسلم فصاح ابن قمئة لظنه الخائب ان محمدا قد قتل روى ابن سعد ان مصعبا رضي الله عنه حمل اللواء يوم أحد فقطعت يده اليمنى فأخذه بيده اليسرى وهو يقول وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية ثم قطعت يده اليسرى فحنى على اللواء أي اكب عليه وضمه بعضديه الى صدره وهو يقول وما محمد الا رسول الآية قال محمد ابن شرحبيل وما نزلت هذه الآية يومئذ بل أنطقه الله بها سامع قول القائل قد قتل محمد وقيل ان الصارخ الذي قال قتل محمد ليس هو ابن قمئة بل ابليس لعنه الله وانه تصور في صورة جعال بن سراقة الضمري وكان رجلا صالحا ممن أسلم قديما ورجع المسلمون يقتل بعضهم بعضا وهم لا يشعرون واستمروا الى قرب المدينة وتفرق سائرهم ووقع فيهم القتل وسلم

قال الحافظ ابن حجر انهم صاروا ثلاث فرق فرقة استمروا في الهزيمة الى قرب المدينة فما رجعوا حتى انفض القتال وهم قليل وهم الذين نزل فيهم ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم وفرقة صاروا حيارى لما سمعوا أن النبي صلى الله عليه وسلم قد قتل فصارت غاية الواحد منهم أن يذب عن نفسه أو يستمر على بصيرته في القتال الى أن يقتل

منهم كانت عند طلوع الفجر ووجود الاسباب المانعة لهم من الوثوب عليه لا ينافي ان المانع لهم عن الوثوب عليه الذي جاؤا بصدده وهم مائة رجل من صناديد قريش انما هي حماية الله تعالى الموجبة لخذلانهم واظهار عجزهم وفي ذلك تصديق لرسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال لعلي لا يخلص اليك شيء تكرهه منهم على ما تقدم والمراد بقول بعضهم كان المشركون يرمون عليا يظنون أنه النبي صلى الله عليه وسلم يرمونه بأبصارهم لا بنحو حجارة أو نبل كما لا يخفى فان قيل هلا نام صلى الله عليه وسلم على فراشه قلنا لو فعل ذلك لفات اذلالهم بوضع التراب على رؤسهم واظهار حماية الله تعالى له بخروجه عليهم ولم يبصره أحد منهم وفي رواية انهم تسوروا عليه صلى الله عليه وسلم ودخلوا شاهرين سيوفهم فثار علي في وجوههم فعرفوه فقالوا هو أنت أين صاحبك فقال لا أدري وهذا مخالف لما تقدم فلينظر الجمع بناء على صحة هذا وفي لفظ أمروه بالخروج فضربوه وادخلوه المسجد وحبس به ساعة ثم خلوا عنه والله أعلم ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن له في الهجرة الى المدينة أي وأنزل الله تعالى عليه وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا قال زيد بن أسلم جعل الله عز وجل مدخل صدق المدينة ومخرج صدق مكة وسلطانا نصيرا الانصار ويعارضه ما جاء أن عند رجوعه صلى الله عليه وسلم من تبوك الى المدينة قال له جبريل سل ربك فان لكل نبي مسئلة فقال ما تأمرني ان أسأله قال قل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا فأنزل الله تعالى عليه ذلك في رجعته من تبوك بعد ما ختمت السورة أي الا ان يدعى تكرار النزول وعند الاذن له صلى الله عليه وسلم في الهجرة قال لجبريل من يهاجر معي قال جبريل أبو بكر الصديق أي ومن الغريب قول بعضهم ومن ذلك اليوم سماه الله تعالى صديقا فقد تقدم ان تسميته بذلك كان عند تصديقه له صلى الله عليه وسلم عند اخباره بالاسراء وعن صفة بيت المقدس ومن الغريب أيضا ما في السبعيات ان النبي صلى الله عليه وسلم تشاور مع أصحابه فقال ايكم يوافق معي ويرافقني فقد أمرني الله تعالى بالخروج من مكة الى المدينة فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه أنا يا رسول الله ويرده ما في السير انه صلى الله عليه وسلم أتى أبا بكر ذات يوم ظهرا فناداه فقال أخرج من عندك فقال يا رسول الله انما هما ابنتاي أي يعني عائشة وأسماء رضي الله تعالى عنهما قال شعرت أي علمت انه قد أذن لي في الهجرة فقال يا رسول الله الصحبة اي أسألك الصحبة فقال أي رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحبة أي لك الصحبة عندي فانطلقا أي ليلا كما تقدم عن سيرة الدمياطي لكن تقدم عنها انه دخل بيت أبي بكر في ليلة خروجه من على فراشه وانه مكث بين أبي بكر الى الليلة القابلة التي كان فيها خروجه صلى الله عليه وسلم الى جبل ثور فيحتاج الى الجمع وقد يقال ان مجيئه صلى الله عليه وسلم ظهرا كان قبل تلك الليلة ومع خروجهما خرجا مستخفيين حتى أتيا الغار وهو بجبل ثور فتواريا فيه وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه صلى الله عليه

وهم أكثر الصحابة وفرقة ثبتت مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم تراجعت اليه الفرقة الثانية شيأ فشيأ لما عرفوا أنه صلى الله عليه وسلم حي ووثب بعض الصحابة على جعال بن سراقة ليقتلوه فتبرأ من ذلك القول الذي نطق به الشيطان وهو على صورته وشهد خوات بن جبير وأبو بردة بان جعالا كان عندهما وبجنبهما حين صرخ ذلك الصارخ قال موسى بن عقبة لما غاب النبي صلى الله عليه وسلم عن أعين بعض القوم واختلط بعضهم ببعض وسمعوا الصارخ قال رجال من المنافقين لو كان ٣٣ لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا وقال بعض منهم لو كان نبيا ما قتل فارجعوا الى دينكم الاول وفي ذلك أنزل الله وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم الآيات وقال رجل منهم لم يعرف اسمه ليت لنا رسولا الى عبد الله بن أبي ليستأمن لنا من أبي سفيان يا قوم ان محمدا قد قتل فارجعوا الى قومكم ليؤمنوكم قبل أن يأتيكم الكفار فيقتلوكم فانهم يدخلون البيوت فقال أنس بن النضر عم أنس بن مالك رضي الله عنهما يا قوم ان كان محمد قتل فان رب محمد لم يقتل فقاتلوا على ما قاتل عليه وشهد له بهذه المقالة عند النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ رضي الله عنه ووافق أنس بن النضر جماعة كثيرون على هذه المقالة وهم المؤمنون أهل الصدق واليقين الذين تمكن الايمان في قلوبهم وروى ابن اسحق ان أنس بن النضر عم أنس بن مالك رضي الله عنهما جاء الى عمر بن الخطاب وطلحة ابن عبيد الله في رجال من المهاجرين والانصار رضي الله عنهم فقال ان كان قتل محمد فما تصنعون بالحياة بعده قوموا فموتوا على ما مات عليه ثم استقبل العدو فقاتل حتى قتل رضي الله عنه قال أنس والله وجدنا بانس بن النضر يومئذ سبعين ضربة

وسلم قال عند خروجه من مكة أي متوجها الى المدينة والله اني لأخرج منك واني لأعلم انك أحب بلاد الله الى الله وأكرمها على الله ولولا ان أهلك اخرجوني منك ما خرجت أي وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم وقف أي على راحلته بالحزورة ونظر الى البيت وقال والله انك لاحب أرض الله الي وانك لاحب أرض الله الى الله ولولا ان أهلك اخرجوني منك فهرا ما خرجت وفي لفظ انه صلى الله عليه وسلم وقف في وسط المسجد والتفت الى البيت فقال اني لاعلم ما وضع الله بيتا أحب الى الله منك وما في الارض بلد أحب اليه منك وما خرجت منك رغبة ولكن الذين كفروا أخرجوني أي وهذا السياق يدل على ان وقوفه صلى الله عليه وسلم على الحزورة أو في وسط المسجد يقتضي انه جاء بعد خروجه من الغار الى ما ذكر ثم ذهب الى المدينة وفي رواية وقف صلى الله عليه وسلم على الحجون وقال والله انك لخير أرض الله واحب أرض الله الى الله ولولم أخرج منك ما خرجت وفي لفظ ولو تركت فيك لما خرجت منك ولا مانع من تكرر ذلك ثم رأيت في كلام بعضهم ان وقوفه صلى الله عليه وسلم على الحجون كان في عام الفتح وفي لفظ آخر قال لمكة ما أطيبك من بلدة واحبك الي ولولا ان قومي أخرجوني ما سكنت غيرك أي وفي جمال القراء للسخاوي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما توجه مهاجرا الى المدينة وقف ونظر الى مكة وبكى فأنزل الله عز وجل عليه وكأين من قرية هي أشد قوة الآية واما ما روى الحاكم عن أبي هريرة مرفوعا اللهم انك أخرجتني من أحب البقاع الي فأسكني في أحب البقاع اليك فقال الذهبي انه موضوع وقال ابن عبد البر لا يختلف أهل العلم انه منكر موضوع (أقول) والذي رأيته عن المستدرك للحاكم اللهم انك تعلم انهم أخرجوني من أحب البلاد الي فأسكني أحب البلاد اليك والمعنى واحد واليه والى ما روى عن الزهري اللهم انك أخرجتني من أحب البلاد الي فأسكني أحب البلاد اليك استند من قال بتفضيل المدينة على مكة قال لان الله تعالى أجاب دعاءه فأسكنه المدينة قيل وعليه جمهور العلماء ومنهم الامام مالك رضي الله تعالى عنه والى الاحاديث الاول استند من قال بتفضيل مكة على المدينة وهم الجمهور ومنهم امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه واستند وفي ذلك الى انه صلى الله عليه وسلم قال في حجة الوداع أي بلد تعلمونه أعظم حرمة قالوا لا نعلم الا بلدنا هذه يعنون مكة وهذا اجماع من الصحابة اقرهم عليه صلى الله عليه وسلم انها أي مكة أفضل من سائر البلاد لان ما كان أعظم حرمة فهو أفضل وقد قال صلى الله عليه وسلم المقام بمكة سعادة والخروج منها شقاوة وقال صلى الله عليه وسلم من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت عنه جهنم مسيرة مائة عام قال ابن عبد البر واني لاعجب ممن ترك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله والله اني لاعلم أنك خير أرض وأحبها الى الله ولولا ان أهلك اخرجوني منك ما خرجت وهذا حديث صحيح ويميل الى تأويل لا يجامع ما تأوله عليه أي ولان الحسنة فيها بمائة ألف حسنة فعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من حج ماشيا كتبت له بكل خطوة سبعمائة حسنة من حسنات

٥ سيره ثاني فما عرفه الا أخته عرفته ببنانه وفي البخاري عن أنس رضي الله عنه قال غاب عمي انس بن النضر عن قتال بدر فقال يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلته المشركين لئن أشهدني الله قتال المشركين ليرين الله ما أصنع فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون قال اللهم اني اعتذر اليك مما صنع هؤلاء يعني أصحابه وأبرأ اليك مما صنع هؤلاء يعني المشركين ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال يا سعد الجنة ورب النضر اني أجد ريحها دون أحد قال سعد فما استطيع ان أصنع ما صنع قال أنس فوجدنا به بضعا وثمانين ما بين ضربة

بالسيف وطعنة بالرمح ورمية بالسهم ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون فما عرفه أحد الا أخته عرفته ببنانه وأنس بن مالك لم يحضر يوم أحد وانما سمع ذلك من سعد بن معاذ رضي الله عنه وممن قال مثل مقالة أنس بن النضر ثابت بن الدحداح رضي الله عنه فانه قال يا معشر الانصار ان كان محمد قد قتل فان الله حي لا يموت قاتلوا عن دينكم فان الله مظفركم وناصركم فنهض اليه نفر من الانصار فحمل بهم على كتيبة فيها خالد بن الوليد ٣٤ وعمرو بن العاص وعكرمة بن أبي جهل وضرار بن الخطاب فحمل عليه خالد ابن الوليد بالرمح فقتله وقتل من كان معه من الانصار رضي الله عنهم وثبت النبي صلى الله عليه وسلم وقت رجوع المسلمين ولم يحصل منه فرار ولا انهزام ولا انصراف عن موقفه الذي وصل اليه حين انهزام المشركين باجماع المسلمين قال ابن سعد ما زال صلى الله عليه وسلم يرمي عن قوسه حتى صارت شظايا ويرمي بالحجر وكان أقرب الناس الى القوم وجاء عن علي رضي الله عنه وغيره كنا اذا اشتد البأس أي حمي القتال اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم أي فيجعلونه في وجه القوم ويكونون خلفه صلى الله عليه وسلم وروى البيهقي عن المقداد بن الاسود رضي الله عنه فوالذي بعثه بالحق ما زالت قدمه شبرا واحدا وانه لفي وجه العدو وتفيء اليه طائفة من أصحابه مرة وتفترق مرة فربما رأيته قائما يرمي عن قوسه ويرمي بالحجر حتى انحاز واعنه وروى أبو يعلى بسند حسن عن علي رضي الله عنه قال لما انجلى الناس يوم أحد نظرت في القتلى فلم أر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت والله ما كان ليفر وما أراه في القتلى ولكن أرى أن الله غضب علينا لما صنعنا فرفع نبيه صلى الله عليه وسلم فما لي خير من أن أقاتل حتى أقتل فكسرت غمد سيفي ثم حملت على القوم فافرجوا الى فاذا أنا برسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم يقاتلهم اي صلى الله عليه وسلم وروى الحاكم في المستدرك بسند على شرط مسلم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال لما جال الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الجولة يوم أحد قلت أذود عن نفسي فاما ان أستشهد واما أن الحق حتى التقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينا أنا كذلك اذا برجل محمر وجهه ما أدري من هو فاقبل المشركون حتى قلت قد ركبوه فملأ يده من الحصى ثم رمى به في وجوههم

الحرم قيل وما حسنات الحرم قال الحسنة فيه بمائة ألف حسنة والكلام في غير ماضم أعضاءه الشريفة صلى الله عليه وسلم من أرض المدينة والا فذاك أفضل بقاع الارض بالاجماع بل حتى من العرش والكرسي على ان صاحب عوارف المعارف ذكر أن الطوفان موج تلك التربة المكرمة عن محل الكعبة حتى أرساها بالمدينة فهي من جملة أرض مكة وحينئذ لا يحسن الاستناد في تفضيل المدينة على مكة بقول أبي بكر رضي الله تعالى عنه انهم لما اختلفوا في أي محل يدفن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقبضه الله الا في أحب البقاع اليه ليدفن فيه كما سيأتي والله أعلم * وعن عائشة رضي الله تعالى عنها انها قالت بينا نحن جلوس يوما في بيت أبي بكر الصديق في نحر الظهيرة أي وسطها وهو وقت الزوال قال قائل لابي بكر أي وهذا القائل هي أسماء بنت أبي بكر وفي كلام بعض الحفاظ يحتمل ان يفسر بعامر بن فهيرة أي مولى أبي بكر قالت اسماء قلت يا أبت هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعا أي متطيلسا في ساعة لم يكن يأتينا فيها أي فمن عائشة رضي الله تعالى عنها لم ير علينا يوم أي قبل الهجرة الا يأتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفي النهار بكرة وعشيا وفي لفظ كان لا يخطئ ان يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت أبي بكر أحد طرفي النهار اما بكرة واما عشية أي ويحتاج الى الجمع بين هاتين الروايتين على تقدير صحة الثانية والا فالاولى في البخاري وتفسير التقنع بالتطيلس ذكره الحافظ ابن حجر حيث قال قوله متقنعا أي متطيلسا وهو أصل في لبس الطيلسان هذا كلامه واعترضه ابن القيم حيث قال لم ينقل عنه صلى الله عليه وسلم انه لبس الطيلسان ولا احد من أصحابه وحينئذ لا يكون القناع هنا هو الطيلسان بل التقنع تغطية الرأس وأكثر الوجه بالرداء من غير ان يجعل منه شيء تحت رقبته الذي يقال له التحنيك وحمل قول ابن القيم المذكور على الطيلسان المقور التي تلبسها اليهود قال بعضهم وهذا الطيلسان المقور هو المعروف بالطرحة وقد اتخذت خلفاء بني العباس الطرحة السوداء على العمامة عند الخطبة واستمر ذلك شعار الخلفاء فالحاصل ان ما يغطى به الرأس مع أكثر الوجه ان كان معه تحنيك أي ادارة على العنق قيل له طيلسان وربما قيل له رداء مجازا وان لم يكن معه تحنيك قيل له رداء أو قناع وربما قيل له مجازا طيلسان وهو ما كان شعارا في القديم لقاضي القضاة الشافعي خاصة قال بعضهم بل صار شعار العلماء ومن ثم صار لبسه يتوقف على الاجازة من المشايخ كالافتاء والتدريس وكان الشيخ يكتب في اجازته وقد أذنت له في لبس الطيلسان لانه شهادة بالاهلية وما يجعل على الاكتاف دون الرأس يقال له رداء فقط وربما قيل له طيلسان أيضا مجازا وصح عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه وله حكم المرفوع التقنع من أخلاق الانبياء وقد ذكر بعضهم أن الطيلسان الخلوة الصغرى وفي حديث لا يتقنع الا من استكمل الحكمة في قوله وفعله وكان ذلك من عادة فرسان العرب في المواسم والجموع كالاسواق وأول من لبس الطيلسان بالمدينة جبير ابن مطعم رضي الله تعالى عنه وعن الكفاية لابن الرفعة أن ترك الطيلسان للفقيه مخل بالمروءة

فتنكبوا على أعقابهم القهقرى حتى اتوا الجبل ففعل ذلك مرارا ولا أدرى من هو بينى وبينه المقداد فبينا أنا أريد ان اسأل المقداد عنه اذ قال المقداد باسعد هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك فقلت وأين هو فاشار اليه فقمت وكأنه لم يصبنى شئ من الاذى واجلسنى أمامه فجعلت أرمى وأقول اللهم سهمك فارم به عدوك ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم استجب لسعد اللهم سدد رميته وأجب دعوته فكان سعد مجاب الدعوة قال حتى اذا فرغ النبل من كنانتى نثر ٣٥ صلى الله عليه وسلم لى ما فى كنانته وانكشف

أى وهو بحسب ما كان فى زمنه رحمه الله وفى الترمذى لم تكن عادته صلى الله عليه وسلم التقنع انما كان يفعله لحر أو برد وتعقب بان فى حديث انس انه صلى الله عليه وسلم كان يكثر التقنع وفى طبقات ابن سعد مرسلا أنه ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا ثوب لا يؤدى شكره أى لان فيه غض البصر ومن ثم قيل انه الخلوة الصغرى كما تقدم ولما قيل لابى بكر رضى الله تعالى عنه ذلك أى هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعا قال أبو بكر فداله أبى وأمى والله ما جاءه فى هذه الساعة الا أمر قال فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذن له فدخل أى وتنحى أبو بكر عن سريره وجلس عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم لابى بكر رضى الله تعالى عنه اخرج من عندك قال أبو بكر انما هى اهلك أى لانه صلى الله عليه وسلم كان عقد على عائشة رضى الله تعالى عنها كما تقدم فامهما من جملة أهله واختها كذلك وقيل هو على حد قول الشخص لآخر اهلى اهلك وفى رواية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرج من عندك فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه لا عين عليك انما هما ابنتاى أى وسكت عن أمهما ستر اقال فانه قد أذن لى فى الخروج فقال أبو بكر الصحبة يا رسول الله بابى أنت وامى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم أى فبكى أبو بكر سرورا قالت عائشة رضى الله تعالى عنها فرأيت أبا بكر يبكى وما كنت أحسب ان أحدا يبكى من الفرح حتى رأيت أبا بكر ولله در القائل

ورد الكتاب من الحبيب بأنه * سيزورنى فاستعبرت أجفانى
غلب السرور على حتى انى * من فرط ما قد سرنى أبكانى
يا عين صار الدمع عندك عادة * تبكين من فرح ومن أحزان

أى ومنه أقر الله عينه لمن يدعى له وهو قرة عين لمن يفرح به واسخن عينه لمن يدعى عليه وهو سخنة العين لما يحزن به لان دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة وقد روى أن نبيا من الانبياء اجتاز بحجر يخرج منه الماء فسأل ربه عن ذلك فانطق الله تعالى الحجر فقال منذ سمعت ان الله تعالى نارا وقودها الناس والحجارة وأنا أبكى هذا الدمع خوفا من تلك النار فاشفع لى عند ربك فشفع له فشفع فيه وبشره بذلك ثم مر به بعد مدة فاذا الماء يخرج منه فقال ألم ابشرك ان الله أنجاك من النار فما هذا فقال يا نبى الله ذاك بكاء الخوف والخشية وهذا بكاء الفرح والسرور ومن ثم لما قال صلى الله عليه وسلم لابى بن كعب ان الله أمرنى ان أقرأ عليك سورة كذا أى لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب بكى من الفرح وقال أوذكرت هناك أى ذكرنى الله عز وجل وفى لفظ وسمانى قال نعم * وفى سفر السعادة قال العلماء البكاء على عشرة أنواع بكاء فرح وبكاء حزن لما فات وبكاء رحمة وبكاء خوف لما يحصل وبكاء كذب كبكاء النائحة فانها تبكى بشجو غيرها وبكاء موافقة بان يرى جماعة يبكون فيبكى مع عدم علمه بالسبب وبكاء المحبة والشوق وبكاء الجزع من حصول ألم لا يحتمله وبكاء الخور والضعف وبكاء النفاق وهو أن تدمع العين والقلب قاس والبكى بالقصر دمع العين من غير صوت والممدود ما كان معه

الناس عنه صلى الله عليه وسلم وعن سعد رضى الله عنه قال لقد رأيتنى والنبى صلى الله عليه وسلم يناولنى النبل ويقول ارم فداك أبى وأمى حتى انه ليناولنى السهم ماله نصل فيقول ارم به وجاء ان سعدا رضى الله عنه رمى يوم أحد ألف سهم ما منها سهم الا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ارم فداك أبى وأمى ففداه ذلك اليوم ألف مرة وعن على كرم الله وجهه قال ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فداك أبى وأمى الا لسعد رضى الله عنه يعنى يوم أحد فلا ينافى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال مثل ذلك للزبير رضى الله عنه يوم الخندق كما سيأتى ان شاء الله وكان صلى الله عليه وسلم يفتخر بسعد ويقول هذا سعد خالى فليرنى امرؤ خاله أى لان سعدا رضى الله عنه كان من بنى زهرة وكانت أم النبى صلى الله عليه وسلم منهم وكان رضى الله عنه اذا غاب يقول النبى صلى الله عليه وسلم مالى لا أرى الصبيح المليح الفصيح رضى الله عنه وثبت معه صلى الله عليه وسلم أربعة عشر رجلا سبعة من المهاجرين وهم أبو بكر وعمر وعبد الرحمن ابن عوف وسعد وطلحة والزبير وأبو عبيدة رضى الله عنهم وكذا على رضى الله عنه قال فى فتح البارى

قد صحت الاحاديث بان عليا رضى الله عنه ممن ثبت وبعض الرواة لم يذكره لانه كان حامل اللواء بعد مصعب فلا يحتاج الى أن يقال ثبت وسبعة من الانصار وهم أبو دجانة والحباب بن المنذر وعاصم بن ثابت والحرث بن الصمة وسهل بن حنيف وسعد بن معاذ واسيد ابن حضير وزاد بعضهم سعد بن عبادة رضى الله عنهم وزاد بعضهم محمد بن مسلمة رضى الله عنه بل جاء انه ثبت بين يديه يومئذ ثلاثون رجلا كلهم يقول وجهى دون وجهك ونفسى دون نفسك وعليك السلام غير مودع وعند الحاكم أن المقداد ممن ثبت ولا تنافى فى

الروايات لان اختلاف الاحاديث لاختلاف الاحوال فانهم تفرقوا فى القتال فلما ولى من ولى وصاح الشيطان اشتغل كل واحد بهمه والذب عن نفسه ثم عرفوا بقاءه صلى الله عليه وسلم فتراجعوا اليه أولا فاولا ثم بعد ذلك كان يقدمهم الى القتال فيشتغلون به وذكر بعضهم ممن ثبت جابر بن عبد الله وعمار وابن مسعود رضى الله عنهم وفى بعض الروايات لم يبق معه سوى رجلين من قريش وسبعة من الانصار ولعله فى بعض اللحظات لاختلاف الحالات كما مر * وثبت انه صلى الله عليه وسلم لما تفرقت عنه أصحابه صار يقول الى ّ يا فلان الى ّ يا فلان أنا رسول الله فما يعرج اليه أحد والنبل يأتيه من كل جانب والله يصرفه عنه والى هذا أشار سبحانه وتعالى بقوله اذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم فى أخراكم * وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال يومئذ أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب أنا ابن العواتك قال الحلبى فليتأمل فان المحفوظ انه صلى الله عليه وسلم انما قال ذلك يوم حنين وان كان لا مانع من التعدد * وممن ثبت معه صلى الله عليه وسلم أبو طلحة زيد بن سهل الانصارى زوج أم أنس بن مالك رضى الله عنه فانه استمر بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم يحوزه عنه بحجفته وكان رجلا راميا شديد الرمى فنثر له النبى صلى الله عليه وسلم كنانته بين يديه وصار رضى الله عنه يقول نفسى لنفسك فداء ووجهى لوجهك وقاء فلم يزل يرمى بها وكان الرجل يمر بالجعبة فيها النبل فيقول النبى صلى الله عليه وسلم انثرها لابى طلحة وكسر ذلك اليوم قوسين أو ثلاثة وصار رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرف أى ينظر الى القوم ليرى مواضع النبل فيقول له أبو طلحة يا نبى الله بابى أنت وأمى لا تشرف يصبك سهم من سهام القوم نحرى دون نحرك وتطاول أبو طلحة رضى الله عنه بصدره يقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومازال النبى صلى الله عليه وسلم يرمى عن قوسه حتى اندقت سيتها والسية ما انعطف من طرفى القوس اللذين هما محل الوتر وفى رواية حتى تقطع الوتر وبقى فى يده قطعة قدر شبر فاخذ القوس عكاشة بن محصن رضى الله عنه ليوتره فقال يا رسول الله لا يبلغ الوتر فقال مده يبلغ قال عكاشة فو الذى بعثه بالحق لقد مددته حتى بلغ وطويت منه لفتين أو ثلاثا وكان صلى الله عليه وسلم أقرب الناس الى القوم * وممن كان مشهورا بالرماية سهل بن حنيف رضى الله عنه وكان ممن ثبت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا

صوت واما التباكى فهو تكلف البكاء وهو نوعان محمود ومذموم فالاول ما يكون لاستجلاب رقة القلب وهو المراد بقول سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه لما رأى المصطفى صلى الله عليه وسلم وأبا بكر يبكيان فى شأن أسارى بدر اخبرنى ما يبكيك يا رسول الله فان وجدت بكاء بكيت والا تباكيت ومن ثم لم ينكر عليه صلى الله عليه وسلم ذلك والثانى ما يكون لاجل الرياء والسمعة قال أبو بكر فخذ بأبى أنت وأمى يا رسول الله احدى راحلتى هاتين فانى أعددتهما للخروج قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل بالثمن أى لتكون هجرته صلى الله عليه وسلم الى الله تعالى بنفسه وماله أى والا فقد اتفق أبو بكر رضى الله تعالى عنه أكثر ماله عليه صلى الله عليه وسلم أى فمن عائشة رضى الله تعالى عنها أنفق أبو بكر على النبى صلى الله عليه وسلم أربعين ألف درهم وفى لفظ دينار ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم ليس من أحد أمن ّ على ّ فى أهل ومال من أبى بكر وفى رواية ما أحد أمن على ّ فى صحبته وذات يده من أبى بكر وما نفعنى مال ما نفعنى مال أبى بكر فبكى أبو بكر وقال هل أنا ومالى الا لك يا رسول الله وفى رواية ما لاحد عندنا يد الا وقد كافأناه ما خلا أبا بكر فان له عندنا يدا الله يكافئه بها يوم القيامة * أقول * ولا ينافى كونه صلى الله عليه وسلم أخذ احدى ناقتى أبى بكر بالثمن ما رواه ابان بن أبى عياش أحد التابعين عن أنس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى بكر رضى الله تعالى عنه ما أطيب مالك منه بلال مؤذنى وناقتى التى هاجرت عليها وزوجتنى ابنتك وواسيتنى بمالك كأنى انظر اليك على باب الجنة تشفع لامتى لان أبان بن أبى عياش معدود من الضعفاء وقد قال شعبة لان أشرب من بول حمار حتى أروى أحب الى ّ من أن أقول حدثنا عن أبان بن أبى عياش وقال فيه مرة أخرى لان يزنى الرجل خير من أن يروى عن أبان وقد طلب من شعبة أن يكف عن أبان هذا فقال الامر دين وهذا يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بين ابن حبان عذر أبان بانه كان يروى عن أنس وأبان مجالس الحسن البصرى فكان يسمع كلامه فاذا حدث ربما جعل كلام الحسن عن أنس مرفوعا وهو لا يعلم وعلى تقدير صحة ما قاله لا منافاة أيضا لانها كانت من مال أبى بكر قبل أن يأخذها صلى الله عليه وسلم بثمنها على ان فى الترمذى ما يوافق ما رواه ابان ففيه عن على رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أبا بكر روجنى ابنته وحملنى الى دار الهجرة وصحبنى فى الغار وأعتق بلالا من ماله قال وهذا حديث غريب والله أعلم وكان الثمن عن تلك الناقة التى هى القصواء وقد عاشت بعده صلى الله عليه وسلم وماتت فى خلافة أبى بكر رضى الله تعالى عنه أو الجدعاء أربعمائة درهم أى لما علمت ان الناقتين اشتراهما أبو بكر بثمانمائة درهم وأما ناقته صلى الله عليه وسلم العضباء فقد جاء ان بنته فاطمة رضى الله تعالى عنها تحشر عليها قالت عائشة رضى الله تعالى عنها فجهزناها أحب الجهاز أى أسرعه والجهاز بكسر الجيم أفصح من فتحها ما يحتاج اليه فى السفر ووضعنا لهما سفرة فى جراب أى زادا فى جراب لان السفرة فى الاصل الزاد الذى يصنع للمسافر ثم استعمل فى وعاء الزاد وكان فى السفرة شاة مطبوخة

اليوم وكان بايع النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ على الموت فثبت معه صلى الله عليه وسلم حتى انكشف الناس عنه وجعل ينضح بالنبل يومئذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انبلوا سهلا أى اعطوه نبلا * وممن ثبت مع النبي صلى الله عليه وسلم أم عمارة المازنية واسمها نسيبة بالتصغير وهى زوج زيد بن عاصم وأم ولده عبد الله بن زيد فنهار ضى الله عنها قالت خرجت يوم أحد لانظر مايصنع الناس وهى سقاء فيه ماء أسقى به الجرحى فانتهيت الى رسول الله ٣٧ صلى الله عليه وسلم وهو فى أصحابه والريح للمسلمين فلما انهزم المسلمون انحزت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقمت أباشر القتال دونه وأذب عنه بالسيف وأرمى عن القوس حتى خلصت الجراحة الى روى انه كان على عاتقها جرح أجوف له غور فقيل لها من أصابك بهذا قالت ابن قئة لما ولى الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل ابن قئة يقول دلونى على محمد فلا نجوت ان نجا فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير رضى الله عنه فضربنى هذه الضربة وضربته ضربات ولكن عدو الله كان عليه درعان وجاء فى رواية خرجت نسيبة يوم أحد وزوجها زيد بن عاصم وابناها حبيب وعبد الله وقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله عليكم أهل بيت فقالت له نسيبة رضى الله عنها ادع الله أن نرافقك فى الجنة فقال اللهم اجعلهم رفقائى فى الجنة وعند ذلك قالت رضى الله عنها ما أبالى ما أصابنى من أمر الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم فى حقها ما التفت يمينا ولا شمالا يوم أحد الا ورأيتها تقاتل دونى وقد جرحت رضى الله عنها اثنى عشر جرحا ما بين طعنة برمح وضربة بسيف وحضرت رضى الله عنها قتال مسيلمة الكذاب باليمامة وكان ابنها عبد الله بن زيد رضى الله عنه مشاركا لوحشى فى قتل مسيلمة فنهار ضى الله عنها قالت فاتلت يوم اليمامة فقطعت يدى وأنا أريد قتل مسيلمة وما كان لى ناهية حتى رأيت الخبيث مقتولا واذا ابنى عبد الله بن زيد يمسح سيفه بثيابه فقلت أقتلته فقال نعم فسجدت شكرا لله تعالى وقتله له كان بعد ضرب وحشى له بحربته وجاء انه شاركهما فى ذلك أبو دجانة رضى الله عنه وأنزل الله يوم أحد على المؤمنين النعاس قال الزبير بن العوام رضى الله عنه لقد رأيتنى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد حين اشتد علينا الخوف وأرسل علينا النوم فما منا أحد الا وذقنه فى

مطبوخة فقطعت اسماء بنت أبى بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب أى وابقت الاخرى أى نطاقها وهو يوافق ما فى صحيح مسلم عن اسماء رضى الله تعالى عنها أنها قالت للحجاج بلغنى انك تقول أى لولدها عبد الله بن الزبير تعيره بابن ذات النطاقين أما أنا والله ذات النطاقين أما احدهما فكنت ارفع به طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم وطعام أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وأما الآخر فنطاق المرأة أى الذى لا تستغنى عنه أى عند اشتغالها لان النطاق ما تشد به المرأة وسطها لئلا تعثر فى ذيلها على ثوب يلى على أسفله وقيل النطاق ازار فيه تكة ومن ثم جاء ذات النطاق أى وكلاهما صحيح لكن فى لفظ قطعت نطاقها قطعتين فاوكت بقطعة منه فم الجراب وشدت فم القربة بالباقى أى فلم يبق لها شئ منه ٥ ويوافقه ما فى البخارى عن اسماء لم نجد لسفرة رسول الله صلى الله عليه وسلم أى لمحلها الذى هو الجراب ولا لسقائه أى الذى هو القربة ما نربطهما به فقلت لابى بكر لا والله ما أجد شيأ أربطه الا نطاقى قال فشقيه اثنين واربطى بواحد السقاء الذى هو القربة وبواحد السفرة ففعلت فلذلك سميت ذات النطاقين أى سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لها أبدلك الله بنطاقك هذا نطاقين فى الجنة وفيه أن الرواية الاولى التى عن عائشة والرواية الثانية التى عن أسماء رواهما مسلم لم يذكرا السقاء وفى رواية البخارى ذكر السقاء واسقاط الجراب لكن ذكر بعد الجراب السفرة وقد يقال المراد بربط السفرة ربط محلها الذى هو الجراب كما أشار اليه قال بعضهم وما تقدم عن مسلم ينبغى أن يكون أقرب الى الضبط لان أسماء قالت فى آخر عمرها مخبرة عن نفسها أى ولم تربط الا الجراب باحد شقى النطاق وأبقت لها الآخر وقد يقال الحصر ليس فى محله لما فانه لرواية البخارى وحينئذ يجمع بانه يجوز لها لما شقت النطاق نصفين قطعت أحدهما قطعتين فشدت باحداهما الجراب والاخرى السقاء فهى ذات النطاقين الذى ابقته والذى فعلت به ما ذكر (وفى السيرة الهشامية) أن اسماء بنت أبى بكر جاءت اليهما لما نزلا من الغار بسفرتهما ونسيت أن تجعل لها عصاما فدهشت لغلق السفرة فاذا ليس لها عصام فشقت نطاقها فجعلته عصاما فعلقتها به وانتطقت الآخر أى وهذا يدل على أن المراد بقول عائشة فجهزناهما أحب الجهاز أى عند خروجهما من الغار لا عند ذهابهما الى الغار كما قد يتبادر من السياق ثم على المتبادر جرى ابن الجوزى حيث قال اسماء بنت أبى بكر أسلمت بمكة قديما وبايعت وشقت نطاقها ليلة خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار فجعلت واحد السفرة رسول الله صلى الله عليه وسلم والآخر عصاما لقربته فسميت ذات النطاقين هذا كلامه وقد قال لا مانع من تعدد ذلك وكون النطاق ما تشد به المرأة وسطها الثلاثة تعثر فى ذيلها يخالفه قول بعضهم النطاق هو ثوب تلبسه المرأة ثم تشد وسطها بحبل ثم ترسل الاعلى على الاسفل وهذا يوافق القيل المتقدم ولعل له اطلاقين ويوافق الثانى ما قيل اول من فعله هاجر أم اسمعيل اتخذته لتخفى أثر مشيتها على سارة ولعله عند خروجها لما أمره الله عز وجل باخراجها مع ابراهيم فيذهب بها الى مكة قبل

صدره فوالله انى لاسمع كالحلم قول معتب بن قشير لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ههنا قال تعالى ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم الآية وعن كعب بن عمرو الانصارى رضى الله عنه قال لقد رأيتنى يومئذ فى أربعة عشر من قومى الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أصابنا النعاس امنة أى لانه لا ينعس الا من يأمن فمنهم أحد الا غط غطيطا حتى ان الجفن أى الدرق تتناطح والقد رأيت سيف بشر بن البراء بن ٣٨ معرور سقط من يده وما شعر وتقدم فى غزوة بدر انه حصل لهم النعاس ليلة القتال لا فيه وجاء ان النعاس فى الصف من الايمان وفى الصلاة من الشيطان واما الطائفة المنهزمة فانهم اتفرقت فرقا فمنهم من ذهب الى المدينة فلقيتهم أم أيمن رضى الله عنها فجعلت تحثو التراب فى وجوههم وتقول لبعضهم هاك المغزل فاغزل به وهلم سيفك أى اعطنى سيفك وطائفة من المنهزمين لم يدخلوا المدينة ويشكل على استقبال أم أيمن اياهم أنه جاء انها كانت فى الجيش تسقى الجرحى فقد جاء ان حباب ابن الفر قد رمى بسهم فاصاب أم أيمن وهى تسقى الجرحى فتكشفت فاغرق عدو الله فى الضحك فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفع الى سعد سهما لا نصل له وقال ارم به فرمى به فوقع عدو الله مستلقيا حتى بدت عورته فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال استقاد لها سعد أجاب الله دعوته وفى رواية اللهم استجب دعاء سعد اذا دعاك فكان مجاب الدعوة وقد يقال لا منافاة بين كون أم أيمن كانت فى الجيش وبين كونها بالمدينة حين وصول بعض المنهزمين الى المدينة لجواز أن تكون رجعت ذلك الوقت من الجيش الى المدينة * وممن قاتل دون رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو دجانة الانصارى رضى الله عنه فقد جاء انه تترس دون رسول الله صلى الله عليه وسلم أى جعل نفسه ترسا الحديث فصار يقع النبل على ظهره وهو منحن عليه حتى كثر فيه النبل * وممن قاتل دونه صلى الله عليه وسلم عمارة بن زياد بن السكن رضى الله عنه حتى اثبتته الجراحة أى أصابت مقاتله فقال صلى الله عليه وسلم أدنوه منى فوسده قدمه الشريف فمات رضى الله عنه وخده على قدمه الشريف صلى الله عليه وسلم * وممن قاتل دون رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير رضى الله عنه حتى قتله ابن قئة لعنه الله

ان تركب مع ابراهيم على البراق ثم استأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رجلا من بنى الديل وهو عبد الله بن اريقط ويقال ابن أرقط أو أرقد اسم أمه فاريقط مصغرها اليدلهما على الطريق للمدينة وكان على دين قريش أى ثم أسلم بعد ذلك وقيل لم يعرف له اسلام وفى الروض ما وجدنا من طريق صحيح انه أسلم بعد ذلك فدفعا اليه راحلتيهما وواعداه على جبل ثور بعد ثلاث ليال وقيل للجبل ذلك لانه على صورة الثور الذى يحرث عليه وسياق النسائى يدل على أن استئجار عبد الله المذكور كان قبل التجهيز قالت عائشة رضى الله تعالى عنها ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر بغار فى جبل ثور أى ليلا كما تقدم وعن ابن سعد لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيته الى بيت أبى بكر رضى الله تعالى عنه فكان فيه الى الليل ثم خرج هو وأبو بكر فمضيا الى غار ثور فدخلاه أى وكان خروجهما من خوخة فى ظهر بيت أبى بكر فعن عائشة بنت قدامة رضى الله تعالى عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لقد خرجت من الخوخة متنكرا فكان أول من لقينى أبو جهل لعنه الله فاعمى الله بصره عنى وعن أبى بكر حتى مضينا وفى كلام سبط ابن الجوزى وعن وهب بن منبه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انما خرج الى الغار من بيت أبى بكر فخرج من خوخة فى ظهر الدار والاصح انما كان خروجه من بيت نفسه وجعل أبو بكر رضى الله تعالى عنه يمشى مرة أمام النبى صلى الله عليه وسلم ومرة خلفه ومرة عن يمينه ومرة عن شماله فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال يا رسول الله اذكر الرصد فاكون أمامك واذكر الطلب فاكون خلفك ومرة عن يمينك ومرة عن يسارك لا آمن عليك (اقول) فى الدر المنثور فمشى صلى الله عليه وسلم ليلته على اطراف أصابعه لئلا يظهر أثر رجليه على الارض حتى حفيت رجلاه فلما رآهما أبو بكر قد حفيتا حمله على كاهله وجعل يشتد به حتى أتى على فم الغار فانزله وفى لفظ لم يصب رسول الله صلى الله عليه وسلم الغار حتى قطرت قدماه دما وفى كلام السهيلى عن أبى بكر رضى الله تعالى عنه أنه قال نظرت الى قدمى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغار وقد تقطرتا دما قال بعضهم ويشبه أن يكون ذلك من خشونة الجبل والا فبعد المكان لا يحتمل ذلك أو لعلهم ضلوا طريق الغار حتى بعدت المسافة ويدل عليه قوله فمشى ليلته رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى لفظ فانتهينا الى الغار مع الصبح ولا يحتمل ذلك مشى ليلته الا بتقدير ذلك أو أنه صلى الله عليه وسلم كما قيل ذهب الى جبل حنين فناداه اهبط عنى فانى أخاف أن تقتل على ظهرى فاعذب فناداه جبل ثور الى يا رسول الله وساق فى الاصل رواية تقتضى أنه ذهب الى غار ثور راكبا ناقته الجدعاء ثم رأيته فى النور أشار الى أن ركوبه صلى الله عليه وسلم الجدعاء انما كان بعد خروجه من الغار لا أنه ركبها من منزل أبى بكر الى الغار كما هو ظاهر الرواية وفى الخصائص الكبرى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لما تشاور المشركون فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأطلع الله نبيه على ذلك فخرج تلك الليلة حتى أتى الغار فلما أصبحوا اقتفوا أثره صلى الله عليه وسلم فلما بلغوا الجبل

وهو يظنه رسول الله صلى الله عليه وسلم كما مر فرجع الى المشركين فقال قتلت محمدا كما تقدم وقيل ان القاتل لمصعب بن عمير أبي بن خلف الجمحي أخو أمية بن خلف المقتول ببدر الذي كان يعذب بلالا رضي الله عنه يروى انه أقبل أبي بن خلف يوم أحد نحو النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول أين محمد لا نجوت ان نجا فاستقبله مصعب بن عمير رضي الله عنه فقتل مصعبا فاستقبله رجال من المسلمين فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخلوا طريقه فاقبل وهو يقول يا كذاب أين تفر فتناول ٣٩ النبي صلى الله عليه وسلم الحربة من الحرث بن الصمة أو الزبير بن العوام رضي الله عنه فرماه النبي صلى الله عليه وسلم بها فاصابت عنقه وخدشته خدشا غير كبير واحتقن الدم أي لم يخرج بذلك الخدش فرجع وهو يقول قتلني والله محمد فقالوا له ذهب والله فؤادك وفي رواية عقلك انا لنأخذ السهام من أضلاعنا فنرمي بها فما بك والله من بأس ما أجزعك انما هو خدش ولو كان هذا الذي بك بين أحدنا ما ضره فقال واللات والعزى لو كان هذا الذي بي باهل ذي المجاز أي السوق المعروف من جملة أسواق الجاهلية كان عند عرفة وفي رواية لو كان بربيعة ومضر وفي رواية لو كان باهل الارض لماتوا أجمعون انه قال لي بمكة أنا أقتلك فوالله لو بصق علي لقتلني أي فضلا عن هذه الضربة وكان أبي يقول بمكة للنبي صلى الله عليه وسلم يا محمد ان عندي العود يعني فرسا له أعلفه كل يوم فرقا من ذرة أقتلك عليها والفرق بفتح الراء مكيال معروف يسع اثني عشر مدا فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أقتلك ان شاء الله فحقق الله تعالى قول نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم وعن سعيد بن المسيب ان أبي بن خلف قال حين افتدى ببدر من الاسر والله ان عندي لفرسا أعلفها كل يوم فرقا من ذرة أقتل عليها محمدا فبلغت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بل أنا أقتله ان شاء الله تعالى ويمكن الجمع بانه تكرر ذلك من أبي لعنه الله ومن النبي صلى الله عليه وسلم وفي رواية أبصر صلى الله عليه وسلم تركوته من فرجة من سابغة الدرع وهي ما يغطي العنق من الدرع فطعنه طعنة كسر فيها ضلعا من أضلاعه وفي رواية طعنه طعنة وقع فيها من الفرس مرارا وجعل يخور كما يخور الثور اذا ذبح وانه صلى الله عليه وسلم حين أخذ الحربة انتفض بها انتفاضة شديدة حتى تباعد عنه

الحديث أي وهو مخالف لما تقدم من أن خروجه صلى الله عليه وسلم الى الغار كان في الليلة الثانية لا في ليلة خروجه على قريش وقد يقال لا منافاة لان قوله حتى لحق بالغار غاية لمطلق الخروج من بيته لا في خصوص تلك الليلة أي خرج من بيته واستمر على خروجه حتى لحق بالغار وذلك في الليلة الثانية لكن تقدم أنه صلى الله عليه وسلم جاء الى بيت أبي بكر متقنعا في وقت الظهيرة فليتأمل وأعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا بخروجه الى الهجرة وأمره أن يتخلف بعده حتى يؤدي عنه الودائع التي كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس لانه لم يكن بمكة أحد عنده شيء يخشى عليه الا وضعه عنده صلى الله عليه وسلم لما يعلمون من أمانته أي ولعل اعلام علي بذلك كان عند توجهه صلى الله عليه وسلم الى بيت أبي بكر لانه لم يثبت أنه صلى الله عليه وسلم اجتمع بعلي رضي الله تعالى عنه بعد ذلك الا في المدينة لكن سيأتي عن الدر ما يقتضي أنه اجتمع به عند خروجه من الغار وفي الفصول المهمة أنه صلى الله عليه وسلم وصى عليا رضي الله تعالى عنه بحفظ ذمته وأداء أمانته ظاهرا على أعين الناس وأمره أن يبتاع رواحل للفواطم فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم وفاطمة بنت الزبير بن عبد المطلب ولمن هاجر معه من بني هاشم ومن ضعفاء المؤمنين وشراء على رضي الله تعالى عنه الرواحل مخالف لما يأتي في الاصل أنه صلى الله عليه وسلم ارسل الى علي حلة وأرسل يقول تشقها خمرا بين الفواطم وهي فاطمة ابنة حمزة وفاطمة بنت عتبة وفاطمة أم علي وفاطمة بنته صلى الله عليه وسلم وارساله لتلك الحلة كان بعد وصوله الى المدينة فليتأمل قال في الفصول المهمة وقال له أي لعلي اذا أبرمت ما أمرتك به كن على أهبة الهجرة الى الله ورسوله وبقدوم كتابي عليك واذا جاء أبو بكر توجه خلفي نحو بئر أم ميمون وكان ذلك في فحمة العشاء والرصد من قريش قد أحاطوا بالدار ينتظرون أن تنتصف الليلة وتنام الناس ودخل أبو بكر على علي وهو يظنه أي وأبو بكر يظن عليا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له علي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج نحو بئر أم ميمون وهو يقول لك أدركني فلحقه أبو بكر ومضيا جميعا يتسايران حتى أتيا جبل ثور فدخل الغار فليتأمل الجمع بينه وبين ما تقدم ولما انتهيا الى فم الغار قال أبو بكر للنبي صلى الله عليه وسلم والذي بعثك بالحق لا تدخل حتى أدخله قبلك فان كان فيه شيء نزل بي قبلك فدخل رضي الله تعالى عنه فجعل يلتمس بيده كلما رأى جحرا قال بثوبه فشقه ثم ألقمه الجحر حتى فعل ذلك بجميع ثوبه فبقي جحر وكان فيه حية فوضع عقبه عليه ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ان الحية التي في الجحر لما أحست بعقب سيدنا أبي بكر جعلت تلسعه وصارت دموعه تتحدر قال ابن كثير وفي هذا السياق غرابة ونكارة أي وقد كان صلى الله عليه وسلم وضع رأسه في حجر أبي بكر رضي الله تعالى عنه ونام فسقطت دموع أبي بكر رضي الله تعالى عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مالك يا أبا بكر قال لدغت بالدال المهملة والغين المعجمة فداك أبي وأمي فتفل رسول الله صلى الله عليه وسلم على محل اللدغة فذهب ما يجده قال بعضهم وقاه

من كان حوله ثم استقبله فطعنه فى عنقه ولا منافاة لان الترقوة فى أصل العنق ولا مخالفة أيضا بين كون الحاصل من الطعنة خدشة وبين كونه انتفض بالحربة انتفاضة شديدة وناهيك بعزمه صلى الله عليه وسلم لان كون الطعنة خدشة انما هو بحسب ما يظهر للرائى والا فالطعنة شديدة فى الباطن وذلك أقوى فى النكاية ليكون من المعجزات أيضا ودليل وجود الشدة فى الباطن وقوعه مرارا عن الفرس وكونه خار كالثور الذى يذبح وكون ٤٠ الطعن فى العنق يفضى الى كسر الضلع من خوارق العادة وجاء فى رواية انه ضربه تحت ابطه حتى انكسر ضلع من أضلاعه وقد يقال يجوز ان تكون الحربة نفذت من المكان المذكور الى ابطه حتى كسرت ضلعه ولم يقتل صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة أحدا الا أبى بن خلف لاقبل ولا بعد ثم مات عدو الله وهم راجعون الى مكة بسرف وهو مناسب لوصفه لانه مسرف وقيل مات ببطن رابغ فعن ابن عمر رضى الله عنهما انه قال انى لأسير ببطن رابغ بعد هدء من الليل واذا نار تأجج لى فهبتها واذا رجل يخرج منها فى سلسلة يجتذب بها يصيح العطش فنادانى يا عبد الله فلا أدرى أعرف اسمى أو كما يقول الرجل لمن يجهل اسمه يا عبد الله فالتفت اليه فقال اسقنى فاردت ان أفعل واذا رجل وهو الموكل بعذابه يقول لا تسقه هذا قتيل رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا أبى بن خلف لعنه الله رواه البيهقى ويدل لهذا ما جاء فى الحديث كل من قتله نبى أو قتل بأمر نبى فى زمنه يعذب من حين قتل الى أن ينفخ فى الصور وجاء أشد الناس عذابا من قتله نبى وفى رواية اشتد غضب الله على رجل قتله رسول الله فسحقا لاصحاب السعير أى لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام مأمورون باللطف والشفقة على عباد الله فما يحمل الواحد منهم على قتل شخص الا أمر عظيم ورسول الله صلى الله عليه وسلم أكملهم من لطفا ورفقا وشفقة على عباد الله وتقدم ان ابن عمر رضى الله عنهما مر ببدر واذا رجل يعذب وبين فناداه يا عبد الله قال فالتفت اليه فقال اسقنى فأردت ان أفعل فقال الاسود الموكل بتعذيبه لا تفعل يا عبد الله فان هذا من المشركين الذين قتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أى قتلهم أصحابه رواه الطبرانى فى الاوسط ولا بعد فى تعدد الواقعة بل فى الخصائص الكبرى للجلال السيوطى ما يدل على

بعقبه فبورك فى عقبه قال بعضهم والسر فى اتخاذ رافضة العجم اللباد المقصص على رؤسهم تعظيما للحية التى لدغت أبا بكر فى الغار أى لانهم يزعمون أن ذلك على صورة تلك الحية ولما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابى بكر أين ثوبك فاخبره الخبر زاد فى رواية وأنه رأى على أبى بكر أثر الورم فسأل عنه فقال من لدغة الحية فقال صلى الله عليه وسلم هلا أخبرتنى قال كرهت أن أوقظك فنفثه النبى صلى الله عليه وسلم فذهب ما به من الورم والالم أى ويحتاج الى الجمع بين هاتين الروايتين على تقدير صحتهما وحين أخبره أبو بكر بذلك رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه وقال اللهم اجعل أبا بكر معى فى درجتى فى الجنة فأوحى الله تعالى اليه قد استجاب الله لك وروى أنه لما صار يسد كل جحر وجده أصاب يده ما أدماها فصار يمسح الدم عن أصبعه وهو يقول

هل أنت الا أصبع دميت * وفى سبيل الله ما لقيت

وسيأتى ان هذا البيت من كلام ابن رواحة وقيل من كلامه صلى الله عليه وسلم وأنه يجوز أن يكون ابن رواحة ضم ذلك البيت لابياته ومما قد يؤيد ان ذلك من كلامه صلى الله عليه وسلم ما ذكره سبط ابن الجوزى ان أبا بكر لما لحقه صلى الله عليه وسلم فى أثناء الطريق ظنه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكفار فاسرع فى المشى فانقطع قبال نعله ففلق ابهامه حجر فسال الدم فرفع أبو بكر صوته ليعرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرفه ومما يصرح بذلك ما رأيت عن جندب البجلى قال كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى غار كذا فدميت أصبعه فذكر البيت المذكور وأراد بالغار غارا من الغيران لا هذا الغار كما توهم وجاء فى الصحيحين عن جندب بن عبد الله بينا نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أصابه حجر فدميت أصبعه فقال هل أنت الا اصبع دميت البيت أى ولما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الغار أمر الله تعالى شجرة أى وهى التى يقال لها العشار وقيل أم غيلان فنبتت فى وجه الغار فسترته بفروعها أى ويقال انه صلى الله عليه وسلم دعا تلك الشجرة وكانت أمام الغار فاقبلت حتى وقفت على باب الغار وأنها كانت مثل قامة الانسان وبعث الله العنكبوت فنسجت ما بين فروعها أى نسجا مترادكا بعضه على بعض أى كنسج أربع سنين كما قال بعضهم وقد نسج العنكبوت أيضا على عبد الله بن أنيس رضى الله تعالى عنه لما قتل سفيان بن خالد وقطع رأسه وأخذها ودخل فى غار فى الجبل وكن فيه حتى انقطع عنه الطلب كما سيأتى ونسج على نبى الله داود لما طلبه طالوت ونسج أيضا على عورة سيدنا زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم وهو أخو الامام محمد الباقر وعم الامام جعفر الصادق وهو الذى ينسب اليه الزيدية كان اماما مجتهدا وكان ممن أخذ عن واصل بن عطاء الآخذ عن الحسن البصرى ولما أثبت ابن عطاء المنزلة بين المنزلتين أمره الحسن البصرى باعتزال مجلسه فقيل له معتزلى وصار يقال لاصحابه معتزلة ولا يلزم من كون شيخ سيدنا زيد معتزليا ان يسلك زيد مسلكه وصلب سيدنا زيد عريانا وأقام مصلوبا أربع سنين وقيل خمس سنين فلم ترعورته وقيل ان بطنه الشريف ارتخى على عورته فغطاها ولا مانع

التعدد وذكر فيها ان ابن عمر ذكر ذلك الذى رآه ببدر للنبى صلى الله عليه وسلم فقال له ذاك أبو جهل وذلك عذابه الى يوم القيامة وقد حفر أبو عامر الفاسق الذى كان مع المشركين كما تقدم حفرا فى موضع المعركة وزعم ان ذلك من مكايد الحرب فوقع النبى صلى الله عليه وسلم فى حفرة منها فأعمى عليه صلى الله عليه وسلم وجحشت أى خدشت ركبتاه فأخذ على رضى الله عنه بيده ورفعه طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه حتى استوى قائما وكان سبب وقوعه ان ابن قئة لعنه الله علاه بالسيف فلم ٤١ يؤثر فيه السيف الا أن ثقل السيف أثر فى

من وجود الامرين وكان عند صلبه وجهوه الى غير القبلة فدارت خشبته التى صلب عليها الى أن صار وجهه الى القبلة أى وقد وقع خلبيب نحو ذلك كما سيأتى ثم أحرقوا خشبة زيد وجسده وذرى رماده فى الرياح على شاطئ الفرات فانه خرج على هشام بن عبد الملك وقد سمت نفسه للخلافة فحاربه يوسف بن عمر الثقفى أمير العراقين من قبل هشام بن عبد الملك فانهزم أصحاب زيد عنه بعد أن خذله وانصرف عنه أكثرهم فقد بايعه ناس كثير من أهل الكوفة وطلبوا منه أن يتبرأ من الشيخين أبى بكر وعمر لينصروه فقال كلا بل أتولاهما فقالوا اذن نرفضك فقال اذهبوا أنتم الرافضة فسموا بذلك من حينئذ رافضة وجاءت اليه طائفة وقالوا نحن نتولاهما ونبرأ ممن يبرأ منهما وقاتلوا معه فسموا الزيدية (أقول) والعجب ممن يتمذهب بمذهب سيدنا زيد ويتبرأ من الشيخين ويكرههما ويكره من يذكرهما بخير بل ربما سبهما وعند مقاتلته أصابته جراحات وأصابه سهم فى جبهته وحال الليل بين الفريقين فطلبوا انجاما من بعض القرى لينزع له النصل فاستخرجه فمات من ساعته فدفنوه من ساعته وأخفوا قبره وأجروا عليه الماء واستكتموا الحجام ذلك فلما أصبح الحجام مشى الى يوسف بن عمر منتصحا وأخبره ودله على موضع قبره فاستخرجه وبعث برأسه الى هشام فكتب اليه هشام أن اصلبه عريانا فصلبه كذلك ويقال ان هشام بن عبد الملك قال يوما لزيد بلغنى أنك تريد الخلافة ولا تصلح لك لانك ابن أمة فقال قد كان اسمعيل ابن أمة واسحق ابن حرة فاخرج الله من صلب اسمعيل خير ولد آدم فقال له هشام قم قال اذن لا ترانى الا حيث تكره ومن شعره

لا تطمعوا أن تهينونا ونكرمكم * وأن نكف الاذى عنكم وتؤذونا

قيل ورأس زيد دفنت بمصر القديمة بمسجد يقال له مشهد زين العابدين بن الحسين وكذلك وقع فى طبقات الشعرانى نفعنا الله به وببركاته وليس كذلك بل هو محل زيد بن زين العابدين كما ذكره المقريزى فى الخطط ويقال له زيد الازيادوذكر فى حياة الحيوان ان ما ينسجه العنكبوت يخرج من خارج جلدها لا من جوفها وعن على رضى الله تعالى عنه طهروا بيوتكم من نسج العنكبوت فان تركه فى البيوت يورث الفقر وأمر الله تعالى حمامتين وحشيتين فوقفتا بفم الغار أى ويروى أنهما باضتا وفرختا قال لابى بكر ضع قدمك موضع قدمى فان الرمل لا ينم وتقدم ما فى ذلك أى لان المشركين لما فقدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم شق عليهم ذلك وخافوا وطلبوه بمكة أعلاها وأسفلها وبعثوا القافة أى الذين يقصون الاثر فى كل وجه يقفون أثره فوجدوا الذى ذهب الى جبل ثور أثره وقال ما تقدم وأقبل فتيان قريش من كل بطن بعصيهم وسيوفهم أى ولما أقبلوا أشفق صلى الله عليه وسلم على صهيب وخاف عليه وقال واصهيباه ولا صهيب لى أى لانه تواعدهما أن يكون ثالثهما فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج للغار أرسل له أبو بكر مرتين أو ثلاثا فوجده يصلى فقال يا رسول الله وجدت صهيبا يصلى فكرهت أن أقطع عليه صلاته فقال أصبت وتقدمت الحوالة على هذا فلما كان فتيان

عاتقه فشكا صلى الله عليه وسلم منه شهرا أو أكثر وقذف صلى الله عليه وسلم بالحجارة حتى وقع لشقه ورماه عتبة بن أبى وقاص أخو سعد بن أبى وقاص بحجر فكسر رباعيته اليمنى السفلى وشق شفته السفلى ودعا عليه صلى الله عليه وسلم فاستجاب الله دعاءه فقتله حاطب بن أبى بلتعة رضى الله عنه كما رواه الحاكم فى المستدرك قال قال حاطب رضى الله عنه لما رأيت ما فعل عتبة برسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أين توجه عتبة فأشار الى حيث توجه فمضيت حتى ظفرت به فضربته بالسيف فطرحت رأسه فنزلت فأخذت رأسه وفرسه وسيفه وجئت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لى رضى الله عنك وأما ما ذكره ابن منده من انه أسلم واستند لقول أخيه سعد فى ابن أمة زمعة عهد الى أخى عتبة انه ولده فليس فيه ما يدل على اسلامه لاحتمال ان يكون عهد اليه وهو فى كفره بان أمة زمعة حملت منه وقد شدد أبو نعيم فى الانكار على ابن منده فى ذكره فى الصحابة واحتج بما رواه عبد الرزاق عن سعيد بن المسيب أنه صلى الله عليه وسلم دعا على عتبة حين كسر رباعيته وأدمى

٦ سيره ثانى . وجهه فقال اللهم لا تحول عليه الحول حتى يموت كافرا فما حال الحول حتى مات كافرا الى النار قال الحافظ ابن حجر ان ذكره فى الصحابة غلط وليس فى الآثار ما يدل على اسلامه بل فيها ما يصرح بموته على الكفر فلا معنى لايراده فى الصحابة اه وروى ابن اسحق عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال ما حرصت على قتل رجل قط حرصى على قتل أخى عتبة حين صنع برسول الله ما صنع ولقد كفانى فيه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتد غضب الله على من أدمى وجه رسوله وصح انه لم يولد من نسل عتبة ولد

فيبلغ الحلم الاوهو أبخر أى منتن الفم أهتم أى مكسور الثنايا يعرف ذلك فى عقبه وجاء ان الذى جرح وجهه الشريف صلى الله عليه وسلم عبد الله بن قئة وفى رواية عبد الله بن شهاب الزهرى جد الامام الزهرى من قبل أبيه شهد أحدا مع الكفار ثم أسلم رضى الله عنه وهو الذى سجه فى جبهته وان ابن قئة جرح وجنته وهى ما ارتفع من لحم خده فدخلت حلقتان من المغفر فى وجنته صلى الله عليه وسلم وهشمت البيضة على رأسه أى كسرت وسال الدم على وجهه ورموه بالحجارة حتى سقط لشقه فى حفرة واحتضنه طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائما وفى الصحيح عن قيس قال رأيت يد طلحة شلاء لانه وقى بها النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد وجاء أن طلحة رضى الله عنه جرح يوم أحد تسعا وثلاثين أو خمسا وثلاثين وشل أصبعاه أى السبابة والتى تليها وكان أبو بكر رضى الله عنه اذا ذكر يوم أحد قال كان ذلك اليوم كله لطلحة وروى النسائى والبيهقى عن جابر رضى الله عنه قال أدرك المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من للقوم فقال طلحة أنا فذكر قتل الذين كانوا معه مامن الانصار قال ثم قاتل طلحة قتالا شديدا حتى ضربت يده فقطعت أصابعه فقال حس فقال صلى الله عليه وسلم لو قلت باسم الله لرفعتك الملائكة والناس ينظرون اليك حتى تلج بك فى جو السماء وانتزع أبو عبيدة عامر بن الجراح الحلقتين اللتين كانتا فى وجنته صلى الله عليه وسلم وعض عليهما حتى سقطت ثنيتاه فكان سافط الثنيتين قال بعضهم ولما سقط مقدم أسنان أبى عبيدة صار أهتم ولم يرقط أهتم أحسن من أبى عبيدة لان ذلك الهتم حسن فقه وقيل ان عقبة بن وهب بن كلدة هو الذى نزع الحلقتين من وجنته صلى الله عليه وسلم وقيل انه أبو بكر رضى الله عنه فيجوز ان الثلاثة عالجوهما وامتص مالك بن سنان والد أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه الدم من وجنته صلى الله عليه وسلم ثم ازدرده فقال عليه الصلاة والسلام من مس دمه دمى لم تصبه النار وفى رواية من أراد أن ينظر الى رجل من أهل الجنة فلينظر الى هذا وأشار اليه فاستشهد فى هذه الغزوة رضى الله عنه وفى رواية من سره أن ينظر الى من لا تمسه النار فلينظر الى مالك بن سنان ولما رمى عبد الله بن قئة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خذها وأنا ابن

قريش على أربعين ذراعا من الغار تحمل بعضهم بعضا ينظر فى الغار فلم ير الا حمامتين وحشيتين أى مع العنكبوت فقال ليس فيه أحد فسمع النبى صلى الله عليه وسلم ما قال فعرف أن الله عز وجل قد درأ عنه أى دفع عنه وفى رواية فلما انتهوا الى فم الغار قال قائل منهم ادخلوا الغار فقال أمية ابن خلف وما أربكم أى حاجتكم الى الغار ان عليه لعنكبوتا كان قبل ميلاد محمد صلى الله عليه وسلم أى ولو دخل الغار لانفتح ذلك العنكبوت وتكسر البيض وهذا يدل على ان البيض لم يكن فرخ أى ويحتمل ان بعض البيض فرخ وبعضه لم يفرخ ثم جاء قبالة فم الغار فبال فقال أبو بكر يا رسول الله أنه يرانا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر لو كان يرانا ما فعل هذا وفى بعض الروايات لو رآنا ما تكشف عن فرجه اى ما استقبلنا بفرجه وبوله وقال أبو جهل أما والله انى لاحسب قريبا يرانا ولكن بعض سحره قد أخذ على أبصارنا فانصرفوا وذكر ابن كثير أن بعض أهل السير ذكر أن أبا بكر رضى الله تعالى عنه لما قال للنبى صلى الله عليه وسلم لو أن أحدهم نظر الى قدميه لابصرنا تحت قدميه قال له النبى صلى الله عليه وسلم لو جاؤنا من ههنا لذهبنا من ههنا فنظر الصديق الى الغار قد انفرج من الجانب الآخر واذا البحر قد اتصل به سفينة مشدودة الى جانبه قال ابن كثير وهذا ليس بمنكر من حيث القدرة العظيمة ولكن لم يرد ذلك باسناد قوى ولا ضعيف ولسنا نثبت شيأ من تلقاء أنفسنا ونهى النبى صلى الله عليه وسلم يومئذ عن قتل العنكبوت وقال انها جند من جند الله انتهى وعن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه انه قال لا أزال أحب العنكبوت منذ رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحبها ويقول جزى الله العنكبوت عنا خيرا فانها نسجت على وعليك يا أبا بكر الا أن البيوت تطهر من نسجها أى ينبغى ذلك لما تقدم ان وجود نسجها فى البيوت يورث الفقر وفى الجامع الصغير جزى الله العنكبوت عنا خيرا فانها نسجت على الغار ﴿أقول﴾ فيه ان فى الحديث العنكبوت شيطان فاقتلوه وفى لفظ العنكبوت شيطان مسخه الله فاقتلوه فان صح وثبت تأخره فهو ناسخ له وان كان متقدما على ما هنا وصح ما هنا فهو منسوخ به والله أعلم وبارك صلى الله عليه وسلم على الحمامتين وفرض جزاء الحمام وانحدرتا فى الحرم فافرختا كل شئ فى الحرم من الحمام أى ولاجل ذلك ذهب الغزالى من أئمتنا الى صحة الوقف على حمام مكة دون غيره من الطيور وهو الراجح ونظر فى الامتناع فى كون حمام الحرم من نسل ذلك الزوج فانه روى فى قصة نوح عليه الصلاة والسلام أنه بعث الحمامة من السفينة لتأتيه بخبر الارض فوقعت بوادى الحرم فاذا الماء قد نضب من موضع الكعبة وكانت طينتها حمراء فاختضبت رجلاها ثم جاءته فمسح عنقها وطوقها طوقا ووهب لها الحمرة فى رجليها وأسكنها الحرم ودعا لها بالبركة وفى شعر الحرث بن مضاض الذى أوله

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر

وبيك لبيت ليس يؤذى حمامه * يظل به أمنا وفيه العصافر

ففى هذا أن الحمام قد كان فى الحرم من عهد جرهم أى ونوح وذكر بعضهم أن حمام مكة أظله

قتله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفأك الله وهو يمسح الدم عن وجهه فسلط الله على ابن قئة تيسا جبليا فلم يزل يطحنه حتى قطعه قطعة قطعة زيادة فى نكاله وخزيه وويله وجعل صلى الله عليه وسلم يمسح الدم عن وجهه وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم الى ربهم فأنزل الله تعالى ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون قال الاوزاعى بلغنا انه لما جرح صلى الله عليه وسلم يوم أحد أخذ شيأ فجعل ينشف فيه دمه ليمنعه من النزول على ٤٣ الارض ويقول لو وقع منه شئ على الارض لنزل عليهم العذاب من السماء ثم قال اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون فاعتذر عنهم وتضرع الى الله أن يمهلهم حتى يكون منهم أو من ذريتهم من يؤمن وقد حقق الله رجاءه وهذا دعاء لهم بالتوبة من الشرك حتى يغفر لهم وليس دعاء لهم بغفران الشرك فلا يشكل على ذلك قوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ولا قوله تعالى ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين وعن معمر بن راشد عن الزهرى قال ضرب وجه النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد بالسيف سبعين ضربة ووقاه الله شرها كلها فلم يحصل مرادهم بالضرب ولله الحمد والمنة فان قيل كيف شج وجهه صلى الله عليه وسلم وكسرت رباعيته والله تعالى يقول والله يعصمك من الناس أجيب بان هذه الآية نزلت بعد وعلى تسليم انها نزلت قبل فالمراد عصمته من القتل قال الشيخ محى الدين بن العربى رحمه الله تعالى لا يخفى ان أجر كل نبى فى التبليغ يكون على قدر ما ناله من المشقة الحاصلة له من المخالفين له وعلى قدر ما يقاسيه منهم وله أجر الهداية لمن أطاعه ولا أحد أكثر من نبينا صلى الله عليه وسلم فانه لم يتفق لنبى من الانبياء عليهم الصلاة والسلام ما اتفق له صلى الله عليه وسلم فى كثرة طائعى أمة اجابته ولا فى كثرة عصاة أمة دعوته الخارجين عن الاجابة وكان أول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهزيمة وقول الشيطان قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب ابن مالك الانصارى رضى الله عنه وهو أحد الثلاثة المذكورين فى قوله تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا الخ قال عرفت عينيه صلى الله عليه وسلم تزهران أى تضيئان وتتوقدان من تحت المغفر فناديت باعلى صوتى يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله صلى الله

صلى الله عليه وسلم يوم فتحها فدعا له بالبركة وبروى ان أبا بكر رضى الله تعالى عنه لما رأى قريشا أقبلت نحو الغار خصوصا ومعهم القافة بكى أى ويقال لما سمع القائف يقول لقريش والله ما جاز مطلوبكم من هذا الغار حزن وبكى وقال والله ما على نفسى أبكى ولكن مخافة أن أرى فيك ما أكره فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحزن ان الله معنا وأنزل الله تعالى سكينته على أبى بكر رضى الله تعالى عنه أى وأنزل عليه أمنته التى تسكن عندها القلوب قيل قال له لا تحزن ولم يقل له لا تخف لان حزنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا النهى تأنيس وتبشير له كما فى قوله تعالى له صلى الله عليه وسلم ولا يحزنك قولهم وبه يرد ما زعمته الرافضة أن ذلك غضبا من أبى بكر وذما له لان حزنه رضى الله تعالى عنه ان كان طاعة فالنبى صلى الله عليه وسلم لا ينهى عن الطاعة فلم يبق الا أنه معصية وفى رواية عن أبى بكر رضى الله تعالى عنه قلت للنبى صلى الله عليه وسلم ونحن فى الغار لو أن أحدهم نظر الى قدميه لابصرنا تحت قدميه أى لانهما علوا على رؤسهما فعن أبى قال نظرت الى أقدام المشركين ونحن فى الغار وهم على رؤسنا فقلت يا رسول الله لو أن أحدهم نظر الى قدميه أبصرنا تحت قدميه فقال يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما قال بعضهم كان معهما وثالثهما باللفظ والمعنى أما باللفظ فكان يقال يا رسول الله ويقال لابى بكر يا خليفة رسول الله وأما بالمعنى فكان مصاحبا لهما بالنصر والهداية والارشاد والضمير فى أيده يجنود لم تروها راجع للنبى صلى الله عليه وسلم وتلك الجنود ملائكة أنزلهم الله تعالى عليه فى الغار يبشرونه صلى الله عليه وسلم بالنصر على أعدائه وروى أن أبا بكر رضى الله تعالى عنه عطش فى الغار فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب الى صدر الغار فاشرب فانطلق أبو بكر رضى الله تعالى عنه الى صدر الغار فوجد ماء أحلى من العسل وأبيض من اللبن وأزكى رائحة من المسك فشرب منه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله أمر الملك الموكل بانهار الجنة أن يخرق نهرا من جنة الفردوس الى صدر الغار لتشرب قال أبو بكر يا رسول الله ولى عند الله هذه المنزلة فقال النبى صلى الله عليه وسلم نعم وأفضل والذى بعثنى بالحق نبيا لا يدخل الجنة مبغضك ولو كان عمله عمل سبعين نبيا أى وذكر بعضهم قال كنت جالسا عند أبى بكر رضى الله تعالى عنه فقال من كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عدة فليقم فقام رجل فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدنى بثلاث حثيات من تمر فقال أرسلوا الى على فجاء فقال يا أبا الحسن ان هذا يزعم كذا وكذا فاحث له حثى له فقال أبو بكر عدوها فعدوها فوجدوها كل حثية ستين تمرة لا تزيد ولا تنقص فقال أبو بكر صدق الله ورسوله قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الهجرة فى الغار كفى وكف على فى العدد سواء ذكر الذهبى أنه موضوع ولعل قول الصديق صدق الله ورسوله علة لاختياره عليا على نفسه فى أن يحثو لا ان ذلك علة لكون كل حثية جاءت ستين حبة ولما أيست قريش منهما ارسلوا الى أهل السواحل أن من أسر أو قتل أحدهما كان له مائة ناقة أى ويقال ان أبا جهل أمر مناديا ينادى فى أعلى مكة وأسفلها من جاء بمحمد او دل عليه

عليه وسلم وعن بعض الصحابة رضى الله عنهم قال لما صاح الشيطان قتل محمد لم نشك فى أنه حق ومازلنا كذلك حتى طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين السعدين يعنى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة رضى الله عنهما فعرفناه بكتفيه اذا مشى ففرحنا حتى كأنه لم يصبنا ما أصابنا فلما عرف المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم نهضوا به ونهض معهم نحو الشعب وفيهم أبو بكر وعمر وعلى وطلحة والزبير والحرث بن الصمة وجماعة آخرون وفى خصائص ٤٤ العشرة أن الزبير رضى الله عنه ثبت يوم أحد مع النبى صلى الله عليه وسلم وبايعه على الموت وأما قول الرافضة انهزم الناس كلهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا على بن أبى طالب فممنوع بل ثبت مع على رضى الله عنه غيره كما تقدم وأقبل عثمان بن عبد الله بن المغيرة على فرس أبلق وعليه لامة كاملة قاصدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوجه للشعب وهو يقول لا نجوت ان نجا فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم فعثر بعثمان فرسه فى بعض تلك الحفر التى حفرها أبو عامر الفاسق فمشى اليه الحرث بن الصمة رضى الله عنه فاصطدما ساعة بسيفهما ثم ضربه الحرث على رجليه فبرك وذفف عليه وأخذ درعه ومغفره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذى أحانه أى أهلكه وأقبل عبيد بن أبى جابر العامرى يعدو فضرب الحرث على عاتقه فجرحه فاحتمله أصحابه ووثب أبو دجانة الى عبيد فذبحه بالسيف ولحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أراد صلى الله عليه وسلم أن يعلو الصخرة التى فى الشعب فلما ذهب لينهض لم يستطع لانه صلى الله عليه وسلم ضعف لكثرة ما خرج من دم رأسه الشريف ووجهه مع كونه عليه درعان فجلس تحته طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه فنهض به حتى استوى عليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوجب طلحة أى فعل شيأ استوجب به الجنة حين صنع وسلم برسول الله صلى الله عليه وسلم ماصنع وقد قيل ان طلحة رضى الله عنه كان فى مشيه اختلاف أى لعرج كان به فلما حمل النبى صلى الله عليه وسلم تكلف استقامة المشى لئلا يشق عليه صلى الله عليه وسلم فذهب عرجه ولم يعد اليه وعطش النبى صلى الله عليه وسلم عطشا شديدا وقد جاء على رضى الله عنه بماء فى درقته ليغسل به جرح النبى صلى الله عليه وسلم فلم يشرب صلى الله عليه وسلم من ذلك لتغير

فله مائة بعير والى قصة الغار أشار صاحب الهمزية بقوله

أخرجوه منها وآواه غار * وحمته حمامة ورقاء
وكفته بنسجها عنكبوت * ما كفته الحمامة الحصداء
واختفى منهم على قرب مرآ * ه ومن شدة الظهور الخفاء

اى كانوا سببا لاخراجه من تلك الارض التى هى مولده صلى الله عليه وسلم ومرباه ووطنه ووطن آبائه بسبب مبالغتهم فى ايذائه وايذاء أصحابه خصوصا ضعفاءهم وآواه غار وحمته منهم حمامة فى لونها بياض وسواد وكفته أعداءه عنكبوت بنسجها الذى كفته اياهم الحمامة الكثيرة الريش فتلك الحمامة كانت ورقاء حصداء واستتر منهم مع قرب محل رؤيته وحكمة خفائه واستتاره منهم مع ظهوره لهم لو نظر أحدهم الى ما تحت قدميه شدة ظهوره عليهم بالغلبة والمعونة الالهية ومكثا فى الغار ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله بن أبى بكر وهو غلام يعرف ما يقال يأتيهما حين يختلط الظلام ويدلج من عندهما بغبر فيصبح مع قريش كبائت فى بيته فلا يسمع أمرا يكادان به الا وعاه ويخبرهما به وكان عامر بن فهيرة مولى أبى بكر رضى الله تعالى عنهما كان مملوكا للطفيل فأسلم وهو مملوك وكان ممن يعذب فى الله عز وجل فاشتراه أبو بكر من الطفيل وأعتقه كما تقدم فكان يروح عليهما بمنحة غنم أى قطعة من غنم أبى بكر فكان يرعاها حيث تذهب ساعة من العشاء ويغدو بها عليهما ثم يغلس أى اذا خرج من عندهما عبد الله تبع عامر بن فهيرة أثره بالغنم حتى يقفو أثر قدميه يفعل ذلك فى كل ليلة من تلك الليالى الثلاث أى وذلك بارشاد من أبى بكر رضى الله تعالى عنه ففى السيرة الهشامية وأمر أبو بكر ابنه عبد الله رضى الله تعالى عنهما أن يستمع لهما ما يقول الناس فيهما نهاره ثم يأتيهما اذا أمسى بما يكون فى ذلك اليوم من الخبر وأمر عامر بن فهيرة أن يرعى غنمه نهاره ثم يريحها عليهما اذا أمسى فى الغار وكانت أسماء بنت أبى بكر رضى الله تعالى عنها تأتيهما اذا أمست بما يصلحهما من الطعام (أقول) وفى الدر عن عائشة رضى الله تعالى عنها ما كان أحد يعلم مكان ذلك الغار الا عبد الله بن أبى بكر وأسماء بنت أبى بكر فانهما كانا يختلفان اليهما وعامر بن فهيرة فانه كان اذا سرح غنمه مر بهما فحلب لهما (وفى الفصول المهمة) وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام بلياليها فى الغار وقريش لا يدرون أين هو وأسماء بنت أبى بكر رضى الله تعالى عنها تأتيهما ليلا بطعامهما وشرابهما فلما كان بعد الثلاث أمرهما صلى الله عليه وسلم أن تأتى عليا وتخبره بموضعهما وتقول له يستأجر لهما دليلا ويأتى معه بثلاث من الابل بعد مضى ساعة من الليلة الآتية أى وهى الليلة الرابعة فجاءت أسماء الى على كرم الله وجهه فأخبرته بذلك فاستأجر لهما رجلا يقال له الاريقط بن عبد الله الليثى وأرسل معه بثلاث من الابل فجاء بهن الى أسفل الجبل ليلا فلما سمع النبى صلى الله عليه وسلم رغاء الابل نزل من الغار هو وأبو بكر فعرفاه أى والذى فى البخارى فأتاهما براحلتيهما صبيحة ليال ثلاث فارتحلا وتقدم أن المستأجر لهما للدليل النبى صلى الله عليه

وجده به من طول المكث فخرج محمد بن مسلمة رضي الله عنه يطلب له ماء فلم يجد ثم ذهب الى موضع بعيد فأتى بماء عذب فشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا له بخير وجاء ان نساء المدينة خرجن ومعهن فاطمة رضي الله عنها بنت النبي صلى الله عليه وسلم فلما لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتنقته وجعلت تغسل جراحاته وعلي يسكب الماء فيتزايد الدم فلما رأت ذلك أخذت شيأ من حصير فاحرقته بالنار حتى صار رمادا فأخذت ذلك الرماد وكمدته به حتى لصق بالجرح فاستمسك الدم وبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب مع بعض أصحابه اذ عاينت طائفة من قريش الجبل معهم خالد بن الوليد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انهم لا ينبغي لهم ان يعلونا اللهم لا قوة لنا الا بك فقاتلهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وجماعة من المهاجرين رضي الله عنهم حتى هبطوا من الجبل ونزل في ذلك قوله تعالى ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين وفي بعض الروايات ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه اردد هم قال سعد فأخذت سهما من كنانتي فرميت به رجلا منهم فقتلته ثم أخذت سهما فاذا هو سهمي الذي رميت به فرميت به آخر فقتلته ثم أخذت سهما فاذا هو سهمي الذي رميت به فرميت به آخر فقتلته ثم أخذت سهما فاذا هو سهمي الذي رميت به فرميت به آخر فقتلته فهبطوا من مكانهم فقلت هذا سهم مبارك فكان عندي في كنانتي لا يفارق كنانتي وكان بعد سعد عند نبيه وجاء في رواية عن سعد رضي الله عنه قال لقد رأيتني أرمي بالسهم يوم أحد فيرده علي رجل أبيض حسن الوجه حتى كان بعد الحرب ولم أعرفه فظننت انه ملك وصلى صلى الله عليه وسلم ظهر ذلك اليوم وهو جالس من الجراح التي أصابته صلى الله عليه وسلم وصلى المسلمون خلفه قعودا ثم نسخ وقيل ان الذين صلوا قعودا هم الذين أصابتهم الجراح وقد جاء انه وجد بطلحة رضي الله عنه بضع وسبعون جراحة من طعنة وضربة ورمية وقطعت أصبعه وفي رواية أنامله وفي البخاري عن قيس بن أبي حازم قال رأيت يد طلحة بن عبيد الله التي وقى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم شلاء ونزف الدم بطلحة رضي الله عنه حتى غشي عليه فجاءه أبو بكر رضي الله عنه ونضح الماء في وجهه حتى

وسلم وأبو بكر وقد يجمع بان المراد باستئجار علي رضي الله تعالى عنه اعطاؤه الاجرة وكونه استأجر لهما ثلاث رواحل وأتى بها معه فيه نظر ظاهر وركب النبي صلى الله عليه وسلم وركب أبو بكر وركب الدليل وفي الدر المنثور فمكث هو صلى الله عليه وسلم وأبو بكر في الغار ثلاثة أيام يختلف اليهما بالطعام عامر بن فهيرة وعلي يجهزهما فاشترى ثلاثة أباعر واستأجر لهم دليلا فلما كان في بعض الليل من الليلة الثالثة أتاهم على بالابل والدليل فليتأمل ذلك مع ما قبله وفي حديث مرسل مكثت مع صاحبي في الغار بضعة عشر يوما ما لنا طعام الا ثمر البرير أي الاراك وتقدم في باب رعيه الغنم ان ثمر الاراك الناضج يقال له الكباث بكاف فباء موحدة مفتوحتين فثاء مثلثة قال ابن عبد البر وهذا أي القول بانهما مكثا في الغار بضعة عشر يوما غير صحيح عند أهل العلم بالحديث قال الحافظ ابن حجر والمراد كما قال الحاكم أنهما مكثا مختفيين من المشركين في الغار وفي الطريق بضعة عشر يوما وذكر في الغار أي الاقتصار عليه من بعض الرواة والله أعلم قال وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنهما أن أبا بكر أرسل ابنه عبد الله فحمل ماله وكان خمسة آلاف درهم أو أربعة آلاف وكان حين أسلم أربعين ألف درهم وفي لفظ أربعين ألف دينار أي ويؤيد ذلك ما جاء عن أنس رضي الله تعالى عنه أنفق أبو بكر على النبي صلى الله عليه وسلم أربعين ألف دينار فحمل اليه ذلك في الغار قالت أسماء فدخل علينا جدي أبو قحافة رضي الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك وكان قد ذهب بصره فقال والله اني لاراه يعني أبا بكر قد فجعكم بماله مع نفسه فقالت كلا يا أبت انه ترك لنا خيرا كثيرا قالت فأخذت أحجارا فوضعتها في كوة أي طاقة في البيت كان أبي يضع ماله فيها ثم وضعت عليها ثوبا ثم أخذت بيده فقلت ضع يدك على هذا المال قالت فوضع يده عليه فقال لا بأس ان كان ترك لكم هذا فقد أبلاغ لكم ولا والله ما ترك لنا شيأ ولكن أردت ان أسكن قلب الشيخ اه أي ولما بلغ ضمرة بن جندب خروجه صلى الله عليه وسلم وكان مريضا فقال لا عذر لي في مقامي بمكة فأمر أهله فخرجوا به فلما وصل الى التنعيم مات به فأنزل الله تعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما وقيل نزلت في خالد بن حزام بن خويلد بن أسد أسلم قديما وهاجر الى الحبشة في المرة الثانية فمات من نهش حية قبل ان يصل وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال لحسان رضي الله تعالى عنه هل قلت في أبي بكر شيأ قال نعم قال قل وأنا أسمع فقال

وثاني اثنين في الغار المنيف وقد * طاف العدو به اذ صاعدوا الجبلا
وكان حب رسول الله قد علموا * من البرية لم يعدل به رجلا

فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه أي وفي لفظ فتبسم ثم قال صدقت ياحسان هو كما قلت انه أحب البرية اليه أي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعدل به غيره (أقول) في ينبوع الحياة والذي أعرف في هذين البيتين انهما من أبيات رثى بهما حسان أبا بكر رضي الله تعالى عنهما هذا كلامه وقد يقال لا مانع أن يكون أدخلهما حسان في مرثيته لابي

أفاق فقال ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أبو بكر رضى الله عنه هو بخير وهو أرسلنى فقال الحمد لله كل مصيبة بعده جلل
أى قليلة وأصيب فم عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه وجرح عشرين جراحة فأكثر وأصاب كعب بن مالك سبع عشرة جراحة وقتل
الاصيرم بن عبد الاشهل كان يأبى الاسلام على قومه بنى عبد الاشهل فلما كان يوم خروج النبى صلى الله عليه وسلم الى أحد جاء الى
المدينة فسأل عن قومه فقيل بأحد فبدا له ٤٦ الاسلام أى رغب فيه فأسلم ثم أخذ سيفه ورمحه ولامته وركب فرسه فغدا حتى
دخل فى عرض الناس أى جانبهم فقاتل حتى أثبتته الجراحة فبينما رجال من بنى عبد الاشهل يلتمسون قتلاهم فى المعركة اذا هم به فقالوا والله ان هذا الاصيرم فسألوه ما جاء بك منا صرة لقومك أم رغبة فى الاسلام فقال بل رغبة فى الاسلام آمنت بالله وبرسوله ثم جئت وقاتلت حتى أصابنى ما أصابنى ثم لم يلبث ان مات فى أيديهم فذكروه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انه لمن أهل الجنة وكان أبو هريرة رضى الله عنه يقول حدثونى برجل دخل الجنة ولم يصل يعنى الاصيرم وقتل حنظلة رضى الله عنه وهو ابن أبى عامر الراهب الذى سماه النبى صلى الله عليه وسلم الفاسق ويقال لابى عامر بن صيفى وتقدم ان أبا عامر خرج من المدينة مباعدا للنبى صلى الله عليه وسلم ثم جاء مع كفار قريش يوم أحد وكان ولده حنظلة مع النبى صلى الله عليه وسلم فاستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قتل أبيه فنهاه صلى الله عليه وسلم وقد دعا صلى الله عليه وسلم على أبى عامر ان يموت طريدا وحيدا فاستجاب الله دعوته فخرج الى الشأم بعد فتح مكة فمات وحيدا طريدا قال السبكى فى تائيته ومات ابن صيفى على الصفة التى ذكرت وحيدا بعد طرد وغربة وسبب قتل ابنه حنظلة رضى الله عنه انه ضرب فرس أبى سفيان فوقع الارض فصاح وعلاه حنظلة يريد ذبحه فرآه شداد بن الاوس وهو غلط والصواب شداد بن الاسود فحمل عليه فقتله فقال صلى الله عليه وسلم ان صاحبكم يعنى حنظلة لتغسله الملائكة وفى رواية رأيت الملائكة تغسل حنظلة بين السماء والارض بماء المزن فى صحائف الفضة فسئلت زوجته وهى جميلة بنت عبد الله بن أبى ابن سلول رأس المنافقين وكانت من المؤمنات الصادقات فقالت خرج جنبا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك غسلته الملائكة

بكر بعد ذلك والله أعلم وعن أبى بكر رضى الله تعالى عنه قال لجماعة أيكم يقرأ سورة التوبة قال رجل أنا أقرأ فلما بلغ اذ يقول لصاحبه لا تحزن بكى وقال أنا والله صاحبه وعن أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه قال رآنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمشى أمام أبى بكر فقال يا أبا الدرداء أتمشى أمام من هو أفضل منك فى الدنيا والآخرة فو الذى نفس محمد بيده ما طلعت الشمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبى بكر وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أتانى جبريل فقال ان الله تعالى يأمرك أن تستشير أبا بكر وعن أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب أبى بكر واجب على أمتى

﴿باب الهجرة الى المدينة﴾

لا يخفى انه لما كان صبيحة الليلة الثالثة من دخولهما الغار على ما تقدم جاءهما الدليل الذى هو الرجل الدؤلى براحلتيهما فركبا وانطلق بهما وانطلق معهما عامر بن فهيرة أى رديفا لابى بكر يخدمهما أى وفى البخارى ان أبا بكر كان رديفا له صلى الله عليه وسلم أى ولا مخالفة لما سيأتى ويروى انه صلى الله عليه وسلم لما خرج من الغار وركب أخذ أبو بكر بغرزه أى بركابه والغرز بغين معجمة مفتوحة وراء ساكنة وزاى ركاب الابل خاصة فقال صلى الله عليه وسلم ألا أبشرك قال بلى فداك أبى وأمى قال ان الله عز وجل يتجلى للخلائق يوم القيامة عامة ويتجلى لك خاصة قال الخطيب هذا الحديث لا أصل له قال السيوطى رأيت له متابعات ودعا صلى الله عليه وسلم بدعاء منه اللهم اصحبنى فى سفرى واخلفنى فى أهلى وأخذبهم الدليل على طريق السواحل وصار أبو بكر اذا سأله سائل عن النبى صلى الله عليه وسلم من هذا الذى معك أى وفى رواية من هذا الذى بين يديك وفى رواية من هذا الغلام بين يديك أى بناء على انه كان رديفا له صلى الله عليه وسلم يقول هذا الرجل يهدينى الطريق يعنى طريق الخير أى لانه صلى الله عليه وسلم قال لابى بكر اله الناس أى اشغل الناس عنى أى تكفل عنى بالجواب لمن سأل عنى فانه لا ينبغى لنبى أن يكذب أى ولو صورة كالتورية فكان أبو بكر يقول لمن سأله عن النبى صلى الله عليه وسلم ماذكروا انما لم يسئل أبو بكر عن نفسه لان أبا بكر كان معروفا لهم لانه كان يكثر المرور عليهم فى التجارة للشام أى معروفا لغالبهم فلا ينافى ما جاء فى بعض الروايات انه كان اذا سئل من أنت يقول باغى أى طالب حاجة فعلم ان الانبياء لا ينبغى لهم الكذب ولو صورة ومن ذلك التورية لكن سيأتى فى غزوة بدر وقوع التورية منه صلى الله عليه وسلم وفى رواية ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم وراء أبى بكر ناقته وفى التمهيد لابن عبد البر أنه لما أتى براحلة أبى بكر سأل أبو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يركب ويردفه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل أنت اركب وأردفك أنا فان الرجل أحق بصدر دابته فكان اذا قيل له من هذا وراءك قال هذا يهدينى السبيل (أقول) لا مخالفة بين هذا وما تقدم لانه يجوز أن يكون ركب صلى الله عليه وسلم

وكان حنظلة رضى الله عنه دخل عليها غروسا تلك الليلة التى صبيحتها وقعة أحد وكان استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الدخول بها فلما صلى الصبح غدا يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلزمته فكان معها وأجنب منها ونادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج الى العدو فعجل عن الغسل اجابة للداعى وفى رواية انها قالت خرج وهو جنب حين سمع الهاتفة أى الصائحة بالخروج للعدو وفى رواية انه غسل أحد شقيه ثم خرج ولم يغسل الشق الآخر فلذلك غسلته ٤٧ الملائكة وجاء انه التمس فى القتلى فوجدوه يقطر رأسه ماء وليس بقربه ماء تصديقا لقوله صلى الله عليه وسلم وقد رأت زوجته تلك الليلة ان السماء فرجت فدخل ثم أطبقت وجاء انها أشهدت أربعة من قومها حين أراد الخروج بانه دخل بها خشية أن يحصل له موت فيكون فى ذلك نزاع قالت لانى رأيت السماء فرجت فدخل فيها ثم أطبقت وعلقت منه بعبد الله بن حنظلة رضى الله عنه فى تلك الليلة وعبد الله هذا هو الذى ولاه أهل المدينة عليهم وبايعوه حين خلعوا يزيد بن معاوية وكان ذلك سببا لوقعة الحرة ولما مثل كفار قريش بشهداء أحد لم يمثلوا بحنظلة لغسيل لكون والده معهم وهو أبو عامر الفاسق وقد جاء ان أبا قتادة الانصارى رضى الله عنه لما رأى ما فعله كفار قريش بالمسلمين من التمثيل أراد ان يمثل بقتلاهم فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ان قريشا أهل أمانة من بغاهم العوائر أكبه الله على فيه وعساك ان طالت بك حياة ان تحقر عملك مع أعمالهم وفعالك مع فعالهم لولا ان تبطر قريش لاخبرتها بما لها عند الله تعالى فقال أبو قتادة والله يا رسول الله ما غضبت الا لله ولرسوله فقال صدقت بئس القوم كانوا لنبيهم وجاء ان النبى صلى الله عليه وسلم أراد أن يدعو عليهم أى يكرر الدعاء عليهم أو يستديم الدعاء عليهم فلا يأبى انه قد دعا عليهم فى بعض الاوقات فأنزل الله ليس لك من الامر شئ الآية فكف عن الدعاء عليهم وقال لئن ظفرت بهم لامثلن بثلاثين منهم فأنزل الله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين فقال اصبر واحتسب وأقبل رجل من المشركين مقنعا بالحديد يقول أنا ابن عويف فتلقاه رشيد الانصارى الفارسى فضربه على عاتقه فقطع الدرع فقال خذها وأنا الغلام الفارسى ورسول الله صلى الله عليه وسلم يرى ذلك ويسمعه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلا قلت خذها وأنا الغلام الانصارى وكان

تارة خلف أبى بكر على ناقة أبى بكر وتارة ركب صلى الله عليه وسلم على ناقة نفسه امامه وأن ركوبه لها كان فى أثناء الطريق ويكون صلى الله عليه وسلم اما أركب راحلته عامر بن فهيرة أو ترك ركوبها لاجل اراحتها والهداية كما تكون من المتقدم تكون من المتأخر وان كان الاول هو الغالب والله أعلم والى توجهه صلى الله عليه وسلم الى المدينة أشار صاحب الهمزية بقوله

ونحا المصطفى المدينة واشتا * قت اليه من مكة الانحاء

أى وقصد صلى الله عليه وسلم المدينة واشتاقت اليه الجهات والنواحى من مكة وقد جاء انه لما خرج صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة مهاجرا وبلغ الجحفة اشتاق الى مكة فأنزل الله تعالى عليه ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد أى الى مكة وأهل الرجعة يقولون الى الدنيا أى من يقول بان النبى صلى الله عليه وسلم يرجع الى الدنيا كما يرجع عيسى وقد أظهرها عبد الله بن سبا كان يهوديا وأمه يهودية سوداء ومن ثم كان يقال له ابن السوداء أظهر الاسلام فى خلافة عمر رضى الله تعالى عنه وقيل فى خلافة عثمان رضى الله تعالى عنه وكان قصده باظهار الاسلام بوار الاسلام فكان يقول العجب ممن يزعم ان عيسى يرجع الى الدنيا ويكذب برجعة محمد صلى الله عليه وسلم وقد قال الله تعالى ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد فمحمد أحق بالرجعة من عيسى عليهما الصلاة والسلام وتقدم ذلك فى أثناء الكلام على بدء الوحى وسيأتى ذلك عند بناء المسجد وكانت قريش كما تقدم أرسلت لاهل السواحل ان من قتل أو أسر أبا بكر أو محمدا كان له مائة ناقة أى فمن قتلهما أو أسرهما كان له مائتان فعن سراقة جاء نارسل كفار قريش يجعلون فيهما ان قتلا أو أسرا دية بين فبينا أنا جالس فى مجلس من مجالس قومى بنى مدلج أى بقديد وهو محل قريب من رابغ أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال يا سراقة انى رأيت اسودة أى أشخاصا بالسواحل أراه محمدا وأصحابه قال سراقة فعرفت أنهم هم فقلت انهم ليسوا بهم ولكنك رأيت فلانا وفلانا انطلقوا بأعيننا أى بمعرفتنا يطلبون ضالة لهم أى وفى لفظ قال رأيت ركبة بالتحريك جمع راكب ثلاثا مروا على آنفا أى قريبا انى لاراهم محمدا وأصحابه قال سراقة فأومأت اليه ان اسكت ثم قلت انما هم بنو فلان يتبعون ضالة لهم ثم لبثت فى المجلس ساعة ثم قمت الى منزلى فأمرت جاريتى ان تخرج فرسى خفية الى بطن الوادى وتحبسها على وأخذت رمحى وخرجت به من ظهر البيت فخططت برجه فى الارض والزج الحديدة التى تكون فى أسفل الرمح وخفضت عاليه أى أمسكت باعلاه وجعلت أسفله فى الارض لئلا يراه أحد وانما فعل ذلك كله ليفوز بالجعل المتقدم ذكره ولا يشركه فيه أحد من قومه بخروجه معه لقتلهما أو أسرهما زاد فى رواية ثم انطلقت فلبست لامتى وجعلت أجر الرمح مخافة أن يشركنى أهل الماء يعنى قومه قال حتى أتيت فرسى أى وكان يقال لها العود والفرس لغة تقع على الذكر والانثى قال فى النور والمراد هنا الانثى لقوله فركبتها ولقوله فرفعتها أى بالغت فى اجرائها حتى دنوت منهم وفى لفظ فرفعتها تقرب بى

قد قتله بتلك الضربة فعرض لرشيد أخو ذلك المقتول بعد وكأنه كلب وهو يقول أنا ابن عويف فضربه رشيد على رأسه وعليه المغفر ففلق رأسه فقال خذها وأنا الغلام الانصارى فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أحسنت يا أبا عبد الله وكان يومئذ لا ولد له وقتل عمرو بن الجموح وكان أعرج شديد العرج وكان له بنون أربعة مثل الاسود يشهدون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه وقالوا له قد عذرك الله ٤٨ فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان بنيّ يريدون أن يحبسونى عن الخروج معك فوالله انى أريد ان أطأ بعرجتى هذه الجنة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أما أنت فقد أعذرك الله فلا جهاد عليك وقال لبنيه ما عليكم أن لا تمنعوه لعل الله يرزقه الشهادة فأخذ سلاحه وخرج وتوجه الى القبلة وقال اللهم ارزقنى الشهادة ولا تردنى خائبا الى أهلى فقتل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ان منكم من لو أقسم على الله لأبره منهم عمرو بن الجموح ولقد رأيته يطأ فى الجنة بعرجته وفى رواية انه قال يارسول الله أرأيت ان قاتلت فى سبيل الله حتى أقتل أأمشى برجلى هذه صحيحة فى الجنة فقال له صلى الله عليه وسلم كأنى أنظر اليك تمشى برجلك هذه صحيحة فى الجنة ويمكن الجمع بانه فى أول دخوله الجنة يطؤها برجله غير صحيحة ثم تصير صحيحة (وأصيبت) يوم أحد على الصحيح عين قتادة بن النعمان الاوسى رضى الله عنه حتى وقعت على وجنته وقيل صارت فى يده فأتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ان شئت صبرت ولك الجنة وان شئت رددتها ودعوت الله لك فلم تفقد منها شيأ فقال يارسول الله ان الجنة لجزاء جميل وعطاء جليل ولكنى رجل مبتلى يحب النساء وأخاف أن يقلن أعور فلا يردننى ولكن تردها وتسأل الله لى الجنة فقال أفعل يا قتادة فخاصنى

وحينئذ يكون المراد أسرعت بالسير بها الان التقريب دون العدو ووق العادة فعثرت بى فرسى أى فوقعت لمضربها كما فى حديث أسماء بنت أبى بكر رضى الله تعالى عنهما زاد فى رواية ثم قامت تحمحم فخررت عنها فقمت فأهويت بيدى على كنانتى فاستخرجت الازلام أى وهى عيدان السهام التى لا ريش لها ولم تركب فيها النصال واستقسمت بها أضرهم أم لا تخرج الذى أكره وهو عدم اضرارهم أى لانه مكتوب عليها افعل لا تفعل ويقال للاول الآمر ويقال للثانى الناهى فركبت فرسى وعصيت الازلام تقرب بى حتى سمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات ساخت أى غابت يدا فرسى فى الارض حتى بلغتا الركبتين أى وكانت الارض جلدة فخررت عنها ثم زجرتها فنهضت فلم تكد تخرج يديها فلما استوت قائمة اذا لاثر يديها عثان أى غبار ساطع فى السماء مثل الدخان أى مع كون الارض جلدة فاستقسمت بالازلام فخرج الذى أكره فناديتهم بالامان أى وقلت انظرونى لا أوذيكم ولا يأتيكم منى شئ تكرهونه أى وفى رواية ناديت القوم وقلت أنا سراقة بن مالك انظرونى أكلمكم أنا لكم نافع غير ضار والى لا أدرى لعل الحى فزعوا الركوبى أى ان بلغهم ذلك وأنا راجع رادهم عنكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى بكر قل له ماذا تبتغى فوقفوا فأخبرتهم بما تريد الناس منهم وفى رواية قال يا محمد ادع الله أن يطلق فرسى وأرجع عنك وأرد من ورائى وفى رواية قال يا هذا ان ادعو الى الله ربكما ولكما ان لا أعود ففعل أى دعاله رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق الفرس وحينئذ يكون زجره لها ونهوضها بعد الدعاء فلا مخالفة قال فركبت فرسى أى بعد نهوضها حتى جئتهم فقلت ان قومك جعلوا فيك الدية أى مائة من الابل لمن قتلك أو أسرك وهذا هو المراد بقوله فى الرواية السابقة فأخبرتهم بما يريد الناس منهم وكأنه رأى ان ذلك كاف فى لحوقه بهم عن ذكر أبى بكر قال سراقة وعرضت عليهما الزاد والمتاع فلم يقبلا وقالا اخف عنا أى وفى رواية عرضت عليهما الزاد والحملان أى ولعل الحملان هو المراد بالمتاع أى لانه جاء انه قال لهما خذا هذا السهم من كنانتى وغنمى وابلى بمحل كذا وكذا فخذا منهما ما شئتما فقالا لا كفنا نفسك فقال كفيتماها ﴿أقول﴾ وفى رواية قال له صلى الله عليه وسلم يا سراقة ذا لم ترغب فى دين الاسلام فانى لا أرغب فى ابلك ومواشيك وفى رواية عن أبى بكر رضى الله تعالى عنه قال لما أدركنا سراقة قلت يارسول الله هذا الطلب قد لحقنا قال لا تحزن ان الله معنا أى وقد تقدم أنه قال ذلك له فى الغار فلما كان بيننا وبينه قيد أى مقدار رمح أو ثلاثة قلت يارسول الله هذا الطلب قد لحقنا وبكيت قال لم تبكى قلت أما والله ما على نفسى أبكى ولكن أبكى عليك فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اكفناه بما شئت فساخت به فرسه فى الارض الى بطنها وكانت الارض صلبة أى ولا يخالف ما سبق انها بلغت الركبتين لجواز أن يكون ذلك فى أول أمرها ثم صارت الى بطنها وذلك كله فى المرة الاولى فلا يخالف ما فى الامتاع لما قرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ساخت يدا فرسه فى الارض الى بطنها فقال ادع لى يا محمد أن

وفى رواية وان لى امرأة أحبها وأخشى ان رأتنى ان تقذرنى فأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وردها الى موضعها وقال اللهم اكسه جمالا وعند الطبرانى عن قتادة رضى الله عنه قال كنت أتقى السهام بوجهى دون وجهه صلى الله عليه وسلم فكان آخرها سهما ندرت منه حدقتى فأخذتها بيدى وسعيت بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآها فى كفى دمعت عيناه فقال

اللهم ق قتادة كما وقى وجه نبيك وردها الى موضعها وقال اللهم اجعلها أحسن عينيه وأحدهما أى أقواهما نظرا فكانت لا ترمد اذا رمدت الاخرى وفى رواية أصيبت عيناى وهو من تصرف الرواة بل قال الدارقطنى ان هذه الرواية تفرد بها عمار بن نصر قال النووى وقد غلطوه فالصواب انها عين واحدة وروى الاصمعى عن أبى معشر قال قدم على عمر بن عبد العزيز رجل من ولد قتادة بن النعمان فقال ممن الرجل فقال أنا ابن الذى سالت على الخد عينه * فردت بكف المصطفى ايما رد ٤٩ فعادت كما كانت لاول أمرها *

فيا حسن ما عين ويا حسن ما خذ

فقال عمر

تلك المكارم لا قعبان من لبن

شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

وفى رواية فقال عمر بمثل هذا فليتوسل المتوسلون ووصله وأحسن جائزته ورمى أبو رهم الغفارى واسمه كلثوم بن الحصين ابن خالد بسهم فوقع فى نحره فبصق عليه صلى الله عليه وسلم فبرئ وانقطع سيف عبد الله بن جحش فأعطاه صلى الله عليه وسلم عرجون نخلة فعاد فى يده سيفا فقاتل به حتى قتل رضى الله عنه قتله أبو الحكم بن الاخنس بن شريق الثقفى فقتل على رضى الله عنه أبا الحكم بعد ذلك ودفن عبد الله بن جحش هو وخاله حمزة رضى الله عنهما فى قبر واحد وكان ذلك السيف يسمى العرجون ولم يزل يتوارث حتى بيع من بغا التركى من أمراء المعتصم بن الرشيد فى بغداد بمائتى دينار وهذا نحو حديث عكاشة السابق فى غزوة بدر الا ان سيف عكاشة كان يسمى العون وهذا يسمى العرجون واشتغل المشركون ذكورا واناثا بقتلى المسلمين يمثلون بهم يقطعون الآذان والانوف والفروج ويبقرون البطون وهم يظنون انهم أصابوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشراف أصحابه وجاء وحشى بعد ان مات حمزة رضى

يخلصنى الله تعالى وللك على ان أردعنك الطلب فدعا فخلص فعاد فتبعهم فساخت قوائم فرسه فى الارض أشد من الاولى فقال يا محمد قد علمت ان هذا من دعائك على الحديث اذهو يدل على انها فى المرة الاولى وصلت الى بطنها وفى الثانية وصلت الى ما هو زائد على ذلك وقد يدل له ما يأتى عن الهمزية ولعل المراد أنه دخل جزء من بطنها فى الارض فى المرة الثانية وفى لفظ فقال يا محمد قد علمت ان هذا عملك فادع الله يخلصنى مما أنا فيه فوالله لاعمين على من ورائى من الطلب فدعا له فانطلق راجعا وفى السبعيات للهمدانى ان سراقة لما دنا منه صلى الله عليه وسلم صاح وقال يا محمد من يمنعك منى اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يمنعنى الجبار الواحد القهار ونزل جبريل عليه الصلاة والسلام وقال يا محمد ان الله عز وجل يقول جعلت الارض مطيعة لك فامرها بما شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أرض خذيه فاخذت الارض أرجل جواده الى الركب فساق سراقة فرسه فلم يتحرك فقال يا محمد الامان وعزة العزى لو أنجيتنى لاكونن لك لا عليك فقال يا أرض اطلقيه فاطلقت جواده * وروى فى بعض التفاسير أن سراقة عاهد سبع مرات ثم ينكث العهد وكلما ينكث العهد تغوص قوائم فرسه فى الارض وهذا أى الاقتصار على غوص قوائم فرسه فى الارض لا ينافى الزيادة فلا يخالف ما سبق وفى السابعة تاب توبة صدق وفى الفصول المهمة لما اتصل خبر مسيره صلى الله عليه وسلم الى المدينة وذلك فى اليوم الثانى من خروجه صلى الله عليه وسلم الى الغار جمع الناس أبو جهل وقال بلغنى ان محمدا قد مضى نحو يثرب على طريق الساحل ومعه رجلان آخران فايكم يأتينى بخبره فوثب سراقة فقال أنا لمحمد يا أبا الحكم ثم انه ركب راحلته واستجنب فرسه وأخذ معه عبدا له أسود كان ذلك العبد من الشجعان المشهورين فسارا أى فى أثر النبى صلى الله عليه وسلم سيرا عنيفا حتى لحقا به فقال أبو بكر يا رسول الله قد دهينا هذا سراقة قد أقبل فى طلبنا ومعه غلامه الاسود المشهور فلما أبصرهم سراقة نزل عن راحلته وركب فرسه وتناول رمحه وأقبل نحوهم فلما قرب منهم قال النبى صلى الله عليه وسلم اللهم اكفنا أمر سراقة بما شئت وكيف شئت وانى شئت فغابت قوائم فرسه فى الارض حتى لم يقدر الفرس أن يتحرك فلما نظر سراقة الى ذلك هاله ورمى نفسه عن الفرس الى الارض ورمى رمحه وقال يا محمد انت وأصحابك أى انت كما أنت أى آمن وأصحابك فادع ربك يطلق لى جوادى ولك عهد وميثاق أن أرجع عنك فرفع النبى صلى الله عليه وسلم يديه الى السماء وقال اللهم ان كان صادقا فيما يقول فاطلق له جواده قال فاطلق الله تعالى له قوائم فرسه حتى وثب على الارض سليما أى ولعل هذا فى المرة الثانية والمرة الاخيرة من السبع على ما تقدم وتقدم ان الاقتصار على القوائم لا ينافى الزيادة عليها فلا يخالف ما سبق فى هذه الرواية ورجع سراقة الى مكة فاجتمع الناس عليه فانكر انه رأى محمدا فلا زال به أبو جهل حتى اعترف وأخبرهم بالقصة وفى ذلك يقول سراقة مخاطبا لابى جهل

٧ سيره ثانى الله عنه وأخذ حربته وأخرج كبده وذهب به الى هند بنت عتبة وقال لها هذا كبد حمزة قاتل أبيك فأخذتها ومضغتها فلم تقدر أن تسيغها فلفظتها وأعطته ثوبها وحليها ووعدته عشرة دنانير بمكة وجاء فى رواية ان النساء خرجن مع هند وصرن يمثلن بقتلى المسلمين يجدعن أى يقطعن آذانهم وأنوفهم ويتخذن من ذلك قلائد وكانت هند نذرت ان تأكل من قلب حمزة رضى الله عنه لكونه قتل أباها فاستخرج لها وحشى فلذة من قلبه فلاكتها فلم تستطع بلعها فلفظتها ولما أراد أبو سفيان الانصراف أشرف على الجبل ثم

صرخ باعلى صوته وقال أنعمت فعال ان الحرب سجال حنظلة بحنظلة يوم أحد بيوم بدر اعل هبل وسبب قوله ذلك انه حين أراد الخروج كتب على سهم نعم وعلى الآخر لا واجالهما عند هبل فخرج سهم نعم فتوجه الى أحد فلذا قال اعل هبل أى زد علوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر رضى الله عنه أجبه فقل الله أعلى وأجل وقوله أنعمت فعال بسكون التاء أى أجابت بنعم فى فعلها البالغ ففعال معدول عن فاعلة صيغة ٥٠ مبالغة يعنى بالغت هذه الفعلة أى الوقعة ثم قال له عمر رضى الله عنه لا سواء أى لا نستوى نحن وأنتم قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار فقال أبو سفيان لنا العزى ولا عزى لكم فقال صلى الله عليه وسلم قولوا الله مولانا ولا مولى لكم أى لا ناصر لكم قال ابن اسحق وعلت هند بنت عتبة زوج أبى سفيان على صخرة مشرفة فصرخت باعلى صوتها فقالت

نحن جزينا كم بيوم بدر
والحرب بعد الحرب ذات سعر
ما كان عن عتبة لى من صبر
ولا أخى وعمه وبكرى
شفيت نفسى وقضيت نذرى
شفيت وحشى غليل صدرى
فشكر وحشى على عمرى
حتى ترم أعظمى فى قبرى

فاجابتها هند بنت اثاثة بن عباد ابن المطلب المطلبية أخت مسطح ابن اثاثة فقالت

خزيت فى بدر وبعد بدر
يا بنت وقاع عظيم الكفر
صبحك الله غداة الفجر
بالهاشميين الطوال الزهر
بكل قطاع حسام يفرى
حمزة ليثى وعلى صقرى
اذرام شيب وأبوك غدرى
نخضبا منه ضواحى النحر
وندرك السوء فشر نذر

قال العلامة الزرقانى قال الحافظ أبو الربيع فى الاكتفاء هذا قول هند والكفر يحنقها والوتر يقلقها والحزن يحرقها والشيطان ينطقها ثم ان الله هداها للاسلام وعبادة الله وترك الاصنام وأخذ بحجزتها عن سوء النار ودلها على دار الاسلام فصلحت حالها وتبدلت أقوالها حتى قالت له صلى الله عليه وسلم والله يا رسول الله ما كان على الارض أهل خباء أحب الى أن يذلوا من أهل خبائك وما أصبح اليوم أهل خباء أحب الى أن يعزوا من أهل خبائك وكان اسلامها واسلام زوجها أبى سفيان عام الفتح وشهد أبو سفيان غزوة الطائف وقلعت عينه فجاء بها الى النبى صلى الله عليه

أباحكم والله لو كنت شاهدا * لامر جوادى اذ تسوخ قوائمه
علمت ولم تشكك بان محمدا * رسول ببرهان فمن ذا يقاومه

وسياق هذه الرواية يدل على انه خرج خلف النبى صلى الله عليه وسلم من مكة ويدل لذلك ماذكر انه كان أحد القاصين لاثره صلى الله عليه وسلم فى الجبل لكنه مخالف لما تقدم انه خرج خلفه صلى الله عليه وسلم من قديد من مجلس قومه وأخفى خروج فرسه وخروجه عن قومه وقد يقال لا مخالفة لانه يجوز أن يكون لما خرج من مكة سلك طريقا غير الطريق الذى سلكها النبى صلى الله عليه وسلم فلم يجده وسبقه على قديد فجلس فى مجلس قومه فلما أخبر عررهم فعل ما تقدم ثم وجد عبده الاسود فى مروره وكان معه راحلته فركبها واستجنب فرسه وصحب عبده ولا مانع أن يخرج من مكة بعد خروجهم من الغار ويسبقهم على قديد ولا ينافى ذلك قوله فأتانا رسل كفار قريش لانه يجوز ان يكون ذلك هو الحامل لسراقة على الذهاب الى مكة لعله يجده بطريقه ولا ينافى ذلك كونه كان أحد القاصين لاثره صلى الله عليه وسلم لانه يجوز أن يكون عاد الى قديد قبل أن يجعل الجعل وفى كلام بعضهم انه أرسل بهذين البيتين الى أبى جهل ولا منافاة لجواز أن يكون أرسل بهما قبل أن يشافههم بهما وفى رواية لما لحق بهم قال صلى الله عليه وسلم اللهم اصرعه فصرع عن فرسه فقال يا نبى الله مرنى بما شئت قال تقف مكانك لا تتركن أحدا يلحق بنا * ثم لا يخفى ان صرعه عن فرسه يحتمل أن يكون لما ساخت ويحتمل انه صرع عنها قبل ذلك وهو ظاهر سياق الرواية الاولى وهى فعثرت بى فرسى فخررت عنها وحينئذ يكون عثورها بدعائه صلى الله عليه وسلم والله أعلم * قال سراقة فسألته أن يكتب لى كتاب أمن لانه وقع فى نفسى حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم * وفى السبعيات قال سراقة يا محمد انى لاعلم أنه سيظهر أمرك فى العالم وتملك رقاب الناس فعاهدنى أنى اذا أتيتك يوم ملكك فاكرمنى فامر عامر بن فهيرة أى وقيل أبا بكر فكتب لى فى رقعة من أدم أى وقيل فى قطعة من عظم وقيل فى خرقة (أقول) وحينئذ يمكن أن يكون كتب عامر بن فهيرة أولا فطلب سراقة أن يكون أبو بكر هو الذى يكتب فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابة ذلك فاحدهما كتب فى الرقعة من الادم والآخر كتب فى العظم أو الخرفة أو المراد بالخرقة الرقعة من الادم فلا مخالفة ولما أراد الانصراف قال له كيف بك يا سراقة اذا تسورت بسوارى كسرى قال كسرى بن هرمز قال نعم وسيأتى ان سراقة أسلم بالجعرانة ولما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بها قال له مرحبا بك وعن سراقة لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من حنين والطائف خرجت ومعى الكتاب لالقاه فنقيته بالجعرانة فدخلت فى كتيبة من خيل الانصار فجعلوا يقرعوننى بالرماح ويقولون اليك ماذا تريد قال فدنوت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على ناقته فرفعت يدى بالكتاب ثم قلت يا رسول الله هذا كتابى وأنا سراقة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم وفاء وبر ادنه فدنوت منه

وسلم فقال له ان شئت برجعها الله اليك أحسن مما كانت وان شئت عينا خيرا منها فى الجنة فرمى بها وقال خيرا منها فى الجنة وشهد غزوة اليرموك فى خلافة عمر رضى الله عنه وكان يحث الناس على القتال و يقول الله الله عباد الله انصروا دين الله ينصركم الله ثم قلعت عينه الاخرى وتوفى بالمدينة سنة احدى أو أربع وثلاثين وهو ابن ثمان وثمانين سنة وصلى عليه عثمان رضى الله عنه وكان أبو سفيان رضى الله عنه فى أول دخوله فى الاسلام مكرها فتألفه النبى صلى الله عليه ٥١ وسلم حتى شرح الله صدره للهدى وحسن

وأسلمت ولما جىء لعمر رضى الله تعالى عنه فى زمن خلافته بسوارى كسرى وتاجه ومنطقته أى و بساطه وكان ستين ذراعا فى ستين ذراعا منظوما باللؤلؤ والجواهر الملونة على ألوان زهر الربيع كان يبسط له فى ايوانه و يشرب عليه اذا عدمت الزهور وجىء له بمال كثير من مال كسرى و بنات كسرى وكن ثلاثا وعليهن الحلى والحلل والجواهر ما يقصر اللسان عن وصفه وعند ذلك دعا سراقة وقال ارفع يديك والبسه السوارين وقال له قل الحمد لله الذى سلبهما كسرى بن هرمز الذى كان يقول أنا رب الناس والبسهما سراقة بن مالك أى ورفع عمر بها صوته وصب المال الذى جىء به من أموال كسرى فى صحن المسجد وفرقه على المسلمين ثم قطع البساط وفرقه بين المسلمين فأصاب عليا رضى الله تعالى عنه منه قطعة باعها بخمسين ألف دينار ثم جىء ببنات الملك الثلاث فوقفن بين يديه وأمر المنادى أن ينادى عليهن وان يزيل نقابهن عن وجوههن ليزيد المسلمون فى ثمنهن فامتنعن من كشف نقابهن ووكزن المنادى فى صدره فغضب عمر رضى الله تعالى عنه وأراد أن يعلوهن بالدرة وهن يبكين فقال له على رضى الله تعالى عنه مهلا يا أمير المؤمنين فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ارحموا عزيز قوم ذل وغنى قوم افتقر فسكن غضبه فقال له على ان بنات الملوك لا يعاملن معاملة غيرهن من بنات السوقة فقال له عمر كيف الطريق الى العمل معهن فقال يقوّمن ومهما بلغ ثمنهن يقوم به من يختارهن فقوّمن وأخذهن على رضى الله تعالى عنه فدفع واحدة لعبد الله بن عمر فجاء منها بولده سالم وأخرى لمحمد بن أبى بكر فجاء منها بولده القاسم والثالثة لولده الحسين فجاء منها بولده على الملقب بزين العابدين وهؤلاء الثلاثة فاقوا أهل المدينة علما وورعا وكان أهل المدينة قبل ذلك يرغبون عن التسرى فلما نشأ هؤلاء الثلاثة فيهم رغبوا فيه ومن غريب الاتفاق ما حكاه بعضهم قال كنت أجالس سعيد بن المسيب وأعجب سعيدى يوما فقال لى من أخوالك فقلت أمى فتاة فكأنى نقصت من عينه فأتاه عنده اذ دخل عليه سالم بن عبد الله بن عمر فلما خرج من عنده قلت له يا عم من هذا قال سبحان الله أتجهل مثل هذا من قومك هذا سالم بن عبد الله بن عمر قلت فمن أمه قال فتاة ثم دخل القاسم بن محمد فجلس عنده ثم نهض فلما خرج قلت يا عم من هذا قال ما أعجب أمرك أتجهل مثل هذا هذا القاسم بن محمد بن أبى بكر قلت فمن أمه قال فتاة ثم دخل عليه على بن الحسين فجلس ثم نهض فلما خرج قلت له من هذا قال عجبت منك أتجهل مثل هذا هذا على زين العابدين بن الحسين قلت فمن أمه قال فتاة قلت يا عمى رأيتنى نقصت من عينك لما علمت ان أمى فتاة فما لى فى هؤلاء اسوة فقال اجل وعظمت فى عينه جدا ولما رجع سراقة صار يرد عنهم الطلب لا يلقى أحدا الا رده يقول سبرت أى اختبرت الطريق فلم أر أحدا وفى لفظ قال لقريش أى لجماعة منهم قصدوه صلى الله عليه وسلم كأنهم أخبروا بمكان مسيره ذلك قد عرفتم بصرى بالطريق وقد سرت فلم أر شيأ فرجعوا أى فان كفار قريش لما سمعوا من الهاتف أى ومن غيره بانه صلى الله عليه وسلم نزل فى خيمة أم

اسلامه هو وزوجته هند بنت عتبة وقال له العباس رضى الله عنه بعد اسلامه أين قولك أنعمت فعالا وقولك اعل هبل فقال للعباس قد أذهب الله عنا أمر الجاهلية وهدانا للاسلام فاياك ان تصغى الى طعن الطاعنين فيه أو فى أحد من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وقد قال صلى الله عليه وسلم الله الله فى أصحابى وأصهارى وهو من أصهاره وكذلك خالد بن الوليد وعكرمة بن أبى جهل كل منهما حضر مع كفار قريش يوم أحد وكانا من أشد الناس على المسلمين ثم أسلما وحسن اسلامهما حتى صار خالد بن الوليد سيفا من سيوف الله صبه الله على المشركين وصار عكرمة اذا فتح المصحف يصيح و يقول هذا كلام رب العالمين ويغشى عليه فالحمد لله الذى هدانا برسوله أجمعين وقال أبو سفيان يوم أحد الحرب سجال وفى رواية يوم لنا و يوم علينا و يوم نساء و يوم نسر وقد قال تعالى ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس ثم قال أبو سفيان انكم ستجدون فى قتلاكم مثلة لم آمر بها ولم تسؤنى وفى رواية والله ما رضيت وما سخطت وما أمرت ولا نهيت ولا أحببت ولا كرهت ولا ساءنى ولا سرنى و يروى ان الحليس سيد الاحابيش مر بابى سفيان وهو يضرب برجح الرمح فى شدة حمزة و يقول ذق عقق أى ذق طعم مخالفتك لنا وتركك الدين الذى كنت عليه يا عاق قومه جعل اسلامه عقوقا فقال الحليس يا بنى كنانة هذا سيد قريش يصنع بابن عمه ما ترون فقال أبو سفيان اكتمها على فانها زلة ثم بعد اجابة عمر لابى سفيان قال له أبو سفيان هلم يا عمر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ائته فانظر ما شأنه فجاءه فقال له أبو سفيان أنشدك الله يا عمر أقتلنا محمدا قال عمر اللهم لا وانه ليسمع كلامك الآن قال انك عندى أصدق من ابن قمئة

وأبرأى لان ابن قمئة لما قتل مصعب بن عمير ظنه النبى صلى الله عليه وسلم فقال لهم قتلت محمدا كما تقدم وفى رواية ان أبا سفيان قبل ندائه عمر نادى أفى القوم محمد ثلاثا فنهاهم صلى الله عليه وسلم أن يجيبوه ثم قال أفى القوم ابن أبى قحافة ثلاثا ثم قال أفى القوم عمر بن الخطاب ثم أقبل على أصحابه فقال أما هؤلاء فقد قتلوا وقد كفيتموهم اذ لو كانوا أحياء لاجابوا فما ملك عمر رضى الله عنه نفسه فقال كذبت والله يا عدو الله ان الذى عددت لاحياء ٥٢ كلهم وقد بقى لك ما يسوءك ثم نادى أبو سفيان ان موعدكم بدر العام القابل

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من أصحابه قل نعم بيننا وبينكم موعد يعنى العام القابل ثم ارتحل القوم وساروا وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابن أبى طالب رضى الله عنه أو سعد ابن أبى وقاص رضى الله عنه فقال له اخرج فى آثار القوم فانظر ماذا يصنعون وماذا يريدون فان كانوا قد جنبوا الخيل أى جعلوها منقادة بجانبهم وامتطوا الابل أى ركبوا مطاها أى ظهورها فانهم يريدون مكة وان ركبوا الخيل وساقوا الابل فانهم يريدون المدينة والذى نفسى بيده ان أرادوها لاسيرن اليهم فيها ثم لاناجزهم قال على أو سعد بن أبى وقاص فخرجت فى آثارهم أنظر ماذا يصنعون فجنبوا الخيل وامتطوا الابل وتوجهوا الى مكة بعد ما تشاوروا فى نهب المدينة فاشار عليهم صفوان أن لا تفعلوا فانكم لا تدرون ما يغشاكم ثم بعد ذهاب القوم فزع المسلمون لقتلاهم يتفقدونهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رجل ينظر ما فعل سعد ابن الربيع أفى الاحياء هو أم فى الاموات أى لان النبى صلى الله عليه وسلم رأى الاسنة قد أشرعت اليه فقال رجل من الانصار وهو أبى بن كعب رضى الله عنه أنا أنظره لك يا رسول الله فقال له ان رأيت سعد بن الربيع فاقرأه منى السلام وقل له يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم لان كيف يجدك فنظر أبى فوجده جريحا وبه رمق أى بقية روح فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنى ان أنظر أفى الاحياء أنت أم فى الاموات فقال قد طعنت اثنتى عشرة طعنة وقد أنفذت الى مقاتلى فابلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم عنى السلام وقل له ان سعد ابن الربيع يقول لك جزاك الله عنا خيرا ما جزى الله نبيا عن أمته وأبلغ قومك عنى السلام وقل لهم ان سعد بن الربيع يقول لكم لا عذر

معبد كما سيأتى ارسلوا سرية فى طلبه يقول قائلهم اطلبوه قبل ان يستعين عليكم بكلبان العرب فيحتمل ان هؤلاء هم الذين ردهم سراقة فكان سراقة أول النهار جاهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وآخر النهار مسلحة أى سلاحا له وفى رواية قال سراقة خرجت وأنا أحب الناس فى تحصيلها ما ورجعت وأنا أحب الناس فى ان لا يعلم بها أحد ويحتمل انه بعد ان ردهم سراقة ذهبوا الى أم معبد فى تتمة الخبر أن تلك السرية جاءت الى أم معبد فسألوها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشفقت أى خافت عليه منهم فتعاجت عليهم أى أظهرت عدم علمها بذلك فقالت انكم تسألونى عن أمر ما سمعت به قبل عامى هذا ثم قالت لئن لم تنصرفوا عنى لاصرخن فى قومى عليكم وكانت فى عزم من قومها فانصرفوا ولم يعلموا أين توجه أى من أى طريق توجه أى ولعلها قالت لهم ذلك لما رأت منهم التثقيل عليها وهذا السياق يدل على ان قصة سراقة قبل قصة أم معبد والى قصة سراقة أشار صاحب الاصل بقوله

غرت سراقة أطماع فساخ به * جواده فانثنى للصلح مطلبا

واليها أشار أيضا صاحب الهمزية بقوله

واقتفى أثره سراقة فاستهـ ـوته فى الارض صافن جرداء
ثم ناداه بعد ما سيمت الخسـ ـف وقد ينجد الغريق النداء

أى وتبع أثره سراقة فهوت أى سقطت به صافن وهى الفرس التى تقوم على ثلاث قوائم وتقيم الرابعة على طرف الحافر وهو وصف محمود فى الخيل جرداء قصيرة الشعر وذلك وصف محمود فى الخيل أيضا بعد ان قاربت ان يخسف بها كلها وقد يخلص الدعاء الغريق كما وقع ليونس صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه قال وعن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه انه قال سرنا ليلتنا كلها حتى قام قائم الظهيرة وخلا الطريق فلا يرى فيه أحد رفعت لنا صخرة طويلة لها ظل فنزلنا عندها فأتيت الصخرة فسويت بيدى مكانا ينام فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ظلها ثم بسطت له فروة معى ثم قلت يا رسول الله نم وأنا أتجسس وأتعرف من تخافه فنام صلى الله عليه وسلم واذا براع يقبل بغنمه الى الصخرة يريد منها الذى أردناه أى وهو الظل فلقيته فقلت له لمن أنت يا غلام فقال لرجل من أهل مكة فسماه فعرفته أى وقال الحافظ ابن حجر لم أقف على اسم هذا الراعى ولا على اسم صاحب الغنم قال أبو بكر رضى الله تعالى عنه فقلت هل فى غنمك من لبن قال نعم قلت أفتحلب لى قال نعم فأخذ شاة فحلب لى فى قعب معه وفى رواية فى اداوة معى على فيها خرقة فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم وكرهت أن أوقظه من نومه فوقفت حتى استيقظ فصببت على اللبن من الماء حتى برد أسفله فقلت يا رسول الله اشرب من هذا اللبن فشرب لانه جرت العادة بإباحة مثل ذلك لابن السبيل اذا احتاج الى ذلك فكان كل راع مأذونا له فى ذلك أى كما تقدم فلا ينافى ما جاء لا يحلبن أحد ماشية أحد الا باذنه أو ان هذا الحديث محمول على فعل ذلك اختلاسا من غير معرفة الراعى وأما قول بعضهم انما استجاز شربه لانه مال حربى ففيه نظر

لكم عند الله أن يخلص الى نبيكم أى يصل اليه شئ من الاذى وفيكم عين تطرف قال ثم لم أبرح حتى مات فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته خبره وفى رواية اقرأ على قومى السلام وقل لهم يقول لكم سعد بن الربيع الله الله وما عاهدتم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة فوالله ما لكم عند الله عذر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمه الله نصح لله ولرسوله حيا وميتا ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتمس عمه حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه فقال له رجل رأيته ٥٣ بتلك الصخرات وهو يقول أنا أسد الله وأسد رسوله اللهم انى أبرأ اليك مما جاء به هؤلاء النفر يعنى أبا سفيان وأصحابه واعتذر اليك مما صنع هؤلاء أى بانهزامهم فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو حمزة فوجده ببطن الوادى قد بقر بطنه ومثل به فجدع أنفه وقطعت أذناه ومذاكيره فنظر صلى الله عليه وسلم الى شئ لم ينظر الى شئ قط كان أوجع لقلبه منه وقال أصاب بمثلك ما وقفت موقفا أغيظ لى من هذا وقال رحمة الله عليك فقد كنت فعولا للخيرات وصولا للرحم أما والله لامثلن بسبعين منهم ولما رأى المسلمون جزع رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمه قالوا لئن أظفرنا الله بهم يوما من الدهر لنمثلن بهم مثلة لم يمثل بها أحد من العرب فانزل الله تعالى على النبى صلى الله عليه وسلم وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون فصبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى عن المثلة وكفر عن يمينه وفى كلام بعضهم ان هذه الآية مكية قال الحلبى يجوز أن تكون مما تكرر نزوله وعن ابن مسعود رضى الله عنه ما رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم باكيا أشد من بكائه على حمزة رضى الله عنه فانه وضعه فى القبلة ثم وقف على جنازته وانتحب حتى شهق وبلغ به الغشى وقال يا عم رسول الله وأسد الله وأسد رسوله يا حمزة يا فاعل الخيرات يا حمزة يا كاشف الكربات يا حمزة يا ذاب عن وجه رسول الله وقال ذلك لا مع البكاء فلا يقال هذا من الندب المحرم وهو تعديد محاسن الميت لان ذلك مخصوص بما اذا قارنه البكاء وليس من نعى الجاهلية المكروه وهو النداء بذكر محاسن الميت لان محل كراهته اذا كان على وجه التفاخر والتعاظم ولم يكن وصفا النعوص الح للحث على سلوك طريقته

لان الغنائم أى أموال الحربيين لم تكن أبيحت له حينئذ ثم قال يعنى النبى صلى الله عليه وسلم ألم يأن للرحيل قلت بلى فارتحلنا بعد ما زالت الشمس انتهى أى وفى رواية ان أبا بكر قال قد آن الرحيل يا رسول الله أى دخل وقته قال الحافظ ابن حجر يجمع بينهما بان يكون النبى صلى الله عليه وسلم بدأ فسأل فقال له أبو بكر بلى ثم أعاد عليه بقوله قد آن الرحيل واجتاز وافى طريقهم بام معبد أى واسمها عاتكة وكان منزلها بقديد أى وهو محل سراقة كما تقدم ولعلها كانت بطرفه الاخير الذى يلى المدينة ومنزل سراقة بطرفه الذى يلى مكة وكانت مسافته متسعة فليتأمل وكانت أم معبد امرأة برزة جلدة تحتبى بفناء بيتها وتطعم وتسقى وهى لا تعرفهم أى وسألوها لحما وتمرا أى وفى رواية أو لبنا يشترونه فقالت والله لو كان عندنا شئ ما أعوزنا كم أى للشراء وفى رواية ما أعوزنا كم القرى لانهم كانوا مسنتين أى مجدبين فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أم معبد هل عندك من لبن قالت لا والله فرأى شاة خلفها الجهد عن الغنم أى لم تطق اللحاق بها لما بها من الهزال قال هل بها من لبن قالت هى أجهد من ذلك ٥ قال أتأذنين فى حلابها قالت والله ما ضربها من فحل قط فشأنك أى اصلح شأنك بها ان رأيت منها حلبا فاحلبها فدعا بها فمسح ظهرها بيده أى وفى رواية فبعث النبى صلى الله عليه وسلم معبدا وكان صغيرا فقال ادع هذه الشاة ثم قال يا غلام هات فرقا فمسح ظهرها وفى رواية فمسح بيده ضرعها وظهرها وسمى الله تعالى أى وقال اللهم بارك لنا فى شاتنا فدرت واجترت وتفاجت أى فتحت ما بين رجليها للحلب ثم دعا باناء يربض الرهط أى يروبهم بحيث يغلب عليهم الرى فيربضون وينامون والرهط من الثلاثة للعشرة وقيل من التسعة الى الاربعين فحلب فيها ثجا أى بقوة لكثرة اللبن ومن ثم قال حتى علاه البهاء وفى رواية حتى علته الثمالة بضم المثلثة أى الرغوة وفى رواية فسقاها فشربت حتى رويت وسقى أصحابه حتى رووا ألا بعد نهل أى مرة ثانية بعد الاولى ثم شرب صلى الله عليه وسلم فكان آخرهم شربا وقال ساقى القوم آخرهم شربا ٥ ثم حلب فيه وغادره أى تركه عندها وارتحل والى ذلك أشار الامام السبكى بقوله فى تائيته

صحبت على شاة لدى أم معبد * بجهد فألفتها أدر حلوبة

والى ذلك أشار صاحب الهمزية بقوله فى وصف راحته الشريفة

درت الشاة حين مرت عليها * فاهاثروة بها وغناء

أى أرسلت الشاة لبنها حين مرت راحته الشريفة على تلك الشاة فلتلك الشاة بسبب تلك الراحة كثرة اللبن وزيادة وعن أم معبد ان هذه الشاة بقيت الى خلافة سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه الى سنة ثمانى عشرة وقيل سبع عشرة من الهجرة ويقال لتلك السنة عام الرمادة أى وكانت تلك السنة أجدبت الارض اجدابا شديدا حتى جعلت الوحوش تأوى الى الانس ويذبح الرجل الشاة فيعافها أى لخبث لحمها وكانت الريح اذا هبت ألقت ترابا كالرماد فسمى ذلك العام عام الرمادة وعند ذلك آلى عمر رضى الله تعالى عنه ان لا يذوق لبنا ولا سمنا

وقال صلى الله عليه وسلم جاءني جبريل فاخبرني أن حمزة مكتوب في أهل السموات السبع حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير أن يرجع أمه صفية أخت حمزة عن رؤيته فقال لها يا أمة الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن ترجعي فدفعت في صدره وقالت له لم وقد بلغني انه مثل باخي وذلك في الله فما أرضاني بما كان في الله من ذلك أي أنا أشد رضا بذلك من غيري لاحتسبن ولاصبرن ٥٤ ان شاء الله تعالى فجاء الزبير فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال خل سبيلها فجاءت واسترجعت واستغفرت له وفي رواية ان صفية لقيت عليا والزبير رضي الله عنهما فقالت لهما ما فعل حمزة فاريا انهما لا يدريان أي رحمة بها فجاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني أخاف على عقلها فوضع يده الشريفة على صدرها ودعا لها فاسترجعت وبكت لما رأته وفي رواية أنها لما منعها علي والزبير رضي الله عنهما قالت لا أرجع حتى أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأته قالت يا رسول الله أين ابن أمي حمزة قال صلى الله عليه وسلم هو في الناس قالت لا أرجع حتى أنظر اليه فجعل الزبير يمنعها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعها فلما رأته بكت فصارت كلما بكت بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أمر به فسجي ببرده وفي رواية قال ألا كفن فرمى رجل من الانصار بثوبه عليه ثم قام آخر فرمى بثوبه عليه فقال يا جابر هذا الثوب لابيك وهذا لعمي وفي رواية جاءت صفية بثوبين معها لحمزة فكان لحمزة أحدهما والآخر لرجل من الانصار ولعله والد جابر رضي الله عنه وفي رواية كفن حمزة رضي الله عنه بنمرة كانوا اذا مدوها على رأسه انكشفت رجلاه وان مدوها على رجليه انكشفت رأسه فمدوها على رأسه وجعلوا على رجليه الاذخر وفي رواية الحرمل وعن عبد الرحمن لا عمر ابن عوف رضي الله عنه قال قتل مصعب بن عمير يوم أحد وكفن في بردة ان غطى بها رأسه بدت رجلاه وان غطى بها رجلاه بدا رأسه وفي رواية قتل مصعب بن عمير فلم يترك الا نمرة اذا غطينا بها رجليه خرج رأسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غطوا بها رأسه واجعلوا على رجليه الاذخر وكان مصعب بن عمير قبل الاسلام فتى مكة شبابا وجمالا ولباسا وعطرا فلما أسلم رضي الله عنه تقشف

ولا لحما حتى تحيا الناس أي يحيى عليهم الحيا وهو المطر وقال كيف لا يعنيني شأن الرعية اذا لم يعن ما مسهم وهذا السياق يدل على ان الذي حلبه صلى الله عليه وسلم عند أم معبد شاة واحدة وفي تاريخ العيني شارح البخاري قال يونس عن ابن اسحق انه دعا ببعض غنمها فمسح ضرعها بيده ودعا الله وحلب في العس حتى أرغى وقال اشربي يا أم معبد فقالت اشرب اشرب فانت أحق به فرده عليها فشربت ثم دعا بحائل أخرى ففعل بها مثل ذلك فشرب به ثم دعا بحائل أخرى ففعل بها مثل ذلك فسقى دليله ثم دعا بحائل أخرى ففعل بها مثل ذلك فسقى عامر بن فهيرة وطلبت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغوا أم معبد فسألوا عنه صلى الله عليه وسلم ووصفوه لها فقالت ما أدري ما تقولون قد ضافني حالب الحائل فقالوا ذلك الذي نريده وعند قول عمر رضي الله تعالى عنه ذلك قال كعب لعمر يا أمير المؤمنين ان بني اسرائيل كانوا اذا أصابهم مثل هذا استسقوا بعصبة الانبياء فقال عمر هذا عم النبي صلى الله عليه وسلم وصنو أبيه وسيد بني هاشم يعني العباس فمشى اليه عمر وشكا اليه ما فيه الناس فصعد عمر المنبر ومعه العباس وقال اللهم انا قد توجهنا اليك بعم نبينا وصنو أبيه صلى الله عليه وسلم فاسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين ثم قال عمر للعباس يا أبا الفضل قم وادع فقام وحمد الله وأثنى عليه ودعا بدعاء منه اللهم شفعنا في أنفسنا وأهلينا اللهم انا نشكو اليك جوع كل جائع اللهم انا لا نرجو الا اياك ولا ندعو غيرك ولا نرغب الا اليك فسقوا قبل ان يصلوا الى منازلهم وخاضوا في الماء وأخصبت الارض وعاش الناس فقال عمر هذا والله هو الوسيلة الى الله تعالى فصار الناس يتمسحون بالعباس ويقولون هنيئا لك سقيا في الحرمين وذكر السهيلي ان جماعة كانت مقبلة الى المدينة في ذلك اليوم فسمعوا صائحا يصيح في السحاب أتاك الغوث أتاك الغوث أباحفص أباحفص هذا وذكر العلامة ابن حجر الهيثمي في الصواعق عن تاريخ دمشق ان الناس كرروا الاستسقاء عام الرمادة سنة سبع عشرة من الهجرة فلم يسقوا فقال عمر رضي الله تعالى عنه لا ستسقين غدا بمن يسقيني الله به فلما أصبح غدا للعباس رضي الله تعالى عنه فدق عليه الباب فقال من قال عمر قال ما حاجتك قال اخرج حتى نستسقي الله بك قال اقعد فأرسل الى بني هاشم ان تطهروا والبسوا من صالح ثيابكم فاتوه واخرج طيبا وطيبهم ثم خرج وعلى أمامه بين يديه والحسن عن يمينه والحسين عن يساره وبنو هاشم خلف ظهره وقال يا عمر لا تخلط بنا غيرنا ثم أتى المصلى فوقف فحمد الله تعالى وأثنى عليه وقال اللهم انك خلقتنا ولم تؤامرنا وعلمت ما نحن عاملون قبل ان تخلقنا فلم يمنعك علمك فينا عن رزقنا اللهم فكما تفضلت علينا في أوله فتفضل علينا في آخره قال جابر فما برحنا حتى سحت السماء علينا صحا فما وصلنا الى منازلنا الا خوضا فقال العباس أنا ابن المسقى ابن المسقى ابن المسقى ابن المسقى ابن المسقى خمس مرات أشار الى ان أباه عبد المطلب استسقى خمس مرات فسقى هذا كلامه فلينظر الجمع قال ابن شهاب كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يعرفون للعباس فضله ويقدمونه ويشاورونه ويأخذون برأيه أي وكان

وعن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه انه كان يوما صائما فجيء له بطعامه فقال قتل مصعب بن عمير وهو خير منى فلم يوجد له ما يكفن فيه الا بردة ان غطى بها رأسه بدت رجلاه وان غطى بها رجلاه بدا رأسه وقد بسط لنا من الدنيا ما بسط وأعطينا منها ما أعطينا وخشيت أن تكون عجلت لنا طيباتنا فى حياتنا الدنيا ثم جعل يبكى حتى ترك الطعام عن أنس رضى الله عنه قال قلت الثياب وكثرت القتلى يوم أحد فكان الرجل والرجلان والثلاثة فى الثوب الواحد ثم يدفنون ٥٥ فى القبر الواحد وقال صلى الله عليه وسلم فى حق حمزة لولا أن تجزع صفية ونساؤنا أى يتطاول جزعهن وفى رواية لولا تجد صفية فى نفسها ويكون سنة من بعدى لتركنا حمزة ولم ندفنه حتى يحشر فى بطون الطير والسباع وفى رواية حتى تأكله العافة ويحشر فى بطونها الشدة غضب الله على من فعل به ذلك ثم صلى عليه فكبر أربع تكبيرات ثم أتى بالقتلى يوضعون الى جنب حمزة رضى الله عنه واحدا بعد واحد فيصلى على كل واحد منهم مع حمزة ثم يرفع ويؤتى بآخر فصلى عليهم وعليه حتى صلى عليه ثنتين وسبعين صلاة ولم يغسلهم وفى رواية ولم يصل عليهم وهذا هو الذى فى صحيح البخارى ولفظه أمر النبى صلى الله عليه وسلم بدفن شهداء أحد ولم يصل عليهم ولم يغسلوا وهو أثبت من روايات صلاته عليهم أوان الصلاة بمعنى الدعاء وحملوا على ذلك أيضا حديث عقبة بن عامر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى على قتلى أحد بعد ثمان سنين صلاته على الميت أى دعاءهم كدعائه للميت كالمودع للاحياء والاموات حين قرب أجله فذلك توديع لهم بذلك قال السهيلى لم يرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه صلى على شهيد فى شئ من مغازيه الا هذه الرواية فى أحد وكذلك لم يصل على الشهداء أحد من الائمة بعده نعم جاء ان حنظلة كان جنبا فغسلته الملائكة كما تقدم * وممن مثل به عبد الله بن جحش رضى الله عنه بدعوة دعاها على نفسه فقال قبل أحد يوم اللهم ارزقنى غدا رجلا شديدا بأسه فيقتلنى ثم يجدع أنفى ويقطع أذنى فاذا لقيتك قلت يا عبد الله فيم جدع أنفك وأذنك فأقول فيك وفى رسولك فيقول الله صدقت وهذا ليس من تمنى الموت المنهى عنه لان المنهى عنه أن يكون ذلك لضر نزل به وتقدم ان عبد الله بن جحش انقطع سيفه يوم

لابى عمر وعثمان وهما راكبان الا ترجلا حتى يجوز العباس وربما مشيا معه الى بيته اجلالا له أى لانه صلى الله عليه وسلم قال احفظونى فى العباس فانه عمى وصنو أبى وفى رواية فانه بقية آبائى قالت أم معبد فى وصف تلك الشاة وكنا نحلبها صبوحا وغبوقا أى بكرة وعشية وما فى الارض قليل ولا كثير أى مما يتعاطى الدواب أكله ولما جاء زوجها أبو معبد قال السهيلى لا يعرف اسمه وقيل اسمه أكثم بالثاء المثلثة كما تقدم وقيل خنيس وقيل عبد الله جاء عند المساء يسوق أعنزا عجافا ورأى اللبن الذى حلبه صلى الله عليه وسلم عجب وقال يا أم معبد ما هذا اللبن ولا حلوب فى البيت أى والشاة عازب أى لم يطرقها فحل لكن رأيته فى النور فسر العازب بالبعيدة المرعى التى لا تأوى الى المنزل فى الليل وفى الصحاح العازب الكلأ البعيد الذى لم يؤكل ولم يوطأ قالت مر بنا رجل مبارك قال صفيه قالت رأيت رجلا ظاهر الوضاءة متبلج الوجه أى مشرقه فى اشفاره أى أجفان عينيه أى شعرها النابت بها وطف أى طول وفى عينيه دعج أى شدة سواد فى شدة بياض أى وهذا هو الحور ومن ثم فسر بعضهم الدعج بشدة السواد وفيه أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن بياض عينيه شديد البياض بل كان أشكل العين والشكلة حمرة فى بياض العين وهو دليل الشهامة وهى من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم فى الكتب القديمة كما تقدم وفى صوته صحل أى بحة بضم الموحدة أى ليس حاد الصوت غصن بين الغصنين لا تشنؤه من طول أى لا تبغضه لفرط طوله ولا تقتحمه من قصر أى تحتقره من قصره لم تعبه نجلة أى عظم البطن وكبرها ولم تزر به صعلة أى صغر الرأس كأن عنقه ابريق فضة أى والابريق السيف الشديد البريق اذا نطق فعليه البهاء واذا صمت فعليه الوقار له كلام كخرزات النظم أزين أصحابه منظرا وأحسنهم وجها أصحابه يحفون به اذا أمر ابتدروا أمره واذا نهى انتهوا عند نهيه قال وفى لفظ أنها قالت رأيت رجلا ظاهر الوضاءة أبلج الوجه أى مشرقه حسن الخلق لم تعبه نجلة ولم تزره صعلة وسيما قسيما أى حسنا فى عينيه دعج وفى أشفاره وطف وفى صوته صحل أو قالت صهل أحور أكحل أى فى أجفان عينيه سواد خلقة وفى عنقه سطع أى نور وفى لحيته كثاثة أى لا طويلة ولا دقيقة أزج أى رقيق طرف الحاجب أقرن أى مقرون الحاجبين شديد سواد الشعر ان صمت فعليه الوقار وان تكلم سما به أى ارتفع على جلسائه وعلاه البهاء أجمل الناس وأبهاهم من بعيد وأحسنهم من قريب حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر كأن منطقه خرزات نظم يتحدرن ربعة لا تشنؤه أى تبغضه من طول أى من فرط طوله ولا تقتحمه عين من نظر أى لا تتجاوزه الى غيره اختيارا له غصن بين غصنين فهو أنضر الثلاثة منظرا وأحسنهم قدرا له رفقاء يحفون به ان قال أنصتوا لقوله وان أمر ابتدروا الى أمره محفود مخدوم محشود له حشد وجماعة لا عابس ولا مفند أى يكثر اللوم اه قال هذه والله صفة صاحب قريش ولو رأيته لاتبعته ولاجتهدن أن أفعل أى وفى الامتاع ويقال انها أى أم معبد ذبحت لهم شاة وطبختها فاكلوا منها ووضعت لهم فى سفرتهم

أحد فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عرجون نخلة فصار سيفا فى يده وكان يسمى العرجون ودفن هو وخاله حمزة بن عبد المطلب فى قبر واحد وانما كان حمزة خاله لان أم عبد الله أمية بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان القاتل له كما تقدم أبو الحكم بن الاخنس بن شريق الثقفى وأبو الحكم هذا قتل كافرا فى ذلك اليوم أعنى يوم أحد قتله على رضى الله عنه كما تقدم وقال صلى الله عليه وسلم ادفنوا عبد الله بن عمرو هو وعمرو بن ٥٦ الجموح فى قبر واحد لما بينهما من الصفا وعبد الله بن عمرو هذا هو والد جابر رضى الله عنه وكان عمرو بن الجموح متزوجا بعمة جابر أخت عبد الله ابن عمرو وجاء ان عبد الله بن عمرو والد جابر رضى الله عنه أصابه جرح فى وجهه ومات ويده على جرحه فاميطت يده عن وجهه فانبعث الدم فردت يده الى مكانها فسكن وحفر السيل قبر عبد الله بن عمرو هذا وهو أيضا قبر عمرو بن الجموح فوجدا طريين لم يتغيرا كأنما ماتا بالامس فازيلت يد عمرو عن جرحه ثم أرسلت فرجعت وكان ذلك بعد الوقعة بست وأربعين سنة وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما انه قال استصرخنا الى قتلانا باحد وذلك حين أجرى معاوية رضى الله عنه العين وسط مقبرة شهداء أحد وأمر الناس بنقل موتاهم فاتينا هم فاخرجناهم طريا تثنى أطرافهم وذلك على رأس أربعين سنة وأصابت المسحاة قدم حمزة رضى الله عنه فانبعث الدم وذكر انه فاح من قبورهم مثل المسك وفى لفظ على رأس خمسين سنة مع ان أرض المدينة سبخة يتغير الميت فى قبره من ليلة وانما لم يتغير والان الارض لا تأكل لحوم شهداء المعركة كالانبياء عليهم الصلاة والسلام وزاد قارئ القرآن والعالم العامل ومحتسب الاذان ويدل له حديث الطبرانى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما المؤذن المحتسب كالمتشحط فى دمه لا يدود فى قبره أى كشهيد المعركة فقالوا لا يأكله الدود وقد نظم هؤلاء السيخ التتائى المالكى فقال

لم تأكل الارض جسما للنبى ولا * لعالم وشهيد قتل معترك

ولا لقارئ قرآن ومحتسب * اذانه لاله مجرى الفلك

ودفن خارجة بن زيد وسعد بن الربيع فى قبر واحد لانه كان ابن عمه وذكر ان خارجة أخذته الرماح فجرح بضعة عشر جرحا فمر به صفوان بن أمية بن خلف فعرفه فاجهز عليه وقال الآن شفيت نفسى حين قتلت

منها ما وسعته تلك السفرة وبقى عندها أكثر لحمها وفى الخصائص الكبرى أنه صلى الله عليه وسلم بايعها أى أسلمت قبل أن يرتحلوا عنها وفى كلام ابن الجوزى ان أم معبد هاجرت وأسلمت وكذا زوجها هاجر وأسلم (أقول) فى شرح السنة للبغوى وهاجرت هى وزوجها وأسلم أخوها حبيش بن الاصفر واستشهد يوم الفتح وكان أهلها يؤرخون بيوم نزول الرجل المبارك ويقال ان زوجها خرج فى أثرهم فادركهم وبايعه صلى الله عليه وسلم ورجع وفى الاجوبة المسكتة لابن عون قيل لام معبد ما بال صفتك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أشبه به من سائر صفات من وصفه أى من الرجال فقالت أما علمتم ان نظر المرأة من الرجل أشفى من نظر الرجل الى الرجل وفى ربيع الابرار للزمخشرى عن هند بنت الجون أنه صلى الله عليه وسلم لما كان بخيمة خالتها أم معبد قام من رقدته فدعا بماء ففسل يديه ثم تمضمض ومج ذلك فى عوسجة فى جانب الخيمة فاصبحت وهى أعظم دوحة أى شجرة ذات فروع كثيرة وجاءت بثمر كأعظم ما يكون فى لون الورس ورائحة العنبر وطعم الشهد مما أكل منها جائع الا شبع ولا ظمآن الا روى ولا سقيم الا برئ ولا أكل من ورقها بعير ولا شاة الا درفكنا نسميها المباركة فاصبحنا فى يوم من الايام وقد سقط ثمرها واصفر ورقها ففزعنا لذلك فمر راعنا لانعى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والعجب كيف لم يشتهر أمر هذه الشجرة كما اشتهر أمر الشاة وعن أم معبد انها قالت مر على خيمتى غلام سهيل بن عمرو ومعه قربتان فقلت ما هذا قال ان النبى صلى الله عليه وسلم كتب الى مولاى يستهديه ماء زمزم فانا أعجل السير كى لا تنشف القرب أى فانه صلى الله عليه وسلم كتب الى سهيل بن عمرو ان جاءك كتابى ليلا فلا تصبحن أو نهارا فلا تمسين حتى تبعث الى من ماء زمزم فجاء بقربتين فلأ هما من ماء زمزم وبعث بهما على بعير مولاه أزهر ولا زال كفار قريش بمكة لا يعلمون أين توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر حتى سمعوا هاتفا يذكرهما ويذكر أم معبد فى أبيات منها

جزى الله رب الناس خير جزائه * رفيقين قالا خيمتى أم معبد

هما نزلا بالبر ثم ترحلا * فافلح من أمسى رفيق محمد

فعلموا توجهه ليثرب أى وفى طريق اليمن محل يقال له الدهيم وبئر أم معبد قال بعضهم وليست بام معبد التى نزل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة ويجوز أن يكون الخبر الذى وصل اليهم فى اليوم الثانى من خروجه من الغار هو قول هذا الهاتف أو عقبه من شخص رآهم والى قول الهاتف أشار صاحب الهمزية بقوله

وتغنت بمدحه الجن حتى * أطرب الانس منه ذاك الغناء

أى وأظهرت الجن أوصافه صلى الله عليه وسلم الحميدة فى صورة الغناء الذى تتولع به النفس حتى أطرب ذلك الغناء الانس حيث سمعوه وأما قول بعضهم انهم علموا ذلك من هاتف هتف بقوله

ان يسلم السعدان يصبح محمد * من الامر لا يخشى خلاف المخالف

الاماثل من أصحاب محمد قتلت خارجة بن زيد وقتلت أوس بن أرقم وقتلت أبا نوفل وصفوان هذا أسلم عام الفتح رضى الله عنه وحمل أناس موتاهم ليدفنوهم بالمدينة فجاءهم منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ردوا القتلى الى مضاجعهم فادرك المنادى واحدا لم يكن يدفن فردوه ومن دفن أبقوه وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال فى قتلى أحد أنا شهيد على هؤلاء ومامن جريح يجرح فى الله الا والله يبعثه يوم القيامة يدمى جرحه اللون لون الدم والريح ريح المسك وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله

فقالوا السعود سعد بن بكر وسعد بن زيد مناة وسعد هذيم فلما كانت القابلة سمعوا ذلك الهاتف يقول فيا سعد سعد الاوس كن أنت مانعا * ويا سعد سعد الخزرجين الغطارف
فقالوا سعد الاوس سعد بن معاذ سعد الخزرجين سعد بن عبادة ففيه نظر لان السعدين المذكورين كانا أسلما قبل ذلك فلا يحسن قوله ان يسلم السعدان (أقول) يجوز أن تكون ان هنا بمعنى اذ أى صيرورته صلى الله عليه وسلم آمنا لا يخشى خلاف المخالف لاجل اسلام السعدين أو المراد دوامهما على الاسلام على انه ذكر فى الاصل ان انشاد هذين البيتين وسماع أهل مكة له كان قبل اسلام سعد بن معاذ وذكر بعضهم أن السعود من الانصار سبعة أربعة من الاوس سعد بن معاذ وسعد بن خيثمة وسعد بن عبيد وسعد بن زيد وثلاثة من الخزرج سعد بن عبادة وسعد بن الربيع وسعد بن عثمان أبو عبيدة والله أعلم قال وتقديم قصة سراقة على قصة أم معبد هو ما فى الاصل وقد التزم فيه ترتيب الوقائع وقضية الترتيب ذكر قصة أم معبد قبل قصة سراقة لانه الصحيح الذى صرح به جماعة اه ﴿أقول﴾ ومما يدل لذلك ماتقدم من أن كفار قريش لم يعلموا أين توجه صلى الله عليه وسلم حتى سمعوا الهاتف يذكر أم معبد وعن أسماء بنت أبى بكر رضى الله تعالى عنهما قالت لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل وقفوا على الباب فخرجت اليهم فقالوا أين أبوك قلت والله لا أدرى فرفع أبو جهل يده فلطم خدى لطمة خر منها قرطى أى وفى لفظ طرح منها قرطى والقرط ما يعلق فى شحمة الاذن قالت ثم انصرفوا فمضى ثلاث ليال ولم ندر أين توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أقبل رجل من الجن من أسفل مكة يغنى بأبيات وان الناس ليتبعونه يسمعون صوته حتى خرج باعلى مكة يقول جزى الله رب الناس الابيات كذا فى الاصل وفيه أن قولها لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهر فى خروجه للغار وقولها فمضى ثلاث لا ندرى أين توجه يقتضى أن المراد خروجه من الغار وتقدم أنهم علموا بخروجه الى المدينة فى اليوم الثانى من خروجه من الغار وتقدم انهم لم يعلموا بذلك الا من الهاتف فليتأمل وقد تبع الاصل فى ذلك شيخه الحافظ الدمياطى حيث قدم خبر سراقة على قصة أم معبد الا أن يقال الدمياطى لم يلتزم الترتيب فلا نحسن تبعيته وهنا قصة أخرى فيها زيادة ونقص قيل هى قصة أم معبد وقيل غيرها وهى انه اجتاز صلى الله عليه وسلم بغنم فقال لراعيها ان هذه فقال لرجل من أسلم فالتفت صلى الله عليه وسلم لابى بكر وقال سلمت ان شاء الله تعالى ثم قال للراعى ما اسمك قال مسعود فالتفت الى أبى بكر رضى الله تعالى عنه فقال سعدت ان شاء الله تعالى وفى الامتاع ولقى بريدة بن الحصيب الاسلمى رضى الله تعالى عنه فى ركب من قومه فدعاهم الى الاسلام فاسلموا أى والحصيب بضم الحاء المهملة وفتح الصاد وفى اشرف ان بريدة لما بلغه ماجعلته قريش لمن يأخذ النبى صلى الله عليه وسلم طمع فى ذلك فخرج هو وفى سبعين من أهل بيته وفى لفظ كانوا ثمانين بيتا وحينئذ يراد ببيته قومه فلما رآه صلى الله عليه وسلم قال له من أنت قال بريدة بن الحصيب فالتفت النبى صلى

عليه وسلم لما أصيب اخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم فى أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى الى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم وحسن مقيلهم قالوا يا ليت اخواننا يعلمون ماصنع الله بنا لئلا يزهدوا فى الجهاد ولا ينكلوا أى يمتنعوا عن الحرب فقال الله أنا أبلغهم عنكم فانزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين وقال النبى صلى الله عليه وسلم لجابر رضى الله عنه ان الله كلم أباك كفاحا فقال سلنى أعطك فقال أن أرد الى الدنيا فاقتل فيك ثانية فقال الرب عز وجل انه سبق انهم لا يرجعون الى الدنيا قال أى رب فابلغ من ورائى فانزل الله ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا الآية وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال لما قتل أبى جعلت أبكى وأكشف الثوب عن وجهه فجعل أصحاب النبى صلى الله عليه

٨ سيره ثانى وسلم ينهونى والنبى صلى الله عليه وسلم لم ينه وقال تبكيه أو لا تبكيه مازالت الملائكة تظله باجنحتها حتى رفع وكان جابر رضى الله عنه لم يشهد القتال انما جاء بعد انصراف القوم وعن بشير بن عفرة رضى الله عنه قال أصيب أبى يوم أحد فمر بى النبى صلى الله عليه وسلم وأنا أبكى فقال أما ترضى أن تكون عائشة أمك وأنا أكون أباك ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بامرأة قد أصيب زوجها وأخوها وأبوها وابنها يوم أحد فلما نعوا لها أى بلغها خبر موتهم قالت ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى ما فعل به قالوا

خيرا يا أم فلان هو بحمد الله كما تحبين فقالت أرونيه حتى أنظر اليه فلما رأته قالت كل مصيبة بعدك جلل تريد صغيرة والجلل كما يقال للشئ الصغير يقال للشئ الكبير فهو من الاضداد ويعلم المراد بالقرينة وفي رواية انها مرت باخيها وزوجها وابنها وأبيها صرعى وصارت كلما سألت عن واحد وقالت من هذا قيل لها أخوك وزوجك وابنك أبوك فلم تكترث بل صارت تقول بابي أنت وأمي يارسول الله لا أبالي اذا سلمت من عطب واختلف العلماء هل قاتلت الملائكة يوم أحد أم لا قال مجاهد حضرت الملائكة ولم تقاتل وما قاتلت الا يوم بدر لكن جاء عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال رأيت عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان عنه كأشد القتال ما رأيتهما قبل ولا بعد أي وهما جبريل وميكائيل قال البيهقي لا منافاة لانهم لم يقاتلوا يوم أحد عن القوم فلا ينافي انهم قاتلوا عنه صلى الله عليه وسلم خاصة لكن جاء عن الحرث بن الصمة رضي الله عنه قال سألني رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في الشعب عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فقلت رأيته في جنب الجبل فقال الملائكة تقاتل معه قال الحرث فرجعت الى عبد الرحمن فاذا بين يديه سبعة صرعى فقلت ظفرت يمينك كل هؤلاء قتلت فقال أما هذا وهذا فانا قتلتهما وأما هؤلاء فقتلهم من لم أره فقلت صدق الله ورسوله صلى الله عليه وسلم قال بعضهم ان مقاتلة الملائكة عن خصوص عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه لا تنافي مقاتلتهم يوم بدر عن عموم القوم وتقدم انه لما سقط اللواء بعد قتل مصعب بن عمير رضي الله عنه أخذه ملك في صورة مصعب وجاء انه لما تصور الملك بصورة مصعب وأخذ اللواء جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تقدم يا مصعب فالتفت اليه الملك وقال لست بمصعب فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ملك وفي رواية ان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اقدم مصعب قال يا رسول الله ألم يقتل مصعب قال بلى ولكن ملك قام مكانه وتسمى باسمه وتقدم ان النبي صلى الله عليه وسلم أعطى اللواء بعد ذلك لعلي رضي الله عنه وجاء في رواية انه حمله أيضا أخو مصعب واسمه أبو الروم (ويجمع بين الاحاديث) باحتمال ان يكون

الله عليه وسلم وقال يا أبا بكر برد أمرنا وصلح قال ممن أنت قال من أسلم من بني سهم قال النبي صلى الله عليه وسلم سلم اوخرج سهمك يا أبا بكر أي لانه صلى الله عليه وسلم كان يتفاءل ولا يتطير كما تقدم ثم قال بريدة للنبي صلى الله عليه وسلم من أنت قال أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب رسول الله فقال بريدة أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فاسلم بريدة وكل من كان معه أي وصلوا خلفه صلى الله عليه وسلم العشاء الآخرة ثم قال بريدة يارسول الله لا تدخل المدينة الا ومعك لواء فحل بريدة عمامته ثم شدها في رمح ثم مشى بين يديه أي وقال له كما في الوفاء تنزل علام يانبي الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان ناقتي هذه مأمورة فقال بريدة الحمد لله الذي أسلمت بنو سهم يعني قومه طائعين غير مكرهين ولما سمع المسلمون بالمدينة بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة كانوا يغدون كل غداة الى الحرة ينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة (أقول) ولعل خروجهم كان في ثلاثة أيام وهي المدة الزائدة على المسافة المعتادة بين مكة والمدينة التي كان بها في الغار والله أعلم فانقلبوا يوما بعد أن طال انتظارهم أي وأحرقتهم الشمس واذا رجل من اليهود صعد على أطم أي محل مرتفع من آطامهم أي من محالهم المرتفعة لامر ينظر اليه فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مبيضين أي لانهم لقوا الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجارا قافلين من الشام فكسا الزبير رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر ثيابا بيضا كما في البخاري وقيل ان الذي كساهما طلحة بن عبيد الله قال في النور ولعلهما لقياه معا أو متعاقبين فكساهما وأبا بكر ما ذكر وهذا الجمع أولى من ترجيح الحافظ الدمياطي لهذا القيل ومن ثم ذكر الحافظ ابن حجر ان هذا القيل هو الذي في السير ومل الدمياطي الى ترجيحه على عادته في ترجيح ما في السير على ما في الصحيح لكنه ذكر ان ذلك كان شأنه في ابتداء أمره فلما تضلع من الاحاديث الصحيحة كان يرى الرجوع عن كثير مما وافق عليه أهل السير مما خالف الاحاديث الصحيحة فلما رآهم ذلك ليهودي يزول بهم السراب أي يرفعهم ويظهرهم أي والسراب ما يرى كالماء في وسط النهار في زمن الحر فلما رآهم اليهودي ان قال بأعلى صوته يا معشر العرب هذا جدكم أي حظكم الذي تنتظرون أي وفي رواية فلما رأوا من المدينة بعثوا رجلا من أهل البادية الى أبي امامة وأصحابه من الانصار أي ولا مانع من وجود الامرين فثار المسلمون الى السلاح فبلغوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة أي وفي لفظ فوافوه وهو مع أبي بكر في ظل نخلة ولعل تلك النخلة كانت بظهر الحرة فلا مخالفة ثم قالوا لهما ادخلا آمنين مطمئنين وفي لفظ فاستقبله زهاء خمسمائة أي ما يزيد على خمسمائة من الانصار فقالوا اركبا آمنين مطاعين فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بقباء في دار بني عمرو بن عوف وذلك في يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول على كلثوم بن الهدم أي لانه كان شيخ بني عمرو بن عوف أي وهم بطن من الاوس قيل وكان يومئذ مشركا ثم أسلم وتوفي قبل بدر بيسير وقيل أسلم قبل وصوله صلى الله عليه وسلم المدينة أي وعند نزوله صلى الله عليه وسلم نادى كلثوم بغلام له يا نجيح فقال رسول

كل من أولئك حمل اللواء برهة من الزمن * ولما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتوجه الى المدينة ركب فرسه وخرج المسلمون
حوله وعامتهم جرحى ومعه أربع عشرة امرأة كن باصل أحد وقال اصطفوا حتى أثنى على ربى عز وجل فاصطف الرجال خلفه صفوفا
وخلفهم النساء فقال اللهم لك الحمد كله لا قابض لما بسطت ولا باسط لما قبضت ولا هادى لمن أضللت ولا مضل لمن هديت ولا معطى
لما منعت ولا مانع لما أعطيت ولا مقرب لما أبعدت ولا مبعد لما قربت ٥٩ الحديث ثم توجه صلى الله عليه وسلم الى

الله صلى الله عليه وسلم أنجعت يا أبا بكر وكان يجلس للناس ويتحدث مع أصحابه فى بيت سعد بن
خيثمة أى لانه كان عزبا لا أهل له هناك أى وكان منزله يسمى منزل العزاب والعزب من الرجال
من لا زوجة له ولا يقال أعزب وقيل هى لغة رديئة (أقول) وبذلك يجمع بين قول من قال نزل
على كلثوم وقول من قال نزل على سعد بن خيثمة ثم رأيت الحافظ الدمياطى أشار الى ذلك والله
أعلم ونزل على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه لما قدم المدينة على كلثوم أيضا بقباء بعد أن تأخر
بمكة بعده صلى الله عليه وسلم ثلاث ليال يؤدى الودائع التى كانت عند النبى صلى الله عليه وسلم
لامره له صلى الله عليه وسلم بذلك كما تقدم فلما توجه صلى الله عليه وسلم الى المدينة قام على رضى
الله تعالى عنه بالابطح ينادى من كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وديعة فليأت تؤدى
اليه أمانته فلما نفد ذلك ورد عليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشخوص اليه فابتاع
ركائب وقدم ومعه الفواطم ومعه أم أيمن وولدها أيمن وجماعة من ضعفاء المؤمنين ﴿أقول﴾
سيأتى ما يخالف ذلك وهو أنه صلى الله عليه وسلم لما نزل فى دار أبى أيوب بعث زيد بن حارثة وأبا
رافع الى مكة وأعطاهما خمسمائة درهم وبعيرين يقدمان عليه بفاطمة وأم كلثوم بنته وسودة
زوجته وأم ايمن وولدها اسامة الا أن يقال يجوز أن يكون الكتاب الذى فيه استدعاء سيدنا
على رضى الله تعالى عنه للهجرة كان مع زيد وأبى رافع رضى الله تعالى عنهما وانهما صحباه ولا
ينافى ذلك ما تقدم من أنه صلى الله عليه وسلم تأخر بعد على رضى الله عنه بمكة ثلاث ليال يؤدى
الودائع لان تلك الليالى الثلاث كانت مدة تأدية الودائع ومكث بعدها الى ان جاءه كتاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وحينئذ يكون قدم على النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد نزوله
بقباء على أم كلثوم فلا مخالفة لكن فى السيرة الهشامية فنزل أى على معه أى مع النبى صلى الله
عليه وسلم على أم كلثوم وهو لا يتأتى الا على القول بأنه صلى الله عليه وسلم مكث فى قباء بضع
عشرة ليلة كما سيأتى وحينئذ يخالف ما سبق من مجيئه مع زيد وأبى رافع لما علمت أنه صلى الله
عليه وسلم انما أرسلهما بعد ان تحول من قباء الى المدينة وفى الامتاع لما قدم على من مكة كان
يسير الليل ويكمن النهار حتى تفطرت قدماه فاعتنقه النبى صلى الله عليه وسلم وبكى رحمة لما
بقدميه من الورم وتفل فى يديه وأمرهما على قدميه فلم يشكهما بعد ذلك ولا مانع من وقوع
ذلك من على مع وجود ما يركبه لانه يجوز أن يكون هاجر ماشيا رغبة فى عظيم الاجر وفى السيرة
الهشامية ان اقامة على بقباء كانت ليلة أو ليلتين وانه رأى امرأة مسلمة لازوج لها يأتيها
انسان من جوف الليل يضرب عليها بابها فتخرج اليه فيعطيها شيأ معه فتأخذه قال على فسألتها
فقالت هذا سهل بن حنيف قد عرف أنى امرأة لا أحد لى فاذا أمسى غدا على أوثان قومه
فكسرها ثم جاءنى بها فقال احتطبى بهذا أى اجعليه للنار فكان على يعرف ذلك لسهل بن
حنيف والله أعلم قال ونزل أبو بكر على حبيب بن أبى اساف وقيل على خارجة بن زيد بالسنح بضم
السين المهملة فنون ساكنة فحاء مهملة وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ولد نبيكم يوم

المدينة فاقيته حمنة بنت جحش
رضى الله عنها بنت عمته صلى الله
عليه وسلم أخت زوجته زينب
بنت جحش أم المؤمنين رضى الله
عنها فقال لها رسول الله صلى الله
عليه وسلم احتسبى فقالت من
يا رسول الله قال خالك حمزة قالت
انا لله وانا اليه راجعون غفر الله له
هنيأ له الشهادة ثم قال لها احتسبى
قالت من يا رسول الله قال أخاك
عبد الله بن جحش قالت انا لله وانا
اليه راجعون هنيأه الشهادة
ثم قال لها احتسبى قالت من
يا رسول الله قال زوجك مصعب
ابن عمير فقالت واحزناه وصاحت
وولولت فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان زوج المرأة
لمكان ما هو لاحد لما رأى
من تثبتها على أخيها وخالها
وصياحها على زوجها ثم قال
لها لم قلت هذا قالت تذكرت
يتم بنيه فراعنى أى فلا تؤاخذنى
فدعا لها أن يحسن الله عليهم
الخلق فتزوجت طلحة بن عبيد
الله رضى الله عنه فكان أوصل
الناس لولدها وولدت له محمد بن
طلحة وجاءت أم سعد بن معاذ
رضى الله عنها وعنه تعدو نحو
رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو على فرسه وابنها سعد بن
معاذ آخذ بلجام فرس رسول

الله صلى الله عليه وسلم فقال له سعد يا رسول الله أمى فقال صلى الله عليه وسلم مرحبا بها فوقف لها فدنت حتى تأملت رسول الله صلى
الله عليه وسلم فعزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بابنها عمرو بن معاذ فقالت اما اذ رأيتك سالما فقد اشويت المصيبة أى
استقللتها ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن قتل باحد بعد ان قال لام سعد يا أم سعد ابشرى وبشرى أهلهم ان قتلاهم
رافقوا فى الجنة جميعا وقد شفعوا فى أهليهم قالت رضينا يا رسول الله ومن يبكى عليهم بعد هذا ثم قالت يا رسول الله ادع الله لمن خلفوا

فقال اللهم اذهب حزن قلوبهم واجبر مصيبتهم وأحسن الخلف على من خلفوا (وسمع صلى الله عليه وسلم) نساء الانصار يبكين على أزواجهن وأبنائهن واخوانهن فقال حمزة لا بواكي له وبكى صلى الله عليه وسلم ولعله لم يكن لحمزة رضي الله عنه بالمدينة زوجة ولا بنات فأمر سعد بن معاذ رضي الله عنه نساءه ونساء قومه أن يذهبن الى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكين حمزة بين المغرب والعشاء وكذلك أسيد بن حضير أمر نساءه ونساء ٦٠ قومه أن يذهبن الى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكين حمزة ولما وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أنزله السعدان عن فرسه سعد بن معاذ وسعد بن عبادة ثم اتكأ عليهما حتى دخل بيته ثم أذن بلال لصلاة المغرب فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على مثل تلك الحال يتوكأ على السعدين فصلى صلى الله عليه وسلم المغرب فلما رجع من صلاة المغرب الى بيته سمع البكاء فقال ما هذا فقيل نساء الانصار يبكين على حمزة فقال رضي الله عنكن وعن أولادكن وأمر أن يرجع النساء الى بيوتهن وفي رواية خرج عليهن بعد ثلث الليل لصلاة العشاء وان بلالا أذن للعشاء حين غاب الشفق فلم يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما ذهب ثلث الليل نادى بلال الصلاة يا رسول الله فقام من نومه وخرج وهن على باب المسجد يبكين حمزة ولا منافاة لاحتمال أن يكون الامر عند رجوعه من صلاة المغرب كان لطائفة واللاتي رآهن عند خروجه لصلاة العشاء طائفة أخرى فقال لهن ارجعن رحمكن الله لقد واسيتن رحم الله الانصار فان المواساة فيهم وصارت المرأة من نساء الانصار بعد ذلك لا تبكي على ميتها الا ابتدأت بحمزة رضي الله عنه أي بكت عليه ثم بكت على ميتها وباتت وجوه الاوس والخزرج تلك الليلة على بابه صلى الله عليه وسلم بالمسجد يحرسونه خوفا من قريش أن تعود الى المدينة الى وجاء انه صلى الله عليه وسلم نهى نساء الانصار عن النوح فقال له الانصار بلغنا يا رسول الله انك نهيت عن النوح وانما هو شيء ننذب به موتانا ونجد فيه بعض الراحة فاذن لنا فيه فقال صلى الله عليه وسلم ان فعلن فلا يخمشن ولا يلطمن ولا يحلقن شعرا ولا يشققن جيبا (وجملة القتلى) من المسلمين يوم أحد سبعون أربعة من المهاجرين وهم حمزة ومصعب بن عمير وعبد الله بن جحش وشماس بن عثمان

الاثنين وحملت به أمه يوم الاثنين وخرج من مكة أي من الغار يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين قال الحاكم تواترت الاخبار أن خروجه صلى الله عليه وسلم كان يوم الاثنين ودخوله المدينة كان يوم الاثنين زاد بعضهم وفتح مكة كان يوم الاثنين ووضع الركن كان يوم الاثنين ومن الغريب ما حكاه بعضهم عن الربيع المالكي وكان بمصر كان يوم الاثنين خاصة اذا نام فيه تنام عيناه ولا ينام قلبه وقيل خرج من مكة أي الى الغار يوم الخميس وعليه يكون مكث صلى الله عليه وسلم في الغار تلك الليلة التي هي ليلة الجمعة وليلة السبت وليلة الاحد وعليه يكون خروجه من الغار صبيحة ليلة الاحد ففي البخاري أتاهما أي الدليل براحلتيهما صبح ثلاث وتقدم ان خروجهما الى الغار كان ليلا من بيت أبي بكر وقول أبي بكر سرنا ليلتنا كلها حتى قام قائم الظهيرة يقتضي أنهما خرجا من الغار اما لا بل أول الليل لان مع التأكيد يبعد أن يكون المراد بقية ليلتنا وتقدم عن البخاري أتاهما براحلتيهما صبح ثلاث وحمل ذلك على ما قارب الصبح من الليل بعيد فليتأمل هذا المحل وقيل دخلها أي المدينة ليلا كما في رواية لمسلم أي وقال الحافظ ابن حجر ويجمع بأن القدوم كان آخر الليل فدخلها نهارا ﴿أقول﴾ لعل مراد الحافظ ان الوصول كان ليلا الى قرب المدينة فأقاموا بذلك المحل الى ان أسفر النهار وسار وافما وصلوا الا وقت الظهيرة فلا يخالف ما تقدم وقيل دخلها يوم الجمعة وذكر الحافظ ابن حجر انه شاذ والله أعلم * وسرى السرور الى القلوب بحلوله صلى الله عليه وسلم في المدينة فعن البراء رضي الله تعالى عنه قال ما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أضاء منها كل شيء وصعدت ذوات الخدور على الاجاجير أي الاسطحة عند قدومه صلى الله عليه وسلم يعلن يقولن طلع البدر علينا الخ وعن عائشة رضي الله تعالى عنها لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جعل النساء والصبيان والولائد يقلن

طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع وجب الشكر علينا * ما دعا لله داعي
أيها المبعوث فينا * جئت بالامر المطاع

قال واستشكل بان ثنيات الوداع ليست من جهة القادم من مكة بل هي من جهة الشام فقد قال ابن القيم في الهدى في غزوة تبوك ثنيات الوداع من جهة الشام لا يطؤها القادم من مكة ونقل الحافظ ابن حجر عنه عكس ذلك وليس في محله وأجيب بأنه صلى الله عليه وسلم جاء من جهتها في دخوله للمدينة عند خروجه من قباء اه أي وفي كلام بعضهم ما كان أحد يدخل المدينة الا منها فان لم يعبر منها مات قبل أن يخرج لوبائها كما زعمت اليهود فاذا وقف عليها قيل قد ودع فسميت به وقيل قيل لها ثنية الوداع لان المودع يمشي مع المسافر من المدينة اليها وهو اسم قديم جاهلي وقيل اسلامي سمي ذلك المحل لذلك وقيل لان الصحابة رضي الله تعالى عنهم ودعوا فيها النساء اللاتي استمتعوا بهن في خيبر عند رجوعهن من خيبر أو وقع توديع من خرج

وقيل ثمانون أربعة وسبعون من الانصار وستة من المهاجرين قال الحافظ ابن حجر لعل الخامس سعد مولى حاطب بن أبي بلتعة والسادس ثقيف بن عمرو حليف بني عبد شمس والذين قتلوا من المشركين قيل ثلاثة وعشرون وفيه نظر فانه جاء أن حمزة وحده قتل احدا وثلاثين فعل المشركين احتملوا بعض قتلاهم أو دفنوهم ولما سمع المنافقون بكاء المسلمين على قتلاهم أظهروا الشماتة هم واليهود وأظهروا أقبح القول فقالوا ما محمد الا طالب ملك ما أصيب بمثل هذا نبي قط ٦١ أصيب في بدنه وأصيب في أصحابه وقالوا لو كان من قتل معكم عندنا ما قتل فاستأذن عمر رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم في قتل هؤلاء المنافقين فقال أليسوا يظهرون شهادة أن لا اله الا الله وانى رسول الله فقال بلى ولكن تعوذا من السيف وقد بان أمرهم وأبدى الله اضغانهم فقال صلى الله عليه وسلم نهيت عن قتل من أظهر ذلك وصار ابن أبي لعنه الله يوبخ ابنه عبد الله رضي الله عنه وقد أثبتته الجراحة فقال له ابنه الذي صنع الله لرسوله والمسلمين خير وكان من عادة عبد الله بن أبي ابن سلول انه اذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر قام فقال يا أيها الناس هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهركم أكرمكم الله به وأعزكم به فانصروه وعزروه واسمعوا له وأطيعوا ثم يجلس فبعد أحد أراد أن يفعل كذلك فلما قام أخذ المسلمون بثوبه من نواحيه وقالوا له اجلس يا عدو الله لست لذلك بأهل وقد صنعت ما صنعت فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول كأني اغفلت شرا وقال له بعض الانصار ارجع يستغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والله ما أبتغي أن يستغفر لي وأنزل الله تعالى قصة أحد في آل عمران في قوله

الى غزوة تبوك فيها أو لكونه صلى الله عليه وسلم ودع بعض المسافرين عندها وهذا يدل على أن هذا الشعر قيل له عند دخوله المدينة لا عند دخوله قباء وسياق بعضهم يقتضيه وسياق بعض آخر يقتضي أنه كان عند دخوله قباء ومن هذا تعلم ان المدينة تطلق ويراد بها ما يشمل قباء ومنه قولنا وسرى السرور الى القلوب بحلوله صلى الله عليه وسلم في المدينة فمن البراء الى آخره وهي المرادة بدخوله المدينة يوم الاثنين على ما تقدم وتطلق ويراد بها ما قابل قباء وحينئذ تكون هذه المرادة بقول أنس لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة الى آخره ولعل منه ما في بعض الروايات المتقدمة دخل المدينة يوم الجمعة الذي حكم الحافظ ابن حجر بشذوذه كما تقدم ولما جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم قام أبو بكر للناس أي وأبو بكر شيخ أي شيبه ظاهر والنبي صلى الله عليه وسلم شاب أي شعر لحيته أسود مع كونه أسن من أبي بكر كما تقدم وقد قال أنس لم يكن في الذين هاجروا أشمط غير أبي بكر فطفق من جاء من الانصار ممن لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم يحيي أبا بكر فيعرفه بالنبي صلى الله عليه وسلم حتى اصابت الشمس رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل أبو بكر حتى ظل عليه بردائه فعرفه الناس أي عرفه من جاء منهم بعد ذلك أي لان عدم تأثير الشمس فيه لتظليل الغمامة كان قبل البعثة ارهاصا كما تقدم ومما يدل على ان خروجه من قباء كان يوم الجمعة قول بعضهم ولبث رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني عمرو بن عوف أي في قباء بقية يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الاربعاء ويوم الخميس وخرج يوم الجمعة وقيل لبث بضع عشرة ليلة وهو المنقول عن البخاري وعن ابن عقبة أقام صلى الله عليه وسلم ثنتين وعشرين ليلة وفي الهدى أقام أربعة عشر يوما وهو ما في صحيح مسلم فليتأمل وأسس في قباء المسجد الذي أسس على التقوى أي الذي نزلت فيه الآية وصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في الهدى ولا ينافي هذا قوله صلى الله عليه وسلم وقد سئل عن المسجد الذي أسس على التقوى فقال مسجدكم هذا وأشار لمسجد المدينة أي وفي رواية فأخذ حصاة فضرب بها الارض وقال مسجدكم هذا يعني مسجد المدينة لان كلا منهما مؤسس على التقوى هذا كلامه ويوافقه ما نقل عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه كان يرى كل مسجد بني بالمدينة الشاملة لقباء أسس على التقوى أي لكن الذي نزلت فيه الآية مسجد قباء وكان خروجه صلى الله عليه وسلم من قباء يوم الجمعة حين ارتفع النهار قال قيل وكان محل مسجد قباء مربدا أي محلا يجفف فيه التمر لكلثوم بن الهرم وهو أول مسجد بني في الاسلام لعموم المسلمين فلا ينافي انه بنى قبله غيره من المساجد لكن الخصوص الذي بناه كالمسجد الذي بناه الصديق بفناء داره بمكة كما تقدم انتهى أي وفي كلام ابن الجوزي أول من بنى مسجدا في الاسلام عمار بن ياسر (وفي السيرة الهشامية) عن الحكم بن عيينة لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل قباء قال عمار بن ياسر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بد من أن يجعل له مكانا يستظل به اذا استيقظ ويصلي فيه فجمع حجارة فبنى مسجد قباء أي فانه لما جمع الحجارة أسسه

فاذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال وقد ذكر الله تعالى الحكمة فيما أصاب المؤمنين بمخالفتهم أمر النبي صلى الله عليه وسلم وعرفهم سوء عاقبة المعصية وشؤم ارتكاب المخالفة بما وقع من ترك الرماة موقفهم الذي أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يبرحوا عنه بقوله تعالى ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين ومن الحكم في ذلك

ان عادة الله جرت أن الرسل تبتلى ثم تكون العاقبة لهم ولو انتصروا دائما لدخل فى المسلمين من ليس منهم ولم يتميز الصادق من غيره كما قال تعالى وليبتلى الله ما فى صدوركم وليمحص ما فى قلوبكم والله عليم بذات الصدور ولو انغلبوا دائما لم يحصل المقصود من البعثة فاقتضت الحكمة الجمع بين الامرين ليتميز الصادق من الكاذب كما قال تعالى ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وذلك أن نفاق المنافقين كان ٦٢ مخفيا ومستورا عن المسلمين فلما جرت هذه القصة وأظهر أهل النفاق ما أظهروه من الفعل والقول كانخذالهم وقولهم لو نعلم قتالا لاتبعناكم عادما كانوا يضمرونه ويتكاتمون به فيما بينهم ويخفونه عن المسلمين مصر حابه وعرف المسلمون أن لهم عدوا فى دورهم فاستعدوا لهم وتحرزوا منهم ومن الحكم فى ذلك أيضا ان فى تأخير النصر فى بعض المواطن هضما للنفس وكسرا لشماختها وتكبرها وتعاظمها فلما ابتلى المؤمنون صبروا وجزع المنافقون ومنها أن الله تعالى هيأ لعباده المؤمنين منازل فى دار كرامته لا تبلغها أعمالهم فقيض لهم أسباب الابتلاء والمحن ليصلوا اليها قال تعالى أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين قال ابن اسحق أى أحسبتم ان تدخلوا الجنة فتعيبوا من ثوابى الكرامة ولم أختبركم بالشدة وأبتليكم بالمكاره حتى أعلم صدقكم فى الايمان بى والصبر على ما أصابكم أى أعاملكم معاملة المبتلى المختبر ليظهر على لكم ويكون ما أظهره مطابقا لما سبق فى علمى ومنها أن الشهادة من أعلى مراتب الاولياء فساقهم الله اليها اكراما لهم حيث اتخذ منهم شهداء وكانوا يتمنون ذلك قبل بقاء العدو كما قال تعالى ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون قال تعالى ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله الله وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين وقد قال صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لولا أن رجالا من المؤمنين لا تطيب نفوسهم أن يتخلفوا عنى ولا أجد ما أحملهم عليه ما تخلفت عن سرية تغزو فى سبيل الله والذى نفسى بيده لوددت انى أقتل فى سبيل الله ثم أحيى ثم أقتل ثم أحيى ثم أقتل ثم أحيى ثم أقتل ومنها ان الله أراد اهلاك اعدائه

صلى الله عليه وسلم واستتم بنيانه عمار فعمار أول من بنى مسجد العموم المسلمين قال وعن جابر لبثنا بالمدينة قبل أن يقدم النبى صلى الله عليه وسلم بسنتين نعمر المساجد ونقيم الصلاة انتهى ونعمر يحتمل أن يكون بالتخفيف فيكون عطف نقيم الصلاة من عطف التفسير ويحتمل أن يكون بالتشديد فيكون بناء المساجد تعدد فى المدينة قبل قدومه صلى الله عليه وسلم وفيه ان الحافظ ابن حجر قال كان بين ابتداء هجرة الصحابة وبين هجرته صلى الله عليه وسلم شهران ونصف شهر على التحرير كما تقدم أى ورواية جابر تدل على أنه كان بين اجتماع الاثنى عشر من الانصار به صلى الله عليه وسلم ومجيئهم الى المدينة وبين قدومه صلى الله عليه وسلم للمدينة سنتان وقد يقال ليس مراد جابر ان ابتداء المدة من قدوم الاثنى عشر عليه بل مراده ان ابتداءها من قدوم الستة عليه الذين منهم جابر والمدة تزيد على السنتين فليتأمل وهو أى مسجد قباء أول مسجد صلى فيه صلى الله عليه وسلم بأصحابه جماعة ظاهرين أى آمنين وقيل ان هذا المسجد بناء المهاجرون والانصار يعلمون فيه فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وورد قباء صلى فيه ولم يحدث فيه شيأ ويخالفه ما تقدم عن السيرة الهشامية وما فى الطبرانى بسند رجاله ثقاة عن الشموس بفتح الشين المعجمة بنت النعمان رضى الله تعالى عنها قالت نظرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم ونزل وأسس المسجد مسجد قباء فرأيته يأخذ الحجر أو الصخرة حتى يصهره الحجر أى يتعبه فيأتى الرجل من أصحابه فيقول يا رسول الله بأبى أنت وامى تعطنى اكفك فيقول لا خذ مثله حتى أسسه أى وجاء انه صلى الله عليه وسلم لما أراد بناءه قال يا أهل قباء ائتونى باحجار من الحرة فجمعت عنده احجار كثيرة فخط القبلة وأخذ حجرا فوضعه ثم قال يا أبا بكر خذ بحجر فضعه الى جنب حجرى ثم قال يا عمر خذ حجرا فضعه الى جنب حجر أبى بكر ثم قال يا عثمان خذ حجرا فضعه الى جنب حجر عمر قال بعضهم كأنه صلى الله عليه وسلم أشار الى ترتيب الخلافة وسيجىء فى بناء مسجد المدينة نحوه ويحتاج للجمع بين هذه الروايات وبعد تحوله صلى الله عليه وسلم الى المدينة كان يأتيه يوم السبت ماشيا وراكبا وقال من توضأ وأسبغ الوضوء ثم جاء مسجد قباء فصلى فيه كان له أجر عمرة وروى أى الترمذى والحاكم وصححاه عن أسيد بن حضير عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال صلاة فى مسجد قباء كعمرة وفى رواية من صلى فى مسجد قباء يوم الاثنين والخميس انقلب بأجر عمرة وكان عمر رضى الله تعالى عنه يأتيه يوم الاثنين ويوم الخميس وقال لو كان بطرف من الاطراف وفى رواية فى افق من الآفاق لضربت اليه اكباد الابل أى وصح الحاكم عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر الاختلاف الى قباء ماشيا وراكبا وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه عن أبيه قال خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين الى قباء وعن ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم كان يأتى مسجد قباء فيصلى فيه ركعتين وعنه قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قباء فقام يصلى فجاءته الانصار تسلم عليه فقلت لبلال كيف رأيت رسول

فقيض لهم الاسباب التي يستوجبون بها ذلك حيث اعتقدوا انهم على شئ من ظفرهم الصوري بالمسلمين فزادوا عتوا وتجبرا وطغيانا
في ايذاء أوليائه ومحص الله بذلك المؤمنين ومحق لذلك الكافرين كما قال تعالى وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين أي يهلك
الكافرين الذين حاربوا يوم أحد ولم يسلموا والمعنى ان كانت الدولة على المؤمنين فللتمييز والاستشهاد والتمحيص وان كانت على
الكافرين فلمحقهم ومحو آثارهم ومنها ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام اذا أصيبوا ٦٣ ببعض العوارض الدنيوية من الجراحات

الله صلى الله عليه وسلم يرد عليهم قال يشير اليهم بيده وهو يصلي أي يجعل باطنها الى أسفل
وظهرها الى فوق وقد وقعت له صلى الله عليه وسلم الاشارة في الصلاة برد السلام لما قدمت عليه
ابنته رضي الله تعالى عنها من الحبشة وهو يصلي فسلمت فأومأ اليها برأسه (وفي الهدى) وأما
حديث من أشار في الصلاة اشارة تفهم عنه فليعد صلاته فحديث باطل وفي كلام بعضهم قد
ثبت في الاحاديث الصحيحة أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا سلم عليه أحد وهو في الصلاة أشار
باصبعه المباركة جواب السلام وليس لهذه الاحاديث معارض الا حديث مجهول وهو من
أشار في صلاته اشارة مفهمة فليعد صلاته وهذا الحديث لا يصلح للمعارضة ولما نزل قوله تعالى
فيه رجال يحبون ان يتطهروا أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألهم عن ذلك فقال ما هذا
الطهور الذي أثنى الله عليكم به فقالوا يا رسول الله ما خرج منا رجل ولا امرأة من الغائط الا
غسل فرجه فقال هو هذا وفي لفظ أتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد قبا. أي وفي
الكشاف ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس فقال أمؤمنون
أنتم فسكت القوم ثم أعادها فقال عمر يا رسول الله انهم لمؤمنون وأنا منهم فقال عليه الصلاة
والسلام أتؤمنون بالقضاء قالوا نعم قال وتصبرون على البلاء قالوا نعم قال أتشكرون على
الرخاء قالوا نعم قال عليه الصلاة والسلام مؤمنون ورب الكعبة فجلس وقال يا معشر الانصار
ان الله عز وجل قد أثنى عليكم فما الذي تتبعون عند الوضوء وعند الغائط أي المعبر عنه بالطهور
فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط الاحجار الثلاثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا النبي صلى الله عليه
وسلم فيه رجال يحبون ان يتطهروا هذا كلامه وفي رواية فقال ان الله قد أحسن اليكم الثناء
في الطهور فما هذا الطهور الذي تتطهرون به قالوا يا رسول الله ما نعلم شيأ الا انه كان لنا جيران
من اليهود فكانوا يغسلون أدبارهم من الغائط فغسلناها كما غسلوا وفي لفظ كنا نستنجي بالماء
في الجاهلية فلما جاء الاسلام لم ندعه قال فلا تدعوه وفي لفظ قالوا نتوضأ للصلاة ونغتسل من
الجنابة فقال هل مع ذلك غيره قالوا لا غير ان أحدنا اذا خرج الى الغائط أحب أن يستنجي بالماء
وفي رواية نستنجي من البول والغائط زاد في رواية ولا ننام لليل كله على الجنابة قال هو ذاك
فعليكموه أي الزموه أي وفي مسند البزار عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه صلى الله عليه
وسلم لما سألهم قالوا انا نتبع الحجارة الماء قال بعضهم في اسناده ضعف وبهذا وما تقدم من ذكر
الحجارة يرد على الامام النووي حيث قال هكذا أي ذكر الحجر مع الماء في خبر الانصار بقباء رواه
الفقهاء في كتبهم وليس له أصل في كتب الحديث بل المذكور فيها أنهم قالوا كنا نستنجي
بالماء وليس فيها مع الحجر أي ويكون السكوت عن ذكر الحجر لكونه كان معلوما فعله (وفي
الخصائص الصغرى) ان مما اختص به صلى الله عليه وسلم في شرعه وأمته الاستنجاء بالجامد
وبالجمع فيه بين الماء والحجر (ومن أهل قباء) عويمر بن ساعدة قال في حقه صلى الله عليه وسلم
نعم العبد من عباد الله والرجل من أهل الجنة عويمر بن ساعدة اى لانه كان أول من استنجى

والآلام والاسقام تعظيما لاجورهم
تأسيا بهم أتباعهم في الصبر على
المكاره قال تعالى قد خلت من
قبلكم سنن فسيروا في الارض
فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين
ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون
ان كنتم مؤمنين وقال تعالى
وكأين من نبي قاتل معه ربيون
كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل
الله وما ضعفوا وما استكانوا والله
يحب الصابرين وما كان قولهم الا
أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا
واسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا
وانصرنا على القوم الكافرين قال
ابن اسحق أنزل الله في شأن أحد
ستين آية من آل عمران وعن
المسور بن مخرمة رضي الله عنه
عنه قال قلت لعبد الرحمن بن عوف
رضي الله عنه اخبرني عن قصتكم
يوم أحد قال اقرأ العشرين ومائة
من آل عمران تجدها واذ غدوت
من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد
للقتال والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿غزوة حمراء الاسد﴾

بفتح الحاء والمد مضافة الى أسد
اسم موضع على ثمانية أميال من
المدينة عن يسار الطريق اذا
أردت ذا الحليفة وكانت صبيحة
أحد اذ وقعت أحد يوم السبت
والغزوة المذكورة يوم الاحد
لست عشرة مضت من شوال

على رأس اثنين وثلاثين شهرا من الهجرة وكانت لطلب العدو الذين كانوا بالامس قال الواقدي باتت وجوه الانصار على بابه صلى الله
عليه وسلم خوفا من كثرة العدو فلما طلع الفجر وأذن بلال بالصلاة جاء عبد الله بن عمرو المزني فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه قد أقبل
من عند أهله بمل بميم ولام بين اسم موضع قرب المدينة اذا قريش قد نزلوا فسمعهم يقولون ما صنعتم شيأ أصبتم شوكة القوم وحدهم
ثم تركتموهم ولم تبيدوهم قد بقي منهم رؤس يجمعون لكم فارجعوا نستأصل من بقي وصفوان بن أمية يأبى ذلك عليهم ويقول لا تفعلوا

فان القوم قد غضبوا وأخاف ان يجتمع عليكم من تخلف من الخزرج فارجعوا والدولة لكم فانى لا آمن ان رجعتم ان تكون الدولة عليكم
فقال صلى الله عليه وسلم أرشدهم صفوان وما كان برشيد والذى نفسى بيده لقد سومت لهم الحجارة ولو رجعوا الكانوا كأمس الذاهب
ودعا صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعمر رضى الله عنهما فذكر لهما ما أخبر به المزنى فقالا يا رسول الله أطلب العدو لا يقتحمون على الذرية
أى يدخلون فلما صلى الصبح ندب الناس ٦٤ وأذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج أى أمر بلالا ان ينادى

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
يأمركم بطلب العدو وان لا يخرج
معنا أحد الا من خرج معنا أمس
يعنى من شهد أحدا وأراد بذلك
اظهار الشدة للعدو فيعلمون من
خروجهم مع كثرة جراحاتهم أنهم
على غاية من القوة والرسوخ فى
الايمان وحب النبى صلى الله عليه
وسلم وأراد أيضا الزيادة فى تعظيم
من شهد أحدا وأيضا خاف
اختلاط المنافقين بهم فيمنون عليهم
بخروجهم معهم وهم مسلمون
ظاهرا فلا يمكنه منعهم وفى البخارى
ومسلم وغيرهما عن عائشة
رضى الله عنها قالت لما انصرف
المشركون عنه صلى الله عليه وسلم
خاف أن يرجعوا فقال من يذهب
فى أثرهم فانتدب منهم سبعون
رجلا فيهم أبو بكر والزبير زاد
الطبرانى عن ابن عباس رضى الله
عنهما وعمر وعثمان وعلى وعمار
وطلحة وسعد وابن عوف وأبو
عبيدة وحذيفة وابن مسعود قال
الحافظ ابن كثير والمشهور عند
أهل المغازى ان الذين خرجوا الى
حمراء الاسد كل من شهد أحدا
وكانوا سبعمائة قتل منهم سبعون
وبقى الباقون قال العلامة الشامى
فى سيرته والظاهر انه لا تخالف
بين قولى عائشة وأصحاب المغازى
لان معنى قولها فانتدب منهم
سبعون انهم سبقوا غيرهم ثم تلاحق الباقون وانما خرج صلى الله عليه وسلم مرهبا للمشركين لما بلغه انهم يريدون نزل

بالماء كما قيل أى ومن ثم جاء تخصيصه بالسؤال فقد روى البيهقى عن ابن عباس رضى الله تعالى
عنهما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عويمر بن ساعدة فقال ما هذا الطهور الذى أثنى الله
عليكم به فقال يا نبى الله ما خرج منا رجل ولا امرأة من الغائط الحديث وهذا السياق ربما
يقتضى ان الاستنجاء بالماء لم يكن معروفا فى نمير أهل قباء قبل نزول هذه الآية وفى كلام
بعضهم أول من استنجى بالماء ابراهيم الخليل وكره بعض الصحابة الاستنجاء بالماء وهو حذيفة
ولعله لكونه فى الاستنجاء بالماء عدول عن الرخصة ونقل عن ابن عمر انه كان لا يستنجى بالماء
ولعله لما ذكرنا وكذا ما نقل عن ابن الزبير ما كنا نفعله وعن الامام أحمد انه لم يصح حديث فى
الاستنجاء بالماء وبالغ مغلطاى فى رده وعن سيدنا مالك انكار ان النبى صلى الله عليه وسلم
استنجى بالماء ولعل المراد انكار صحة ذلك عنه صلى الله عليه وسلم فليتأمل وذكر الاحجار فى
الخبر يؤيد ظاهره ما ذكره امامنا فى الام ان سنة الجمع بين الحجر والماء تتوقف على كون
الاستنجاء بالحجر كافيا والواقع خلافه بقوله والاستنجاء بالحجر كاف ولو أتى به أى بالاستنجاء الكافى
رجل ثم غسل بالماء كان أحب الى وانما قلنا ظاهره لامكان رجوع الضمير للاستنجاء لا يقيد
كونه كافيا والذى عليه متأخرو أصحابنا أن سنة الجمع يكفى فيها بازالة العين ولو بحجر واحد
وقد يقال هذا محبوب وما ذكره الامام أحب ولا يخفى أن حديث الانصار يقتضى اختصاص
سن الجمع بين الحجر والماء بالغائط وبه قال القفال فى كتابه محاسن الشريعة والمفهوم من نص
الام ان مثل الغائط البول ثم بعد اقامته صلى الله عليه وسلم المدة المذكورة بقباء ركب
راحلته الجدعاء وقيل القصواء وقيل العضباء أى قاصد المدينة والجدعاء بالدال المهملة
المقطوعة الانف أو مقطوعة الاذن كلها والقصواء المقطوع طرف أذنها والعضباء المشقوقة
الاذن قال بعضهم وهذه ألقاب ولم يكن بها أى بتلك النوق شئ من ذلك وسيأتى عن الاصل ان
هذه ألقاب لناقة واحدة (ولما ركب صلى الله عليه وسلم) وخرج من قباء وسار سار الناس معه
ما بين ماش وراكب أى ولا زال أحدهم ينازع صاحبه زمام الناقة شحا أى حرصا على كرامة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيما له حتى دخل المدينة قال وصار الخدم والصبيان يقولون
الله أكبر جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء محمد صلى الله عليه وسلم ولعبت الحبشة بحرابها فرحا
برسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قالت بنو عمرو بن عوف له صلى الله عليه وسلم يا رسول الله
أخرجت ملالا انما أم تريد دارا خيرا من دارنا قال انى أمرت بقرية تأكل القرى أى تغلبها
وتقهرها والمراد أهلها أى ان أهلها تفتح القرى فيأكلون أموال أهل تلك القرى ويسبون
ذراريهم فخلوا سبيلها يعنى ناقته صلى الله عليه وسلم أى ومن أسمائه تلك القرية المدينة وروى
الشيخان أمرت بقرية تأكل القرى يثرب وهى المدينة فالمدينة علم بالغلبة على تلك القرية
كالنجم للثريا اذا أطلق فهى المرادة وان أريد غيرها قيد والنسبة اليها مدنى ولغيرها من
المدن مدينى للفرق بينهما ويثرب اسم محل فيها سميت كلها به ولعل ذلك المحل سمى بذلك لانه

العدو فخرج لارهابهم حتى لا يرجعوا وليبلغهم أنه خرج فى طلبهم فيظنوا بالمسلمين قوة وان الذى أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم ولم
يشتغلوا بدواء جراحاتهم مع أن منهم من كان به بضع وسبعون جراحة (وذكر ابن سعد) انه صلى الله عليه وسلم ركب فرسه وهو
مجروح فبعث ثلاثة نفر من أسلم طليعة فى آثار القوم فلحق اثنان منهم القوم بحمراء الاسد ولهم زجل ويأتمرون بالرجوع رصفوان

ينهاهم فبصروا بالرجلين فقتلوهما ومضى صلى الله عليه وسلم بأصحابه ودليله ثابت بن الضحاك بن ثعلبة بن الخزرج حتى عسكر بحمراء الاسد فوجد الرجلين فدفنهما وروى النسائي والطبراني بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما رجع المشركون عن أحد قالوا لا محمدا قتلتم ولا الكواعب أردفتم بئسما صنعتم ارجعوا فسمع بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فندب المسلمين فانتدبوا فخرج بهم حتى بلغ حمراء الاسد أو بئر أبي عتبة فأنزل الله عز وجل الذين استجابوا لله ٦٥ والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين

نزل به يثرب من نسل نوح وفي الحديث المدينة تنفي الناس أي شرارهم كما ينفي الكير خبث الحديد وفي بعض الروايات لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها قيل وذلك كان في حياته صلى الله عليه وسلم وقيل يكون ذلك في زمن الدجال فقد جاء أن الدجال يرجف بأهلها فلا يبقى منافق ولا كافر الا خرج اليه وفي رواية ينزل الدجال السبخة فترجف المدينة ثلاث رجفات يخرج الله منها كل منافق وكافر وبهذا استدل من قال كون المدينة تنفي الخبث ليس عاما في الازمنة ولا في الاشخاص لان المنافقين كانوا بها وخرج منها جماعة من خيار الصحابة منهم علي وطلحة والزبير وأبو عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل وعبد الله بن مسعود وفي كلام ابن الجوزي ان عبد الله بن مسعود مات بالمدينة وقد قال صلى الله عليه وسلم أي أرض مات بها رجل من أصحابي كان قائدهم ونورهم يوم القيامة وفي رواية فهو شفيع لاهل تلك الارض وأما قوله صلى الله عليه وسلم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون أي خير لهم من بلاد الرخاء بدليل صدر الحديث يأتي على الناس زمان يدعو الرجل ابن عمه وقريبه هلم الى الرخاء هلم الى الرخاء والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون والذي نفسي بيده لا يخرج أحد منها رغبة عنها الا أخلف الله من هو خير منه أي من خرج منها رغبة عنها الى غيرها من بلاد الرخاء والسعة فلا دليل في ذلك على انها أفضل من مكة ومن أسمائها الاكالة البلدان ومن أسمائها البارة بتشديد الراء وتسمى الفاضحة لان من أضمر فيها شيأ أظهر الله ما أضمره وافتضح به أي فالمراد أضمر شيأ من السوء وقد قال صلى الله عليه وسلم من سمى المدينة يثرب فليستغفر الله تعالى هي طابة كشامة هي طابة هي طابة قال ذلك ثلاثا وفي رواية فليستغفر الله فليستغفر الله فليستغفر الله هي طيبة كهيبة هي طيبة هي طيبة هي طابة كالكاتب قيل وانما سميت طيبة لطيب رائحة من مكث بها وتزايد روائح لطيب بها ولا يدخلها طاعون ولا دجال ولا يكون بها مجذوم أي لان ترابها يشفي من الجذام وتسميتها يثرب في القرآن انما هو حكاية لقول المنافقين أي بعد نهيهم عن ذلك وقوله صلى الله عليه وسلم لا أراها الا يثرب أي ونحو ذلك من كل ما وقع في كلامه صلى الله عليه وسلم من تسميتها بذلك كان قبل النهي عن ذلك انتهى أي وجاء الايمان ليأزر الى المدينة كما تأزر الحية الى جحرها ويأزر بكسر الزاي أي ينضم ويجتمع بعضه الى بعض وفي رواية ان الاسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ يأزر كما تأزر الحية الى جحرها وانما كرهت تسميتها بيثرب لان يثرب مأخوذ من التثريب وهو المؤاخذة بالذنب ومنه قوله تعالى لا تثريب عليكم اليوم أو من الثرب بالتحريك وهو الفساد وعن القاسم بن محمد قال بلغني ان للمدينة في التوراة أربعين اسما وقيل أحد عشر من جملتها مسكينة أي ومن جملتها الجابرة أي التي تجبر والعذراء والمرحومة وفي كلام بعضهم لها نحو مائة اسم منها دار الاخيار ودار الابرار ودار الايمان ودار السنة ودار السلامة ودار الفتح قال الامام النووي لا يعرف في البلاد أكثر اسما منها ومن مكة ومما يدل على أن خروجه صلى الله عليه وسلم من قباء متوجها

أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم وخرج صلى الله عليه وسلم وهو مجروح وفي وجهه أثر الحلقتين ورباعيته مكسورة وشفته السفلى مشقوقة وركبتاه مجروحتان من وقعة الحفيرة ولقيه طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه فقال له يا طلحة أين سلاحك فقال قريب فذهب وأتى به وبه بضع وسبعون جراحة منها سبعة بصدره فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا طلحة أين تطن القوم فقال بالسيالة فقال صلى الله عليه وسلم ذلك الذي ظننت أما انهم يا طلحة ان ينالوا منا مثلها حتى يفتح الله علينا مكة وقال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه يا ابن الخطاب ان قريشا لن ينالوا منا مثل هذا حتى نستلم الركن ولما وصل صلى الله عليه وسلم حمراء الاسد أقام بها الاثنين والثلاثاء والاربعاء وكان المسلمون يوقدون تلك الليالي خمسمائة نار حتى ترى من المكان البعيد وذهب صوت معسكرهم ونيرانهم في كل وجه فكبت الله بذلك عدوهم وكان اللواء في هذه الغزوة بيد علي بن أبي طالب رضي الله عنه (واستعمل) صلى الله عليه وسلم على المدينة ابن أم مكتوم قال ابن اسحق ان النبي صلى الله عليه وسلم لقي بحمراء الاسد معبد بن أبي معبد الخزاعي

٩ سيره ثاني وهو يومئذ مشرك وأسلم بعد رضي الله عنه وكان بنو خزاعة عيبة نصح للنبي صلى الله عليه وسلم مسلمهم وكافرهم كلهم يحبونه صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد والله لقد عز علينا ما أصابك في نفسك وما أصاب أصحابك ولوددنا أن الله أعلى كعبك وأن المصيبة كانت بغيرك ثم مضى حتى أتى أبا سفيان وأصحابه وهم بالروحاء وقد أجمعوا على الرجوع وقالوا أصبنا في أحد أصحاب محمد وقادتهم وأشرافهم ثم نرجع قبل أن نستأصلهم لنكرن عليهم فلنفرغن منهم فلما رأى أبو سفيان معبدا قال ما وراءك قال محمد خرج

فى أصحابه يطلبكم فى جمع لم أر مثله قط يتحرقون عليكم تحرقا قد اجتمع معه من كان تخلف عنه فى يومكم وندموا على ما صنعوا وفيهم من الحنق عليكم شئ لم أر مثله قط قال ويلك ما تقول قال ما أرى أن ترتحل حتى ترى نواصى الخيل قال لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم قال فانى أنهاك عن ذلك فثنوا رعبا من ذلك ورجعوا الى مكة وروى ابن جرير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال ان الله قذف فى قلب أبى سفيان الرعب بعد الذى كان منه يوم أحد فرجع الى مكة وقال صلى الله عليه وسلم ان أبا سفيان قد أصاب منكم طرفا وقذف الله فى قلبه الرعب (ثم رجع صلى الله عليه وسلم) بأصحابه بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء ووصلوا المدينة يوم الجمعة وقد غاب خمسا وظفر صلى الله عليه وسلم عند رجوعه الى المدينة بمعاوية بن المغيرة ابن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس وهو جد عبد الملك بن مروان أبو أمه عائشة فأمر بقتله وحاصل قصته انه لما رجع المشركون من أحد ذهب على وجهه ثم أتى باب عثمان فدقه فقالت أم كلثوم بنت النبى صلى الله عليه وسلم ورضى عنها من أنت قال ابن عم عثمان فقالت ليس هو ههنا فقال أرسلى اليه فله عندى ثمن بعير كنت اشتريته منه فجاء عثمان رضى الله عنه فلما نظر اليه قال أهلكتنى وأهلكت نفسك فقال يا ابن عم لم يكن أحد أمس بى منك رحما فأجرنى فأدخله عثمان رضى الله عنه منزله وجعله فى ناحية ثم خرج عثمان رضى الله عنه ليأخذ له أمانا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان معاوية بالمدينة فاطلبوه فدخلوا منزل عثمان رضى الله عنه فأشارت اليهم أم كلثوم رضى الله عنها بأنه فى ذلك المكان بعد ان علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم بذلك فأخرجوه وأتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بقتله فقال عثمان رضى الله عنه والذى بعثك بالحق ما جئت الا آخذ له أمانا فهبه لى فوهبه له وأجله ثلاثا وأقسم أنه ان وجده بعدها قتله وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حمراء الاسد فأقام معاوية ثلاثا ليستعلم أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأتى بها قريشا فلما كان فى اليوم الرابع هاد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة فخرج معاوية هاربا فقال صلى الله عليه وسلم انكم ستجدونه بموضع كذا وكذا فاقتلوه

الى المدينة كان يوم الجمعة قول بعضهم وعند مسيره صلى الله عليه وسلم الى المدينة أدركته صلاة الجمعة فى بنى سالم بن عوف فصلاها فى المسجد الذى فى بطن الوادى بمن معه من المسلمين وهم مائة وصلاها بعد ذلك فى المدينة وكانوا به صلى الله عليه وسلم أربعين فمن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه أنه صلى الله عليه وسلم جمع بالمدينة وكانوا أربعين رجلا أى ولم يحفظ انه صلاها مع النقص عن هذا العدد ومن حينئذ صلى الجمعة فى ذلك المسجد سمى هذا المسجد بمسجد الجمعة وهو على يمين السالك نحو قباء فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة أى وخطب لها وهى أول خطبة خطبها فى الاسلام أى ومن خطبته تلك فمن استطاع ان يقى وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل ومن لم يجد فبكلمة طيبة فانها تجزى الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ورحمة الله وبركاته وفى رواية والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ونقل القرطبى هذه الخطبة فى تفسيره وأوردها جميعها فى المواهب وليس فيها هذا اللفظ (أقول) هذا واضح ان كان أقام فى قباء الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس كما تقدم واما على انه صلى الله عليه وسلم أقام بضع عشرة ليلة أو أكثر من ذلك كما تقدم فيبعد انه لم يصل الجمعة فى قباء فى تلك المدة ثم رأيت فى كلام بعضهم أنه كان يصلى الجمعة فى مسجد قباء فى اقامته هنالك أى ويبعد انه صلاها من غير خطبة وفى الجامع الصغير ان الله كتب عليكم الجمعة فى مقامى هذا فى ساعتى هذه فى مشهدى هذا فى عامى هذا الى يوم القيامة من تركها من غير عذر مع امام عادل أو امام جائر فلا جمع له شمل ولا بورك له فى أمره الا ولا صلاة له ولا حج له الا ولا بركة له ولا صدقة له فان كان قال ذلك فى هذه الخطبة التى خطبها فى مسجد الجمعة كما هو المتبادر اقتضى ذلك انها لم تكن واجبة قبل ذلك وهو مخالف قول فقهائنا انها وجبت بمكة ولم تقم بها العدم قدرتهم على اظهارها بمكة لان اظهارها أقوى من اظهار جماعة الصلوات الخمس وفى الاتقان مما تأخر حكمه عن نزوله آية الجمعة فانها مدنية والجمعة فرضت بمكة وقول ابن الفرس أن اقامة الجمعة لم تكن بمكة قط يرده ما أخرجه ابن ماجه عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال كنت قائد أبى حين ذهب بصره فكنت اذا خرجت به الى الجمعة فسمع النداء يستغفر لابى امامة أسعد بن زرارة فقلت يا أبتاه أرأيت صلاتك على أسعد بن زرارة كلما سمعت النداء بالجمعة لم هذا قال أى بنى كان أول من صلى بنا الجمعة قبل أن يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة هذا كلامه وليتأمل ما وجه الرد من هذا وجاء صلاة الجمعة بالمدينة كألف صلاة فيما سواها وصيام شهر رمضان فى المدينة كصيام ألف شهر فيما سواها كذا فى الوفاء عن نافع عن ابن عمر وأول قرية صليت فيها الجمعة بعد المدينة قرية عبد القيس بالبحرين وهل كانت الخطبة قبل الصلاة أو بعدها فى الدر انه صلى الله عليه وسلم كان وهو بالمدينة يخطب الجمعة بعد ان يصلى مثل العيدين فبينما هو يخطب يوم الجمعة قائما اذ قدمت عير دحية الكلبى وكان اذا قدم يخرج أهله للقائه بالطبل واللهو ويخرج الناس للشراء من طعام تلك العير والتفرج عليها وقيل

فأدركه زيد بن حارثة وعمار رضي الله عنهما فقتلاه وقيل انما قتلاه بعد ان جاآ به الى النبي صلى الله عليه وسلم فأمر بضرب عنقه صبرا بأن أوثقوه حتى أمر بقتله وفي سيرة ابن هشام وظفر صلى الله عليه وسلم بأبي عزة عمرو بن عبد الله الجمحي وكان قد أسره ببدر ثم من عليه من غير فداء لاجل بناته وكان شاعرا يشتغل بسب النبي صلى الله عليه وسلم وهجاء أصحابه ويستنفر الناس للقتال وكان عاهد النبي صلى الله عليه وسلم بعد بدر على أن لا يعود الى شئ من ذلك فلما من عليه وأطلقه رجع الى مكة ونقض العهد واشتغل بما كان مشتغلا به قبل من السب والهجاء فلما كان يوم أحد خرج مع المشركين وهو على ذلك الحال فلما نزل المشركون بحمراء الاسد نزل معهم ثم ساروا وتركوه نائما فأدركه المسلمون وأسروه وكان الذي أسره عاصم بن ثابت رضي الله عنه فلما ظفر به صلى الله عليه وسلم قال يارسول الله أقلني وامنن علي ودعني لبناتي وأعاهدك أن لا أعود فقال والله لا تمسح عارضيك بمكة تقول خدعت محمدا مرتين وفي رواية تمسح لحيتك تجلس بالحجر تقول خدعت محمدا وفي لفظ سحرت محمدا مرتين ان المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين اضرب عنقه يازبير وفي رواية ياعاصم بن ثابت فضربت عنقه وأنزل الله فيه وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم قيل ولما قتل حملت رأسه على رمح الى المدينة وهي أول رأس حملت في الاسلام الى المدينة أي على رمح فلا ينافي أن أول رأس حملت رأس كعب بن الاشرف فلا تعارض (قال بعضهم) في معنى قوله صلى الله عليه وسلم لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين انه ينبغي للمرء أن يستعمل الحزم وهذا المثل لم يسمع من غيره صلى الله عليه وسلم (وفي هذه السنة) كانت ولادة الحسن بن علي رضي الله عنهما وهي سنة ثلاث من الهجرة منتصف رمضان وحملت فاطمة رضي الله عنها بعد ولادته بخمسين ليلة بالحسين بن علي رضي الله عنهما وفي هذه السنة أيضا حرمت الخمر في شوال بعد وقعة أحد ﴿سرية أبي سلمة﴾ عبد الله بن عبد الاسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي وكانت هلال المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهرا من الهجرة الى قطن بفتح القاف والطاء وبالنون جبل بناحية فيد بفتح الفاء وسكون الياء وبالدال المهملة آخره وهو اسم ماء لبني أسد بنجد بعث صلى الله عليه وسلم

وقيل للتفرج على وجه دحية فقد قيل كان اذا قدم دحية المدينة لم تبق معصر الا خرجت لتنظر اليه لفرط جماله ولا مانع أن يكون ذلك لاجتماع الامرين فانفض الناس ولم يبق معه صلى الله عليه وسلم الا نحو اثني عشر رجلا والجلال المحلي في قطعة التفسير أسقط لفظ نحو أي وانفضاض ماعدا هؤلاء يحتمل أن يكون بعد ذلك في حال الخطبة قبل تمام الاركان ويحتمل أن يكون بعد ذلك وعلى الاول يجوز أن يكون رجع ممن انفض ما يكمل به العدد أربعين قبل طول الفصل وقد أعاد صلى الله عليه وسلم مالم يسمعوه من أركان الخطبة عند انفضاضهم فلا يخالف ماذهب اليه امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه من وجوب سماع أربعين لاركان الخطبة قال مقاتل بلغني أنهم فعلوا ذلك أي الانفضاض عند الخطبة ثلاث مرات فأنزل الله تعالى واذا رأوا تجارة أو لهوا الآية ثم صار صلى الله عليه وسلم يخطب قبل أي يصلي أي ليحافظ الناس على عدم الانفضاض لاجل الصلاة وعليه انعقد الاجماع فلا نظر لمخالفة الحسن البصري وحينئذ يكون قول بعض فقهائنا استدلالا على وجوب تأخر صلاة الجمعة عن الخطبتين يثبت صلاته صلى الله عليه وسلم بعد خطبتين أي استقر ثبوت ذلك وعن الزهري بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول اذا خطب أي في غير الخطبة المتقدمة كل ما هو آت قريب لا بعد لما هو آت لا يعجل الله لعجلة أحد ولا يخف لامر من الناس يريد الناس أمرا ويريد الله أمرا فما شاء الله كان لا ما شاء الناس وما شاء الله كان ولو كره الناس لا مبعد لما قرب الله ولا مقرب لما بعد الله ولا يكون شئ الا باذن الله والله أعلم ثم ركب صلى الله عليه وسلم راحلته بعد الجمعة متوجها للمدينة أي وقد أرخى زمامها ولم يحركها وهي تنظر يمينا وشمالا فسأله بنو سالم منهم عتبان بكسر العين المهملة ابن مالك ونوفل بن عبد الله بن مالك وعبادة بن الصامت فقالوا يارسول الله اقم عندنا في العدد والعزة والمنعة وفي لفظ والثروة وفي لفظ أنزل فينا فان فينا العدد والعدة والحلقة أي السلاح ونحن أصحاب الحدائق والدرك يارسول الله كان الرجل من العرب يدخل هذه البحيرة خائفا فيلجأ الينا فقال لهم خيرا وقال خلوا سبيلها يعني ناقته دعوها فانها مأمورة أي وفي رواية أنها مأمورة خلوا سبيلها وهو يتبسم ويقول بارك الله عليكم فانطلقت حتى وردت دار بني بياضة أي محلتهم أي والمراد القبيلة فسأله بنو بياضة أي ومنهم زياد بن لبيد وفروة بن عمرو بمثل ما تقدم وأجابهم بأنها مأمورة خلوا سبيلها فانطلقت حتى وردت دار بني ساعدة أي ومنهم سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو وأبو دجانة فسأله بنو ساعدة بمثل ذلك وأجابهم بخلوا سبيلها فانها مأمورة فانطلقت حتى مرت بدار عدي بن النجار وهم أخواله صلى الله عليه وسلم أي اخوال جده عبد المطلب كما تقدم أي بأوائل دورهم فسأله بنو عدي بن النجار أي أولئك الطائفة منهم بمثل ما تقدم أي وفي رواية أنهم قالوا له نحن أخوالك هلم الى العدة والمنعة والعزة مع القرابة لا تجاوزنا الى غيرنا يارسول الله أي زاد في رواية لا تجاوزنا ليس أحد من قومنا أولى بك منا لقرابتنا وأجابهم بأنها مأمورة فانطلقت حتى بركت في محل من محلات

أبا سلمة ومعه مائة وخمسون رجلا من المهاجرين والانصار منهم أبو عبيدة وسعد وأسيد بن حضير وأبو نائلة لطلب طليحة وسلمة ابنى خويلد الاسديين وسبب ذلك انه بلغه صلى الله عليه وسلم انهما يدعوان قومهما ومن أطاعهما لحربه صلى الله عليه وسلم فنهاهم قيس ابن المحرث فلم ينتهوا فدعا صلى الله عليه وسلم أبا سلمة وعقد له لواء وقال سر حتى تنزل أرض بنى أسد بن خزيمة فأغر عليهم فخرج فأسرع السير حتى انتهى الى أدنى قطن فأغار على سرح لهم مع رعاء لهم مماليك ثلاثة وأفلت الباقون وتفرقوا فى

كل وجه وفى رواية خافوا وهربوا عن منازلهم ووجد أبو سلمة ابلا وشاء فأغار عليها ولم يلق كيدا أى حربا وفى رواية فعسكر به أى بقطن وتفرق قومه ثلاث فرق فرقة قامت معه وفرقتان أغارتا فى ناحيتين فرجعتا اليه سالمتين وقد أصابتا نعما وشاء فانحدر بها أبو سلمة الى المدينة وأخرج منها صفى رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدا وأعطى الوليد ابن زبيد الطائى وهو الدليل مارضى به ثم خمسها وقسم الباقى على أهل السرية فبلغ سهم كل واحد سبع بعير وأغنما وعدة غيبته فى تلك السرية عشرة أيام والله أعلم

﴿سرية عبد الله﴾
ابن أنيس رضى الله عنه الجهنى

السلمى الانصارى بعثه صلى الله عليه وسلم وحده يوم الاثنين لخمس خلون من المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهرا من الهجرة لقتل سفيان بن خالد بن نبيح الهذلى ثم اللحيانى وكان بعرنة موضع قريب من عرفة لانه بلغه صلى الله عليه وسلم انه جمع الجموع لحربه فقال لعبد الله ائته فاقتله فقال صفه لى يارسول الله حتى أعرفه قال اذا رأيته هبته وفرقت منه ووجدت له قشعريرة وذكرت الشيطان قال عبد الله وكنت لا أهاب الرجال فقلت يارسول الله ما فرقت من شئ قط فقال آية ما بينك وبينه ذلك واستأذنته أن أقول فقال قل ما بدا لك وقال انتسب لخزاعة فأخذت سيفى وخرجت أعتزى لخزاعة فلما وصلت اليه بعرنة لقيته يمشى ووراءه الاحابيش فهبته وعرفته بنعت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت صدق الله وصدق رسوله وانا فدخل وقت العصر حين رأيته فصليت وأنا أمشى وأومئ برأسى ايماء ثم دنوت منه فقال ممن الرجل قلت من بنى خزاعة سمعت بجمعك

بنى النجار وذلك فى محل المسجد أى محل بابه أو فى محل المنبر الآن وذلك عند دار بنى مالك بن النجار وعند باب أبى أيوب الانصارى أى واسمه خالد بن زيد النجار الانصارى الخزرجى شهد العقبة وسائر المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مع على بن أبى طالب من خاصته شهد معه الجمل وصفين والنهروان غزا أيام معاوية أرض الشام مع يزيد بن معاوية سنة خمسين وقيل احدى وخمسين فتوفى عند مدينة قسطنطينية فدفن هناك وأمر يزيد بالخيل فجعلت تقبل وتدبر على قبره حتى خفى أثر القبر خوفا ان تنبشه الكفار فكان المشركون اذا أمحلوا كشفوا عن قبره فيمطروا فلم ينزل عنها صلى الله عليه وسلم ثم وثبت وسارت غير بعيد ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع لها زمامها ثم التفتت خلفها ورجعت الى مبركها فبركت فيه وتجلجلت أى بالجيم تضعضعت ووضعت جرانها أى باطن عنقها من المذبح الى المنحر وأزرمت أى صوتت من غير أن تفتح فاها فنزل عنها صلى الله عليه وسلم وقال رب أنزلنى منزلا مباركا وأنت خير المنزلين أى قال ذلك أربع مرات وأخذه صلى الله عليه وسلم الذى كان يأخذه عند الوحى أى وسرى عنه وقال هذا ان شاء الله يكون المنزل أى وأمر أن يحط رحله وفى لفظ ان أبا أيوب قال له ائذن لى ان أنقل رحلك فأذن له واحتمل أبو أيوب رحله فوضعه فى بيته أى وجاء أسعد بن زرارة فأخذ بزمام راحلته فكانت عنده أى وذكر بعضهم ان أبا أيوب لما نقل رحله أناخ الناقة فى منزله وقد يقال لا مخالفة لجواز أن يكون أسعد أخذ بزمامها بعد ذلك فكانت عنده أى وعن أبى أيوب رضى الله تعالى عنه لما قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة اقترعت الانصار أيهم يأوى به فقرعتهم الحديث وقد يقال مراده بالانصار أهل تلك المحلة التى بركت فيها الناقة (وذكر السهيلى) أنها لما ألقت جرانها فى دار بنى النجار أى فى محل من محلاتها جعل رجل من بنى سلمة وهو جبار بن صخر أى وكان من صالحى المسلمين ينحسر نهارا جاء أن تقوم فينزل فى دار بنى سلمة فلم تفعل وجاء أنه صلى الله عليه وسلم قال خير دور الانصار بنو النجار ثم بنو عبد الاشهل ثم بنو الحرث ثم بنو ساعدة وفى كل دور الانصار خير ولما بلغ ذلك سعد بن عبادة وجد فى نفسه وقال خلفنا فكنا آخر الاربع أسرحوا الى حمارى آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه ابن أخته سهل فقال أتذهب لترد على رسول الله صلى الله عليه وسلم و رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم أوليس حسبك أن تكون رابع أربع فرجع وقال الله ورسوله أعلم وأمر بحماره فحل عنه وفى رواية قال له اجلس ألا ترضى ان سماك رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الاربع الدور التى سمى فمن ترك فلم يسم أكثر ممن سمى فانتهى سعد بن عبادة عن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرجت جويريات من بنى النجار بالدفوف يقلن

نحن جوار من بنى النجار * ياحبذا محمد من جار

فخرج اليهن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أتحببننى وفى رواية أتحبوننى قلن نعم يارسول الله فقال الله يعلم ان قلبى يحبكن وفى رواية والله أحبكم وفى رواية وأنا والله أحبكم وأنا والله أحبكم

لمحمد فجئت لأكون معك قال أجل انى لفى الجمع له فمشيت معه وحدثته فاستحلى حديثى فقلت له عجبا لما أحدث محمد من هذا الدين المحدث فارق الآباء وسفه أحلامهم قال انه لم يلق أحدا يشبهنى ثم مشيت معه وهو يتوكأ على عصا يهد الارض حتى انتهى الى خبائه وتفرق عنه أصحابه الى منازل قريبة منه وهم يطيفون به فقال هلم يا أخا خزاعة فدنوت منه قال اجلس قال فجلست معه حتى اذا نام الناس اغتررته وقتلته وفى رواية انه قال مشيت معه حتى اذا أمكننى حملت عليه السيف وقتلته وأخذت رأسه ثم أقبلت فصعدت جبلا ودخلت غارا وأقبل الطلب وأنا كامن فى الغار وضربت العنكبوت على الغار وأقبل رجل معه اداوة ضخمة ونعلاه فى يده وكنت حافيا فوضع اداوته ونعله وجلس يبول قريبا من فم الغار ثم قال لاصحابه ليس أحد فى الغار فانصرفوا راجعين فخرجت فشربت ما فى الاداوة ولبست النعلين ولم يرنى أحد فطلبهما صاحبهما بعد ذلك فلم يجدهما فرجع الى قومه وكنت أسير الليل وأتوارى النهار خوفا من الطلب أن يدركنى حتى قدمت المدينة فوجدته صلى الله عليه وسلم بالمسجد فقال صلى الله عليه وسلم أفلح الوجه قلت أفلح وجهك يا رسول الله ووضعت الرأس بين يديه وأخبرته خبرى فدفع الىّ عصا وقال تخصر بها فى الجنة فان المتخصرين فى الجنة قليل فكانت العصا عنده حتى اذا حضرته الوفاة أوصى أن يدرجوها فى أكفانه ففعلوا والتخصر الاتكاء على قضيب ونحوه وكانت غيبته ثمانى عشرة ليلة وقدم يوم السبت لسبع بقين من المحرم قال موسى بن عقبة وقد أخبر صلى الله عليه وسلم أصحابه بقتل عبد الله ابن أنيس لسفيان بن خالد قبل قدوم عبد الله بن أنيس رضى الله عنه والله أعلم

﴿بعث الرجيع﴾ وهى سرية عاصم بن ثابت الانصارى رضى الله عنه وكان رضى الله عنه من السابقين الى الاسلام روى الحسن بن سفيان قال لما كانت ليلة العقبة أو ليلة بدر قال صلى الله عليه وسلم لمن عنده كيف تقاتلون فقام عاصم بن ثابت رضى الله عنه فأخذ القوس والنبل وقال اذا كان القوم قريبا من مائتى ذراع كان الرمى واذا دنوا حتى تنالهم الرماح كانت المداعبة أى الملاعبة بالرماح حتى تنقصف فاذا انقصفت وضعناها وأخذنا السيوف وكانت المجالدة فقال

وأنا والله أحبكم قال ذلك ثلاثا وهذا دليل لسماع الغناء على الدف من المرأة لغير العرس ويدل لذلك أيضا ما جاء عن ابن عباس مرفوعا ان أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم جلسوا سماطين وجاءت جارية يقال لها سيرين معها مزهر تختلف به بين القوم وهى تغنيهم وتقول

هل علىّ ويحكم * ان لهوت من حرج

فتبسم النبى صلى الله عليه وسلم وقال لا حرج ان شاء الله تعالى وما روى عن عائشة رضى الله تعالى عنها دخل علىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندى جاريتان من جوارى الانصار يغنيان وفى رواية يضربان بدفين فاضطجع صلى الله عليه وسلم على الفراش وحوّل وجهه ودخل أبو بكر رضى الله تعالى عنه فانتهرنى فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال دعها وفى رواية قال أبو بكر بمزمور وفى رواية بمزمار وفى لفظ بمزمارة الشيطان فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك مرتين وانتهرنى وكان صلى الله عليه وسلم متغشيا بثوبه فكشف النبى صلى الله عليه وسلم عن وجهه الشريف فقال دعها يا أبا بكر فانها أيام عيد أى لان تلك كانت أيام منى وقيل كان يوم عيد الفطر وقيل الاضحى ولا مانع من تعدد الواقعة ﴿أقول﴾ فى البخارى عن الربيع بنت معوذ أنه صلى الله عليه وسلم دخل عليها غداة بنى عليها وعندها جويريات يضربن بالدف يندبن من قتل من آبائهن يوم بدر حتى قالت جارية وفينا نبى يعلم ما فى غد فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم لا تقولى هكذا وقولى ما كنت تقولين وفى حديث أبى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم خرج فى بعض مغازيه فلما انصرف جاءت جارية سوداء فقالت يا رسول الله انى كنت نذرت ان ردك الله سالما ان أضرب بين يديك بالدف فقال لها ان كنت نذرت فاضربى فجعلت تضرب فدخل أبو بكر وهى تضرب ثم دخل عمر فألقت الدف تحتها وقعدت عليه فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان الشيطان ليفرق منك يا عمر انى كنت جالسا وهى تضرب ودخل أبو بكر وهى تضرب فلما دخلت أنت ألقت الدف أى واذا كان الشيطان يخاف منك فما بالك بامرأة ضعيفة العقل ولا ينافى هذا أى سماعه الغناء من المرأة مع الضرب على الدف ما تقدم فى باب ما حفظ به صلى الله عليه وسلم فى صغره من أمر الجاهلية لان الدف ثم كان معه مزمار بخلافه هنا وتسمية أبى بكر رضى الله تعالى عنه الدف مزمارا لانه كان يعتقد حرمة ذلك فشبهه بالمزمار المحرم سماعه (قال بعضهم) واعلم أن السماع فى طريق القوم معروف وفى الجواذب الى المحبة معدود وموصوف وقال بعض آخر انه من أكبر مصايد النفوس أى والرجوع بها الى الله تعالى وقد شوهد تأثير السماع فى الحيوانات غير الناطقة بل فى الاشجار ومن لم يحركه السماع فهو فاسد المزاج غليظ الطبع وعن أبى بشر ان النبى صلى الله عليه وسلم وأبا بكر مرا بالحبشة وهم يلعبون ويرقصون ويقولون

يا أيها الضيف المعرج طارقا * لولا مررت بآل عبد الدار

لولا مررت بهم تريد قراهم * منعوك من جهد ومن اقتار

صلى الله عليه وسلم هكذا أنزلت الحرب من قاتل فليقاتل كما يقاتل عاصم وشهد رضى الله عنه العقبة وبدرا وأحدا وكان بعثه فى صفر على رأس ستة وثلاثين شهرا من الهجرة فيكون فى أول السنة الرابعة والرجيع اسم ماء لهذيل بن مدركة بن الياس بين مكة وعسفان وانما أضيف البعث الى اسم ذلك الماء لان الوقعة كانت بالقرب منه وسبب هذا أن بنى لحيان من هذيل بعد قتل سفيان بن خالد بن نبيح الهذلى مشوا الى عضل والقارة وهما ٧٠ قبيلتان من بنى الهون بن خزيمة بن مدركة فجعلوا لهم ابلا على أن يكلموا

رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخرج اليهم نفرا من أصحابه فقدم سبعة نفر مظهرين الاسلام فقالوا يا رسول الله ان فينا اسلاما فابعث معنا نفرا من أصحابك يفقهوننا فى الدين ويقرئوننا القرآن ويعلموننا شرائع الاسلام وقيل انه صلى الله عليه وسلم أراد أن يبعث عيونا الى مكة ليأتوه بخبر قريش فلما جاء هؤلاء النفر يطلبون من يفقههم بعث معهم ستة من أصحابه للامر جميعا وهم عاصم بن ثابت ومرثد بن أبى مرثد الغنوى وخبيب بن عدى الاوسى البدرى وزيد بن الدثنة بفتح الدال وكسر الثاء المثلثة وشد النون المفتوحة وعبد الله بن طارق وخالد بن البكير وزاد بعضهم معتب بن عبيد وبعضهم مغيث بن عوف وأمر صلى الله عليه وسلم عاصم بن ثابت وقيل مرثد بن أبى مرثد فخرجوا مع القوم حتى أتوا الرجيع فغدروا بهم واستصرخوا عليهم هذيلا ليعينوهم على قتلهم فلم يرع القوم وهم فى رحالهم الا الرجال بأيديهم السيوف وهم نحو مائتى رجل فأخذ عاصم ومن معه أسيافهم ليقاتلوا القوم فقالوا انا والله لا نريد قتلكم ولكم عهد الله وميثاقه أن لا نقتلكم وقالوا ذلك لانهم يريدون أن يسلموهم لكفار قريش ويأخذوا فى مقابلتهم مالا لعلمهم أنه لا شئ أحب الى

عليه

قريش من أن يؤتوا بأحد من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يمثلون به ويقتلونه بمن قتل منهم ببدر وأحد فأبوا أن يقبلوا منهم فأما مرثد وخالد بن البكير وعاصم بن ثابت فقالوا والله لا نقبل من مشرك عهدا ولا قاتلوا حتى قتلوا رضى الله عنهم وأما زيد وخبيب وعبد الله بن طارق فلانوا ورقوا جبلا ورغبوا فى الحياة وفى رواية أنهم لما نزلوا بالرجيع أكلوا تمرا عجوة فسقطت نواه فى الارض وكانوا

أى ولم ينكر عليهم وبه استدل أئمتنا على جواز الرقص حيث خلا عن التكسر فقد صحت الاخبار وتواترت الآثار بانشاد الاشعار بين يديه صلى الله عليه وسلم بالاصوات الطيبة مع الدف وبغيره وبذلك استدل أئمتنا على جواز الضرب بالدف ولو فيه جلاجل لما هو سبب لاظهار السرور وعلى جواز انشاد الشعر واستماعه حيث خلا عن هجو لغير نحو فاسق متجاهر بفسقه وخلا عن تشبيب بمعين من امرأة أو غلام والخلاف انما هو فى سماع الملاهى كالاوتار والمزامير وخوف الفتنة من سماع صوت المرأة أو الامرد الجميل (ونقل) عن الجنيد انه قال الناس فى السماع أى سماع الآلات على ثلاثة أضرب العوام وهو حرام عليهم لبقاء نفوسهم وازهاقه وهو مباح لهم لحصول مجاهداتهم والعارفون وهو مستحب لهم لحياة قلوبهم وذكر نحوه أبو طالب المكى وصححه السهروردى فى عوارف المعارف وفى كلام بعضهم جبلت النفوس حتى غير العاقلة على الاصغاء الى ما يحسن من سماع الصوت الحسن فقد كانت الطيور تقف على رأس داود عليه الصلاة والسلام لسماع صوته لكن يشكل على ذلك ما أخرجه ابن أبى شيبة عن صفوان بن أمية وهو من المؤلفة قال كنا عند النبى صلى الله عليه وسلم اذ جاء عمر بن قرة فقال يا رسول الله ان الله كتب على الشقوة فلا أنال الرزق الا من دفى بكفى فأذن لى فى الغناء من غير فاحشة فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا اذن لك ولا كرامة ولا نعمة كذبت أى عدو الله أى يا عدو الله والله لقد رزقك الله طيبا فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما أحل الله لك من حلاله أما انك لو قلت بعد كهذه المقالة لضربتك ضربا وجيعا الا أن يقال هذا النهى ان صح محمول على من يتخذ ضرب الدف حرفة وهو مكروه تنزيها وقوله صلى الله عليه وسلم اخترت ما حرم الله عليك الى آخره للمبالغة فى التنفير عن ذلك (ونزل صلى الله عليه وسلم) على أبى أيوب وقال المرء مع رحله أى بعد ان قال أى بيوت أهلنا يعنى أهل تلك المحلة من بنى النجار أقرب فقال أبو أيوب دارى هذه وقد حططنا رحلك فيها فاذهبت تلك الكلمة أى التى هى المرء مع رحله مثلا وقال اذهب فهيئ لنا مقيلا فذهب فهيأ ذلك ثم جاء فقال يا نبى الله قد هيأت مقيلا فقم على بركة الله تعالى ونزل معه صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة رضى الله تعالى عنه (أقول) وفى رواية فتنازع القوم أيهم ينزل عليه أى كل يحرص على ان تكون داره له منزلا أى مقاما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزل الليلة على بنى النجار أخوال عبد المطلب لاكرمهم بذلك فلما أصبح غدا حيث أمر وحينئذ يكون قوله صلى الله عليه وسلم أنزل الليلة أى غدا تلك الليلة ولا يخالف هذا ما قبله من قول بنى النجار هلم الينا وقوله لهم انها مأمورة لجواز ان يكون أمر بالنزول عليهم واعلم ان خصوص البقعة والمحلة من محلات بنى النجار التى ينزل بها من دارهم ما تبرك به الناقة وفيه انه يبعد مع ذلك أى مع قوله المذكور أى انه ينزل على بنى النجار سؤال غير بنى النجار فى النزول عنده الا ان يقال لعل السائلين له صلى الله عليه وسلم فى ذلك لم يبلغهم قوله المذكور أو جوزوا أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم بدا له فى ذلك رأى وقد أشار الى نزوله صلى الله

يسيرون بالليل ويكمنون بالنهار لانهم اقلتهم غير آمنين من عدوهم من قريش وهذيل خصوصا وذلك قرب وقعة أحد وقتل سفيان ابن خالد الهذلى فجاءت امرأة من هذيل ترعى غنما فرأت النوى فأنكرت صغرهن وقالت هذا تعريث فصاحت فى قومها وقالت قد أتيتم من قبل العدو فجاؤا فى طلبهم حين اخبرتهم واتبعوا آثارهم فوجدوهم قد كمنوا فى الجبل فأحاطوا بهم وقالوا لكم العهد والميثاق ان نزلتم الينا أن لا نقتل منكم رجلا فنزل اليهم على العهد والميثاق ٧١ خبيب بن عدى وزيد بن الدثنة وعبد الله

عليه وسلم على بنى النجار الامام السبكى فى تائيته بقوله

نزلت على قوم بأيمن طائر * لانك ميمون السنا والنقيبة
فيا لبنى النجار من شرف به * يجرون أذيال المعالى الشريفة

وهذا السياق يدل على ان تنازع القوم وقوله لهم المذكور كان فى آخر ليلة وهو فى قباء وهو يرد قول بعضهم يشبه أن يكون ذلك فى أول قدومه صلى الله عليه وسلم من مكة قبل نزوله قباء لا فى قدومه باطن المدينة فالمراد باهل المدينة أهل قباء ويرد قول سبط ابن الجوزى لعله نزل على بنى النجار ليلة انتهى أى تلك الليلة ثم ارتحل الى بنى عمرو بن عوف أى فى قباء هذا وفى رواية عن أنس ابن مالك رضى الله تعالى عنه لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة نزل فى علو المدينة فى حى يقال لهم بنو عمرو بن عوف فأقام فيهم أربع عشرة ليلة ثم أرسل الى ملا من بنى النجار فجاؤا متقلدين سيوفهم قال أنس فكأنى أنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته وأبو بكر رديفه وملا من بنى النجار حوله حتى ألقى بفناء أبى أيوب وهذه الرواية وقع فيها اختصار كبير ويقال انه صلى الله عليه وسلم عرج على عبد الله بن أبى ابن سلول وكان جالسا محتبيا وأراد النزول عليه فقال له اذهب الى الذين دعوك وانزل عليهم فقال له سعد بن عبادة يا رسول الله لا تجد فى نفسك من قوله فقد قدمت علينا والخزرج تريد أن تملكه (وقد وقع له فى بعض الايام) انه صلى الله عليه وسلم قيل له يا رسول الله لو أتيت عبد الله بن أبى ابن سلول أى متألفا له ليكون ذلك سببا لاسلام من تخلف من قومه وليزول ما عنده من النفاق فانطلق النبى صلى الله عليه وسلم وركب حمارا وانطلق المسلمون يمشون معه فلما أتاه النبى صلى الله عليه وسلم قال له اليك عنى والله لقد آذانى نتن حمارك فقال رجل من الانصار والله لحمار رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيب ريحا منك فغضب لعبد الله رجل من قومه فشتمه فغضب لكل واحد منهما أصحابه فكان بينهم اضرب بالجريد والايدى والنعال فنزل وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما كذا فى البخارى وفيه أيضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على ابن أبى ابن سلول وهو فى جماعة فقال ابن أبى لقد غشينا ابن أبى كبشة فى هذه البلاد فسمعها ابنه عبد الله رضى الله تعالى عنه فاستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتيه برأسه فقال له صلى الله عليه وسلم لا ولكن برأبك وكان أبى جميل الصورة ممتلئ الجسم فصيح اللسان وهو المعنى بقوله تعالى واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم الآية ولكونه متبوعا جىء فيه بصيغة الجمع وعن الزهرى أخبرنى عروة ابن اسامة بن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب حمارا على اكاف وأردف أسامة وراءه يعود سعد بن عبادة فى بنى الحرث بن الخزرج قبل وقعة بدر حتى مر بمجلس فيه عبد الله بن أبى ابن سلول وذلك قبل ان يسلم عبد الله بن أبى ابن سلول فاذا فى المجلس اخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الاوثان واليهود وفى المسلمين عبد الله بن رواحة فثار غبار من مشى الحمار فخمر ابن أبى أنفه برداته ثم قال لا تغبروا علينا فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم ثم نزل

ابن طارق وقال عاصم بن ثابت رضى الله عنه أيها القوم أما أنا فلا أنزل فى ذمة كافر ثم قال اللهم أخبر عنا رسولك فاستجاب الله لعاصم فأخبر رسوله خبرهم يوم أصيبوا فحين امتنعوا من النزول رماهم الكفار بالنبل ورماهم عاصم بنبله حتى فنى وكان عنده سبعة أسهم فقتل بكل سهم رجلا من عظماء المشركين ثم طاعنهم حتى انكسر رمحه ثم سل سيفه وقال اللهم انى حميت دينك صدر النهار فاحم لحمى آخره أى عن أن يمثلوا به بعد القتل فقتلوا عاصما وأطلقوا أوتار قسيهم فربطوا بها خبيب بن عدى وزيد بن الدثنة وعبد الله بن طارق فقال ابن طارق هذا أول الغدر لا أصحبكم ان لى بهؤلاء يعنى القتلى اسوة فجروه وعالجوه على أن يصحبهم فلم يفعل فقتلوه وقيل مشى معهم حتى اذا كانوا بمر الظهران جذب يده وأخذ سيفه واستأخر عن القوم فرموه بالحجارة حتى قتلوه وانطلقوا بخبيب وزيد بن الدثنة حتى باعوهما بمكة باعهما جامع وزهير الهذليان بأسيرين من هذيل بمكة وقيل انهم باعوا خبيبا بامة سوداء والذى اشتراه بنو الحرث بن عامر ابن نوفل بن عبد مناف لان خبيبا هو الذى قتل عامر بن نوفل يوم بدر وبنو الحرث هؤلاء الذين اشتروه هم عقبة وأبو سروعة وأخوهما لامهما جبير بن أبى اهاب حليف بنى نوفل وقد أسلم هؤلاء الثلاثة بعد ذلك وصحبوا النبى صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم واشترى زيد بن الدثنة صفوان بن أمية رضى الله عنه فانه أسلم بعد ذلك وقتل زيد بابيه أمية وكان شراؤهما فى ذى القعدة فحبسوهما حتى خرجت الاشهر الحرم فقتلوا زيدا وأما خبيب فكذلك مكث أسيرا حتى خرجت الاشهر الحرم ثم أجمعوا على قتله وكانوا فى أول الامر أساؤا اليه فى حبسه

فقال لهم مايصنع القوم الكرام هكذا بأسيرهم فاحسنوا اليه بعد ذلك وجعلوه عند امرأة تحرسه وهى ماوية مولاة حجير وكان معها زوجها موهب مولى آل نوفل وقد أسلم هو وزوجه ماوية بعد ذلك رضى الله عنهما روى ابن سعد عن موهب مولى آل نوفل قال قال لى خبيب وكانوا جعلوه عندى يا موهب أطلب الىّ ثلاثا أن تسقينى العذب وان تجنبنى ماذبح على النصب وان تعلمنى اذا أرادوا قتلى وقالت ماوية زوج موهب كان

عليه ففلت له هل لك من حاجة قال لا الا أن تسقينى العذب ولا تطعمينى ماذبح على النصب وتخبرينى اذا أرادوا قتلى فلما أرادوا ذلك أخبرته فوالله ما كنت بذلك وحين أجمعوا على قتله استعار من زينب بنت الحرث موسى ليستحد به أى يحلق عانته لئلا تظهر عند قتله ففلت عن ابن لها صغير فأقبل عليه الصغير فأجلسه على فخذه والموسى بيده فحشيت المرأة أن يقتله ففزعت فقال لها أتخشين أن أقتله ما كنت لافعل ذلك ان شاء الله ما كنت لاغدر قالت زينب والله ما رأيت أسيرا خيرا من خبيب والله لقد وجدته يأكل قطفا أى عنقودا من عنب مثل رأس الرجل وانه لموثق بالحديد وما بمكة من ثمرة عنب وروت ماوية أيضا مثل ذلك وقالت وما أعلم فى الارض حبة عنب وما كان الا رزقا رزقه الله خبيبا قال فى المواهب وهذه كرامة جليلة جعلها الله لخبيب آية على الكفار وبرهانا لنبيه صلى الله عليه وسلم لتصحيح رسالته ثم خرجوا بخبيب من الحرم ليقتلوه خارجه فقال اتركونى أصلى فتركوه فصلى ركعتين قال موسى بن عقبة صلاهما فى موضع مسجد التنعيم عند طرف حرم مكة من جهة المدينة على ثلاثة أميال من مكة ثم انصرف اليهم وقال

ادركته

لولا أن تروا أن ما بى جزع من الموت لزدت وفى رواية لسجدت سجدتين أخريين ثم قال اللهم أحصهم عددا ولا تبق منهم أحدا واقتلهم بددا أى متفرقين فلم يحل الحول ومنهم أحد حى وفى رواية فلما رفع على الخشبة استقبل الدعاء فلبد رجل بالارض خوفا من دعائه فلم يحل الحول ومنهم أحد حى غير ذلك الرجل الذى لبد فى الارض قيل ان ذلك الرجل هو معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما فقد

ودعاهم الى الله وقرأ عليهم القرآن فقال ابن أبى أيها المرء انه لا أحسن مما تقول ان كان حقا فلا تؤذنا به فى مجالسنا ارجع الى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه فقال عبد الله بن رواحة بلى يا رسول الله فاغشانا فانا نحب ذلك واستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتباورون فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكنوا ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم دابته حتى دخل على سعد بن عبادة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا سعد ألم تسمع ما قال أبو حباب يعنى ابن أبى قال كذا وكذا فقال سعد بن عبادة يا رسول الله اعف عنه واصفح فوالله الذى أنزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق الذى أنزل عليك وقد اصطلح أهل هذه البحيرة على ان يتوجوه فيعصبوه بالعصابة فلما رد الله الحق الذى أعطاك الله شرق فذلك الذى فعل به ما رأيت فعفا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم والله أعلم (ومكث) صلى الله عليه وسلم ببيت أبى أيوب الى ان بنى المسجد وبعض مساكنه وقد مكث فى بنائه ذلك من شهر ربيع الاول الى شهر صفر من السنة القابلة أى وذلك اثنا عشر شهرا وقيل مكث ببيت أبى أيوب سبعة أشهر قال ولما تحول رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى عمرو بن عوف الى المدينة تحول المهاجرون أى غالبهم أخذا مما يأتى فتنافس فيهم الانصار ان ينزلوا عليهم حتى اقترعوا فيهم بالسهام فنزل أحد من المهاجرين على أحد من الانصار الا بقرعة بينهم فكان المهاجرون فى دور الانصار وأموالهم انتهى وكان من جملة محل مسجده صلى الله عليه وسلم مسجد لابى امامة أسعد بن زرارة رضى الله تعالى عنه وكان أبو امامة يجمع فيه بمن يليه بناه فى بعض مربد للتمر لسهل وسهيل أى يجفف فيه التمر ويرادف المربد الجرين والمسطح والبيدر وهو ما يبسط فيه الزرع أو التمر للتجفيف وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى فى ذلك المسجد قال فمن أم زيد بن ثابت انها قالت رأيت أسعد بن زرارة قبل ان يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة يصلى بالناس الصلوات الخمس ويجمع بهم فى مسجد بناه فى مربد سهل وسهيل قالت فكأنى أنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم وصلى بهم فى ذلك المسجد وبناه أى مع ادخال بقية ذلك المربد فهو مسجده وحينئذ لا يخالف ذلك قول الحافظ الدمياطى عن الزهرى قال بركت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موضع مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ يصلى فيه رجال من المسلمين قبل قدومه صلى الله عليه وسلم وكان مربد لسهل وسهيل وكان جدارا مجددا ليس عليه سقف وقبلته الى بيت المقدس وكان أسعد بن زرارة بناه وكان يصلى بأصحابه ويجمع بهم فيه الجمعة قبل قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم أى ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة صار يصلى فيه وفى الامتناع كان أسعد بن زرارة بنى فيه جدارا تجاه بيت المقدس كان يصلى اليه بمن أسلم قبل قدوم مصعب بن عمير ثم صلى بهم اليه مصعب هذا كلامه وتعلم مافيه لما قدمناه فى قدوم مصعب المدينة لكن فى البخارى انه صلى الله عليه وسلم كان يصلى فى مرابض الغنم قبل ان يبنى المسجد أى ولعله اتفق له ذلك فى بعض الاوقات لانه صلى الله عليه وسلم كان يصلى حيث

حكى ابن اسحق عن معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما قال كنت مع أبى أى حين قتلوا خبيبا فجعل أبى يلقينى الى الارض خوفا من دعوة خبيب وكانوا يقولون ان الرجل اذا دعى عليه فاضطجع لجنبه زالت عنه قال العلامة الزرقانى ان دعوة خبيب أصابت منهم من سبق فى علم تعالى أن يموت كافرا وأما من سبق فى علمه أن يسلم فلم يعنه خبيب ولا قصده بدعائه فلم تصبه وعلامة استجابة دعوته أن من هلك منهم بعد الدعوة فانما هلك بدد الانهم قتلوا غير

معسكرين ولا مجتمعين كاجتماعهم فى أحد وبدر لان الدعوة بعدهما نفذت الدعوة على صورتها وفى رواية أن خبيبا رضى الله عنه قال اللهم انى لا أجد من يبلغ رسولك منى السلام فبلغه فجاء جبريل عليه السلام الى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره فأخبر أصحابه بذلك وروى موسى بن عقبة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ذلك اليوم وهو جالس وعليك السلام خبيب قتلته قريش ثم أنشأ خبيب رضى الله عنه يقول

ولست أبالى حين أقتل مسلما
على أى شق كان لله مصرعى
وذلك فى ذات الاله وان يشأ
يبارك على أوصال شلو ممزع

لقد جمع الاحزاب فى وألبوا
قبائلهم واستجمعوا كل مجمع
الى الله أشكو غربتى بعد كربتى
وما أرصد الاحزاب لى عند مصرعى

قال الزرقانى فى شرح المواهب روى أن قريشا طلبوا جماعة ممن قتل آباؤهم وأقرباؤهم ببدر فاجتمع أربعون بأيديهم الرماح والحراب وقالوا لهم هذا الرجل قتل آباءكم فطعنوه بالرماح والحراب فتحرك على الخشبة فانقلب وجهه الى الكعبة فقال الحمد لله الذى جعل وجهى نحو قبلته فلم يستطع أحد أن يحوله

وقد ذكر ابن اسحق زيادة فى الشعر المتقدم وكذا الواقدى وغيره وهذا لفظهم

لقد جمع الاحزاب حولى وألبوا * قبائلهم واستجمعوا كل مجمع وكلهم مبدى العداوة جاهد * على لانى فى وثاق مضيع
وقد جمعوا أبناءهم ونساءهم * وقربت من جذع طويل ممنع الى الله أشكو غربتى ثم كربتى * وما أرصد الاحزاب لى عند مصرعى
وذلك فى ذات الاله وان يشأ * يبارك على أوصال شلو ممزع وقد خيروانى الكفر والموت دونه * وقد هملت عيناى من غير مجزع

أدركته الصلاة ثم انه صلى الله عليه وسلم بعد ذلك سأل أسعد بن زرارة أن يبيعه تلك البقعة التى كان من جملتها ذلك المسجد ليجعلها مسجدا فانها كانت فى يده ليتيمين فى حجره وهما سهل وسهيل وقيل كانا فى حجر معاذ بن عفراء قال فى الاصل وهو الاشهر وفى المواهب أن الاول هو المرجح واليتيمان المذكوران من بنى مالك بن النجار وقيل كانا فى حجر أبى أيوب الانصارى قال بعضهم والظاهر ان الكل أى من أسعد ومعاذ وأبى أيوب كانوا يتكلمون لليتيمين لانهم بنو عم فنسبا الى حجر كل (وقد عرض أبو أيوب عليه) صلى الله عليه وسلم أن يأخذ تلك الارض ويغرم لليتيمين قيمتها فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابتاعها بعشرة دنانير أداها من مال أبى بكر أى وفى رواية فدعا الغلامين فساومهما بالمربد فقالا نهبه لك يارسول الله فأبى أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما بعشرة دنانير وأمر أبا بكر ان يعطيهما ذلك أى وحينئذ يكون وصفهما باليتم باعتبار ما كان وفى رواية ارسل صلى الله عليه وسلم الى ملا من بنى النجار ولعلهم من تقدم وهم أسعد ومعاذ وأبو أيوب ومعهم سهل وسهيل فجاؤه صلى الله عليه وسلم فقال لهم ثامنونى بحائطكم هذا أى خذوا منى ثمنه قالوا لا يارسول الله والله لا نطلب ثمنه الا الى الله فأبى ان يأخذه الا بالثمن قال وجاء ان أسعد بن زرارة عوض اليتيمين من تلك الارض نخلا أى له فى بنى بياضة وقيل أرضاهما فيها أبو أيوب وقيل معاذ بن عفراء وطريق الجمع بين ذلك انه يحتمل ان كلا من أسعد وأبى أيوب ومعاذ بن عفراء دفع للغلامين شيأ أى زيادة على العشرة دنانير فنسب ذلك لكل منهم وجاء انه كان فى تلك الارض قبور جاهلية فأمر بها صلى الله عليه وسلم فنبشت وأمر بالعظام فألقيت انتهى أى وفى رواية وأمر بالعظام ان تغيب أى وفى رواية كان فى موضع المسجد نخل وخرب أى حفر ومقابر للمشركين فأمر صلى الله عليه وسلم بالقبور فنبشت وبالخرب فسويت وبالنخل فقطعت أى وفى سيرة الحافظ الدمياطى فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنخل الذى فى الحديقة أى وهى تلك الارض التى كانت مربدا أى وسمى حديقة لوجود النخل به وأمر بالغرقد الذى فيه أن يقطع أى والغرقد شجر معروف وبقيع الغرقد مقبرة أهل المدينة وشجر الغرقد يقال له شجر اليهود فانه لا يدل على اليهودى اذا توارى به عند نزول عيسى عليه الصلاة والسلام وقتله للدجال ولجنده من اليهود فاذا توارى اليهودى بشجرة نادته يا روح الله هذا يهودى فيأتى حتى يقف عليه فاما أن يسلم واما أن يقتل الا شجر الغرقد فانه لا يدل على اليهودى اذا توارى به فقيل له شجر اليهود لذلك قال وكان فى المربد ماء مستحل فسيره حتى ذهب وآل المستحل الذى ينشع ويظهر من الارض (ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم) أمر باتخاذ اللبن فاتخذ وبنى به المسجد وجاء أنه صلى الله عليه وسلم عند الشروع فى البناء وضع لبنة ثم دعا أبا بكر فوضع لبنة أى بجانب لبنته صلى الله عليه وسلم ثم دعا عمر فوضع لبنة بجانب لبنة أبى بكر ثم جاء عثمان فوضع لبنة بجانب لبنة عمر أى وقد أخرج ابن حبان لما بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وضع فى البناء حجرا وقال لابى

ومابى حذار الموت انى لميت * ولكن حذارى جحم نار مسفع ووالله ما أخشى اذا مت مسلما * على أى جنب كان فى الله مضجعى
فلست بمبد للعدو تخشعا * ولا جزعا انى الى الله مرجعى قال الحافظ ابن حجر وفى هذا انشاد الشعر عند الموت وقوة نفس
خبيب وشدة قوته فى دينه وفى رواية قام اليه أبو سروعة عقبة بن الحرث بن عامر فقتله وقد أسلم عام الفتح رضى الله عنه وكان يقول
ما أنا قتلت خبيبا انى كنت صغيرا ولكن ٧٤ أبا ميسرة العبدرى أخذ الحربة وجعلها فى يدى ثم أخذ بيدى

وبالحربة فطعنه بها حتى قتله وكان خبيب هو الذى سن لكل مسلم قتل صبرا الصلاة لانه فعل ذلك فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم فاستحسن ذلك من فعله وأخبر صلى الله عليه وسلم أصحابه بذلك والصلاة خير ما ختم به من عمل العبد وعن عروة بن الزبير رضى الله عنه قال لما أرادوا قتل خبيب ووضعوا فيه السلاح والرماح والحراب أى طعنوه بها طعنا خفيفا وهو مصلوب نادوه وناشدوه أتحب أن محمدا مكانك قال لا والله ما أحب أن يفدينى بشوكة فى قدمه وقيل ان زيد بن الدثنة قالوا له ذلك أيضا عند قتله فأجابهم بمثل ذلك فقال أبو سفيان رضى الله عنه ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا ثم بعد أن قتلوا خبيبا رضى الله عنه أبقوه على خشبته مصلوبا مدة وحوله جماعة منهم يحرسونه فأرسل صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام والمقداد بن الاسود وفى رواية عمرو بن أمية الضمرى فأتوه فاذا هو رطب لم يتغير منه شئ بعد أربعين يوما فحمله الزبير على فرسه وسار فلحقهم سبعون من الكفار فقذفه الزبير فابتلعته الارض والذى أنزله من الخشبة عمرو بن أمية الضمرى رضى الله عنه فقد روى الامام أحمد رضى الله عنه عن عمرو بن أمية قال بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدى عينا الى قريش فجئت خشبة خبيب بن عدى لانزله من الخشبة فصعدت خشبته ليلا فقطعت عنه وألقيته فسمعت وجبة خلفى فالتفت فلم أر خبيبا وكأنما ابتلعته الارض فلم أر له أثرا حتى الساعة ويمكن الجمع بأنه أرسله صلى الله عليه وسلم أولا ثم أرسل الزبير والمقداد فحين أنزله عن الخشبة كانا حاضرين فأخذه وجاؤا

بكر ضع حجرك الى جنب حجرى ثم قال لعمر ضع حجرك الى جنب حجر أبى بكر ثم قال لعثمان ضع حجرك الى جنب حجر عمر ثم قال هؤلاء الخلفاء بعدى قال أبو زرعة اسناده لا بأس به فقد أخرجه الحاكم فى المستدرك وصححه وفى رواية هؤلاء ولاة الامر بعدى قال ابن كثير وهذا الحديث بهذا الاسناد غريب جدا قال بعضهم وقوله صلى الله عليه وسلم لعثمان ماذكر أى ضع حجرك الى جنب حجر عمر يرد على من زعم أن هذا منه صلى الله عليه وسلم اشارة الى قبورهم أى اذ لو كان اشارة الى ذلك لدفن عثمان بجانب عمر كما دفن عمر بجانب أبى بكر بل هو اشارة الى ترتيب الخلافة أى لانه لا يستفاد من قوله صلى الله عليه وسلم هؤلاء الخلفاء بعدى الا ذلك ومن ثم جاء فى رواية فسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال أمر الخلافة من بعدى وتصحيح الحاكم لما ذكر يظهر التوقف فى قول بعضهم ان هذا لم يحتج فى الصحيح الا أن يريد صحيح الشيخين وأما قوله قال البخارى فى تاريخه ان ابن حبان لم يتابع على الحديث المذكور لان عمر وعثمان وعليا قالوا لم يستخلف النبى صلى الله عليه وسلم فقد يقال عليه معناه لم ينص على استخلاف أحد بعينه عند موته وذلك لا ينافى الاشارة الى وقوع الخلافة لهؤلاء بعده ولا ينافيه قوله هؤلاء الخلفاء بعدى لجواز أن يراد الخلافة فى العلم ثم رأيت ابن حجر الهيتمى أشار الى ذلك حيث قال قلت هذا أى وضع تلك الاحجار وقوله صلى الله عليه وسلم هؤلاء الخلفاء بعدى مع احتماله للخلافة فى العلم والارشاد متقدم على وقت الاستخلاف عادة وهو قرب الموت فلم يكن نصا صالما من المعارض هذا كلامه ثم قال للناس ضعوا أى الحجارة فوضعوا ورفع بالحجارة أى قريب من ثلاثة أذرع وبنى باللبن وجعل عضادتيه أى جانبيه بالحجارة وسقفه بالجريد وجعلت عمده وفى رواية سواريه من جذوع النخل وطول جداره قامة أى كان ارتفاعه قدر قامة قال وعن شهر بن حوشب قال لما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبنى المسجد قال ابنوا لى عريشا كعريش موسى ثمامات وخشبات وظلة كظلة موسى والامر أعجل من ذلك قيل وما ظلة موسى قال كان اذا قام أصاب رأسه السقف انتهى أى فالمراد اجعلوا سقفه يكون بحيث اذا قمت أصاب رأسى السقف أو رفعت يدى أصابت السقف والجمع بين هاتين الروايتين يدل على أن المراد ما هو قريب من ذلك بحيث لا يكون كثير الارتفاع فلا ينافى ما يأتى من أمره بجعل ارتفاعه سبعة أذرع فتيتأمل وفى سيرة الحافظ الدمياطى يقيل له الا تسقف فقال عريش كعريش موسى خشبات وثمام أى وقيل للحسن ما عريش موسى قال اذا رفع يده بلغ العرش يعنى السقف وفى رواية لما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم بناء المسجد قال قيل لى أى قال له جبريل عريش كعريش أخيك موسى سبعة أذرع طولا فى السماء أى وكان سبعة أذرع بحيث يصيب رأسه ولا تزخرفه ثم الامر أعجل من ذلك أى وفيه أن هذا يقتضى أن موسى كان طوله سبعة أذرع وهو يخالف ما اشتهر ان قامة موسى كانت أربعين ذراعا وعصاه كذلك ووثبته كذلك وقد جاء ما أمرت بتشييد المساجد أى ولعل قوله ذلك كان لما جمع الانصار مالا

الزبير الى آخر ما تقدم وبعثت قريش فى طلب عاصم بن ثابت رضى الله عنه حين بلغهم أنه قتل ليؤتوا بشئ من جسده يعرفونه به لانه كان قتل عظيما من عظمائهم يوم بدر قال الحافظ ابن حجر ولعل العظيم المذكور هو عقبة بن أبى معيط فان عاصما قتله على قول ابن اسحق صبرا بأمر النبى صلى الله عليه وسلم بعد ان انصرفوا من بدر وقيل الذى قتله هو على رضى الله عنه ولعلهما اشتركا فى ذلك فنسب الى كل منهما وجاء فى رواية ان عاصما لما قتل أرادت عذيل أخذ رأسه ليبيعوه ٧٥ من سلافة بنت سعد وهى أم مسافع وجلاس ابنى طلحة العبدرى وكان عاصم قتلهما يوم أحد وكانت قد نذرت حين أصاب ابنيها يوم أحد ان قدرت على رأس عاصم لتشربن الخمر فى قحفه وهو ما انفلق من الجمجمة وكانت جعلت لمن جاء برأسه مائة ناقة فمنعه منهم الدبر أى الزنابير بعث الله عليه مثل الظلة من الدبر فحمته من رسلهم فلم يقدروا على شئ منه وفى رواية للبخارى فلم يقدروا أن يقطعوا من لحمه شيأ وفى رواية فبعث الله عليهم الدبر تطير فى وجوههم وتلدغهم فحالت بينهم وبين أن يقطعوا فقالوا دعوه حتى يمسى فتذهب الدبر عنه فنأخذه فبعث الله سيلا فاحتمل عاصما فذهب به وفى رواية فاحتمله السيل فذهب به الى الجنة وحمل خمسين من المشركين الى النار وقيل ان الله حماه بالدبر عن أن يمثلوا به حتى أخذه المسلمون فدفنوه وكان عاصم بن ثابت رضى الله عنه قد أعطى الله عهدا أن لا يمسه مشرك ولا يمس مشركا بصاحفة ونحوها فاعطاه الله ذلك والمراد انه قوى رجاؤه فى الله فعاهده على ذلك أو المراد أنه عاهد الله أنه لا يمكن هو مشركا من مسه أو المراد سأل الله ذلك وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما بلغه خبره يقول يحفظ الله العبد المؤمن بعد وفاته كما حفظه فى حياته ففيه استجابة دعاء المسلم واكرامه حيا وميتا وانما استجاب الله له فى حماية لحمه من المشركين لقوله اللهم انى حميت لك دينك صدر النهار فاحم لحمى آخره ولم يمنعهم من قتله لما أراد الله له من اكرامه بالشهادة ومن كرامته حمايته من هتك حرمته بقطع لحمه وفق ما طلب ولا يستلزم ذلك كونه أفضل من حمزة ونحوه رضى الله عنهم لان المزية لا تقتضى الافضلية والله سبحانه وتعالى أعلم

وجاؤا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ابن هذا المسجد وزينه الى متى نصلى تحت هذا الجريد وجاء لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس فى المساجد وجاء من أشراط الساعة أن يتباهى الناس فى المساجد أى تزخرفها كما تزخرف اليهود والنصارى كنائسهم وبيعهم ولم يكن على السقف كبير طين اذ كان المطر يكف أى ينزل منه ماء المطر المخالط للطين عليهم بحيث يمتلئ أى المسجد طينا فقالوا يا رسول الله لو أمرت فطين أى جعل عليه طين كثير بحيث لا ينزل عليه المطر فقال لا عريش كعريش موسى فلم يزل كذلك حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند بنائه عمل فيه المسلمون المهاجرون والانصار وعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه ليرغب المسلمين فى العمل فيه قال فقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم صار ينقل اللبن أى فى ثيابه وفى رواية فى ردائه حتى اغبر صدره الشريف وصار يقول

هذا الحمال لا حمال خيبر * هذا أبر ربنا وأطهر

أى هذا المحمول من اللبن أبر وأطهر يا ربنا مما يحمل من خيبر من نحو التمر والزبيب فالحمال بالحاء المهملة بمعنى المحمول ووقع فى رواية بالجيم جمع جل قال بعضهم وله وجه والاول أظهر ولا يحسن هذا الوجه الا اذا كانت جمال خيبر أنفس من جمال غيرها وصار يقول

اللهم ان الاجر أجر الآخره * فارحم الانصار والمهاجره

قال البلاذرى وهذا القول لامرأة من الانصار وتمامه

وعافهم من حر نار ساعره * فانهم الكافر وكافره

والذى فى البخارى فاغفر للانصار والمهاجره ولعله صلى الله عليه وسلم هو الذى أخرجه عن الوزن كما هو عادته فى انشاد الشعر كما سيأتى وفى لفظ فأصلح وفى لفظ فأكرم وفى رواية اللهم لا خير الا خير الآخره فارحم المهاجرين والاناصره وفى رواية فانصر الانصار والمهاجره وعن الزهرى أنه كان يقول اللهم لا خير الا خير الآخره فارحم المهاجرين والانصار لانه كان لا يقيم الشعر أى لا يأتى به موزونا ولو متمثلا وفيه انه مع قوله اللهم ان الاجر الى آخره لا يكون شعرا موزونا الا ان حذف ال من اللهم وقال لاهم وكسر همزة فارحم وحينئذ تكون المرأة من الانصار انما نطقت بذلك أى قالت لاهم الى آخره وهو صلى الله عليه وسلم هو الذى غيره ونقل عن الزهرى انه صلى الله عليه وسلم لم يقل بيتا موزونا متمثلا به الا قوله هذا الحمال البيت ولم أقف على قائله وسيأتى عن الزهرى انه من انشائه صلى الله عليه وسلم وسيأتى ما فيه وفى كلام بعضهم قال ابن شهاب يعنى الزهرى لم يبلغنا فى الاحاديث أنه صلى الله عليه وسلم تمثل ببيت شعر تام أى موزون الا هذه الابيات قال ابن عائذ أى التى كان يرتجز بهن وهو ينقل اللبن لبناء المسجد أى وفيه ان هذا مخالف لما تقدم عن الزهرى أنه صلى الله عليه وسلم لم يقل بيتا موزونا الا قوله هذا الحمال فلا يحسن أن يفسر كلامه بذلك على انه تمثل ببيت شعر تام موزون غير ذلك فقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم جعل يدور بين قتلى بدر ويقول

﴿سرية بئر معونة﴾ وتسمى سرية المنذر بن عمرو الخزرجى رضى الله عنه الى أهل بئر معونة ليدعوهم

الى الاسلام أو مدد لهم وبئر معونة اسم لموضع ببلاد هذيل بين مكة وعسفان وقيل هى بين أرض بنى عامر وحرة بنى سليم كلا البلدين قريب منه وهو الى حرة بنى سليم أقرب قال الزرقانى والظاهر انه لا تنافى لجواز أن يكون ذلك الموضع المنسوب لهذيل بين مكة وعسفان وبجواره أرض بنى عامر وحرة بنى سليم وكانت هذه السرية فى شهر صفر على رأس ستة وثلاثين شهرا من الهجرة على رأس أربعة أشهر من أحد وبعث صلى الله عليه وسلم مع المنذر المطلب السلمى رضى الله عنه ليدلهم على الطريق وكانت هذه السرية الى رعل وذكوان وسميت باسم المكان المذكور انتزلوا لهم به وكان مع رعل بطن من بنى سليم ومع ذكوان بطن منهم أيضا وتعرف هذه السرية أيضا بسرية القراء وكان من أمرها كما قاله ابن اسحق عن شيوخه انه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر العامرى واختلف فى اسلامه وصحبته بعد ذلك قال الذهبى والصحيح انه لم يسلم ويعرف بملاعب الاسنة فعرض النبى صلى الله عليه وسلم عليه الاسلام فلم يسلم ولم يبعد وفى رواية انه أهدى الى النبى صلى الله عليه وسلم فرسين وراحلتين فقال صلى الله عليه وسلم لا أقبل هدية مشرك وعرض عليه الاسلام فقال يا محمد انى أرى أمرك هذا حسنا شريفا وقومى خلفى فلو انك بعثت معى نفرا من أصحابك لرجوت أن يتبعوا أمرك فانهم ان اتبعوك فما أعز أمرك وفى رواية لو بعثت رجالا من أصحابك الى أهل نجد فدعوتهم الى أمرك لرجوت ان يستجيبوا لك فقال عليه الصلاة والسلام انى أخشى أهل نجد عليهم قال أبو براء أنا لهم جار أى هم فى ذمامى وعهدى وجوارى فابعثهم فبعث صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو ومعه القراء وهم سبعون وقيل أربعون قال قتادة كانوا رضى الله عنهم يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل زاد ثابت البنانى عن أنس رضى الله عنه وكانوا يشترون الطعام لاهل الصفة ويأتون به الى حجر أزواجه صلى الله عليه وسلم ويتدارسون القرآن بالليل ويصلون فساروا فلما وصلوا الى بئر معونة بعثوا حرام بن ملحان أخا أم سليم خال أنس بن مالك رضى الله عنه بكتاب صلى الله عليه وسلم الى عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر الكلابى العامرى وهو ابن أخى أبى براء ومات كافرا بالاجماع وليس هو عامر بن طفيل

نفلق هاما من رجال أعزة * علينا وهم كانوا أعق وألأما

وفى المواهب وقد قيل ان الممتنع عليه صلى الله عليه وسلم انشاء الشعر لا انشاده أى ولذلك جاء ما أبالى ما أوتيت ان أنا قلت الشعر من قبل نفسى وفى الكشاف وقد صح ان الانبياء معصومون من الشعر ولا دليل على منع انشاده أى الشعر موزونا ممثلا (أقول) نقل الحافظ الدمياطى عن الزهرى انه كان يقول انه صلى الله عليه وسلم لم يقل شيأ من الشعر الا ما قد قيل قبله الا قوله

هذا الجمال لا حمال خيبر * هذا أبر ربنا وأطهر

أى فانه من قوله وهو يخالف ما تقدم عنه ولعله سقط من عبارة الزهرى المذكورة شئ والاصل انه لم يقل شيأ من الشعر الا ما قد قيل قبله ولم يقل ما قبله تاما أى موزونا الا قوله هذا الحمال الى آخره فلا يخالف ما تقدم عنه وكونه كان لا يقيم الشعر أى لا يأتى به موزونا ولو ممثلا هو المنقول عن عائشة رضى الله تعالى عنها فقد قيل لها هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى بشئ من الشعر فقالت كان أبغض الحديث اليه الشعر غير أنه كان يتمثل ويجعل أوله آخره وآخره أوله أى غالبا كان يقول ويأتيك من لم تزود بالاخبار ويقول كفى بالاسلام والشيب للمرء ناهيا أى وذلك قول سحيم بهملة مصغرا عبد بنى الحسحاس شاعر مشهور مخضرم

* كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا *

ولما غير ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له الصديق رضى الله تعالى عنه انما قال الشاعر كذا فاعاده صلى الله عليه وسلم كالاول فقال الصديق أشهد أنك رسول الله وما علمناه الشعر ولما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قول سحيم

الحمد لله حمد الانقطاع له * فليس احسانه عنا بمقطوع

قال أحسن وصدق وقول الصديق أشهد أنك رسول الله وما علمناه الشعر يدل على أنه صلى الله عليه وسلم لا يجرى الشعر على لسانه موزونا وقد قيل له صلى الله عليه وسلم من أشعر الناس قال الذى يقول

ألم تر بانى كلما جئت طارقا * وجدت بها وان لم تطيب طيبا

الاصل وجدت بها طيبا وان لم تطيب وكان أبو بكر رضى الله تعالى عنه يقول له بأبى أنت وأمى يا رسول الله ما أنت بشاعر ولا راويه والمراد بكون الشعر أبغض اليه الاتيان به والا فقد كان يسمع الشعر كما تقدم ويستنشده فقد ذكر بعضهم أنه صلى الله عليه وسلم كان يستنشد الخنساء أخت صخر لامه ويعجبه شعرها فكانت تنشده وهو يقول هيه يا خناس ويومئ بيده وقد قال بعضهم أجمع أهل العلم أنه لم تكن امرأة قبلها ولا بعدها أشعر منها ومن شعرها فى أخيها المذكور

أعينى جودا ولا تجمدا * ألا تبكيان لصخر الندا

طويل النجاد عظيم الرماد * وساد عشيرته أمردا

وللجلال السيوطى كتاب سماه نزهة الجلساء فى أشعار الخنساء وقولنا فى قول عائشة انه كان يتمثل بالشعر ويجعل أوله آخره أى غالبا حتى لا ينافى ما جاء عنها كان يتمثل ببيت ابن رواحة

* ويأتيك بالاخبار من لم تزود * وقولها ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينشد شعرا الا

الاسلمى الصحابى رضى الله عنه فلما أتى حرام بن ملحان الى عامر بن الطفيل لم ينظر فى كتابه بل استمر فى طغيانه حتى عداه على الرجل فقتله وفى رواية الطبرى فخرج حرام فقال يا أهل بئر معونة انى رسول رسول الله اليكم فآمنوا بالله ورسوله فخرج رجل برمح فضربه فى جنبه حتى خرج من الشق الآخر وفى الصحيح فجعل يحدثهم فأومؤا الى رجل فأتاه من خلفه فطعنه بالرمح فقال الله أكبر فزت ورب الكعبة قال ابن اسحق وهذا الذى طعنه هو عامر بن الطفيل وقيل انه مات بتلك الطعنة وانما أتخن وظنوا انه مات فقال

الا بيتا واحدا ... تفاءل لما تهوى يكن فلقلما * يقال لشئ كان الا تخلفا

(وفى الخصائص الكبرى) قال المزنى ولم يبلغنى أنه صلى الله عليه وسلم أنشد بيتا تاما على رويه بل اما الصدر كقول لبيد * ألا كل شئ ماخلا الله باطل * أو العجز كقول طرفة

ويأتيك بالاخبار من لم تزود * أى وفيه ماتقدم عن عائشة وكقوله وقد أنشده أعشى بنى مازن أبياتا فى ذم النساء آخر تلك الابيات * وهن شر غالب لمن غلب * فجعل صلى الله عليه وسلم يقول * وهن شر غالب لمن غلب * فان أنشد بيتا كاملا غيره أى غالبا لما تقدم كبيت العباس ابن مرداس أى فانه صلى الله عليه وسلم قال يوما للعباس بن مرداس أرأيت قولك وفى لفظ أنت القائل * أصبح نهبى ونهب العبيد بين الاقرع وعيينة فقيل له انما هو بين عيينة والاقرع فقال عليه الصلاة والسلام انما هو الاقرع وعيينة فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه بأبى أنت وأمى يارسول الله وفى لفظ أشهد أنك رسول الله ما أنت بشاعر ولا راويه ولا ينبغى لك انما قال بين عيينة والاقرع أى أنه لا ينبغى لك أن تكون شاعرا كما قال الله ولا ينبغى لك أن تكون راويا للشعر أى بأن تأتى به على وجهه أى لا يكون شأنك ذلك مباعدة عن الشعر وكون شأنه ذلك لا ينافى وجوده منه على وجهه فى بعض الاحيان فليتأمل (وعن بعضهم) ماجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت شعر قط أى موزونا وقد يقال لا يخالف هذا ماتقدم عن المواهب لانه يجوز أن يكون هذا المنقول عن عائشة وعن المزنى وعن بعضهم كان أغلب أحواله كما قدمناه فى المنقول عن عائشة ثم رأيته فى الامتاع أشار الى ذلك بقوله وربما أنشد صلى الله عليه وسلم البيت المستقيم فى النادر وقول المواهب لا دليل على منع انشاده متمثلا أى دائما وأبدا وبدل لذلك قول الزهرى انه لم يقل بيتا موزونا متمثلا به الا قوله هذا الحمال الى آخره وفيه ماعلمت ولا يخفى ان لشعر عرف بانه كلام عربى موزون عن قصد قال البدر الدمياطى وقولنا عن قصد يخرج ما كان وزنه اتفاقيا كآيات شريفة اتفق جريان الوزن فيها أى من بحور الشعر الستة عشر وقد ذكرها الجلال السيوطى فى نظمه للتلخيص وذلك كما فى قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وكقوله تعالى وجفان كالجوابى وقدور راسيات وقوله تعالى نصر من الله وفتح قريب وكلمات شريفة نبوية جاء الوزن فيها اتفاقيا غير مقصود كما فى قول النبى صلى الله عليه وسلم ... هل أنت الا أصبع دميت * وفى سبيل الله ما لقيت

أى بناء على تسليم انه من قوله صلى الله عليه وسلم والا فقد قيل انه من قول عبد الله بن رواحة أى فان ذلك مذكور فى أبيات قالها فى غزوة مؤتة وقد صدمت أصبعه فدميت وذكر بدل فى سبيل الله فى كتاب الله ولا مانع أن يكون ابن رواحة أدخل ذلك البيت فى تلك الابيات التى صنعها كما تقدم وفى كلام ابن دحية ولا يمر على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضروب الرجز الا ضربان منهوك ومشطور فالمنهوك * أنا النبى لا كذب * والمشطور

* هل أنت الا أصبع دميت * وقيل البيت الواحد لا يكون شعرا على أنه قيل ان الرجز ليس

الضحاك بن سفيان الكلابى رضى الله عنه وكان مسلما يكتم اسلامه لامرأة من قومه هل لك فى رجل ان صح كان نعم الراعى فضمته اليها فعالجته فسمعته يقول

أباعامر ترجو المودة بيننا ... وهل عامر الا عدو مداهن
اذا مارجعنا ثم لم يك وقعة ... بأسيافنا فى عامر أو نطاعن

فوثبوا عليه فقتلوه ثم ان عامر بن الطفيل استصرخ بنى عامر قومه على بقية القوم أصحاب حرام بن ملحان فلم يجيبوه وقالوا لن نخفر ابا براء أى لن ننقض عهده وذمامه لانه قد عقد لهم عقدا وجوارا فاستصرخ عليهم قبائل من بنى سليم عصية ورعلا وذكوان فاجابوه الى ذلك ثم خرجوا حتى غشوا القوم فأحاطوا بهم فى رحالهم فلما رأوهم أخذوا سيوفهم وقاتلوهم حتى قتلوا كلهم الا كعب بن زيد الانصارى الخزرجى النجارى البدرى رضى الله عنه فانهم تركوه وبه رمق فعاش حتى قتل يوم الخندق شهيدا اصابة سهم وأما عمرو بن أمية الضمرى فانه أسر وأطلق قال ابن اسحق كان عمرو فى سرح القوم هو ورجل من الانصار وهو المنذر بن محمد ابن عقبة فلم ينبئهما بمصاب أصحابهما الا الطير تحوم على المعسكر فقالا والله ان لهذه الطير لشأنا فاقبلا لينظرا فاذا القوم فى دمائهم والخيل التى أصابتهم واقفة فقال الانصارى لعمرو ماترى قال أرى أن نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره الخبر فقال الانصارى لكنى ما كنت لارغب بنفسى عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو ثم قاتل حتى قتل وأما عمرو فأسروه ثم أخذه عامر بن الطفيل وجز ناصيته أى الشعر المجاور لها وأعتقه عن رقبة زعم انها كانت على أمه قال أنس بن مالك رضى الله عنه جاء خبرهم الى النبى صلى الله عليه وسلم على لسان جبريل عليه السلام فى

تلك الليلة فقال هذا سببه عمل أبي براء حيث أخذهم في جواره فدكنت لهذا كارها مضغوفا فبلغ ذلك أبا براء فمات عقب ذلك أسفا على ماصنع ابن أخيه عامر بن الطفيل ومات عامر بن الطفيل بعد ذلك كافرا وقال حسان رضي الله عنه لربيعة بن عامر ملاعب الاسنة يحرضه بعامر بن الطفيل باخفاره ذمة أبي براء

ألا من مبلغ عني ربيعا * بما قد أحدث الحدثان بعدي

أبوك أبو الفعال أبو براء * وخالك ماجد حكم بن سعد

بني أم البنين ألم يرعكم * وأنتم من ذوائب أهل نجد

تحكم عامر بأبي براء

ليخفره وماخطأ كعمد

فلما بلغ ربيعة هذا الشعر جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ايغسل عن أبي هذه الغدرة ن ضرب عامر اضربة أوطعنة قال نعم فرجع فضرب عامر اضربة اشواه بها فوثب عليه قومه فقالوا لعامر اقتص فقال قد عفوت ثم ان من جملة القراء الذين قتلوا ببئر معونة عامر ابن فهيرة مولى أبي بكر رضي الله عنه ولم يوجد جسده لان الملائكة دفنته ولما قتلوه سألوا عنه عمرو ابن امية الضمري رضي الله عنه وكان أسيرا في أيديهم كما تقدم فقال له عامر بن الطفيل من هذا فقال هذا عامر بن فهيرة فقال لقد رأيته بعد ماقتل رفع الى السماء حتى اني لانظر الى السماء بينه وبين الارض ثم وضع وفي هذا تعظيم لعامر بن فهيرة رضي الله عنه وترهيب للكفار وتخويف ومن ثم تكرر سؤال ابن الطفيل عن ذلك فقد روى ابن اسحق عن عروة بن الزبير ان عامر بن الطفيل لما قدم على النبي صلى الله عليه وسلم قال له من الرجل الذي لما قتل رأيته رفع بين السماء والارض حتى رأيت السماء دونه ثم وضع قال هو عامر بن فهيرة رضي الله عنه وروى ابن المبارك عن عروة أيضا قال كان الذي قتله رجلا من بني كلاب اسمه جبار بن سلمى وذكر انه لما طعنه قال فزت والله قال فقلت في نفسي ماقوله فزت فأتيت الضحاك بن سفيان فسألته فقال بالجنة قال فاسلمت ودعاني الى ذلك مارأيت من عامر بن فهيرة من رفعه الى السماء على ما قال البيهقي يحتمل انه رفع ثم وضع ثم فقد بعد ذلك ثم روى عن عائشة رضي الله عنها موصولا بلفظ لقد رأيته بعد ماقتل رفع الى السماء حتى اني لانظر الى السماء بينه وبين الارض ولم يذكر فيها ثم وضع وروى ابن

من الشعر عند الاخفش خلافا للخليل أي فان الاخفش احتج على ان الرجز ليس بشعر ردا على الخليل ومن تبعه القائلين بأنه من الشعر حيث قال لاحتجن عليهم بحجة ان لم يقروا بها كفروا وكان شعرا ماجرى على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم لان الله تعالى يقول وماعلمناه الشعر وماينبغي له هذا كلامه قال في النور والصحيح انه شعر أي موافقة للخليل وقد علمت ان ماجرى منه على لسانه صلى الله عليه وسلم ليس شعر العدم قصده فليتأمل وقد نقل الماوردي من أئمتنا انه كما يحرم عليه قول الشعر أي انشاؤه يحرم عليه روايته أي دون انشاده متمثلا وفرق بعضهم بين الانشاد والرواية بأن الرواية يقول قال فلان كذا وأما انشاده متمثلا فلا يقول ذلك هذا كلامه وفيه انه قال لما قيل له من أشعر الناس قال الذي يقول الى آخره وقال للعباس بن مرداس أنت القائل الى آخره قال ذلك البعض وكان الفرق بين الرواية والانشاد أن في قوله قال فلان فيه رفعة للقائل بسبب قوله وهذا متضمن لرفع شأن الشعر والمطلوب منه الاعراض عن الشعر من حيث كونه شعرا وفيه ان الصديق قال له عند كل من الرواية والانشاد لست براويه كما تقدم وعن الخليل كان الشعر أحب اليه صلى الله عليه وسلم من كثير من الكلام أي وقد يقال لا يخالف هذا ما تقدم عن عائشة رضي الله تعالى عنها كان أبغض الحديث اليه صلى الله عليه وسلم الشعر لان المراد بالشعر الذي يحبه ما كان مشتملا على حكمة أو وصف جميل من مكارم الاخلاق والذي يبغضه ما كان مشتملا على مافيه هجنة أو هجو ونحو ذلك ومن ثم قيل الشعر كلام حسنه حسن وقبيحه قبيح وفي الجامع الصغير الشعر بمنزلة الكلام فحسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام الشعر الحسن أحد الجمالين يكسوه الله المرء المسلم وقد قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما اذا خفي عليكم شئ من غريب القرآن فالتمسوه في الشعر فان الشعر ديوان العرب وفي كلام سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه نعم الابيات من الشعر يقدمها الرجل في صدر حاجته يستعطف بها قلب الكريم ويستميل بها اللؤم اللئيم والحاصل ان الحق الحقيق بالاعتماد به تجتمع الاقوال ان المحرم عليه صلى الله عليه وسلم انما هو انشاء الشعر أي الاتيان بالكلام الموزون عن قصد وزنه وهذا هو المعنى بقوله تعالى وماعلمناه الشعر فان فرض وقوع كلام موزون منه صلى الله عليه وسلم لا يكون ذلك شعرا اصطلاحا لعدم قصد وزنه فليس من الممنوع منه والغالب عليه صلى الله عليه وسلم انه اذا أنشد بيتا من الشعر متمثلا أو مسندا القائله لا يأتي به موزونا وربما أتى به موزونا وادعى بعض الادباء انه صلى الله عليه وسلم كان يحسن الشعر أي يأتي به موزونا قصدا ولكنه كان لا يتعاطاه أي لا يقصد الاتيان به موزونا قال وهذا أتم وأكمل مما قالوا بانه كان لا يحسنه وفيه أن في ذلك تكذيبا للقرآن (وفي التهذيب للبغوي) من أئمتنا قيل كان صلى الله عليه وسلم يحسن الشعر ولا يقوله والاصح أنه كان لا يحسنه ولكن كان يميز بين جيد الشعر ورديئه ولعل المراد بين الموزون منه وغير الموزون

بعد مرفوعا ان الملائكة وارت جثته وأنزل فى عليين قال الجلال السيوطى قويت الطرق وتعددت بموارانه فى السماء وحبار بن سلمى صحابى رضى الله عنه ووقع فى بعض الروايات أن عامر بن الطفيل هو الذى قتل عامر بن فهيرة رضى الله عنه ولعل نسبة ذلك اليه على سبيل التجوز لكونه كان رأس القوم وقد مات كافرا بالاجماع كما تقدم روى ابن سعد عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال مارأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد أى حزن على أحد ماوجد على أهل بئر معونة ٧٩ لكونه لم يرسلهم لقتال انما هم مبلغون رسالته وقد جرت عادة العرب قديما بان الرسل لاتقتل ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الذين قتلوا أصحابه ببئر معونة شهرا وفى رواية أربعين يوما يدعو على رعل وذكوان وعصية ولحيان قال أنس رضى الله عنه وبلغ الله نبيه صلى الله عليه وسلم على لسان جبريل عليه السلام انهم لقوا ربهم فرضى عنهم وأرضاهم وفى رواية فكنا نقرأ بلغوا قومنا أنا قد لقينا ربنا فرضى عنا ورضينا عنه ثم نسخ قال السهيلى هذا اللفظ ليس عليه رونق الاعجاز فلعله لم ينزل بهذا النظم ولكن بنظم معجز كنظم القرآن وانما ذكر بنى لحيان وان كانوا ليسوا معهم فى هذه الوقعة وانما هم فى قصة أصحاب الرجيع لان الخبر أتى النبى صلى الله عليه وسلم بكل من الوقعتين فى ليلة واحدة فدعا على الذين أصابوا أصحابه فى الموضعين فى دعاء واحد ولهذا جمع البخارى القصتين فى ترجمة واحدة حتى توهم بعضهم انهما قصة واحدة فى موضع واحد وليس كذلك قال العلامة الزرقانى لما اصيب أهل بئر معونة جاءت الحى اليه صلى الله عليه وسلم فقال لها اذهبى الى رعل وذكوان وعصية فانهم عصوا الله ورسوله فأتتهم فقتلت منهم سبعمائة رجل بكل رجل من المسلمين عشرة قال وانما لم يخبره سبحانه وتعالى بما ترتب على ذهاب القراء وأهل الرجيع قبل خروجهم كما أخبره بنظير ذلك فى كثير من الاشياء لانه سبق فى علمه تعالى اكرامهم بالشهادة وأراد حصول ذلك بمجىء أبى براء ومن جاء فى طلب أصحاب الرجيع اه

﴿غزوة بنى النضير﴾ هى قبيلة كبيرة من اليهود ينسبون الى هرون أخى موسى عليهما الصلاة والسلام سكنوا مع العرب ودخلوا فيهم واختلف أهل السير فى السنة التى كانت فيها فذهب الزهرى وجماعة وجرى عليه

الموزون ثم رأيته فى ينبوع الحياة قال كان بعض الزنادقة المتظاهرين بالاسلام حفظا لنفسه وماله يعرض فى كلامه بان النبى صلى الله عليه وسلم كان يحسن الشعر يقصد بذلك تكذيب كتاب الله تعالى فى قوله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغى له قال بعضهم والحكمة فى تنزيه القرآن عن الشعر الموزون مع ان الموزون من الكلام رتبته فوق رتبة غيره ان القرآن منبع الحق ومجمع الصدق وقصارى أمر الشاعر التخيل بتصوير الباطل فى صورة الحق والافراط فى الاطراء والمبالغة فى الذم والايذاء دون اظهار الحق واثبات الصدق ولهذا نزه الله تعالى نبيه عنه ولاجل شهر الشعر بالكذب سمى أصحاب البرهان القياسات المؤدية فى أكثر الامر الى البطلان والكذب شعرية وقد جاء التنفير عن انشاد الشعر فى المسجد قال صلى الله عليه وسلم من رأيتموه ينشد شعرا فى المسجد فقولوا فض الله فاك ثلاث مرات والاخذ بعمومه فيه من العسر مالا يخفى وفى العرائس عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال من قال آدم قد قال الشعر فقد كذب على الله ورسوله ورمى آدم بالاثم وان محمدا والانبياء صلوات الله وسلامه عليهم كلهم فى النهى عن الشعر سواء وفى كلام الشيخ محيى الدين بن العربى فى قوله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغى له اعلم أن الشعر محل الاجمال واللغز والتورية أى مارمزنا لمحمد صلى الله عليه وسلم شيأ ولا الغزنا ولا خاطبناه بشئ ونحن نريد شيأ آخر ولا أجملناه الخطاب بحيث لم يفهمه واطل فى ذلك وهل يشكل على ذلك الحروف المقطعة أوائل السور ولعله رضى الله تعالى عنه لا يرى أن ذلك من المتشابه أو ان المتشابه ليس مما استأثر الله بعلمه والله أعلم (ولما رأته صلى الله عليه وسلم) الصحابة ينقل اللبن ينفض أبو ذلك أى فى نقل اللبن أى وهو المراد بالصخر فى قول بعضهم وجعل أصحابه ينقلون الصخر أو المراد الصخر الذى يبنى به الجدار وجانبا الباب كما تقدم حتى قال قائلهم

لئن قعدنا والنبى يعمل * لذاك منا العمل المضلل

وجعل يحمل كل رجل لبنة لبنة وعمار بن ياسر يحمل لبنتين لبنتين فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفض التراب عن رأس عمار ويقول يا عمار ألا تحمل كما يحمل أصحابك قال انى أريد الاجر من الله تعالى وفى رواية كان يحمل لبنة عن نفسه ولبنة عنه صلى الله عليه وسلم فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم ظهره وقال يا ابن سمية للناس أجور ولك أجران وآخر زادك أى من الدنيا شربة من لبن وجاء فى حق عمار بن سمية ما عرض عليه أمران قط الا اختار رضى الله عنه الارشد منهما اذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق وتقتلك الفئة الباغية تدعوهم الى الجنة وتدعوك الى النار وعمار يقول اعوذ بالله وفى رواية بالرحمن من الفتن أى وهذا السياق يدل على انه صلى الله عليه وسلم لم يستمر ينقل اللبن بل نقل ذلك فى بعض الاوقات وفى مسلم وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال اخبرنى من هو خير منى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الى عمار حين شغل بحفر الخندق فجعل يمسح رأس عمار ويقول ابن سمية تقتلك فئة باغية وفى رواية تعيين من ابهمه أبو سعيد وهو أبو قتادة وزاد فى رواية ان النبى صلى الله عليه وسلم

البخاري انها كانت بعد غزوة بدر وقبل أحد وذهب ابن اسحق الى انها كانت بعد بئر معونة ورجح المحققون من الحفاظ قوله قالوا وكانت في ربيع من السنة الرابعة وسببها ما تقدم قريبا ان عامر بن الطفيل أعتق عمرو بن أمية الضمري لما قتل أهل بئر معونة وكان عتقه اياه عن رقبة كانت على أمه فخرج عمرو الى المدينة فصادف بمحل يسمى القرقرة رجلين من بني عامر ثم من بني كلاب وفي رواية انهما من بني سليم فنزلا معه في ظل كان هو فيه وكان معهما عقد وعهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يشعر به عمرو فقال لهما عمرو من أنتما فذكرا له انهما من بني عامر فتركهما حتى ناما فقتلهما وظن انه ظفر بشيء بعض أصحابه الذين قتلوا ببئر معونة وجاء وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال له لقد قتلت قتيلين لأدينهما أي أعطي ديتهما أي للجوار والعهد الذي عقده لهما ثم خرج صلى الله عليه وسلم الى بني النضير ليستعين بهم في دية ذينك القتيلين اللذين قتلهما عمرو وكان بين بني النضير وبني عامر عقد وحلف فيسهل الدفع منهم لكون المدفوع لهم من حلفائهم فلما اتاهم عليه الصلاة والسلام يستعينهم في ديتهما قالوا نعم يا أبا القاسم نعينك على ما احببت مما استعنت بنا عليه وقد آن لك ان تزورنا وان تأتينا اجلس تطعم وترجع بحاجتك ونقوم فنتشاور ونصلح أمرنا فيما جئتنا به ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا انكم لن تجدوه على مثل هذا الحال منفردا ليس معه احد من أصحابه الا نحو العشرة وكان صلى الله عليه وسلم قاعدا الى جنب جدار من بيوتهم فقالوا من يعلو على هذا البيت فيلقى هذه الصخرة عليه فيقتله ويريحنا منه فانتدب لذلك عمرو ابن جحاش بن كعب فقال أنا لذلك فصعد ليلقي عليه الصخرة وفي رواية فجاء الى رحى عظيمة ليطرحها عليه ورسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن معاذ واسيد بن حضير وسعد بن عبادة رضي الله عنهم وفي رواية قالوا المار أو اقلة أصحابه نقتله ونأخذ أصحابه أسارى الى مكة فنبيعهم من قريش فقال سلام بن مشكم لليهود لا تفعلوا فوالله ليخبرن بما هممتم به وانه لناقض للعهد الذي بيننا وبينه وفي رواية قال لهم يا قوم أطيعوني في هذه المرة وخالفوني الدهر والله ان فعلتم ليخبرن بأنا قد غدرنا به وان هذا

لما حفر الخندق وكان الناس يحملون لبنة لبنة أي من الحجارة التي تقطع وعمار ناقه من وجع كان به فجعل يحمل لبنتين قال لعمار بؤسا لك يا ابن سمية تقتلك الفئة الباغية ثم رأيت بعضهم قال يشبه أن يكون ذكر الخندق وهما أو قالها عند بناء المسجد وقالها يوم الخندق هذا كلامه أي ويكون عمار بن ياسر في الخندق قد صار يحمل الحجرين وكان في بناء المسجد يحمل اللبنتين وكان عثمان بن مظعون رضي الله تعالى عنه رجلا متنظفا أي مترفها فكان اذا حمل اللبنة يجافي بها عن ثوبه لئلا يصيبه التراب فان أصابه شيء من التراب نفضه فنظر اليه علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وأنشد يقول أي مباسطة مع عثمان بن مظعون لا طعنا فيه

لا يستوي من يعمر المساجدا * يدأب فيها قائما وقاعدا * ومن يرى عن التراب حائدا

أي وكان عثمان هذا من جملة من حرم الخمر على نفسه في الجاهلية وقال لا أشرب شرابا يذهب عقلي ويضحك بي من هو أدنى مني وذكر ابن اسحق قال سألت غير واحد من أهل العلم بالشعر عن هذا الرجز هل تمثل به علي أو أنشأه فكل يقول لا أدري فسمع ذلك الرجز عمار بن ياسر فصار يرتجز بذلك وهو لا يدري من يعني بذلك فمر يرتجز بذلك على عثمان فظن عثمان ان عمارا يقصد التعريض به فقال له عثمان يا ابن سمية ما أعرفني بمن تعرض به لتكفن أولا عترضن بهذه الحديدة لحديدة كانت معه وجهك وفي لفظ والله اني أراني سأعرض هذه العصا بأنفك لعصا كانت في يده فسمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فغضب وقال ان عمار بن ياسر جلدة ما بين عيني ووضع يده الشريفة بين عينيه الشريفتين فقال الناس لعمار قد غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم أي ونخاف أن ينزل فينا قرآن فقال أنا أرضيه فقال يا رسول الله مالي ولأصحابك قال مالك ولهم قال يريدون قتلي فيحملون لبنة لبنة ويحملون علي لبنتين لبنتين أي وفي لفظ يحملون على اللبنتين والثلاث أي ولعله حمل ثلاث لبنات في بعض الاوقات فاخذ بيده وطاف به المسجد وجعل يمسح ذفرته من التراب والذفرة بالذال المعجمة الشعر الذي جوسة القفا ويقول يا ابن سمية ليسوا بالذين يقتلونك تقتلك الفئة الباغية ويقول ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم الى الجنة أي الى سببها وهو اتباع الامام الحق لانه كان يدعو الى اتباع علي وطاعته وهو الامام الواجب الطاعة اذ ذاك ويدعونه الى النار أي الى سببها وهو عدم اتباع علي وطاعته واتباع معاوية وطاعته وفيه ان تلك الفئة التي كان فيها قاتله كان فيها جمع من الصحابة وهم معذورون بالتأويل الذي ظهر لهم الا أن يقال يدعونه الى النار باعتبار اعتقاده والطائفة الباغي عليهم حينئذ باعتبار ذلك قال بعضهم وفئة معاوية وان كانت باغية لكنه بغي لا فسق فيه لانه انما صدر عن تأويل يعذر به أصحابه انتهى أي ومازاد به بعضهم في الحديث لا أنالهم الله شفاعتي يوم القيامة قال ابن كثير من روى هذا فقد افترى في هذه الزيادة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لم يقلها اذ لم تنقل عمن يقبل وقال الامام أبو العباس بن تيمية وهذا كذب مزيد في الحديث لم يروه أحد من أهل العلم باسناد معروف وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم عمار

نقض للعهد الذى بيننا وبينه قال ابن اسحق وأتى رسول الله الخبر من السماء مع جبريل عليه السلام بما أراد القوم فقام عليه الصلاة والسلام مظهرا انه يقضى حاجة خوفا ان يفطنوا له فيؤذوا أصحابه ولذا ترك أصحابه فى مجالسهم ورجع مسرعا الى المدينة ثم ان أصحابه صلى الله عليه وسلم استبطؤه فقاموا فى طلبه فقال لهم حيى بن اخطب اليهودى لقد عجل أبو القاسم كنا نريد ان نقضى حاجته ونقربه وندمت اليهود على ما صنعوا وكان حيى هو المتولى أمر ذلك وكان سيد ٨١ بنى النضير وهو والد صفية رضى الله عنها

جلدة ما بين عينى لا يعرف له اسناد والذى فى الصحيح تقتل عمارا الفئة الباغية وعن أبى العالية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قاتل عمار فى النار ومن العجب ان أبا العالية هذا هو القاتل لعمار يوم صفين فكان أبو العالية مع معاوية وكان عمار مع على أى ويقول ان عمارا لما برز للقتال قال اللهم لو أعلم رضاك عنى ان أوقد نارا فأرمى نفسى فيها لفعلت أو اغرق نفسى لفعلت وانى لا أريد قتال هؤلاء الا لوجهك الكريم وأنا أرجو أن لا تخيبنى وجعلت يده ترتعش على الحربة أى لان عمره يومئذ كان ثلاثا وسبعين سنة أى وقد كان جىء له بلبن فضحك فقيل له ما يضحكك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول آخر شراب تشربه حين تموت لبن وفى رواية آخر زادك من الدنيا مشيج من اللبن ثم نادى اليوم زخرفت الجنان وزينت الحور الحسان اليوم نلقى الاحبه محمدا وحزبه ولما قتل عمار دخل عمرو بن العاص على معاوية فزعا وقال قتل عمار فقال معاوية فقتل عمار فما ذا قال عمرو سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تقتل عمارا الفئة الباغية فقال له معاوية دحضت أى زلقت فى بولك أنحن قتلناه انما قتله من أخرجه وفى رواية قال له اسكت فوالله ما تزال تدحض أى تزلق فى بولك انما قتله على وأصحابه جاؤا به حتى ألقوه بيننا وذكر أن عليا رضى الله تعالى عنه لما احتج على معاوية رضى الله تعالى عنه بهذا الحديث ولم يسع معاوية انكاره قال انما قتله من أخرجه من داره يعنى بذلك عليا فقال على رضى الله تعالى عنه فرسول الله صلى الله عليه وسلم اذن قتل حمزة حين أخرجه ولما قتل عمار جر دخزيمة بن ثابت رضى الله تعالى عنه سيفه وقاتل مع على وكان قبل ذلك اعتزل عن الفريقين وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تقتل عمارا الفئة الباغية فقاتل معاوية حتى قتل وكان ذو الكلاع رضى الله تعالى عنه مع معاوية وقال له يوما ولعمرو ابن العاص كيف نقاتل عليا وعمار بن ياسر فقالا له ان عمارا يعود الينا ويقتل معنا فقتل ذو الكلاع قبل قتل عمار ولما قتل عمار قال معاوية لو كان ذو الكلاع حيا لمال بنصف الناس الى على أى لان ذا الكلاع كان ذووه أربعة آلاف أهل بيت وقيل عشرة آلاف وكان عبد الله ابن بديل بن ورقاء رضى الله تعالى عنه مع على رضى الله تعالى عنه فلما قتل عمار أخذ سيفين ولبس درعين ولم يزل يضرب بسيفيه حتى انتهى الى معاوية فازاله عن موقفه وأزال أصحابه الذين كانوا معه عن موقفهم ثم قام خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال ألا ان معاوية ادعى ما ليس له ونازع لامر أهله ومن ليس قبله وجادل بالباطل ليدحض به الحق وصال عليكم بالاعراب والاحزاب وزين لهم الضلالة وزرع فى قلوبهم حب الفتنة ولبس عليهم الامر وأنتم والله على الحق على نور من ربكم وبرهان مبين فقاتلوا الطغاة الجفاة قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين قاتلوا الفئة الباغية الذين نازعوا الامر أهله قوموا رحمكم الله ولما قتل عمار ندم ابن عمر رضى الله تعالى عنهما على عدم نصرة على والمقاتلة معه وقال ندمت ندامة ما أسفى على شىء ما أسفى على

وفى رواية بينما بنو النضير على ارادة لقاء الحرا ذ جاء رجل من اليهود فقال ما تريدون فذكروا له الامر فقال أين محمد قالوا هذا محمد يعنون تحت الجدار فقال لهم والله لقد تركت محمدا داخل المدينة فسقط فى أيديهم أى ندموا وقالوا قد أخبر بامرنا وفى رواية فقال لهم كنانة بن صوريا هل تدرون لم قام محمد صلى الله عليه وسلم قالوا والله ما ندرى ولا تدرى أنت فقال والله أخبر بما هممتم به من الغدر فلا تخدعوا أنفسكم والله انه لرسول الله فأبوا ان يقبلوا قوله ولما انتهى أصحابه اليه صلى الله عليه وسلم قالوا لقد ولم نشعر فاخبرهم بما أرادت اليهود من الغدر به قال موسى بن عقبة ونزل فى ذلك قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم وقيل نزلت فى الاعرابى الذى اخترط سيف النبى صلى الله عليه وسلم وهو نائم تحت شجرة وأراد ان يقتله فاستيقظ صلى الله عليه وسلم فقال الاعرابى يا محمد من يمنعك منى قال الله فسقط السيف من يده فاخذه النبى صلى الله عليه وسلم وقال للاعرابى من يمنعك منى فقال كن خير آخذ فعفا عنه فاسلم وجاء

١١ سيره ثانى الى قومه ودعاهم الى الاسلام وقال جئتكم من عند خير الناس وقيل فى سبب نزولها غير ذلك ولا مانع أن تكون نزلت فى الجميع قال ابن اسحق ثم امر النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه بالنهوض لحرب بنى النضير ثم سار بالناس اليهم وحمل الراية على بن أبى طالب رضى الله عنه واستعمل على المدينة ابن ام مكتوم رضى الله عنه وكان بينهم وبين المدينة نحو ميلين فى عوالى المدينة من ناحية قباء فنزل بهم وحاصرهم ست ليال وقيل خمسة عشر يوما وقيل قريبا من عشرين فتحصنوا منه بالحصون فقطع نخلا لهم يسمى العجوة

وآخر يسمى اللين وكان ذلك احرق لهم لان ذلك خير أموالهم فلما قطعت العجوة شق النساء الجيوب وضرب الخدود ودعون بالويل وحرق بعض نخيلهم أيضا فنادوه يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه فما بال قطع النخيل وتحريقها أهو فساد أم اصلاح حتى ان بعض المسلمين وقع فى نفوسهم من هذا الكلام شئ فخافوا أن يكون فعلهم ذلك فساد او بعض المسلمين قابل نقطع لتغيظهم بذلك والذين وقع فى نفوسهم وتوقفوا لم يكونوا سمعوا أمر النبى صلى الله عليه وسلم الذى لا ينطق عن الهوى فاعتقدوا ان ذلك كان باجتهاد القاطعين حتى أنزل الله تعالى ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فباذن الله وليخزى الفاسقين يعنى اليهود قال بعضهم واللينة أنواع التمر ماعدا العجوة والبرنى وقيل اللينة كرام النخل وقيل كل الاشجار لينها وانواع نخل المدينة مائة وعشرون نوعا وقال السيد السمهودى مائة وبضع وثلاثون نوعا وكان موضع نخل بنى النضير الذى حرق بالبويرة تصغير بورة وهى الحفرة وهو مكان معروف من جهة مسجد قباء الى جهة الغرب قال ابن اسحق وقد كان رهط من المنافقين منهم عبد الله بن أبى ابن سلول بعثوا الى بنى النضير حين هموا بالخروج ان اثبتوا وتمنعوا فانا لن نسلمكم ان قوتلتم قاتلنا معكم وان اخرجتم خرجنا معكم فانتظروا ذلك وقذف الله الرعب فى قلوبهم فلم ينصروهم وفى ذلك نزل قوله تعالى ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون ثم لما اشتد عليهم الحصار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجليهم عن أرضهم ويكف عن دمائهم وكان العهد جلاؤهم نقمة عليهم من الله تعالى وروى ابن سعد أن النبى صلى الله عليه وسلم حين هموا بغدره وأعلمه الله بذلك نهض الى المدينة سريعا ثم بعث اليهم محمد بن مسلمة رضى الله عنه ان اخرجوا من بلدى فلا تساكنونى بها وقد هممتم بما هممتم به من الغدر وقد أجلتكم عشرا فمن رؤى منكم بعد ذلك ضربت عنقه فمكثوا على ذلك أياما يتجهزون واكثروا من الناس من أشجع ابلا فارسل اليهم عبد الله بن أبى

ترك قتال الباغية قال بعضهم شهدنا صفين مع على بن أبى طالب فى ثمانمائة من أهل بيعة الرضوان وقتل منهم ثلاثة وستون منهم عمار بن ياسر وكان خزيمة بن ثابت الذى جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادة رجلين كان مع على يوم صفين كافا سلاحه حتى قتل عمار جرد سيفه وقاتل حتى قتل لانه كان يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عمار تقتله الفئة الباغية وفى الحديث من عادى عمارا عاداه الله ومن أبغض عمارا أبغضه الله عمار يزول مع الحق حيث يزول عمار خلط الايمان بلحمه ودمه عمار ما عرض عليه أمران الا اختار الارشد منهما وجاء ان عمارا دخل على النبى صلى الله عليه وسلم فقال مرحبا بالطيب المطيب ان عمار بن ياسر حشى مابين اخمص قدميه الى شحمة أذنه ايمانا وفى رواية ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه وتخاصم عمار مع خالد بن الوليد فى سرية كان فيها خالد أميرا فلما جاء اليه صلى الله عليه وسلم استبا عنده فقال خالد يا رسول الله أيسرك ان هذا العبد الاجدع يشتمنى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا خالد لا تسب عمارا فان من سب عمارا فقد سب الله ومن أبغض عمارا أبغضه الله ومن لعن عمارا لعنه الله ثم ان عمارا قام مغضبا فقام خالد فتبعه حتى أخذ بثوبه واعتذر اليه فرضى عنه وعن سعد بن ابى وقاص رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحق مع عمار ما لم يغلب عليه دلهة الكبر وهذا الحديث من اعلام النبوة فان عمارا وقع بينه وبين عثمان بن عفان بعض الشحناء وأشيع عنه انه يريد أن يخلع عثمان فاستدعاه سعد بن أبى وقاص وكان مريضا فقال له ويحك يا أبا اليقظان كنت فينا من أهل الخير فما الذى بلغنى عنك من السعى فى الفساد بين المسلمين والتأليب على أمير المؤمنين أمعك عقلك أم لا فغضب عمار ونزع عمامته وقال خلعت عثمان كما خلعت عمامتى هذه فقال سعد انا لله وانا اليه راجعون ويحك حين كبر سنك ورق عظمك ونفد عمرك خلعت ربقة الاسلام من عنقك وخرجت من الدين عريانا كما ولدتك أمك فقام عمار مغضبا مولیا وهو يقول أعوذ بربى من فتنة سعد وعند ذلك روى سعد الحديث وقال قد دله وخرف عمار وأظهر عمار القوم على ذلك قال وجعلت قبلة المسجد الى بيت المقدس وجعل له ثلاثة أبواب باب فى مؤخره والباب الذى كان يقال له باب عاتكة وكان يقال له باب الرحمة والباب الذى يقال له الآن باب جبريل انتهى أى وهو الباب الذى كان يدخل منه صلى الله عليه وسلم ويقال له باب عثمان لانه كان يلى دار عثمان وهو الذى يخرج منه الآن الى البقيع (أقول) وجعل قبلته الى بيت المقدس كان قبل أن تحول القبلة ولما حولت حولت قبلته الى الكعبة وهذا محمل قوله صلى الله عليه وسلم ما وضعت قبلة مسجدى هذا حتى رفعت لى الكعبة فوضعتها أتيمها أو أؤمها أى أقصدها وفى رواية ما وضعت قبلة مسجدى هذا حتى فرج لى ما بينى وبين الكعبة والله أعلم أى وفى كلام بعضهم ومن الفوائد الحسنة ما ذكره مغلطاى ان موضع المسجد كان ابتاعه تبع لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه بألف سنة وانه لم يزل على ملكه أى متعلقا به من ذلك

لاتخرجوا من داركم وأقيموا فى حصونكم فان معى ألفين من قومى من العرب يدخلون حصونكم ويموتون عن آخرهم قبل أن يصل اليكم شئ وتمدكم قريظة وحلفاؤكم من غطفان فطمع حيى بن اخطب فيما قاله عبد الله بن أبى فارسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا لن نخرج من ديارنا فاصنع ما بدا لك وكان قد نهى حييا عن فعل ذلك أحد سادات بنى النضير وهو سلام بن مشكم وقال له ياحيى منتك نفسك والله ياحيى ان قول ابن أبى ليس بشئ وانما يريد أن يورطك

فى الهلكة حتى تحارب محمدا فيجلس فى بيته ويتركك فأبى ولما أرسل حيى انا لانخرج أظهر صلى الله عليه وسلم التكبير وكبر المسلمون بتكبيره وقال حاربتهم ودوسار اليهم عليه الصلاة والسلام فى أصحابه مشاة على أرجلهم لقرب الموضع وقيل ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار فصلى العصر بفناء بنى النضير فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قاموا على حصونهم ومعهم النبل والحجارة واعتزلتهم قريظة ولم تعنهم واعتزلهم عبد الله بن أبى ولم يعنهم وكذا حلفاؤهم من غطفان فقال سلام بن مشكم لحيى أين الذى زعمت قال ما أصنع ملحمة كتبت علينا وبنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبة من خشب عليها مسوح أرسل بها اليه سعد بن عبادة وجعلوها عند مسجد بنى خطمة ودخلها صلى الله عليه وسلم وكان عزوك اليهودى راميا فيرمى فيبلغ القبة فحولت الى مسجد الفضيخ فتباعدت من النبل ثم فقد على رضى الله عنه فى ليلة قرب العشاء فقال الناس يارسول الله ما نرى عليا فقال دعوه فانه فى بعض شأنكم فعن قليل جاء برأس عزوك وكان قد كمن له حين خرج يطلب غرة من المسلمين وكان شجاعا راميا فشد عليه على رضى الله عنه فقتله وفر من كان معه وبعث صلى الله عليه وسلم خلفهم أبا دجانة وسهل بن حنيف فى عشرة فأدركوا اليهود الذين فروا من على رضى الله عنه فقتلوهم وطرحوا رؤسهم فى بعض الآبار فيئسوا من نصرهم فقالوا نحن نخرج من بلادك فقال لا أقبله اليوم ثم قال لهم اخرجوا منها ولكم دماؤكم وما حملت الابل الا الحلقة وهى الدروع والسلاح فرضوا بذلك ونزلوا عليه فكانوا يخربون بيوتهم بايديهم لينقلوا ما استحسنوه منها من خشب وغيره وايدى المؤمنين يخربون باقيها فكان أهلها يخربونها

العهد على ما دل عليه كتاب تبع (أقول) سيأتى ان تبعا بنى للنبى صلى الله عليه وسلم دارا بالمدينة اذا قد مها ينزل فى تلك الدار وانه يقال انها دار أبى أيوب وقد يجمع بأنه يجوز ان يكون ذلك المريد دار أبى أيوب مجموعها تلك الدار وان تلك الدار قسمت فكان دار أبى أيوب بعضها وذلك المريد بعضها الآخر وان الايدى تداولت سكنى تلك الدار الى ان صارت سكنا لابى أيوب وهذا هو المراد بقول المواهب تداولت الدار الملاك الى أن صارت لابى أيوب لكن قد يقال لو كانت الدار مذكورة فى الكتاب لذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان الكتاب كما سيأتى وصل اليه فى مكة فى أول البعثة ونزوله دار أبى أيوب وأخذه المريد على الكيفية المذكورة يبعد ذلك أى انه ذكر له أمر تلك الدار والله أعلم قال ومكث صلى الله عليه وسلم يصلى فى المسجد بعد تمامه لبيت المقدس خمسة أشهر ولما حولت القبلة سد صلى الله عليه وسلم الباب الذى كان فى مؤخر المسجد (وفى كلام بعضهم) لما حولت القبلة لم يبق من الابواب التى كان يدخل منها صلى الله عليه وسلم الا الباب الذى يقال له باب جبريل عليه السلام أى فانه بقى فى محله وأما باب الرحمة الذى كان يقال له أيضا باب عاتكة فأخر عن محله (وسبب) وضع الحصا فى المسجد ان المطر جاء ذات ليلة فأصبحت الارض مبتلة فجعل الرجل يأتى بالحصا فى ثوبه فيبسطه تحته ليصلى عليه فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة قال ما أحسن هذا وفى رواية ما أحسن هذا البساط وقد يعارض هذا ما قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر ان يحصب المسجد فقال قبل ذلك فحصبه عمر رضى الله تعالى عنه (أقول) قد يقال لا معارضة لانه يجوز أن يكون صلى الله عليه وسلم لما أعجبه ذلك من فعل بعض الصحابة أمره ان يحصب جميع المسجد لان الواقع تحصيب بعضه لكن يشكل على ذلك قول بعضهم من البدع فرش المساجد الا ان يراد بالحصر ونحوها لانه لم يكن فى زمنه صلى الله عليه وسلم ولا أمر به ثم رأيت بعضهم ذكر ذلك حيث قال أول من فرش الحصر فى المساجد عمر بن الخطاب وكانت قبل ذلك مفروشة بالحصباء أى فى زمنه صلى الله عليه وسلم كما تقدم (وفى الاحياء) أكثر معروفات هذه الاعصار منكرات فى عصر الصحابة رضى الله تعالى عنهم اذ من عزيز المعروف فى زماننا فرش المساجد بالبسط الرقيقة فيها وقد كان يعد فرش البوارى فى المسجد بدعة كانوا لا يرون أن يكون بينهم وبين الارض حائل هذا كلام الاحياء أى والحصباء لا تعد حائلا وسيأتى ان المسجد بنى بعد فتح خيبر وهى التى عناها خارجة رضى الله تعالى عنه بقوله لما كثر الناس قالوا يارسول الله لو زيد فيه ففعل ولعلها هى التى ادخل فيها الارض التى اشتراها عثمان رضى الله تعالى عنه من بعض الانصار بعشرة آلاف درهم ثم جاء عثمان الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أتشترى منى البقعة التى اشتريتها من الانصار أى التى كانت مجاورة للمسجد فاشتراها منه ببيت فى الجنة أى وفى رواية أن عثمان رضى الله تعالى عنه لما حصر أى الحصرة الثانية وأشرف على الناس من فوق سطح داره وقد اشتد به العطش قال أههنا على قالوا لا قال أههنا طلحة قالوا لا

من داخلها والمؤمنون من خارجها نكالا وخزيا لهم وقيل كانوا يخربون بيوتهم بايديهم حسدا وبغضا للمسلمين ان يسكنوها بعدهم ثم أجلاهم عن المدينة قال الله تعالى ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا أي بالقتل والسبي ولهم في الآخرة عذاب النار أي مع ذلك فلذا لم يستأصلهم بالقتل أو ان الله رأى مصلحة في اجلائهم وان حربهم قد يؤدي الى سفك دماء المسلمين وقد يرجع حلفاؤهم ويعينونهم وولى صلى الله عليه ٨٤ وسلم اخراجهم محمد بن مسلمة الانصاري رضي الله عنه وحملوا النساء والصبيان على الهوادج وعليهن الديباج والحرير والخز الاخضر والاحمر والمعصفر وحلي الذهب والفضة وأظهروا تجلدا عظيما قال ابن اسحق خرجوا بالنساء والابناء والاموال ومعهم الدفوف والمزامير والقينات يعزفن خلفهم بزهاء وفخر لم ير مثله ولم يسلم منهم الا يامين ابن عمير وأبو سعد بن وهب فأحرزا أموالهما قال وحدثني بعض آل يامين ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ليامين ألم ترما لقيت من ابن عمك وما هم به في شأني يعني عمرو ابن جحاش الذي هم بالقاء الحجر فجعل يامين لرجل من قيس عشرة دنانير وقيل خمسة أوسق من تمر على ان يقتل عمرو بن جحاش فقتله غيلة وحملوا أمتعتهم على ستمائة بعير ولحق أكثرهم بخيبر منهم حيي بن اخطب وسلام بن أبي الحقيق وكنانة بن الربيع ودان لهم أهل خيبر فبقوا هناك حتى أهلكهم الله في غزوة خيبر كما سيأتي ان شاء الله تعالى وذهب بعضهم الى اذرعات واريحاء من أرض الشام وروى موسى بن عقبة انهم قالوا الى أين نخرج يا محمد قال الى المحشر يعني أرض المحشر وهي الشام وقيل المحشر الجلاء فأول الحشر الجلاء والحشر الثاني هو حشر النار التي تخرج من قعر عدن فتحشر الناس الى الموقف تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا وتاكل من تخلف وحزن المنافقون عليهم عليه

قال أنشدكم بالله الذي لا اله الا هو أتعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من يبتاع مربد بني فلان أي لمربد كان مجاورا للمسجد غفر الله له فابتعته بعشرين ألفا أو بخمسة وعشرين ألفا شك عثمان وتقدم انه اشتراه بعشرة آلاف درهم فليتأمل فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت قد ابتعته فقال اجعله مسجدنا وأجره لك قالوا اللهم نعم فكان ذلك وفي لفظ انشدكم بالله وبالاسلام هل تعلمون ان المسجد ضاق باهله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يشتري بقعة ابن فلان لبقعة كانت الى جنب المسجد فقال صلى الله عليه وسلم من يشتريها ويوسعها في المسجد له مثلها وفي لفظ بخير له منها في الجنة فاشتريتها ووسعتها في المسجد فأنتم الآن تمنعوني أن أصلي فيها ركعتين أي وزاد فيه عثمان رضي الله تعالى عنه بعد ذلك زيادة كبيرة وبنى جداره بالحجارة المنقوشة وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه بالساج كما في البخاري وعدد عثمان رضي الله تعالى عنه أشياء منها انه قال أنشدكم بالله وبالاسلام هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة ولم يكن يشرب منها أحد الا بالثمن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يشتري بئر رومة يجعل دلوه فيها مع دلاء المسلمين وفي لفظ ليكون دلوه فيها كدلاء المسلمين بخير له منها في الجنة وفي لفظ له بها مشرب في الجنة فاشتريتها من صلب مالي فجعلتها للغني والفقير وابن السبيل قالوا اللهم نعم قال فأنتم اليوم تمنعوني ان اشرب منها بل وتمنعوني الماء الا أحد يسقينا فاني فطر على الماء الملح وفي رواية هل فيكم من يبلغ عليا عطشنا فأبلغوه فلما بلغ ذلك عليا أرسل اليه بثلاث قرب مملوأة ماء فما كادت تصل اليه وجرح بسببها عدة من موالي بني هاشم وبني أمية أي وكانت هذه البئر ركية ليهودي يقال له رومة يقال انه أسلم وكان يبيع المسلمين ماءها كانت بالعقيق وتفل فيها صلى الله عليه وسلم فعذب ماؤها ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يشتري بئر رومة فيجعلها للمسلمين يضرب بدلوه في دلائهم وله بها مشرب في الجنة فساومه فيها عثمان فأبى أن يبيعها كلها فاشترى نصفها باثني عشر ألف درهم وجعل ذلك للمسلمين وجعل له يوما وللهودي يوما فاذا كان يوم عثمان استقى المسلمون ما يكفيهم يومين فلما رأى اليهودي ذلك قال لعثمان أفسدت علي ركيتي فاشترى النصف الآخر بثمانية آلاف وقيل جملة ما اشتراها به خمسة وثلاثون ألف درهم وقول عثمان جعلتها للغني والفقير وابن السبيل دليل على ان قوله دلوي فيها كدلاء المسلمين على انه لم يشترط ذلك بل قد يدبه التعميم في الموقوف عليه ولا دليل فيه على جواز أن للواقف أن يشترط له الانتفاع بما وقفه كما زعمه بعضهم وكان حصار عثمان رضي الله تعالى عنه شهرين وعشرين يوما وفي كلام سبط ابن الجوزي كان الحصار الاول عشرين يوما والثاني أربعين يوما وفي يوم من تلك الايام قال ودت لو أن رجلا صادقا أخبرني عن أمري هذا أي من أين أوتيت فقام رجل من الانصار فقال أنا أخبرك يا أمير المؤمنين انك تطأطأت لهم فركبوك وتجرأوا عليك ظلما الا افراط حلمك فقال له صدقت اجلس (وأول من دخل

سنة من الشعير والتمر لازواجه وبنى عبد المطلب ومافضل جعله فى السلاح والكراع أى الخيل هذا ماذهب اليه الامام أبو حنيفة رضى الله عنه وجاء فى بعض الروايات انه خمسها واليه ذهب الامام الشافعى رضى الله عنه فقال قسمها عليه الصلاة والسلام بين المهاجرين ليرفع بذلك مؤنتهم أى مشقتهم عن الانصار أى بحسب الواقع ونفس الامر وان كان الانصار يرون ذلك من أعظم النعم قال تعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة وكانوا قد قاسموهم فى الاموال والديار لما هاجروا وآخى بينهم صلى الله عليه وسلم فذهب كل أنصارى بالمهاجرى الذى آخى بينه وبينه صلى الله عليه وسلم الى منزله وكفاه المؤنة ثم تنافسوا حتى آل أمرهم الى القرعة فاى أنصارى تخرج القرعة باسمه يذهب بالمهاجرى فبلغت مواساتهم الغاية القصوى رضى الله عنهم حتى ورد فى الصحيح ان سعد بن الربيع الانصارى رضى الله عنه قال لاخيه عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه هلم اقسم مالى بينى وبينك نصفين ولى امرأتان انظر أعجبهما اليك أطلقها فاذا انقضت عدتها فتزوجها فقال عبد الرحمن بارك الله لك فى أهلك ومالك ثم قال دلونى على السوق وصار يبيع ويشترى حتى كان أكثر الصحابة مالا رضى الله عنه وعنهم (وروى الحاكم) عن أم العلاء رضى الله عنها قالت طار لنا عثمان ابن مظعون فى القرعة فكان فى منزلى حتى توفى رضى الله عنه قالت فكان المهاجرون فى دور الانصار واموالهم فلما غنم صلى الله عليه وسلم اموال بنى النضير دعا ثابت بن قيس بن شماس فقال ادع لى قومك قال ثابت الخزرج فقال صلى الله عليه وسلم الانصار كلها فدعاله الاوس والخزرج فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم ذكر الانصار وما صنعوا بالمهاجرين وانزالهم اياهم فى منازلهم وأموالهم وايثارهم اياهم على انفسهم ثم قال ان احببتم قسمت بينكم وبين المهاجرين ما أفاء الله على من بنى النضير وكان المهاجرون على ماهم عليه من السكنى فى منازلكم واموالكم وان احببتم أعطيتهم وخرجوا من دوركم فقال سعد بن عبادة رضى الله عنه يارسول الله بل تقسم بين المهاجرين ويكونون فى دورنا كما كانوا وقالت الانصار كلهم رضينا وسلمنا يارسول الله فقال صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم الانصار وأبناء الانصار وفى رواية وأبناء أبناء الانصار رضى الله عنهم وقسم ما أفاء الله

٨٥

عليه الدار) محمد بن أبى بكر تسور عليه هو وجماعة من الحائط من دار عمرو بن حزم فأخذ بلحيته فقال له دعها يا ابن أخى فو الله لقد كان أبوك يكرمها فاستحى وخرج وفى رواية لما أخذ بلحيته هزها وقال له ما اغنى عنك معاوية وما أغنى عنك ابن أبى سرح فقال له يا ابن أخى أرسل لحيتى فو الله انك لتجر لحية كانت تعز على أبيك وما كان أبوك يرضى مجلسك هذا منى فتركه وخرج ويقال انه قال له ما أريد بك أشد من قبضى على لحيتك فقال عثمان استنصر بالله عليك واستعين به ثم طعن جبينه بمشقص كان فى يده ثم ضربه بعض هؤلاء بالسيف فأتته نائلة زوج عثمان فقطع اصابع يدها الخمس * وعن ابن الماجشون عن مالك أن عثمان بعد قتله ألقى على المزبلة ثلاثة أيام وقيل اغلق عليه بابه بعد قتله ثلاثة أيام لا يستطيع احد ان يدفنه فلما كان الليل أتاه اثنا عشر رجلا منهم حويطب بن عبد العزى وحكيم بن حزام وعبد الله بن الزبير وقيل صلى عليه أربعة وان ابن الزبير لم يشهد قتل عثمان فاحتملوه فلما اجتازوا به للمقبرة منعوهم وقالوا والله لا يدفن فى مقابر المسلمين فدفنوه بحش كان الناس يتوقون ان يدفنوا موتاهم به فكان يمر به ويقول سيدفن هنا رجل صالح فيتأسى به الناس فى دفن موتاهم به وكان ذلك المحل بستانا فاشتراه عثمان وزاده فى البقيع فكان هو اول من قبر فيه وحملوه على باب وان رأسه ليقرع الباب لاسراعهم به من شدة الخوف ولما دفنوه عفوا قبره خوفا عليه ان ينبش واما غلاماه اللذان قتلا معه فجروهما برجليهما وألقوهما على التلال فاكلتهما الكلاب وسبب هذه الفتنة انهم نقموا عليه امورا منها عزله لاكابر الصحابة ممن ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم من اوصى عمر رضى الله تعالى عنه بان يبقى على ولايته وهو ابو موسى الاشعرى رضى الله تعالى عنه من البصرة فان عمر رضى الله تعالى عنه أوصى بان يبقى على ولايته فعزله عثمان وولى ابن خاله عبد الله بن عامر محله وعزل عمرو بن العاص عن مصر وولاها ابن أبى سرح وعزل المغيرة بن شعبة عن الكوفة وعزل ابن مسعود رضى الله تعالى عنه عنها أيضا واشخصه الى المدينة وعزل سعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه عن الكوفة وولى أخاه لامه الوليد ابن عقبة بن أبى معيط الذى سماه الله تعالى فاسقا بقوله تعالى أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا وصار الناس يقولون بئس ما فعل عثمان عزل اللين الهين الورع المستجاب الدعوة وولى اخاه الخائن الفاسق المدمن للخمر ولعل مستندهم فى ذلك ما رواه الحاكم فى صحيحه من ولى رجلا على عصابة وهو يجد فى تلك العصابة من هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين ومنها انه ادخل عمه الحكم بن أبى العاص والد مروان المدينة وكان يقال له طريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعينه وقد كان صلى الله عليه وسلم طرده الى الطائف ومكث به مدة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدة أبى بكر بعد ان سأله عثمان فى ادخاله المدينة فابى فقال له عثمان عمى فقال عمك الى النار هيهات هيهات ان أغير شيأ فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا رددته أبدا فلما توفى أبو بكر وولى عمر كلمه عثمان فى ذلك فقال له ويحك يا عثمان تتكلم فى لعين رسول الله

واعطى المهاجرين ولم يعط أحدا من الانصار شيأ غير انه أعطى أبا دجانة وسهل بن حنيف لحاجتهما واعطى سعد بن معاذ سيف ابن أبي الحقيق اليهودي وكان سيفا له ذكر عندهم وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم قال للانصار ليس لاخوانكم من المهاجرين أموال فان شئتم قسمت هذه واموالكم بينكم وبينهم جميعا وان شئتم امسكتم اموالكم وقسمت هذه خاصة فقالوا بل اقسم هذه فيهم واقسم لهم من اموالنا ما شئت فنزلت ويؤثرون ٨٦ على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه جزاكم الله خيرا يا معشر الانصار فوالله ما مثلنا ومثلكم الا كما قال القنوي

جزى الله عنا جعفرا حين ازلقت ... بنا نعلنا في الواطئين فزلت

أبوا ان يملونا وان كان امنا ... تلاقى الذي يلقون منا لملت

وكان صلى الله عليه وسلم يزرع تحت النخيل في أرضهم فيدخر من ذلك قوت أهله وأزواجه سنة وما فضل جعله في الكراع والسلاح قال ابن اسحق ونزل في أمر بني النضير سورة الحشر بأسرها قال السهيلي اتفاقا وفي البخاري عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس رضي الله عنهما سورة الحشر قال قل سورة النضير قال الداودي كأنه كره تسميتها بذلك لئلا يظن انه يوم القيامة أو لاجماله فكره النسبة الى غير معلوم وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما سورة الحشر في بني النضير وذكر الله فيها ما أصابهم من النقمة والله سبحانه وتعالى أعلم وقد أشار صاحب الهمزية لبعض تلك القصة بقوله

خدعوا بالمنافقين وهل ينـ ... ـفق الا على السفيه الشقاء

ونهتهم وما انتهت عنه قوم ... فأبيد الاشرار والنهاء

أسلموهم لاول الحشر لما ... مادهم صادق ولا الايلاء

سكن الرعب والخراب قلوبا ... وبيوتا منهم نعاها الجلاء

صلى الله عليه وسلم وطريده وعدو الله وعدو رسوله فلما ولى عثمان رده الى المدينة فاشتد ذلك على المهاجرين والانصار فانكر ذلك عليه اعيان الصحابة فكان ذلك من أكبر الاسباب على القيام عليه واعتذر عثمان عن ذلك بان النبي صلى الله عليه وسلم كان وعده برده وهو في مرض موته قال فشهدت عند أبي بكر فقال انك شاهد واحد ولا تقبل شهادة الواحد ثم قال لي عمر كذلك فلما صار الامر الي قضيت بعلمي أي واما عزله لابي موسى فان جند عمله شكوا منه فعزله خوف الفتنة ومنها انه جاء الى عثمان أهل مصر يشكون ممن ولاه عليهم وهو ابن أبي سرح وقالوا كيف توليه على المسلمين وقد أباح رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح دمه وتنزل عمرو بن العاص عنا ورد هذا بان عزله لعمرو انما كان لكثرة شكايتهم منه وابن أبي سرح أسلم بعد الفتح وحسن حاله ووجدوه لسياسة الامر أقوى من عمرو بن العاص وعزله للمغيرة بانه انهى اليه فيه انه ارتشى فرأى المصلحة في عزله فلما عادوا الى مصر قتل ابن أبي سرح رجلا منهم فعادوا الى عثمان وكلموا أكابر الصحابة كعلي وطلحة بن عبيد الله فقالوا اعزله عنهم فانهم يسألونك رجلا مكانه فقال لهم عثمان يختارون رجلا أوليه عليهم فاختاروا محمد بن أبي بكر فكتب اليه عهده وولاه فخرج وخرج معه جماعة من المهاجرين والانصار وجماعة من التابعين لينظروا بين أهل مصر وبين ابن أبي سرح فلما كان محمد بن أبي بكر ومن معه على مسيرة ثلاثة مراحل من المدينة فاذا هم بغلام أسود على بعير فقالوا له ما قضيتك فقال لهم انا غلام أمير المؤمنين أرسلني الى عامل مصر فقال له واحد منهم هذا عامل مصر يعني محمد بن أبي بكر فقال ما هذا أريد فلما أخبر ذلك الرجل محمد بن أبي بكر استدعاه فقال له بحضور من معه من المهاجرين والانصار أنت غلام من فصار تارة يقول غلام أمير المؤمنين وتارة يقول غلام مروان فعرفه رجل من القوم وقال هذا غلام عثمان فقال له محمد الى من أرسلت قال الى عامل مصر برسالة قال معك كتاب قال لا ففتشوه فاذا معه كتاب من عثمان الى ابن أبي سرح في قصبة من رصاص في جوف الاداوة في الماء ففتح الكتاب فحضره جميع من معه فاذا فيه اذا أتاك محمد وفلان وفلان فاحتل في قتلهم وفي رواية انظر فلانا وفلانا اذا قدموا عليك فاضرب اعناقهم وعاقب فلانا بكذا وفلانا بكذا فمنهم نفر من الصحابة ونفر من التابعين وفي رواية اذبح محمد بن أبي بكر واحش جلده تبنا واكرن على عملك حتى يأتيك كتابي فلما قرؤا الكتاب فزعوا ورجعوا الى المدينة وقرئ الكتاب على جميع من بالمدينة من الصحابة والتابعين فمنهم أحد الا واغتم لذلك فدخل عليه علي مع جماعة من أهل بدر ومعه الكتاب والغلام فقالوا له هذا الغلام غلامك قال نعم قالوا والبعير بعيرك قال نعم قالوا فانت كتبت هذا الكتاب فقال لا وحق بالله ما كتبت هذا الكتاب ولا أمرت به ولا علم لي به فقال له علي والخاتم خاتمك قال نعم قال فكيف يخرج غلامك ببعيرك وبكتاب عليه ختمك وأنت لا تعلم به فحلف بالله ما أمرت بهذا الكتاب ولا وجهت هذا الغلام الى مصر فعرفوا أنه خط مروان لعثمان

﴿غزوة ذات الرقاع﴾ وتسمى غزوة محارب وغزوة بني ثعلبة وغزوة بني أنمار وغزوة لان صلاة الخوف لوقوعها فيها وغزوة الاعاجيب لما وقع فيها من الامور العجيبة واختلف فيها متى كانت وفي سبب تسميتها بذلك فقال ابن اسحق انها كانت بعد بني النضير سنة أربع في شهر ربيع الآخر وبعض جمادى الاولى وقيل انها كانت سنة خمس ومال البخاري الى انها كانت بعد خيبر وخيبر انما كانت سنة سبع واستدل لذلك بامور منها ان هذه الغزوة حضرها أبو موسى الاشعري رضي الله عنه

وهو انما جاء بعد فتح خيبر وقال الغزالى انها آخر الغزوات وغلطه ابن الصلاح وانتصر بعضهم للغزالى بأن مراده آخر الغزوات التى صلى فيها صلاة الخوف ونازع بعضهم فى ذلك وسبب تسميتها بذات الرقاع انهم رقعوا فيها راياتهم وقيل لشجرة فى ذلك الموضع يقال لها ذات الرقاع وقيل ان الارض التى نزلوا بها فيها بقع سود وبيض كأنها مرقعة برقاع مختلفة فسميت ذات الرقاع لذلك وقيل لان خيلهم كان بها سواد وبياض وقيل لصلاتهم فيها صلاة الخوف فسميت بذلك لترقيع ٨٧ الصلاة فيها لانهم فعلوا بعضها منفردين عن النبى صلى الله عليه وسلم وبعضها معه فأشبه ذلك اصلاح خلل الثوب برقعه قال السهيلى واصح الاقوال كلها مارواه البخارى ومسلم عن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة ونحن ستة نفر أى من الاشعريين بيننا بعير نعتقبه فنقبت أقدامنا ونقبت قدماى وسقطت اظفارى أى من الحفاء فكنا نلف على ارجلنا الخرق فسميت غزوة ذات الرقاع لما كنا نعصب من الخرق على أرجلنا وكان من خبر هذه الغزوة ماقاله ابن اسحق قال غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم نجدا يريد بنى محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان وبنى ثعلبة بن سعد بن غطفان بن قيس بن عيلان فحارب وسعد ابناعم وسبب ذلك انه عليه الصلاة والسلام بلغه انهم جمعوا جموعا لمحاربته صلى الله عليه وسلم فاخبر أصحابه وأمرهم بالتجهز ثم خرج فى أربعمائة من أصحابه وقيل سبعمائة وقيل ثمانمائة واستعمل على المدينة أباذر الغفارى رضى الله عنه وقيل عثمان بن عفان رضى الله عنه وسار الى ان وصل الى موضع يسمى وادى الشقرة وبث السرايا فرجعوا اليه من الليل وأخبروه انهم لم يروا أحدا فسار حتى نزل نخلا وهو موضع من نجد من أراضى غطفان فلم يجد فى مجالسهم الا نسوة فأخذهن فبلغ الخبر القوم فخافوا وتفرقوا فى رؤس الجبال ثم اجتمع جمع منهم وجاؤا لمحاربة جيش النبى صلى الله عليه وسلم فتقارب الناس ودنا بعضهم من بعض واخاف الناس بعضهم بعضا حتى صلى النبى صلى الله عليه وسلم بالناس صلاة الخوف فى صلاة العصر ولم يكن بينه وبين القوم حرب وألقى الله فى قلوبهم الرعب وتفرقت جموعهم خائفين منه صلى الله عليه وسلم (وفى هذه الغزوة) نزل صلى الله عليه وسلم ليلا فى شعب استقبله

لان عثمان لا يحلف باطلا وفى رواية الخط خط كاتبى والخاتم خاتمى وفى رواية انطلق الغلام بغير أمرى وأخذ الجمل بغير علمى قالوا فانقش خاتمك قال نقش عليه مروان فسألوه ان يدفع لهم مروان وكان مروان عنده فى الدار فابى فخرجوا من عنده غضابا وقالوا لا يبرأ عثمان الا أن يدفع الينا مروان حتى نبحث ونعرف حال الكتاب فان كان عثمان أمر به عزلناه وان كان مروان كتبه على لسان عثمان نظرنا مايكون فى أمر مروان فابى عثمان ان يخرج اليهم مروان خوفا عليه من القتل فحصر عثمان بسبب ذلك ومنعوه الماء ووقع ماتقدم وذكر ابن الجوزى انه لما دخل المصريون على عثمان رضى الله عنه والمصحف فى حجره يقرأ فيه فمدوا اليه أيديهم فديده فضربت فسال الدم وقيل وقعت قطرة على فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم فقال اما انها اول يد خطت المفصل هذا كلامه أى وهذا من اعلام النبوة فقد أخرج الحاكم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا عثمان تقتل وانت تقرأ سورة البقرة فتقع قطرة من دمك على فسيكفيكهم الله قال الذهبى انه حديث موضوع أى قوله فيه وانت تقرأ الى آخره وروى انه لما حوصر قال والله مازنيت فى جاهلية ولا اسلام ولا تمنيت ان لى بدينى بدلا منذ هدانى الله ولا قتلت نفسا فبم تقتلوننى وقال ياقوم لا يجرمنكم شقاقى أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أوقوم هود أوقوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد ياقوم لاتقتلونى انكم ان قتلتمونى كنتم هكذا وشبك بين أصابعه وقال معددا النعم الله تعالى عليه ماوضعت يدى على فرجى منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وما مرت بى جمعة منذ أسلمت الا وأنا أعتق فيها رقبة الا ان لا يكون عندى شئ فاعتقها بعد ذلك (قال بعضهم) وجملة من أعتقه عثمان ألفان وأربعمائة رقبة تقريبا (وذكر) انه رأى فى الليلة التى قتل فى يومها المصطفى صلى الله عليه وسلم وأبابكر وعمر فى المنام وقالوا له اصبر فانك تفطر عندنا الليلة القابلة فلما أصبح دعا بالمصحف فنشره بين يديه ولبس السراويل ولم يكن لبسها قبل ذلك فى الجاهلية ولا فى الاسلام خوفا ان يطلع على عورته عند قتله وكان من جملة ما انتقم به على عثمان رضى الله تعالى عنه انه اعطى ابن عمه مروان بن الحكم مائة ألف وخمسين أوقية واعطى الحرث عشر ما يباع فى السوق أى سوق المدينة وانه جاء اليه ابو موسى بكيلة ذهب وفضة ففسمها بين نسائه وبناته وانه أنفق أكثر بيت المال فى عمارة ضياعه ودوره وانه حمى لنفسه دون ابل الصدقة وانه حبس عبد الله بن مسعود وهجره وحبس عطاء وأبى بن كعب ونفى أباذر الى الربذة وأشخص عبادة بن الصامت من الشأم لما شكاه معاوية وضرب عمار بن ياسر وكعب بن عبدة ضربه عشرين سوطا ونفاه الى بعض الجبال وقال لعبد الرحمن بن عوف انك منافق وانه اقطع أكثر أراضى بيت المال وان لا يشترى أحد قبل وكيله وان لا تسير سفينة فى البحر الا فى تجارته وانه أحرق المصحف التى فيها القرآن وانه أتم الصلاة بمنى ولم يقصرها لما حج بالناس وانه ترك قتل عبيد الله وقد قتل الهرمزان (وقد أجاب) عن ذلك كله فى الصواعق فراجعه ومارواه الزبير بن بكار عن

وكانت تلك الليلة ذات ريح فقال صلى الله عليه وسلم بعد نزوله من يكلؤنا فقام عباد بن بشر وعمار بن ياسر رضى الله عنهما فقالا نحن يارسول الله فجلسا على فم الشعب فقال عباد بن بشر لعمار بن ياسر رضى الله عنهما أنا أكفيك أول الليل وتكفيني أنت آخره فنام عمار وقام عباد رضى الله عنهما وكان زوج بعض النسوة اللاتى أصابهن رسول الله صلى الله عليه وسلم غائبا فلما جاء أخبر الخبر فتبع الجيش وحلف لا ينثنى حتى يصيب محمدا أو يوثق ٨٨ فى أصحاب محمد دما فلما قرب من الشعب رأى سواد عباد فقال هذه راية القوم

أنس من انه صلى الله عليه وسلم لم يعمل اللبن ولم يبن به المسجد الا بعد أربع سنين من الهجرة رأيت ما يرده فى تاريخ المدينة ونصه ما روى عن أنس واه أو مؤول والمعروف خلافه والله أعلم وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو بنى مسجدى هذا الى صنعاء كان مسجدى قال بعضهم ان صح هذا كان من اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم أى لانه وسع بعد ذلك أى وسعه المهدى وذلك فى سنة ستين ومائة ثم زاد فيه المأمون فى سنة ثنتين ومائتين وبه يرد القول بان المضاعفة خاصة بالموجود حين الاشارة أى لكن المحافظة على الصلاة فيما كان فى عهده صلى الله عليه وسلم اولى قال وبنى حجرتين لعائشة وسودة أى بناءا مجاورتين للمسجد وملاصقتين له على طرز بناء المسجد من لبن وجعل سقفهما من جذوع النخل والجريد أى وقدم رجل من أهل اليمامة عند الشروع فى بناء المسجد يقال له طلق من بنى حنيفة فعنه رضى الله تعالى عنه قال قدمت على النبى صلى الله عليه وسلم وهو يبنى مسجده والمسلمون يعملون معه فيه وكنت صاحب علاج الطين فاتخذت المسحاة وخلطت بها الطين فقال لى يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله امرأ أحسن صنعته وقال لى الزم انت هذا الشغل فانى ارالك تحسنه وفى لفظ ان هذا الحنفى لصاحب طين وفى لفظ قربوا اليمانى من الطين فانه احسنكم له مسكا وأشدكم منكبا وفى لفظ دعوا الحنفى والطين فانه من اصنعكم للطين وارسل وهو فى بيت أبى أيوب زيد بن حارثة وابا رافع مكة واعطاهما خمسمائة درهم وبعيرين ليأتيا بأهله أى والخمسمائة أخذها من أبى بكر ليشتريا بها ما يحتاجان اليه فاشترى بها زيد ثلاثة أبعرة وارسل معهما أبو بكر رضى الله تعالى عنه عبد الله بن الاريقط دليلا أى ببعيرين أو ثلاثة فقدما بفاطمة وأم كلثوم بنتيه صلى الله عليه وسلم وسودة زوجته وأم أيمن حاضنته صلى الله عليه وسلم زوج زيد بن حارثة وابنها اسامة بن زيد فاسامة اخو أيمن لامه وكان اسامة حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن حبه وابن حاضنته عن عائشة رضى الله تعالى عنها ان أسامة عثر يوما فى أسكفة الباب فشج وجهه فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم أميطى عنه قالت عائشة فكأنى تقذرته أى لانه كان أسود أفطس فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمصه يعنى الدم ثم يمجه (وأما بنته صلى الله عليه وسلم) زينب التى هى أكبر بناته فكانت مع زوجها ابن خالها أبى العاص بن الربيع فمنعها من الهجرة وسيأتى أنها هاجرت بعد ذلك قبله وتركته على شركه وبعد ان اسر فى بدر وأطلق وأمره صلى الله عليه وسلم بأن يخلى سبيلها ففعل ثم لما أسلم ردها اليه (وأما بنته) رقية فتقدم انها هاجرت مع زوجها عثمان بن عفان وخرج مع فاطمة ومن ذكر معها عبد الله بن أبى بكر ومعه عيال أبى بكر فيهم زوجته أم رومان وعائشة واختها اسماء زوج الزبير أى وهى حامل بابنها عبد الله بن الزبير وعن عائشة رضى الله تعالى عنها انها كانت هى وأمها على بعير فى محفة فنفر البعير قالت فصارت أمى تقول وابنتاه واعروساه فمسك البعير وسلم الله وفى رواية عن عائشة رضى الله تعالى عنها لما صارت أمى تقول

ففوق سهما فوضعه فى عباد فانتزعه فرماه بآخر فانتزعه أيضا فرماه بآخر فانتزعه فلما غلبه الدم قال لعمار اجلس فجلس عمار فلما رأى المشرك عمارا جلس علم انه قد نذر به فهرب فقال عمار لعباد أى أخى ما منعك ان توقظنى له فى أول سهم رمانك به فقال كنت أقرأ فى سورة يعنى سورة الكهف فكرهت أن أقطعها وفى رواية جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شخصين من أصحابه يقال لهما عباد ابن بشر من الانصار وعمار بن ياسر من المهاجرين فى مقابلة العدو فرمى أحدهما أى وهو عباد بن بشر بسهم فاصابه ونزفه الدم وهو يصلى ولم يقطع صلاته بل ركع وسجد ومضى فى صلاته ثم رماه بثان وثالث وهو يصلى ولم يقطع صلاته وقد قال عباد معتذرا عن ترك ايقاظ صاحبه لوانى خشيت أن أضيع ثغرا أمرنى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انصرفت ولو أتى على نفسى (وفى هذه الغزوة) أيضا وقعت قصة الرجل الذى اخترط سيفه صلى الله عليه وسلم وهو نائم تحت الشجرة وقد تقدمت قريبا استطرادا عند ذكر عزم بنى النضير على الغدر به صلى الله عليه وسلم واسم الرجل غورث وقيل دعثور وقيل انهما قصتان لرجلين فى غزوتين هذه وغزوة أمر وتقدم أيضا ان ذلك الرجل أسلم وأسلم قومه باسلامه ثم رجع صلى الله عليه وسلم ولم يلق كيدا وكانت غيبته خمس عشرة ليلة وبعث جعال بن سراقة رضى الله عنه بشيرا بسلامته وسلامة المسلمين ❁ غزوة بدر الاخيرة ❁ وتسمى غزوة بدر الصغرى لعدم وقوع القتال فيها فهى صغرى بالنسبة للتى وقع فيها القتال وهى الكبرى وتسمى هذه أيضا بدرا الموعد للمواعدة عليها مع أبى سفيان يوم أحد وتسمى بدرا الثالثة وكانت فى شعبان سنة أربع بعد ذات الرقاع على قول ابن

واعروساه

اسحق قال ابن اسحق لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من غزوة ذات الرقاع أقام بها بقية جمادى الاولى وجمادى الآخرة
ورجبا ثم خرج فى شعبان الى بدر لميعاد أبى سفيان وقيل كانت فى ذى القعدة وميعاد أبى سفيان هو ما سبق ان أبا سفيان قال يوم أحد
الموعد بيننا وبينكم بدر من العام القابل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر قل نعم هو بيننا وبينكم موعد فخرج رسول الله صلى
الله عليه وسلم ومعه ألف وخمسمائة من أصحابه وعشرة أفراس واستعمل على المدينة ٨٩ عبد الله بن رواحة الخزرجى رضى الله عنه

واعر وساه وابنتاه سمعت قائلا يقول ارسلى خطامه فأرسلت خطامه فوقف باذن الله وسلما
الله وأمار ومان ولدت لابى بكر عائشة وعبد الرحمن رضى الله عنهم وكانت قبل أبى بكر تحت عبد
الله بن الحرث فولدت له الطفيل قال صلى الله عليه وسلم فى حقها من سره ان ينظر الى امرأة
من الحور العين فلينظر الى أم رومان وتوفيت فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ماتت سنة
ست من الهجرة ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قبرها وقال اللهم انه لم يخف عليك
ما لاقت أم رومان فيك وفى رسولك صلى الله عليه وسلم وعورض القول بموتها فى حياة رسول
الله صلى الله عليه وسلم بما فى البخارى عن مسروق قال سألت أم رومان وهى أم عائشة رضى
الله تعالى عنهما ومسروق ولد بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم بلا خلاف وما فى البخارى
حديث صحيح مقدم على ماذكره أهل السير من موتها فى حياته صلى الله عليه وسلم وفى البخارى
عن أسماء فنزلت بقباء فولدته بها يعنى ولدها عبد الله بن الزبير ثم أتيت النبى صلى الله عليه وسلم
فوضعته فى حجره ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل فى فيه فكان أول شئ دخل جوفه ريق رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم حنكه بتمرة أى بتلك التمرة ففى المواهب وحنكه بها ثم دعا له وبرك عليه
وهو أول مولود ولد فى الاسلام أى للمهاجرين وفيه ان أسماء انما قدمت المدينة أى الى قباء بعد
تحوله صلى الله عليه وسلم من قباء ويدل له قول بعضهم قدم آل أبى بكر من مكة وهو صلى الله عليه
وسلم يبنى مسجده وأنزلهم أبو بكر فى السنح الا أن يقال يجوز أن يكون صلى الله عليه وسلم جاء
الى قباء بعد ذلك فقد قال بعضهم وهذا السياق يدل على أن عبد الله بن الزبير ولد فى السنة الاولى
لا فى الثانية كما قاله الواحدى وتبعه غيره فقال ولد بعد عشرين شهرا من الهجرة ففرح به
المسلمون فرحا شديدا لان اليهود كانوا يقولون قد سحرناهم فلا يولد لهم مولود وهذا بما يؤيد
القول الثانى الا أن يقال يجوز أن يكون عبد الله مكث فى بطن أمه المدة المذكورة فقد ذكر أن
مالكا رضى الله تعالى عنه مكث فى بطن أمه سنتين وكذا الضحاك بن مزاحم التابعى مكث
فى بطن أمه سنتين وفى المحاضرات للجلال السيوطى ان مالكا مكث فى بطن أمه ثلاث سنين
وأخبر سيدنا مالك ان جارة له ولدت ثلاثة أولاد فى اثنتى عشرة سنة بحمل أربع سنين وحينئذ
يجوز أن تكون سيدتنا أسماء جاءت الى قباء فولدت سيدنا عبد الله وصادف مجيئه صلى الله عليه
وسلم الى قباء فى ذلك اليوم وقد سماه النبى صلى الله عليه وسلم عبد الله وكناه أبا بكر بكنية جده
الصديق رضى الله تعالى عنه وروى أنه جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو ابن سبع أو ثمان
سنين ليبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أمره والده الزبير بذلك فتبسم رسول الله صلى
الله عليه وسلم وبايعه وكون آل أبى بكر نزلوا عند مجيئهم المدينة فى السنح لا ينافى كون اسماء
نزلت بقباء وولدت بها لانه يجوز أن يكون نزول اسماء فى السنح بعد نزولها فى قباء قصد الراحتها
لكونها كانت حاملا حتى وضعت والسياق المتقدم يدل على ذلك وكون عبد الله بن الزبير أول
مولود ولد فى الاسلام للمهاجرين بالمدينة كذلك عبد الله بن جعفر بن أبى طالب أول مولود ولد

وحمل اللواء على بن أبى طالب
رضى الله عنه وخرج أبو سفيان
فى قريش وهم ألفان ومعهم
خمسون فرسا حتى نزل موضعا
قريبا من مر الظهران وقيل نزل
عسفان ثم بدا له الرجوع وكان
قد دبر ذلك فى نفسه وهو بمكة لما
ألقى الله فى قلبه من الرعب روى
ان نعيم بن مسعود الاشجعى قدم
مكة فاخبر قريشا بتهيئ المسلمين
لحربهم فكره أبو سفيان الخروج
وجعل لنعيم عشرين بعيرا على ان
يذهب الى المسلمين ويخذلهم
وضمنها له سهيل بن عمرو وحمله
على بعير فقدم نعيم المدينة وارجف
المسلمين بكثرة العدو حتى قذف
فى قلوبهم الرعب ولم يبق لهم نية
فى الخروج حتى خشى عليه
الصلاة والسلام ان لا يخرج معه
فجاءه العمران أى أبو بكر وعمر
رضى الله عنهما فقالا ان الله مظهر
دينه ومعز نبيه وقد وعدنا القوم
موعد الا نحب ان نتخلف عنه
فيرون ان هذا جبن فسر لموعدهم
فوالله ان فى ذلك لخيرا ان شاء الله
فسر صلى الله عليه وسلم بذلك وقال
والذى نفسى بيده لاخرجن وان لم
يخرج معى أحد فأذهب الله عن
المسلمين ما كان الشيطان ارعبهم
به وقال أبو سفيان لقريش قد
بعثنا نعيما يخذل أصحاب محمد عن

١٢ سيره ثانى الخروج وهو جاهد فى تخذيلهم لكن تخرج فنسير ليلة اوليلتين ثم نرجع فان لم يخرج محمد بلغه انا خرجنا فرجعنا
لانه لم يخرج فيكون لنا هذا عليه وان خرج أظهرنا ان هذا عام جدب ولا يصلحنا الا عام عشب قالوا نعم ما رأيت فلما أراد الرجوع قال
يا معشر قريش لا يصلحكم أى لا يريحكم ويزيل عنكم مشقة السفر الا عام ذو خصب ترعون فيه الشجر وتشربون فيه اللبن وان عامكم
هذا عام جدب وانى راجع فارجعوا فرجع الناس فسماهم أهل مكة جيش السويق يقولون انما خرجتم تشربون السويق وأما النبى

صلى الله عليه وسلم فخرج على الموعد هو وأصحابه وسمع الناس بمسيره وذهب صيته الى كل جانب وكبت الله عدوهم فقال صفوان بن أمية لابى سفيان والله نهيتك يومئذ ان تعد القوم وقد اجترؤا علينا ورأونا قد اخلفناهم وأقام صلى الله عليه وسلم وأصحابه ببدر ثمانية أيام ينتظر أبا سفيان ليعاده ويأبى وامامعهم من التجارة فربحوا الدرهم درهمين وأنزل الله فى ذلك الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا ٩٠ أجر عظيم الذين قال لهم الناس وهو نعيم بن مسعود ان الناس وهو أبو سفيان وأصحابه قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين وقيل ان قوله الذين استجابوا الى أجر عظيم انما نزلت فى شأن حمراء الاسد وهو خروجهم فى أثر قريش بعد وقعة أحد وهذا هو الصحيح وقوله الذين قال لهم الناس الخ نزلت فى غزوة بدر الصغرى ولا مانع ان يكون صدر الآية مشيرا الى الامرين والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿غزوة دومة الجندل﴾

وهى مدينة بينها وبين دمشق خمس ليال وبعدها من المدينة خمس عشرة ليلة وكانت فى شهر ربيع الاول سنة خمس من الهجرة وسببها انه بلغه صلى الله عليه وسلم ان بها جمعا عظيما يظلمون من مر بهم وانهم يريدون ان يدنوا من المدينة فخرج صلى الله عليه وسلم فى ألف من أصحابه واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفارى وكان صلى الله عليه وسلم يسير الليل ويكمن النهار فلما دنا منهم قال له مذكور العذرى رضى الله عنه وكان هو الدليل مع النبى صلى الله عليه وسلم اقم لى حتى أطلع لك على سوائم القوم فانها ترعى هنا فخرج العذرى فوجد آثار النعم والشاء وهم مغربون فى فاخبره فهجم على ماشيتهم ورعاتهم فاصاب من أصاب وهرب من هرب فى كل وجهة وجاء الخبر أهل دومة فاصابهم الرعب فتفرقوا فرقا من المنصور بالرعب صلى الله عليه وسلم ونزل بساحتهم فلم يلق بها أحدا فاقام بها أياما وبعث السرايا وفرقها فرجعوا سالمين وأصابوا رجلا من القوم فجاؤا به للنبى صلى الله عليه وسلم فسأله عنهم فقال هربوا حين علموا أنك أخذت نعمهم فعرض عليه الاسلام فاسلم

للمهاجرين بالحبشة ويقال له عبد الله الجواد واتفق ان النجاشى ولد له مولود يوم ولد عبد الله هذا فارسل الى جعفر يقول له كيف سميت ابنك فقال سميته عبد الله فسمى النجاشى ابنه عبد الله وأرضعته اسماء بنت عميس مع ابنها عبد الله المذكور فكانا يتراسلان بقلك الاخوة من الرضاع (وأول مولود ولد) للانصار بعد الهجرة مسلمة بن مخلد وقيل النعمان بن بشير وذكران أم اسماء قدمت المدينة وهى مشركة على اسماء بهدية فخجبتها اسماء وردت عليها هديتها فسألت عائشة رضى الله تعالى عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فأمر اسماء ان تؤوى أمها وتقبل هديتها قيل وفى ذلك وفى ارسال عبد الرحمن بن أبى بكر وهو بمكة على دينه قبل ان يسلم الى أبيه يسأله النفقة فابى أبوه ان ينفق عليه انزل الله الاذن فى الانفاق على الكفار وقال أبو أيوب الانصارى لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيتى نزل فى اسفل البيت وأنا وأم أيوب فى العلو فقلت يارسول الله بأبى أنت وأمى انى اكره واعظم ان اكون فى العلو وتكون تحتى فاظهر انت وكن فى العلو ونتزل نحن فنكون فى السفل فقال صلى الله عليه وسلم يا أبا أيوب ارفق بنا اى السفل ارفق بنا وبمن يغشانا أى وفى لفظ ان ارفق بنا وبمن يغشانا ان نكون فى سفل البيت قال أبو أيوب فانكسر حب لنا فيه ماء والحب بضم الحاء المهملة الجرة الكبيرة فقمت أنا وأم أيوب بقطيفة لنا مالنا لحاف غيرها ننشف بها الماء تخوفا ان يقطر منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم شئ فيؤذيه ولم أزل أتضرع للنبى صلى الله عليه وسلم حتى تحول فى العلو أى وفى رواية عن أبى أيوب قال نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة فكنت فى العلو فلما خلوت لى أم أيوب فقلت له رسول الله صلى الله عليه وسلم احق بالعلو منا ينتثر التراب عليه من وطء أقدامنا وتنزل عليه الملائكة وينزل عليه الوحى وفى رواية ينزل عليه القرآن ويأتيه جبريل فابت تلك الليلة أنا ولا أم أيوب فلما اصبحت قلت يارسول الله مابت الليلة أنا ولا ام أيوب قال لم يا أبا أيوب قلت كنت أحق بالعلو منا ينزل عليك الملائكة وينزل عليك لوحى والذى بعثك بالحق لا اعلو سقيفة أنت تحتها أبدا أى وعن افلح مولى أبى أيوب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل اسفل وأبو أيوب فى العلو انتبه أبو أيوب ذات ليلة فقال نمشى فوق رسول الله صلى الله عليه وسلم فباتا فى جانب فلما أصبح الحديث (وعند نزوله) صلى الله عليه وسلم فى بيت أبى أيوب صارت تأتى اليه جفنة سعد بن عبادة وجفنة اسعد بن زرارة كل ليلة أى وكانت جفنة سعد بن عبادة بعد ذلك تدور معه صلى الله عليه وسلم فى بيوت أزواجه فقد جاء كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم من سعد بن عبادة جفنة من ثريد أى عليه لحم أو خبز فى لبن أو فى سمن أو فى عسل أو بخل وزيت فى كل يوم تدور معه أينما دار مع نسائه وصار وهو فى بيت أبى أيوب يأتى اليه الطعام من غيرها أى فقد جاء وما كان من ليلة الا وعلى باب رسول الله صلى الله عليه وسلم الثلاثة والاربعة يحملون الطعام يتناوبون حتى تحول رسول الله صلى الله عليه وسلم من منزل أبى أيوب أى وفى لفظ وجعل بنو النجار يتناوبون فى حمل الطعام اليه صلى الله عليه وسلم مقامه

ورجع النبي صلى الله عليه وسلم ودخل المدينة في عشر بن من ربيع الآخر والله سبحانه وتعالى أعلم
وهو ماء لبني خزاعة بينه وبين الفرع مسيرة يوم وتسمى غزوة بني المصطلق وهم بطن من خزاعة وكانت في شعبان سنة خمس من الهجرة وسببها انه بلغه عليه الصلاة والسلام ان رئيسهم الحرث بن أبي ضرار والد جويرية أم المؤمنين رضي الله عنها وقد أسلم لما جاء في فدائها كما سيأتي سار في قومه ومن قدر عليه من العرب فدعاهم الى حرب رسول الله ٩١ صلى الله عليه وسلم فأجابوه وتهيؤ للمسير معه وكانوا ينزلون ناحية الفرع فبعث عليه الصلاة والسلام بريدة بن الحصيب الاسلمي رضي الله عنه ليعلم حالهم الذي هم عليه واستأذن النبي صلى الله عليه وسلم ان يقول فاذن له فاتاهم ولقي الحرث ابن أبي ضرار وكلمه فوجده قد جمع الجموع وقالوا له من الرجل قال منكم قدمت لما بلغني من جمعكم لهذا الرجل فاسير في قومي ومن أطاعني فنكون يدا واحدة حتى نستأصله قال الحرث فنحن على ذلك فجعل عليهم افقال لهم بريدة اركب الآن وآتيكم بجمع كثير من قومي فسروا بذلك ورجع هو الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره خبرهم فندب صلى الله عليه وسلم الناس وخرج مسرعا في جمع كثير وخرج معه كثير من المنافقين لم يخرجوا في غزوة قط مثل خروجهم في هذه الغزوة وكان معه صلى الله عليه وسلم ثلاثون من الخيل عشرة للمهاجرين وعشرون للانصار واستعمل على المدينة زيد بن حارثة وقيل أبا ذر الغفاري وقيل نميلة بن عبد الله الليثي رضي الله عنهم وخرجت معه عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما وأصاب صلى الله عليه وسلم في طريقه عينا أي جاسوسا للمشركين فسأله عنهم فلم يذكر من شأنهم شيأ فعرض عليه الاسلام فابى فامر عمر بن الخطاب رضي الله عنه فضرب عنقه وبلغ الحرث ومن معه مسيره صلى الله عليه وسلم وانه قتل جاسوسه ففسيء بذلك الخبر هو ومن معه وخافوا خوفا شديدا وتفرق عنهم كثير ممن كان معهم من العرب الذين اجتمعوا وبلغ عليه الصلاة والسلام المريسيع وضرب عليه قبته وهيأ أصحابه للقتال ووصف أصحابه ودفع راية المهاجرين لابي بكر رضي الله عنه وقيل لعمار بن ياسر رضي الله عنه ورأية الانصار لسعد بن عبادة رضي الله عنه وأمر عمر فنادى في الناس قولوا لا اله الا الله تعصموا بها أنفسكم وأموالكم

في منزل أبي أيوب رضي الله تعالى عنه وهو تسعة أشهر وأول طعام جيء به اليه صلى الله عليه وسلم في دار أبي أيوب قصعة أم زيد بن ثابت فمن زيد بن ثابت أول هدية دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت أبي أيوب قصعة ارسلتني بها أمي اليه فيها ثريد خبز بر بسمن ولبن فوضعتها بين يديه وقلت يا رسول الله أرسلت بهذه القصعة أمي فقال له بارك الله فيها أي وفي رواية بارك الله فيك ودعا أصحابه فاكلوا قال زيد فلم أرم الباب أي أرده حتى جاءت قصعة سعد بن عبادة ثريد وعراق لحم أي بفتح العين عظم عليه لحم فان أخذ عنه اللحم قيل له عراق بضم العين وقد جاء كان أحب الطعام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الثريد ويقال له الثفل بالمثلثة والفاء (ولما بنى المسجد) جعل في المسجد محلا مظللا يأوي اليه المساكين يسمى الصفة وكان أهله يسمون أهل الصفة وكان صلى الله عليه وسلم في وقت العشاء يفرقهم على أصحابه ويتعشى معه منهم طائفة وظاهر السياق ان ذلك أي المحل فعل في زمن بناء المسجد واوى اليه المساكين من حينئذ لكن روى البيهقي عن عثمان بن اليمان قال لما كثر المهاجرون بالمدينة ولم يكن لهم زاد ولا مأوى انزلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وسماهم أصحاب الصفة وكان يجالسهم ويأنس بهم أي وكان اذا صلى أتاهم فوقف عليهم فقال لو تعلمون ما لكم عند الله لاحببتم ان تزدادوا فقرا وحاجة (أقول) ذكر ان المسجد كان اذا جاءت العتمة يوقد فيه بسعف النخل فلما قدم تميم الداري المدينة صحب معه قناديل وحبالا وزيتا وعلق تلك القناديل بسواري المسجد واوقدت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نورت مسجدنا نور الله عليك اما والله لو كان لي ابنة لانكحتكها هذا وفي كلام بعضهم أول من جعل في المسجد المصابيح عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ويوافقه قول بعضهم والمستحب من بدع الافعال تعليق القناديل فيها أي المساجد وأول من فعل ذلك عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فانه لما جمع الناس على ابي ابن كعب في صلاة التراويح علق القناديل فلما رآها على تزهر قال نورت مساجدنا نور الله قبرك يا ابن الخطاب ولعل المراد تعليق ذلك بكثرة فلا يخالف ما تقدم عن تميم الداري ثم رأيت في أسد الغابة عن سراج غلام تميم الداري قال قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن خمسة غلمان لتميم الداري فامرني يعني سيده فأسرجت المسجد بقنديل فيه زيت وكانوا لا يسرجون فيه الا بسعف النخل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أسرج مسجدنا فقال تميم غلامي هذا فقال ما اسمه فقال فتح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل اسمه سراج فسماني رسول الله صلى الله عليه وسلم سراجا وعن بعضهم قال أمرني المأمون ان اكتب بالاستكثار من المصابيح في المساجد فلم أدر ما أكتب لانه شيء لم أسبق اليه فاريت في المنام اكتب فان فيها انسا للمتهجدين ونفيا للبيوت الله عن وحشة الظلم فانتبهت وكتبت بذلك قال بعضهم لكن زيادة الوقود كالواقع ليلة النصف من شعبان ويقال لها ليلة الوقود وينبغي ان يكون ذلك كتزويق المساجد ونقشها وقد كرهه بعضهم والله أعلم قال وذكر ابن اسحق في كتاب المبدا وقصص

فأبى المشركون أن يقولوها فثاروا بالنبل ساعة ثم أمر صلى الله عليه وسلم أصحابه فحملوا حملة رجل واحد فما أفلت منهم أحد فقتلوا عشرة وأسروا باقيهم وكانوا أكثر من سبعمائة وسبوا الرجال والنساء والذرية وساقوا النعم والشاء وكانت الابل ألفى بعير والشاء خمسة آلاف شاة وكان المسبى مائتى بيت ولم يقتل من المسلمين الا رجل واحد وهو هشام بن صبابة أصابه رجل من رهط عبادة بن الصامت رضى الله عنه خطأ وكان من جملة السبى جويرية بنت الحرث فاختص بها النبى صلى الله عليه وسلم وأعتقها وتزوج

٩٢

بها وخرج الخبر الى الناس ان النبى صلى الله عليه وسلم تزوج بها فقال الناس اصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسلوا ما بايديهم قالت عائشة رضى الله عنها فما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها رضى الله عنها وقيل انها طلبت قومها من النبى صلى الله عليه وسلم ليلة دخوله بها فوهبهم لها وهذا لا يمنع كون المسلمين حين سمعوا انه تزوجها أطلقوا الاسرى فكان ذلك زيادة اكرام من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم حتى لا يسأل أحدا منهم فى ذلك شيأ ومجانا ثم هدى الله أكثرهم للاسلام وجاء ان جويرية رضى الله عنها قالت رأيت قبل قدوم النبى صلى الله عليه وسلم بثلاث ليال كأن القمر يسير من يثرب حتى وقع فى حجرى فكرهت ان أخبر بها أحدا من الناس حتى قدم صلى الله عليه وسلم فلما سبينا رجوت الرؤيا فلما أعتقنى وتزوجنى ما شعرت الا بجارية من بنات عمى تخبرنى بفك الاسرى فحمدت الله تعالى وجاء ان بعض الاسرى انما أطلقوا بفداء ولعل هذا قبل التزوج بها رضى الله عنها وجاء عن جويرية رضى الله عنها انها قالت لما أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن على المريسيع سمعت أبى يقول أتانا ما لا قبل لنا به فلبثت أرى من الناس والخيل والسلاح مالا أصف من الكثرة فلما أسلمت وتزوجنى رسول الله صلى الله عليه وسلم دحية ورجعنا جعلت أنظر الى المسلمين فليسوا كما كنت ارى فعلمت انه رعب من الله يلقيه فى قلوب المشركين ثم ان اباها الحرث قدم على النبى صلى الله عليه وسلم المدينة بعد رجوعه بريد فداء ابنته وفكاكها فلما كان بالعقيق نظر الى ابله التى يريد ان يفدى ابنته بها فرغب فى بعيرين منها كانا من أفضلها فاعقلهما فى شعب من شعاب العقيق ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد أصبتم ابنتى وهذا

الانبياء عليهم الصلاة والسلام ان تبع بن حسان الحميرى وهو تبع الاول أى الذى ملك الارض كلها شرقها وغربها وتبع بلغة اليمن الملك المتبوع ويقال له الرئيس لانه رأس الناس بما أوسعهم من العطاء وقسم من فيهم الغنائم وكان أول من غنم ولما عمد الى البيت يريد تخريبه رمى بداء تمخض منه رأسه قيحا وصديدا وانتن حتى لا يستطيع أحد ان يدنو منه فيدرمح كما تقدم وتقدم انه بعد ذلك كسا الكعبة وبعد ذلك اجتاز بيثرب وكان فى ركابه مائة ألف وثلاثون ألفا من الفرسان ومائة ألف وثلاثة عشر ألفا من الرجالة فأخبران أربعمائة رجل من أتباعه من الحكماء والعلماء تبايعوا ان لا يخرجوا منها فسألهم عن الحكمة فى ذلك فقالوا ان شرف البيت انما هو برجل يخرج يقال له محمد هذه دار اقامته ولا يخرج منها فبنى فيها لكل واحد منهم دارا واشترى له جارية وأعتقها وزوجها منه واعطاهم عطاء جزيلا وكتب كتابا وختمه ودفعه الى عالم عظيم منهم وأمره ان يدفع ذلك الكتاب لمحمد صلى الله عليه وسلم ان أدركه وفى ذلك الكتاب انه آمن به وعلى دينه وبنى داره صلى الله عليه وسلم بنزلها اذا قدم تلك البلد ويقال انها دار أبى أيوب أى كما تقدم وانه من ولد ذلك العالم الذى دفع اليه الكتاب أى فهو صلى الله عليه وسلم لم ينزل الا داره أى على ما تقدم ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم أى دعا الى الاسلام ارسلوا اليه ذلك الكتاب مع شخص يسمى أبا ليلى فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له أنت أبو ليلى الذى معك كتاب تبع الاول فقال له أبو ليلى من أنت قال أنا محمد ها الكتاب فلما قرأه أى قرئ عليه وذكر بعضهم ان مضمون الكتاب أما بعد يا محمد فانى آمنت بك وبربك ورب كل شئ وبكل ما جاءك من ربك من شرائع الاسلام والايمان وانى قلت ذلك فان أدركتك فبها ونعمت وان لم أدركك فاشفع لى يوم القيامة ولا تنسنى فانى من أصل الاولين وبايعتك قبل مجيئك وقبل أن يرسلك الله وأنا على ملتك وملة ابراهيم وختم الكتاب وتلا أى قرأ عليه لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله فقد قرأ هذا قبل نزوله وكتب عنوان الكتاب الى محمد بن عبد الله خاتم النبيين والمرسلين ورسول رب العالمين من تبع الاول حمير أمانة الله فى يدمن وقع هذا الكتاب فى يده الى أن يدفعه الى صاحبه ودفعه الى رأس العلماء المذكورين ثم وصل الكتاب المذكور الى النبى صلى الله عليه وسلم على يد بعض ولد العالم المذكور حين هاجر وهو بين مكة والمدينة وسياق الرواية الاولى يدل على أن ذلك كان فى أول البعثة وبعد قراءة الكتاب عليه صلى الله عليه وسلم قال مرحبا بتبع الاخ الصالح ثلاث مرات وكان بين تبع هذا أى بين قوله انه آمن به وعلى دينه وبين مولد النبى صلى الله عليه وسلم ألف سنة سواء أى وتقدم أنه ابتاع المحل الذى بناه داره قبل مبعثه بألف سنة فليتأمل ويقال ان الاوس والخزرج من أولاد أولئك العلماء والحكماء اه (أقول) قد علمت ان نزوله صلى الله عليه وسلم دار أبى أيوب على الوجه المتقدم وأخذه المربد على الكيفية المتقدمة مع وصول الكتاب اليه أول البعثة أو بين مكة والمدينة وهو مهاجرا الى المدينة يبعد هذا وفيه أيضا ان الذى فى التنوير لابن

فداؤها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فاين البعيران اللذان عقبتهما بالعقيق فى شعب كذا وكذا فقال الحرث أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله والله ما اطلع على ذلك أحد الا الله وقيل انه أسلم قبل ذلك وهذا اظهار لاسلامه ثم أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخبر ابنته باسلامه فقالت له أحسنت وأجملت فقال لها أبوها يا بنية لا تفضحى قومك يعنى بالرق فقالت اخترت الله ورسوله فرضى أبوها بذلك وفى هذه الغزوة نزلت آية التيمم فى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها ٩٣ قالت خرجنا مع النبى صلى الله عليه وسلم

دحية ان هذا تبع الاوسط وأنه الذى كسا البيت بعد ما اراد غزوه وبعد ما غزا المدينة وأراد خرابها انصرف عنها لما اخبرانها مهاجر نبى اسمه محمد أى فقد ذكر بعضهم ان تبعا اراد تخريب المدينة واستئصال اليهود فقال له رجل منهم بلغ من العمر مائتين وخمسين سنة الملك اجل من ان يستخفه غضب وامره أعظم من ان يضيق عنا حلمه أو نحرم صفحه مع ان هذه البلدة مهاجر نبى يبعث بدين ابراهيم فكتب كتابا وذكر فيه شعرا فكانوا يتوارثون ذلك الكتاب الى ان هاجر النبى صلى الله عليه وسلم فادوه اليه ويقال ان الكتاب كان عند أبى أيوب الانصارى وكان ذلك قبل مبعثه بسبعمائة عام وفى التنوير أيضا ان ابن أبى الدنيا ذكر انه حفر قبر بصنعاء قبل الاسلام فوجد فيه امرأتان لم يبليا وعند رؤسهما لوح من فضة مكتوب فيه بالذهب هذا قبر فلانة وفلانة ابنتى تبع ماتتا وهما يشهدان أن لا اله الا الله ولا يشركان به وعلى ذلك مات الصالحون قبلهما وجاء لا تسبوا تبعا فانه كان مؤمنا وفى رواية لا تسبوا تبعا الحميرى فانه اول من كسا الكعبة قال السهيلى وكذا تبع الاول كان مؤمنا بالنبى صلى الله عليه وسلم وقال شعرا ينبئ فيه ببعثه صلى الله عليه وسلم والله أعلم * وكانت المدينة فى الجاهلية معروفة بالوباء أى الحمى وكان اذا أشرف على واديها أحد ونهق نهيق الحمار لا يضره الوباء وفى لفظ كان اذا دخلها غريب فى الجاهلية يقال له ان أردت السلامة من الوباء فانهق نهيق الحمار فاذا فعل ذلك سلم وفى حياة الحيوان كانوا فى الجاهلية اذا خافوا وباء بلد عشروا كتعشير الحمار أى نهقوا عشرة أصوات فى طلق واحد قبل ان يدخلوها وكانوا يزعمون ان ذلك يمنعهم من الوباء ولما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة وجد أهلها من أخبث الناس كيلا فانزل الله تعالى ويل للمطففين الآية فأحسنوا الكيل بعد ذلك ولما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة وأصحابه أصابت أصحابه الحمى وفى لفظ استوخم المهاجرون هواء المدينة ولم يوافق أمزجتهم فمرض كثير منهم وضعفوا حتى كانوا يصلون من قعود فرآهم صلى الله عليه وسلم فقال اعلموا أن صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم فتحشموا المشقة وصلوا قياما قالت عائشة رضى الله تعالى عنها قدمنا المدينة وهى أوبأ أرض الله ولما حصلت لها الحمى قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم مالى أراك هكذا قالت بابى أنت وأمى هذه الحمى وسبتها فقال لا تسبيها فانها مأمورة ولكن ان شئت علمتك كلمات اذا قلتهن أذهبها الله تعالى عنك قالت فعلمنى قال قولى اللهم ارحم جلدى الرقيق وعظمى الدقيق من شدة الحريق يا أم ملدم ان كنت آمنت بالله العظيم فلا تصدعى الرأس ولا تنتنى الفم ولا تأكلى اللحم ولا تشربى الدم وتحولى عنى الى من اتخذ مع الله الها آخر فقالتها فذهبت عنها وعن على رضى الله تعالى عنه لما قدمنا المدينة أصبنا من ثمارها فاصابنا بها وعك أى حمى ومن جملة من اصابته الحمى سيدنا أبو بكر رضى الله تعالى عنه ومولياه عامر ابن فهيرة وبلال أى وكان أبو بكر اذا أخذته الحمى أنشد

كل امرئ مصبح فى أهله * والموت أدنى من شراك نعله

فى بعض أسفاره قال ابن عبد البر هى غزوة بنى المصطلق قالت حتى اذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عقد لى فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على التماسه وأقام الناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فاتى الناس الى أبى بكر رضى الله عنه فقالوا له الا ترى ما صنعت عائشة رضى الله عنها أقامت برسول الله صلى الله عليه وسلم والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء فجاء أبو بكر رضى الله عنه ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع رأسه على فخذى قد نام فقال حبست رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء قالت عائشة رضى الله عنها فعاتبنى أبو بكر رضى الله عنه وقال ما شاء الله أن يقول وجعل يطعننى بيده فى خاصرتى فلا يمنعنى من التحرك الا مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذى فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أصبح على غير ماء فانزل الله آية التيمم فتيمموا فقال اسيد بن حضير رضى الله عنه ما هى باول بركتكم يا آل أبى بكر قالت فبعثنا البعير فاصبنا العقد تحته وفى رواية قال اسيد لها جزاك الله خيرا ما نزل بك أمر تكرهينه الا جعل الله لك منه مخرجا وللمسلمين فيه خيرا وقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعظم بركة فلادتك وقال لها أبو بكر رضى الله عنه والله يا بنتى انك كما علمت مباركة وفى هذه الغزوة كانت قصة الافك فيكون العقد قد سقط مرتين وقد اختلف أئمة السير اختلافا كثيرا هل كان ذلك فى غزوة واحدة أو غزوتين فقيل فى غزوة واحدة وهى غزوة بنى المصطلق والقائلون بذلك اختلفوا هل قصة آية التيمم أسبق أم قصة الافك واستدل بعضهم لتقدم قصة الافك بقول أسيد بن حضير رضى الله عنه ما هى باول بركتكم يا آل أبى بكر أى بل مسبوقة بغيرها من البركات فهو يشعر بان هذه القصة

كانت بعد قصة الافك وبعضهم أخر قصة الافك عنها والقائلون بان ضياع العقد كان فى غزوتين قالوا مرة فى غزوة ذات الرقاع ومرة فى غزوة بنى المصطلق واستدل كل قائل بادلة يطول ذكرها والتحقيق ان قصة الافك فى غزوة بنى المصطلق قطعا والاختلاف انما هو فى قصة التيمم هل هى فى تلك الغزوة وبه جزم ابن عبد البر وجماعة أو فى غزوة ذات الرقاع أو غيرها وبه جزم آخرون والله أعلم وحاصل قصة الافك مارواه البخارى ومسلم ٩٤ عن عائشة رضى الله عنها قالت خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد

أى وهذا من شعر حنظلة بن يسار بناء على الصحيح ان الرجز يقال له شعر كما تقدم وليس من شعر أبى بكر فعن عائشة رضى الله تعالى عنها ان أبا بكر لم يقل شعرا فى الاسلام أى ولا فى الجاهلية كما فى رواية عنها والله ما قال أبو بكر بيت شعر فى الجاهلية ولا فى الاسلام أى لم ينشئه حتى مات أى وهذا ربما ينافى مافى الينبوع ليس عمل الشعر رذيلة فقد كان الصديق وعمر وعلى رضوان الله تعالى عليهم يقولون الشعر وعلى كرم الله وجهه أشعر من أبى بكر وعمر وما تقدم عن عائشة معارض بظاهر ما روى عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه اذا رأى النبى صلى الله عليه وسلم يقول

أمين مصطفى بالخير يدعو * كضوء البدر زايله الظلام

الا أن يحمل قولها على أنها لم تسمع ذلك منه بناء على أن ذلك من انشاء الصديق وكان بلال اذا اقلعت عنه الحمى يرفع عقيرته أى صوته يقول منشوقا الى مكة

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة * بواد وحولى اذخر وجليل

وهل أردن يوما مياه مجنة * وهل يبدون لى شامة وطفيل

اللهم العن شيبة بن ربيعة وأمية بن خلف كما أخرجونا من أرضنا الى أرض الوباء وأراد بلال بالوادى وادى مكة والاذخر نبت معروف وجليل بالجيم نبت ضعيف وشامة وطفيل جبلان بقرب مكة أى وفى رواية وهل يبدون لى عامر وطفيل وعامر أيضا جبل من جبال مكة وفى شرح البخارى للخطابى كنت أحسب شامة وطفيلا جبلين حتى مررت بهما فاذا هما عينان من ماء هذا كلامه وقد يقال يجوز أن تكون العينان بقرب الجبلين المذكورين فاطلق اسم كل منهما على الآخرين ولعل هذا اللعن من بلال كان قبل النهى عن لعن المعين لانه لا يجوز لعن الشخص المعين على الراجح الا ان علم موته على الكفر كأبى جهل وأبى لهب دون الكافر الحى لانه يحتمل ان يختم له بالحسنى فيموت على الاسلام لان اللعن هو الطرد عن رحمة الله تعالى المستلزم لليأس منها واما اللعن على الوصف كآكل الربا فجائز أو ان ذلك محمول فى ذلك على الاهانة والطرد عن مواطن الكرامة لا على الطرد عن رحمة الله تعالى الذى هو حقيقة اللعن وكان كل من أبى بكر وعامر وبلال فى بيت واحد قالت عائشة رضى الله تعالى عنها فاستأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عيادتهم فدخلت عليهم وذلك قبل ان يضرب علينا الحجاب فاذا بهم مالا يعلمه الا الله تعالى من شدة الوعك فسلمت عليهم أى وقالت لابيها يا أبت كيف أصبحت فأنشدها الشعر المتقدم قال فقلت انا لله ان أبى ليهذى قالت فقلت لعامر بن فهيرة كيف تجدك فقال

انى وجدت الموت قبل ذوقه * ان الجبان حتفه من فرقه

قالت فقلت هذا والله لا يدرى ما يقول قالت ثم قلت لبلال كيف أصبحت فاذا هو لا يعقل وفى رواية فأنشدها البيتين قالت وذكرت حالهم للنبى صلى الله عليه وسلم وقلت انهم يهذون ولا يعقلون من شدة الحمى أى وهذا السياق يخالف ما فى السيرة الهشامية ان الصديق رضى

أول من أشاعه فى العسكر لانه كان ينزل مع جماعة من المنافقين مبتعدين من الناس فمررنا عليه فقال من هذه قالوا عائشة وصفوان فقال فجر بها ورب الكعبة وفى لفظ ما برئت منه وما برئ منها وفى رواية قال والله ما نجت منه ولا نجا منها وصار يقول امرأة نبيكم

ما أنزل الحجاب فانا أحمل فى هودجى وأنزل فيه حتى اذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته تلك وقفل ودنونا من المدينة قافلين اذن ليلة بالرحيل فقمت حين اذنوا بالرحيل فمضيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأنى أقبلت الى رحلى فلمست صدرى فاذا عقد لى من جزع ظفار قد انقطع فرجعت فالتمست عقدى فحبسنى ابتغاؤه قالت وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بى فاحتملوا هودجى فرحلوه على بعيرى الذى كنت أركب عليه وهم يحسبون انى فيه وكان النساء اذ ذاك خفافا لم يغشهن اللحم انما يأكل العلقة من الطعام فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا ووجدت عقدى بعدما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب فتيممت منزلى الذى كنت به وظننت انهم سيفقدونى فيرجعون الى فبينا انا جالسة فى منزلى غلبتنى عينى فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمى ثم الذكوانى من وراء الجيش فاصبح عند منزلى فرأى سواد انسان نائم فعرفنى حين رآنى وكان رآنى قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفنى فخمرت وجهى بجلبابى ووالله ما تكلمنا بكلمة ولا سمعت منه غير استرجاعه وهوى حتى أناخ راحلته فوطئ على يدها فقمت اليها فركبتها فانطلق الله يقود بى الراحلة حتى أتينا الجيش فى نحر الظهيرة وهم نزول فهلك من هلك وكان الذى تولى كبر الافك عبد الله بن أبى ابن سلول فانه كان

باتت مع رجل حتى أصبحت ثم أشاع ذلك فى المدينة بعد دخولهم بها الشدة عداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عروة بن الزبير اخبرت ان حديث الافك كان يشاع و يتحدث به عند ابن أبى فيقره و يستمعه و يستوشيه وقال عروة أيضا لم يسم من أهل الافك الا حسان بن ثابت رضى الله عنه ومسطح بن اثاثة رضى الله عنه وحمنة بنت جحش رضى الله عنها فى ناس آخرين لا علم لى بهم غير انهم عصبة كما قال الله تعالى ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم وكانت عائشة رضى الله عنها ٩٥ تكره ان يسب عندها حسان وتقول انه الذى قال

فان أبى ووالده وعرضى
لعرض محمد منكم وقاء

قالت عائشة رضى الله عنها فقدمنا المدينة واشتكيت حين قدمت شهرا والناس يفيضون فى قول أصحاب الافك لا أشعر بشئ من ذلك و يريبنى فى وجعى انى لا أعرف من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذى كنت أرى منه حين أشتكى انما يدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسلم على ثم يقول كيف تيكم ثم ينصرف فذاك يريبنى ولا أشعر بالشر حتى خرجت حين نقهت فخرجت مع أم مسطح قبل المناصع وكان متبرزنا أى موضع قضاء حاجتنا وكنا لا نخرج الا ليلا الى ليل وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا قالت وأمرنا أمر العرب الاول فى البرية أى فى الخروج اليها قالت فانطلقت أنا وأم مسطح وهى سلمى ابنة رهم بن المطلب ابن عبد مناف وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبى بكر الصديق رضى الله عنه وابنها مسطح بن اثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف فاقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتى حين فرغنا من شأننا فعثرت أم مسطح فى مرطها فقالت تعس مسطح فقلت لها بئسما قلت أتسبين رجلا شهد بدرا فقالت أى هنتاه أى يا هذه أولم تسمعى ما قال قالت عائشة رضى الله عنها فقلت لها وما قال فاخبرتنى بقول أهل الافك قالت فازددت مرضا على مرضى فلما رجعت الى بيتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم قال كيف تيكم فقلت له أتأذن لى أن آتى أبوى قالت وأريد أن أستيقن الخبر من قبلهما قالت فاذن لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتيتهما فقلت لامى ماذا يتحدث الناس قالت يا بنية هونى عليك فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها لها ضرائر الا اكثرن عليها قالت فقلت

الله تعالى عنه لما قدم المدينة أخذته الحمى هو وعامر بن فهيرة و بلال الا أن يقال لا مخالفة لانه يجوز انها أخذتهم أولا وأقلعت عنهم ثم عادت عليهم بعد دخوله صلى الله عليه وسلم بعائشة أو ان عائشة استأذنته فى ذلك وذكرت له حالهم قبل دخوله بها لانها كانت معقودا عليها ولعل الصديق كان فى غير بيت أم عائشة والذى فى تاريخ الازرقى عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت لما قدم المهاجرون المدينة شكوا بها فعاد النبى صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضى الله تعالى عنه فقال كيف تجدك فانشده ما تقدم ثم دخل على بلال فقال كيف تجدك يا بلال فانشده ما تقدم ثم دخل على عامر بن فهيرة فقال كيف تجدك يا عامر فانشده ما تقدم ولا مانع من التعدد فليتأمل وحين ذكرت عائشة رضى الله تعالى عنها له ذلك نظر الى السماء أى لانها قبلة الدعاء وقال اللهم حبب الينا المدينة كما حببت الينا مكة أو أشد وفى رواية وأشد وبارك لنا فى مدها وصاعها وصححها وانقل وباءها الى مهيعة أى الجحفة كما فى رواية وهى قرية قريبة من رابغ محل احرام من يجىء من جهة مصر حاجا وكان سكانها اذ ذاك يهود ودعاؤه صلى الله عليه وسلم ان يحبب اليهم المدينة انما هو لما جبلت عليه النفوس من حب الوطن والحنين اليه ومن ثم جاء فى حديث ان عائشة رضى الله تعالى عنها سألت رجلا بحضور رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة من مكة فقالت له كيف تركت مكة فذكر من أوصافها الحسنة ما غرغرت منه عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا تشوقنا يا فلان وفى رواية دع القلوب تقر (أقول) ودعاؤه صلى الله عليه وسلم بنقل الحمى كان فى آخر الامر وما عند قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة تخيير بين الطاعون والحمى أى بقائها فأمسك الحمى بالمدينة وأرسل الطاعون الى الشام كما جاء فى بعض الاحاديث أتانى جبريل بالحمى والطاعون فأمسكت الحمى بالمدينة وأرسلت الطاعون الى الشام وقولنا أى بقائها ورد لما قد يتوهم من الحديث ان الحمى لم تكن بالمدينة قبل قدومه صلى الله عليه وسلم اليها وانما اختار الحمى على الطاعون لانه كان حينئذ فى قلة من أصحابه فاختار بقاء الحمى لقلة الموت بها غالبا بخلاف الطاعون ثم لما احتاج للجهاد وأذن له فى القتال ووجد الحمى تضعف أجساد الذين يقاتلون دعا بنقل الحمى من المدينة الى الجحفة فعادت المدينة أصح بلاد الله تعالى بعد ان كانت بخلاف ذلك كذا قيل فليتأمل فانه يقتضى ان الحمى لما نقلت الى الجحفة لم يبق منها بقية بالمدينة وهو الموافق لما يأتى عن الخصائص وحين نقلت الحمى الى الجحفة صارت الجحفة لا يدخلها أحد الا حم بل قيل اذا مر بها الطائر حم واستشكل حينئذ جعلها ميقاتا للاحرام وقد علم من قواعد الشرع انه صلى الله عليه وسلم لا يأمر بما فيه ضرر وأجيب بان الحمى انتقلت اليها مدة مقام اليهود بها ثم زالت بزوالهم من الحجاز أو قبله حين التوقيت بها كذا قيل فليتأمل (وعنه صلى الله عليه وسلم) قال رأيت أى فى النوم امرأة سوداء ثائرة الرأس خرجت من المدينة حتى نزلت مهيعة فأولتها ان وباء المدينة نقل الى مهيعة وفى الخصائص الصغرى للسيوطى وصرف الحمى عنها يعنى المدينة أول

سبحان الله أوقد تحدث الناس بهذا قالت فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ثم أصبحت أبكي قالت ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه واسامة بن زيد حين استلبث الوحي أي طال لبث نزوله يسألهما و يستشيرهما في فراق أهله قالت فاما اسامة بن زيد رضي الله عنهما فاشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذي يعلم من براءة أهله و بالذي يعلم لهم في نفسه فقال اسامة هم ٩٦ أهلك ولا نعلم الا خيرا وأما علي رضي الله عنه فقال يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وسل الجارية أي التي كانت تخدم عائشة تصدقك قالت فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة فقال أي بريرة هل رأيت من شيء يريبك قالت له بريرة رضي الله عنها والذي بعثك بالحق ما رأيت عليها امرا قط اغمصه غير انها جارية حديثة السن تنام عن عجين اهلها فتأتي الداجن أي الشاة فتأكله قالت فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه فاستعذر من عبد الله بن أبي وهو على المنبر فقال يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني عنه أذاه في أهلي والله ما علمت على أهلي الا خيرا ولقد ذكروا رجلا يعني صفوان بن المعطل رضي الله عنه ما علمت عليه الا خيرا وما يدخل على أهلي الا معي فقام سعد بن معاذ رضي الله عنه فقال انا يا رسول الله اعذرك منه فان كان من الاوس قبيلتنا ضربت عنقه وان كان من اخواننا من الخزرج امرتنا ففعلنا فيه أمرك قالت عائشة رضي الله عنها فقام سعد بن عبادة رضي الله عنه وهو سيد الخزرج فقال لسعد بن معاذ كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله ولو كان من رهطك ما أحببت ان يقتل فقام اسيد بن حضير وكان ابن عم سعد بن معاذ فقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لنقتلنه أي ولو كان من الخزرج اذا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله فانك من منافق تجادل عن المنافقين قالت فثار الحيان الاوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا وسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت عائشة رضي الله عنها فبكيت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم قالت وأصبح أبواي عندي وقد بكيت ليلتين و يوما لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم حتى اني لاظن ان البكاء

ما قدمها ونقلها الى الجحفة ثم لما أتاه جبريل بالحمى والطاعون أمسك الحمى بالمدينة وأرسل الطاعون الى الشام ولما عادت الحمى الى المدينة باختياره صلى الله عليه وسلم اياها لم تستطع ان تأتي أحدا من أهلها حتى جاءت ووقفت ببابه واستأذنته فيمن يبعثها اليه فأرسلها الى الانصار فقد جاء ان الحمى جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت أنا أم ملدم وفي رواية أنا الحمى أبرى اللحم وأشرب الدم قال لا مرحبا بك ولا أهلا وفيه انه تقدم انه صلى الله عليه وسلم نهى عائشة عن سبها فقالت له امضى الى أحب قومك أو أحب أصحابك اليك فقال اذهبي للانصار فذهبت اليهم فصرعتهم فقالوا له ادع لنا بالشفاء فقال ان شئتم دعوت الله عز وجل يكشفها عنكم وان شئتم تركتموها فاسقطت ذنوبكم وفي رواية كانت لكم طهورا فقالوا بل دعها يا رسول الله ولعل هذا كان لطائفة من الانصار فلا ينافي ما جاء ان الانصار لما شكوا له الحمى وقد مكثت عليهم ستة أيام بلياليها دعا لهم بالشفاء وصار صلى الله عليه وسلم يدخل دارا دارا و بيتا بيتا يدعو لهم بالعافية وهذا الذي في الخصائص يدل على ان الحمى لما ذهبت الى الجحفة لم يبق منها بقية بالمدينة وانها بعد ذلك عادت الى المدينة باختياره منه صلى الله عليه وسلم والذي نقله هو عن الحافظ ابن حجر ان الحمى التي كانت تصيب من أقام بالمدينة من أهلها وغيرهم فارتفعت بالدعاء عن أهلها الا النادر ومن لا يألف هواها وقد جاء ان حمى ليلة كفارة سنة ومن حم يوما كانت له براءة من النار وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه والذي رواه الامام أحمد وابن حبان في صحيحه عن جابر استأذنت الحمى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من هذه قالت أم ملدم فأمرها الى أهل قباء فلقوا منها ما لا يعلمه الا الله تعالى فشكوا اليه صلى الله عليه وسلم فقال ان شئتم دعوت الله تعالى ليكشفها وان شئتم تكون لكم طهورا قالوا أو يفعل قال نعم قالوا فدعها والله أعلم (ثم دعا صلى الله عليه وسلم) بقوله اللهم اجعل بالمدينة ضعفي ما جعلت بمكة من البركة وفي رواية واجعل مع البركة بركتين وجاء انهم شكوا له صلى الله عليه وسلم سرعة فناء طعامهم فقال لهم قوتوا طعامكم يبارك لكم فيه قيل معناه تصغير الارغفة ودعا لغنم كانت ترعى بالمدينة فقال اللهم اجعل نصف أكراشها مثل ملئها في غيرها من البلاد أي ولعل الدعاء بذلك ليس خاصا بتلك الاغنام الموجودة في زمنه صلى الله عليه وسلم و يدل لذلك ما ذكره السيوطي في الخصائص الصغرى مما اختصت به المدينة أن غبارها يطفئ الجذام ونصف اكراش الغنم فيها مثل ملئها في غيرها من البلاد والكرش كالمعدة للانسان وكما صينت المدينة عن الطاعون بارساله الى الشام صينت عن الدجال روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على أنقاب المدينة أي على أبوابها ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال وفي رواية لها أي المدينة سبعة أبواب على كل باب ملك فان قيل كيف مدحت المدينة بعدم دخول الطاعون وكيف أرسله صلى الله عليه وسلم الى الشام مع انه شهادة وأجيب بأنه انما أرسله الى الشام لما تقدم وصينت عنه بعد انتفاء ما تقدم لان سببه طعن كفار الجن وشياطينهم فمنع

فالق كبدى فبينا أبواى جالسان عندى وأنا أبكى استأذنت على امرأة من الانصار فاذنت لها فجلست تبكى معى قالت فبينا نحن على ذلك دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا فسلم ثم جلس قالت ولم يجلس عندى منذ قيل ماقيل قبلها وقد لبث شهرا لا يوحى اليه فى شأنى بشئ قالت فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس ثم قال أما بعد ياعائشة انه بلغنى عنك كذا وكذا فان كنت برئية فسيبرئك الله وان كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله وتوبى اليه فان العبد اذا

اعترف ثم تاب تاب الله عليه قالت فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمعى حتى ما أحس منه قطرة فقلت لابى أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم عنى فقال أى والله ما أدرى ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لامى أجيبى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال قالت أمى والله ما أدرى ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ من القرآن كثيرا انى والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر فى أنفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم انى برئية لا تصدقونى ولئن اعترفت لكم بامر والله يعلم أنى منه برئية لتصدقنى فوالله لا أجد لى ولكم مثلا الا أبا يوسف عليه السلام حين قال فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ثم تحولت فاضطجعت على فراشى وأنا أعلم أنى حينئذ برئية وأن الله مبرئى ولكن والله ما ظننت أن الله تعالى منزل فى شأنى وحيا يتلى ولشأنى فى نفسى كان أحقر من أن يتكلم الله فى بامر ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم رؤيا يبرئنى الله بها وعند ذلك قال أبو بكر رضى الله عنه ما أعلم أهل بيت من العرب دخل عليهم ما دخل على آل والله ما قيل لنا هذا فى الجاهلية حيث

من المدينة احتراما لها ولم يتفق دخول الطاعون بها فى زمن من الازمنة بخلاف مكة فانه وجد بها فى بعض السنين وهى سنة تسع وأربعين وسبعمائة ويقال انه وقع فى سنة تسع وثلاثين بعد الالف لما هدم السيل الكعبة أى الجانب الذى جهة الحجر قال بعضهم فمن حين انهدم وجد الطاعون بمكة واستمر الى ان أقاموا الاخشاب موضع المنهدم وجعلوا عليها الستر فعند ذلك ارتفع الطاعون كذا أخبر بعض الثقات من أهل مكة وكونه لم يتفق دخول الطاعون فى المدينة فى زمن من الازمنة يخالفه قول بعضهم وفى السنة السادسة من الهجرة وقع طاعون فى المدينة أفنى الخلق وهو أول طاعون وقع فى الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وقع بأرض فلا تخرجوا منها وان سمعتم به فى أرض فلا تقربوها ويروى أنه لما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة رفع يديه وهو على المنبر وقال اللهم انقل عنها الوباء ثلاثا أى وفيه أن هذا قد يخالف ماسبق من أن هذا كان فى اخرة الامر لا عند قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة الا أن يحمل على ان قدومه صلى الله عليه وسلم كان من سفر لا للهجرة (وفى الحديث) سيأتى على الناس زمان يلتمسون فيه الرخاء فيحملون بأهليهم الى الرخاء والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون لا يلبث فيها أحد فيصبر للأوائها وشدتها حتى يموت الا كنت له يوم القيامة شهيدا وشفيعا وفى مسلم لا يصبر على لأواء المدينة وشدتها أحد من أمتى الا وكنت له شفيعا يوم القيامة أو شهيدا أى شفيعا للعاصى وشهيدا للطائع واللأواء بالمد الجوع وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من استطاع منكم أن يموت بالمدينة فليمت فانى أشفع لمن يموت بها الا يريد أحد أهل المدينة بسوء الا أذابه الله تعالى ذوب الملح فى الماء وفى رواية أذابه الله فى النار ذوب الرصاص أو ذوب الملح فى الماء لا تقوم الساعة حتى تنفى المدينة شرارها كما ينفى الكير خبث الحديد أى وفى رواية فى مسلم تنفى الخبث كما تنفى النار خبث الفضة وتقدم أن هذا ليس عاما فى الازمنة ولا فى الاشخاص وفى رواية مكة والمدينة ينفيان الذنوب كما ينفى الكير خبث الحديد من أخاف أهل المدينة ظلما أخافه الله عز وجل وعليه لعنة الله والملائكة والناس لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا أى وبهذا الحديث تمسك من جوز اللعن على يزيد لما تقدم عنه فى اباحة المدينة فى وقعة الحرة ورد بأنه لا دلالة فيه على جواز لعن يزيد باسمه والكلام انما هو فيه وانما يدل على جواز لعنه بالوصف وهو من أخاف أهل المدينة وليس الكلام فيه والفرق بين المقامين واضح كما علمت (وجاء) أهل المدينة جيرانى وحقيق على أمتى حفظ جيرانى ما اجتنبوا الكبائر من حفظهم كنت له شهيدا وشفيعا يوم القيامة ومن لم يحفظهم سقى من طينة الخبال أى وهى عصارة أهل النار وفى لفظ من أخاف هذا الحى من الانصار فقد أخاف ما بين هذين ووضع يده على جنبيه وقيل لها طيبة لطيب العيش بها ولان المعطر أى الطيب بها رائحة لا توجد فيه فى غيرها (ومن خصائصها) ان ترابها شفاء من الجذام كما تقدم زاد بعضهم ومن البرص بل من كل داء وعجوتها شفاء من السم أى وفى الحديث تخرب المدينة قبل يوم القيامة بأربعين سنة

١٣ سيره ثانى

لا يعبد الله يقال لنا فى الاسلام وأقبل على عائشة مغضبا قالت عائشة رضى الله عنها فوالله ما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه الوحى فأخذه ما كان يأخذه عند نزول الوحى من البرحاء بسبب شدة ثقل الوحى حتى انه ليتحدر منه العرق مثل الجمان وهو فى يوم شات قالت فسرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك فكانت أول كلمة تكلم بها أن قال ياعائشة أما الله فقد برأك أى بما أوحاه الى من القرآن قالت فقالت لى أمى قومى اليه صلى الله عليه

وسلم فقلت لا والله لا أقوم اليه فاني لا أحمد الا الله عز وجل الذي برأني قالت وأنزل الله تعالى ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم العشر الآيات وتاب الله على من كان تكلم من المؤمنين وأقيم الحد على من أقيم عليه كمسطح وحسان وحمنة رضي الله عنهم قال السهيلي ان من نسب عائشة رضي الله عنها الى الزنا كغلاة الرافضة كان كافرا الان ذلك تكذيب للنصوص القرآنية ومكذبها كافر وفي الخصائص للسيوطي من قذف ازواجه صلى الله عليه وسلم ٩٨ فلا توبة له البتة كما قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره ويقتل كما نقله القاضي عياض وغيره وقيل يختص القتل بمن قذف عائشة رضي الله عنها وحضر بعض الشيعة في مجلس الحسن بن يزيد الرفاعي وكان من عظماء أهل طبرستان فذكر الشيعي عائشة رضي الله عنها ونسب اليها شيأ من القبيح فقال الحسن لغلامه ياغلام اضرب عنقه وكان عنده بعض العلويين فاراد أن يمنعه من قتله وقال هذا رجل من شيعتنا فقال معاذ الله هذا طعن على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات فان كانت عائشة رضي الله عنها خبيثة فان زوجها يكون خبيثا وحاشاه صلى الله عليه وسلم من ذلك بل هو الطيب الطاهر وهي الطاهرة المبرأة ياغلام اضرب عنق هذا الكافر يعني الشيعي الذي تكلم في عائشة رضي الله عنها اضرب عنقه وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه ينفق على مسطح بن أثاثة رضي الله عنه لقرابته منه وفقره فقال والله لا أنفق على مسطح شيأ أبدا بعد الذي قال لعائشة رضي الله عنها ما قال فانزل الله تعالى ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم فقال أبو بكر رضي الله عنه بلى والله انى لاحب أن يغفر الله لى فرجع الى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه وقال والله لا انزعها منه أبدا وكفر عن يمينه وروى الطبراني والنسائي انه أضعف له النفقة ﴿لطيفة﴾ وهي أن ابن المقري منع عن ولده النفقة تأديبا له على أمر وقع منه فكتب الى والده يقول

لا تقطعن عادة برولا * تجعل عقاب المرء في رزقه
فان أمر الافك من مسطح * يحط أمر النجم من أفقه

وان خرابها يكون من الجوع وان خراب اليمن يكون من الجراد أي وقد دعا صلى الله عليه وسلم على الجراد فقال اللهم اهلك الجراد واقتل كباره واهلك صغاره واقطع دابره وخذ بأفواهها عن مواشينا وأرزاقنا انك سميع الدعاء وفي مسلم عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه كان صلى الله عليه وسلم يؤتى بأول الثمر فيقول اللهم بارك لنا في مدينتنا وفي ثمارها وفي مدنا وفي صاعنا بركة مع بركة ثم يعطيه أصغر من يحضره من الولدان اللهم ان ابراهيم عبدك وخليلك ونبيك دعاك لمكة وانى عبدك ونبيك أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك لمكة ومثله معه ثم بني صلى الله عليه وسلم بقية الحجر التسع عند الحاجة اليها أي وهذا هو الموافق لما سبق ان بعضها بنى مع المسجد وهي حجرة سودة وحجرة عائشة رضي الله تعالى عنهما كما تقدم وفي كلام أئمتنا ان بيوته صلى الله عليه وسلم كانت مختلفة وأكثرها كان بعيدا عن المسجد وكلام الاصل يقتضي أنها بنيت كلها في السنة الاولى من الهجرة حيث قال وفيها أي السنة الاولى بنى مسجده صلى الله عليه وسلم ومساكنه أي وخط صلى الله عليه وسلم للمهاجرين في كل أرض ليست لاحد وفيما وهبته له الانصار من خططها وأقام قوم منهم ممن لم يمكنه البناء بقباء عند من نزلوا عليه بها قال عبد الله بن زيد الهذلي رأيت بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم حين هدمها عمر بن عبد العزيز بامر الوليد بن عبد الملك أي بعد موت أزواجه صلى الله عليه وسلم قال بعضهم حضرت كتاب الوليد بن عبد الملك يقرأ بادخالها في المسجد فما رأيت أكثر باكيا من ذلك اليوم أي وكانت تسعة أربعة مبنية باللبن أي وسقفها من جريد النخل مطين بالطين ولها حجر من جريد أي غير بيت أم سلمة فانها اجعلت حجرتها بناء وكان صلى الله عليه وسلم في غزوة دومة الجندل فلما قدم دخل عليها أول نسائه فقال لها ما هذا البنيان قالت أردت ان أكف أبصار الناس فقال صلى الله عليه وسلم ان شر ما ذهب فيه مال المرء المسلم البنيان وعن علي رضي الله تعالى عنه ان الله بقاعا تسمى المنتقمات فاذا اكتسب الرجل المال من حرام سلط الله عليه الماء والطين ثم لا يعتمه به أي وكانت تلك الحجر التي من الجريد مغشاة من خارج بمسوح الشعر وخمسة أبيات من جريد مطينة لا حجر بها على أبوابها ستور من مسوح الشعر أي وهي التي يقال لها البلانس ذرع الستر فوجد ثلاثة أذرع في ذراع هذا وفي كلام السهيلي كانت مساكنه صلى الله عليه وسلم مبنية من جريد عليه طين وبعضها من حجارة موضوعة وسقوفها كلها من جريد وكانت حجرته عليه الصلاة والسلام أكسية من شعر مربوطة بخشب من عرعر هذا كلامه قال بعضهم ولينها تركت ولم تهدم حتى يقصر الناس عن البناء ويريدون ما رضي الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ومفاتيح خزائن الارض بيده أي فان ذلك مما يزهد الناس في التكاثر والتفاخر في البنيان وجاء أنه صلى الله عليه وسلم خرج الى بعض طرق المدينة فرأى فيه مشرعة فقال ما هذه قالوا هذا رجل من الانصار فجاء ذلك الرجل فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فأعرض عنه فعل ذلك مرارا فأعلم بالقصة فهدمها الرجل وعن الحسن البصري قال كنت وأنا مراهق ادخل

وقد جرى منه الذى قد جرى * وعوتب الصديق فى حقه فكتب اليه والده يقول قد يمنع المضطر من ميتة *
اذا عصى بالسير فى طرقه لانه يقوى على توبة * تكون ايصالا الى رزقه لو لم يتب مسطح من ذنبه * ما عوتب الصديق فى حقه
قالت عائشة رضى الله عنها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل زينب بنت جحش أم المؤمنين رضى الله عنها عن أمرى فقال لها
ماذا علمت أو رأيت فقالت يا رسول الله أحمى سمعى وبصرى والله ما علمت عليها ٩٩ الا خيرا قالت عائشة رضى الله عنها وهى التى

أدخل بيوت أزواج النبى صلى الله عليه وسلم فى خلافة عثمان فأتناول سقفها بيدى أى لان الحسن البصرى ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب بقينا وكان ابنا للمولاة لام سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم اسمها خيرة وكانت أم سلمة تخرجه للصحابة يبارك عليه وأخرجته الى عمر رضى الله تعالى عنه فدعا له بقوله اللهم فقهه فى الدين وحببه الى الناس وكان والده من جملة السبى الذى سباه خالد فى خلافة الصديق من الفرس وروى عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه لان عمره كان قبل أن يخرج على من المدينة الى الكوفة وذلك بعد قتل عثمان أربع عشرة سنة قيل له يا أبا سعيد انك تقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وانك لم تدركه فقال لذلك السائل كل شئ سمعتنى أقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو عن على ابن أبى طالب رضى الله تعالى عنه غير أنى فى زمان لا أستطيع أن أذكر عليا أى خوفا من الحجاج وقد أخرج له عن على جماعة من الحفاظ كالترمذى والنسائى والحاكم والدارقطنى وأبو نعيم ما بين حسن وصحيح وبه يرد قول من أنكر أنه لم يسمع من على لان المثبت مقدم على النافى أو هو محمول على أنه لم يسمع من على بعد خروج على من المدينة قال بعضهم وتلك الفصاحة التى كانت عند الحسن والحكمة من قطرات لبن شربها من ثدى أم المؤمنين أم سلمة رضى الله تعالى عنها فان أمه ربما غابت فيبكى فتعطيه أم سلمة ثديها تعلله به الى أن تجىء أمه فربما در عليه ثديها فشربه قال بعضهم كان الحسن البصرى أجمل أهل البصرة وفى كلام ابن كثير كان الحسن البصرى شكلا ضخما طوالا هذا كلامه وكان اذا أقبل كأنه أقبل من دفن حميما واذا جلس فكأنه أسير أمر بضرب عنقه واذا ذكرت النار فكأنها لم تخلق الا له وعن الواقدى كان لحارثة ابن النعمان منازل قرب المسجد وحوله فكلما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم أهلا تحول له حارثة عن منزل حتى صارت منازله كلها لرسول الله صلى الله عليه وسلم أى وهذا يخالف ما تقدم عن الاصل من ان مساكنه بنيت فى السنة الاولى ومات عثمان بن مظعون وهو أخوه صلى الله عليه وسلم من الرضاعة وأمر صلى الله عليه وسلم أن يرش قبره بالماء ووضع حجرا عند رأس القبر أى بعد أن أمر رجلا أن يأتيه بحجر فأخذ الرجل حجرا ضعف عن حمله فقام اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فحسر عن ذراعيه ثم حمله ووضعه فى المحل المذكور وقال أتعلم به قبر أخى وأدفن اليه من مات من أهلى أى ومن ثم دفن ولده ابراهيم عند رجليه (وعن عائشة) رضى الله تعالى عنها أنه صلى الله عليه وسلم قبل عثمان بن مظعون وهو ميت قالت ورأيت دموع رسول الله صلى الله عليه وسلم على خدى عثمان بن مظعون أى وفى الاستيعاب أنه مات بعد شهوده بدرا فلما غسل وكفن قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عينيه ولا معارضة بينه وبين خبر عائشة رضى الله تعالى عنها السابق كما لا يخفى وجعل النساء يبكين فجعل عمر يسكتهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلا يا عمر ثم قال اياك ونعيق الشيطان ومهما كان من العين فمن الله ومن الرحمة وما كان من اليد واللسان فمن الشيطان وقالت

كانت تسامينى أى تضاهينى وتفاخرنى بجمالها من أزواج النبى صلى الله عليه وسلم فعصمها الله بالورع وطفقت أختها حمنة تحارب لها ولما بلغ صفوان بن المعطل رضى الله عنه ما قاله الناس قال سبحان الله فوالذى نفسى بيده ما كشفت من كنف أنثى قط وروى انه كان حصورا أى عنينا وان معه مثل الهدبة ثم قتل بعد ذلك شهيدا رضى الله عنه ويكفى شهادة الله له ولعائشة رضى الله عنها بالبراءة بقوله فى ختم تلك الآيات أولئك أى صفوان وعائشة مبرؤن مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿وفى هذه الغزوة﴾ قال عبد الله ابن أبى ابن سلول لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل وسبب ذلك ان رجلا من المهاجرين اسمه جهجاه بن مسعود كان أجيرا لعمر رضى الله عنه ويقود له فرسه انطلق ليملأ قربا للنبى صلى الله عليه وسلم ولأبى بكر وعمر رضى الله عنهما فوجد الناس يزدحمون على الماء فأمر الناس بالامساك ليملأ قرب النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر رضى الله عنهما فنازعه رجل من الانصار وكان أجيرا لعبد الله بن أبى فتنازعا فضرب المهاجرى الانصارى فقال

الانصارى يا للانصار وقال المهاجرى يا للمهاجرين فأقبل جمع من الجيش وشهروا السلاح حتى كادوا ان يقتتلوا فأسمع الله رسوله صلى الله عليه وسلم ذلك فقال ما هذا فاخبروه فقال دعوها فانها منتنة يعنى دعوى الجاهلية وقال عبد الله بن أبى أوقد فعلوا أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل وقال لجماعة من أصحابه أو يتموهم وقاسمتموهم أموالكم ويصنعون بكم هكذا وفى رواية أنه قال والله ما رأيت كاليوم مذلة أوقد فعلوها نافرونا أى غلبونا وكاثرونا فى بلادنا وأنكرونا وملتنا والله ما أعدنا

اظننا يعني معاشر الانصار وقريش الا كما قال الاول أي الاقدمون في أمثالهم سمن كلبك يأكلك وأجع كلبك يتبعك والله لقد ظننت أني سأموت قبل ان أسمع هاتفا يهتف بما سمعت والله ان رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل يعني بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أيضا لاصحابه لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا عنكم الى غير داركم ثم لم ترضوا بما فعلتم حتى جلتم أنفسكم أغراضا للمنايا فقتلتم دونه يعني النبي ١٠٠ صلى الله عليه وسلم فأيتمتم أولادكم وقللتم وكثروا فلا تنفقوا عليهم حتى

ينفضوا من حول محمد والى ذلك أشار سبحانه وتعالى بقوله حكاية عنهم لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا أي الناس عنه فسمع مقالته زيد بن أرقم رضي الله تعالى عنه فجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره وشاع كلام ابن أبي بين الناس فقال له بعض الانصار انطلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتذر له حتى يستغفر لك فأبى فلم يزالوا به حتى رضي وذهب معهم الى النبي صلى الله عليه وسلم واعتذر وحلف انه ما قال ذلك فقبل النبي صلى الله عليه وسلم عذره ظاهرا تألفا له كما كانت عادته صلى الله عليه وسلم مع المنافقين ثم أنزل الله تكذيبا لابن أبي وتصديقا لزيد بن أرقم اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد أنك لرسول الله الآيات فقال النبي صلى الله عليه وسلم لزيد بن أرقم رضي الله عنه ياذا الاذن الواعية ان الله صدق مقالتك وتلا صلى الله عليه وسلم الآيات فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يارسول الله دعني أضرب عنق ابن أبي فانه رأس المنافقين فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه وأنزل الله تعالى في حق عمر رضي الله عنه قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله ليجزي قوما بما كانوا يكسبون من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم الى ربكم ترجعون اخوين

و جاء في رواية عن عمر رضي الله عنه قال لما كان من أمر ابن أبي ما كان جئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في في شجرة أي ظلها عنده غلام أسود يغمز ظهره أي يكبسه فقلت يارسول الله كأنك تشتكي ظهرك فقال تقحمت بي الناقة فقلت يارسول الله ائذن لي أن أضرب عنق ابن أبي أو مر محمد بن مسلمة أو عباد بن بشر فليقتله فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يا عمر اذا تحدث

امرأته وهي خولة بنت حكيم وقيل أم العلاء الانصارية وكان نزل عليها وقيل أم خارجة بن زيد طبت هنيئا لك الجنة أبا السائب فنظر اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم نظرة غضب وقال وما يدريك فقالت يارسول الله ما رسلك وصاحبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أدري ما يفعل بي فاشفق الناس على عثمان وعن عائشة رضي الله تعالى عنها ان خولة بنت حكيم دخلت عليها وهي منشوشة الخاطر فقالت لها عائشة مالك قالت زوجي تعني عثمان بن مظعون يقوم الليل ويصوم النهار فدخل النبي صلى الله عليه وسلم على عائشة فذكرت له ذلك فلقي عثمان فقال له يا عثمان ان الرهبانية لم تكتب علينا أما لك بي اسوة والله ان أخشاكم لله وحدوده لانا أي وسماء السلف الصالح فقال عند دفن ولده ابراهيم الحق بسلفنا الصالح وقال عند دفن بنته زينب الحق بسلفنا الخير عثمان بن مظعون ومات أسعد بن زرارة رضي الله تعالى عنه ووجد أي حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجدا شديدا عليه وكان نقيبا لبني النجار فلم يجعل لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم نقيبا بعده أي بعد ان قالوا له اجعل انا رجلا مكانه يقيم من أمرنا ما كان يقيم وقال لهم أنتم أخوالي وأنا نقيبكم وكره أن يخص بذلك بعضهم دون بعض فكانت من مفاخرهم أي ووهم ابن منده وأبو نعيم في قولهما ان أبا امامة كان نقيبا لبني ساعدة لانه صلى الله عليه وسلم كان يجعل نقيب كل قبيلة منهم ومن ثم كان نقيب بني ساعدة سعد بن عبادة أي وقد قيل ان قبل قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة مات البراء بن معرور فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ذهب هو وأصحابه فصلى على قبره وقال اللهم اغفر له وارحمه وارض عنه وقد فعلت وهي أول صلاة صليت على الميت في الاسلام بناء على ان المراد بالصلاة حقيقتها والا جاز أن يراد بالصلاة الدعاء ويوافق ذلك قول الامتاع لم أجد في شيء من كتب السير متى فرضت صلاة الجنازة ولم ينقل انه صلى الله عليه وسلم صلى على عثمان بن مظعون وقد مات في السنة الثانية وكذلك أسعد بن زرارة مات في السنة الاولى ولم ينقل انه صلى الله عليه وسلم صلى عليه الصلاة الحقيقية وقد تقدم ذلك وتقدم ما فيه وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا بين المهاجرين والانصار وادع فيه يهود أي بني قينقاع وبني قريظة وبني النضير أي صالحهم على ترك الحرب والاذى أي أن لا يحاربهم ولا يؤذيهم وأن لا يعينوا عليه أحدا وانه ان دهمه بهاعد وينصروه ويعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم وقد ذكر في الاصل صورة الكتاب وآخى صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والانصار في دار أنس بن مالك وهي دار أبي طلحة زوج أم أنس أي واسمه زيد بن سهل وقد ركب البحر غازيا فمات فلم يجدوا جزيرة يدفنونه فيها الا بعد سبعة أيام فدفنوه بها ولم يتغير وعن أنس رضي الله تعالى عنه ان أبا طلحة لم يكن يكثر من الصوم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب الغزو فلما مات صلى الله عليه وسلم سرد الصوم وكانت المؤاخاة بعد بناء المسجد وقيل والمسجد يبنى على المواساة والحق وان يتوارثوا بعد الموت دون ذوي الارحام وفي لفظ دون القرابة فقال تآخوا في الله

الناس بأن محمدا يقتل أصحابه وفى رواية قال عمر يارسول الله ان كرهت أن يقتله مهاجرى فأمر به أنصاريا فقال صلى الله عليه وسلم لا آمر ولكن ائذن بالرحيل وكان ذلك فى ساعة لم يكن يرحل فيها أى لشدة الحر ولعل النبى صلى الله عليه وسلم أراد اطفاء الشر وخشى من اتساع الامر بين المهاجرين والانصار فارتحل الناس (وجاء) الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسيد بن حضير فحياه بتحية النبوة وسلم عليه أى قال السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته ثم قال يانبى الله لقد رحلت فى ساعة منكرة ما كنت ترحل فى مثلها أى لانه كان لا يرحل الا اذا برد الوقت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بلغك ما قال صاحبكم زعم أنه ان رجع الى المدينة أخرج الاعز منها الاذل فقال أسيد بن حضير رضى الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم يارسول الله أنت والله تخرجه ان شئت وهو والله الذليل وأنت العزيز ثم قال ارفق به فوالله لقد جاءنا الله بك وان قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه وانه ليرى انك قد استلبته ملكا ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس سيرا حثيثا بحيث صار يضرب راحلته بالسوط فى مراقها أى مارق من جلد أسفل بطنها وسار يومهم ذلك وليلتهم وصدر اليوم الثانى حتى آذتهم الشمس ثم نزل بالناس وكان لعبد الله بن أبى ابن يسمى الحباب فسماه النبى صلى الله عليه وسلم عبد الله يوم مات أبيه وكان مؤمنا صادقا رضى الله عنه فجاء الى النبى صلى الله عليه وسلم لما بلغته مقالة عمر رضى الله عنه من قتل أبيه فقال يارسول الله انه بلغنى انك تريد قتل عبد الله بن أبى يعنى أباه فيما بلغك عنه فان كنت تريده فمرنى أنا أحمل لك رأسه فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجل أبر بوالده منى وانى اخشى أن تأمر به غيرى فيقتله فأقتل مؤمنا بكافر فادخل النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل فترفق به ونحسن صحبته ما بقى معنا وفى رواية فمرنى فوالله لاحملن اليك رأسه قبل أن تقوم من مجلسك هذا وانى لاخشى يارسول الله ان تأمر به غيرى فيقتله فلا تدعنى نفسى ان أنظر قاتل أبى يمشى فى الناس فاقتله فادخل النار وعفوك أفضل ومنك أعظم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أردت قتله ولا أمرت به ولنحسن صحبته ما كان بين أظهرنا ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى وادى

أخوين أخوين ﴿أقول﴾ ذكر ابن الجوزى عن زيد بن أبى أوفى قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجد المدينة فجعل يقول أين فلان أين فلان فلم يزل يتفقدهم ويبعث اليهم حتى اجتمعوا عنده فقال انى محدثكم بحديث فاحفظوه وعوه وحدثوا به من بعدكم ان الله تعالى اصطفى من خلقه خلقا ثم تلا هذه الآية الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس وانى أصطفى منكم من أحب ان أصطفيه وأواخى بينكم كما آخى الله تعالى بين ملائكته قم يا أبا بكر فقام فجثا بين يديه صلى الله عليه وسلم فقال ان لك عندى يدا الله يجزيك بها ولو كنت متخذا خليلا لاتخذتك خليلا فانت منى بمنزلة قميصى من جسدى وحرك قميصه بيده ثم قال ادن يا عمر فدنا فقال قد كنت شديد البأس علينا يا أبا حفص فدعوت الله ان يعز بك الدين أو بأبى جهل ففعل الله ذلك بك وكنت أحبهما الى الله فأنت معى فى الجنة ثالث ثلاثة من هذه الامة وآخى بينه وبين أبى بكر هذا كلام ابن الجوزى وهو يقتضى أنه صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة آخى بين المهاجرين والانصار أيضا كما آخى بينهم قبل الهجرة وهذا لا يتم الا لو آخى بين غير أبى بكر وعمر من المهاجرين ويكون ابن أبى أوفى اقتصر والمعروف المشهور ان المؤاخاة انما وقعت مرتين مرة بين المهاجرين قبل الهجرة ومرة بين المهاجرين والانصار بعد الهجرة والله أعلم ويدل لذلك قول بعضهم كانوا اذ ذاك خمسين من المهاجرين وخمسين من الانصار أى وقيل كانوا تسعين فأخذ بيد على بن أبى طالب وقال هذا أخى فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أخوين وآخى بين أبى بكر وخارجة بن زيد وكان صهرا لابى بكر كانت ابنته تحت أبى بكر وبين عمر وعتبان بن مالك وبين أبى رويم الخثعمى وبين بلال وبين أسيد بن حضير وبين زيد ابن حارثة وكان أسيد ممن كناه النبى صلى الله عليه وسلم كناه أبا عبس وكان من أحسن الناس صوتا بالقرآن وكان أحد العقلاء أهل الرأى وكان الصديق رضى الله تعالى عنه يكرمه ولا يقدم عليه أحدا وآخى بين أبى عبيدة وبين سعد بن معاذ وآخى بين عبد الرحمن بن عوف وبين سعد بن الربيع وعند ذلك قال سعد لعبد الرحمن يا عبد الرحمن انى من أكثر الانصار مالا فأنا مقاسمك وعندى امرأتان فانا مطلق احداهما فاذا انقضت عدتها فتزوجها فقال له بارك الله لك فى أهلك ومالك وفى الاصل عن ابن اسحق آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه من المهاجرين والانصار فقال تآخوا فى الله أخوين أخوين وفى كلام بعضهم أنه صلى الله عليه وسلم آخى بين حمزة وبين زيد بن حارثة واليه أوصى حمزة يوم أحد فليتأمل فانهما مهاجران ثم أخذ بيد على بن أبى طالب وقال هذا أخى فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أخوين وفيه ان هذا ليس من المؤاخاة بين المهاجرين والانصار وقد تقدم فى المؤاخاة بين المهاجرين قبل الهجرة مؤاخاته له صلى الله عليه وسلم وفى رواية لما آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه جاء على تدمع عيناه فقال يارسول الله آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بينى وبين أحد فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت أخى فى الدنيا والآخرة قال الترمذى هذا حديث

العقيق تقدم الحباب بن عبد الله بن أبي حتى أمسك بناقة أبيه وقال والله لا تدخلها يعني المدينة حتى يأذن لك رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعلم اليوم من الاعز ومن الاذل وفي رواية حتى تقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الاعز وأنت الاذل أولاضربن عنقك فلما رأى منه الجد قال أشهد أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنه جزاك الله خيرا وكانت غيبته صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة ثمانية وعشرين يوما ١٠٢ وقدم المدينة في رمضان والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿غزوة الخندق﴾

وتسمى غزوة الاحزاب قال موسى ابن عقبة كانت سنة أربع وقال ابن اسحق سنة خمس في شوال وبذلك جزم أهل المغازي ومال البخاري الى قول موسى بن عقبة وسبب هذه الغزوة انه لما وقع اجلاء بني النضير سار نفر من اليهود منهم سلام بن مشكم وابن أبي الحقيق وحيي بن أخطب وغيرهم وخرجوا من خيبر حتى قدموا مكة على قريش فقالوا لهم انا سنكون معكم على محمد حتى نستأصله قال ابن اسحق فقالت لهم قريش انكم أهل الكتاب الاول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد أفديننا خير أم دينه قالوا بل دينكم خير من دينه وأنتم أولى بالحق منه فانزل الله تعالى فيهم ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا الى قوله وكفى بجهنم سعيرا فسرت قريش بقول اليهود لهم ذلك وبشهادتهم لهم فنشطوا لما دعوهم اليه فاجتمعوا لذلك واستعدوا وتواعدوا على وقت يخرجون فيه ثم خرج أولئك اليهود حتى جاؤا غطفان من قيس بن غيلان فدعوهم الى حربه صلى الله عليه وسلم وأخبروهم انهم سيكونون معهم عليه وجعلوا لهم ثمر خيبر سنة ان هم نصروهم وأخبروهم ان قريشا تابعوهم على ذلك فاجتمعوا معهم وخرجت قريش في أربعة آلاف وعقدوا اللواء في دار الندوة وحمله عثمان بن أبي طلحة وقائد القوم أبو سفيان بن حرب وقد أسلم بعد ذلك رضي الله عنه وقادوا معهم ثلثمائة فرس وألفا وخمسمائة بعير ولاقتهم بنو سليم بمر الظهران في سبعمائة يقودهم سفيان بن عبد شمس حليف حرب بن أمية وخرجت معهم بنو أسد يقودهم

حسن غريب وآخى بين جعفر بن أبي طالب وهو غائب بالحبشة وبين معاذ بن جبل أي ارصد معاذ الاخوة جعفر اذا قدم من الحبشة وبه يرد ما قيل جعفر بن أبي طالب انما قدم في فتح خيبر سنة سبع فكيف يؤاخي بينه وبين معاذ بن جبل أول مقدمه عليه الصلاة والسلام وآخى بين أبي ذر الغفاري والمنذر بن عمرو وبين حذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر وبين مصعب بن عمير وأبي أيوب وفي الاستيعاب أنه آخى بين سلمان وأبي الدرداء وجاء سلمان لابي الدرداء زائرا فرأى أم الدرداء مبتذلة فقال ما شأنك قالت ان أخاك ليس له حاجة في شيء من الدنيا فقال له سلمان ان لربك عليك حقا ولاهلك عليك حقا ولجسدك عليك حقا فأعط كل ذي حق حقه فسأل أبو الدرداء النبي صلى الله عليه وسلم عما قال سلمان فقال له مثل ما قال سلمان ولعل هذه المؤاخاة بين سلمان وأبي الدرداء كانت قبل عتق سلمان لانه تأخر عتقه عن أحد لان أول مشاهده الخندق كما تقدم * وروى الامام أحمد عن أنس أنه آخى بين أبي عبيدة وبين أبي طلحة وقد تقدم انه آخى بينه وبين سعد بن معاذ وقال المهاجرون يا رسول الله ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة في قليل ولا أحسن بذلا في كثير كفونا المؤنة وأشركونا في المهنة أي الخدمة حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالاجر كله قال لا ما أثنيتم عليهم ودعوتم لهم أي فان ثناءكم عليهم ودعاءكم لهم حصل منكم به نوع مكافأة قال بعضهم والمؤاخاة من خصائصه صلى الله عليه وسلم ولم يكن ذلك لنبي قبله ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لي بعياش بن أبي ربيعة وهشام ابن العاص أي المحبوسين عند قريش المانعين لهما من الهجرة فقال الوليد بن الوليد بن المغيرة أي بعد أن خرج الى المدينة من حبس أهله له بمكة كما تقدم أنا لك يا رسول الله بهما فخرج الى مكة فقدمها مستخفيا فاتى امرأة تحمل طعاما فقال لها أين تريدين يا أمة الله قالت أريد هذين المحبوسين تمنيهما فتبعها حتى عرف موضعهما وكان بيتا لا سقف له فلما أمسى تسور عليهما ثم أخذ مروة أي حجرا فوضعها تحت قيدهما ثم ضربهما بسيفه فقطعهما فكان يقال لسيفه ذو المروة ثم جعلهما على بعيره وساق بهما فعثر فدميت أصبعه فانشد أي متمثلا

هل أنت الا أصبع دميت * وفي سبيل الله ما لقيت

ثم قدم بهما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدم أن ذلك يرد القول بان عياشا استمر محبوسا حتى فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وقد دعا صلى الله عليه وسلم في قنوت الصلاة بقوله اللهم أنج الوليد بن الوليد أي وذلك قبل أن يتخلص من حبسه بمكة أي فان الوليد أسر يوم بدر أسره عبد الله بن جحش فقدم في فدائه أخواه خالد وكان أخاه لابيه وهشام وكان أخاه لامه وأبيه أي ومن ثم لما أبى عبد الله ان يأخذ في فداء الوليد الا أربعة آلاف درهم وصار خالد يأبى ذلك قال له هشام انه ليس بابن أمك والله لو أبى فيه الا كذا وكذا لفعلت ويقال انه صلى الله عليه وسلم قال لعبد الله بن جحش لا تقبل في فدائه الا سملة أبيه وهي درع فضفاضة مقومة بمائة دينار فجاء بها وسلمها الى عبد الله فلما افتدى وقدم الى مكة أسلم فقيل له هلا أسلمت قبل ان تفتدي فقال

طليحة بن خويلد الاسدى وقد أسلم بعد ذلك رضى الله عنه وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن الفزارى وقد أسلم بعد ذلك ثم ارتد ثم أسلم فى زمن الصديق رضى الله عنه وخرج الحرث بن عوف المرى فى بنى مرة وقد أسلم بعد تبوك رضى الله عنه وكان قومه الذين خرجوا معه أربعمائة وخرجت أشجع وهم أربعمائة يقودهم مسعود بن رخيلة وقد أسلم بعد ذلك رضى الله عنه وخرج غيرهم من قبائل العرب وكان عدة أولئك الاحزاب عشرة آلاف كما قال ابن اسحق وكان المسلمون ألفا وقيل ثلاثة آلاف وكان مع المسلمين ستة وثلاثون فرسا ولما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاحزاب وما أجمعوا عليه من الامر الذى زعموه وهو استئصال المسلمين اتخذ الخندق ولم يكن ذلك من شأن العرب ولكنه من مكايد الفرس وكان الذى أشار به سلمان الفارسى رضى الله عنه فقال يارسول الله انا كنا بفارس اذا حوصرنا خندقنا علينا فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفره وعمل فيه بنفسه ترغيبا للمسلمين وأمر صلى الله عليه وسلم أصحابه بالجد ووعدهم النصر ان هم صبروا واتقوا وأمرهم بالطاعة وكان الخندق فى شامى المدينة من طرف الحرة الشرقية الى طرف الحرة الغربية عند جبل سلع وخط صلى الله عليه وسلم لكل عشرة من الناس عشرة أذرع يعملون فيها وكان سلمان رضى الله عنه يعمل عمل عشرة فتنافس فيه المهاجرون والانصار فقال المهاجرون سلمان منا وقالت الانصار سلمان منا فقال النبى صلى الله عليه وسلم سلمان منا أهل البيت وتأخر عن العمل أناس من المنافقين ومن خرج منهم صار يعمل عملا ضعيفا ويعتذرون بالضعف وفى البخارى عن سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه قال كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى الخندق ونحن ننقل التراب على أكتادنا فقال صلى الله عليه وسلم اللهم لا عيش الا عيش الآخره * فاكرم الانصار والمهاجره وهو من كلام ابن رواحة رضى الله عنه وأصله * لاهم ان العيش عيش الآخره * فنطق به النبى صلى الله عليه وسلم اللهم لا عيش الخ لانه يعسر عليه النطق بالشعر وان كان من قول غيره وفى البخارى أيضا عن أنس رضى الله عنه خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الخندق

كرهت أن يظنوا بى انى جزعت من الاسار فلما أسلم حبسه أهل مكة ثم أفلت ولحق برسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد عمرة القضاء وكتب الى أخيه خالد فوقع الاسلام فى قلب خالد وكان خالد من جملة من خرج من مكة فارا لئلا يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه كراهة الاسلام وأهله فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم الوليد عنه وقال لو أتانا خالد لاكرمناه وما مثله يجهل الاسلام فكتب له أخوه الوليد بذلك وفى مدة حبس الوليد كان صلى الله عليه وسلم فى كل ليلة اذا صلى العشاء الآخرة قنت فى الركعة الاخيرة يقول اللهم انج الوليد بن الوليد اللهم أنج سلمة بن هشام اللهم أنج عياش بن أبى ربيعة اللهم أنج هشام بن العاص اللهم أنج المستضعفين من المؤمنين اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين مثل سنى يوسف فأكلوا العلهز ثم لم يزل يدعو للمستضعفين حتى نجاهم الله أى بعد ان نجى عياشا وهشاما والوليد (أقول) هذه الرواية تدل على انه كان يدعو بما ذكر فى الركعة الاخيرة من العشاء الآخرة وفى البخارى ان ذلك كان فى الركعة الاخيرة من الصبح وقد يقال لا مخالفة لانه كان صلى الله عليه وسلم تارة يدعو فى الركعة الاخيرة من صلاة العشاء الآخرة وتارة فى الركعة الاخيرة من الصبح أو كان يدعو بذلك فيهما وكل روى بحسب ما رأى والله أعلم ثم لا زال المهاجرون والانصار يتوارثون بذلك الاخاء دون القرابات الى ان نزل قوله تعالى فى وقعة بدر وأولو الارحام أى القرابات بعضهم أولى ببعض أى فى الارث فى كتاب الله أى اللوح المحفوظ فنسخت ذلك أى لانه كان الغرض من المؤاخاة ذهاب وحشة الغربة ومفارقة الاهل والعشيرة وقد أزيل بعضهم ببعض فلما عز الاسلام واجتمع الشمل وذهبت الوحشة بطل التوارث ورجع كل انسان الى نسبه وذوى رحمه أى ومن ثم قيل لزيد بن حارثة زيد بن حارثة أى بعد ان كان يقال له زيد بن محمد وكانت المؤاخاة بعد الهجرة بخمسة أشهر وقيل غير ذلك ﴿أقول﴾ تقدم ان سبب امتناع ان يقال زيد بن محمد نزول قوله تعالى ادعوهم لآبائهم أى ومن ثم قيل للمقداد بن عمرو وكان يقال له المقداد بن الاسود لان الاسود كان تبناه فى الجاهلية ومن لم يعرف أبوه ردا الى مواليه ومن ثم قيل لسالم مولى أبى حذيفة ابن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بعد ان كان يقال له سالم بن أبى حذيفة فكان أبو حذيفة يرى انه ابنه ومن ثم انكحه ابنة أخيه فاطمة بنت الوليد بن عتبة وجاءت سهلة بنت سهيل بن عمرو امرأة أبى حذيفة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله انا كنا نرى سالما ولدا وكان يدخل على وقد بلغ ما يبلغ الرجال وانه يدخل على وأظن فى نفس أبى حذيفة من ذلك شيأ فما ترى فيه فقال ارضعيه تحرمى وعن أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم قالت لعائشة ما نرى هذه الا رخصة رخصها رسول الله صلى الله عليه وسلم لسالم وكان سالم رضى الله تعالى عنه يؤم المهاجرين الاولين فى مسجد قباء فيهم أبو بكر وعمر وفى ينبوع الحياة كانت المؤاخاة بين المهاجرين والانصار توجب التوارث بينهم ثم نسخ ذلك قبل العمل به وأما قول ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كانوا يتوارثون بذلك

فاذا المهاجرون والانصار يحفرون فى غداة باردة فلم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم فلما رأى صلى الله عليه وسلم ما بهم من النصب قال * اللهم ان العيش عيش الآخره فاغفر للانصار والمهاجره * وأراد صلى الله عليه وسلم تسلية أصحابه وتهوين الامر عليهم فان العيش الدائم المعتبر عيش الآخرة لا عيش الدنيا لكدورته وكونه مع المنغصات التى لا تتناهى ثم هو فان وان طال قل متاع الدنيا قليل وقال المهاجرون والانصار مجيبين للنبى صلى الله عليه وسلم نحن الذين بايعوا محمدا * على الجهاد ما بقينا أبدا

وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم كان يجيبهم بقوله اللهم ان العيش الخ ويحتمل أنه كان يجيبهم ويجيبونه فلا تنافى وفى انشاد الشعر تنشيط على العمل وبذلك جرت عادتهم فى الحرب وأكثر ما يستعملونه الرجز وفى البخارى من حديث البراء بن عازب رضى الله عنهما قال لما كان يوم الاحزاب وخندق صلى الله عليه وسلم رأيته ينقل من تراب الخندق حتى وارى الغبار جلدة بطنه الشريفة صلى الله عليه وسلم وكان كثير الشعر وكان يرتجز وهو ينقل التراب بقول ابن رواحة رضى الله عنه

والله لولا أنت ما اهتدينا
ولا تصدقنا ولا صلينا
فانزلن سكينة علينا
وثبت الاقدام ان لاقينا
ان الالى قد رغبوا علينا
اذا أرادوا فتنة أبينا

ورفع صوته بقوله أبينا أبينا وأخرج البيهقى عن سلمان رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم حين ضرب فى الخندق قال

باسم الاله وبه بدينا
ولو عبدنا غيره شقينا
فحبذا ربا وحب دينا

وهو من كلام بعض أصحابه يتمثل به أو من كلامه بناء على ان الرجز ليس بشعر أو ان الشعر شرطه أن يكون مقصودا كونه شعرا موزونا أما اذا خرج موزونا بلا قصد فلا يسمى شعرا وقد وقع فى حفر الخندق آيات من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم منها ما فى صحيح البخارى وغيره عن جابر رضى الله عنه انا يوم الخندق نحفر فعرضت أى ظهرت لنا كدية شديدة بضم الكاف مصغرا وهى القطعة الصلبة من الارض لا يعمل فيها المعول فجاؤا للنبى صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله هذه كدية عرضت فى الخندق فقال رشوها بالماء فقام وبطنه معصوب بحجر ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقا فأخذ النبى صلى الله عليه وسلم

حتى نزلت وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فمعناه انهم التزموا هذا الحكم ودانوا به ومن المشكل حينئذ ما نقل ان الحتات بضم الحاء وفتح المثناة فوق مخففة كان صلى الله عليه وسلم آخى بينه وبين معاوية ولما مات الحتات عند معاوية فى خلافته ورثه بالاخوة مع وجود أولاده ثم رأيت الحافظ ابن حجر فى الاصابة ذكر ذلك ونظر فيه والله أعلم

﴿باب بدء الاذان ومشروعيته﴾

أى والاقامة ومشروعيتها وكل منهما من خصائص هذه الامة كما ان من خصائصها الركوع والجماعة وافتتاح الصلاة بالتكبير فان صلاة الامم السابقة كانت لا ركوع فيها ولا جماعة وكانت الانبياء كأممهم يستفتحون الصلاة بالتوحيد والتسبيح والتهليل أى وكان دأبه صلى الله عليه وسلم فى احرامه لفظة الله أكبر ولم ينقل عنه سواها أى كالنية ولا يشكل على الركوع قوله تعالى لمريم واسجدى واركعى مع الراكعين لان المراد به فى ذلك الخضوع والصلاة لا الركوع المعهود كما قيل لكن فى البغوى قيل انما قدم السجود على الركوع لانه كان كذلك فى شريعتهم وقيل بل كان الركوع قبل السجود فى الشرائع كلها وليست الواو للترتيب بل للجمع هذا كلامه فليتأمل وكان وجود ذلك أى الاذان والاقامة فى السنة الاولى وقيل فى الثانية ذكر ان الناس انما كانوا يجتمعون للصلاة لتحين مواقيتها أى لدخول أوقاتها من غير دعوة أى وقد قال ابن المنذر هو صلى الله عليه وسلم كان يصلى بغير أذان منذ فرضت الصلاة بمكة الى أن هاجر الى المدينة والى ان وقع التشاور قال ووردت أحاديث تدل على ان الاذان شرع بمكة قبل الهجرة من تلك الاحاديث ما فى الطبرانى عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال لما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم أوحى الله تعالى اليه بالاذان فنزل به وعلمه بلالا قال الحافظ ابن رجب هو حديث موضوع ومنها ما رواه ابن مردويه عن عائشة رضى الله تعالى عنها مرفوعا لما أسرى بى أذن جبريل فظنت الملائكة أنه أى جبريل يصلى بهم فقدمنى فصليت قال فيه الذهبى حديث منكر بل موضوع هذا كلامه على انه يدل على ان المراد بالاذان الاقامة كما تقدم انها المرادة بالاذان انتهى ﴿أقول﴾ ومن أغرب ما وقع فى بدء الاذان ما رواه أبو نعيم فى الحلية بسند فيه مجاهيل ان جبريل نادى بالاذان لآدم حين أهبط من الجنة وقد سئل الحافظ السيوطى هل ورد ان بلالا أو غيره أذن بمكة قبل الهجرة فاجاب بقوله ورد ذلك باسانيد ضعيفة لا يعتمد عليها والمشهور الذى صححه أكثر العلماء ودلت عليه الاحاديث الصحيحة ان الاذان انما شرع بعد الهجرة وأنه لم يؤذن قبلها لا بلال ولا غيره وذكر فى الدر فى قوله تعالى ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا انها نزلت بمكة فى شأن المؤذنين والاذان انما شرع فى المدينة فهى مما تأخر حكمه عن نزوله هذا كلامه وفى كلام الحافظ ابن حجر ما يوافقه حيث ذكر أن الحق أنه لا يصح شئ من الاحاديث الدالة على أن الاذان شرع بمكة قبل الهجرة وذكر ما تقدم عن ابن المنذر

المعول فسمى ثلاثا ثم ضرب فعاد المضروب كثيبا أهيل أى رملا يسيل وفى رواية دعا بإناء من ماء فتفل فيه ثم دعا بما شاء الله ان يدعو ثم نضح ذلك الماء على تلك الكدية قال من حضرها فوالذى بعثه بالحق لقد انهالت حتى عادت مثل الكثيب لا ترد فاسا ولا مسحاة وفى رواية للبراء بن عازب رضى الله عنهما عرضت لنا فى بعض الخندق صخرة لا تأخذ فيها المعاول فاشتكينا ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فجاء وأخذ المعول من سلمان رضى الله عنه فقال باسم الله ثم ضربها فنثر ثلثها ١٠٥ وخرج نور أضاء ما بين لابتى المدينة فقال

المنذر من أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلى من غير أذان منذ فرضت الصلاة بمكة الى أن هاجر صلى الله عليه وسلم الى المدينة والى ان وقع التشاور فى ذلك أى فقد ائتمر صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه كيف يجمع الناس للصلاة فقيل له انصب راية عند حضور الصلاة فاذا رآها الناس آذن أى أعلم بعضهم بعضا فلم يعجبه ذلك فذكر له بوق يهود أى ويقال له الشبور بفتح الشين المعجمة ثم موحدة مشددة مضمومة ثم واو ساكنة ثم راء ويقال له القبع بضم القاف واسكان الموحدة وقيل بفتحها وقيل باسكان النون وبالعين المهملة قال السهيلى وهو أولى بالصواب وقيل بالمثناة فوق وقيل بالمثلثة وهو القرن الذى يدعون به اصلاتهم أى يجتمعون لها عند سماع صوته فكرهه صلى الله عليه وسلم وقال هو من أمر اليهود فذكر له الناقوس الذى يدعون به النصارى لصلاتهم فقال هو من أمر النصارى أى فقالوا لو رفعنا نارا أى فاذا رآها الناس أقبلوا الى الصلاة فقال ذلك للمجوس وقيل كما فى حديث الشيخين عن ابن عمر أن عمر رضى الله تعالى عنهما قال أولا تبعثون رجلا ينادى بالصلاة أى بحضورها أى ففعلوا ذلك وكان المنادى هو بلال رضى الله تعالى عنه قال الحافظ ابن حجر وكان اللفظ الذى ينادى به بلال أى قبل رؤيا عبد الله الصلاة جامعة كما رواه ابن سعد وسعيد بن منصور عن سعيد بن المسيب مرسلا وقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم قال لقد هممت ان ابث رجالا ينادون الناس بحين الصلاة أى فى حينها أى وقتها وقد هممت ان آمر رجالا تقوم على الاطام ينادون المسلمين بحين الصلاة أى ولعل هذا كان منه صلى الله عليه وسلم قبل وقوع ما تقدم عن بلال ثم أمر بلال بما تقدم وقيل ائتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه بالناقوس أى اتفقوا عليه فنحت ليضرب به المسلمون أى وهو خشبة طويلة يضرب عليها بخشبة صغيرة فنام عبد الله بن زيد فأرى الاذان أى والاقامة فى منامه فعنه رضى الله تعالى عنه قال لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناقوس فطاف بى وأنا نائم رجل وفى افظ انى لبين نائم ويقظان طاف بى رجل والمراد أنه نام نوما خفيفا قريبا من اليقظة فرؤيته كالمتوسطة بين النوم واليقظة قال الحافظ السيوطى أظهر من هذا أن يحمل على الحالة التى تعترى أرباب الاحوال ويشاهدون فيها ما يشاهدون ويسمعون ما يسمعون والصحابة رضى الله تعالى عنهم أجمعين هم رؤس أرباب الاحوال أى وهذه الحالة هى التى عناها الشيخ عبد الله الدلاصى بقوله كنت بالمسجد الحرام فى صلاة الصبح فلما أحرم الامام وأحرمت أخذتنى أخذة فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى اماما وخلفه العشرة فصليت معهم فقر أرسول الله صلى الله عليه وسلم فى الركعة الاولى سورة المدثر وفى الثانية عم يتساءلون ثم سلم الامام فعقلت تسليمه فسلمت أى ويدل لذلك قول عبد الله بن زيد كما جاء فى رواية ولولا أن يقول الناس أى يستبعدوا ذلك لقلت انى كنت يقظان غير نائم وذلك الرجل عليه ثوبان أخضران يحمل ناقوسا فى يده فقلت يا عبد الله أتبيع الناقوس قال وما تصنع به فقلت ندعو به الى الصلاة قال أفلا أدلك على ما هو خير لك من ذلك فقلت بلى أى

الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام والله انى لابصر قصورها الحمر الساعة من مكانى ثم ضرب الثانية فقطع ثلثا آخر فبرقت برقة من جهة فارس أضاءت ما بين لابتيها فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس والله انى لابصر قصر المدائن الابيض الآن أى مدائن كسرى وفى رواية والله انى لابصر قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب من مكانى هذا وأخبرنى جبريل ان أمتى ظاهرة عليها فأبشروا بالنصر فسر المسلمون ثم ضرب الثالثة وقال باسم الله فقطع بقية الحجر وخرج نور من قبل اليمن فأضاء ما بين لابتى المدينة حتى كأنه مصباح فى جوف ليل مظلم فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن والله انى لابصر أبواب صنعاء من مكانى الساعة وقد حكى الله عن المنافقين انهم حين سمعوا ذلك قالوا ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا قال ابن اسحق وحدثنى من لا أتهم عن أبى هريرة رضى الله عنه انه كان يقول حين فتحت هذه الامصار فى زمان عمر وعثمان رضى الله عنهما افتحوا ما بدا لكم والذى نفس أبى هريرة بيده ما افتتحتم من مدينة ولا تفتتحونها الى يوم القيامة الا وقد أعطى الله محمدا صلى الله عليه وسلم

١٤ سيره ثانى مفاتيحها قبل ذلك ومن اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم ما ثبت فى الصحيح من حديث جابر رضى الله عنه من تكثير الطعام القليل فانه رضى الله عنه كان عنده صاع من شعير وشويهة فأحب أن يدعو النبى صلى الله عليه وسلم وبعض أصحابه عليه فلما أخبره دعا أهل الخندق وكفاهم ذلك الطعام كما سيأتى ان شاء الله تعالى فى مبحث المعجزات وجاءت ابنة لبشير بن سعد أخت النعمان بجفنة من تمر لابيها وخالها ابن رواحة رضى الله عنهما ليتغديا به فقال لها صلى الله عليه وسلم هاتيه فصبته فى كفيه فملأهما ثم

أمر بثوب فبسط له ثم قال لانسان اصرخ فى أهل الخندق أن هلم الى الغداء فاجتمعوا عليه فجعلوا يأكلون وجعل التمر يزيد حتى صدروا عنه وانه ليسقط من أطراف الثوب وأقاموا فى حفر الخندق ستة أيام وقيل عشرين يوما وقيل أربعة وعشرين وقيل شهرا ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من حفره أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع السيول بين الجرف والغابة هم ومن تبعهم من بنى كنانة وأهل تهامة ونزل عيينة بن حصن مع ١٠٦ غطفان ومن تبعهم من أهل نجد الى جنب أحد وكلهم عشرة آلاف كما تقدم

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين وكانوا ثلاثة آلاف فجعلوا ظهورهم الى سلع وهو جبل معروف بالمدينة فضرب هنالك عسكره والخندق بينه وبين القوم واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم رضى الله عنه وكان لواء المهاجرين بيد زيد بن حارثة رضى الله عنه ولواء الانصار بيد سعد ابن عبادة رضى الله عنه وكان صلى الله عليه وسلم فى تلك المدة يبعث سلمة بن أسلم رضى الله عنه فى مائتى رجل وزيد بن حارثة رضى الله عنه فى ثلثمائة رجل يحرسون المدينة ويظهرون التكبير خوفا على الذرارى من بنى قريظة وخرج عدو الله حيى بن أخطب حتى أتى كعب بن أسد القرظى صاحب عقد بنى قريظة وعهدهم وكان قد صالح رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه وعاقده فأغلق كعب دونه باب حصنه وأبى أن يفتح له فقال له حيى ويحك يا كعب افتح لى أكلمك فقال له اذهب عنى انك امرؤ مشؤم وانى قد عاهدت محمدا فلست بناقض ما بينى وبينه فانى لم أر منه الا وفاء وصدقا فنسبه حيى الى البخل وقال له والله ما أغلقت دونى الا تخوفا على جشيشتك ان آكل معك منها والجشيشة بالجيم والشين البرّ يطحن غليظا ويقال الدشيش بالدال ولم يزل به حتى فتح له فقال ويلك يا كعب ان توافقنى وقيل جئتك بعز الدهر جئتك بقريش حتى أنزلتهم بمجتمع السيول ومن دون منزل قريش غطفان وقد عاهدونى على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمدا ومن معه فقال كعب جئتنى والله بذل الدهر وبجهام قد هراق ماءه يرعد ويبرق وليس فيه شئ ويحك يا حيى دعنى وما أنا عليه فانى لم أر من محمد الا صدقا ووفاء ولم يزل به يفتله فى الذروة والغارب حتى نقض عهده وبرئ مما كان بينه وبين رسول الله صلى الله

وفى رواية فقلت أتبيع الناقوس فقال ماذا تريد به فقلت أريد ان ابتاعه لكى أضرب به للصلاة لجماعة الناس قال فأنا أحدثك بخير لك من ذلك فقلت بلى قال تقول الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر أشهد أن لا اله الا الله أشهد أن لا اله الا الله أشهد أن محمدا رسول الله أشهد أن محمدا رسول الله حى على الصلاة حى على الصلاة حى على الفلاح حى على الفلاح الله أكبر الله أكبر لا اله الا الله قال عبد الله ثم استأخر عنى أى ذلك الرجل غير بعيد ثم قال وتقول اذا قمت الى الصلاة الله أكبر الله أكبر أشهد أن لا اله الا الله أشهد أن محمدا رسول الله حى على الصلاة حى على الفلاح قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة الله أكبر الله أكبر لا اله الا الله أى ففى هذه الرواية افراد ألفاظ الاقامة الا لفظها ولفظ التكبير أولا وآخرا وفى رواية رأى رجلا عليه ثياب خضر وهو قائم على سقف المسجد وفى رواية على جذم حائط بكسر الجيم وسكون المعجمة أى أصل الحائط ولا مخالفة لما سيعلم فأذن ثم قعد قعدة ثم قام فقال مثلها أى مثل الكلمات أى كلمات الاذان الا أنه يقول قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة أى زيادة على تلك الكلمات التى هى الاذان ففى هذه الرواية تثنية ألفاظ الاقامة والاتيان بالتكبير فى أولها أربعا كالاذان أى وهذا أى كونه على سقف المسجد وكونه على جذم حائط لا مخالفة بينهما لانه يجوز أن يكون لما قال له تقول الله أكبر الى آخر الاذان والاقامة كان قائما على سقف المسجد قريبا من جذم الحائط فنسب قيامه الى كل منهما ويكون قوله ثم استأخر عنى غير بعيد أى سكت غير طويل قال عبد الله فلما أصبحت أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بما رأيت أى وفى رواية انه أتاه ليلا وأخبره وهى المذكورة فى سيرة الحافظ الدمياطى ولا منافاة لانه يجوز أن يكون قول عبد الله فلما أصبحت أى قاربت الصباح فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انها لرؤيا حق ان شاء الله تعالى فقم مع بلال فألق عليه ما رأيت فليؤذن به فانه أندى وفى رواية أمد صوتا منك أى أعلى وأرفع وقيل أحسن وأعذب ولا مانع من ارادة ذلك كله هنا فقمت مع بلال وفى رواية فقال لبلال قم فانظر ما أمرك به عبد الله بن زيد فافعله فجعلت ألقيه عليه ويؤذن به أى فبلال أول مؤذنيه صلى الله عليه وسلم أى وقيل أول مؤذنيه عبد الله بن زيد ذكره الامام الغزالى وأنكره ابن الصلاح أى حيث قال لم أجد هذا بعد البحث عنه هذا كلامه وقد يقال لا منافاة لان عبد الله أول من نطق بالاذان وبلال أول من أعلن به وحينئذ يكون أول مشروعيته كان فى أذان الصبح فلما سمع بذلك أى باذان بلال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وهو فى بيته خرج يجر رداءه وفى رواية ازاره أى عجلا أى وقد أعلم بالقصة لقوله والذى بعثك بالحق يا رسول الله لقد رأيت مثل ما رأى عبد الله بن زيد رضى الله تعالى عنه وفى رواية مثل ما يقول أى بلال رضى الله تعالى عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلله الحمد قال الترمذى عبد الله بن زيد بن عبد ربه لا نعرف له عن النبى صلى الله عليه وسلم شيأ يصح الا هذا الحديث الواحد فى الاذان وقيل رأى مثل ما رأى عبد الله أبو بكر رضى الله تعالى عنه

عليه وسلم وأعطاه حتى عهدا على انه ان رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمدا ان أدخل معك فى حصنك يصيبنى ما أصابك ثم أرسل حيى بن أخطب الى قريش ان يأتيه منهم ألف رجل والى غطفان ان يأتيه منهم ألف ليغيروا على المدينة وجاء الخبر بذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعظم البلاء وصار الخوف على النساء والذرارى أشد من الخوف على أهل الخندق ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بنى قريظة نقضوا العهد قال من يأتى بنى قريظة فيأتينى بخبرهم قال الزبير رضى الله عنه فقلت أنا يا رسول الله فانطلقت اليهم فلما رجعت اليه جمع لى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أبويه ١٠٧ فى الفداء أى قال فداك أبى وأمى وفى رواية

وقيل سبعة من الانصار وقيل أربعة عشر قال ابن الصلاح لم أجد هذا بعد امعان النظر وتبعه النووى فقال هذا ليس بثابت ولا معروف وانما الثابت خروج عمر يجر رداءه وقيل رآه صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء أسمع ملكا يؤذن أى فقد جاء فى حديث بعض رواته متروك بل قيل انه من وضعه أنه لما أراد الله عز وجل ان يعلم رسوله الاذان جاء جبريل عليه السلام بداية يقال لها البراق فركبها حتى أتى الحجاب الذى يلى الرحمن فبينما هو كذلك خرج من الحجاب ملك فقال الله أكبر فقيل من وراء الحجاب صدق عبدى أنا أكبر أنا أكبر وذكر بقية الاذان فرؤيا عبد الله دلت على ان هذا الذى رآه فى السماء يكون سنة فى الارض عند الصلوات الخمس التى فرضت عليه تلك الليلة أى فلذلك قال انها الرؤيا حق ان شاء الله وفيه ان الذى تقدم عن الخصائص أن المراد بهذا الاذان الذى أتى به الملك الاقامة لا حقيقة الاذان أى ويدل لذلك ان الملك قال فيه قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة فقال الله صدق عبدى أنا أقمت فريضتها ثم قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم تقدم فأم أهل السماء فيهم آدم ونوح قال بعضهم والاذان ثبت بحديث عبد الله بن زيد باجماع الامة لا يعرف بينهم خلاف فى ذلك الا ما روى عن محمد بن الحنفية وعن أبى العلاء قال قلت لمحمد بن الحنفية انا نتحدث ان بدء هذا الاذان كان من رؤيا رآها رجل من الانصار فى منامه قال ففزع لذلك محمد بن الحنفية فزعا شديدا وقال عمدتم الى ما هو الاصل فى شرائع الاسلام ومعالم دينكم فزعمتم انه انما كان من رؤيا رآها رجل من الانصار فى منامه تحتمل الصدق والكذب وقد تكون أضغاث أحلام قال فقلت له هذا الحديث قد استفاض فى الناس قال هذا والله هو الباطل ثم قال وانما أخبرنى أبى أن جبريل عليه السلام أذن فى بيت المقدس ليلة الاسراء وأقام ثم أعاد جبريل الاذان لما عرج بالنبى صلى الله عليه وسلم الى السماء فسمعه عبد الله بن زيد وعمر بن الخطاب وفى رواية عنه انه لما انتهى الى مكان من السماء وقف به وبعث الله ملكا فقيل له علمه الاذان فقال الملك الله أكبر فقال الله صدق عبدى أنا الله أكبر الى ان قال قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة وفيه ما علمت ان هذا الاقامة لا الاذان وقد رد عليه بانه لو ثبت بقول جبريل لما احتج صلى الله عليه وسلم الى المشورة والمعراج كان بمكة قبل الهجرة والاولى ان يتمسك ابن الحنفية بما يأتى عن بعض الروايات من قوله صلى الله عليه وسلم لعبد الله قد سبقك بذلك الوحى وكونه أتى بالبراق الى الحجاب هو بناء على ان العروج كان على البراق وتقدم ما فيه ويحتمل ان يكون هذا عروجا آخر غير ذلك وحينئذ لا يخالف هذا ما تقدم انه لما أسرى بى أذن جبريل وتقدم ما فيه ولا ما جاء عن على رضى الله تعالى عنه مؤذن أهل السماء جبريل لجواز حمل ذلك على الغالب وحينئذ لا يخالف أيضا ما جاء اسرافيل مؤذن أهل السماء وامامهم ميكائيل عند البيت المعمور وفى لفظ يؤم بالملائكة فى البيت المعمور ولعل كون ميكائيل امام أهل السماء لا يخالف ما جاء عن عائشة رضى الله تعالى عنها امام أهل السماء جبريل لما علم وجاء ان مؤذن أهل السماء

انه صلى الله عليه وسلم بعث سعد بن معاذ وسعد بن عبادة وعبد الله بن رواحة وخوات بن جبير رضى الله عنهم ليعرفوا الخبر فقال انطلقوا لتنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا فان كان حقا فالحنوا لى لحنا أعرفه ولا تفتوا فى اعضاد الناس أى تكلموا لى بكلام فيه اشارة وتلويح ولا تأتوا بكلام صريح لئلا يفهمه كل الناس خوفا على الناس ان يقع لهم تثبيط وأصل اللحن العدول بالكلام عن الوجه المعروف عند الناس الى وجه لا يعرفه الا صاحبه وان كانوا على الوفاء فيما بيننا فاجهروا به للناس فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخبث ما بلغه عنهم حتى ان بعضهم كلم بنى قريظة فى شأن عهدهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا من رسول الله وتبرؤا من عقده وعهده وقال بعضهم لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد ثم أقبل السعدان ومن معهما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلحنوا له كما أمرهم وقالوا عضل والقارة كغدرهما باصحاب الرجيع أى غدروا كغدرهما باصحاب الرجيع فقال صلى الله عليه وسلم الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين ولا منافاة بين

ارسال هؤلاء وارسال الزبير رضى الله عنه لاحتمال انهم أرسلوا دفعة أو بعد ارساله وخص هؤلاء القوم بالارسال لانهم حلفاؤهم فيحتمل ان يرجعوا الى العهد بعد نقضه حياء من حلفائهم فغلبت عليهم الشقوة فعند ذلك عظم البلاء واشتد الخوف فاتاهم عدوهم من فوقهم أى من أعلى الوادى من قبل المشرق فانه نزل به غطفان ومن أسفل منهم أى من أسفل لوادى من قبل المغرب فانه نزل به قريش قال ابن عباس رضى الله عنهما اذ جاؤكم من فوقكم عيينة بن حصن ومن معه ومن أسفل منكم أبو سفيان بن حرب ومن معه واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا أى الظنون المختلفة بالنصر واليأس وظهر النفاق من

بقلوب المنافقين كما قال تعالى واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا قال ذلك معتب بن قشير وكان منافقا قال كان محمد يرى ان نأكل من كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لا يأمن ان يذهب الى الغائط وقيل ان قائل ذلك عبد الله ابن أبى ابن سلول وقال رجال من المنافقين يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا الى منازلكم بالمدينة فقالوا يا رسول الله ان بيوتنا عورة من العدو أى غير حصينة فأذن لنا نرجع الى ١٠٨ ديارنا فانها خارج المدينة قال تعالى وما هى بعورة ان يريدون الا فرارا ثم أقبل

يؤذن لاثنتى عشرة ساعة من النهار ولاثنتى عشرة ساعة من الليل (أقول) وفى النور لورآه أى الاذان ليلة الاسراء لم يحتج الى ما يجمع به المسلمين الى الصلاة ويرد بأنه لم يكن يعلم قبل هذه الرؤيا ان ما رآه فى السماء يكون سنة للصلوات الخمس التى فرضت عليه تلك الليلة فبتلك الرؤيا علم ان ذلك سنة فى الارض كما تقدم (وعبارة بعضهم) ولا يشكل على أذان جبريل ببيت المقدس ان الاذان انما كان بعد الهجرة لانه لا مانع من وقوعه ليلة الاسراء قبل مشروعيته للصلوات الخمس وهذا كله على تسليم ان المرئى له الاذان حقيقة لا الاقامة وقد علمت ما فيه ثم رأيت بعضهم قال وأما قول القرطبى لا يلزم من كونه سمعه ليلة الاسراء ان يكون مشروعا فى حقه ففيه نظر لقوله فى أوله لما أراد الله تعالى ان يعلم رسوله الاذان أى لان المتبادر تعليمه الاذان الذى يأتى به فى الارض للصلوات وقد يقال على تسليم ذلك قد علمت ان المراد بالاذان الذى سمعه ليلة الاسراء الاقامة وقد قال الحافظ ابن حجر الحق انه لم يصح شئ من هذه الاحاديث الواردة بأنه سمعه ليلة الاسراء ومن ثم قال ابن كثير فى بعض الاحاديث الواردة بأنه سمع هذا الاذان فى السماء ليلة المعراج هذا الحديث ليس كما زعم البيهقى انه صحيح بل هو منكر تفرد به زياد بن المنذر أبو الجارود الذى تنسب اليه الفرقة الجارودية وهو من المتهمين وبهذا يعلم ما فى الخصائص الصغرى خص صلى الله عليه وسلم بذكر اسمه فى الاذان فى عهد آدم وفى الملكوت الاعلى والله أعلم أى وروى بسند واه ان أول من أذن بالصلاة جبريل عليه السلام فى سماء الدنيا فسمعه عمر وبلال رضى الله تعالى عنهما فسبق عمر بلالا فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم ثم جاء بلال فقال له سبقك بها عمر وهذا الا دلالة فيه لانه يجوز أن يكون ذلك بعد رؤيا عبد الله وذكر ان عمر رضى الله تعالى عنه رآه من عشرين يوما وكتمه ولما أخبر صلى الله عليه وسلم بذلك قال له ما منعك ان تخبرنى قال سبقنى عبد الله بن زيد فاستحييت منه ﴿أقول﴾ فى هذا الكلام مالا يخفى فليتأمل انما قال له انها رؤيا حق لانه يجوز أن يكون جاءه صلى الله عليه وسلم الوحى بذلك قبل ان يجئ اليه عبد الله بن زيد به ومن ثم قال له حين أخبره بذلك على ما فى بعض الروايات قد سبقك بذلك الوحى فالاذان انما ثبت بالوحى لا بمجرد رؤيا عبد الله قال بعضهم فى قوله واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزوا الآية كان اليهود اذا نودى الى الصلاة وقام المسلمون اليها يقولون قاموا لا قاموا صلوا لا اصلوا على طريق الاستهزاء والسخرية وفيها دليل على مشروعية الاذان بنص الكتاب لا بالمنام وحده هذا كلامه ورده أبو حيان بان هذه جملة شرطية دلت على سبق المشروعية لا على انشائها هذا كلامه أى وذلك على تسليم أن يكون المدعو به للصلاة خصوص اللفظ الذى وجد فى المنام وصار بلال يؤذن بذلك للصلوات الخمس وينادى فى الناس لغير الصلوات الخمس لامر يحدث يطلب له حضور الناس كالكسوف والخسوف والاستسقاء الصلاة جامعة قيل وكان بلال اذا أذن قال أشهد أن لا اله الا الله حى على الصلاة فقال له عمر على اثرها أشهد أن محمدا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال قل كما قال عمر وهذا

نوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومى يريد قتل النبى صلى الله عليه وسلم فى زعمه على فرس له يسوس الخندق فوقع فى الخندق فاندقت عنقه فقتله الله وقيل رماه المسلمون بالحجارة ثم نزل اليه على رضى الله عنه فقتله وعظم ذلك على المشركين فأرسلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا نعطيكم الدية أى واذنوا لنا فى دفنه وفى رواية انهم اعطوا فى جسده عشرة آلاف على ان يدفع اليهم ليدفنوه فرد اليهم النبى صلى الله عليه وسلم انه خبيث لمونه كافرا محاربا لله ورسوله وخبيث الدية فلعنه الله ولعن ديته ولا نمنعكم ان تدفنوه ولا أرب لنا فى ديته وأقام عليه الصلاة والسلام على الخندق وعدوهم يحاصرهم ولم يكن بينهم قتال الا انهم لا يدعون الطلائع بالليل يطمعون فى الغارة ووقع بينهم مراماة بالنبل ولما نظر المشركون الى الخندق قالوا والله ان هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدبها وصار المشركون يتناوبون فيغدو أبو سفيان وأصحابه يوما ويغدو خالد بن الوليد يوما ويغدو عمرو بن العاص يوما ويغدو هبيرة ابن وهب يوما ويغدو عكرمة بن أبى جهل يوما ويغدو ضرار بن الخطاب يوما فلا يزالون يجيلون خيلهم ويقترفون مرة ويجتمعون أخرى ويناوشون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أى يقربون منهم روى ويقدمون رجالهم وكان النبى صلى الله عليه وسلم يبشر المسلمين ويثبتهم ويقول لهم أبشروا يعون الله ونصره انى لارجو أن أطوف بالبيت العتيق وآخذ المفتاح وليملكن كسرى وقيصر ولتنفقن أموالهما فى سبيل الله يقول ذلك حين يرى ما بالمسلمين من الكرب ثم انه صلى الله عليه وسلم أراد ان يعطى عيينة بن حصن ومن معه ثلث ثمار المدينة على ان يرجعوا فمنعه السعدان رضى الله عنهما وقالا كنا نحن

وهم على الشرك لا يطمعون ان يأكلوا منا ثمرة الا بقرى أو بيع ألخين اكرمنا الله بالاسلام وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا ما لنا بهذا من حاجة والله ما نعطيهم الا السيف حتى يحكم الله فقال صلى الله عليه وسلم أنتما وذاك وفى رواية ان النبى صلى الله عليه وسلم بعث الى عيينة بن حصن الفزارى والى الحرث بن عوف المزنى فى ان يقطعهما ثلث ثمار المدينة على ان يرجعا بمن معهما عنه فجاآ مستخفين من أبى سفيان والتقيا مع النبى صلى الله عليه وسلم فوافقاه على ذلك بعد ان طلبا ١٠٩ النصف فأبى عليهما الا الثلث فرضيا بذلك

روى عن ابن عمر فى حديث فيه راو ضعيف ولولا التعبير بكان لامكن حمل ذلك على ان بلالا أتى بذلك ناسيا فى ذلك الوقت لما لقنه عبد الله بن زيد ثم رأيت ابن حجر الهيتمى قال والحديث الصحيح الثابت فى أول مشروعية الاذان يرد هذا كله هذا كلامه قيل وزاد بلال فى أذان الصبح بعد الحيعلات الصلاة خير من النوم مرتين فاقرها صلى الله عليه وسلم أى لان بلالا كان يدعو النبى صلى الله عليه وسلم للصلاة فيقول له الصلاة فدعاه ذات غداة الى الفجر فقيل له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نائم فصرخ باعلى صوته الصلاة خير من النوم مرتين أى اليقظة الحاصلة للصلاة خير من الراحة الحاصلة بالنوم ﴿أقول﴾ وهذا يقال له التثويب وذكر فقهاؤنا انه صح أنه صلى الله عليه وسلم لقن ذلك لابى محذورة أى قال له فان كانت صلاة الصبح قلت الصلاة خير من النوم ولا منافاة لان تعليم أبى محذورة للاذان كان عند منصرفه صلى الله عليه وسلم من حنين على ما سيأتى وكذا ما ورد من انه صلى الله عليه وسلم قال ان ذلك من السنة لانه يجوز أن يكون ذلك صدر منه بعد ان أقر بلالا عليه نعم ذكر انه لم ينقل ان ابن أم مكتوم كان يقوله أى لقول بلال له فى الاذان الاول وهو يدل لمن قال انه اذا قيل فى الاذان الاول لا يقال فى الثانى لان أذانه للصبح كان متأخرا عن أذان بلال فى أكثر الاحوال وهو محمل ما جاء فى كثير من الاحاديث ان بلالا يؤذن بليل فكلوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم ومن غير الاكثر محمل ما جاء ان ابن أم مكتوم ينادى بليل وكلوا واشربوا حتى يؤذن بلال ان ابن أم مكتوم أعمى فاذا أذن ابن أم مكتوم فكلوا واذا أذن بلال فأمسكوا ولا تأكلوا والراجح انه يقوله فهما لكن ربما يخالف ذلك ما فى الموطا ان المؤذن جاء عمر يؤذنه لصلاة الصبح فوجده نائما فقال الصلاة خير من النوم فأمره عمر رضى الله عنه ان يجعلها فى نداء الصبح وفى الترمذى ان بلالا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تثويب فى شئ من الصلاة أى من أذان الصلاة لا فى صلاة الفجر أى يقول الصلاة خير من النوم وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما انه سمع الاذان فى مسجد فأراد ان يصلى فيه فسمع المؤذن يثوب فى غير الصبح فقال لرفيق له اخرج بنا من عند هذا المبتدع فان هذه بدعة أى سمع المؤذن يقول بين الاذان والاقامة على باب المسجد الصلاة الصلاة وهذا هو المراد بالتثويب الذى سمعه ابن عمر كما قاله بعضهم وفى كلام بعضهم من المحدثات ان المؤذن يحيى بين الاذان والاقامة الى باب المسجد فيقول حى على الصلاة قيل وأول من أحدثه مؤذن معاوية رضى الله تعالى عنه فكان يأتيه بعد الاذان وقبل الاقامة يقول حى على الصلاة حى على الصلاة حى على الفلاح حى على الفلاح يرحمك الله اما قول المؤذن بين الاذان والاقامة الصلاة الصلاة فليس بدعة لان بلالا كان يقول ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم وأما قوله حى على الصلاة فهذا لم يعهد فى عصره صلى الله عليه وسلم ثم رأيت فى دور المباحث فى أحكام البدع والحوادث اختلف الفقهاء فى جواز دعاء الامير الى الصلاة بعد الاذان وقبل الاقامة بان يأتى المؤذن باب الامير فيقول حى على الصلاة حى

وأراد ان يكتب بذلك صحيفة واحضر الدواة ليكتب عثمان رضى الله عنه فقيل أمره النبى صلى الله عليه وسلم فكتب ثم استشار سعدا وقيل قبل ان يكتب بعث صلى الله عليه وسلم الى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة رضى الله عنهما واستشارهما فى ذلك فقالا يا رسول الله أمر تحبه فتصنعه أم شئ أمرك الله به لا بد لنا من العمل به أم شئ تصنعه لنا وفى رواية فان كان أمرا من السماء فامض له وان كان امرا لم تؤمر به ولك فيه هوى فسمع وطاعة وان كان انما هو الرأى فالرأى عندنا الا السيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أمرنى الله ما شاورتكما والله ما أصنع ذلك الا انى رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب فأردت ان أكثر شوكتهم الى امرتما فقال له سعد بن معاذ يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم يعنى غطفان على الشرك بالله وعبادة الاوثان لا نعبد الله ولا نعرفه لا يطمعون ان يأكلوا منا ثمرة الا قرى أو بيعا وان كانوا لم يأكلون العلهز فى الجاهلية من الجهد فحين أكرمنا الله بالاسلام وهدانا له واعزنا بك وبه نقطعهم اموالنا وفى رواية نعطى الدنية من مالنا بهذا من حاجة والله لا نعطيهم الا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانت وذاك فأخذ سعد الصحيفة فمحا ما فيها من الكتابة وهذا يوافق القول بانها كتبت وقيل انه منع من كتابتها وجاء فى رواية انه صلى الله عليه وسلم قال له شق الكتاب فشقه سعد وقال لعيينة والحرث ارجعوا بيننا وبينكم السيف رافعا صوته وروى البزار والطبرانى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال أتى الحرث يعنى ابن عوف الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ناصفنا تمر المدينة والاملأناها عليك خيلا ورجالا فقال حتى أستأمر السعود

سعد بن عبادة وسعد بن معاذ وسعد بن الربيع وسعد بن خيثمة وسعد بن مسعود وقيل ان ذكر سعد بن الربيع وهم لانه استشهد يوم
أحد فكلمهم النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا والله ما أعطينا الدنية في أنفسنا في الجاهلية فكيف وقد جاء الله بالاسلام فأخبر
الحرث فقال غدرت يا محمد ثم ان جماعة من قريش اقتحموا الخندق من ناحية ضيقة وهم على خيولهم وكان منهم عمرو بن عبدود
العامري وهو ابن تسعين سنة وكان من الشجعان ١١٠ المشهورين ومنهم عكرمة بن أبي جهل وهبيرة بن أبي وهب المخزوميان

على الفلاح أيها الامير وفسر به التثويب فاحتج من قال بجوازه أي بسنيته ان بلالا كان اذا
أذن يأتي النبي صلى الله عليه وسلم ثم يقول حي على الصلاة حي على الفلاح الصلاة يرحمك
الله أي كما كان يفعل مؤذن معاوية رضي الله تعالى عنه فليس من المحدثات وفي الحديث
المشهور أنه في مرضه صلى الله عليه وسلم أتاه بلال فقال السلام عليك يا رسول الله ورحمة
الله وبركاته الصلاة يرحمك الله فقال صلى الله عليه وسلم له مر أبا بكر فليصل بالناس واحتج
من قال بالمنع بان عمر رضي الله تعالى عنه لما قدم مكة أتاه أبو محذورة فقال الصلاة يا أمير
المؤمنين حي على الصلاة حي على الفلاح فقال ويحك أمجنون أنت اما كان في دعائك الذي
دعوته ما يكفيك حتى تأتينا ولو كان هذا سنة لم ينكر عليه أي وكون عمر رضي الله تعالى عنه
لم يبلغه فعل بلال من البعيد وعن أبي يوسف لا أرى بأسا ان يقول المؤذن السلام عليك أيها
الامير ورحمة الله وبركاته حي على الصلاة حي على الفلاح الصلاة يرحمك الله لاشتغال الامراء
بمصالح المسلمين أي ولهذا كان مؤذن عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه يفعله وذكر بعضهم
أن في دولة بني بويه كانت الرافضة تقول بعد الحيعلتين حي على خير العمل فلما كانت دولة
السلجوقية منعوا المؤذنين من ذلك وأمروا أن يقولوا في أذان الصبح بدل ذلك الصلاة خير
من النوم مرتين وذلك في سنة ثمان وأربعين وأربعمائة ونقل عن ابن عمر وعن علي بن الحسين
رضي الله تعالى عنهم انهما كانا يقولان في أذانهما بعد حي على الفلاح حي على خير العمل وورد
الترجيع في خبر أذان أبي محذورة أيضا وهو ان يخفض صوته بالشهادتين قبل رفعه بهما ففي
مسلم عن أبي محذورة انه قال قلت يا رسول الله علمني سنة الاذان قال فمسح مقدم رأسي وقال تقول
أشهد أن لا اله الا الله أشهد أن لا اله الا الله أشهد أن محمدا رسول الله أشهد أن محمدا رسول الله
تخفض بها صوتك ثم ترفع صوتك بالشهادة أشهد أن لا اله الا الله أشهد أن لا اله الا الله أشهد
أن محمدا رسول الله أشهد ان محمدا رسول الله وكان أبو محذورة يشفع الاقامة كالاذان أي
يكرر ألفاظها فيقول الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر أشهد أن لا اله الا الله أشهد أن
لا اله الا الله أشهد أن محمدا رسول الله أشهد أن محمدا رسول الله حي على الصلاة حي على
الصلاة حي على الفلاح حي على الفلاح قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة الله أكبر الله أكبر
لا اله الا الله لقنه صلى الله عليه وسلم ذلك وهي الرواية الثانية التي تقدمت عن عبد الله بن زيد
رضي الله تعالى عنه وذكر الامام أبو العباس بن تيمية رحمه الله ان الثقل ثبت ان النبي صلى الله
عليه وسلم علم أبا محذورة الاذان فيه الترجيع والاقامة مثناة كالاذان وان بلالا كان يشفع
الاذان ويوتر الاقامة أي ولا يرجع الاذان ففي الصحيحين أمر بلال ان يشفع الاذان أي ومن
شفع الاذان التكبير أوله أربعا ولم يصح عنه صلى الله عليه وسلم الاقتصار فيه على مرتين وان
كان هو عمل أهل المدينة كما سيأتي نعم يرد على شفع الاذان التهليل آخره فانه مفرد فالاولى ان
يقال يشفع معظم الاذان ويوتر الاقامة الا الاقامة أي لفظها أي وهي قد قامت الصلاة فانه

وضرار بن الخطاب أخو عمر رضي
الله عنه وقد أسلم ضرار وعكرمة
رضي الله عنهما وأما هبيرة فمات
على كفره فلما صاروا بالسبخة بين
الخندق وسلع طلب عمرو بن عبدود
المبارزة وقال من يبارز فقام علي
رضي الله عنه وقال أنا له يا نبي الله
فقال صلى الله عليه وسلم اجلس انه
عمرو ثم كرر عمرو النداء وجعل
يوبخ المسلمين ويقول أين جنتكم
التي تزعمون ان من قتل منكم
يدخلها أفلا تبرزون لي رجلا فقام
علي رضي الله عنه فقال أنا يا رسول
الله فقال اجلس انه عمرو فقال
وان كان عمرا فأذن له رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأعطاه سيفه
ذا الفقار وألبسه درعه الحديد
وعممه بعمامته وقال اللهم أعنه
عليه اللهم هذا أخي وابن عمي فلا
تذرني فردا وأنت خير الوارثين
وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم
رفع عمامته الى السماء وقال الهي
أخذت عبيدة مني يوم بدر وحمزة
يوم أحد وهذا علي أخي وابن عمي
فلا تذرني فردا وأنت خير الوارثين
فمشى اليه علي رضي الله عنه فقال
يا عمرو انك كنت عاهدت الله
لا يدعوك رجل من قريش الى
احدى خلتين أي خصلتين الا قبلتها
قال له أجل أي نعم قال علي رضي
الله عنه فاني أدعوك الى الله والى
رسوله صلى الله عليه وسلم والى الاسلام فقال لا حاجة لي بذلك قال له علي فاني أدعوك الى البراز وفي رواية انك كنت يكررها
تقول لا يدعوني أحد الى واحدة من ثلاث الا قبلتها قال اجل قال علي فاني أدعوك ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وتسلم لرب
العالمين فقال يا ابن أخي أخر عني هذه قال واخرى ترجع بلادك فان يك صادقا كنت أسعد الناس به وان يك كاذبا كان الذي تريد قال
هذا مما لا يتحدث به نساء قريش أبدا كيف وقد قدرت علي استيفاء ما نذرت أي لانه نذر لما فاتها أي هاربا يوم بدر وقد جرح ان لا يمس

رأسه ذهن حتى يقتل محمدا قال فالثالثة قال وماهى قال البراز فضحك عمرو وقال ان هذه لخصلة ما كنت اظن ان احدا من العرب يرومنى بها وفى رواية يروم منى هذه ثم قال له عمرو من أنت لان عليا رضى الله عنه كان مقنعا بالحديد فلم يعرفه عمرو فاجابه وقال على قال ابن عبد مناف فقال اتا على بن أبى طالب فقال غيرك يا ابن أخى من اعمامك من هو أشد منك فانى اكره ان اهريق دمك وان أباك كان صديقا لى وفى لفظ كنت نديما له فقال له على رضى الله عنه اتا والله ما اكره ان ١١١ اهريق دمك وفى رواية قال عمرو يا ابن أخى فوالله ما احب ان اقتلك فقال على لكنى والله أحب ان أقتلك فحمى عمرو عند ذلك أى أخذته الحمية وفى رواية فغضب فقال له على كيف اقاتلك وانت على فرسك ولكن انزل معى فاقتحم عن فرسه وسل سيفه كأنه شعلة نار فعقر فرسه وضرب وجهه كيلا يفر وأقبل على على رضى الله عنه ودنا أحدهما من الآخر وثارت بينهما غبرة فاستقبله على رضى الله عنه بدرقته فضربه عمرو فيها فقدها وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجه فضربه على على حبل عاتقه وهو موضع الرداء من العنق وقيل طعنه فى ترقوته حتى أخرجها من مراقه فسقط وكبر المسلمون فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم التكبير عرف ان عليا رضى الله عنه قد قتل عمرا ثم اقبل على رضى الله عنه نحو النبى صلى الله عليه وسلم وهو متهلل فقال له عمر بن الخطاب رضى الله عنه هلا سلبته درعه فانه ليس فى العرب درع خير منها فقال انه حين ضربته استقبلنى بسوأته فاستحييت قال الحاكم سمعت الاصم قال سمعت العطاردى قال سمعت الحافظ يحيى بن آدم يقول ماشبهت قتل على عمرا الا بقوله تعالى فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت (وفى تفسير الفخر الرازى) انه صلى الله عليه وسلم قال لعلى رضى الله عنه بعد قتله عمرو بن عبدود كيف وجدت نفسك معه قال وجدت ان لو كان أهل المدينة فى جانب وأنا فى جانب لقدرت عليهم وذكر ابن اسحق ان المشركين بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشترون جيفة عمرو بعشرة آلاف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو لكم ولا نأكل ثمن الموتى وحين قتل عمرو رجع من اقتحم الخندق من المشركين بخيلهم هاربين فتبعهم الزبير بن العوام رضى الله عنه وضرب نوفل بن عبد الله بالسيف فشقه نصفين ووصلت الضربة الى

بكررها مرتين يقول قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة ولم يصح عنه صلى الله عليه وسلم افرادها البتة أى وان كان هو عمل أهل المدينة كما سيأتى وصح عنه تكرير لفظ التكبير مرتين أولا وآخرا وحينئذ يكون المراد بافراد الاقامة افراد معظمها فكان يقول فى الاقامة الله أكبر الله أكبر أشهد أن لا اله الا الله أشهد أن محمدا رسول الله حى على الصلاة حى على الفلاح قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة الله أكبر الله أكبر لا اله الا الله ولم يكن فى أذانه ترجيع أى وهو الاتيان بالشهادتين مرتين سرا ثم يأتى بهما جهرا أى كما تقدم قال فنقل افراد الاقامة صحيح بلا ريب وتثنيتها صحيح بلا ريب أى وكل روى عن عبد الله بن زيد كما علمت قال أى ابن تيمية وأحمد وغيره أخذوا باذان بلال واقامته أى فلم يستحبوا الترجيع فى الاذان واستحبوا افراد الاقامة الا لفظها والشافعى رضى الله تعالى عنه أخذ باذان أبى محذورة واقامة بلال فاستحب الترجيع فى الاذان والافراد فى الاقامة الا لفظها وأبو حنيفة رحمه الله أخذ باذان بلال واقامة أبى محذورة أى فلم يستحب الترجيع واستحب تثنية ألفاظ الاقامة قال فى الهدى وأخذ مالك بما عليه عمل أهل المدينة من الاقتصار فى التكبير على مرتين فى الاذان وعلى كلمة الاقامة مرة واحدة أى واعمل هذا بحسب ما كان فى المدينة والا ففى أبى داود ولم يزل ولد أبى محذورة وهم الذين يلون الاذان بمكة يفردون الاقامة أى معظم ألفاظها ويحكونه عن جدهم غير ان التثنية عنه أكثر فيحتمل ان اتيان أبى محذورة بالاقامة فرادى واستمراره وولده بعده على ذلك كان بامر منه صلى الله عليه وسلم له بذلك بعد أمره أولا له بتثنيتها أى فيكون آخر أمره الافراد وقد قبل لاحمد رضى الله تعالى عنه وقد كان يأخذ باذان بلال أى كما تقدم أليس أذان أبى محذورة بعد أذان بلال أى لان النبى صلى الله عليه وسلم علمه له عند منصرفه من حنين على ما سيأتى وهو الذى رواه امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه عن أبى محذورة أنه قال خرجت فى نفر وكنا ببعض طريق حنين فقفل رسول الله صلى الله عليه وسلم من حنين فلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض الطريق فأذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة فسمعنا صوت المؤذن ونحن متنكبون أى عن الطريق فصرنا نحكيه ونستهزئ به فسمع النبى صلى الله عليه وسلم فارسل الينا الى ان وقفنا بين يديه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيكم الذى سمعت صوته فدار ارتفع فأشار القوم كلهم الىّ فحبسنى أى أبقانى عنده وأرسلهم وقال قم فاذن فقمت ولا شئ أكره الىّ من النبى صلى الله عليه وسلم ولا مما يأمرنى به فقمت بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فألقى علىّ التأذين هو بنفسه صلى الله عليه وسلم الحديث ثم دعانى حين قضيت التأذين فاعطانى صرة فيها شئ من فضة ثم وضع يده على ناصيتى ومرر بها على وجهى ثم بين يدى ثم على كبدى حتى بلغت يده سرتى ثم قال بارك الله فيك وبارك عليك فقلت يا رسول الله مرنى بالتأذين بمكة فقال صلى الله عليه وسلم قد أمرتك به وذهب كل شئ كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم من كراهته وعاد ذلك كله محبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقدمت على عتاب بن أسيد رضى الله

كاهل فرسه فقيل له يا أبا عبد الله ما رأينا مثل سيفك فقال والله ما هو السيف ولكنها الساعد وقيل ان الذى قتل نوفلا على رضى الله
عنه وفى رواية ان رجلا من المشركين قال يوم الخندق من يبارز فقال صلى الله عليه وسلم قم يا زبير فقالت أمه صفية واحدى يا رسول
الله فقال قم يا زبير فقام فقتله ثم جاء بسلبه الى النبى صلى الله عليه وسلم فنفله اياه وفى رواية ان نوفلا لما تورط فى الخندق رماه الناس
بالحجارة فجعل يقول قتلة أحسن من هذه ١١٢ يا معشر العرب فنزل اليه على رضى الله عنه فقتله ويمكن ان عليا والزبير رضى الله
عنهما اشتركا فى قتله ورجعت الخيول مهزومة وألقى عكرمة رمحه يومئذ وهو منهزم عن عمرو فعيره حسان رضى الله عنه بأبيات
فلما رجعوا الى أبى سفيان قال هذا يوم لم يكن لنا فيه شئ فارجعوا وجاء فى رواية ان الزبير رضى الله عنه حمل على هبيرة بن وهب وهو
زوج أم هانئ أخت على رضى الله عنهما فضرب ثغر فرسه فقطعه وسقط درع كان يحقبها الفرس أى يجعلها على مؤخر ظهرها
فأخذها الزبير رضى الله عنه وفى رواية ثم حمل ضرار بن الخطاب أخو عمر بن الخطاب رضى الله عنه
وهبيرة بن وهب على على رضى الله عنه فأقبل على رضى الله عنه عليهما فاما ضرار فولى هاربا
ولم يثبت وأما هبيرة فثبت أولا ثم ألقى درعه وهرب وكان فارس قريش وشاعرها وفى رواية ان
ضرار بن الخطاب لما هرب تبعه أخوه عمر بن الخطاب رضى الله عنه وصار يشتد فى أثره فكر ضرار راجعا وحمل على عمر بالرمح ليطعنه
ثم أمسك وقال يا عمر هذه نعمة مشكورة أثبتها عليك ويدى عندك غير مجزى بها فاحفظها ووقع له مع عمر رضى الله عنه نظير ذلك فى أحد فانه التقى معه
فضرب عمر بالقناة ثم رفعها عنه وقال ما كنت لاقتلك يا ابن الخطاب ثم من الله على ضرار بالاسلام فاسلم وحسن اسلامه رضى الله عنه (وكان شعار المسلمين) يوم الخندق حم لا ينصرون ولعل وسلم
المراد خصوص الانصار فلا يخالف رواية ان شعار المسلمين يا خيل الله ورمى سعد بن معاذ رضى الله عنه بسهم قطع اكحله وهو عرق
فى الذراع تتشعب منه عروق البدن ويقال لهذا العرق عرق الحياة وكان الذى رمى سعدا هو ابن العرقة العامرى والعرقة بفتح العين
وكسر الراء وهى أمه واسمها قلابة بنت سعيد بن سعد بن سهم وتكنى أم فاطمة سميت العرقة لطيب ريحها وهى جدة خديجة رضى

تعالى عنه عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم على مكة فأذنت بالصلاة عن أمر رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقيل علمه صلى الله عليه وسلم ذلك يوم فتح مكة لما أذن بلال رضى الله تعالى عنه
للظهر على ظهر الكعبة وصار فتية من قريش يستهزؤن ببلال ويحكون صوته وكان من جملتهم
أبو محذورة فاعجبه صلى الله عليه وسلم صوته فدعاه وعلمه الاذان وأمره أن يؤذن لاهل مكة
فليتأمل الجمع وانما يؤخذ بالاحدث فالاحدث من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أى
بالمتأخر عنه لان المتأخر ينسخ المتقدم فقال أليس لما عاد الى المدينة أقر بلالا على أذانه قال
أبو داود وتثنية الاذان وافراد الاقامة مذهب أكثر علماء الامصار وجرى به العمل فى الحرمين
والحجاز وبلاد الشام واليمن وديار مصر ونواحى المغرب أى الامصر فى المساجد التى تغلب صلاة
الاروام بها فان الاقامة تثنى كالاذان فيها وقد ذكر ان أبا يوسف رحمه الله ناظر امامنا الشافعى
رضى الله تعالى عنه فى المدينة بين يدى مالك رضى الله تعالى عنه والرشيد فأمر الشافعى باحضار
أولاد بلال وأولاد سائر مؤذنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لهم كيف تلقنتم الاذان
والاقامة عن آبائكم فقالوا الاذان مثنى مثنى والاقامة فرادى هكذا تلقيناه من آبائنا وآبائنا
عن أسلافنا الى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء انه صلى الله عليه وسلم سمع بلالا يقيم
الصلاة فلما قال قد قامت الصلاة قال صلى الله عليه وسلم أقامها الله وأدامها وفى البخارى من
قال حين يسمع النداء أى الاذان اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا
الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته وجبت له شفاعتى يوم القيامة قال بعضهم
كان المؤذنون فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذنين بلال وابن أم مكتوم فلما كان زمن
عثمان رضى الله تعالى عنه جعلهم أربعا وزاد الناس بعده ولما مات صلى الله عليه وسلم ترك
بلال الاذان ولحق بالشام فمكث زمانا فرأى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال له يا بلال
جفوتنا وخرجت من جوارنا فاقصد الى زيارتنا وفى لفظ انه قال له ما هذه الجفوة يا بلال
ما آن لك ان تزورنا فانتبه بلال رضى الله تعالى عنه فقصد المدينة فلما انتهى الى المدينة تلقاه
الناس أى وأتى قبر النبى صلى الله عليه وسلم وجعل يبكى عنده ويتمرغ عليه وأقبل على الحسن
والحسين يقبلهما ويضمهما وألحوا عليه أن يؤذن فلما صعد ليؤذن اجتمع أهل المدينة رجالهم
ونساؤهم وخرجت العذارى من خدورهن ليسمعوا أذانه رضى الله تعالى عنه فلما قال
الله أكبر ارتجت المدينة وصاحوا وبكوا فلما قال أشهد أن لا اله الا الله ضجوا جميعا فلما قال
أشهد أن محمدا رسول الله لم يبق ذو روح الا بكى وصاح وكان ذلك اليوم كيوم موت رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم انصرف الى الشام وكان يرجع الى المدينة فى كل سنة مرة فينادى بالاذان
الى ان مات رضى الله تعالى عنه (أقول) فى كلام بعضهم كان سعد القرظ رضى الله تعالى عنه
مؤذنه صلى الله عليه وسلم بقبا فلما لحق بلال بالشام أيام عمر رضى الله تعالى عنه أمر سعد القرظ
ان يؤذن فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أى فان بلالا لما توفى رسول الله صلى الله عليه

الله عنها أم أبيها وابن العرقة هذا اسمه حيان بن عبد مناف بن منقذ بن هصيص بن عامر بن لؤى وقيل العرقة اغا هى أم عبد مناف أبى حيان ولما رمى سعدا قال خذها وأنا ابن العرقة فقال سعد رضى الله عنه عرق الله وجهك فى النار وقيل ان الذى قال ذلك هو النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال سعد رضى الله عنه اللهم ان كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم يعنى قريشا فاجعلها الى شهادة ولا تمتنى حتى تقر عينى وفى رواية حتى تشفينى من بنى قريظة وفى لفظ اللهم ان كنت أبقيت من حرب ١١٣ قريش شيأ فابقنى لها فانه لا قوم أحب الى أن أجاهدهم من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه وان كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها الى شهادة ولا تمتنى حتى تقر عينى من بنى قريظة وقد استجاب الله له فلم يقم لقريش حرب بعدها وماتت حتى حكم فى بنى قريظة كما يأتى وقيل ان الذى أصاب سعدا أبو اسامة الجشمى حليف بنى مخزوم وقيل خفاجة ابن عاصم بن حيان والله أعلم (واستمرت المقاتلة) فى يوم من أيام الخندق من سائر جوانب الخندق الى الليل ولم يصل صلى الله عليه وسلم ولا أحد من المسلمين صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء وصار المسلمون يقولون ما صلينا فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أنا فلما انكشف القتال جاء صلى الله عليه وسلم الى قبته فامر بلالا فاذن وأقام للظهر فصلى ثم أقام لكل صلاة وصلى هو وأصحابه وجاء فى رواية جابر رضى الله عنه انه أذن وأقام لكل صلاة وجمع النووى بانهما قضيتان جرتا فى أيام الخندق فانها كانت خمسة عشر يوما وفى رواية ان التى فاتت صلاة العصر ويحمل ذلك على انه وقع فى بعض تلك الايام وجاء فى بعض الروايات شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر

وسلم جاء الى أبى بكر رضى الله تعالى عنه فقال يا خليفة رسول الله انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أفضل أعمال المؤمن الجهاد فى سبيل الله وقد أردت أن أرابط فى سبيل الله حتى أموت فقال له أبو بكر رضى الله تعالى عنه أنشدك الله يا بلال وحرمتى وحقى عليك أن لا تفارقنى فاقام بلال حتى توفى أبو بكر رضى الله تعالى عنه وهو يؤذن ثم جاء الى عمر فقال له كما قال لابى بكر ورد عليه رضى الله تعالى عنه كما رد عليه أبو بكر فأبى وخرج الى الشام مجاهدا (وفى أنس الجليل) لما فتح أمير المؤمنين عمر رضى الله تعالى عنه بيت المقدس حضرت الصلاة فقال يا بلال أذن لنا يرحمك الله قال بلال يا أمير المؤمنين والله ما أردت ان أؤذن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أحد ولكن سأطيعك اذ أمرتنى فى هذه الصلاة وحدها فلما أذن بلال وسمعت الصحابة رضى الله تعالى عنهم صوته ذكروا النبى صلى الله عليه وسلم فبكوا بكاء شديدا ولم يكن من الصحابة يومئذ أطول بكاء من أبى عبيدة ومعاذ بن جبل حتى قال لهما عمر رضى الله تعالى عنه حسبكما رحمكما الله تعالى فلم يؤذن بلال بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا مرة واحدة لما أمره عمر بالاذان هذا ما فى أنس الجليل أى فالمراد بالمرة هذه المرة التى كانت ببيت المقدس وفيه أن هذا يخالف ما تقدم مما ظاهره أنه استمر يؤذن مدة خلافة أبى بكر رضى الله تعالى عنه وما تقدم من الحاح الحسن والحسين عليه فى أن يؤذن عند مجيئه للمدينة الا أن يقال المراد لم يؤذن خارج المدينة فلا يخالف ما سبق من أذانه بعد الحاح الحسن والحسين ولعل ما سبق كان بعد فتح بيت المقدس بل وبعد موت الخلفاء الاربعة ثم رأيت الزين العراقى قال لم يؤذن بلال بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم لاحد من الخلفاء الا ان عمر لما قدم الشام حين فتحها أذن بلال هذا كلامه فليتأمل مع ما سبق * وفى الكتاب المذكور روى عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه ان رجلا قال يا رسول الله أى الخلق أول دخولا الجنة قال الانبياء قال ثم من قال الشهداء قال ثم من قال مؤذنو بيت المقدس قال ثم من قال مؤذنو البيت الحرام قال ثم من قال مؤذنو مسجدى قال ثم من قال سائر المؤذنين ثم رأيت فى نسخة من شرح المنهاج للدميرى عن جابر تقديم مؤذنى المسجد الحرام على مؤذنى بيت المقدس ورأيت فى بعض الروايات ما يوافقه وهى أول من يدخل الجنة بعدى أبو بكر ثم الفقراء ثم مؤذنو المسجد الحرام ثم مؤذنو بيت المقدس ثم مؤذنو مسجدى ثم سائرهم على قدر أعمالهم * وفى البدور السافرة عن جابر رضى الله تعالى عنه ان رجلا قال يا رسول الله أى الخلق أول دخولا الجنة يوم القيامة قال الانبياء قال ثم من قال الشهداء قال ثم من قال مؤذنو الكعبة قال ثم من قال مؤذنو بيت المقدس قال ثم من قال مؤذنو مسجدى هذا قال ثم من قال سائر المؤذنين على قدر أعمالهم * وفيها عن جابر أيضا أول من يكسى من حلل الجنة ابراهيم ثم محمد صلى الله عليه وسلم ثم النبيون والرسل ثم يكسى المؤذنون وجاء ان الصحابة رضى الله تعالى عنهم قالوا يا رسول الله لقد تركتنا نتنافس فى الاذان بعدك فقال اما انه يكون قوم بعدكم فلتهم مؤذنوهم قيل وهذه الزيادة منكرة وقال

١٥ سيره ثانى حتى غابت الشمس ملأ الله أجوافهم وفى لفظ بطونهم وقبورهم نارا ثم ان طائفة من الانصار خرجوا اليه فنوا ميتا بالمدينة منهم فصادفوا عشرين بعيرا محملة شعيرا وتمرا وتبنا حمل ذلك حيى بن أخطب مددا وتقوية لقريش فاخذها الانصار وأتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوسع بها أهل الخندق ولما بلغ أبا سفيان ذلك قال ان حييا المشؤم ثم ان خالد بن الوليد كر بطائفة من المشركين يطلب غرة المسلمين أى غفلتهم فصادف أسيد بن حضير رضى الله عنه على الخندق فى مائتين من المسلمين فناوشهم أى تقاربوا

منهم ساعة وكان فى أولئك المشركين وحشى قاتل حمزة رضى الله عنه فزرق وحشى الطفيل بن النعمان رضى الله عنه فقتله ثم بعد ذلك صاروا يرسلون الطلائع بالليل يطمعون فى الاغارة فاقام المسلمون فى شدة من الخوف (وفى الصحيحين) دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاحزاب فقال اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الاحزاب اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم وزلزلهم وقام صلى الله عليه وسلم فى الناس فقال يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فان لقيتم العدو فاصبروا واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف أى السبب الموصل الى الجنة عند الضرب بالسيف فى سبيل الله ودعا صلى الله عليه وسلم بقوله يا صريخ المكروبين يا مجيب المضطرين اكشف همى وغمى وكربى فانك ترى منازل بنى وباصحابى وقال له المسلمون هل من شئ نقوله فقد بلغت الروح الحناجر قال نعم قولوا اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا فاتاه جبريل فبشره ان الله يرسل عليهم ريحا وجنودا وأعلم صلى الله عليه وسلم أصحابه وصار يرفع يديه ويقول شكرا شكرا وجاء ان دعاءه صلى الله عليه وسلم كان يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الاربعاء واستجيب له ذلك اليوم الذى هو يوم الاربعاء بين الظهر والعصر فعرف السرور فى وجهه أى ومن ثم كان جابر يدعو فى مهماته فى ذلك اليوم فى ذلك الوقت ويتحرى ذلك اليوم وأما الاحاديث التى جاءت بذم يوم الاربعاء فمحمولة على آخر أربعاء فى الشهر فان فى ذلك اليوم ولد فرعون وادعى الربوبية وأهلكه الله فيه وهو اليوم الذى أصيب فيه أيوب عليه السلام وكان النبى صلى الله عليه وسلم يختلف الى ثملة فى الخندق والثملة الخلل فى الحائط فعن عائشة رضى الله عنها قالت كان النبى صلى الله عليه وسلم يذهب الى تلك الثملة فاذا أخذه البرد جاءنى فادفأته فى حضنى فاذا دفئ خرج الى تلك الثملة ويقول ما أخشى ان يؤتى المسلمون الا منها فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حضنى صار يقول ليت رجلا صالحا يحرس هذه الثملة الليلة فسمع صوت السلاح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا فقال سعد بن أبى وقاص اتيت احرسك يا رسول الله فقال عليك هذه الثملة فاحرسها ونام صلى الله عليه وسلم حتى غط ثم قام فى قبته يصلى لانه كان صلى الله عليه وسلم اذا أحزنه أمر فزع الى الصلاة

الدارقطنى ليست محفوظة وجاء اذا أخذ المؤذن فى أذانه وضع الرب عز وجل يده فوق رأسه ولا يزال كذلك حتى يفرغ من أذانه وانه ليغفر له مد صوته فاذا فرغ قال الرب صدق عبدى وشهدت شهادة الحق فابشر والله أعلم قال وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال كان رجل من اليهود أى من التجار وعن السدى من النصارى بالمدينة سمع المؤذن يقول أشهد أن محمدا رسول الله قال خزى الله الكاذب وفى رواية أحرق الله الكاذب فدخلت خادمة بنار وهو نائم وأهله نيام فسقطت شرارة فأحرقت البيت واحترق هو وأهله انتهى أى وفى بعض الاسفار حضر وقت الصلاة أى صلاة الصبح فطلبوا بلالا يؤذن فلم يوجد أى لتأخره فى السير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذن زياد بن الحرث الصدائى أى بامره صلى الله عليه وسلم فقال له أذن يا أخا صداء وصداء حى من اليمن وعنه رضى الله تعالى عنه سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمرنى على قومى فقال لا خير فى الامرة لرجل مؤمن فقلت حسبى ثم سار النبى صلى الله عليه وسلم مسيرا فسرت معه فانقطع عنه أصحابه وأضاء الفجر فقال لى أذن يا أخا صداء فأذنت ثم لما حضرت الصلاة أراد بلال أن يقيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا انما يقيم من أذن واختلف هل أذن صلى الله عليه وسلم بنفسه فقيل نعم أذن مرة واستدل على ذلك بانه جاء فى بعض الاحاديث أى وقد صح انه صلى الله عليه وسلم أذن فى السفر وصلى وهم على رواحلهم فتقدم على راحلته صلى الله عليه وسلم فصلى بهم يومئ ايماء يجعل السجود أخفض من الركوع وقيل ما أذن وانما أمر بلالا بالاذان كما فى بعض طرق ذلك الحديث فى الهدى وصلى بهم الفرض على الرواحل لاجل المطر والطين وقد روى أحمد والترمذى انه صلى الله عليه وسلم انتهى الى مضيق هو وأصحابه والسماء من فوقهم والمسيل من أسفل منهم فحضرت الصلاة فامر المؤذن فأذن وأقام ثم تقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بهم الحديث والمفصل يقضى على المجمل وفى رواية أذن اختصارا أى أمر بالاذان أى وهذا المجمل الذى نشير اليه هو فأذن صلى الله عليه وسلم على راحلته وأقام أى ويروى ان بلالا كان يبدل الشين فى أشهد سينا فقال صلى الله عليه وسلم سين بلال عند الله شين قال ابن كثير لا أصل لرواية سين بلال شين فى الجنة ولا يلزم من كون هذه الرواية لا أصل لها ان تكون تلك الرواية كذلك وكان بلال وابن أم مكتوم يتناوبان فى أذانى الصبح فكان أحدهما يؤذن بعد مضى نصف الليل الاول والليل باق والثانى يؤذن بعد طلوع الفجر وروى الشيخان ان بلالا يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم أى وفى مسلم عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمنعن أحدا منكم أذان بلال أو قال نداء بلال من سحوره فانه يؤذن أو قال ينادى ليرجع قائمكم ويوقظ نائمكم انما يؤذن بليل بعد نصفه الاول فيرجع القائم المتهجد الى راحلته لينام غفوة ليصبح نشيطا ويستيقظ النائم ليتأهب للصبح قال فى الهدى وانقلب على بعض الرواة فقال ان ابن أم مكتوم ينادى بليل فكلوا واشربوا حتى ينادى بلال أى وقد علمت انه

ثم خرج صلى الله عليه وسلم من قبته فقال هذه خيل المشركين تطيف بالخندق ثم نادى يا عباد بن بشر قال لبيك قال هل معك أحد قال نعم أناس نفر حول قبتك يا رسول الله وكان عباد ألزم الناس لقبة رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرسها فبعثه صلى الله عليه وسلم يطيف بالخندق وأعلمه بان خيل المشركين تطيف بهم ثم قال اللهم ادفع عنا شرهم وانصرنا عليهم لا يغلبهم غيرك واذا أبو سفيان فى خيل يطيفون بضيق من الخندق فرماهم المسلمون حتى رجعوا ثم ان نعيم بن مسعود ١١٥ الاشجعى رضى الله عنه أسلم وكتم اسلامه

انه لا قلب وانهما كانا ينادیان فكان بلال تارة يؤذن بليل وابن أم مكتوم عند الفجر الثانى وتارة يكون ابن أم مكتوم بالعكس فوقع كل من الاحاديث باعتبار ما هو موجود عند النطق ولم يكن بين أذانهما الا ان ينزل هذا ويرقى هذا أى ان ينزل المؤذن الاول من أذانه ويرقى المؤذن الثانى كما ذكر فمن كان يؤذن أولا يتربص بعد أذانه لنحو الدعاء ثم يرقب الفجر فاذا قارب طلوعه نزل فأخبر صاحبه فيرقى ويؤذن مع الفجر أو عقبه من غير فاصل وهذا هو المراد مما قيل ان ابن أم مكتوم كان لا يؤذن حتى يقال له أصبحت أصبحت وعن ابن عمر كان ابن أم مكتوم يتوخى الفجر فلا يخطئه وفى أبى داود عن ابن عمر ان بلالا أذن قبل طلوع الفجر فأمره صلى الله عليه وسلم ان يرجع فينادى الا ان العبد نام فرجع فنادى الا ان العبد نام الا ان العبد نام أى غفل عن الوقت أو رجع اينام لبقاء الليل ولعل هذا كان قبل ان يتخذ ابن أم مكتوم مؤذنا ثانيا أو كان أذان بلال فى هذه المرة بعد أذان ابن أم مكتوم على ما تقدم فلا مخالفة والثابت فى الجمعة أذان واحد كان يفعل بين يديه صلى الله عليه وسلم اذا صعد المنبر وجلس عليه كذا قال فقهاؤنا مستدلين على ذلك بحديث البخارى عن السائب بن يزيد قال كان التاذين يوم الجمعة حين يجلس الامام على المنبر فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما وليس فيه ان ذلك الاذان كان بين يديه ولما كثر المسلمون أمر عثمان رضى الله تعالى عنه أى وقيل عمر وقيل معاوية بان يؤذن قبله على المنارة وعبارة بعضهم وفى السنة الرابعة والعشرين زاد عثمان النداء على الزوراء يوم الجمعة ليسمع الناس فيأتوا الى المسجد وأول من أحدثه بمكة الحجاج والتذكير قبل الاذان الاول الذى هو التسبيح أحدث بعد السبعمائة فى زمن الناصر محمد بن قلاوون وأول ما أحدث الصلاة والسلام على النبى صلى الله عليه وسلم أى على الكيفية المعهودة الآن بعد تمام الاذان على المنارة أى فى غير المغرب فى زمن السلطان المنصور حاجى بن الاشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون بامر المحتسب نجم الدين الطنبدى فى أواخر القرن الثامن واستمر ذلك الى الآن لكن فى غير أذان الصبح الثانى وغير أذان الجمعة أول الوقت اما أذان الصبح الثانى وأذان الجمعة المذكور فتقدم الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم على الاذان فيهما وكان أحدث ذلك فى زمان صلاح الدين بن أيوب ولعل الحكمة فى ذلك اما فى الاول فلاستيقاظ النائم واما فى الثانى فلاجل حصول التكبير المطلوب فى الجمعة ولا يخفى ان من السنة مطلق الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم بعد فراغ الاذان ففى مسلم اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على وقيس بذلك الاقامة فالاذان والاقامة من المواطن التى يستحب فيها الصلاة والسلام على النبى صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى ورفعنا لك ذكرك فقد قيل فى معناه لا أذكر الا وتذكر معى لكن بعد فراغهما لا عند الابتداء بهما كما يقع لبعض الاروام ان يقول المقيم للصلاة عند ابتداء الاقامة اللهم صل على سيدنا محمد الله أكبر الله أكبر فان ذلك بدعة (ومن البدع) التطريب فى الاذان والتلحين

وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انى أسلمت وان قومى لم يعلموا باسلامى فمرنى بما شئت وفى رواية ان نعيما لما سارت الاحزاب سار مع قومه غطفان وهو على دينهم فقذف الله فى قلبه الاسلام فخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المغرب والعشاء فوجده يصلى فلما رآه جلس ثم قال له النبى صلى الله عليه وسلم ما جاء بك يا نعيم قال جئت أصدقك وأشهد أن ما جئت به حق فاسلم ثم قال يا رسول الله ان قومى لم يعلموا باسلامى فمرنى بما شئت فقال له صلى الله عليه وسلم انما أنت رجل واحد فخذل عنا فان الحرب خدعة بفتح الخاء وسكون الدال وبضم الخاء أيضا مع سكون الدال وضمها أى ينقضى أمرها بالخادعة ففيه التحذير من مكر الكافرين وانه لا ينبغى التهاون بهم والندب الى خداع الكفار وان من لم يتيقظ لذلك لم يأمن ان ينعكس الامر عليه وفى الحديث أيضا الاشارة الى استعمال الرأى فى الحرب بل الاحتياج اليه آكد من الشجاعة فلذا قصر الحرب على الخدعة فى قوله فان الحرب خدعة فهو كقوله الحج عرفة ثم قال نعيم يا رسول الله انى أقول أى

مايقتضيه الحال وان كان خلاف الواقع فقال قل ما بدا لك فانت فى حل فخرج نعيم حتى أتى بنى قريظة وكان لهم نديما قال فلما رأونى رحبوا بى وعرضوا على الطعام والشراب فقلت انى لم آت لشئ من هذا انما جئتكم نحوفا عليكم لا شير عليكم برأيى يا بنى قريظة قد عرفتم ودى اياكم وخاصة ما بينى وبينكم قالوا صدقت لست عندنا بمتهم فقال لهم اكتموا عنى قالوا نفعل قال لقد رأيتم ما وقع لبنى قينقاع ولبنى النضير من اجلائهم وأخذ أموالهم وان قريشا وغطفان ليسوا كأنتم البلد بلدكم وبها نساؤكم وأموالكم وأبناؤكم

لا تقدرون على ان ترحلوا منه الى غيره وان قريشا وغطفان قد جاؤا لحرب محمد وأصحابه وقد ظاهرتموهم أى عاونتموهم عليهم وبلدهم وأموالهم ونساؤهم بغيره فليسوا كائنتم فان رأوا نهزة أى فرصة أصابوها والا رحلوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين بلادكم والرجل ببلدكم ولا طاقة لكم به ان خلا بكم فلا تقاتلوا معهم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم سبعين رجلا يكونون بايديكم ثقة لكم على ان يقاتلوا معكم محمدا حتى يناجزوه ١١٦ أى يقاتلوه قالوا لقد أشرت بالرأى والنصح ودعواله وشكروا وقالوا نحن فاعلون قال ولكن اكتموا على قالوا نفعل ثم خرج حتى أتى قريشا فقال لابى سفيان ومن معه من أشراف قريش قد عرفتم ودى لكم وفراقى لمحمد وانه قد بلغنى أمر قد رأيت ان أبلغكموه نصحا لكم فاكتموا على قالوا نفعل قال تعلمون ان معشر يهود بنى قريظة قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد من نقض عهده وقد أرسلوا اليه وأنا عندهم انا قد ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك انا نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالا من أشرافهم أى سبعين رجلا فنعطيك اياهم فتضرب أعناقهم وتردجنا حنا الذى كسرت الى ديارنا يعنون بنى النضير ثم نكون معك على من بقى منهم حتى نستأصلهم فارسل اليهم نعم فان بعثت اليكم يهود يلتمسون منكم رهنا من رجالكم فلا تدفعوا اليهم رجلا واحدا واحذروهم على أسراركم ولكن اكتموا عنى ولا تذكروا هذا الامر قالوا لا نذكره ثم خرج حتى أتى غطفان فقال يا معشر غطفان انكم أهلى وعشيرتى وأحب الناس الى ولا أراكم تتهمونى قالوا صدقت ما أنت عندنا بمتهم قال فاكتموا على قالوا نعم ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم فلما كان ليلة السبت أرسل أبو سفيان ورؤس غطفان الى بنى قريظة عكرمة بن أبى جهل فى نفر من قريش وغطفان فقالوا والى لهم انا لسنا بدار مقام وقد هلك الخف والحافر فاغدوا للقتال حتى نناجز أى نقاتل محمدا ونفرغ مما بيننا وبينه فقالوا لهم ان اليوم أى الذى يلى هذه الليلة يوم السبت وقد علمتم ما نال منا من تعدى فى السبت ومع ذلك فلا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا سبعين رجلا فقالوا صدق والله نعيم وفى رواية ان بنى قريظة أرسلت لقريش قبل مجىء رسل قريش اليهم رسولا يقول لهم ما هذا التوانى والرأى ان

فيه وفى كلام امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه ويكون الاذان مرسلا بغير تمطيط ولا تغن قيل التمطيط التفريط فى المد والتغنى ان يرفع صوته حتى يجاوز المقدار (ومن البدع) رفع المؤذنين أصواتهم بتبليغ التكبير ان بعد عن الامام من المقتدين قال بعضهم ولا بأس به لما فيه من النفع أى حيث لم يبلغهم صوت الامام بخلاف ما اذا بلغهم ففى كلام بعضهم التبليغ بدعة منكرة باتفاق الائمة الاربعة حيث بلغ المأمومين صوت الامام ومعنى منكرة أنها مكروهة (وأول ما أحدث التسبيح) بالاسحار فى زمن موسى عليه الصلاة والسلام حين كان بالتيه واستمر الى أن بنى داود عليه الصلاة والسلام بيت المقدس فرتب فيه جماعة يقومون به على الآلات الى ثلث الليل الاخير ثم بعد ثلث الليل الاخير يقومون به على الآلات عند الفجر (وأول حدوثه فى ملتنا) كان بمصر أمر به أميرها من قبل معاوية مسلمة بن مخلد الصحابى رضى الله تعالى عنهما فانه لما اعتكف بجامع عمرو سمع أصوات النواقيس عالية فشكا ذلك الى شرحبيل بن عامر عريف المؤذنين بجامع عمرو ففعل ذلك من نصف الليل الى قريب الفجر ومسلمة هذا تولى مصر من معاوية بعد عتبة بن أبى سفيان أخى معاوية رضى الله تعالى عنهما وعتبة تولاها حين مات أميرها عمرو بن العاص وهذا مما يدل على ان عمرو بن العاص مدفون بمصر وكان عتبة خطيبا فصيحا قال الاصمعى الخطباء من بنى أمية عتبة بن أبى سفيان وعبد الملك ابن مروان خطب عتبة يوما أهل مصر فقال يا أهل مصر خف على ألسنتكم مدح الحق ولا تأتونه وذم الباطل وأنتم تفعلونه كالحمار يحمل أسفارا يثقله حملها ولا ينفعه علمها واني لا أداوى داءكم الا بالسيف ولا أبلغ السيف ما كفانى السوط ولا أبلغ السوط ما صلحتم على الدرة فالزموا ما ألزمكم الله لنا تستوجبوا ما فرض الله لكم علينا وهذا يوم ليس فيه عتاب ولا بعده عتاب (ومما يؤثر عنه) ازدحام الكلام فى السمع مضلة للفهم وقال لبنيه يوما تلقوا النعم بحسن مجاورتها والتمسوا المزيد منها بالشكر عليها (ومسلمة) أول من جعل بنيان المنابر التى هى محل التأذين فى المساجد فلما ولى أحمد بن طولون رتب جماعة يكبرون ويسبحون ويحمدون فلما ولى صلاح الدين يوسف بن أيوب وحمل الناس على اعتقاد مذهب الاشعرى والخروج عما كان يعتقده العوام أمر المؤذنين أن يعلنوا وقت التسبيح بذكر العقيدة المرشدة وقد وقفت عليها فاذا هى ثلاث ورقات ولم أقف على اسم مؤلفها فواظبوا على ذكرها فى كل ليلة قيل فى سبب نزول قوله تعالى قل كل من عند الله ان اليهود قالوا فى حق رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ دخل المدينة نقصت ثمارها وغلت أسعارها فرد الله تعالى عليهم بقوله قل كل من عند الله أى بسط الارزاق ويقبضها وعند ظهور الاسلام وقوته فى المدينة قامت نفوس أحبار اليهود ونصبوا العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل قوله تعالى لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر وقال فى موضع آخر ان تمسسكم حسنة تسؤهم (وعن صفية) أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها بنت حيى قالت كنت أحب ولد أبى اليه

ثم اقعدوا على يوم يكون معكم فيه لكنكم لا تخرجوا حتى نرسلوا اليهم رهنا سبعين رجلا من أشرافكم فانهم يخافون ان أصابكم ما تكرهون رجعتم وتركتموهم فلم تردهم قريش جوابا وجاءهم نعيم وقال لهم كنت عند أبي سفيان وقد جاءه رسولكم فقال لوطلبوا منى عنا قاما دفعتها لهم فاختلفت كلمتهم وجاء حيي بن أخطب لبنى قريظة فلم يجد منهم موافقة له وقالوا لا نقاتل معهم حتى يدفعوا الينا سبعين رجلا من قريش وغطفان رهنا عندنا وخذل الله بينهم وبعث الله عليهم الريح أى ريح الصبا فى ليال شديدة البرد

والى عمى أبى ياسر وكانا من أكبر اليهود وأعظمهم فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة غدوا اليه ثم جاآ من العشى فسمعت عمى يقول لابى أهو هو قال نعم والله قال أتعرفه وتثبته قال نعم قال فما فى نفسك منه قال عداوته والله ما بقيت قال وفى رواية انهما قالت ان عمى أبا ياسر حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ذهب اليه وسمع منه صلى الله عليه وسلم وحادثه ثم رجع الى قومه فقال ياقوم أطيعونى فان الله قد جاءكم بالذى كنتم تنتظرونه فاتبعوه ولا تخالفوه ثم انطلق أبى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع منه ثم رجع الى قومه فقال لهم أتيت من عند رجل والله لا أزال له عدوا فقال له أخوه أبو ياسر يا ابن أم أطعنى فى هذا الامر واعصنى فيما شئت بعد لا تهلك فقال والله لا نطيعك اه أى ثم وافق أخاه حييا فكانا أشد اليهود عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم جاهدين فى رد الناس عن الاسلام بما استطاعا فانزل الله تعالى فيهما وفيمن كان موافقا لهما فى ذلك ودّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق (وحيي بن أخطب هذا) قيل هو الذى قال لما نزل قوله تعالى من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا يستقرضنا ربنا وانما يستقرض الفقير الغنى فانزل الله تعالى لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء أى وقيل فى سبب نزولها ان أبا بكر رضى الله تعالى عنه دخل بيت المدراس فقال لفيحاص اتق الله واسلم فوالله انك لتعلم ان محمدا رسول الله فقال والله يا أبا بكر ما بنا الى الله من فقر وانه الينا لفقير فغضب أبو بكر وضرب وجه فيحاص ضربا شديدا وقال والله لولا العهد الذى بيننا وبينك لضربت عنقك فشكاه فيحاص الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له أبو بكر ما كان منه فانكر قوله ذلك فنزلت الآية وقيل فى سبب نزولها أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل أبا بكر رضى الله تعالى عنه الى فيحاص بن عازوراء بكتاب وكان انفرد بالعلم والسيادة على يهود بنى قينقاع بعد اسلام عبد الله بن سلام يأمرهم فى ذلك الكتاب بالاسلام واقام الصلاة وايتاء الزكاة وأن يقرضوا الله قرضا حسنا فلما قرأ فيحاص الكتاب قال أقد احتاج ربكم سئله وفى رواية قال يا أبا بكر تزعم ان ربنا يستقرضنا أموالنا وما يستقرض الا الفقير من الغنى فان كان حقا ما تقول فان الله جل وعلا اذا الفقير ونحن أغنياء فضرب أبو بكر وجه فيحاص ضربا شديدا وقال لقد هممت أن أضربه بالسيف وما منعنى ان أضربه بالسيف الا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دفع الى الكتاب قال لى لا تفتت على بتئ حتى ترجع الىّ فجاء فيحاص الى النبى صلى الله عليه وسلم وشكا أبا بكر رضى الله تعالى عنه فقال صلى الله عليه وسلم لابى بكر ما حملك على ما صنعت قال يا رسول الله انه قال قولا عظيما زعم ان الله عز وجل فقير وانهم أغنياء فغضبت لله تعالى وقال فيحاص والله ما قلت هذا فنزلت الآية تصديقا لابى بكر رضى الله تعالى عنه وقد قال بعض اليهود لبعض العلماء انما قلنا ان الله فقير ونحن أغنياء لانه استقرض أموالنا فقال له ان كان استقرضها لنفسه فهو فقير وان كان استقرضها لفقرائكم ثم يكافئ عليها فهو

فاكفأت قدورهم وطرحت آنيتهم وقلعت بيوتهم وقطعت أطنابها وصارت الريح تلقى الرجال على أمتعتهم وفى رواية دفنت الرجال واطفأت نيرانهم وأرسل الله عليهم ملائكة زلزلتهم قال الله تعالى فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها ولم تقاتل الملائكة بل نفثت فى روعهم الرعب قال صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور وفى لفظ نصر الله المسلمين بالريح وكانت ريحا صفراء ملأت عيونهم ودامت عليهم واشتدت عليهم فى ليلة باردة مع أصوات مثل الصواعق ولم تجاوز عسكر المشركين أى لم تجاوز شدة ذلك عسكر المشركين وكانت تلك الليلة شديدة الظلمة بحيث لا يرى الشخص أصبعه اذا مدها فجعل المنافقون يستأذنون ويقولون ان بيوتنا عورة أى من العدو لانها خارج المدينة وحيطانها قصيرة يخشى عليها السرقة فاذن لنا نرجع الى نسائنا وأبنائنا وذرارينا فيأذن صلى الله عليه وسلم لهم قيل ولم يبق معه تلك الليلة الا ثلثمائة وكان رجوع المنافقين فرارا كما قال الله تعالى يقولون ان بيوتنا عورة وما هى بعورة ان يريدون الا فرارا وأما المؤمنون الصادقون فمن رجع منهم انما رجع لالم البرد والجوع الشديدين أو الخوف الحقيقى على بيوتهم أو لفهمهم عدم التغليظ فى ذهاب من يذهب فكشفوا حال بيوتهم ثم رجعوا ثم قال صلى الله عليه وسلم من يأتينا بخبر القوم فقال الزبير أنا يا رسول الله قال ذلك ثلاثا والزبير رضى الله عنه يجيبه بما ذكر فقال صلى الله عليه وسلم لكل نبى حوارى أى ناصر وان حوارى الزبير وهذا قاله صلى الله عليه وسلم له أيضا عند ارساله لكشف خبر بنى قريظة هل نقضوا العهد أم لا كما تقدم وسيأتى قوله له ذلك أيضا فى خيبر وجاء فى حديث آخر حوارى

من الرجال الزبير ومن النساء عائشة رضى الله عنهما وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم قال أى رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع وأسأل الله أن يكون رفيقى فى الجنة وفى لفظ يكون معى يوم القيامة وفى لفظ يكون رفيق ابراهيم يوم القيامة قال ذلك ثلاثا فما قام أحد من شدة الجوع والبرد فدعا حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما وأرسله كما يأتى ولم يرسل الزبير رضى الله عنه مع سؤاله ذلك ثلاثا لان له حدة وشدة لا يملك معها نفسه أن ١١٨ يحدث بالقوم شيأ مما نهى عنه حذيفة فيما يأتى فاختار ارسال حذيفة لذلك

هذا هو التحقيق عند أئمة السير وهو ان المرسل انما هو حذيفة رضى الله عنه ونسب بعضهم الارسال الى الزبير رضى الله عنه وهو اشتباه وانما ارسال الزبير رضى الله عنه فى كشف خبر بنى قريظة لما نقضوا العهد كما تقدم قال حذيفة رضى الله عنه لما دعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أجد بدا من القيام حيث نوه باسمه فجئته صلى الله عليه وسلم فقال تسمع كلامى منذ الليلة ولا تقوم فقلت والذى بعثك بالحق ان قدرت أى ما قدرت على ما بى من الجوع والخوف والبرد فقال اذهب حفظك الله من أمامك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك حتى ترجع الينا قال حذيفة رضى الله عنه فلم يكن لى بد من الذهاب فقمت مستبشرا بدعائه فما شق على شئ مما كان وقال يا حذيفة اذهب فادخل فى القوم وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم لما كرر قوله ألا رجل يأتينى بخبر القوم يكون معى يوم القيامة ولم يجبه أحد قال أبو بكر رضى الله عنه يا رسول الله حذيفة بن اليمان قال حذيفة رضى الله عنه فرعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما على الا مرط لامرأتى ما يجاوز ركبتى وأنا جاث على ركبتى فقال من هذا فقلت حذيفة فقال صلى الله عليه وسلم حذيفة قال حذيفة فتقاصرت فى الارض فلت بلى يا رسول الله وسلم قال قم فقمت فقال انه كان فى القوم خبر فاتنى بخبرهم فقلت والذى بعثك بالحق ما قمت الا حياء منك من البرد قال لا بأس عليك من حر ولا برد حتى ترجع الى فقلت والله ما بى أن أقتل ولكن أخشى أن أؤسر فقال انك لن تؤسر اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته قال حذيفة فمشيت كأنى فى حمام وفى رواية فأذهب الله عنى القر أى البرد والفزع

الغنى الحميد (ومن شدة عداوتهم) أى اليهود ان لبيد بن الاعصم اليهودى سحر النبى صلى الله عليه وسلم فى مشط أى له صلى الله عليه وسلم وقيل فى أسنان من مشطه صلى الله عليه وسلم ومشاطة وهى ما يخرج من الشعر اذا مشط أى من شعر رأسه صلى الله عليه وسلم أعطاها لهم غلام يهودى كان يخدمه صلى الله عليه وسلم وجعل مثالا من شمع وقيل من عجين كمثال رسول الله صلى الله عليه وسلم وغرز فيه ابرا وجعل معه وترا عقد فيه احدى عشرة عقدة وفى لفظ ان الابر كانت فى المعقود فمن ذلك تحت راعوفة فى بئر ذى اروان وقد مسخ الله تعالى ماءها حتى صار كنقاعة الحناء فكان يخيل اليه صلى الله عليه وسلم انه يفعل الفعل وهو لا يفعله أى ومكث فى ذلك سنة وقيل ستة أشهر وقيل أربعين يوما (قال بعضهم) ويمكن ان تكون السنة أو الستة أشهر من ابتداء تغير مزاجه الشريف وان مدة اشتداده كانت فى الاربعين وقيل اشتد عليه ثلاثة أيام وقد يقال هى أشد الاربعين فلا منافاة وعند ذلك نزل جبريل عليه السلام وقال له ان رجلا من اليهود سحرك وعقد لك عقدا ودفنها بمحل كذا فارسل صلى الله عليه وسلم عليا رضى الله تعالى عنه فاستخرجها فجاء بها فجعل كلما حل عقدة وجد صلى الله عليه وسلم بذلك خفة حتى قام كأنما نشط من عقال وفى رواية ان اليهودى دفن ذلك بقبر فانزل الله تعالى سورة الفلق وسورة الناس وهما احدى عشرة آية سورة الفلق خمس آيات وسورة الناس ست آيات كلما قرأ آية انحلت عقدة حتى انحلت العقد كلها وفى لفظ فاذا وتر فيه احدى عشرة عقدة مغروزة بالابر فلم يقدروا على حل تلك العقد فنزلت المعوذتان فكلما قرأ جبريل آية انحلت عقدة ووجد صلى الله عليه وسلم بعض الخفة حتى قام عند انحلال العقدة الاخيرة كأنما نشط من عقال وجعل جبريل يقول بسم الله أرقيك والله يشفيك من كل داء يؤذيك أى واعلم كان يقول ذلك عند حل كل عقدة بعد قراءة الآية أى وكان ذلك بين الحديبية وخيبر وذكر بعضهم انه بعد خيبر جاءت رؤساء يهود الذين بقوا فى المدينة ممن يظهر الاسلام الى لبيد بن الاعصم وكان أعلمهم بالسحر فقالوا له يا أبا الاعصم قد سحرنا محمدا سحره منا الرجال فلم يصنع شيأ أى ولم يؤثر سحرهم وأنت ترى أمره فينا وخلافه فى ديننا ومن نقتل واجلى ونجعل لك على سحره ثلاثة دنانير ففعل ذلك ثم انه صلى الله عليه وسلم قال جاءنى رجلان أى وهما جبريل وميكائيل كما فى بعض طرق الحديث فقعد أحدهما عند رأسى والآخر تحت رجلى فقال أحدهما ما وجع الرجل فقال الآخر مطبوب أى مسحور فقال من طبه قال لبيد بن الاعصم قال فيم قال فى مشط ومشاطة وفى لفظ ومشاقة أى وهى المشاطة وقيل هى مشاقة الكتان وجف بالجيم والفاء وقيل بالباء الموحدة طلعة ذكر أى غشاء طلع الذكر الذى يقال له كوز الطلع قال فاين هو قال فى بئر ذى ذروان على وزن مروان وفى لفظ بئر ذى اروان وفى لفظ بئر ذروان وعليه اقتصر فى الامتاع تحت صخرة فى الماء قال فما دواء ذلك قال تنزح البئر ثم تغلب الصخرة فتوجد الكدية فيها تمثال فيه احدى عشرة عقدة فتحرق فانه يبرأ باذن الله تعالى ثم أحضر صلى الله عليه

أى الخوف وفى رواية فوالله ماخلق الله تعالى فى جوفى قرا ولا فزعا الاخرج وماوجدت منه شيأ وخرجت كأنما أمشى فى حمام فلما ولينا دعانى فقال لى لاتحدث شيأ وفى رواية لاترم بسهم ولاحجر ولاتضربن بسيف حتى تأتينى فجئت اليهم والريح وجنود الله تفعل بهم ماتفعل لاتقر لهم قدرا ولانارا ولابناء فدخلت فى عسكرهم فسمعت أباسفيان يقول يامعشر قريش ليعرف كل امرئ جليسه واحذروا الجواسيس واليمون فاخذت بيد جليس لى على يمنى وقلت ١١٩ من أنت قال معاوية بن أبى سفيان وقبضت بيدى على من على يسارى وقلت من أنت قال عمرو بن العاص فعلت ذلك خشية أن يفطن بى فقال أبوسفيان يامعشر قريش والله انكم لستم بدار مقام وقد هلك الكراع والخف وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذى نكره ولقينا من هذا الريح مانرون فارتحلوا فانى مرتحل ووثب على جمله فحل عقاله الا وهو قائم أى فانه لما ركبه كان معقولا فلما ضربه وثب على ثلاث قوائم ثم حل عقاله فقال له عكرمة ابن أبى جهل انك رأس القوم وقائدهم تذهب وتترك الناس فاستحيا أبوسفيان وأناخ جمله وأخذ بزمامه وجعل يقوده ويقول ارحلوا فجعل الناس يرحلون وهو قائم ثم قال لعمرو ابن العاص رضى الله عنه يا أباعبد الله تقيم فى جريدة من الخيل بازاء محمد وأصحابه فانا لانأمن من أن نطلب ففعل عمرو وأنا أقيم وقال لخالد بن الوليد ماترى أباسليمان فقال أنا أيضا أقيم فاقام عمرو وخالد فى مائتى فارس وسار جميع العسكر قال حذيفة رضى الله عنه ولولا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حين بعثنى أن لا أحدث شيأ لقتلته يعنى أباسفيان بسهم وسمعت غطفان بما فعلت

وسلم ليبيد افاعترف فعفا عنه لما اعتذر له بان الحامل له على ذلك حب الدنانير وقيل له يارسول الله لو قتلته فقال صلى الله عليه وسلم قد عافانى الله ماوراءه من عذاب الله تعالى أشد ويحتاج الى الجمع بين كون جبريل قال له سحرك الى آخره وكون جاءه رجلان قعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فقال أحدهما للآخر ماوجع الرجل الى آخره قيل وهذا أى عدم قتل الساحر بما يعارض القول بان الساحر يحتم قتله وفيه انه عندنا لا يحتم قتله ولا يقتل الا اذا قتل بسحره واعترف بان سحره يقتل غالبا ولبيد هذا قيل انه أول من قال بنفى صفات البارى وقال بها الجهم بن صفوان وأظهرها فقيل لاتباعه فى ذلك الجهمية فعند ذلك بعث صلى الله عليه وسلم عليا وعمار بن ياسر الى تلك البئر فاستخرج اذلك وقيل الذى استخرج السحر بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم قيس بن محصن (وفى الصحيح) عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنه صلى الله عليه وسلم توجه الى البئر مع جماعة من أصحابه فاذا ماؤها كأنه خضب بالحناء فاستخرجا أى النبى صلى الله عليه وسلم وجماعته منها ذلك ويحتاج الى الجمع بين كونه صلى الله عليه وسلم أرسل لاستخراج السحر عليا كرم الله وجهه وكونه بعث لاستخراجه عليا وعمار بن ياسر وكونه أمر قيس بن محصن باستخراجه وكونه صلى الله عليه وسلم ذهب هو وجماعته لاستخراجه فاذا وترفيه احدى عشرة عقدة أى واذا فيها ابر مغروزة ونزلت المعوذتان فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما قرأ آية انحلت عقدة حتى انحلت العقد فذهب عنه صلى الله عليه وسلم ما كان يجد أى ولا ينافى ماتقدم أن القارئ لذلك جبريل عليه السلام لجواز أن يكون كلاهما صار يقرأ الآية أو انه صلى الله عليه وسلم صار يقرأ بعد قراءة جبريل وفى الامتاع عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت له أفلا استخرجته قال لا أما أنا فقد عافانى الله وكرهت أن أثير على الناس شرا ومراد عائشة بقولها أفلا استخرجته لسحر أى هلا استخرجت السحر من الجف والمشاطة حتى تنظر اليه فقال أكره أن أثير على الناس شرا قال ابن بطال أى كره أن يخرجه فيتعلم منه بعض الناس فذلك هو الشر الذى كرهه صلى الله عليه وسلم وذكر السهيلى أنه يجوز أن يكون الشر غير هذا وهو انه لو أظهر للناس لربما قتله طائفة من المسلمين ويغضب آخرون من عشيرته فيثور شر وعن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت له صلى الله عليه وسلم هلا تنشرت أى استعملت النشرة قال بعضهم وفيه دليل على عدم كراهة استعمال النشرة حيث لم ينكر عليها قولها وكرهها جمع واستند والحديث فى أبى داود مرفوعا النشرة من عمل الشيطان وحمل ذلك على النشرة التى تصحبها العزائم المشتملة على الاسماء التى لا تفهم فامر بها فطمت أى تلك البئر وحفر وابئرا أخرى ذاعانهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حفرها حيث طموا الاخرى التى سحر فيها هذا كلامه فليتأمل مع ماقبله وقيل انما سحره بنات أعصم أخوات لبيد ودخلت احداهن على عائشة فسمعت عائشة تذكر ما أنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم من بصره ثم خرجت الى اخواتها فاخبرتهن بذلك فقالت احداهن ان يكن نبيا

قريش فاشتدوا راجعين الى بلادهم وفى رواية عن حذيفة رضى الله عنه فدخلت العسكر فاذا الناس فى عسكرهم يقولون الرحيل الرحيل لا مقام لكم والريح تقلبهم على بعض أمتعتهم وتضربهم بالحجارة لاتجاوز عسكرهم فلما انتصفت الطريق اذا أنا بنحو عشرين فارسا معتمين فخرج الى منهم فارسان وقالا أخبر صاحبك ان الله كفاه القوم قال حذيفة رضى الله عنه ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدته قائما يصلى فاخبرته الخبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه وفى رواية فضحك حتى بدت ثناياه فى سواد الليل وعاودنى

البرد وجعلت أفرقف فأومأ الي رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فدنوت منه فسدل علي من فضل شملته فنمت ولم أزل نائما حتى الصبح
أي طلوع الفجر فلما أصبحت أي دخل وقت صلاة الصبح قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا نومان أي يا كثير النوم وانما جاء
البرد بعد رجوعه لان النبي صلى الله عليه وسلم انما قال له لا بأس عليك من حر ولا برد حتى ترجع الي وقد رجع وفي رواية عن حذيفة
رضي الله عنه لما دخلت بينهم تطرت في ضوء ١٢٠ نار توقد واذا رجل أدهم ضخم يقول بيده على النار ويمسح خاصرته وحوله

عصبته قد تفرق عنه الاحزاب
وهو يقول الرحيل الرحيل ولم
أعرف أبا سفيان قبل ذلك
فانتزعت سهما من كنانتي أبيض
الريش لاضعه في كبد القوس
لارميه في ضوء النار فذكرت
قوله صلى الله عليه وسلم لا تحدث
شيأ حتى تأتيني فامسكت ورددت
سهمي فلما جلست فيهم أحس
أبو سفيان انه قد دخل فيهم من
غيرهم فقال ليأخذ كل رجل منكم
بيد جليسه فضربت بيدي على يد
الذي عن يميني فقلت من أنت قال
معاوية بن أبي سفيان ثم ضربت
بيدي على يد الذي عن شمالي
فقلت من أنت قال عمرو بن
العاص فعلمت ذلك خشية ان
يفطن بي فبدرتهم بالمسئلة ثم تلبثت
فيهم هنيهة فاتيت قريشا أي
بقية قريش وبني كنانة وقيسا
وقلت ما أمرني به صلى الله عليه
وسلم أي فانه صلى الله عليه وسلم قال
له أدخل حتى تدخل بين ظهرانى
القوم فات قريشا فقل يا معشر
قريش انما يريد الناس اذا كان
غدا ان يقال أين قريش أين قادة
الناس أين رؤس الناس فيقدمونكم
فتصلوا القتال فيكون القتل فيكم
ثم ائت بني كنانة فقل اذا كان غدا
فيقال أين الرماة فيقدمونكم
فتصلوا القتال فيكون القتل فيكم
ثم ائت قيسا فقل يا معشر قيس انما يريد الناس اذا كان غدا ان يقال أين احلاس الخيل أين الفرسان فيقدمونكم فتصلوا ثم
القتال فيكون القتل فيكم ثم ذكر بقية ارتحالهم كما تقدم وفي البخاري من حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما قال دعا رسول
الله صلى الله عليه وسلم على الاحزاب فقال اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الاحزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم أي حتى لا يثبتوا
للقتال عند اللقاء بل تطيش عقولهم وترعد أقدامهم وقد استجاب الله لرسوله صلى الله عليه وسلم فارسل عليهم ريحا وجنودا فهزمهم

فسيخبر وان يكن غير ذلك فسوف يذهله هذا السحر حتى يذهب عقله فدله الله تعالى عليه
(وقد يجمع) بين كون الساحرله صلى الله عليه وسلم لبيدا وكون الساحرله أخوات لبيد بان
الساحرله أخوات لبيد وذهب السحر الى لبيد لانه جاء انه الذي ذهب به فادخله تحت راعونة
البئر أي أو في القبر كما تقدم ولا منافاة لجواز ان يكون وضعه في القبر مدة ثم أخرجه منه ووضعه
تحت تلك الراعونة أي وهي حجر يوضع على رأس البئر يقوم عليه المستقي وقد يكون في أسفل
البئر يجلس عليه الذي ينظف البئر أي والثاني هو المراد بدليل ما سبق وفي النهر لابي حيان
ونص القرآن والحديث ان السحر تخييل أي لا يقلب الاعيان ولا شك في وجوده في زمن
الرسول صلى الله عليه وسلم وأما في زماننا الآن فكل ما وقفنا عليه من كتبه فهو كذب وافتراء
لا يترتب عليه شئ فلا يصح منه شئ البتة وطعنت المعتزلة وطوائف من أهل البدع في كونه
صلى الله عليه وسلم سحر وقالوا لا يجوز على الانبياء ان يسحروا ولو جاز ان يسحروا لجاز ان يجنوا
وقد عصمهم الناس وردبان الحديث الدال على ذلك صحيح والعصمة انما وجبت لهم في عقولهم
وأديانهم واما أبدانهم فيبتلون فيها والسحر انما أثر في بعض جوارحه صلى الله عليه وسلم فقد
تقدم عن عائشة رضي الله تعالى عنها من ذكرها ما أنكر صلى الله عليه وسلم من بصره لكن
تقدم انه صلى الله عليه وسلم صار يخيل له انه يفعل الشئ ولا يفعله وهذا متعلق بالعقل ثم رأيت
أبا بكر بن العربي قال لم يقل كل الرواة انه اختلط عليه صلى الله عليه وسلم أمر وانما هذا اللفظ
زيد في الحديث لا أصل له قال ومثل هذه الاخبار من وضع الملحدين تلعبا واستجرارا الى القول
بابطال معجزات الانبياء عليهم الصلاة والسلام والقدح فيها وأنه لا فرق بين معجزات الانبياء
عليهم الصلاة والسلام وبين فعل السحرة وان جميعه من نوع واحد هذا كلامه (وممن كان
حريصا على رد الناس عن الاسلام أيضا شاس) بن قيس كان شديد الطعن على المسلمين شديد
الحسد لهم مر يوما على الانصار الاوس والخزرج وهم مجتمعون يتحدثون فغاظه ما رأى من
الفتهم بعد ما كان بينهم من العداوة فقال قد اجتمع بنو قيلة والله ما لنا معهم اذا اجتمعوا من قرار
فامر فتى شابا من يهود فقال اعمد اليهم فاجلس معهم ثم اذكر يوم بعاث أي يوم الحرب الذي كان
بينهم وما كان فيه وأنشدهم ما كانوا يتقاولون به من الاشعار ففعل فتكلم القوم عند ذلك أي
قال أحد الحيين قد قال شاعرنا كذا وقال الآخر قد قال شاعرنا كذا وتنازعوا وتواعدوا على
المقاتلة أي قالوا تعالوا نرد الحرب جذعا كما كانت فنادى هؤلاء بالاوس ونادى هؤلاء بالخزرج
ثم خرجوا اليهم وقد أخذوا السلاح واصطفوا للقتال فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين حتى جاءهم فقال يا معشر المسلمين الله الله أي اتقوا الله
أبدعوى الجاهلية أي وهي يا للخزرج يا للاوس وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله الى الاسلام
وألفكم به وقطع به عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر وألف به بينكم فعرف القوم
انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فبكوا وعانق الرجال من الاوس الرجال من الخزرج

الله حتى قال طليحة بن خويلد الاسدى اما محمد فقد بدأكم بالسحر فالنجا النجا فانهزموا من غير قتال والى ذلك أشار سبحانه وتعالى بقوله
يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها الآية وكذا قوله تعالى ورد الله الذين
كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا وتقدم ان بعض الصحابة رضى الله عنهم قالوا يا رسول الله
هل من شئ نقوله فقد بلغت القلوب الحناجر فقال نعم قولوا اللهم استر عوراتنا وآمن ١٢١ روعاتنا قال أبو سعيد الخدرى رضى

الله عنه فضرب الله وجوه اعدائنا بالريح فهزمهم بالريح وكفى الله المؤمنين القتال فانصرف الكفار خائبين خائفين حتى ان عمرو بن العاص وخالد بن الوليد أقاما فى مائتى فارس فى سافة عسكر المشركين مخافة الطلب وفى حديث جابر رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم اتى مسجد الاحزاب يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الاربعاء بين الظهر والعصر فوضع رداءه فقام فرفع يديه يدعو عليهم فرأينا البشر فى وجهه ومما دعا به صلى الله عليه وسلم كما تقدم قوله يا صريخ المكروبين يا مجيب المضطرين اكشف همى وغمى وكربى فانك ترى ما نزل بى وباصحابى فاتاه جبريل فبشره بان الله تعالى يرسل عليهم ريحا وجنودا فاخبر أصحابه بذلك ليزول خوفهم ورفع يديه قائلا شكرا شكرا وهبت ريح الصبا ليلا فقلعت الاوتاد وأطفأت النيران والقت عليهم الابنية وأكفأت القدور على أفواهها وسفت عليهم التراب ورمتهم بالحصباء وسمعوا فى جوانب معسكرهم التكبير وقعقعة السلاح فارتحلوا هاربين فى ليلتهم وتركوا ما استثقلوا من متاعهم فغنمه المسلمون وانصرف صلى الله عليه وسلم من غزوة

ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى فى شاس بن قيس يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا الآية وتدجاء فى ذم هذه الكلمة التى هى دعوى الجاهلية وهى يا لفلان قوله صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم الرجل يتعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه بهن أبيه ولا تكنوا أى قولوا له اعضض على ذكر أبيك ولا تكنوا عنه بالهن فلا تقولوا على هن أبيك بل قولوا على ذكر أبيك تنكيلا له وزجرا عما أتى به أى وقد كان أنزل الله تعالى فيهم يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب الآية وقد قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم وهو بين الصفين رافعا بها صوته فألقوا السلاح وفعلوا ما تقدم وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان يهود كانوا يستفتحون أى يستنصرون على الاوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه أى يقولون سيبعث نبى صفته كذا وكذا نقتلكم معه قتل عاد وارم كما تقدم عند مبايعة العقبة فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء يا معشر يهود اتقوا الله واسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد صلى الله عليه وسلم ونحن أهل شرك وكفر وتخبروننا انه مبعوث وتصفونه لنا بصفته فقال سلام أى بالتشديد ابن مشكم من علمائهم ويهود بنى النضير ما جاءنا بشئ نعرفه ما هو الذى كنا نذكره لكم فانزل الله تعالى فى ذلك قوله تعالى ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين وقيل فى سبب نزول قوله تعالى ما أنزل الله على بشر من شئ انه صلى الله عليه وسلم قال لمالك بن الصيف وكان رئيسا على اليهود أنشدك بالذى أنزل التوراة على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فانت الحبر السمين قد سمنت من مالك الذى تطعمك اليهود فضحك القوم فغضب والتفت الى عمر رضى الله تعالى عنه فقال ما أنزل الله على بشر من شئ فقالت له اليهود ما هذا الذى بلغنا عنك فقال انه أغضبنى فنزعوه من الرياسة وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف أى لان فى قوله المذكور طعنا فى التوراة وقيل ان يهود المدينة من بنى قريظة وبنى النضير وغيرهم كانوا اذا قاتلوا من بينهم من مشركى العرب من أسد وغطفان وجهينة وعذرة قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم يقولون اللهم انا نستنصرك بحق النبى الامى الذى وعدتنا بك باعثه فى آخر الزمان الا نصرتنا عليهم وفى لفظ قالوا اللهم انصرنا بالنبى المبعوث فى آخر الزمان الذى نجد نعته وصفته فى التوراة فينصرون وفى لفظ يقولون اللهم ابعث النبى الذى نجده فى التوراة يعذبهم ويقتلهم وفى لفظ ان يهود خيبر كانت تقاتل غطفان فكلما التقوا هزمت يهود فدعت يوما اللهم انا نسألك بحق محمد النبى الامى الذى وعدتنا أن تخرجه لنا فى آخر الزمان الا نصرتنا عليهم فكانوا اذا التقوا دعوا بهذا الدعاء فيهزموا غطفان وصار اليهود يسألونه صلى الله عليه وسلم عن أشياء ليلبسوا الحق بالباطل أى ومن جملة ما سألوه صلى الله عليه وسلم عن الروح فعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال كنت أمشى مع النبى صلى الله عليه وسلم فى حرث المدينة

١٦ سيره ثانى الخندق يوم الاربعاء لسبع بقين من ذى القعدة وكان قد أقام بالخندق محاصرا خمسة عشر يوما وقيل أربعة وعشرين يوما وقيل شهرا وقال صلى الله عليه وسلم بعد انصراف الاحزاب ان تغزوكم قريش بعد عامكم هذا وفى رواية الآن نغزوهم ولا يغزوننا نحن نسير اليهم وقد كان كما أخبر صلى الله عليه وسلم ففى ذلك علم من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم وفى السيرة الحلبية ان أبا سفيان قبل أن يرتحلوا كتب كتابا وأرسله للنبى صلى الله عليه وسلم فيه باسمك اللهم فانى أحلف باللات والعزى واساف ونائلة وهبل لقد سرت

اليك فى جمع وأنا أريد أن لا أعود أبدا حتى استأصلكم فرأيتك قد كرهت واعتصمت بالخندق وفى رواية فداعتصمت بعكيدة ما كانت العرب تعرفها وانما تعرف خلى رماحها وشباسيوفها وما فعلت هذا الافرارا من سيوفنا ولقائنا ولك منى يوم كيوم أحد فارسل له رسول الله صلى الله عليه وسلم جوابه فيه أما بعد أى بعد بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى صخر بن حرب فقد أتانى كتابك وقد يماغرك بالله الغرور أما ماذكرت انك

سرت الينا وأنت لا تريد أن تعود حتى تستأصلنا فذلك أمر يحول الله تعالى بينك وبينه ويجعل لنا العاقبة وليأتين عليك يوم أكسر فيه اللات والعزى وأساف ونائلة وهبل حتى أذكرك ذلك ياسفيه بنى غالب انتهى وقد حقق الله قوله صلى الله عليه وسلم وكسر اللات والعزى وغيرهما من الاصنام وأعز الله الاسلام فاخباره بذلك قبل وقوعه علم من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم (وقد ذكر ابن اسحق) انه استشهد من المسلمين يوم الخندق ستة لاغير سعد بن معاذ رضى الله عنه وسيأتى بيان وفاته وأنس بن أوس وعبد الله بن سهل والثلاثة من الاوس ومن الخزرج الطفيل بن النعمان وثعلبة بن غنمة وكعب بن زيد وزاد الحافظ الدمياطى تميس بن زيد ابن عامر وعبد الله بن أبى خالد (وذكر الحافظ ابن حجر) فى الكنى أباسنان بن صيفى بن صخر وقال شهد بدرا واستشهد فى الخندق وقتل من المشركين ثلاثة منبه بن عبيد العبدرى أصابه سهم فمات منه بمكة ونوفل بن عبد الله المخزومى وعمرو بن عبدود (وفى البخارى) عن ابن عمر رضى الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم كان اذا قفل من الغزو أو الحج أو العمرة يبدأ فيكبر ثلاث مرات ثم يقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الجبال الاحزاب وحده وهذا من السجع المحمود وهو ما جاء با نسجام واتفاق بلا قصد والمذموم ما يأتى بتكلف واستكراه والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿غزوة بنى قريظة﴾ وهم قوم من اليهود بالمدينة من حلفاء الاوس وحاصلها انه صلى الله عليه وسلم لما انصرف من الخندق دخل المدينة فى اليوم الذى انصرف فيه لسبع بقين من ذى القعدة هو وأصحابه ووضعوا السلاح وكان قد صلى الظهر ودخل

يتوكأ على عسيب أى جريدة من جريد النخل اذ مر بنفر من اليهود فقال بعضهم لبعض لا تسألوه لئلا يسمعكم ما تكرهون وفى رواية لئلا يستقبلكم بشئ تكرهونه أى يجيبكم بما هو دليل عندكم على انه النبى الامى وأنتم تنكرون نبوته فقاموا اليه فقالوا يا محمد وفى رواية يا أبا القاسم ما الروح وفى رواية أخبرنا عن الروح فسكت قال ابن مسعود فظننت أنه صلى الله عليه وسلم يوحى اليه فقال ويسألونك عن الروح أى التى يكون بها الحيوان حيا قل الروح من أمر ربى فقالوا هكذا نجده فى كتابنا أى التوراة وقد تقدم الكلام على ذلك عند الكلام على فترة الوحى قال صاحب الافصاح انه انما سأل اليهود عن الروح تعجيزا وتغليطا لان الروح تطلق بالاشتراك على الروح للانسان وعلى القرآن وعلى عيسى وعلى جبريل وعلى ملك آخر وعلى صنف من الملائكة فقصد اليهود انه بأى شئ أجابهم به قالوا ليس هو فجاءهم الجواب مجملا فكان هذا الجواب لزكيدهم لان كل واحد مما ذكر أمر من مأمورات الحق تعالى ولما أنزل الله تعالى فى حق اليهود وما أوتيتم من العلم الا قليلا قالوا أوتينا علما كثيرا أوتينا التوراة ومن أوتى التوراة فقد أوتى خيرا كثيرا فانزل الله تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا وفى الكشاف انهم قالوا نحن مخصوصون بهذا الخطاب أم أنت معنا فيه فقال صلى الله عليه وسلم نحن وأنتم لم نؤت من العلم الا قليلا فقالوا ما أعجب شأنك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولو ان ما فى الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله هذا كلامه وسألوه صلى الله عليه وسلم متى الساعة ان كنت نبيا فانزل الله تعالى يسألونك عن الساعة ايان مرساها قل انما علمها عند ربى الآية أى وجاء يهوديان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه عن قوله تعالى ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فقال صلى الله عليه وسلم لهما لا تشركوا بالله شيأ ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ولا تسرقوا ولا تسحروا ولا تمشوا ببرىء الى سلطان ولا تأكلوا الربا ولا تقذفوا محصنة وعليكم يا يهود خاصة ان لا تعتدوا فى السبت فقبلا يديه ورجليه صلى الله عليه وسلم وقالا نشهد أنك نبى قال فما يمنعكما ان تسلما قالا نخاف ان أسلمنا أن تقتلنا يهود أى وسألوه صلى الله عليه وسلم عن خلق السموات أى فى أى زمن والارض وما بينهما أى مدة ما بينهما فقال لهم خلق الارض فى يوم الاحد والاثنين وخلق الجبال وما فيها يوم الثلاثاء أى ولذلك يقول الناس انه يوم ثقيل وخلق البحر والماء والمدائن والعمران والخراب يوم الاربعاء وخلق السموات يوم الخميس وخلق الشمس والقمر والنجوم والملائكة يوم الجمعة قالوا ثم ماذا يا محمد قال ثم استوى على العرش قالوا قد اصبت لو تممت ثم استراح أى لو قلت هذا اللفظ لانهم يقولون انه استراح جل وعز يوم السبت ومن ثم يسمونه يوم الراحة فانزل الله تعالى ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب أى تعب فاصبر على ما يقولون وفى رواية خلق الله الارض يوم الاحد والاثنين وخلق

بيت عائشة رضى الله عنها وقيل بيت زينب بنت جحش رضى الله عنها ودعا بماء فبينما هو صلى الله عليه وسلم يغتسل وقد غسل شق
رأسه الشريف وفى رواية بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغسل برجل رأسه قدر جل أحد شقيه وفى رواية غسل رأسه واغتسل
ودعا بالمجمرة ليتبخر أتاه جبريل عليه السلام معتجرا بعمامة سوداء من استبرق وهو نوع من الديباج رخاها بين كتفيه وفى رواية
عليه لأمة ولا معارضة لانه يجوز ان الاعتجار بالعمامة على تلك اللأمة وهو على ١٢٣ بغلة شهباء عليها قطيفة وهى كساء له وبر

الجبال يوم الثلاثاء وخلق الانهار والاشجار يوم الاربعاء وخلق الطير والوحش والسباع
والهوام والآفة يوم الخميس وخلق الانسان يوم الجمعة وفرغ من الخلق يوم السبت وهذا
يشكل على ما تقدم ان مبدأ الخلق يوم السبت حتى يكون آخر الاسبوع يوم الجمعة وهو الراجح
على ما تقدم وقد قيل فى سبب نزول قوله تعالى شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم الى
قوله ان الدين عند الله الاسلام ان حبرين من أراضى الشام لما بعثه صلى الله عليه وسلم
قدما المدينة فقال أحدهما للآخر ما أشبه هذه بمدينة النبى الخارج فى آخر الزمان فاخبرا
بهاجرة النبى صلى الله عليه وسلم ووجوده فى تلك المدينة فلما رأياه قالا له أنت محمد قال نعم قالا
نسألك مسئلة ان أخبرتنا بها آمنا فقال صلى الله عليه وسلم اسألانى فقالا اخبرنا عن أعظم
الشهادة فى كتاب الله تعالى فنزلت هذه الآية فتلاها صلى الله عليه وسلم عليهما فآمنا قال
وعن قتادة رضى الله تعالى عنه ان رهطا من اليهود جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا
يا محمد هذا الذى خلق الجن والانس من خلقه وفى لفظ خلق الله الملائكة من نور الحجاب وآدم
من حمأ مسنون وابليس من لهب النار والسماء من دخان والارض من زبد الماء فاخبرنا عن
ربك من أى شئ خلق فغضب صلى الله عليه وسلم حتى انتقع لونه فجاء جبريل عليه السلام وقال
له خفض عليك فانزل الله تعالى عليه قل هو الله أحد السورة أى متوحد فى صفات الجلال
والكمال منزه عن الجسمية واجب الوجود لذاته أى اقتضت ذاته وجوده مستغن عن غيره وكل
ماعداه محتاج اليه اه (أقول) ونزول جبريل بذلك ربما يدل على أنه صلى الله عليه وسلم توقف
ولم يدر ما يقول كما وقع له لما سأله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن سلام رضى الله تعالى عنه وقال
له صف ربك كما سيأتى ثم رأيت عن الشيخين وغيرهما أن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه ذكر
فى سبب نزول هذه السورة غير ما ذكروا له ما سيأتى فى قصة اسلام عبد الله بن سلام ولا مانع
من تكرر النزول لاسباب مختلفة ثم رأيته فى الاتقان ذكر أن سورة الاخلاص تكرر نزولها
فنزلت جوابا للمشركين بمكة وجوابا لاهل الكتاب بالمدينة وقال قيل ذلك انها انما نزلت بالمدينة
وفى دعوى تكرر نزولها ما يقال حيث سئل أولا ونزلت جوابا كيف يتوقف ثانيا عند السؤال
الثانى حتى يحتاج الى نزولها مع بعد نسيان ذلك له صلى الله عليه وسلم ثم رأيت عن البرهان قد
ينزل الشئ مرتين تعظيما لشأنه وتذكيرا عند حدوث سببه خوف نسيانه وهو كما ترى لا يدفع
التوقف وكان من أعلم أحبار يهود عبد الله بن سلام بالتخفيف وكان قبل أن يسلم اسمه الحصين
فلما أسلم سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله وكان من ولد يوسف الصديق أى وقد أثنى
الله تعالى عليه فى قوله تعالى وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم وكان
من يهود بنى قينقاع كما تقدم جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وسمع كلامه أى فى أول يوم دخل
فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم دار أبى أيوب ○ أى ولعل الذى سمعه من النبى صلى الله عليه
وسلم هو قوله يا أيها الناس افشوا السلام وصلوا الارحام واطعموا الطعام وصلوا بالليل

من ديباج أحمر فقال أوقد وضعت
السلاح يا رسول الله قال نعم قال
جبريل ما وضعت الملائكة
السلاح وفى رواية قال يا رسول
الله غفر الله لك أوقد وضعتم السلاح
وما رجعنا الا الآن الامن طلب
القوم يعنى الاحزاب وقد بلغنا
الاسد يعنى حمراء الاسد ان الله
يأمرك يا محمد بالمسير الى بنى
قريظة فانى عامد اليهم بن معى
من الملائكة فمزلزل بهم الحصون
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان فى أصحابى جهدا فلو انتظرتهم
اياما فقال جبريل انهض اليهم أى
بنى قريظة فوالله لادقنهم كدق
البيض على الصفا ولادخلن عليهم
فى حصونهم ثم لاضعضعنها فادبر
جبريل ومن معه من الملائكة
حتى سطع الغبار فى زقاق بنى غنم
وهم طائفة من الانصار وفى
البخارى عن أنس رضى الله عنه
قال كأنى أنظر الى الغبار ساطعا
فى زقاق بنى غنم لموكب جبريل
حين سار لبنى قريظة (وعن عائشة
رضى الله عنها) انها قالت لما رجع
النبى صلى الله عليه وسلم يوم الخندق
بينما هو عندى اذ دق الباب وفى
رواية نادى منادٍ فارتاع لذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم أى
فزع ووثب وثبة منكرة وخرج
فخرجت فى اثره فاذا رجل على
دابة والنبى صلى الله عليه وسلم متكئ على معرفة الدابة بكلامه فرجعت فلما دخل قلت من ذلك الرجل الذى كنت تكلمه قال ورأيته
قلت نعم قال بن شبهته قالت بدحية الكلبى قال ذلك جبريل أمرنى ان أمضى الى بنى قريظة وهذا يؤيد انه صلى الله عليه وسلم
كان عند منصرفه من الخندق فى بيت عائشة رضى الله عنها وجاء فى رواية عنها فكأنى برسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح الغبار عن
وجه جبريل وهو أى جبريل ينفض رأسه من الغبار فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذنا وهو بلال رضى الله عنه أن

ينادي في الناس من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر الا في بني قريظة وفي رواية لا يصلين الظهر وجمع بينهما بأن من الناس من صلى الظهر ومنهم من لم يصلها فقيل للذين لم يصلوا الظهر الا تصلوا الظهر الا في بني قريظة وللذين صلوها لا تصلوا العصر الا في بني قريظة وبعث مناديا يقول يا خيل الله اركبي أي يا فرسان خيل الله ثم سار اليهم وبعث عليا رضي الله عنه على المقدمة ودفع اليه لواءه وكان اللواء على حاله لم يحل عند مرجعهم من الخندق واستعمل على المدينة ابن ام مكتوم رضي الله عنه ولبس صلى الله عليه وسلم السلاح والدرع والمغفر والبيضة وأخذ قناته بيده وتقلد القوس وركب فرسه اللحيف بالضم وقيل ركب حمارا وهو العسفور عريا ويمكن انه ركب في بعض الطريق حماره وفي بعضه فرسه وسار والناس حوله قد لبسوا السلاح وركبوا الخيل وهم ثلاثة آلاف والخيل ستة وثلاثون فرسا ومر بنفر من الانصار وقد لبسوا السلاح فقال هل مر بكم أحد قالوا نعم دحية الكلبي مر على بغلة بيضاء وفي رواية على فرس أبيض عليه اللأمة وأمرنا بحمل السلاح وقال انا رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلع عليكم الآن فلبسنا سلاحنا وصففنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك جبريل بعث الى بني قريظة ليزلزل حصونهم ويقذف الرعب في قلوبهم فلما دنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه من الحصن أي ومعه نفر من المهاجرين والانصار وغرز اللواء عند أصل الحصن سمع من بني قريظة مقالة قبيحة في حقه صلى الله عليه وسلم فسكت المسلمون وقالوا السيف بيننا وبينكم فلما رأى علي رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا أمر أبا قتادة الانصاري ان يلزم اللواء ورجع اليه صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله لا عليك ان لا تدنو من هؤلاء الاخابث قال لعلك سمعت منهم لي أذى قال نعم قال لو رأوني لم يقولوا شيئا فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم قال يا اخوان القردة هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته قالوا يا أبا القاسم ما كنت جهولا وفي رواية نادى بأعلى صوته نفرا من أشرافهم حتى أسمعهم وقال أجيبوا

والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام فعنه رضي الله تعالى عنه قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة انجفل اليه الناس أي بالجيم أسرعوا فكنت ممن أتى اليه أي وهذا يدل على انه جاءه في قباء وسيأتي قال فلما رأيت وجهه صلى الله عليه وسلم عرفت انه وجه غير كذاب أي لان صورته وهيئته وسمته صلى الله عليه وسلم تدل العقلاء على صدقه وانه لا يقول الكذب قال عبد الله فسمعته صلى الله عليه وسلم يقول أيها الناس الى آخره أي ولا مانع أن يكون ذلك تكرر منه صلى الله عليه وسلم وعند ذلك قال أشهد أنك رسول الله حقا وأنك جئت بحق ثم رجعت الى أهل بيتي فأمرتهم فأسلموا وكتمت اسلامي من اليهود ثم جئته صلى الله عليه وسلم أي في بيت أبي أيوب وقلت له لقد علمت اليهود أني سيدهم وابن سيدهم وأعلمهم وابن أعلمهم فاخبئني يا رسول الله قبل أن يدخلوا عليك فادعهم فاسألهم عني قبل أن يعلموا أني أسلمت فانهم قوم بهت أي بضم الباء والهاء يواجهون الانسان بالباطل وأعظم قوم عضيهة أي كذبا وانهم ان يعلموا اني قد أسلمت قالوا في ما ليس في وخذ عليهم ميثاقا أني ان اتبعتك وآمنت بكتابك أن يؤمنوا بك وبكتابك الذي أنزل عليك فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فدخلوا عليه فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر يهود ويلكم اتقوا الله فوالله الذي لا اله الا هو انكم لتعلمون أني رسول الله حقا وأني جئتكم بحق أسلموا قالوا ما نعلم فاعاد ذلك عليهم ثلاثا وهم يجيبونه كذلك قال فأي رجل فيكم ابن سلام قالوا ذاك سيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا وفي رواية خيرنا وابن خيرنا بالخاء المعجمة والياء المثناة تحت أفعل تفضيل وقيل بالمهملة والباء الموحدة أي أعلمنا بكتاب الله سيدنا وعالمنا وأفضلنا قال أفرأيتم ان شهد أني رسول الله وآمن بالكتاب الذي أنزل علي تؤمنوا بي قالوا نعم فدعاه فقال يا ابن سلام اخرج عليهم فخرج عليهم فقال يا عبد الله بن سلام أما تعلم اني رسول الله تجدني عندكم مكتوبا في التوراة والانجيل أخذ الله ميثاقكم ان تؤمنوا بي وان تتبعوني من أدركني منكم قال ابن سلام بلى يا معشر يهود ويلكم اتقوا الله والله الذي لا اله الا هو انكم لتعلمون انه رسول الله حقا وانه جاء بالحق قال زاد في رواية تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة اسمه وصفته قالوا كذبت أنت أشرنا وابن أشرنا وهذه لغة رديئة والفصحى شرنا وابن شرنا بغير همزة وهي رواية البخاري قال ابن سلام رضي الله تعالى عنه هذا الذي كنت أخاف يا رسول الله ألم أخبرك انهم قوم بهت أهل غدر وكذب وفجور انتهى فاخرجهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأظهرت اسلامي وأنزل الله تعالى قل أرأيتم ان كان من عند الله يعني الكتاب أو الرسول وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل يعني عبد الله بن سلام على مثله يعني اليهود فآمن واستكبرتم ان الله لا يهدي القوم الظالمين (أقول) هذا السياق لا يناسب ما حكاه في الخصائص الكبرى عن تاريخ الشام لابن عساكر ان ابن سلام اجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم بمكة قبل أن يهاجر فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أنت ابن سلام عالم أهل يثرب قال نعم قال ناشدتك بالذي أنزل التوراة على موسى هل تجد صفتي في كتاب الله يعني التوراة

يا اخوة القردة والخنازير وعبدة الطاغوت وهو ما عبد من دون الله هل اخزاكم الله وأنزل بكم نقمته أتشتمونى فجعلوا يحلفون
ما قلنا ويقولون يا أبا القاسم ما كنت جهولا وفى رواية ما كنت فاحشا وقال لهم أسيد بن حضير يا اعداء الله لا تبرحوا من حصنكم
حتى تموتوا جوعا فانما أنتم بمنزلة ثعلب فى جحر فقالوا يا ابن الحضير نحن موالى الخزرج وأى خافوا فقال لا عهد بينى وبينكم وانما قال لهم
يا اخوة القردة والخنازير لان اليهود مسخ شبابهم قردة وشيوخهم خنازير عند

التوراة قال انسب ربك يا محمد فارتج النبى صلى الله عليه وسلم أى توقف ولم يدر ما يقول فقال له
جبريل قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فقال ابن سلام أشهد أنك
رسول الله وأن الله مظهرك ومظهر دينك على الاديان وانى لاجد صفتك فى كتاب الله تعالى
يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا أنت عبدى ورسولى الى آخر ما تقدم عن التوراة
فانه يدل على أن ابن سلام أسلم بمكة وكتم اسلامه ولو كان كذلك لما قال فلما رأيت وجهه
الشريف عرفت أنه غير وجه كذاب ولما قال وكنت عرفت صفته واسمه ولما سأله عن الامور
الآتية ولما احتاج الى الاسلام ثانيا الا أن يقال على تسليم صحة ما قاله ابن عساكر جاز أن
يكون قال ذلك وفعل ما ذكر اقامة للحجة على اليهود (وقد وقع لابن سلام) هذا أنه لقى عليا
بالربذة وقد خرج بعد قتل عثمان وبعد أن بويع بالخلافة متوجها الى البصرة فلما بلغه أن عائشة
وطلحة والزبير ومن معهم خرجوا الى البصرة فى طلب دم عثمان وكان ذلك سببا لوقعة الجمل
فاخذ بعنان فرس على وقال يا أمير المؤمنين لا تخرج منها يعنى المدينة فوالله لئن خرجت منها
لا يعود اليها سلطان المسلمين أبدا فسبه بعض الناس وقال له مالك ولهذا يا ابن اليهودية فقال
على دعوه فنعم الرجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه
قال لقد لقيت عبد الله بن سلام فقلت له اخبرنى عن ساعة الاجابة يوم الجمعة فقال فى آخر ساعة
فى يوم الجمعة قلت وكيف وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلى
وتلك الساعة لا صلاة فيها فقال ابن سلام ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس مجلسا
ينتظر الصلاة فهو فى صلاة حتى يصلى وفيه ان فى الصحيحين ان فى يوم الجمعة ساعة لا يوافقها
مسلم وهو قائم يصلى فسأل الله عز وجل شيأ الا أعطاه اياه ثم رأيت عن سنن ابن ماجه ان جواب
ابن سلام تلقاه عن النبى صلى الله عليه وسلم ونص السنن المذكورة عن عبد الله بن سلام رضى
الله تعالى عنه قال قلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس انا لنجد فى كتابنا يعنى التوراة فى
الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يسأل الله عز وجل فيها شيأ الا قضى حاجته قال عبد الله بن
سلام فأشار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أو بعض ساعة فقلت صدقت يا رسول الله أو بعض
ساعة قلت أى ساعة هى قال آخر ساعة من ساعات النهار قلت انها ليست ساعة صلاة قال بلى
ان العبد المؤمن اذا صلى ثم جلس لا يحبسه الا الصلاة فهو فى الصلاة أى ولعل لفظ قائم فى
رواية الصحيحين يراد به مريد القيام الى الصلاة أى صلاة العصر وقد قيل ان تلك الساعة
رفعت بعد موته صلى الله عليه وسلم وقيل هى باقية وهو الصحيح وعليه فقيل لا زمن لها معين
وقيل هى فى زمن معين وعليه ففى تعيينها أحد عشر قولا وقيل أربعون قولا (وقد وقع لميمون
ابن يامين) وكان رأس اليهود مثل ما وقع لابن سلام مع اليهود فانه جاء الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال يا رسول الله ابعث اليهم واجعلنى حكما فانهم يرجعون الى فادخله داخلا
وأرسل اليهم فجاؤه صلى الله عليه وسلم فقال لهم اختاروا رجلا حكما يكون بينى وبينكم قالوا قد

من الصحابة شغلهم ما لم يكن لهم
منه بد عن المسير لبنى قريظة
ليصلوا بها العصر فأخروا صلاة
العصر الى أن جاؤا بعد صلاة العشاء
الآخرة امتثالا لقوله صلى الله
عليه وسلم فلا يصلين العصر الا
فى بنى قريظة فصلوا العصر بها بعد
العشاء الآخرة وبعضهم قال
نصلى ما أراد رسول الله صلى الله
عليه وسلم منا أن ندع الصلاة
ونخرجها عن وقتها وانما أراد الحث
على الاسراع فصلوا فى أماكنهم
قيل وجماعة صلوا على ظهور دوابهم
ثم سار وافساعابهم الله فى كتابه
ولا عنفهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم لان كلا من الفريقين مأجور
بقصده لانهم مجتهدون ولم يعنف
الذين أخروها لقيام عذرهم فى
التمسك بظاهر الامر وحاصر
رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى
قريظة خمسا وعشرين ليلة وقيل
خمسة عشر يوما وقيل شهرا وكان
طعام الصحابة رضى الله عنهم التمر
يرسل به اليهم سعد بن عبادة رضى
الله عنه وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يومئذ نعم الطعام التمر
واشتد الحصار على بنى قريظة
وقذف الله الرعب فى قلوبهم وكان
حيى بن أخطب دخل معهم حصنهم
حين رجعت الاحزاب وفاء لكعب
بما عاهده عليه كما تقدم فلما أيقنوا

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير منصرف عنهم حتى يناجزهم أى يقاتلهم قال كبيرهم كعب بن أسد يا معشر يهود قد نزل بكم من
الامر ما ترون وانى عارض عليكم خلالا ثلاثا فخذوا أيها شئتم قالوا وما هى قال نتابع هذا الرجل ونصدقه فوالله لقد تبين لكم انه نبى
مرسل وانه الذى تجدونه فى كتابكم فتأمنون على دمائكم وأموالكم ونسائكم ومانعنا من الدخول معه الا الحسد للعرب حيث
لم يك من بنى اسرائيل ولقد كنت كارها لنقض العهد ولم يكن البلاء والشؤم الا من هذا الجليس يعنى حيى بن أخطب أتذكرون

ما قال لكم ابن خراش حين قدم عليكم انه يخرج بهذه القرية نبي فاتبعوه وكونوا له أنصارا وتكونون آمنتم بالكتابين الاول والآخر
يعني التوراة والقرآن أي وكانت يهود بني قريظة يدرسون ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتبهم ويعلمون الولدان صفته وان
مهاجره المدينة وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال كانت يهود قريظة وبني النضير وفدك وخيبر يجدون صفة النبي صلى الله عليه وسلم
قبل أن يبعث وان دار هجرته المدينة ولما ١٢٦ قال لهم كعب ذلك قالوا لا نفارق حكم التوراة ولا نستبدل به غيره قال كعب فاذا أبيتم

رضينا ميمون بن يامين فقال اخرج اليهم فقال أشهد أنه لرسول الله فأبوا أن يصدقوه والله أعلم
(وقد أشار) الى انكارهم نبوته صلى الله عليه وسلم مع معرفتهم لها صاحب الهمزية بقوله

عرفوه وأنكروه فظلما * كتمته الشهادة الشهداء
أو نور الاله تطفئه الافـ * ـواه وهو الذي به يستضاء
كيف يهدي الاله منهم قلوبا * حشوها من حبيبه البغضاء

أي عرفوه انه النبي المنتظر وأنكروه بظواهرهم ولاجل ظلمهم كتمت الشهادة به العارفون به
أو نور الاله الذي هو النبوة تذهبه الالسن لا يكون ذلك وكيف يكون ذلك وهو الذي يستضاء
به في الظاهر والباطن كيف يوصل الاله قلوبا للحق وملؤها البغضاء لحبيبه صلى الله عليه وسلم
(أقول) وقيل في سبب نزول سورة قل هو الله أحد ان وفد نجران لما ناظروا بالتثليث قال لهم
المسلمون من خلقكم قالوا الله قالوا لهم فلم عبدتم غيره وجعلتم معه الهين فقالوا بل هو الله واحد
لكنه حل في جسد المسيح اذ كان في بطن أمه فقالوا لهم هل كان المسيح يأكل الطعام قالوا
كان يأكل الطعام فانزل الله تعالى للالحبار من اليهود اوفوا بعهدي الذي أخذته في أعناقكم للنبي صلى الله
عليه وسلم اذ جاءكم بتصديقه واتباعه اوف بعهدكم انجز لكم ما وعدتكم عليه بوضع ما كان
عليكم من الاصر والاغلال ولا تكونوا أول كافر به وعندكم فيه من العلم ما ليس عند غيركم
ولا تكتموا الحق وأنتم تعلمون أي لا تكتموا ما عندكم من المعرفة برسولي وبما جاءه وانتم تجدونه
عندكم فيما تعلمون من الكتب التي بايديكم (قال بعضهم) ولم يسلم من رؤساء علماء اليهود الا
عبد الله بن سلام وضم اليه السهيلي عبد الله بن صوريا قال الحافظ ابن حجر لم أقف لعبد الله بن
صوريا على اسلام من طريق صحيح وانما نسب لتفسير النقاش أي ويضم لعبد الله بن سلام
ميمون المتقدم ذكره وروي في سبب اسلام عبد الله بن سلام أي اظهار اسلامه على ما تقدم
انه لما بلغه مقدم النبي صلى الله عليه وسلم أتاه في قباء فعنه رضي الله تعالى عنه جاء رجل حتى
أخبر بقدومه صلى الله عليه وسلم وأنا في رأس نخلة أعمل فيها وعمتي تحتي جالسة فلما سمعت
بقدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم كبرت فقالت لي عمتي لو كنت سمعت بموسى بن عمران
ما زدت فقلت لها أي عمة فوالله هو أخو موسى بن عمران وعلى دينه بعث بما بعث به قالت يا ابن
أخي أهو النبي الذي كنا نخبر أنه يبعث مع بعث الساعة وفي لفظ مع نفس الساعة فقلت لها
نعم أي وقد جاء عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله
وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذل والصغار على من خالف أمري

على هذه فوالله لنقتلن أبناءنا ونساءنا
ثم نخرج الى محمد وأصحابه رجالا
مصلتين السيوف لم نترك وراءنا
ثقلا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد
فان نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلا
أي ولدا يخشى عليه وان نظفر
فلعمري لنجدن النساء والابناء
قالوا نقتل هؤلاء المساكين فما خير
العيش بعدهم قال فان أبيتم علي
هذه فان الليلة ليلة السبت وان
عسى أن يكون محمد وأصحابه قد
امنونا فيها فانزلوا لعلنا نصيب من
محمد وأصحابه غرة أي غفلة قالوا
نفسد سبتنا ونحدث فيه ما لم يحدث
فيه من كان قبلنا الا وأصابه ما لم
يخف عليك من المسخ وقال لهم
عمرو بن سعدى قد خالفتم محمدا
فيما عاهدتموه عليه ولم أشركم
في غدركم فان أبيتم أن تدخلوا
معه فاثبتوا على اليهودية واعطوه
الجزية فوالله ما أدري أيقبلها
أم لا قالوا نحن لا نقر للعرب بخراج
في رقابنا يأخذونه وان القتل خير
من ذلك قال فاني بريء منكم
وخرج في تلك الليلة فمر بحرس
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه
محمد بن مسلمة فقال محمد بن مسلمة
من هذا قال عمرو بن سعدى قال
مر اللهم لا تحرمني اقالة عثرات
الكرام وخلى سبيله وبعد ذلك
لم يدر أين هو ولما أخبر رسول
الله صلى الله عليه وسلم خبره قال ذاك رجل نجاه الله بوفائه وفي لفظ انه قال لهم قبل أن يقدم النبي صلى الله عليه وسلم

وجاء

لحصارهم يا بني قريظة لقد رأيت مبرا رأيت دار اخوانا يعني بني النضير خالية بعد ذلك العز والخلد والترف والرأي الفاضل والعقل
قد تركوا أموالهم يفتكها غيرهم وخرجوا خروج ذل لا والتوراة ما سلط هذا على قوم قط ولله بهم حاجة وقد أوقع بني قينقاع نقضهم
العهد في الذل والسبي وكانوا أهل عدة وسلاح ونجدة فلم يخرج منهم أحد رأسه حتى سباهم صلى الله عليه وسلم فكلم فيهم فتركهم على

اجلائهم من يثرب ياقوم قد رأيتم ما رأيتم فأطيعونى وتعالوا نتبع محمدا فوالله انكم لتعلمون انه نبى وقد بشرنا به علماؤنا ثم لا زال يخوفهم بالحرب والسباء والجلاء ثم أقبل على كعب بن أسد وقال والتوراة التى نزلت على موسى يوم طور سيناء انه العز والشرف فى الدنيا فبينما هم على ذلك لم يرعهم الا مقدمة جيش النبى صلى الله عليه وسلم قد حلت بساحتهم فقال هذا الذى قلت لكم أى وبعد الحصار أرسلوا شاس بن قيس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزلوا على ما نزلت عليه بنو النضير من أن لهم ما حملت الابل الا الحلقة فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحقن دماءهم ويسلم لهم نساءهم والذرية فأرسلوا له ثانيا بأنهم لا حاجة لهم بشئ من الاموال لا من الحلقة ولا من غيرها فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أن ينزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعاد شاس اليهم بذلك ثم انهم بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ابعث الينا أبا لبابة وهو رفاعة بن عبد المنذر الانصارى رضى الله عنه لنستشيره فى أمرنا أى لانه كان مناصحا لهم لان ماله وولده وعياله كانت فى بنى قريظة وكانوا محالفين للاوس وهو منهم فأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فلما رأوه قام اليه الرجال وأسرع اليه النساء والصبيان يبكون فى وجهه من شدة المحاصرة وتشتيت مالهم فرق لهم وقالوا يا أبا لبابة أترى ان ننزل على حكم محمد قال نعم واشار بيده الى حلقه أى انه الذبح أى وفى لفظ ما ترى ان محمدا قد أبى أن ننزل الا على حكمه قال فانزلوا وأومأ بيده الى حلقه انه الذبح فلا تفعلوا قال أبو لبابة فوالله ما زالت قدماى من مكانهم حتى عرفت انى خنت الله ورسوله أى لان فى ذلك تنفيرا لهم عن الانقياد له صلى الله عليه وسلم ومن ثم انزل الله فى ذلك يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون واعلموا انما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم وقيل الذى نزل فى ذلك قوله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم ان الله غفور رحيم والحق ان كلا من الآيتين نزل فيه الاولى فى اللوم عليه والثانية فى توبته وفى رواية عن أبى لبابة رضى الله عنه لما أرسلت بنو قريظة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يرسل اليهم دعانى فقال اذهب الى حلفائك فانهم ارسلوا اليك من بين الاوس فذهبت اليهم فقام

وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال بعثت أنا والساعة كهاتين وقال بأصبعيه هكذا يعنى السبابة والوسطى أى جمع بينهما وفى رواية بعثت فى نفس الساعة سبقتها كما سبقت هذه هذه وفى رواية سبقتها بما سبقت هذه هذه وأشار بأصبعيه الوسطى والسبابة قال الطيبى الوسطى تزيد على السبابة بنصف سبع أصبع كما ان نصف يوم من سبعة أيام نصف سبع أى وقد تقدم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما الدنيا سبعة أيام كل يوم ألف سنة وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آخر يوم منها وتقدم فى حديث أخرجه أبو داود لن يعجز الله أن يؤخر هذه الامة نصف يوم يعنى خمسمائة سنة قال بعضهم فان قيل ما وجه الجمع بين هذا وبين قوله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن الساعة ما المسؤل عنها بأعلم من السائل لدلالة الرواية الاولى على علمه بها أجيب بان القرآن نطق بان علمها عند الله لا يعلمها الا هو ومعنى قوله بعثت أنا والساعة كهاتين انه ليس بينى وبينها نبى آخر يأتى بشريعة ولا يتراخى الى ان تندرس شريعتى فهو صلى الله عليه وسلم أول أشراطها لانه نبى آخر الزمان وهذا لا يقتضى ان يكون عالما بخصوص وقتها قال ابن سلام وكنت عرفت صفته واسمه أى فى التوراة زاد فى رواية فكنت مسر الذلك ساكتا عليه حتى قدم المدينة فجئته صلى الله عليه وسلم فقلت يا محمد انى سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبى ما أول أشراط الساعة وما أول طعام يأكله أهل الجنة وما بال الولد ينزع الى أبيه أو الى أمه فقال النبى صلى الله عليه وسلم أخبرنى بهن جبريل آنفا فقال ابن سلام ذلك يعنى جبريل عدو اليهود من الملائكة وقيل قائل ذلك عبد الله بن صوريا ولا مانع من أن يكون قال ذلك كل منهما أى وعن ابن صوريا أنه قال له صلى الله عليه وسلم من ينزل عليك بالوحى قال جبريل قال ذلك عدونا ولو كان غيره وفى لفظ لو كان ميكائيل لآمنا بك لان جبريل ينزل بالخسف والحرب والهلاك وميكائيل ينزل بالخصب والسلم وسبب العداوة انهم زعموا أنه أمر أن يجعل النبوة فيهم أى يجعل النبى المنتظر فى بنى اسرائيل الذين هم أولاد اسحق فجعلها فى غيرهم أى فى ولد اسمعيل وقيل سبب عداوتهم لجبريل انه أنزل على نبيهم أن بيت المقدس سيخربه بختنصر فبعثوا من يقتله من أعظم بنى اسرائيل قوة فاراد قتله فمنعه عنه جبريل وقال ان كان ربكم أمره باهلاككم فانه لا يسلطكم عليه فصدقه ورجع عنه أى فان بنى اسرائيل لما اعتدوا وقتلوا شعياء جاء بختنصر ملك فارس وحاصر بيت المقدس وفتحها عنوة واحرق التوراة وخرب بيت المقدس وقيل فى سبب العداوة كونه يطلع النبى صلى الله عليه وسلم على سرهم ولا مانع من أن يكون كل ذلك سببا للعداوة ثم قال صلى الله عليه وسلم اما اشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت أى وهى القطعة المنفردة المعلقة بالكبد قال بعضهم وهى فى الطعم فى غاية اللذة ويقال انها أهنأ طعام وأمرؤه وروى أن الثور ينطح الحوت بقرنه فيموت فتأكل منه أهل الجنة ثم يحيا فينحر الثور بذنبه فتأكله أهل الجنة ثم يحيا قال وأما الولد فاذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد اليه وان سبق ماء المرأة ماء الرجل

كعب بن أسد فقال يا أبا بشر قد عرفت ما بيننا وقد اشتد علينا الحصار وهلكنا ومحمد لا يفارق حصننا حتى ننزل على حكمه فلو زال عنا لحقنا بارض الشام أو خيبر ولم نطأ له أرضا ولم نكثر عليه جمعا أبدا ما ترى فانا قد اخترناك على غيرك انتزل على حكم محمد قال أبو لبابة نعم فانزلوا وأومأ الى حلقه بالذبح قال أبو لبابة فندمت واسترجعت فقال لى كعب مالك يا أبا لبابة فقلت قد خنت الله ورسوله ثم نزلت من عندهم وان عينى لتسيل من الدموع ثم انطلق أبو لبابة على وجهه فلم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتبط فى المسجد بعمود من عمده وهى التى كانت عند باب أم سلمة رضى الله عنها زوج النبى صلى الله عليه وسلم وكان أكثر تنفل النبى صلى الله عليه وسلم عندها وتعرف باسطوانة أبى لبابة واسطوانة التوبة وكان الوقت شديد الحر وكان ارتباطه بسلسلة ثقيلة وقال والله لا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله على مما صنعت وعاهد الله ان لا يطأ بنى قريظة أبدا ولا يرى فى بلد خان الله ورسوله فيه أبدا فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره وكان قد استبطأه قال أما لو جاءنى لاستغفرت له واما اذ فعل ما فعل فما انا بالذى أطلقه حتى يتوب الله عليه ومن قال انه انما فعل ذلك حين تخلف عن غزوة تبوك فقد اغرب ثم مكث أبو لبابة رضى الله عنه مربوطا ست ليال لا يذوق طعاما ولا شرابا وتأتيه امرأته فى كل وقت صلاة فتحله للصلاة ثم يعود فترتبطه بالجذع وقيل مكث مربوطا بضع عشرة ليلة يطاقونه للصلاة ثم يأمرهم باعادة الربط حتى خر مغشيا عليه ثم أنزل الله توبته على النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم وكان نزول توبته ورسول الله صلى الله عليه وسلم

انك

فى بيت أم سلمة رضى الله عنها قالت أم سلمة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من السحر وهو يضحك فرحا بالتوبة لانه بالمؤمنين رؤف رحيم قالت فقلت يا رسول الله مم تضحك أضحك الله سنك قال تيب على أبى لبابة قالت قلت أفلا أبشره يا رسول الله قال بلى ان شئت فقامت على باب حجرتها وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب فقالت يا أبا لبابة أبشر فقد تاب الله عليك فثار الناس اليه ليطلقوه

نزع الولد اليها أى لكن فى فتح البارى عن عائشة رضى الله تعالى عنها اذا علا ماء الرجل ماء المرأة أشبه أعمامه واذا علا ماء المرأة ماء الرجل أشبه أخواله والمراد بالعلو السبق وعن ثوبان اذا علا منى الرجل منى المرأة جاء الولد ذكرا وان علا منى المرأة منى الرجل جاء انثى والعلو فيه على بابه هذا كلامه أى واذا استوى الماآن جاء خنثى وفى رواية قالوا له صلى الله عليه وسلم أين تكون الناس يوم تبدل الارض غير الارض والسموات ومن أول الناس اجازة وما تحفتهم أى الناس حين يدخلون الجنة وما غذاؤهم على اثره وما شرابهم عليه فاجابهم عليه الصلاة والسلام بأنهم يكونون فى ظلمة دون الجسر ولعل المراد بالجسر الصراط لكن فى رواية مسلم أين الناس يومئذ قال على الصراط ثم رأيت عن البيهقى ان قوله على الصراط مجاز لكونهم يجاورته ونقل القرطبى عن صاحب الافصاح أن الارض والسماء يتبدلان مرتين المرة الاولى تتبدل صفتها فقط وذلك قبل نفخة الصعق فتتناثر كواكبها وتخسف الشمس والقمر وتتناثر السماء كما هو وتنكمش الارض وتسير الجبال والمرة الثانية تتبدل ذاتها وذلك اذا وقفوا فى المحشر فتتبدل الارض بارض من فضة لم يعص عليها معصية وهى الساهرة أى والسماء تكون من ذهب كما جاء عن على رضى الله تعالى عنه وفى الصحيحين عن أبى سعيد الخدرى تكون الارض يوم القيامة خبزة واحدة يكفأها الجبار كما يكفأ أحدكم خبزته فى السفر نزلا لاهل الجنة فيأكل المؤمن من تحت رجليه ويشرب من الحوض قال الحافظ ابن حجر ويستفاد منه أن المؤمنين لا يعذبون بالجوع فى طول زمان الموقف بل يقلب الله بقدرته طبع الارض خبزا حتى يأكلوا منها من تحت أقدامهم ما شاء الله من غير علاج ولا كلفة قال ويؤيد أن هذا مراد الحديث ما جاء تبدل الارض بيضاء مثل الخبزة يأكل منها أهل الاسلام حتى يفرغوا من الحساب هذا كلامه فليتأمل مع ما قبله من ان الارض تبدل بارض من فضة وان هذا يدل على ان تلك الارض التى تكون خبزة تكون فى موقف الحساب وما جاء عن على رضى الله تعالى عنه يدل على انها تكون بعد مجاوزتهم الصراط وأول الناس اجازة فقراء المهاجرين وتحفة أهل الجنة حين يدخلونها زيادة كبد النون أى الحوت وغذاؤهم ينحر لهم ثور الجنة الذى يأكل من أطرافها وشرابهم من عين تسمى سلسبيلا وسألوه صلى الله عليه وسلم فقالوا أخبرنا عن علامة النبى فقال عليه الصلاة والسلام تنام عيناه ولا ينام قلبه وسألوه أى طعام حرم اسرائيل على نفسه قبل ان تنزل التوراة قال أنشدكم بالله الذى أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن اسرائيل يعقوب مرض مرضا شديدا وطال سقمه فنذر لله ان شفاه الله تعالى من سقمه ليحرمن أحب الشراب اليه وأحب الطعام اليه فكان أحب الطعام اليه لحمان الابل وأحب الشراب اليه ألبانها قالوا اللهم نعم أى حرمهما ردعا لنفسه ومنعا لها عن شهواتها وقيل لانه كان به عرق النسا وكان اذا طعم ذلك هاج به (وذكر) أن سبب نزول قوله تعالى كل الطعام كان حلالا لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه قول اليهود له صلى الله عليه وسلم كيف تقول

وقيل قالوا له قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله لا أحلها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يحلنى فجاءه رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو خارج لصلاة الصبح فحله فقال يارسول الله ان من تمام توبتى ان أهجر دار قومى التى أصبت فيها الذنب
وان انخلع من مالى فقال له صلى الله عليه وسلم يجزيك الثلث أن تتصدق به وجاء فى بعض الروايات عن أبى لبابة رضى الله
عنه عند ذكر هذه القصة حين ربط نفسه قال فكنت فى أمر عظيم فى حر شديد عدة ليال لا آكل فيهن

انك على ملة ابراهيم وأنت تأكل لحوم الابل وتشرب ألبانها وكان ذلك محرما على نوح وابراهيم
حتى انتهى الينا أى علمه فى التوراة فنحن أولى الناس بابراهيم منك ومن غيرك فانزل الله تعالى
الآية تكذيبا لهم أى بان هذا انما حرمه يعقوب على نفسه ومن ثم جاء فيها فأتوا بالتوراة
فاتلوها ان كنتم صادقين وكانت اليهود اذا حاضت المرأة منهم أخرجوها من البيت ولم
يؤاكلوها ولم يشاربوها أى وفى كلام الواحدى قال المفسرون كانت العرب فى الجاهلية اذا
حاضت المرأة لم يؤاكلوها ولم يشاربوها ولم يساكنوها فى بيت كفعل المجوس هذا كلامه
فسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك أى قال له بعض الاعراب يارسول الله البرد شديد
والثياب قليلة فان آثرناهن بالثياب هلك سائر أهل البيت وان استأثرنا بها هلك الحيض فانزل
الله تعالى ويسألونك عن المحيض قل هو أذى الآية فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
اصنعوا كل شئ الا النكاح أى الوطء وما فى معناه وهو مباشرة ما بين السرة والركبة أى فان
الآية لم تنص الا على عدم قربانهن بالوطء فى الحيض ومن ثم جاء فى رواية انما أمرتم أن تعتزلوا
مجامعتهن اذا حضن ولم يأمركم باخراجهن من البيوت فبلغ ذلك اليهود فقالوا ما يريد هذا
الرجل أن يدع من أمرنا شيأ الا خالفنا فيه فجاء أسيد بن حضير وعباد بن بشر الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقالا ان اليهود قالت كذا فهلا نجامعهن أى نوافقهن فتغير وجه رسول الله صلى
الله عليه وسلم أى وعند ذلك قال بعض الصحابة فظننا أنه قد وجد أى غضب عليهما فلما خرجا
استقبلتهما هدية من لبن الى النبى صلى الله عليه وسلم فارسل فى أثرهما فسقاهما فعرفنا أنه لم
يجد عليهما وذكر المفسرون أن فى منع الوطء للحائض اقتصادا من افراط اليهود وتفريط
النصارى فانهم لا يمتنعون من وطء الحيض أى وذكر أن ابن سلام وغيره ممن أسلم من يهود
استمروا على تعظيم السبت وكراهة أكل لحم الابل وشرب ألبانها فانكر ذلك عليهم المسلمون
فقالوا ان التوراة كتاب الله فعمل به أيضا فانزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم
كافة أى وفى رواية قالوا له ما هذا السواد الذى فى القمر فاجابهم صلى الله عليه وسلم عن ذلك
بانهما كانا شمسين أى شمس فى الليل وشمس فى النهار قال الله تعالى فمحونا آية الليل وجعلنا آية
النهار مبصرة فالسواد الذى يرى هو المحو أى أثره قال بعضهم فى قوله تعالى وآية لهم الليل نسلخ
منه النهار أن الليل ذكر والنهار أنثى فالليل كآدم والنهار كحواء وقد ذكر أن الميل من الجنة
والنهار من النار ومن ثم كان الانس بالليل أكثر وجاء أنه صلى الله عليه وسلم قال لرجل من
علماء اليهود أتشهد أنى رسول الله قال لا قال أتقرأ التوراة قال نعم قال والانجيل قال نعم فناشده
هل تجدنى فى التوراة والانجيل قال نجدك مثلك ومثل مخرجك ومثل هيئتك فلما خرجت خفنا
أن تكون أنت فنظرنا فاذا أنت لست هو قال ولم ذاك قال معه من أمته سبعون ألفا ليس
عليهم حساب ولا عذاب وانما معك نفر يسير قال والذى نفسى بيده لاناهو وانهم لاكثر من
سبعين ألفا وسبعين ألفا وقد سأله صلى الله عليه وسلم اليهود عن الرعد أى والبرق فقال صوت

شيأ ولا أشرب وقلت لا أزال
هكذا حتى أفارق الدنيا أو يتوب
الله على وذكرت رؤيا رأيتها ونحن
محاصرون بنى قريظة فانى رأيت
كأنى فى حماة أى طين أسود آسنة
أى متغيرة فلم أخرج منها حتى كدت
أموت من ريحها ثم رأيت نهرا
جاريا فاراني اغتسلت فيه حتى
استنقيت وأرانى أجدر بحاطيبة
فاستعبرتها أبا بكر رضى الله عنه
فقال لتستدخلن فى أمر تغتم له ثم
يفرج الله عنك فكنت أذكر قوله
وأنا مرتبط فارجو أن ينزل الله
توبتى فلم أزل كذلك حتى كنت
ما اسمع الصوت من الجهد ورسول
الله صلى الله عليه وسلم ينظر الى
حتى أنزل الله توبتى ثم ان بنى
قريظة نزلوا على حكم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فامر بهم
فكتفوا وجعلوا ناحية وكانوا
ستمائة وقيل سبعمائة وخمسين
مقاتلا وهو الذى تقدم عن حيى
ابن أخطب وقيل كانوا بين الثمانمائة
والسبعمائة وقيل كانوا أربعمائة
ويجوز أن يكون ما زاد على ذلك
أتباعا لا يعدون فلا تخالف وأخرج
النساء والذرارى من الحصون
وجعلوا ناحية وكانوا ألفا واستعمل
عليهم عبد الله بن سلام فتواثب
الاوس فقالوا يارسول الله موالينا

١٧ سيره ثانى وحلفاؤنا وقد فعلت فى موالى اخواننا بالامس ما قد فعلت يعنون بنى قينقاع لانهم كانوا حلفاء الخزرج ومن الخزرج
عبد الله بن أبى ابن سلول وقد نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كلمه فيهم عبد الله بن أبى ابن سلول فوهبهم له على أن يجلوا كما
تقدم فظنت الاوس من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يهب لهم بنى قريظة كما وهب بنى قينقاع للخزرج فلما كلمته الاوس أبى أن
يفعل ببنى قريظة ما فعل ببنى قينقاع ثم قال لهم أما ترضون يا معشر الاوس أن يحكم فيهم رجل منكم قالوا بلى فقال ذلك الى سعد بن

معاذ وقيل انه صلى الله عليه وسلم قال لهم اختاروا من شئتم من أصحابي فاختاروا سعد بن معاذ وهو سيد الاوس حينئذ وقيل ان بني
قريظة هم الذين قالوا انتزل على حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه فرضي بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن هشام حدثني من
أثق به ان عليا رضي الله عنه صاح على بني قريظة وهم محاصرون يا كتيبة الايمان ثم تقدم هو والزبير وقال والله لا أذوق ما ذاق
حمزة أولا قتحمن حصنهم فخافوا وقالوا انتزل ١٣٠ على حكم سعد قال الحافظ ابن حجر كأنهم أذعنوا أولا للنزول على حكم المصطفى

ملك موكل بالسحاب يسوقه أي بمخراق من نار في يده يزجريه السحاب الى حيث أمره الله تعالى
* وعن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال البرق مخاريق من نار بأيدي ملائكة يزجرون
به السحاب والمخراق المنديل يلف ليضرب به أي وحينئذ فالمراد بالملك الجنس وفي رواية ان الله
ينشئ السحاب فينطق أحسن النطق ويضحك أحسن الضحك ومنطقها الرعد وضحكها البرق
(وفي بعض الآثار) لله ملائكة يقال لهم الحيات فاذا حركوا أجنحتهم فهو البرق أي
وتحريكهم لاجنحتهم يكون غالبا عند الرعد لان الغالب وجود البرق عند الرعد * وعن بعضهم
قال بلغني أن البرق ملك له أربعة وجوه وجه انسان ووجه ثور ووجه نسر ووجه أسد فاذا
مصع بذنبه أي حركه فذلك البرق أي وتحريكه غالبا يكون عند وجود الرعد * وعن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما البرق ملك يتراءى أي يظهر ويغيب وفي رواية الرعد ملك يزجر السحاب
والبرق طرف ملك أي ينظر به عند وجود الرعد غالبا وفي رواية ان ملكا موكل بالسحاب في
يده مخراق فاذا رفع برقت واذا زجر رعدت واذا ضربه صعقت * وعن مجاهد الرعد ملك
والبرق أجنحته يسوق بها السحاب فيكون المسموع صوته أو صوت سوقه فليتأمل الجمع بين
هذه الروايات وذهب الفلاسفة الى ان الرعد صوت اصطكاك أجرام السحاب والبرق ما ينقدح
من اصطكاكها فقد زعموا أن عند اصطكاك أجرام السحاب بعضها ببعض تخرج نار لطيفة
حديدة ولا تمر بشئ الا أتت عليه الا أنها مع حدتها سريعة الخمود وقيل في سبب نزول قوله
تعالى ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ان اليهود أنكروا النسخ فقالوا ألا ترون
الى محمد يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا
فنزلت وسألوه صلى الله عليه وسلم مم يخلق الولد فقال يخلق من نطفة الرجل ومن نطفة المرأة
أما نطفة الرجل فنطفة غليظة أي بيضاء منها العظم والعصب وأما نطفة المرأة فنطفة رقيقة
أي صفراء منها اللحم والدم فقالوا هكذا كان يقول من قبلك أي من الانبياء وتقدم في ترجمة
سطيح ايراد عيسى عليه الصلاة والسلام على ذلك أي وقالوا اغاظة له صلى الله عليه وسلم ما ترى
لهذا الرجل همة الا النساء والنكاح ولو كان نبيا كما زعم لشغله أمر النبوة عن النساء فانزل الله
تعالى ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية فقد جاء انه كان لسليمان عليه
الصلاة والسلام مائة امرأة وتسعمائة سرية (وسألوه صلى الله عليه وسلم) عن رجل زنى
بامرأة بعد احصانه أي كان شريفا من خيبر زنى بشريفة وهما محصنان فكرهوا رجمهما
لشرفهما فبعثوا رهطا منهم الى بني قريظة ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أي قالوا لهم
ان هذا الرجل الذي بيثرب ليس في كتابه الرجم ولكنه الضرب فسألوه فاجابهم بالرجم فلم
يفعلوا ذلك فقال لجمع من علمائهم أنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى أما تجدون في
التوراة على من زنى بعد احصان الرجم فانكروا ذلك فقال عبد الله بن سلام كذبتم فان فيها آية
الرجم فاتوا بالتوراة فوضع واحد منهم يده على تلك الآية فقال له ابن سلام ارفع يدك عنها

صلى الله عليه وسلم فلما سأله
الانصار فيهم رد الحكم الى سعد
وروى الطبراني عن عائشة رضي
الله عنها فلما اشتد بهم البلاء قيل
لهم انزلوا على حكم رسول الله صلى
الله عليه وسلم فلما استشاروا أبا
لبابة قالوا انتزل على حكم سعد فخضل
في سبب رد الحكم الى سعد أمران
أحدهما سؤال الاوس والآخر
اشارة أبي لبابة وكانوا حلفاء سعد
وكان سعد بن معاذ رضي الله عنه
يومئذ في المسجد النبوي في خيمة
رفيدة رضي الله عنها وقد كان صلى
الله عليه وسلم قال لقوم سعد بن
معاذ رضي الله عنه حين أصابه
السهم بالخندق اجعلوه في خيمة
رفيدة حتى أعوده من قرب ورفيدة
هذه امرأة من اسلم كانت لها
خيمة في المسجد تداوي فيها
الجرحى من الصحابة ممن لم يكن له
من يقوم عليه فاتاه قومه فحملوه
على حمار ثم أقبلوا به على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهم يقولون
له يا أبا عمرو أحسن في مواليك
فان رسول الله صلى الله عليه وسلم
انما ولاك ذلك لتحسن فيهم فاحسن
فيهم فقد رأيت من ابن أبي ما صنع
في حلفائه وهو ساكت فلما
اكثروا عليه قال لقد آن لسعد
ان لا تأخذه في الله لومة لائم فقال
بعضهم واقوماه فلما انتهى سعد
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى المسلمين وهم حوله جلوس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قوموا الى سيدكم فرفعها
وفي رواية الى خيركم فقاموا اليه فقالوا يا أبا عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم وفي رواية فقمنا
صفين يحييه كل رجل منا حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احكم فيهم يا سعد فقال الله
ورسوله الحق بالحكم قال قد أمرك الله ان تحكم فيهم فقال سعد أي لمن في الناحية التي ليس فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم

بذلك عهد الله وميثاقه ان الحكم فيهم بما حكمت قالوا نعم قال وعلى من ههنا مثل ذلك وأشار الى الناحية التى فيها رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو معرض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اجلالا له ثم قال سعد لبنى قريظة أترضون بحكمى قالوا نعم فأخذ عليهم
عهد الله وميثاقه ان الحكم ما حكم به سعد قال سعد فانى أحكم فيهم ان تقتل الرجال وتقسم الاموال وتسبى الذرارى والنساء وتكون
الديار للمهاجرين دون الانصار فقالت الانصار اخواننا يعنون المهاجرين لنا ١٣١ معهم فقال انى أحببت أن يستغنوا عنكم

فرفعها فاذا آية الرجم (أقول) هذا كان فى السنة الرابعة وهو يخالف ما فى بعض الروايات ان
بعض أحبار يهود أى وهم كعب بن الاشرف وسعيد بن عمرو ومالك بن الصيف وكنانة بن أبى
الحقيق اجتمعوا فى بيت المدراس حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وقد زنى رجل
من يهود بعد احصانه بامرأة محصنة من اليهود وقالوا ان أفتانا بالجلد أخذنا به واحتججنا
بفتواه عند الله وقلنا فتيا نبى من أنبيائك وان أفتانا بالرجم خالفناه لانا خالفنا التوراة فلا علينا
من مخالفته وفى رواية الصحيحين عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما ان اليهود جاؤا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فذكروا له ان امرأة منهم ورجلا زنيا أى بعد احصان فقال لهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما تجدون فى التوراة فى شأن الرجم قالوا نفضحهما أى بان نسود وجوههما
ثم يحملان على حمارين ووجوههما من قبل ادبار الحمار وفى لفظ يحملان على الحمار وتقابل
أقفيتهما ويطاف بهما ويجلدان أى بحبل من ليف مطلى بقار فقال عبد الله بن سلام كذبتم ان
فيها آية الرجم فأتوا بالتوراة فنشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما
بعدها فقال له عبد الله بن سلام ارفع يدك فرفع يده فاذا فيها آية الرجم فقالوا صدقت يا محمد فيها
آية الرجم وقد جاء ان موسى عليه الصلاة والسلام خطب بنى اسرائيل فقال يا بنى اسرائيل
من سرق فقطعنا يده ومن افترى جلدناه ثمانين جلدة ومن زنى وليس له امرأة جلدناه مائة
جلدة ومن زنى وله امرأة رجمناه حتى يموت والله أعلم * قال ولما جاؤا اليه صلى الله عليه وسلم
قالوا يا أبا القاسم ما ترى فى رجل وامرأة زنيا أى بعد احصان فقال لهم ما تجدون فى التوراة
فقالوا دعنا من التوراة فقل لنا ما عندك فانا نفتاهم بالرجم فانكروه فلم يكلمهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى أتى بيت مدراسهم فقام على الباب فقال يا معشر يهود اخرجوا الى أعلمكم فاخرجوا
اليه عبد الله بن صوريا وأبا ياسر بن أخطب ووهب بن يهود فقالوا هؤلاء علماؤنا فقال أنشدكم بالله
الذى أنزل التوراة على موسى ما تجدون فى التوراة على من زنى بعد احصان قالوا يحم أى يعير
ويجتنب فقال عبد الله بن سلام كذبتم فان فيها آية الرجم أى وفى رواية لما سألهم وأجابوه
الاشابا منهم فانه سكت فالح عليه صلى الله عليه وسلم فى النشدة فقال اللهم اذ نشدتنا فانا نجد فى
التوراة الرجم ولكن رأينا انه ان زنى الشريف جلدناه والوضيع رجمناه كان من الحيف
فاتفقنا على ما نقيمه على الشريف والوضيع وهو ما علمت فعند ذلك قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم أنا أحكم بما فى التوراة ولعل هذا الشاب ابن صوريا ففى الكشاف انه لما أمرهم
عليه الصلاة والسلام بالرجم فابوا ان يأخذوا به فقال له جبريل عليه السلام اجعل بينك
وبينهم ابن صوريا حكما أى ووصفه له جبريل فقال صلى الله عليه وسلم هل تعرفون شابا أمرد
أبيض أعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم وهو أعلم يهودى على وجه الارض بما أنزل
الله على موسى فى التوراة ورضوا به حكما فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدك الله الذى
لا اله الا هو الذى أنزل التوراة على موسى وفلق البحر ورفع فوقكم الطور وأنجاكم وأغرق

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لسعد لقد حكمت بحكم الملك
بكسر اللام وفى رواية لقد حكمت
فيهم بحكم الله من فوق سبع
سموات فطرقنى بذلك الملك
سحرا والمراد ان شأن هذا الحكم
العلو والرفعة ثم أمر ان يجمع
ما فى حصونهم من الحلقة
والسلاح وغير ذلك فجمع فوجد
فيها ألف وخمسمائة سيف
وثلثمائة درع وألف رمح وخمسمائة
ترس وجفة ووجد اثاث كثير
وآنية كثيرة وجمال نواضح أى
يسقى عليها الماء وماشية وشياه
كثيرة وخمس ذلك مع النخل
والسبى ثم قسم الباقى على الغانمين
وفى رواية ثم أمر بالباقى فبيع ثم
قسمه بين المسلمين وكانت اسهم
القسمة ثلاثة آلاف واثنين
وسبعين سهما لان المسلمين ثلاثة
آلاف والخيل ستة وثلاثون
وللفرس سهمين ولصاحبه سهما
ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
أمر بالاسارى أن يكونوا فى دار
اسامة بن زيد والنساء والذرية
فى دار بنت الحرث النجارية ثم
غدا صلى الله عليه وسلم الى المدينة
ثم خرج الى سوق المدينة فخندق
فيها خنادق أى حفر فيها حفائر
وفى رواية شق اخدودا وجلس
صلى الله عليه وسلم ومعه أصحابه ثم

أمر بقتل كل من نبت شعر عانته فبعث اليهم فجاؤا ارسالا تضرب أعناقهم ويلقون فى تلك الخنادق وقد قال بعضهم لسيدهم كعب
ابن اسيد يا كعب ما ترى يصنع بنا قال أنتم فى كل موطن لا تعقلون الا ترون انه من ذهب منكم لا يرجع هو والله القتل قد دعوتكم
الى غير هذا فابيتم على قالوا ليس حين عتاب فلم يزل ذلك دأب حتى فرغ منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رد عليهم التراب
فى تلك الخنادق وعند قتلهم صاحت نساؤهم وشقت جيوبها ونشرت شعورها وضربت خدودها وملئت المدينة بالنوح

والعويل وكان من جملة من أتى به معهم عدو الله حيي بن أخطب بمجموعة يداه الى عنقه بحبل فلما نظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألم يمكن الله منك ياعدو الله قال بلى أبى الله الا تمكينك منى والله ما مات نفسى فى عداوتك ولكنه من يخذل الله يخذل وفى رواية قال بلى ولقد فلقنا كل مقلقل ولكنه من يخذل الله يخذل ثم أقبل على الناس فقال أيها الناس انه لا بأس بأمر الله كتاب وقدر وملحمة كتبها الله على بنى اسرائيل ثم جاس فضربت ١٣٢ عنقه ولما أتى بكعب بن أسيد سيد بنى قريظة قال له صلى الله عليه وسلم يا كعب

قال نعم يا أبا القاسم قال ما انتفعتم بنصح ابن خراش لكم وكان مصدقا فى أما أمركم باتباعى وانكم ان رأيتمونى تقرؤنى منه السلام قال بلى والتوراة يا أبا القاسم لولا أن تعيرنى يهود بالجزع من السيف لاتبعتك ولكنه على دين يهود فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقدم فتضرب عنقه ففعل به ذلك وكان المتولى لقتلهم على ابن أبى طالب والزبير بن العوام رضى الله عنهما وقيل ان بعضا منهم تولى قتله الاوس لما جاء أن سعد بن عبادة والحباب بن المنذر رضى الله عنهما قالا يا رسول الله ان الاوس قد كرهت قتل بنى قريظة لمكان حلفهم فقال سعد ابن معاذ رضى الله عنه ما كره من الاوس أحد فيه خير فمن كرهه فلا أرضاه الله وقام أسيد ابن حضير رضى الله عنه فقال يا رسول الله لا تبق دار من الاوس الا فرقت فيها منهم فمن سخط فلا يرغم الله الا أنفه فابعث الى دارى أول دورهم ففرق صلى الله عليه وسلم منهم فيها فقتلوهم قال بعضهم ان الطائفة الذين كرهوا ذلك بعض من الاوس فقتلوا من بعث به الى دورهم اتباعا لرضا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وازالة لما حاك فى صدورهم وما عدا ذلك تعاطى قتله على والزبير رضى الله عنهما فلا تنافى وبقى صلى الله عليه وسلم عند الاخدود حتى فرغوا منهم عند الغروب صلى فردعليهم التراب وكان الذين أرسلوا الى الاوس حملوا بعد القتل الى الاخدود وكانوا كلهم ما بين الستمائة والسبعمائة كما تقدم ولم يقتل من النساء الا واحدة خرجت من بين النساء يقال لها بنانة وقيل مزنة كانت طرحت رحى على خلاد بن سويد رضى الله عنه فقتلته بارشاد زوجها لانه أحب أن لا تبقى بعده فيتزوجها غيره وقد أمهم النبى صلى الله عليه وسلم لخلاد بن سويد هذا وقال ان له أجر

فرعون وظلل عليكم الغمام وأنزل عليكم المن والسلوى والذى أنزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجدون فيه الرجم على من أحصن قال نعم فوثب عليه سفلة اليهود فقال خفت ان كذبته أن ينزل علينا العذاب وفى رواية قال نعم والذى ذكرتنى به لولا خشيت أن تحرقنى التوراة ان كذبتك ما اعترفت لك ولكن كيف هى فى كتابك يا محمد قال اذا شهد أربعة رهط عدول أنه قد أدخله فيها كما يدخل الميل فى المكحلة وجب عليه الرجم فقال ابن صوريا والذى أنزل التوراة على موسى هكذا أنزل الله فى التوراة الى موسى فليتأمل الجمع بين هذه الروايات على تقدير صحتها ثم سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء يعرفها من أعلامه فقال أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله النبى الامى وهذا مما يدل على اسلامه وتقدم انكار صحته عن الحافظ بن حجر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ائتوا بالشهود فجاؤا بأربعة فشهدوا أنهم رأوا ذكره فى فرجها مثل الميل فى المكحلة فأمر بهما فرجما عند باب مسجده صلى الله عليه وسلم قال ابن عمر فرأيت الرجل يحنى على المرأة يقيها الحجارة فكان ذلك سبب النزول قوله تعالى انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور للنزول قوله تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون وفى آية أخرى فأولئك هم الفاسقون وفى أخرى فأولئك هم الكافرون وعن عمرو بن ميمون قال رأيت الرجم فى الجاهلية فى غير بنى آدم كنت فى اليمن فى غنم لاهلى فجاء قرد ومعه قردة قد وسديدها ونام فجاء قرد أصغر منه فغمزها فسلت يدها من تحت رأس القرد برفق وذهبت معه ثم جاءت فاستيقظ القرد فزعا فشمها فصاح فاجتمعت القردة فجعل يصيح ويومى اليها بيده فذهبت القردة يمنة ويسرة فجاؤا بذلك القرد فحفروا لهما حفرة فرجموهما وفى لفظ رأيت فى الجاهلية قردة زنت فرجموها يعنى القردة ورجمتها معهم قال فى الاستيعاب وهذا عند جماعة من أهل العلم منكر لاضافة الزنا الى غير المكلف واقامة الحدود فى البهائم ولو صح هذا لكانوا من الجن لان العبادات فى الانس والجن دون غيرهما هذا كلامه فليتأمل والله أعلم وقد ذكر غير واحد أن أحبار يهود وغيرها وصفته صلى الله عليه وسلم التى فى التوراة خوفا على انقطاع نفقتهم فانها كانت على عوامهم لقيامهم بالتوراة فخافوا أن تؤمن عوامهم فتنقطع عنهم النفقة أى وكانوا يقولون لمن أسلم لا تنفقوا مالكم على هؤلاء يعنى المهاجرين فانا نخشى عليكم الفقر فأنزل الله تعالى الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله أى من صفة النبى صلى الله عليه وسلم التى يجدونها فى كتابهم فقد كان فيه أكحل العين ربعة جعد الشعر حسن الوجه فحموه وقالوا نجده طويلا أزرق العين سبط الشعر وأخرجوا ذلك الى أتباعهم وقالوا هذا نعت النبى الذى يخرج آخر الزمان وعند ذلك أنزل الله تعالى ان الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب الآية وكان اليهود اذا كلموا النبى صلى الله عليه وسلم قالوا راعنا سمعك واسمع غير مسمع ويتحكمون فيما بينهم أى لأن ذلك كما قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما بلسان اليهود السب القبيح فلما سمع المسلمون منهم ذلك ظنوا أن ذلك شئ كان أهل الكتاب يعظمون به أنبياءهم فصاروا يقولون ذلك للنبى

صلى الله عليه وسلم ففطن سعد بن معاذ لليهود يوما وهم يضحكون فقال لهم يا أعداء الله لئن سمعنا من رجل منكم هذا بعد هذا المجلس لاضربن عنقه فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا وفي رواية ان اليهود لما سمعوا الصحابة رضي الله تعالى عنهم تقول له صلى الله عليه وسلم اذا ألقى عليهم شيأ يا رسول الله راعنا أي انتظرنا وتأن علينا حتى نفهم وكانت هذه الكلمة عبرانية تتسابب بها اليهود فلما سمعوا المسلمين يقولون له صلى الله عليه وسلم راعنا خاطبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم براعنا يعنون بها تلك السبة ومن ثم لما سمع سعد بن معاذ ذلك من اليهود قال لهم يا أعداء الله عليكم لعنة الله والذي نفسي بيده ان سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم لاضربن عنقه بالسيف فقالوا ألستم تقولونها فنزلت وجاءه صلى الله عليه وسلم جماعة من اليهود بأطفالهم فقالوا له يا محمد هل على أولادنا هؤلاء من ذنب قال لا فقالوا والذي تحلف به ما نحن الا كهيئتهم ما من ذنب نعمله بالليل الا كفر عنا بالنهار وما من ذنب نعمله بالنهار الا كفر عنا بالليل فأنزل الله تعالى ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم الآية وجاء أن أحبار يهود منهم ابن صوريا أي قبل ان يسلم على ما تقدم وشاس بن قيس وكعب بن أسيد اجتمعوا وقالوا نبعث الى محمد لعلنا نفتنه في دينه فجاؤا اليه صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد قد عرفت انا أحبار يهود وأشرافهم وان اتبعناك اتبعك كل اليهود وبيننا وبين قوم خصومة فنحاكمهم اليك فتقضي لنا عليهم فنؤمن بك فأبى ذلك عليهم فنزل قوله وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم الآية ومن اليهود من دخل في الاسلام تقية من القتل لما قهرهم الاسلام بظهوره واجتماع قومهم عليه فكان هواهم مع يهود في السر أي وهم المنافقون وقد ذكر بعضهم أن المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثمائة منهم الجلاس بجيم مضمومة فلام مخففة فألف فسين مهملة ابن سويد بن الصامت قال يوما ان كان هذا الرجل صادقا لنحن شر من الحمير فسمعها عمير بن سعد رضي الله تعالى عنه وهو ابن زوجة جلاس أي فان الجلاس كان زوجا لام عمير وكان عمير يتيما في حجره ولا مال له وكان يكفله ويحسن اليه فجاء الجلاس ليلة فاستلقى على فراشه فقال لئن كان ما يقوله محمد حقا فلنحن شر من الحمير فقال له عمير يا جلاس انك لاحب الناس وأحسنهم عندي يدا ولقد قلت مقالة لئن رفعتها عليك لافضحنك ولئن صمت عليها أي سكت عنها ليهلكن على ديني ولاحداهما أيسر علي من الاخرى فمشى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له مقالة جلاس فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جلاس فحلف بالله لقد كذب علي عمير وما قلت ما قال عمير فقال عمير بلى والله لقد قلته فتب الى الله ولولا أن ينزل القرآن فيجعلني معك ما قلته وجاء أنه صلى الله عليه وسلم استحلف الجلاس عند المنبر فحلف أنه ما قال واستحلف الراوي عنه فحلف لقد قال وقال اللهم أنزل على نبيك تكذيب الكاذب وتصديق الصادق فقال النبي صلى الله عليه وسلم آمين فنزل قوله تعالى يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم

شهيدين وأسنهم لسنان بن محصن وقد مات في زمن الحصار وعن عائشة رضي الله عنها انها قالت لم يقتل من نسائهم الا امرأة واحدة قالت والله انها لعندي تتحدث وتضحك ظهرا وبطنا أي وكانت جارية حلوة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل رجالها أي لانها دخلت على عائشة رضي الله عنها وبنو قريظة يقتلون اذ هتف هاتف باسمها أين بيانة فقالت ها أنا والله قالت عائشة رضي الله عنها فقلت لها مالك ويلك قالت أقتل قلت ولم قالت لحدث أحدثته وفي لفظ قالت قتلني زوجي فقالت لها عائشة رضي الله عنها كيف قتلك زوجك قالت أمرني أن ألقي رحى على أصحاب محمد الذين كانوا تحت الحصن مستظلين في فيئه فادركت خلاد بن سويد فشدخت رأسه فمات وأنا أقتل به وفي رواية قالت كنت زوجة رجل من بني قريظة وكان بيني وبينه كأشد ما يتحاب الزوجان فلما اشتد الحصار قلت لزوجي يا حسرتا على أيام الوصال كادت أن تنقضي وتتبدل بليالي الفراق وما أصنع بالحياة بعدك فقال زوجي ان كنت صادقة في دعوى المحبة تعالى فان جماعة من المسلمين جالسون في ظل حصن الزبير بن بطا وهو بفتح الزاي وكسر الباء الموحدة فالقي عليهم حجر الرحى لعله يصيب واحدا منهم فيقتله فان ظفروا بنا فانهم يقتلونك بذلك ففعلت قالت عائشة رضي الله عنها فانطلق بها فضربت عنقها فكانت عائشة رضي الله عنها تقول ما رأيت أعجب من طيب نفسها وكثرة ضحكها وقد عرفت انها تقتل وكان في بني قريظة الزبير بن بطا وكان شيخا كبيرا وكان قد من على ثابت بن قيس في الجاهلية يوم بعاث وهي الحرب التي كانت بين الاوس والخزرج قبل قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة وكان الظفر فيها للاوس على الخزرج وذلك ان الزبير بن بطا أخذ ثابت بن قيس فجز ناصيته ثم خلى سبيله فجاء ثابت للزبير يوم قتل بني قريظة فقال له يا أبا عبد الرحمن هل تعرفني فقال وهل يجهل مثلي مثلك قال اني أردت ان أجزيك بيدك عندي قال ان الكريم يجزي الكريم واحوج ما كنت اليه الآن ثم أتى ثابت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انه كان للزبير علي منة وقد أحببت ان أجزيه بها فهب لي دمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو لك فأتاه فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وهب لي دمك فهو لك فقال شيخ كبير لا أهل له ولا ولد

فما يصنع بالحياة قال ثابت فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله بابى أنت وأمى امرأته وولده فقال هم لك فجئته
فقلت اهلك وولدك لك فقال اهل بيت بالحجاز لا مال لهم فما بقاؤهم على ذلك قال فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله
ماله قال هو لك فأتيته فقلت له قد أعطانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ماله فهو لك فقال أى ثابت أما أنت فقد كافأتنى وقد قضيت
الذى عليك ما فعل بالذى كان وجهه مرآة ١٣٤ تتراءى فيه عذارى الحى كعب بن أسيد سيد بنى قريظة قلت قتل قال فما فعل

بسيد الحاضر والبادى من يحملهم
فى الجدب ويطعمهم فى المحل حتى
ابن أخطب فقلت قد قتل قال فما
فعل بعقد منا بكسر الدال مشددة
اذا شددنا وحامينا اذا فررنا عن الحل
بتشديد الزاى ابن سموأل بفتح
السين وكسرها قلت قد قتل قال
ما فعل المجلسان بكسر اللام محل
الجلوس وبفتحها المصدر يعنى بنى
كعب بن قريظة وبنى عمرو بن
قريظة قلت قتلوا قال فانى أسألك
يا ثابت بيدك عندى الا لحقتنى
بالقوم فوالله ما فى العيش بعد
هؤلاء من خير ارجع الى دار قد
كانوا حلولا فيها فاخلد فيها بعدهم
لا حاجة لى بذلك فما أنا بصابر
افراغة دلو ناضح حتى ألقى الاحبة
أى مقدار الزمن الذى يفرغ فيه
ماء الدلو قال ثابت فقلت له ما كنت
لافعل ذلك فقال لا أبالى من قتلنى
فقتله الزبير بن العوام رضى الله
عنه ولما بلغ أبا بكر رضى الله عنه
قوله ألقى الاحبة قال يلقاهم والله
فى نار جهنم خالدا فيها مخلدا وفى
رواية ان النبى صلى الله عليه وسلم
قال لثابت بن قيس لك أهله وماله
ان أسلم أولم يسلم ثم ان القتل كان
لمن أنبت ومن لم ينبت يكون فى
السبى قال عطية القرظى كنت
غلاما فوجدونى لم أنبت فخلوا سبيلى
عن القتل وكان رفاعة القرظى
قد أنبت فأرادوا قتله فلاذ بسلمى بنت قيس أم المنذر وكانت احدى خالاته صلى الله عليه وسلم أى خالات جده رسول
عبد المطلب لانها من بنى النجار فقالت يا رسول الله بابى أنت وأمى هب لى رفاعة فوهبه لها فأسلم رضى الله عنه واصطفى صلى الله عليه
وسلم لنفسه الكريمة من نساء بنى قريظة ريحانة بنت شمعون بن زيد القرظى فتزوجها بعد ان أسلمت وحاضت حيضة وكانت
جميلة وسيمة وأصدقها اثنتى عشرة أوقية ونشا أى نصف أوقية وأعرس بها فى المحرم سنة ست وقيل كان يطؤها بملك اليمين ونه

الى قوله فان يتوبوا يك خيرا لهم فاعترف الجلاس وتاب وقبل منه صلى الله عليه وسلم توبته
وحسنت توبته ولم ينزع عن خير كان يصنعه مع عمير فكان ذلك مما عرف به حسن توبته فقال
صلى الله عليه وسلم لعمير وقيت اذنك ومنهم نبتل بنون مفتوحة فموحدة ساكنة فمثناة فوقية
مفتوحة فلام ابن الحرث قال النبى صلى الله عليه وسلم من أحب أن ينظر الى الشيطان فلينظر
الى نبتل بن الحرث كان يجلس اليه صلى الله عليه وسلم ثم ينقل حديثه للمنافقين وهو الذى قال لهم
انما محمد أذن من حدثه بشئ صدقه فأنزل الله تعالى فيه ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون
هو أذن الآية وجاء جبريل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له يجلس اليك رجل معك صفته
كذا نقال أى للحديث الذى تحدث به كبده أغلظ من كبد الحمار ينقل حديثك الى المنافقين
فاحذره ومنهم عبد الله بن أبى ابن سلول وهو رأس المنافقين ولاشتهاره بالنفاق لم يعد فى الصحابة
وكان من أعظم أشراف أهل المدينة وكانوا قبل مجيئه صلى الله عليه وسلم للمدينة قد نظموا له
الخرز ليتوجوه ثم يملكوه عليهم أى كما تقدم لان الانصار من آل قحطان ولم يتوج من العرب
الا قحطان ولم يبق من الخرز الا خرزة واحدة كانت عند شمعون اليهودى فلما جاءهم الله تعالى
برسوله صلى الله عليه وسلم انصرف عنه قومه الى الاسلام فضغن أى أضمر العداوة لانه رأى
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سلبه ملكا عظيما فلما رأى قومه قد أبوا الا الاسلام دخل
فيه كارها مصرا على النفاق أى وكان له اماء يكرههن على الزنا ليأخذ أجورهن فأنزل الله تعالى
ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء الآية وقد قيل فى سبب نزول قوله تعالى واذا قالوا الذين آمنوا
قالوا آمنا ان عبد الله بن أبى وأصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم قوم من أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيهم أبو بكر وعمر وعلى رضى الله تعالى عنهم فقال عبد الله بن أبى انظروا
كيف أردهؤلاء السفهاء عنكم فأخذ بيد أبى بكر فقال مرحبا بالصديق سيد بنى تيم وشيخ
الاسلام وثانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم أخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بنى عدى الفاروق القوى فى دين الله الباذل نفسه
وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذ بيد على فقال مرحبا بابن عم رسول الله صلى الله
عليه وسلم وختنه سيد بنى هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم افترقوا فقال له على اتق
الله يا عبد الله ولا تنافق فان المنافقين شر خليقة الله تعالى فقال له عبد الله مهلا يا أبا الحسن
الى تقول هذا والله ان ايماننا كايمانكم وتصديقنا كتصديقكم فقال لاصحابه كيف رأيتونى
فعلت فأثنوا عليه خيرا فنزلت وقد قال صلى الله عليه وسلم مثل المنافق مثل الشاة العابرة بين
الغنمين أى المترددة بينهما تعير الى هذه مرة والى هذه مرة (وفى السنة الاولى) من الهجرة
أعرس صلى الله عليه وسلم بعائشة رضى الله تعالى عنها كذا فى الاصل وفى المواهب أن ذلك
كان فى السنة الثانية من الهجرة فى شوال على رأس ثمانية عشر شهرا وقيل بعد سبعة أشهر
وقيل بعد ثمانية أشهر من مقدمه صلى الله عليه وسلم قالت عائشة رضى الله تعالى عنها تزوجنى

أشار سبحانه وتعالى الى قصة بنى قريظة بعد ذكر قصة الاحزاب بقوله وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف
فى قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤها وكان الله على كل شئ قديرا
وقد أشار صاحب الهمزية الى ذلك والى نقضهم العهد الذى كان بينهم وبينه صلى الله عليه وسلم واغترارهم بالاحزاب بقوله

وتعدوا الى النبى حدودا * كان فيها عليهم العدواء ١٣٥ واطمأنوا بقول الاحزاب اخوا * نهم انا لكم أولياء

رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنى بى فى شوال فأى نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت
أحظى عنده منى أى فأتوهم بعض الناس من التشاؤم بذلك لكونه بين العيدين فتحصل
المفارقة بين الزوجين لا عبرة به ولا التفات اليه وعن عائشة رضى الله تعالى عنها جاء رسول الله
صلى الله عليه وسلم فدخل بيتنا واجتمع اليه رجال ونساء من الانصار فجاءتنى أمى وانى لفى
أرجوحة بين عذقين أى نخلتين فأنزلتنى من الارجوحة ولى جميمة أى شعر لانى وعكت أى
مرضت لما قدمنا المدينة أى أصابتها الحمى فعن البراء رضى الله تعالى عنه قال دخلت مع أبى
بكر الصديق على أهله فاذا عائشة ابنته مضطجعة قد أصابتها الحمى فرأيت أباها يقبل خدها
ويقول كيف أنت يا بنية قالت عائشة رضى الله تعالى عنها فتمزق شعرى ففرقتها ومسحت وجهى
بشئ من ماء ثم أقبلت تقودنى حتى وقفت بى عند الباب وانى لانهج حتى سكن نفسى ثم دخلت
بى فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس على سرير فى بيتنا وعنده رجال ونساء من الانصار
فأجلستنى فى حجره ثم قالت هؤلاء أهلك بارك الله لك فيهم وبارك لهم فيك فوثب الرجال
والنساء فخرجوا وبنى بى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيتنا أى فقد بنى بها نهارا وفى الصحاح
العامة تقول بنى باهله وهو خطأ وانما يقال بنى على أهله قال الحافظ ابن حجر ولا يغنى عن
الخطأ كثرة استعمال الفصحاء له أى كاستعمال عائشة له هنا وفى الاستيعاب وأقره عن عائشة
رضى الله تعالى عنها أن أبا بكر رضى الله تعالى عنه قال يا رسول الله ما يمنعك ان تبنى باهلك قال
الصداق فاعطاه أبو بكر اثنتى عشرة أوقية ونشا فبعث بها الينا وبنى بى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى بيتى هذا الذى أنا فيه وهو الذى توفى به ودفن فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفيه ان سياق ما تقدم وما يأتى يدل على انه انما دخل بها فى بيت أبيها بالسنح ثم رأيت بعضهم
صرح بذلك فقال كان دخوله بها عليه الصلاة والسلام بالسنح نهارا وهذا خلاف ما يعتاده
الناس اليوم هذا كلامه وفى رواية عنها أتتنى أمى وانى لفى أرجوحة مع صواحب لى فصرخت
بى فأتيتها ما أدرى ما تريد منى فأخذت بيدى حتى وقفت بى على باب الدار وأنا أنهج حتى سكن
بعض نفسى ثم أخذت شيأ من ماء فمسحت به وجهى ورأسى ثم أدخلتنى الدار فاذا نسوة من
الانصار فى البيت فقلن على الخير والبركة وعلى خير طائر فاسلمتنى اليهن وأصلحن من شأنى فلم
يرعنى الا رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحى فاسلمتنى اليه وأنا يومئذ بنت تسع سنين قال بعضهم
دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعائشة ولعبتها معها أى وعنها رضى الله تعالى عنها انها كانت
تلعب بالبنات أى اللعب عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت تأتيها جويريات يلعبن معها
بذلك وربما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسربهن اليها أى يطلبهن لها ليلعبن معها قالت
وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك أو حنين فهبت ريح فكشفت ناحية من ستر
على صفة فى البيت عن بنات لى فقال ما هذا يا عائشة قلت بناتى ورأى بينهن فرسا لها جناحان من
رقاع قال وما هذا الذى أرى وسطهن قلت فرس قال وما هذا الذى عليه قلت جناحان قال

ويوم الاحزاب اذ زاغت الابـ
ـصار فيه وضلت الآراء
وتعاطوا فى أحمد منكر القو
ل ونطق الاراذل العوراء
كل رجس يزيده الخلق السو
ء سفاها والملة العوجاء
فانظروا كيف كان عاقبة القو
م وما ساق للبذى البذاء
وجد السب فيه سماوله يد
ر اذ الميم فى موضع باء
كان من فيه قتله بيديه
فهو من سوء فعله الزباء
أرهو النحل قرصها يجلب الحتـ
ـف اليها وماله انكفاء

ولما انقضى شأن بنى قريظة قال صلى الله عليه وسلم لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ولكنكم تغزونهم وأقر الله عين سعد بن معاذ بقتل بنى قريظة فانه سأل الله لما أصيب بالسهم فى الخندق وقال اللهم لا تمتنى حتى تقر عينى من بنى قريظة وقيل ان دعاءه بذلك كان فى الليلة التى فى صبيحتها نزلوا على حكمه ويجوز ان يكون دعا بتلك الدعوة مرتين وفى لفظ فدعا الله أن لا يميته حتى يشفى صدره من بنى قريظة فاستجاب الله دعوته وكان جرحه قارب البرء فدعا الله وقال اللهم انك تعلم انه ليس أحد أحب الى ان أجاهدهم فيك من قوم كذبوا رسولك وأخرجوه من وطنه اللهم انى أظن انك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فان كان قد بقى من حرب قريش شئ فابقنى له حتى أجاهدهم فيك وان كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فافجرها أى الجراحة واجعل موتى فيها فانفجرت تلك الجراحة من ليلته تلك فلم يرعهم أى أهل المسجد الا الدم يسيل اليهم من خيمة لرجل من بنى غفار وهو زوج رفيدة الاسلمية فقالوا يا أهل الخيمة ما هذا الدم الذى يأتينا من قبلكم فاذا سعد يسيل جرحه دما له هدير فمات منها وجاء فى رواية ان عنز امرت به وهو مضطجع فأصابت

الجرح بظلفها فانفجرت جراحته وسال الدم حتى مات ولم يحضر النبي صلى الله عليه وسلم موته بل جاءه جبريل عليه السلام فقال يا محمد من هذا العبد الصالح وفي رواية من هذا الميت الذي فتحت أبواب السماء لصعود روحه واهتز العرش لقدومها فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا يجر ثوبه الى سعد بن معاذ رضي الله عنه فوجده قد مات وجاء انه شهد جنازته سبعون ألفا من الملائكة ماوطئوا الارض الا يومهم ذاك (واختلف) العلماء في اهتزاز العرش ما المراد منه فقيل ان اهتزازه تحركه فرحا بقدوم روح سعد وقيل جعل الله حركته علامة للملائكة على موته وقيل المراد الاستبشار والقبول فانه يقال لكل من فرح بقدوم قادم عليه اهتز له ومنه اهتزت الارض بالنبات اذا اخضرت وحسنت ومنه قول العرب فلان يهتز للمكارم فانهم لا يريدون اضطراب جسمه وحركته وانما يريدون ارتياحه لها واقباله عليها وقيل هو عبارة عن تعظيم شأن وفاته والعرب تنسب الشيء المعظم الى أعظم الاشياء فيقولون ظلمت لموت فلان الارض وقامت له القيامة فهذه منقبة عظيمة لسعد رضي الله عنه تفيد كرامته على ربه حيث تحرك العرش أسفا عليه لمحافظته على الحق ولذا قال كثير من المحققين انه كان في الانصار كالصديق رضي الله عنه في المهاجرين ولما حملت جنازته رضي الله عنه قال بعض المنافقين ما أخف جنازته وكان رجلا بادنا وكان المنافقين قالوا ذلك استهزاء به وان خفته لطفه ميزانه بزعمهم الفاسد فقال النبي صلى الله عليه وسلم ردا عليهم ان الملائكة كانت تحمله ولما احتمل على نعشه بكت أمه وقالت

ويل أم سعد سعدا * صرامة وحدا
وسودد او مجدا * وفارسا سعدا

سد به مسدا

فقال صلى الله عليه وسلم كل نائحة تكذب الا نائحة سعد بن معاذ رضي الله عنه وفي رواية من قال لها لا تزيدي على هذا وكان فيما علمته والله حازما في أمر الله قويا في أمره كل النوائح تكذب الا أم سعد وروى أنه قال لها البرقا دمعك ويذهب حزنك فان ابنك يضحك الله له وذلك كناية عن اقبال الله عليه بالروح والريحان والمغفرة والرضوان وروى البيهقي أنه صلى الله عليه وسلم حمل جنازة سعد بين العمودين ومشى أمام جنازته ثم صلى عليه وجاءت أمه ونظرت اليه في اللحد وقالت احتسبتك

جنانا حان قلت أما سمعت أن لسليمان خيلا لها أجنحة فضحك صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه وفيه هلا أمرها بتغيير ذلك وأجيب بان هذا مستثنى من عدم جواز تصوير ذي الروح وقولها أما سمعت أن لسليمان خيلا لها أجنحة واقراره صلى الله عليه وسلم لها على ذلك يدل على صحته ثم رأيت بعضهم أورد أنه كان لسليمان خيل لها أجنحة وقد ذكرت ذلك عند الكلام على اسمعيل صلوات الله وسلامه عليه في أوائل هذه السيرة (وعنها) رضي الله تعالى عنها أيضا أنها قالت ما نحرت على جزور ولا ذبحت على شاة أي عند بنائه بها صلى الله عليه وسلم حتى أرسل الينا سعد بن عبادة بجفنته التي كان يرسلها وأرسل بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أي وفي كلام بعضهم وروى أنه صلى الله عليه وسلم ما أولم على عائشة رضي الله تعالى عنها بشيء غير أن قدحا من لبن أهدي من بيت سعد بن عبادة فشرب النبي صلى الله عليه وسلم بعضه وشربت عائشة رضي الله تعالى عنها باقيه ﴿أقول﴾ يجوز أن يكون سعد رضي الله تعالى عنه أرسل بالقدح من اللبن وبالجفنة وان بعض الرواة اقتصر على أحدهما ثم لا يخفى أنه يجوز أن تكون الرواية الاولى واقعة بعد هذه الرواية الثانية وأنها اذ هبت الى الارجوحة ثانيا بعد ان أصلح النساء من شأنها وفعلت بها أمها ما ذكر وأنه وقع الاقتصار في الرواية الاولى والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿باب ذكر مغازيه صلى الله عليه وسلم﴾

ذكر أن مغازيه أي وهي التي غزا فيها بنفسه كانت سبعا وعشرين أي وهي غزوة بواط ثم غزوة العشيرة ثم غزوة سفوان ثم غزوة بدر الكبرى ثم غزوة بني سليم ثم غزوة بني قينقاع ثم غزوة السويق ثم غزوة قرية الكدر ثم غزوة غطفان وهي غزوة ذي أمر ثم غزوة نجران بالحجاز ثم غزوة أحد ثم غزوة حمراء الاسد ثم غزوة بني النضير ثم غزوة ذات الرقاع وهي غزوة محارب وبني ثعلبة ثم غزوة بدر الآخرة وهي غزوة بدر الموعد ثم غزوة دومة الجندل ثم غزوة بني المصطلق ويقال لها المريسيع ثم غزوة الخندق ثم غزوة بني قريظة ثم غزوة بني لحيان ثم غزوة الحديبية ثم غزوة ذي قرد ويقال لها قرد بضمتين وهو في اللغة الصوف الردي ثم غزوة حنين ثم غزوة وادي القرى ثم غزوة عمرة القضاء ثم غزوة فتح مكة ثم غزوة حنين والطائف ثم غزوة تبوك والتي وقع فيها القتال من تلك الغزوات أي وقع القتال فيها من أصحابه وهو المراد بقول بعضهم كل الصل التي قاتل فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع وهي غزوة بدر الكبرى وأحد والمريسيع اعني بني المصطلق والخندق وقريظة وخيبر وفتح مكة وحنين والطائف أي وبعضهم أسقط فتح مكة قال النووي رحمه الله ولعل مذهبه انها افتتحت صلحا كما قال امامنا الشافعي وموافقوه أي فيصح بيع دورها واجارتها واستدل لذلك بانها لو كانت فتحت عنوة لقسمها بين الغانمين وسيأتي الجمع بأن أسفلها فتح عنوة أي لوقوع القتال فيه

عند الله عز وجل وعزاها صلى الله عليه وسلم وهو واقف على قدميه على القبر فلما سوى التراب على قبره رش عليه الماء ثم وقف ودعا له وأم سعد بن معاذ رضى الله عنها هى كبشة بنت رافع بن عبيد الانصارية الخدرية وهى أول من بايع النبى صلى الله عليه وسلم من نساء الانصار وعن البراء بن عازب رضى الله عنهما قال أهديت للنبى صلى الله عليه وسلم حلة حرير فجعل أصحابه يمسونها ويعجبون من لينها فقال صلى الله عليه وسلم أتعجبون من لين هذه الحلة والذى نفس محمد بيده لمناديل سعد بن معاذ فى الجنة خير منها

من خالد بن الوليد مع المشركين واعلاها فتح صلحا لعدم وجود القتال فيه وفى الهدى من تأمل الاحاديث الصحيحة وجدها كلها دالة على قول الجمهور انها فتحت عنوة أى لوقوع القتال بها ومما يدل على ذلك انه صلى الله عليه وسلم لم يصالح أهلها عليها والا لم يحتج الى قوله من دخل دار أبى سفيان فهو آمن الخ وانما لم يقسمها لانها دار المناسك فكل مسلم له فيها حق (أقول) هذا واضح فى غير دورها وسيأتى الجواب عن ذلك وبما قررناه يعلم ان قول المواهب قاتل صلى الله عليه وسلم فى تسع منها بنفسه فيه نظر ظاهر لانه صلى الله عليه وسلم لم يقاتل بنفسه فى شئ من تلك الغزوات الا فى أحد كما سيأتى وكأنه اغتر فى ذلك بقول بعضهم المتقدم قاتل فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد علمت المراد منه والله أعلم ولا يخفى انه صلى الله عليه وسلم مكث بضع عشرة سنة ينذر بالدعوة بغير قتال صابرا على شدة اذية العرب بمكة واليهود بالمدينة له صلى الله عليه وسلم ولاصحابه لامر الله تعالى له بذلك أى بالانذار والصبر على الاذى والكف بقوله واعرض عنهم وبقوله واصبر ووعده بالفتح أى فكان يأتيه أصحابه بمكة ما بين مضروب ومشجوج فيقول صلى الله عليه وسلم لهم اصبروا فانى لم أومر بالقتال لانهم كانوا بمكة شرذمة قليلة ثم لما استقر أمره صلى الله عليه وسلم أى بعد الهجرة وكثرت أتباعه وشأنهم ان يقدموا محبته على محبة آبائهم وأبنائهم وأزواجهم وأصر المشركون على الكفر والتكذيب اذن الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم أى ولاصحابه فى القتال أى وذلك فى صفر من السنة الثانية من الهجرة لكن لمن قاتلهم وابتدأهم به بقوله فان قاتلوكم فاقتلوهم قال بعضهم ولم يوجبه بقوله تعالى أذن للذين يقاتلون أى للمؤمنين ان يقاتلوا بانهم ظلموا أى بسبب انهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير أى فكان ذلك القتال عوضا من العذاب الذى عوملت به الامم السالفة لما كذبت رسلهم وذكر فى سبب نزول قوله تعالى ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم الآية ان جماعة منهم عبد الرحمن بن عوف والمقداد بن الاسود وقدامة بن مظعون وسعد بن أبى وقاص وكانوا يلقون من المشركين اذى كثيرا بمكة فقالوا يا رسول الله كنا فى عز ونحن مشركون فلما آمنا صرنا أذلة فاذن لنا فى قتال هؤلاء فيقول لهم كفوا أيديكم عنهم فانى لم أومر بقتالهم فلما هاجر صلى الله عليه وسلم الى المدينة وأمر بالقتال للمشركين كرهه بعضهم وشق عليه ذلك فانزل الله تعالى الآية لا يقال يدل لما تقدم من انه قاتل صلى الله عليه وسلم بنفسه فى تلك الغزوات ما جاء عن بعض الصحابة كنا اذا لقينا كتيبة أوجئنا أول من يضرب النبى صلى الله عليه وسلم لانا أقول لا يبعد ان يكون المراد بالضرب السير فى الارض أى أول من يسير الى تلقاء العدو ويؤيده ما جاء عن على رضى الله تعالى عنه لما كان يوم بدر اتقينا المشركين برسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أشد الناس بأسا وما كان أحد أقرب الى المشركين منه صلى الله عليه وسلم وفى رواية كنا اذا حمى البأس والتقى القوم بالقوم اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم أى كان وقاية لنا من العدو وقد نقل اجماع المسلمين على انه لم يبرز احد قط انه صلى الله عليه وسلم انهزم

وخيلا وفى رواية بعث بها سعد بن عبادة رضى الله عنه الى الشام واشترى بها سلاحا وخيلا كثيرا ثم قسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسلمين والله سبحانه وتعالى أعلم ﴿سرية القرطاء وحديث ثمامة﴾ وكانت هذه السرية لعشر خلون من المحرم سنة ست من الهجرة والقرطاء بضم القاف وسكون الراء وبالطاء المهملة والمدوهم من بطن من بنى بكر وكانوا يتزلون بناحية ضرية بفتح الضاد وكسر الراء وتشديد الياء ثم تاء تأنيث وهى قرية لبنى كلاب على طريق البصرة الى مكة وهى الى

وألين وهذا الحديث فيه اشارة الى عظم منزلة سعد عند الله تعالى فى الجنة وان أدنى ثيابه خير من هذه الحلة لان المنديل أدنى الثياب لانه معد للوسخ والامتهان فغيره أفضل منه بالاولى وأخرج ابن سعد وأبو نعيم من طريق محمد ابن المنكدر قال قبض انسان قبضة من تراب قبر سعد فذهب بها ثم نظر اليها بعد ذلك فاذا هى مسك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله سبحان الله مرتين تعجبا من كون تراب قبره صار مسكا ثم قال الحمد لله شكرا له على تفريجه عن سعد لو كان أحد ناجيا من ضمة القبر لنجا منها سعد ضم ضمة ثم فرج الله عنه وعن جابر رضى الله عنه قال لما دفن سعد ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبح صلى الله عليه وسلم فسبح الناس معه ثم كبر فكبر الناس معه فقالوا يا رسول الله مم سبحت قال لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره حتى فرج الله عنه وأخرج ابن سعد عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال كنت ممن حفر لسعد قبره فكان يفوح علينا المسك كلما حفرنا وجاء انه صلى الله عليه وسلم بعث سعد بن زيد الانصارى بسبايا بنى قريظة الى الحجة فابتاع لهم بها سلاحا

مكة أقرب وبها جبل يسمى البكرات وبين ضرية والمدينة سبع ليال بعث صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة الانصارى فى ثلاثين راكبا ابلا وخيلا وأمره أن يسير الليل ويكمن النهار وان يشن الغارة عليهم أى يفرق الخيل المغيرة على العدو ففعل ما أمره به فلما أغار عليهم هرب سائرهم أى باقيهم بعد من قتل وكان المقتول منهم عشرة وقيل نحو العشرين واستاق مائة وخمسين بعيرا وثلاثة آلاف شاة فعدلوا الجزور بعشرة من الغنم وقدم المدينة لليلة بقيت من المحرم وغاب تسع عشرة ليلة

بنفسه فى موطن من المواطن بل ثبتت الاحاديث الصحيحة باقدامه صلى الله عليه وسلم وثباته فى جميع المواطن لا يقال سيأتى فى غزوة بدر عن السيرة الشامية غير معزو لاحد أنه قاتل بنفسه قتالا شديدا وكذلك أبو بكر رضى الله تعالى عنه وكانا فى العريش يجاهدان بالدعاء فقاتلا بيدانهما جمعا بين المقامين وأيضا سيأتى فى خيبر ما قد يدل على أنه صلى الله عليه وسلم قاتل بنفسه لانا نقول سيأتى ما فى ذلك مما يدل على انه صلى الله عليه وسلم لم يباشر القتال الا فى أحد كما سيأتى ولم تقاتل معه الملائكة الا فى بدر والا فى حنين قيل وأحد وسيأتى ما فى ذلك ولم يرم صلى الله عليه وسلم بالحصباء فى وجوه العدو فى شئ من الغزوات الا فى هذه الثلاثة على خلاف فى الثالثة أى ولم يجرح أى لم يصبه جراحة فى غزوة من الغزوات الا فى أحد ولم ينصب المنجنيق فى غزوة من الغزوات الا فى غزوة الطائف وفيه انه نصبه على بعض حصون خيبر وسيأتى الجمع بينهما ولم يتحصن بالخندق فى غزوة الا فى غزوة الاحزاب ثم لا يخفى ان الآية المذكورة أى التى هى اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير قال بعضهم هى أول آية نزلت فى شأن القتال ولما نزلت أخبر صلى الله عليه وسلم بقوله أمرت ان أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله أى وفى لفظ حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأنى محمد رسول الله فاذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله تعالى قيل وما حقها قال زنا بعد احصان وكفر بعد اسلام أو قتل نفس (أقول) وظاهر هذا السياق يقتضى أن الآية فيها الامر له صلى الله عليه وسلم بالقتال المذكور وقد يتوقف فى ذلك ولعله أمر بذلك بغير الآية المذكورة لان الآية انما هى ظاهرة فى الاباحة والمباح ليس مأمورا به وحينئذ يكون قوله فى الآية الاخرى وهى فان قاتلوكم فاقتلوهم للاباحة لان صيغة افعل تأتى لها وان كان الاصل فيها الوجوب وعلى ان قوله صلى الله عليه وسلم أمرت وان أمره كان بغير هذه الآية يحمل على أن المراد الندب لان الامر مشترك بين الوجوب والندب فلا ينافى ما تقدم من انه لم يكن وجب عليهم القتال حينئذ والله أعلم ثم لما رمتهم العرب قاطبة عن قوس وتعرضوا لقتالهم من كل جانب كانوا لا يبيتون الا فى السلاح ولا يصبحون الا فيه ويقولون ترى نعيش حتى نبيت مطمئنين لا نخاف الا الله عز وجل أنزل الله عز وجل وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ثم اذن فى القتال أى أبيح الابتداء به حتى لمن لم يقاتل أى لكن فى غير الاشهر الحرم أى التى هى رجب وذو القعدة وذو الحجة ومحرم أى بقوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين الآية ثم أمر به وجوبا أى بعد فتح مكة فى السنة الثانية مطلقا أى من غير تقييد بشرط ولا زمان بقوله وقاتلوا المشركين كافة أى جميعا فى أى زمن فعلم ان القتال كان قبل الهجرة وبعدها الى صفر من السنة الثانية محرما أى لانه كان فى ذلك مأمورا بالتبليغ وكان انذارا بلا قتال لانه نهى عنه فى نيف وسبعين آية ثم صار مأذونا له فيه أى أبيح

وأسر ثمامة بن أثال بضم الهمزة وفتح الثاء مخففة الحنفى روى ابن اسحق عن أبى هريرة رضى الله عنه ان خيلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أخذت رجلا ولا يشعرون من هو حتى أتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أتدرون من أخذتم هذا ثمامة ابن أثال الحنفى فربطوه بسارية من سوارى المسجد بامره صلى الله عليه وسلم لينظر حسن صلاة المسلمين واجتماعهم عليها فيرق قلبه فخرج اليه صلى الله عليه وسلم فقال ما اذا عندك يا ثمامة قال عندى خير يا محمد ان تقتل تقتل ذا دم وان تنعم تنعم على شاكر وان كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت فتركه حتى كان الغد ثم قال له ما عندك يا ثمامة قال ما قلت لك ان تنعم تنعم على شاكر فتركه حتى كان بعد الغد فقال ما عندك يا ثمامة قال عندى ما قلت لك فقال اطلقوا ثمامة فانطلق الى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ثم قال والله يا محمد ما كان على وجه الارض وجه أبغض الىّ من وجهك وقد أصبح وجهك أحب الوجوه الىّ والله ما كان من دين أبغض الىّ من دينك فأصبح دينك أحب الدين كله الىّ والله ما كان من بلد أبغض الىّ من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد الىّ وان خيلك أخذتنى وأنا أريد العمرة فماذا ترى فبشره النبى صلى الله عليه وسلم أى بخير الدنيا والآخرة أو بالجنة أو بمحو ذنوبه وتبعاته وأمره أن يعتمر فلما قدم مكة يلبى وينفى الشريك عن الله قال له قائل صبوت أى خرجت عن دينك قال لا ولكن أسلمت لله رب العالمين مع محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا والله تأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى

يأذن فيها النبي صلى الله عليه وسلم وروى انهم قدموه ليضربوا عنقه فقال قائل منهم دعوه فانكم تحتاجون الى اليمامة فخلوا سبيله
ولذا قيل فيه ومنا الذى لبى بمكة معلنا * برغم أبى سفيان فى الاشهر الحرم ثم خرج الى اليمامة فمنعهم ان يحملوا الى مكة
شيأ فكتبوا اليه صلى الله عليه وسلم انك تأمر بصلة الرحم وانك قد قطعت أرحامنا فكتب صلى الله عليه وسلم الى ثمامة ان يخلى بينهم
وبين الحمل وروى البيهقى فى الدلائل ان ثمامة بن اثال الحنفى لما أتى به النبى صلى ١٣٩ الله عليه وسلم وهو أسير خلى سبيله فاسلم

فقتال من قاتل ثم أبيح قتال من لم يبدأ به فى غير الاشهر الحرم ثم أمر به مطلقا أى لمن قاتل
ومن لم يقاتل فى كل زمن أى فى الاشهر الحرم وغيرها وظاهر كلام الامام الاسنوى ان القتال
فى الحالة الثانية كان مأمورا به لا مباحا كالحالة الاولى وعبارته لما بعث صلى الله عليه وسلم أمر
بالتبليغ والانذار بلا قتال فقال وأعرض عنهم وقال واصبر ثم أذن له بعد الهجرة فى القتال
ان ابتدؤا به فقال فان قاتلوكم فاقتلوهم ثم أمر بذلك ابتداء ولكن فى غير الاشهر الحرم فقال
فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين ثم أمر به مطلقا فقال وقاتلوا المشركين كافة هذا
كلامه ولا يخفى ان الاسنوى ممن يرى ان أمر للوجوب وهو يقتضى ان يكون الامر به
فى الحالة الثانية للوجوب والراجح ما علمت ان أمر مشترك بين الوجوب والندب وانه فى الحالة
الثانية مباح لا مأمور به ثم استقر أمر الكفار معه صلى الله عليه وسلم بعد نزول براءة على ثلاثة
أقسام (القسم الاول) محاربون له صلى الله عليه وسلم وهؤلاء المحاربون اذا كانوا ببلادهم يجب
قتالهم على الكفاية فى كل عام مرة أى يكفى ذلك فى اسقاط الحرج كاحياء الكعبة واستدل
لذلك بقوله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة أى فهلا نفر وقيل كان فرض عين لقصة
الثلاثة الذين تخلفوا عن الجهاد فى غزوة تبوك ويحتاج الى الجواب عن ذلك وقيل كان فرض
كفاية فى حق الانصار وفرض عين فى حق المهاجرين (والقسم الثانى) أهل عهد وهم المؤمنون
من غير عقد الجزية أى صالحهم وادعهم على ان لا يحاربوه ولا يظاهروا عليه عدوهم وهم
على كفرهم آمنون على دمائهم وأموالهم (والقسم الثالث) أهل ذمة أى وهم من عقدت لهم
الجزية وهناك قسم آخر وهو من دخل فى الاسلام تقية من القتل وهم المنافقون كما تقدم
وأمر صلى الله عليه وسلم أن يقبل منهم علانيتهم ويكل سرائرهم الى الله تعالى فكان معرضا
عنهم الا فيما يتعلق بشعائر الاسلام الظاهرة كالصلاة فلا يخالف ما رواه الشيخان لقد هممت
أن آمر بالصلاة فتقام ثم آمر رجلا فيصلى بالناس ثم انطلق معى برجال معهم حزم من حطب
الى قوم لا يشهدون الصلاة فاحرق عليهم بيوتهم بالنار فقد ذكر أعتنا أن ذلك ورد فى قوم
منافقين يتخلفون عن الجماعة ولا يصلون أى أصلا بدليل السياق أى لان صدر الحديث أثقل
الصلاة على المنافقين صلاة العشاء والفجر أى جماعتهما ولو يعلمون ما فيهما لاتوهما ولو حبوا
ولقد هممت الخ (وفى الخصائص الصغرى) وكان الجهاد فى عهده صلى الله عليه وسلم فرض عين
فى أحد الوجهين عندنا وكان اذا غزا بنفسه صلى الله عليه وسلم يجب على كل أحد الخروج معه
لقوله تعالى ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ومن
ثم وقع لمن تخلف عنه فى غزوة تبوك ما وقع وأما بعده صلى الله عليه وسلم فللكفار حالان
مذكوران فى كتب الفقه وعند الاذن له صلى الله عليه وسلم فى القتال خرج لاثنتى عشرة ليلة
مضت من شهر صفر من السنة الثانية من الهجرة أى مكث بالمدينة باقى الشهر الذى قدم فيه
وهو شهر ربيع الاول وباقى ذلك العام كله الى صفر من السنة الثانية من الهجرة فخرج صلى

ولحق بمكة ثم رجع فحال بين أهل
مكة والميرة من اليمامة حتى أكلت
قريش العلهز أى الوبر والدم فجاء
أبو سفيان الى النبى صلى الله عليه
وسلم فقال ألست تزعم انك بعثت
رحمة للعالمين قال بلى قال فقد قتلت
الآباء بالسيف والابناء بالجوع
وفى رواية أنشدك الله والرحم قد
أكلنا العلهز فكتب اليه ان يخلى
بينهم وبين الحمل فانظر الى هذا
الحلم العظيم والرحمة الشاملة
والرأفة العميمة يواجهه بهذا
الخطاب الخشن مع شدة حاجته
اليه ومحاربته له قريبا فى وقعة
الاحزاب ومع ذلك لم يمتنع من قضاء
حاجته تصديقا لقوله تعالى وانك
لعلى خلق عظيم بل جاء فى بعض
الروايات انه دعا الله لهم بالمطر
فسقاهم الله وفى قصة ثمامة رضى
الله عنه فوائد منها جواز ربط
الكافر فى المسجد والمن على الاسير
الكافر والاغتسال عند الاسلام
وان الاحسان يزيل البغض
ويثبت الحب وان الكافر اذا أراد
عمل خير ثم أسلم يشرع له أن يستمر
فى ذلك الخير وملاطفة من يرجى
اسلامه من الاسرى اذا كان فى
ذلك مصلحة للاسلام ولا سيما من
يتبعه على الاسلام العدد الكثير
من قومه وفيه بعث السرايا الى
بلاد الكفار وأسر من وجد منهم
والتخيير بعد ذلك فى قتله وابقائه
وفيه تعظيم أمر العفو عن المسىء لانه اقسم ان بغضه انقلب حبا فى ساعة واحدة لما أسداه اليه صلى الله عليه وسلم من العفو والمن
من غير مقابل وجاء فى بعض الروايات انه بعد ان أسلم جاؤه بالطعام فلم ينل منه الا قليلا وبالقحة فلم يصب من حلابها الا يسيرا فعجب
المسلمون فقال صلى الله عليه وسلم تعجبون امن رجل اكل أول النهار فى معى كافر واكل آخر النهار فى معى مسلم ان الكافر يأكل فى
سبعة امعاء وان المسلم يأكل فى معى واحد ثم صار ثمامة رضى الله عنه من فضلاء الصحابة وهدى الله به خلقا كثيرا من قومه

ولم يرتد مع من ارتد من أهل اليمامة ولا خرج عن الطاعة قط رضى الله عنه بل جاء انه قام مقاما حميدا بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم حين ارتدت اليمامة مع مسيلمة فقال بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ثم قال لهم فاين هذا من هذيان مسيلمة فأطاعه ثلاثة آلاف وانحاز والى المسلمين رضى الله عنه ونفع به ﴿غزوة بنى لحيان﴾ بكسر اللام وفتحها نسبة الى لحيان بن هذيل ١٤٠ ابن مدركة بن الياس بن مضر وكانت فى غرة شهر ربيع الاول سنة ست من الهجرة وقيل سنة خمس وقيل أربع وسببها انه صلى الله عليه وسلم وجد أى حزن على عاصم بن ثابت وأصحابه وجدا شديدا والمراد باصحابه مايشمل المقتولين ببئر معونة وهم القراء السبعون وان كانوا فى سرية وحدهم فأظهر صلى الله عليه وسلم انه يريد الشام ليصيب من القوم غرة وعسكر فى مائة رجل ومعهم عشرون فرسا واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم رضى الله عنه وسلك على غراب وهو جبل بناحية المدينة ثم على طريقه الى الشام ثم عدل ذات اليسار حتى استقام به الطريق على الجحفة من طريق مكة ثم أسرع السير حتى انتهى الى بطن غراب واد بينه وبين عسفان خمسة أميال وهى منازل بنى لحيان حيث كان مصاب أصحابه أهل الرجيع الذين قتلوا فترحم عليهم ودعا لهم بالمغفرة فسمعت به بنو لحيان فهربوا فى رؤس الجبال خوفا من المنصور بالرعب صلى الله عليه وسلم فلم يقدر على أحد منهم فأقام يوما أو يومين يبعث السرايا فى كل ناحية من نواحيهم ثم خرج حتى أتى عسفان فبعث أبا بكر رضى الله عنه فى عشرة فوارس لتسمع بهم قريش فيذعرهم فأتوا كراع الغميم وهو واد أمام عسفان بثمانية أميال يضاف كراع اليه وكراع جبل أسود بطرف الحرة يمتد اليه ثم رجع صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه ولم يلقوا كيدا قال ابن اسحق انه صلى الله عليه وسلم لما ما حصل من غرتهم ما أراد قال صلى الله عليه وسلم لو اناخ لنا بعسفان ثم بعث فارسين من أصحابه حتى بلغا كراع الغميم ثم أرسل أبا بكر رضى الله عنه مع عشرة فوارس وانصرف صلى الله عليه وسلم الى المدينة وهو يقول آيبون تائبون لربنا حامدون أعوذ بالله من وعثاء السفر وكآبة المنظر فى الاهل والمال اللهم بلغنا بلاغا صالحا ينظر الى خير مغفرتك ورضوانك

الله عليه وسلم غازيا حتى بلغ ودان بفتح الواو وتشديد الدال المهملة آخره نون وهى قرية كبيرة بينها وبين الابواء ستة أميال أوثمانية والابواء بالمد قرية بين مكة والمدينة كما تقدم سميت بذلك لتبوء السيول بها وقيل لما كان فيها من الوباء فيكون على القلب والاقليل الاوباء وحينئذ لا تخالف بين تسمية ابن الخفاف لها بغزوة ودان وبين تسمية البخارى لها بغزوة الابواء لتقارب المكانين أى وفى الامتاع ودان جبل بين مكة والمدينة وأقول قد يقال لا منافاة لانه يجوز ان تكون تلك القرية كانت عند الجبل المذكور فسميت باسمه والله أعلم وكان خروجه صلى الله عليه وسلم بالمهاجرين ليس فيهم انصارى يعترض عير القريش ولبنى ضمرة أى وخرج صلى الله عليه وسلم لبنى ضمرة فكان خروجه للشيئين كما يفهم من الاصل ويوافقه قول بعضهم وخرج صلى الله عليه وسلم فى سبعين رجلا من أصحابه يريد قريشا وبنى ضمرة والمفهوم من سيرة الشامى ان خروجه صلى الله عليه وسلم انما كان لاعتراضه العير وانه اتفق له موادعة بنى ضمرة ويوافقه قول الحافظ الدمياطى خرج يعترض عير القريش فلم يلق كيدا وفى هذه الغزوة وادع بنى ضمرة هذا كلامه أى صالح سيدهم حينئذ وهو مجدى بن عمرو عبارة بعضهم فلما بلغ الابواء لقى سيد بنى ضمرة مجدى بن عمر الضمرى فصالحه ثم رجع الى المدينة والمصالحة على ان لا يغزوهم ولا يغزوه ولا يكثروا عليه صلى الله عليه وسلم جمعا ولا يعينوا عليه عدوا قال وكتب بينه وبينهم كتابا نسخته بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لبنى ضمرة بانهم آمنون على أموالهم وأنفسهم وان لهم النصرة على من رامهم أى قصدهم الا ان يحاربوا فى دين الله ما بل بحر صوفة أى ما بقى فيه ما يبل الصوفة وان النبى صلى الله عليه وسلم اذا دعاهم لنصره أجابوه عليهم بذلك ذمة الله وذمة رسوله أى أمانهما انتهى وكان لواؤه صلى الله عليه وسلم ابيض وكان مع عمه حمزة واستعمل على المدينة سعد بن عبادة وانصرف الى المدينة راجعا فهى أول غزواته صلى الله عليه وسلم أى وكانت غيبته خمس عشرة ليلة والله أعلم

﴿غزوة بواط﴾

ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شهر ربيع الاول أى وقيل الآخر أى من السنة المذكورة يريد عير القريش فيها أمية بن خلف ومائة رجل من قريش وألفان وخمسمائة بعير خرج فى مائتين من أصحابه أى من المهاجرين خاصة وحمل اللواء وكان أبيض سعد بن أبى وقاص واللواء هو العلم الذى يحمل فى الحرب يعرف به موضع أمير الجيش وقد يحمله أمير الجيش وقد يجعل فى مقدم الجيش وأول من عقد الالوية ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم بلغه ان قوما أغاروا على لوط عليه السلام فعقد لواء وسار اليهم بعبيده وموالية قال بعضهم صرح جماعة من أهل اللغة بترادف اللواء والراية أى فيطلق على كل اسم الآخر وعن ابن اسحق وابن سعد ان اسم الراية انما حدث بعد خيبر واستعمل صلى الله عليه وسلم على المدينة

وفى الصحيح عن ابن عمر رضى الله عنهما قال كان صلى الله عليه وسلم اذا أوفى على ثنية أو فدفد كبر ثلاثا ثم قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده وكانت غيبته صلى الله عليه وسلم عن المدينة فى هذه الغزوة أربع عشرة ليلة والله سبحانه وتعالى أعلم ﴿غزوة الغابة﴾

وتعرف بذى قرد بفتح القاف والراء آخره دال مهملة وهو ماء على نحو بريد من ١٤١ المدينة مما يلى بلاد غطفان وكانت فى ربيع الاول سنة ست وقيل فى جمادى الاولى وقيل فى شعبان وفى البخارى انها كانت قبل خيبر بثلاثة أيام وبعد الحديبية بعشرين يوما وسببها انه كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم عشرون لقحة بكسر اللام وقد تفتح وهى ذات اللبن القريبة العهد بالولادة وكانت ترعى بالغابة تارة وهو موضع الشجر الذى لا مالك له بل هو لاحتطاب الناس ومنافعهم وبذى قرد تارة اخرى لتقارب الموضعين وكان أبو ذر وابنه وامرأته رضى الله عنهم فيها فاغار عليها عيينة بن حصن الفزارى ليلة الاربعاء فى اربعين فارسا فاستاقوها وقتلوا ابن أبى ذر رضى الله عنه واسمه ذر وكان يرعى الابل وأسروا المرأة واسمها ليلى وفى رواية ان أبا ذر رضى الله عنه استأذن النبى صلى الله عليه وسلم للقاحه فقال صلى الله عليه وسلم انى اخاف عليك ونحن لا نأمن عيينة بن حصن فالح عليه فقال صلى الله عليه وسلم لكأنى بك قد قتل ابنك واخذت امرأتك وجئت توكأ على عصاك قال أبو ذر رضى الله عنه بعد ذلك عجبا لى يقول لى ذلك وأنا ألح عليه فكان والله ما قال فلما كان الليل احدق بنا عيينة مع أصحابه فاشرف لهم ابنى فقتلوه وأسروا امرأتى ثم انها نجت منهم بعد تمام الغزوة ورجوع النبى صلى الله عليه وسلم لانهم أوثقوها وكانوا يريحون نعمهم بين يدى بيوتهم فانطلقت وركبت ناقة للنبى صلى الله عليه وسلم ليلا على حين غفلتهم وفى رواية انهم أوثقوا المرأة فانفلتت ليلا من الوثاق فاتت الابل فكانت اذا دنت من البعير رغا فتتركه حتى انتهت الى العضباء لانها من جملة ما استاقه عيينة ولم تسترجعها الصحابة فيما استرجعوا مما يأتى ذكره فلم ترغ فقعدت فى عجزها ثم زجرتها فانطلقت وعلموا بها فطلبوها فاعجزتهم ونذرت لئن نجت لتنحرنها فلما قدمت على النبى صلى الله

سعد بن معاذ وقيل السائب بن مظعون أى أخا عثمان بن مظعون وقيل السائب بن عثمان حتى بلغ بواط بضم الموحدة وفتحها وتخفيف الواو والطاء المهملة أى وهو جبل ينبع أى ومن ثم قيل لها غزوة بواط قال بعضهم ومن هذا الجبل تقلع أحجار المسان وهذا الجبل لجهينة من ناحية رضوى وهو أحد الاجبل التى بنى منها أساس الكعبة وفيه أنه لم يذكر رضوى فى تلك الاجبل الخمس التى كان منها أساس الكعبة المتقدم ذكرها على المشهور وقد جاء فى الحديث رضوى رضى الله عنه وتزعم الكيسانية وهم أصحاب كيسان مولى على رضى الله تعالى عنه ان محمد بن الحنفية مقيم برضوى حى يرزق وهو الامام المنتظر عندهم أى وفى كلام بعضهم أن المنتظر هو محمد القاسم بن الحسن العسكرى الذى تزعم الشيعة أنه المنتظر وهو صاحب السرداب يزعمون أنه دخل السرداب فى دار أبيه وأمه تنتظر اليه فلم يخرج اليها وكان عمره تسع سنين وأنه يعمر الى آخر الزمان كعيسى وسيظهر فيملأ الدنيا عدلا كما ملئت جورا واختفاؤه الآن خوفا من أعدائه قال وهو زعم باطل لا أصل له ثم رجع صلى الله عليه وسلم الى المدينة ولم يلق كيدا أى حربا وأصل الكيد الاحتيال والاجتهاد ومن ثم يسمى الحرب كيدا والله أعلم

﴿غزوة العشيرة﴾

أى وبها بدأ البخارى المغازى ويدل له ما جاء عن زيد بن أسلم وقد قيل له ما أول غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ذات العشيرة واجيب عنه بان المراد ما أول غزوة غزاها وانت معه ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شهر جمادى الاولى وفى سيرة الدمياطى الآخرة من تلك السنة أى وفى الامتاع فى جمادى الآخرة ويقال جمادى الاولى يريد عيرا لقريش متوجهة للشام يقال ان قريشا جمعت جميع أموالها فى تلك العير لم يبق بمكة لقرشى ولا قرشية له مثقال فصاعدا الا بعث به فى تلك العير الا حويطب بن عبد العزى يقال ان فى تلك العير خمسين ألف دينار أى وألف بعير وكان فيها أبو سفيان أى قائدها وكان معه سبعة وعشرون وقيل تسعة وثلاثون رجلا منهم مخرمة بن نوفل وعمرو بن العاص وهى العير التى خرج اليها حين رجعت من الشام وكان سبب الوقعة بدر الكبرى كما سيأتى خرج فى خمسين ومائة ويقال فى مائتين من المهاجرين خاصة حتى بلغ العشيرة بالمعجمة والتصغير آخره هاء أى ولم يختلف فيه أهل المغازى كما قال الحافظ ابن حجر وفى البخارى آخرها همزة وفيه أيضا العسيرة بالسين المهملة آخره هاء أى بالتصغير واما التى بغير تصغير فهى غزوة تبوك كما سيأتى والتى بالتصغير تقال أيضا للموضع ببطن ينبع أى وهو منزل الحاج المصرى وهى لبنى مدلج واستخلف على المدينة أبا سلمة بن عبد الاسد وحمل اللواء وكان أبيض عمه حمزة بن عبد المطلب خرجوا على ثلاثين بعيرا يعتقبونها فوجدوا العير قد مضت قبل ذلك بايام ورجع ولم يلق حربا ووادع صلى الله

عليه وسلم اخبرته بذلك وقالت يارسول الله انى نذرت لله تعالى ان انحرها ان نجانى الله عليها فقال بئسما جزيتها ان حملك الله عليها ونجاك ان تنحريها انه لا نذر لاحد فى معصية ولا احد فيما لا يملك انما هى ناقة من ابلى ارجعى الى أهلك على بركة الله * وحاصل قصة هذه الغزوة انهم لما أغاروا على اللقاح فى يومهم ذلك جاء الصريخ فنادى الفزع الفزع ونودى ياخيل الله اركبى وركب صلى الله عليه وسلم فى خمسمائة وقيل سبعمائة واستعمل على ١٤٢ المدينة ابن أم مكتوم رضى الله عنه وخلف سعد بن عبادة رضى الله تعالى عنه فى ثلثمائة يحرسون المدينة وعقد لواء للمقداد رضى الله عنه فى رمحه وقال امض حتى تلحقك الخيول وانا على أثرك فادرك اخريات العدو وفى البخارى ومسلم عن سلمة ابن الاكوع رضى الله عنه قال خرجت قبل ان يؤذن بالاولى وكانت لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم ترعى بذى قرد فلقينى غلام لعبد الرحمن بن عوف فقال أخذت لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت من أخذها قال غطفان وفزارة فصرخت ثلاث صرخات ياصباحاه ياصباحاه فاسمعت ما بين لابتى المدينة وفى رواية للطبرانى وابن اسحق فاشرفت من سلع ثم صحت ياصباحاه فانتهى صياحى الى النبى صلى الله عليه وسلم فنودى فى الناس الفزع الفزع فتراءت الخيول اليه فكان أول من انتهى اليه فارسا المقداد ثم عباد بن بشر وسعد بن زيد الانصارى واسيد بن حضير وعكاشة ابن محصن ومحرز بن نضلة وأبو قتادة وأبو عياش وفى رواية ان النبى صلى الله عليه وسلم أمر سعد ابن زيد وقال اخرج فى طلب القوم حتى ألحقك فى الناس وقيل أمر المقداد فسار واوتقدمهم أبو قتادة فادرك فى طريقه مسعدة بن حكمة الفزارى فقتله وسجاه ببرده فلما وصل المسلمون اليه وهو مسجى استرجعوا أى قالوا انا لله وانا اليه راجعون ظنا منهم ان المسجى هو أبو قتادة وانه قتل فقال النبى صلى الله عليه وسلم ليس بابى قتادة ولكنه قتيله ووضع عليه برده لتعرفوه فتخلوا عن قتيله وسلبه وقيل ان قتيل أبى قتادة هذا هو حبيب بن عيينة الفزارى ويحتمل أن له اسمين فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسه وسلاحه ولقى عكاشة بن محصن رضى الله عنه فى طريقه أبان بن عمرو وابنه عمرا على بعير واحد فانتظمهما بالرمح فقتلهما جميعا واستنقذ بعض اللقاح وقتل من المسلمين محرز

عليه وسلم فيها بنى مدلج قال فى الاصل وحلفاءهم من بنى ضمرة وذكر فى المواهب هنا صورة الكتاب الذى كتبه صلى الله عليه وسلم لبنى ضمرة فى غزوة ودان الذى قدمناه ثم فليتأمل ذلك وكنى صلى الله عليه وسلم فيها عليا بابى تراب حين وجده نائما هو وعمار بن ياسر وقد علق به التراب فايقظه عليه الصلاة والسلام برجله وقال له قم أبا تراب لما يرى عليه من التراب أى الذى سفته عليه الريح ولما قام قال له صلى الله عليه وسلم ألا أخبرك باشقى الناس أجمعين عاقر الناقة والذى يضربك على هذا ووضع يده على قرن رأسه فيخضب هذه ووضع يده على لحيته وفى رواية أشقى الاولين عاقر ناقة صالح وأشقى الآخرين قاتلك وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم قال يوما لعلى كرم الله تعالى وجهه من أشقى الاولين فقال على الذى عقر الناقة يارسول الله قال فمن اشقى الآخرين قال على لا علم لى يارسول الله قال الذى يضربك على هذه وأشار الى يافوخه وكان كما أخبر صلى الله عليه وسلم فهو من اعلام نبوته فانه لما كان شهر رمضان سنة أربعين صار يفطر ليلة عند الحسن وليلة عند الحسين وليلة عند عبد الله بن جعفر لا يزيد فى أكله على ثلاث لقم ويقول احب ان ألقى الله وانا خميص فلما كانت الليلة التى ضرب صبيحتها أكثر الخروج والنظر الى السماء وجعل يقول والله انها الليلة التى وعدت فلما كان وقت السحر وأذن المؤذن بالصلاة خرج الى المسجد فاقبل الاوز الذى فى داره يصحن فى وجهه فمنعهن بعض نساء أهل بيته فقال دعوهن فانهن نوائح فلما دخل المسجد أقبل ينادى الصلاة الصلاة فشد عليه عبد الرحمن بن ملجم المرادى لعنه الله من طائفة الخوارج فضربه الضربة التى أخبر بها صلى الله عليه وسلم وعند ذلك شد عليه الناس من كل جانب فطرح عليه رجل قطيفة ثم طنبوه وأخذ السيف منه وقالوا له يا أمير المؤمنين خل بيننا وبين مرادى يعنون قبيلة الرجل الذى ضربه فقال ولكن احبسوا الرجل فان أنا مت فاقتلوه وان أعش فالجروح قصاص فحبس فلما مات رضى الله تعالى عنه غسله الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر ومحمد بن الحنفية يصب الماء وكفن فى ثلاثة أثواب بيض ليس فيها قميص ولا عمامة وصلى عليه الحسن وكبر عليه سبعا ودفن ليلا قيل بدار الامارة بالكوفة وقيل بغير ذلك وأخفى قبره لئلا تنبشه الخوارج وقيل حملوه على بعير ليدفنوه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينما هم فى مسيرهم ليلا اذ ند البعير الذى عليه فلم يدر أين ذهب ومن الناس من يزعم أنه انتقل الى السماء وأنه الآن فى السحاب ولما أصيب كرم الله وجهه دعا الحسن والحسين رضى الله تعالى عنهما فقال لهما أوصيكما بتقوى الله ولا تبغيا الدنيا ولا تبكيا على شئ زوى منها عنكما وقولا الحق فلا تأخذكما فى الله لومة لائم ثم نظر الى ولده محمد بن الحنفية فقال هل حفظت ما أوصيت به أخويك فقال نعم فقال أوصيك بمثله وأوصيك بتوقير أخويك لعظم حقهما عليك ولا ترين أمرا دونهما ثم قال أوصيكما به فانه أخوكما وابن أبيكما وقد علمتما ان أباكما كان يحبه ثم لم ينطق الا بلا اله الا الله الى ان قبض فلما قبض أخرج الحسن رضى الله عنه ابن ملجم من الحبس وقتله (أقول) ذكر بعضهم عن المبرد

ابن نضلة من بنى أسد بن خزيمة ممن شهد بدرا رضى الله عنه قال ابن اسحق كان أول فارس لحق بالقوم فقال فقوا يامعشر بنى اللكيعة فحمل عليه رجل منهم فقتله وتحول على فرسه فلحقه أبو قتادة فقتله وتحول على الفرس وأدرك سلمة بن الاكوع رضى الله عنه القوم قال ابن اسحق ان سلمة رضى الله عنه صرخ واصباحاه ثم خرج يشتد فى آثار القوم فكان مثل السبع وكان يسبق الخيل فى جريه فلم يزل يشتد حتى لحق بالقوم وهو على رجليه فجعل يرميهم بالنبل وفى البخارى عنه ١٤٣ رضى الله عنه ثم اندفعت على وجهى حتى

قال ابن ملجم لعلى كرم الله تعالى وجهه انى اشتريت سيفى هذا بألف وسممته بألف وسألت الله تعالى أن يقتل به شر خلقه فقال على قد أجاب الله دعوتك ياحسن اذا أنامت فاقتله بسيفه ففعل به الحسن ذلك ثم أحرقت جثته وقد ذكر أنه قطعت أطرافه وجعل فى قوصرة وأحرقوه بالنار (وقد ذكر) أن عليا قال يوما وهو مشير لابن ملجم هذا والله قاتلى فقيل له ألا نقتله فقال من يقتلنى وتبع الاصل فى كون تكنية على بابى تراب فى هذه الغزوة شيخه الدمياطى واعترضه فى الهدى بانه صلى الله عليه وسلم انما كناه بذلك بعد نكاحه فاطمة رضى الله تعالى عنها فانه صلى الله عليه وسلم دخل عليها يوما وقال أين ابن عمك قالت خرج مغاضبا فجاء الى المسجد فوجده مضطجعا فيه وقد لصق به التراب فجعل ينفضه عنه ويقول اجلس أبا تراب وقيل انما كناه أبا تراب لانه كان اذا غضب على فاطمة فى شئ لم يكلمها ولم يقل لها شيأ تكرهه الا انه يأخذ ترابا فيضعه على رأسه وكان صلى الله عليه وسلم اذا رأى التراب على رأسه عرف أنه عاتب على فاطمة قال فى النور يجوز أن يكون صلى الله عليه وسلم خاطبه بهذه الكنية مرتين أى ويكون سبب الكنية علوق التراب به وكونه يضعه على رأسه والله أعلم

﴿غزوة سفوان﴾

ويقال لها غزوة بدر الاولى وحين قدم صلى الله عليه وسلم من غزوة العشيرة لم يقم بالمدينة الا ليالى لم تبلغ العشرة حتى غزا وخرج خلف كرز بن جابر الفهرى وقد أغار قبل أن يسلم على سرح المدينة أى النعم والمواشى التى تسرح للمرعى بالغداة خرج فى طلبه حتى بلغ واديا يقال له سفوان بالمهملة والفاء ساكنة وقيل مفتوحة من ناحية بدر أى ولذا قيل لها غزوة بدر الاولى وفاته صلى الله عليه وسلم كرز ولم يدركه وكان قد استعمل على المدينة زيد بن حارثة وحمل اللواء وكان أبيض على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وقد تبعت الاصل فى تقديم غزوة العشيرة على غزوة سفوان لما تقدم وهو عكس ما فى سيرة الشامى الموافق لسيرة الدمياطى ولما فى الامتاع والله أعلم

﴿باب تحويل القبلة﴾

وحولت القبلة فى شهر رجب من السنة المذكورة التى هى الثانية فى نصفه وقيل فى نصف شعبان قال بعضهم وعليه الجمهور الاعظم وقيل كان فى جمادى الآخرة أى فقد قيل انه صلى الله عليه وسلم صلى فى المدينة الى بيت المقدس ستة عشر شهرا وقيل سبعة عشر شهرا وقيل أربعة عشر شهرا وقيل غير ذلك وتقدم أنه صلى الله عليه وسلم صلى فى مسجده بعد تمامه الى بيت المقدس خمسة أشهر والاكثرون على ان تحويلها كان فى صلاة الظهر وقيل العصر أى ففى الصحيحين عن البراء ان أول صلاة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم أى للكعبة صلاة العصر وقد يقال لا منافاة لجواز ان يكون المراد أول صلاة صلاها كلها للكعبة صلاة العصر لان

أدركتهم وقد أخذوا يستقون من الماء فجعلت أرميهم بنبلى وكنت راميا وأقول خذها وأنا ابن الاكوع اليوم يوم الرضع وارتجز حتى استنقذت اللقاح وثلاثين بردة وفى صحيح مسلم فانفلت أرميهم بالنبل وأرتجز فازلت أرميهم وأعقرهم فاذا رجع الى فارس منهم أتيت شجرة فجلست فى أصلها ثم رميته فعقرته فاذا تضايق الجبل ودخلوا فى مضايقه علوت الجبل فرميتهم بالحجارة فازلت كذلك حتى ما خلق الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم من بعير الا خلفته وراء ظهرى ثم اتبعتهم أرميهم حتى ألقوا أكثر من ثلاثين بردة وثلاثين رمحا يتخففون بها فأتوا مضيقا فاذا هم عيينة بمدالهم فجلسوا يتغدون وجاست على رأس قرن فقال من هذا قالوا لقينا من هذا البرح بفتح الباء وسكون الراء يعنى الشدة والاذى ما فارقنا السحر حتى الآن وأخذ كل شئ فى أيدينا وجعله وراء ظهره فقال عيينة لو لا انه يرى وراءه طلبا لكم لتركنكم ليقم اليه أربعة منكم قال سلمة فصعد وا فى الجبل فقلت لهم أتعرفونى فقالوا ومن أنت قلت ابن الاكوع والذى أكرم وجه محمد صلى الله عليه وسلم لا يطلبنى رجل منكم فيدركنى ولا أطلبه فيفوتنى فقال رجل منهم أظن فرجعوا فما برحت مكانى حتى رأيت فوارس رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله اليوم يوم الرضع بضم الراء وشد المعجمة جمع راضع والمراد يوم هلاك اللئام من قولهم لئيم راضع أى رضع اللؤم وقيل معناه اليوم يعرف من أرضعته الحرب من صغره وتدرب بها ويعرف غيره وقيل معنى هذا يوم شديد عليكم تفارق فيه المرضعة من أرضعته فلا يجد من يرضعه ولحق رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس والخيول عشاء فنزلوا بذى قرد وأقام يوما وليلة قال سلمة لما لحق رسول الله

صلى الله عليه وسلم قلت يارسول الله ان القوم يعني غطفان وفزارة عطاش لا يقدرون على الحرب فلو بعثتني في مائة لاستنقذت
ما في أيديهم من السرح وأخذت باعناق القوم أي أسرتهم وقتلتهم وفي رواية لمسلم وأتاني عمي عامر بماء وابن فتوضأت وشربت ثم
أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو على الماء الذي أجليتهم عنه فاذا هو قد أخذ كل شيء استنقذته منهم ونحر له بلال رضي الله عنه ناقة
وشوى له من كبدها وسنامها فقلت يارسول ١٤٤ الله خلني أنتخب من القوم مائة رجل فاتبعهم فلا يبقى منهم مخبر فضحك رسول

الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه وقال أترى كنت فاعلا قلت نعم والذي أكرمك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن الاكوع ملكت فاسجح أي قدرت عليهم فاحسن وارفق والسجاحة بالكسر السهولة أي لا تأخذ بالشدة بل ارفق وأحسن العفو فقد حصلت النكاية في العدو فهزموا وقتل رؤساؤهم وسلبت منهم الرماح والبرد ولله الحمد على نصر الاسلام ثم قال صلى الله عليه وسلم انهم الآن ليقرون في قومهم يعني انهم وصلوا الى غطفان وهم يضيفونهم ويساعدونهم فلا فائدة في البعث في أثرهم لانهم لحقوا باصحابهم وزاد مسلم فجاء رجل من غطفان فقال مر واعلى فلان الغطفاني فنحر لهم جزورا فلما أخذوا يكشطون جلدها رأوا غبرة فتركوها وقالوا أتاكم القوم وخرجوا هاربا وفيه معجزة له صلى الله عليه وسلم حيث أخبر بذلك فكان كما قال وقال سلمة رضي الله عنه فلما أصبحنا قال صلى الله عليه وسلم خير فرساننا اليوم أبو قتادة وخير رجالتنا اليوم سلمة فاعطاني سهم الراجل والفارس جميعا وفي رواية وذهب الصريخ الى بني عمرو ابن عوف من الانصار فجاءت الامداد فلم تزل الخيل تأتي والرجال على أقدامهم وعلى الابل حتى انتهوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستنقذوا عشر

الظهر صلى نصفها الاول لبيت المقدس ونصفها الثاني للكعبة ثم رأيت الحافظ ابن حجر فعل كذلك حيث قال التحقيق ان أول صلاة صلاها بالمسجد النبوي صلاة العصر أو ان التحويل في العصر كان في محل آخر للانصار أي وهم بنو حارثة وقيل حولت في صلاة الصبح وهو محمول على ان ذلك كان في قباء لان الخبر لم يبلغهم الا حينئذ كما سيأتي وانما حولت لانه صلى الله عليه وسلم كان يحبه أن تكون قبلته الكعبة سيما لما بلغه أن اليهود قالوا ما يخالفنا محمد ويتبع قبلتنا أي وفي لفظ قالوا للمسلمين لولم تكن على هدى ما صليتم لقبلتنا فاقتدينا بنا فيها وفي لفظ كان يحب أن يستقبل الكعبة محبة لموافقة ابراهيم واسمعيل عليهما الصلاة والسلام وكراهة لموافقة اليهود ولقول كفار قريش للمسلمين لم تقولون نحن على ملة ابراهيم وأنتم تتركون قبلته وتصلون الى قبلة اليهود أي ولانه لما هاجر صار اذا استقبل صخرة بيت المقدس يستدبر الكعبة فشق ذلك عليه صلى الله عليه وسلم فقال لجبريل وددت أن الله سبحانه وتعالى صرفني عن قبلة اليهود فقال جبريل انما أنا عبد لا أملك لك شيأ الا ما أمرت به فادع الله تعالى فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الله تعالى ويكثر اذا صلى الى بيت المقدس من النظر الى السماء ينتظر أمر الله تعالى أي لان السماء قبلة الدعاء وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل وددت انك سألت الله تعالى ان يصرفني الى الكعبة فقال جبريل لست أستطيع ان أبتدئ الله جل وعز بالمسئلة ولكن ان سألني اخبرته وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرا أم بشر بن البراء بن معرور في بني سلمة فصنعت له طعاما وحانت صلاة الظهر فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم باصحابه في مسجد هناك فلما صلى ركعتين نزل جبريل فأشار اليه أن صل الى الكعبة واستقبل الميزاب فاستدار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة أي فاستدار النساء مكان الرجال والرجال مكان النساء أي فقد تحول من مقدم المسجد الى مؤخره لان من استقبل الكعبة في المدينة يلزم ان يستدبر بيت المقدس أي كما ان من يستقبل بيت المقدس يستدبر الكعبة وهو صلى الله عليه وسلم لو دار كما هو مكانه لم يكن خلفه مكان يسع الصفوف قيل وكان ذلك وهم راكعون وفيه ان هذا يستدعي عملا كثيرا في الصلاة وهو مفسد لها عندنا اذا توالى وقد يقال لا مانع لجواز ان يكون ذلك قبل تحريم العمل الكثير في الصلاة أو ان هذا العمل لم يكن على التوالي (أقول) وبدخوله أي على أم بشر صلى الله عليه وسلم وعلى الربيع بنت معوذ بن عفراء وعلى أم حرام بنت ملحان وعلى أختها أم سليم والخلوة بكل منهن فقد كانت أم حرام بنت ملحان تفلي رأسه الشريفة وينام عندها استدل ان من خصائصه صلى الله عليه وسلم جواز النظر الى الاجنبية والخلوة بها لامنه الفتنة كما سيأتي والله أعلم وسمي ذلك المسجد مسجد القبلتين وقيل كانت تلك الصلاة التي هي صلاة الظهر التي وقع التحول فيها في مسجده صلى الله عليه وسلم فخرج عباد بن بشر وكان صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومر على قوم من الانصار يصلون العصر وهم راكعون فقال أشهد بالله لقد

لقاح وأقلت القوم بما بقي وهي عشر من اللقاح وهذه الرواية مخالفة لقول سلمة في الصحيحين انه استنقذ جميع اللقاح وأجاب بعضهم بأن سلمة قال ذلك بحسب ظنه وهو في الواقع نصف اللقاح واستبعده بعضهم ثم كون اللقاح عشرين لا ينافي بمجرده ان معها زيادة عليها لما روى ان معها جملا كان لابي جهل ومعها الناقة التي رجعت عليها امرأة أبي ذر رضي الله عنهما وكان عودها بعد عود النبي

صلى الله عليه وسلم المدينة كما تقدم وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذى قرد صلاة الخوف وأقام به يوما وليلة يتجسس الخبر ورجع وقد غاب خمس ليال وأردف أسامة رضى الله عنه خلفه فى رجوعه وقسم فى كل مائة من أصحابه جزورا ينحرونها وبعث اليهم سعد بن عبادة رضى الله عنه بأحمال تمر وبعشر جزائر فيحتمل ان الجزائر المنحورة مما بعثه أو مما أخذوه من القوم قال الحافظ ابن حجر وفى القصة من الفوائد جواز العدو الشديد فى الغزو والانذار بالصياح العالى وتعريف الشجاع بنفسه ليرعب خصمه واستعمال الثناء على الشجاع ومن فيه فضيلة لاسيما عند الصنع الجميل ليزيد منه ومحله حيث يؤمن الافتتان والله سبحانه وتعالى أعلم

صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البيت يعنى الكعبة ثم بلغ أهل قباء ذلك وهم فى صلاة الصبح فى اليوم الثانى أى وهم ركوع وقد ركعوا ركعة فنادى مناد ألا ان القبلة قد حولت الى الكعبة فتحولوا اليها أى وفى البخارى بينا الناس بقباء فى صلاة الصبح اذ جاءهم آت فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه الليلة قرآن وقد أمر ان يستقبل الكعبة فاستقبلوها فاستداروا الى الكعبة وفى مسلم بدل صلاة الصبح صلاة الغداة قال الحافظ ابن حجر وهو أحد أسمائها وقد نقل بعضهم كراهة تسميتها بذلك ولم ينقل انهم أمروا بقضاء العصر والمغرب والعشاء ولا اعادة الركعة التى صلوها من الصبح وهو دليل على ان الناسخ لا يلزم حكمه الا بعد العلم به وان تقدم نزوله وعلى انه يجوز ترك الامر المقطوع به وهو استقبال بيت المقدس الى أمر مظنون وهو خبر الواحد وأجيب عن هذا الثانى بان الخبر المذكور احتفت به قرائن افادت القطع عندهم بصدق المخبر فلم يتركوا الامر المعلوم الا لامر معلوم أيضا على انه يجوز نسخ المتواتر بالآحاد لان محل النسخ الحكم ودلالة المتواتر عليه ظنية كما تقرر فى محله ويقال ان المبلغ لهم عباد بن بشر أيضا فيكون عباد أتى بنى حارثة أولا فى صلاة العصر ثم توجه الى أهل قباء فأعلمهم بذلك فى وقت الصبح والقرآن الذى نزل قوله تعالى قد نرى تقلب وجهك فى السماء الآيات أى والى هذا يشير بعضهم بقوله

كم للنبى المصطفى من آية * غراء حار الفكر فى معناها
لما رأى البارى تقلب وجهه * ولاه أيمن قبلة يرضاها

وعن عمارة بن أوس الانصارى قال صلينا احدى صلاتى العشى أى وهما الظهر والعصر فقام رجل على باب المسجد ونحن فى الصلاة فنادى ان الصلاة قد وجهت نحو الكعبة فتحول امامنا نحو الكعبة وقوله تعالى قد نرى تقلب وجهك فى السماء أى متطلعا نحو الوحى ومتشوقا للامر باستقبال الكعبة فلنولينك أى نحولنك قبلة ترضاها أى تحبها فول وجهك شطر المسجد الحرام أى نحوه والمراد بالمسجد الحرام الكعبة وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق أى الرجوع الى الكعبة الحق من ربهم أى لما فى كتبهم من نعته صلى الله عليه وسلم بأنه يتحول الى الكعبة ﴿أقول﴾ ولعل هذه القصة التى رواها عمارة هى التى رويت عن رافع بن خديج قال أتانا آت ونحن نصلى فى بنى عبد الاشهل فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر ان يوجه الى الكعبة فدار امامنا الى الكعبة ودرنا معه والله أعلم (واجتمع قوم) من كبار اليهود وجاؤا اليه صلى الله عليه وسلم وقالوا له يا محمد ما ولاك عن قبلتك التى كنت عليها وأنت تزعم أنك على ملة ابراهيم ودينه أى وما كنت عليه قبلة ابراهيم وهذا بناء على دعواهم ان بيت المقدس كان قبلة الانبياء عليهم الصلاة والسلام كما سيأتى عنهم وسيأتى ما فيه ثم قالوا ارجع الى قبلتك التى كنت عليها نتبعك ونصدقك وانما يريدون بذلك فتنته ليعلم الناس أنه صلى الله عليه وسلم فى حيرة من أمره أى واختبار ما يجدونه فى نعته صلى

﴿سرية الغمر﴾

وتعرف بسرية عكاشة بن محصن الاسدى رضى الله عنه الى غمر مرزوق بفتح الغين المعجمة وسكون الميم بعدها راء وهو ماء لبنى أسد على ليلتين من فيد بفتح الفاء وسكون الياء آخره دال قال فى القاموس قلعة بطريق مكة وكانت فى شهر ربيع الاول سنة ست من الهجرة فخرج عكاشة رضى الله عنه فى أربعين رجلا عقب أمره صلى الله عليه وسلم له بالخروج دون تراخ فندر به القوم فهربوا فنزلوا أعلى بلادهم فوجدوا ديارهم خلوفا أى خلية عن سكانها الهربهم فبعث المسلمون طليعة فرأوا أثر النعم قريبا فقصدوها فاصابوا رجلا منهم فامنوه فدلهم على نعم لبنى عم لهم فاغاروا عليها فاستاقوا مائتى بعير وأطلقوا الرجل وقدموا بالابل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يلقوا كيدا

﴿سرية محمد بن مسلمة الانصارى﴾

الى ذى القصة بفتح القاف والصاد

١٩ سيره ثانى المشددة موضع بينه وبين المدينة أربعة وعشرون ميلا من طريق الربذة وكانت فى شهر ربيع الاول سنة ست من الهجرة ومعه عشرة الى بنى ثعلبة فورد عليهم ليلا بمن معه وقد كمن لهم المشركون لشعورهم بمجيئهم اليهم فتركوا محمد بن مسلمة حتى نام هو وأصحابه ثم أحدقوا بهم فاشعر المسلمون الا بالنبل قد خالطهم فوثب محمد بن مسلمة ومعه قوس فصاح فى أصحابه السلاح فوثبوا فتراموا بالنبل ساعة من الليل ثم انحاز أصحاب محمد اليه وقد قتلوا من القوم رجلا ثم حمل القوم عليهم بالرماح فقتلوهم الا محمد بن

مسلمة فوقع جريحا يضرب كعبه فلا يتحرك فجردوهم من ثيابهم وانطلقوا فمر رجل من المسلمين بمحمد بن مسلمة وأصحابه فرآهم صرعى فاسترجع فتحرك له محمد بن مسلمة فحمله حتى وردبه المدينة جريحا فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة عامر بن الجراح أمين هذه الامة أحد العشرة المبشرين رضى الله عنهم فى ربيع الآخر فى أربعين رجلا الى مصارعهم فاغاروا عليهم فلم يجدوا أحدا ووجدنعما وشاء فساقه ورجع وصريح ١٤٦ هذا ان سبب بعث أبى عبيدة رضى الله عنه طلب ثار المقتولين وقيل ان سببه ان بنى ثعلبة وانمارا أجمعوا على ان يغيروا على صرح المدينة وهى ترعى بهيفاء وهو موضع على سبعة أميال من المدينة فبعث صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة فى أربعين حين صلوا المغرب فمشوا ليلتهم حتى وافوا القصة مع الصبح فاغاروا عليهم فانجز وهم هربا فى الجبال وأصاب رجلا واحدا فاسلم فتركه وأخذ نعما من نعمهم فاستاقه وشيأ من متاعهم وقدم به المدينة فخمسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقسم مابقى عليهم والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿سرية زيد بن حارثة رضى الله عنه﴾

الى بنى سليم بالجموم ناحية ببطن نخل على أربعة أميال من المدينة وكانت فى شهر ربيع الآخر سنة ست فاصابوا امرأة من مزينة اسمها حليمة فاسروها فدلتهم على منازل بنى سليم فاصابوا نعما وشاء ووجدوا جماعة منهم فاسروهم فكان فيهم زوج حليمة المزنية فلما رجع زيد بما أصاب وهب رسول الله صلى الله عليه وسلم للمزنية نفسها وزوجها والظاهر انها أسلمت وتوقف بعضهم فى ثبوت ذلك وقال لا أعلم لها اسلاما ولا صحبة ولا ترجمة وليس فى الصحابيات حليمة الا المرضعة رضى الله عنها ولم يذكروا عدة الابل والغنم والاسرى والله أعلم ﴿ثم سرية زيد بن حارثة رضى الله عنه أيضا الى العيص﴾ ومنهم

الله عليه وسلم من انه يرجع عن استقبال بيت المقدس الى استقبال الكعبة وانه لا يرجع عن تلك القبلة وفى رواية انهم قالوا للمسلمين ما صرفكم عن قبلة موسى ويعقوب وقبلة الانبياء أى ويوافقه قول الزهرى لم يبعث الله منذ هبط آدم عليه السلام الى الارض نبيا الا جعل قبلته صخرة بيت المقدس ويوافق هذا ظاهر قول الامام السبكى رحمه الله تعالى فى تائيته

وصليت نحو القبلتين تفردا * وكل نبى ماله غير قبلة

قال شارحها يشير الى أن كل نبى كانت قبلته بيت المقدس وهو صلى الله عليه وسلم قد شاركهم فيها أى واختص بالكعبة ومن ثم جاء فى التوراة فى وصفه صلى الله عليه وسلم صاحب القبلتين وفيه أن قبلة الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم انما هى الكعبة فعن أبى العالية كانت الكعبة قبلة الانبياء وكان موسى يصلى الى صخرة بيت المقدس وهى بينه وبين الكعبة ومثل هذا لا يقال الا عن توقيف أى ويقال بمثل هذا فيما تقدم عن اليهود وعن الزهرى على تسليم صحته من ان صخرة بيت المقدس كانت قبلة لجميع الانبياء انهم كانوا يصلون اليها ويجعلونها بينهم وبين الكعبة فلا مخالفة لا يقال هذا ليس أولى من العكس أى ان استقبال الانبياء للكعبة انما كانوا يجعلونها بينهم وبين صخرة بيت المقدس لانا نقول قد ذكر فى الاصل فى تفسير قوله تعالى ليكتمون الحق وهم يعلمون الحق من ربك أى يكتمون ما علموا من ان الكعبة هى قبلة الانبياء أى المقصودة بالاستقبال لانهم يستقبلونها لاجل صخرة بيت المقدس (وذكر عن بعضهم) أن اليهود لم تجد كون الصخرة قبلة فى التوراة وانما كان تابوت السكينة على الصخرة فلما غضب الله على بنى اسرائيل رفعه فصاروا الى الصخرة بمشاورة منهم أى وادعوا أنها قبلة الانبياء وما تقدم عن الزهرى تقدم الجواب عنه ثم قالوا والله ان أنتم الا قوم تفتنون فأنزل الله تعالى سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب أى الجهات كلها فيأمر بالتوجه الى أى جهة شاء لا اعتراض عليه يهدى من يشاء الى صراط مستقيم أى فكان أول ما نسخ أمر القبلة فعن ابن عباس أول ما نسخ من القرآن فيما يذكر لنا والله أعلم شأن القبلة فاستقبل صلى الله عليه وسلم بيت المقدس أى بمكة والمدينة ثم صرفه الله تعالى الى الكعبة أى وأما قوله تعالى فأينما تولوا فثم وجه الله فمحمول على النفل فى السفر اذا صلى حيث توجه وما قيل ان سبب نزولها ما ذكره بعض الصحابة قال كنا فى سفر فى ليلة مظلمة فلم ندر أين القبلة فصلى كل منا على حياله فلما أصبحنا ذكرنا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت ففيه نظر لضعف الحديث أو هو محمول على ما اذا صلوا باجتهاد أى ولما توجه صلى الله عليه وسلم الى الكعبة قال المشركون من أهل مكة توجه محمد بقبلتنا اليكم وعلم انكم كنتم اهدى منه ويوشك أى يقرب أن يدخل فى دينكم ومن ثم ارتد جماعة وقالوا مرة ههنا ومرة ههنا (ولما حولت القبلة) الى الكعبة أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجد قباء فقدم جدار المسجد موضعه الآن وقالت الصحابة له يا رسول الله لقد ذهب منا قوم قبل التحول فهل يقبل منا

قالت عائشة رضى الله عنها ما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة رضى الله عنه فى سرية الا أمره علينا ولو بقى لاستخلفه أخرجه ابن أبى شيبة وفى البخارى عن سلمة بن الاكوع رضى الله عنه قال غزوت مع النبى صلى الله عليه وسلم سبع غزوات ومع زيد ابن حارثة رضى الله عنه سبع غزوات يؤمره علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم والعيص موضع على أربع ليال من المدينة

وكانت غزوة زيد هذه فى جمادى الاولى سنة ست من الهجرة وسببها انه عليه الصلاة والسلام بلغه ان عيرا لقريش قد أقبلت من الشام فبعث زيدا ومعه سبعون راكبا وقيل مائة وسبعون ليتعرض لها فادركها وأخذها وما فيها وأخذ يومئذ فضة كثيرة لصفوان ابن أمية بن خلف وأسر منهم ناسا منهم أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف واسمه لقيط أو الزبير أو هشيم أو مهشم أو ياسر وأمه هالة بنت خويلد أخت خديجة بنت خويلد رضى الله عنها وكان أبو العاص من رجال مكة المعدودين تجارة ومالا وأمانة وهو زوج زينب بنت النبى صلى الله عليه وسلم ورضى عنها فلما قدم المدينة أسيرا أجارته زوجته السيدة زينب رضى الله عنها بنت النبى صلى الله عليه وسلم بعد ان استجارها ونادت فى الناس حين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر وفى رواية حين كبر وكبر الناس معه نادت أيها الناس انى قد أجرت أبا العاص فلما سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة أقبل على الناس فقال أيها الناس هل سمعتم ما سمعت قالوا نعم ثم قال والذى نفس محمد بيده ما علمت بشئ من هذا حتى سمعت ما سمعتم المؤمنون يد واحدة يجير عليهم أدناهم وقد أجرنا من أجارت ثم دخل صلى الله عليه وسلم منزله فدخلت عليه زينب فسألته أن يرد عليه ما أخذ منه فقبل وقال لها أكرمى مثواه ولا يخلصن اليك فانك لا تحلين له وفى رواية ان زينب رضى الله عنها قالت للنبى صلى الله عليه وسلم ان أبا العاص ان قرب فان عم وان بعد فابو ولد وانى قد أجرته فقال النبى صلى الله عليه وسلم لاصحابه رضى الله عنهم ان هذا الرجل منا حيث قد علمتم وقد أصبتم له مالا فان تحسنوا وترد واعليه الذى له فانا نحب ذلك وان أبيتم فهو فىء الله الذى أفاء عليكم فانتم أحق به فقالوا يا رسول الله بل نرده عليه حتى ان الرجل ليأتى بالدلو والرجل بالاداوة حتى ردوا عليه ماله بأسره لا يفقد منه شيأ ثم ذهب الى مكة فادى الى كل ذى مال ماله ثم قال هل بقى لاحد منكم عندى مال لم يأخذه قالوا لا قال هل أوفيت ذمتى قالوا اللهم نعم فجزاك الله خيرا فقد وجدناك وفيا كريما قال فانى أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله والله ما منعنى من الاسلام عنده الا تخوفا أن تظنوا انى انما أردت أن آكل أموالكم فلما رددها الله

ومنهم فأنزل الله تعالى قوله وما كان الله ليضيع ايمانكم أى صلاتكم الى بيت المقدس وذكر فى الاصل أن الصحابة قالوا مات قبل ان تحول قبل البيت رجال وقتلوا أى وهم عشرون ثمانية عشر من أهل مكة واثنان من الانصار وهما البراء بن معرور وأسعد بن زرارة ٥ فلم ندر ما نقول فيهم فأنزل الله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم الآية ولفظة القتل وقعت فى البخارى وأنكرها الحافظ ابن حجر فقال ذكر القتل لم أره الا فى رواية زهير وباقى الروايات انما فيها ذكر الموت فقط ولم أجد فى شئ من الاخبار ان أحدا من المسلمين قتل قبل تحويل القبلة لكن لا يلزم من عدم الذكر عدم الوقوع فان كانت هذه اللفظة محفوظة فتحمل على ان بعض المسلمين ممن لم يشتهر قتل فى تلك المدة فى غير الجهاد ثم قال وذكر لى بعض الفضلاء أنه يجوز أن يراد من قتل بمكة من المستضعفين كأبوى عمار فقلت يحتاج الى ثبوت ان قتلهما كان بعد الاسراء هذا كلام الحافظ وفيه أن الركعتين اللتين كان يصليهما بالغداة وبالعشى قبل فرض الصلوات الخمس كانتا لبيت المقدس فقد تقدم أنه كان يصلى هو وأصحابه الى الكعبة ووجوههم الى بيت المقدس فكانوا يصلون بين الركنين اليمانى والذى عليه الحجر الاسود لاجل استقبال بيت المقدس وتقدم أنه صلى الله عليه وسلم لم يلتزم ذلك بل كان فى بعض الاوقات يصلى الى الكعبة فى أى جهة أراد ثم لما قدم المدينة صار يستقبل بيت المقدس ويستدبر الكعبة الى وقت التحويل ومن ثم قال فى الاصل ولما كان صلى الله عليه وسلم يتحرى القبلتين جميعا أى يجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس لم يتبين توجهه الى بيت المقدس للناس حتى خرج من مكة أى فانه استدبر الكعبة واستقبل بيت المقدس فقول ابن عباس لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة واليهود يستقبلون بيت المقدس أمره الله تعالى ان يستقبل بيت المقدس معناه أمره الله ان يستمر على استقبال بيت المقدس وهذا هو المراد بقوله الذى نقله بعضهم عنه وهو انه صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا يصلون بمكة الى الكعبة فلما هاجروا أمره الله تعالى أن يصلى نحو صخرة بيت المقدس أى يستمر على ذلك ويستدبر الكعبة ثم أمره الله باستقبال الكعبة واستدبار بيت المقدس فلم يقع النسخ مرتين كما قد يفهم من ظاهر السياق ومن قول ابن جرير صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما صلى الى الكعبة ثم صرف الى بيت المقدس وهو بمكة فصلى ثلاث حجج ثم هاجر فصلى اليه ثم وجهه الله تعالى الى الكعبة هذا كلامه ومن ثم قال الحافظ ابن حجر هذا ضعيف ويلزم منه دعوى النسخ مرتين قيل وكان أمره بمداومة استقبال بيت المقدس ليتألف أهل الكتاب لانه كان ابتداء الامر يجب ان يتألف أهل الكتاب فيما لم ينه عنه فلا يخالف ما سبق من انه كان يحب أن يستقبل الكعبة كراهة لموافقة اليهود فى استقبال بيت المقدس ولا يخالف هذا قول بعضهم كان صلى الله عليه وسلم قبل فتح مكة يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم ينه عنه وبعد الفتح يحب مخالفتهم لجواز ان يكون ذلك أغلب أحواله وقد يؤخذ من ان استدامة استقباله لبيت المقدس كان لتألف أهل الكتاب

عليكم وفرغت منها أسلمت ثم خرج فقدم المدينة وأخرج الحاكم بسند صحيح ان زينب رضى الله عنها هاجرت وأبو العاص على دينه فخرج الى الشام فى تجارة فلما كان قرب المدينة أراد بعض المسلمين الخروج اليه ليأخذوا مامعه ويقتلوه فبلغ ذلك زينب فقالت يارسول الله أليس عقد المسلمين وعهدهم واحدا قال نعم قالت فاشهد أنى قد أجرت أبا العاص فلما رأى ذلك الصحابة رضى الله عنهم خرجوا اليه بغير سلاح فقالوا له انك فى ١٤٨ شرف من قريش وأنت ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فهل لك أن تسلم فتغنم مامعك من أموال أهل مكة فقال بئس ماأمرتمونى به ان أفتخ دينى بغدرة فمضى الى مكة فسلمهم أموالهم وأسلم عندهم ثم هاجر وقيل ان أسره هذا كان بعد الحديبية على يد أبى بصير ومن معه من المسلمين لما أقاموا بالساحل يقطعون الطريق على تجار قريش مدة الهدنة وتقدم ان زينب كانت هاجرت قبله وتركته على شركه ثم بعد ان أسلم وهاجر ردها صلى الله عليه وسلم اليه بالنكاح الاول وقيل بنكاح جديد وهذا هو الذى عليه العمل لان الاسلام فرق بينهما قال الله تعالى لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن وقيل ان هذه الآية متأخرة عن هذه الوقعة فلم يكن اختلاف الدينين مقتضيا للتحريم الا بعد نزولها وفى الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم أثنى على أبى العاص فى مصاهرته خيرا وقال حدثنى فصدقنى ووعدنى ووفى لى وانه صلى الله عليه وسلم كان يصلى وهو حامل أمامة بنت زينب من أبى العاص رضى الله عنهما مات رضى الله عنه سنة اثنتى عشرة فى خلافة الصديق رضى الله عنه وأما زينب رضى الله عنها فتوفيت فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم وهى أكبر بناته رضى الله عنهن والله أعلم ﴿ثم سرية زيد بن حارثة رضى الله عنه أيضا الى الطرف﴾ بفتح الطاء اغرف

جواب عما يقال اذا كانت الكعبة قبلة الانبياء كلهم فلم وفق الى استقبال بيت المقدس وهو بمكة بناء على ان صلاته لبيت المقدس وهو بمكة كانت باجتهاد وحاصل الجواب انه أمر بذلك أو وفق اليه لانه سيصير الى قوم قبلتهم بيت المقدس ففيه تأليف لهم وقد يوافقه ما فى الاصل عن محمد بن كعب القرظى قال ماخالف نبى نبيا قط فى قبلة الا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استقبل بيت المقدس أى فهو مخالف لغيره من الانبياء فى ذلك وهذا موافق لما تقدم عن أبى العالية كانت الكعبة قبلة الانبياء أى ثم فى السنة المذكورة التى هى الثانية فرض صوم رمضان وفرضت زكاة الفطر وطلبت الاضحية أى استحبابا (وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه) فرض شهر رمضان بعد ماصرفت القبلة الى الكعبة بشهر فى شعبان أى على ماتقدم وكان صلى الله عليه وسلم يصوم هو وأصحابه قبل فرض رمضان ثلاثة أيام من كل شهر أى وهى الايام البيض وهى الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر قيل وجوبا فعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفطر الايام البيض فى حضر ولا سفر وكان يحث على صيامها وقيل كان الواجب عليه صلى الله عليه وسلم قبل فرض رمضان صوم عاشوراء ثم نسخ ذلك بوجوب رمضان وعاشوراء هو اليوم العاشر من شهر الله المحرم ففى البخارى ثم عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما صام النبى صلى الله عليه وسلم عاشوراء فلما فرض رمضان ترك صوم عاشوراء هذا والمشهور من مذهبنا معاشر الشافعية انه لم يجب على هذه الامة صوم قبل رمضان وحديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لا دلالة فيه على الوجوب لجواز أن يكون شأنه صلى الله عليه وسلم صيام تلك الايام على الوجه المذكور حتى بعد فرض رمضان وحديث البخارى أيضا لا دلالة فيه لجواز ان يكون تركه لصوم يوم عاشوراء فى بعض الاحايين بعد فرض رمضان خشية اعتقاد وجوب صومه كرمضان ويجاب بمثل ذلك عما فى الترمذى عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت كان عاشوراء يوما تصومه قريش فى الجاهلية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه موافقة لهم أى ولم يأمر أحدا من أصحابه بصيامه فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه فلما فرض رمضان كان رمضان هو الفريضة وترك عاشوراء فمن شاء صامه ومن شاء تركه أى ترك صلى الله عليه وسلم صومه خوفا من توهم انه فرض كرمضان وقولها رضى الله تعالى عنها فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه أى لانه صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة أى فى أيام قدومه للمدينة وذلك فى شهر ربيع الاول وجد اليهود تصومه وتعظمه فسألهم عن ذلك فقالوا يوم عظيم أنجى الله فيه موسى وقومه وأغرق فرعون وقومه فصامه موسى شكرا فنحن نصومه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه كما جاء ذلك عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وفى كلام الحافظ ناصر الدين عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة يوم عاشوراء فاذا اليهود صيام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماهذا قالوا هذا يوم

وكسر الراء وبالفاء كتكتف وهو ماء أى ماء عين على ستة وثلاثين ميلا من المدينة بطريق العراق وكانت فى جمادى الآخرة سنة ست نخرج الى بنى ثعلبة فى خمسة عشر رجلا فاصاب نعما وشاء وهربت الاعراب لانهم خافوا أن يكون صلى الله عليه وسلم سار اليهم بنفسه وان هؤلاء مقدمة له وصبح زيدا بالنعم المدينة وغاب أربع ليال عن المدينة ﴿ثم سرية زيد بن حارثة رضى الله عنه أيضا الى حسمى﴾



بكسر الحاء المهملة وكسر السين المهملة مقصورا وهى اسم أرض ينزلها جذام وراء واذى القرى وذلك من جهة الشام وكانت فى جمادى الآخرة سنة ست وقيل سنة سبع فتكون بعد الحديبية لانها بعد رجوع دحية من عند قيصر وبعث دحية الى قيصر كان آخر سنة ست بعد الحديبية وسبب هذه السرية انه أقبل دحية بن خليفة الكلبى رضى الله عنه من عند قيصر لما أرسله صلى الله عليه وسلم اليه بكتابه يدعوه الى الاسلام وقد أعطاه قيصر

جائزة وكساه لانه قارب أن يسلم ولم يسلم خوفا على ملكه فلقيه الهنيد بن عارض فى ناس من جذام بضم الجيم وبالذال المعجمة وهى قبيلة من معد بجبال حسمى فقطعوا عليه الطريق وأصابوا كل شئ كان معه ولم يتركوا عليه الا سمل ثوب وهو الخلق البالى من الثياب فسمع بذلك نفر من بنى الضبيب رهط رفاعة بن زيد الجذامى ممن كان أسلم فاستنقذوا دحية متاعه وفى رواية فنفروا الى الهنيد ومن معه حتى لقوهم فاقتتلوا معهم واستنقذوا ما كان فى أيديهم وردوه على دحية فقدم دحية على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك فبعث زيد بن حارثة رضى الله عنه فى خمسمائة رجل ورد معه دحية فكان زيد يسير بالليل ويكمن بالنهار ومعه دليل من بنى عذرة فاقبل بهم حتى هجموا مع الصبح على القوم فاغاروا عليهم فقتلوا فيهم فاوجعوا أى أكثروا فيهم القتل وقتلوا الهنيد وابنه وأخذوا ماشيتهم ونساءهم فاخذوا من الابل ألف بعير ومن الشاء خمسة آلاف شاة ومن السبى مائة من النساء والصبيان فرحل رفاعة ابن زيد الجذامى فى نفر من قومه فدفع لرسول الله صلى الله عليه وسلم كتابه الذى كان كتبه له واقومه

أغرق الله تعالى فيه فرعون وأنجى فيه موسى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أولى بموسى فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بصومه هذا حديث صحيح أخرجه البخارى ومسلم والمدينة يحتمل ان المراد بها قباء ويحتمل ان المراد بها باطنها قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فلما فرض رمضان قال صلى الله عليه وسلم أى لاصحابه من شاء صامه ومن شاء تركه أى قال ذلك لهم خشية اعتقادهم وجوب صومه كوجوب صوم رمضان وفى كونه صلى الله عليه وسلم وجدهم صائمين لذلك اليوم اشكال لان يوم عاشوراء هو اليوم العاشر من شهر الله المحرم كما تقدم أو هو اليوم التاسع منه كما يقول ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فكيف يكون فى ربيع الاول وأجيب بان السنة عند اليهود شمسية لا قمرية فيوم عاشوراء الذى كان عاشر المحرم واتفق فيه غرق فرعون لا يتقيد بكونه عاشر المحرم بل اتفق فى ذلك الزمن أى زمن قدومه صلى الله عليه وسلم وجود ذلك اليوم بدليل سؤاله صلى الله عليه وسلم اذ لو كان ذلك اليوم يوم عاشوراء ما سأل ومما يدل على ذلك ما فى المعجم الكبير للطبرانى عن خارجة بن زيد قال ليس يوم عاشوراء اليوم الذى تقوله الناس انما كان يوم تستر فيه الكعبة وتلعب فيه الحبشة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يدور فى السنة وكان الناس يأتون فلانا اليهودى فيسألونه فلما مات اليهودى أتوا زيد بن ثابت فسألوه فصام صلى الله عليه وسلم ذلك اليوم وأمر بصيامه حتى انه أرسل فى ذلك اليوم أسلم بن حارثة الى قومه وهم أسلم وقال مر قومك بصيام عاشوراء فقال أرأيت ان وجدتهم قد طعموا قال فليتموا أى يمسكوا تعظيما لذلك اليوم (وفى دلائل النبوة) للبيهقى عن بعض الصحابيات قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعظم يوم عاشوراء ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو يوم عاشوراء بالرضعاء فيتفل فى أفواههم ويقول للامهات لا ترضعنهن الى الليل والظاهر ان المراد بيوم عاشوراء هذا اليوم الذى هو عاشر المحرم الهلالى لا الشمسى وكذا يقال فى قوله وقيل سمى الخ فليتأمل وقيل سمى يوم عاشوراء لان عشرة من الانبياء أكرمهم الله تعالى فيه بعشر كرامات تاب الله فيه على آدم واستوت فيه سفينة نوح على الجودى أى فصامه نوح ومن معه حتى الوحش شكرا لله ورفع الله فيه ادريس ونصر الله فيه موسى ونجى فيه ابراهيم من النار وفيه أخرج يوسف من السجن أى وفيه ولد ورد فيه على والده يعقوب وأخرج فيه يونس من بطن الحوت أى وتاب الله على مدينته وتاب الله فيه على داود وعوفى فيه أيوب وفى كلام الحافظ ابن ناصر الدين عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل افترض على بنى اسرائيل صوم يوم فى السنة وهو يوم عاشوراء وهو اليوم العاشر من المحرم فصوموه ووسعوا على أهاليكم فيه فانه من وسع على أهله من ماله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر سنته فصوموه وهو اليوم الذى تاب الله فيه على آدم وذكر ما تقدم وزاد عليه وانه اليوم الذى أنزل الله فيه التوراة على موسى وفيه فدى الله اسمعيل من الذبح وهو اليوم الذى رد الله فيه على يعقوب بصره وهو اليوم الذى

ليسالى قدم عليه فاسلم وفيه بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله الى رفاعة بن زيد انى بعثته الى قومه عامة ومن دخل فيهم يدعوهم الى الله والى رسوله صلى الله عليه وسلم فمن أقبل ففى حزب الله وحزب رسوله ومن أدبر فله أمان شهرين فلما قدم على قومه أسلموا فلم يلبث ان جاء دحية من عند قيصر الى آخر القصة المتقدمة فلما سمع بنو الضبيب بما صنع زيد بن حارثة رضى الله عنه ركب نفر منهم حسان بن ملة وأبو زيد بن عمرو فلما وقفوا على زيد بن حارثة رضى الله عنه قال حسان انا قوم مسلمون فقال اقرأ

أم الكتاب فقرأها فقال زيد نادوا في الجيش ان الله قد حرم علينا غنمة القوم التي جاؤا منها الا من خبر وكانت أخت حسان في الاسارى
فقال له زيد خذها فقالت امرأة أتنطلقون ببناتكم وتذرون أمهاتكم فقال زيد لاخت حسان اجلسي مع بنات عمك حتى يحكم الله
فيكن ونهى الجيش أن يهبطوا الى واديهم الذي جاؤا منه فامسوا في أهلهم فلما شربوا اعتمهم ركبوا حتى صبحوا رفاعة فقال له حسان
ابن ملة انك لجالس تحلب المعز ونساء ١٥٠ جذام أسارى قد غمرها كتابك الذي جئت به فدعا رفاعة بجمل فشد عليه رحله

وخرج معه جماعة فساروا ثلاث ليال فلما دخلوا المدينة وانتهوا الى المسجد دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآهم ألاح لهم ببرده أن تعالوا من وراء الناس فاستفتح رفاعة المنطق فقام رجل فقال يارسول الله ان هؤلاء قوم عسرة فردد ها مرتين أي عندهم فصاحة لسان وبيان فقال رفاعة رحم الله من لم يحذنا في يومنا هذا الاخير ثم دفع كتابه اليه صلى الله عليه وسلم فقال دونك يارسول الله فقال صلى الله عليه وسلم ياغلام اقرأه وأعلن فلما قرأه استخبرهم فاخبروه الخبر فقال صلى الله عليه وسلم كيف أصنع بالقتلى ثلاث مرار فقال رفاعة أنت أعلم يارسول الله لا تحرم عليك حلالا ولا تحل لك حراما فقال أبو زيد بن عمرو أطلق لنا يارسول الله من كان حيا ومن قتل فهو تحت قدمي هذه فقال صلى الله عليه وسلم صدق أبو زيد اركب معهم ياعلي فقال ان زيدا لن يطيعني فقال خذ سيفي هذا فاعطاه سيفه فقال ليس لي راحلة فحملوه على بعير وخرجوا فاذا رسول لزيد على ناقة من ابلهم فانزلوه عنها فقال ياعلي ماشأني قال مالهم عرفوه فاخذوه ثم ساروا فوجدوا الجيش بفيفاء فاخذوا ما في أيديهم حتى كانوا ينزعون المرأة من تحت فخذ الرجل وأخبروهم بان النبي صلى الله عليه وسلم انما بعث عليا رضي الله عنه الى زيد بن حارثة رضي الله عنه قال يأمره أن يخلي بينهم وبين حرمهم وأموالهم وفي رواية فقال علي رضي الله عنه لزيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن ترد على هؤلاء القوم ما بيدك من أسر أو سبي أو مال فقال زيد رضي الله عنه علامة من رسول الله صلى الله عليه وسلم أي اطلب علامة فقال علي رضي الله عنه هذا سيفه فعرفه زيد فنزل وصاح بالناس فاجتمعوا فقال من كان معه شيء من سبي أو مال فليرده فهذا رسول

رد الله فيه على سليمان ملكه وهو اليوم الذي غفر الله فيه لمحمد صلى الله عليه وسلم ذنبه ما تقدم وما تأخر وأول يوم خلق من الدنيا يوم عاشوراء وأول مطر نزل من السماء يوم عاشوراء وأول رحمة نزلت من السماء يوم عاشوراء فمن صام يوم عاشوراء فكأنما صام الدهر كله وهو صوم الانبياء الحديث بطوله ثم قال هذا حديث حسن ورجاله ثقات وذكر الحافظ المذكور عن بعضهم قال كنت أفت للنمل خبزا في كل يوم فلما كان يوم عاشوراء لم تأكل وتقدم ان الصرد أول طير صام يوم عاشوراء وفي كلام بعضهم ما قيل في يوم عاشوراء كانت توبة آدم الى آخر ما تقدم من الاحاديث الموضوعة وفي كلام بعض آخر ما يفعل فيه من اظهار الزينة بالخضاب والاكتحال ولبس الجديد وطبخ الحبوب والاطعمة والاغتسال والتطيب من وضع الكذابين والحاصل ان الرافضة اتخذوا ذلك مأتما يندبون وينوحون ويحزنون فيه والجهال اتخذوا ذلك موسما وكلاهما مخالف للسنة وأما التوسعة فيه على العيال فحديثها وان لم يكن صحيحا فهو حسن خلافا لقول ابن تيمية ان التوسعة على العيال لم يرد فيها شيء عنه صلى الله عليه وسلم وكان صلى الله عليه وسلم يصوم عاشوراء كما تصومه اليهود أي ويوم عاشوراء مختلف لانه عند اليهود من السنة الشمسية وعند أهل الاسلام من السنة الهلالية وفي مسلم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صام يوم عاشوراء وأمر بصيامه قال له بعض الصحابة يارسول الله انه يوم تعظمه اليهود فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان العام المقبل صمنا اليوم التاسع قبله أي مخالفة لليهود فلم يأت العام المقبل حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي هذا الحديث اشكال فان سياقه يدل على انه صلى الله عليه وسلم ما صام يوم عاشوراء ولا أمر بصيامه الا في السنة التي توفي فيها وهو مخالف لما سبق ويجاب عن هذا الاشكال بأن المراد بقوله حين صام أي حين واظب على صومه واتفق ان قول بعض الصحابة ذلك كان في السنة التي توفي فيها وهو صلى الله عليه وسلم كان شأنه موافقة أهل الكتاب قبل فتح مكة ومخالفتهم بعده كما تقدم وبعض متأخري فقهائنا ظن ان قوله صلى الله عليه وسلم اذا كان العام المقبل ان شاء الله تعالى صمنا اليوم التاسع من تتمة حديث ولما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة وجد اليهود تصومه فصامه وأمر بصيامه فاستشكل وأجاب بأن المراد لما قدم من سفرة سافرها من المدينة بعد الهجرة أي وكان قدومه من تلك السفرة في السنة التي توفي فيها وقد علمت انهما حديثان وقد علمت معنى الحديث الذي تتمته اذا كان العام المقبل وفي كون اغراق فرعون ونجاة موسى كان يوم قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة يلزم عليه أن ذلك اليوم انتقل من ذلك الشهر الى اليوم العاشر من المحرم الذي هو الشهر الهلالي من السنة الثانية واستمر كذلك كما هو ظاهر سياق الاحاديث أن الذي واظب على صيامه انما هو ذلك اليوم وكونه وافق اليهود على صوم ذلك اليوم ثم خالفهم في السنة الثانية وما بعدها من أبعد البعيد ثم رأيت أبا الريحان البيروني نازع في ذلك في كتابه الآثار الباقية عن القرون الخالية حيث

رسول الله صلى الله عليه وسلم فرد عليهم كل ما أخذ منهم وظاهر السياق يقتضي انهم كانوا يطؤن الجواري بلا استبراء وهو كذلك لان وجوبه انما كان في سبي هوازن والله أعلم ﴿ثم سرية زيد بن حارثة أيضا﴾ رضي الله عنه الى وادي القرى وهو موضع قريب من المدينة على طريق الحاج من جهة الشام وكانت في رجب سنة ست سار رضي الله عنه الى وادي القرى فلقي به بني فزارة وقاتلهم فقتل منهم وقتل من المسلمين قتلى منهم ورد بن مرداس رضي الله عنه وجمل منهم جريح به رمق والله أعلم

﴿سرية عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه الى دومة الجندل﴾

بضم الدال المهملة وبفتحها وبفتح الجيم وسكون النون وفتح الدال وباللام آخره وهو حصن وقرى من طرف الشام بينها وبين دمشق خمس ليال وبينها وبين المدينة خمس عشرة أو ست عشرة ليلة وكانت في شعبان سنة ست من الهجرة وقد ذكر ابن اسحق في أول هذه القصة حديثا في أوله زيادة لا بأس بذكرها فقال حدثني من لا أتهم عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كنت عاشر عشرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجده أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف وابن مسعود ومعاذ وحذيفة وأبو سعيد اذ أقبل فتى من الانصار فسلم ثم جلس فقال يا رسول الله أي المؤمنين أفضل قال أحسنهم خلقا قال فاي المؤمنين اكيس قال أكثرهم للموت ذكرا وأكثرهم له استعدادا قبل أن ينزل به أولئك هم الاكياس ثم سكت الفتى وأقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا معشر المهاجرين خمس خصال اذا نزلن بكم وأعوذ بالله أن تدركوهن انه لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها الا ظهر فيهم الطاعون والاوجاع التي لم تكن في اسلافهم الذين مضوا ولم ينقصوا المكيال والميزان الا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان ولم يمنعوا الزكاة من أموالهم الا منعوا القطر من السماء فلولا البهائم ما مطروا وما نقضوا عهد الله عز وجل وعهد رسوله الا سلط عليهم عدو من غيرهم فاخذوا ما كان في أيديهم وما لم يحكم أئمتهم بكتاب الله وتجروا فيما أنزل الله الا جعل بأسهم بينهم ثم أمر عبد الرحمن بن عوف ان يتجهز لسرية يبعثه عليها فاصبح وقد اعتم بعمامة من كرابيس سوداء فادناه صلى الله عليه وسلم منه فاقعده بين يديه وعممه بيده وفي

قال رواية ان الله أغرق فرعون ونجى موسى وقومه يوم قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة الامتحان يشهد عليها بالبطلان وبين ذلك بما يطول وحينئذ يكون من جملة ما يحكم عليه بالبطلان اقرارهم على ذلك وكونه صلى الله عليه وسلم صامه وأمر بصيامه وفرض الله عز وجل عليه صلى الله عليه وسلم وعلى أمته صيام شهر رمضان أو الاطعام عن كل يوم مسكينا بقوله تعالى وعلى الذين يطيقونه من الاصحاء المقيمين فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا أي زاد على اطعام المسكين فهو خير له وان تصوموا خير لكم أي من الفطر والاطعام فكان من شاء صام ومن شاء أطعم عن كل يوم مدا ثم ان الله تعالى نسخ هذا التخيير بايجاب صوم رمضان عينا بقوله فمن شهد منكم الشهر أي علمه فليصمه الا في حق من لا يستطيع صومه لكبر أو لمرض لا يرجى زواله فيجزيه الاطعام ورخص فيه للمريض أي اذا كان بحيث تحصل له مشقة تبيح التيمم وللمسافر أي الذي يباح له قصر الصلاة وان لم يحصل له مشقة بالكلية مع وجوب القضاء اذا زال المرض والسفر بقوله تعالى ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر أي فأفطر فعليه صيام عدة ما أفطر من أيام أخر وكانوا يأكلون ويشربون ويأتون النساء ما لم يناموا بعد الغروب أو يدخل وقت العشاء الآخرة فاذا ناموا أو دخل وقت العشاء الآخرة امتنع عليهم ذلك الى الليلة القابلة ثم نسخ الله ذلك وأحل الاكل والشرب واتيان النساء الى طلوع الفجر ولو بعد النوم ودخول وقت العشاء بقوله تعالى أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم ثم قال تعالى وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود ولما فهم بعض الصحابة ان المراد الخيط حقيقة حتى صار يجعل عند وسادته حبلا أبيض وحبلا أسود أنزل الله تعالى من الفجر اشارة الى أن المراد بياض النهار وسواد الليل * وذكر في التفسير في سبب نزول هذه الآية ان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه واقع أهله بعد ما صلى العشاء فلما اغتسل أخذ يبكي ويلوم نفسه فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أعتذر الى الله والبك من نفسي هذه الخاطئة اني رجعت الى أهلي فوجدت رائحة طيبة فسولت لي نفسي فجامعت أهلي فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما كنت جديرا بذلك يا عمر فقام رجال فاعترفوا بمثله فنزلت وذكر له صلى الله عليه وسلم ان بعض أصحابه سقط مغشيا عليه بسبب الصوم فسأله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فاخبر أنه أهل حرث وانه جاء لينظر ما تعمله له زوجته ليتعشى به فغلبته عينه فنام فلم يستيقظ الا بعد الغروب فلم يتناول شيأ فانزل الله تعالى وكلوا واشربوا الآية وقوله تعالى كما كتب على الذين من قبلكم جاء في بعض الروايات أن المراد بهم أهل الكتاب أي اليهود والنصارى وجاء في بعضها ان المراد بهم النصارى خاصة وجاء في بعض الروايات أن المراد بهم جميع الامم السابقة فقد جاء ما من أمة الا وجب عليها صوم رمضان الا أنهم أخطؤه ولم يهتدوا له وهذه الرواية تدل على أنه لم يصمه أحد من الامم السابقة فصومه من خصوصيات هذه الامة وفي الانساب لابن قتيبة أول من صام رمضان نوح عليه السلام هذا كلامه وفي بعض

رواية نقضها ثم عممه بها فارسل من خلفه أربع أصابع أو نحو ذلك ثم قال هكذا يا ابن عوف فاعتم فانه أحسن وأعرف ثم أمر بلالا أن يدفع اليه اللواء فدفعه اليه ثم حمد الله وصلى على نفسه صلى الله عليه وسلم ثم قال خذها يا ابن عوف اغزوا جميعا فى سبيل الله فقاتلوا من كفر بالله ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا فهذا عهد الله وسيرة نبيه فيكم فأخذ عبد الرحمن اللواء وفى رواية بعثه الى كلب بدومة الجندل وقال ان استجابوا ١٥٢ لك أى أطاعوك فاسلموا فتزوج ابنة ملكهم فسار عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه بجيشه حتى قدم دومة الجندل فمكث ثلاثة أيام يدعوهم الى الاسلام وقد كانوا أبوا أول ما قدم عليهم أن يعطوا الا السيف ثم أسلم فى اليوم الثالث الاصبغ بن عمرو الكلبى وكان نصرانيا وكان ملكهم ورئيسهم وأسلم معه ناس كثير من قومه وأقام عبد الرحمن بقيتهم بالجزية وتزوج ماضر بنت الاصبغ وقدم بها المدينة ففازت بشرف الصحبة رضى الله عنها وفى رواية ان عبد الرحمن رضى الله عنه كتب الى النبى صلى الله عليه وسلم يخبره باسلام من أسلم من القوم وانه أراد ان يتزوج فيهم فكتب اليه صلى الله عليه وسلم أن يتزوج بنت الاصبغ فتزوجها ويمكن الجمع بين الروايتين بان عبد الرحمن لم يكتف بقوله أولا فان استجابوا لك فتزوج ابنة ملكهم لاحتمال انه أراد ان أسلم الجميع مع انه قد بقى منهم جماعة على الجزية فكتب اليه احتياطا فولدت له بعد ذلك سنة بضع وعشرين من الهجرة أبا سلمة وهو الحافظ الثقة كثير الحديث امام العلماء وهو من كبار التابعين واسمه عبد الله وقيل اسمعيل توفى سنة أربع وتسعين والله أعلم

❁ سرية على بن أبى طالب كرم الله وجهه و رضى الله عنه ❁

ومعه مائة رجل الى بنى سعد بن بكر أى الى حى منهم وكانت فى شعبان سنة ست من الهجرة وسببها انه بلغه صلى الله عليه وسلم انهم ساعون فى جمع الناس من يريدون أن يمدوا يهود خيبر فسار على رضى الله عنه الليل وكمن النهار حتى انتهى الى الغمج بفتح الغين وكسر الميم آخره جيم اسم ماء لبنى فدك وخيبر فوجد وا به رجلا فقالوا ما أنت قال باغ أى طالب لشئ ضل منى فقالوا هل لك علم بما وراءك من جمع بنى سعد قال لا علم لى فشدوا عليه فاقر أنه عين لهم بعثوه الى خيبر يعرض على يهودها نصرهم على أن يجعلوا لهم من تمرها كما جعلوا لغيرهم ويقدمون

الروايات ما يفيد أن النصارى صامته واتفق انه وقع فى بعض السنين فى شدة الحر فاقتضى رأيهم تأخيره بين الصيف والشتاء وأن يزيدوا فى مقابلة تأخيره عشرين يوما وعلى هذا فصومه ليس من خصائص هذه الامة وقيل التشبيه انما هو فى مطلق الصوم لا فى خصوص صوم رمضان لانه كان الواجب على جميع ما تقدم من الامم صوم ثلاثة أيام من كل شهر صام ذلك نوح فمن دونه حتى صامه النبى صلى الله عليه وسلم كما تقدم وتقدم أن تلك الايام التى صامها صلى الله عليه وسلم كانت البيض التى هى الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر وتقدم انه قيل ان صوم ذلك كان واجبا عليه صلى الله عليه وسلم وعلى أمته وقيل كان الواجب عليه وعلى أصحابه قبل صوم رمضان عاشوراء وتقدم رده وكان فرض زكاة الفطر قبل العيد بيومين وكان صلى الله عليه وسلم يخطب قبل العيد بيومين يعلم الناس زكاة الفطر فيه أمر باخراج تلك الزكاة قبل الخروج الى صلاة العيد أى بعد ان شرعت لان مشروعيتها تأخرت عن مشروعية صلاة عيد الاضحى وكان فرض زكاة الفطر قبل فرض زكاة الاموال وكان فرض زكاة الاموال فى تلك السنة التى هى الثانية ولم أقف على خصوص الشهر الذى وجبت فيه قال بعضهم ولعل هذا محمل قول بعض المتأخرين المطلعين على الفقه والحديث لم يتحرر لى وقت فرض الزكاة أى زكاة المال ولعله عنى ببعض المتأخرين الامام سراج الدين البلقينى رحمه الله لان الامام سراج الدين البلقينى سئل هل علمت السنة التى فرضت فيها زكاة المال فاجاب بقوله لم يتعرض الحفاظ ولا أصحاب السير للسنة التى فرض فيها زكاة المال ووقع لى حديث ظهر منه ما تقريب ذلك ولم أسبق اليه ثم قال فقد ظهر أن زكاة المال بعد زكاة الفطر وقبل قدوم ضمار بن ثعلبة وقدومه كان فى السنة الخامسة هذا كلامه وقيل فرضت زكاة الفطر قبل الهجرة وعليه يحمل ظاهر ما فى سفر السعادة كان صلى الله عليه وسلم يرسل مناديا ينادى فى الاسواق والمحلات والازقة من مكة ألا ان صدقة الفطر واجبة على كل مسلم ومسلمة الحديث وردبانه لم يفرض قبل الهجرة بعد الايمان الا الصلوات الخمس وكل الفروض فرضت بعد الهجرة وفيه انه فرض قيام الليل كما تقدم وصلاة الركعتين بالغداة والركعتين بالعشى على ما تقدم الا أن يقال المراد الفروض الموجودة الآن المستمر فرضها وما تقدم عن سفر السعادة يجوز أن يكون صلى الله عليه وسلم يرسل المنادى الذى ينادى فى مكة بوجوب زكاة الفطر وهو بالمدينة بعد وجوبها بالمدينة وأمر صلى الله عليه وسلم أن تخرج زكاة الفطر عن الصغير والكبير والحر والعبد والذكر والانثى صاع من تمر أو صاع من شعير أو صاع من زبيب أو صاع من بر فكان يصلى العيدين قبل الخطبة بلا أذان ولا اقامة أى بل يقال الصلاة جامعة لكن فى سفر السعادة وكان صلى الله عليه وسلم اذا بلغ المصلى شرع فى الصلاة من وقته بلا أذان ولا اقامة ولا الصلاة جامعة والسنة أن لا يكبر شئ من هذا كله هذا كلامه وكانت تحمل العنزة بين يديه فاذا وصل المصلى نصبت تجاهه وهى عصا قدر نصف الرمح فى أسفلها زج

عليهم فقالوا له فاين القوم قال تركتهم قد تجمع منهم مائتا رجل قالوا فسر بنا حتى ندلنا قال على أن تؤمنونى قالوا ان دللتنا عليهم أو على سرحهم أمنالك والا فلا أمان لك قال فذاك نخرج بهم دليلا حتى ساء ظنهم به ثم أفضى بهم الى أرض مستوية فاذا نعم كثيرة وشاء فقال هذه نعمهم وشاؤهم فاغاروا عليها فقال ارسلونى فقالوا لا حتى نأمن الطلب وهرب الرعاء الى جمعهم فحذرهم فتفرقوا فقال الدليل علام تحبسونى وقد تفرقت الاعراب قال على حتى نبلغ معسكرهم فانتهى بهم اليه ١٥٣ فلم ير أحدا فارسلوه وساقوا النعم والشاء معهم وكانت خمسمائة بعير وألفى شاة وهربت بنو سعد بالظعن وقدم على رضى الله عنه ومن معه المدينة ولم يلقوا كيدا ورد الله كيد المشركين فلم يعدوا اليهود والله أعلم

من حديد وكانت تلك العنزة للزبير بن العوام قدم بها من أرض الحبشة فاخذها منه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يصلى اليها أى أخذها منه بعد وقعة بدر وقد قتل بها الزبير عبيدة بفتح العين المهملة وبضمها ابن سعيد بن العاص الذى كان يقال له أبو ذات الكرش قال الزبير لقيته لا يرى منه الا عيناه فقال لى أنا أبو ذات الكرش فحملت عليه بالعنزة فطعنته فى عينه فمات وأردت اخراجها فوضعت رجلى عليه ثم تمطيت فكان الجهد أن نزعتها وقد انثنى طرفها

ولما قبض صلى الله عليه وسلم أخذها الزبير ثم طلبها أبو بكر رضى الله تعالى عنه فاعطاه اياها فلما قبض أبو بكر رضى الله تعالى عنه أخذها الزبير ثم سألها عمر رضى الله تعالى عنه فاعطاه اياها فلما قبض عمر أخذها ثم طلبها عثمان فاعطاه اياها فلما قتل دفعت الى على ثم أخذها عبد الله بن الزبير فكانت عنده حتى قتل وكان صلى الله عليه وسلم اذا رجع من صلاة عيد الفطر وخطبته يقسم زكاة الفطر بين المساكين ولعل المراد الزكاة المتعلقة به لانه تقدم انه صلى الله عليه وسلم كان يأمر الناس باخراجها قبل الصلاة الا أن يقال المراد باخراجها جمعها له صلى الله عليه وسلم ليفرقها واذا فرغ صلى الله عليه وسلم من صلاة الاضحى وخطبته يؤتى له بكبشين وهو قائم فى مصلاه فيذبح أحدهما بيده ويقول هذا عن أمتى جميعا من شهد لك بالتوحيد وشهد لى بالبلاغ وعند الحاكم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذبح كبشا أقرن يأطى أى بعد أن قال بسم الله والله أكبر وقال اللهم هذا عنى وعمن لم يضح من أمتى واستدل بذلك على أن من خصائصه صلى الله عليه وسلم أن يضحى عن غيره بغير اذنه ويذبح الآخر ويقول هذا عن محمد وآل محمد فيأكل هو وأهله منهما ويطعم المساكين ولم يترك الاضحية قط وهل كانت الانبياء من بعد ابراهيم تضحى هم وأممهم أو هم خاصة ٥ وكان فى مسجده صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة قبل أن يوضع له المنبر يخطب ويسند ظهره الى اسطوانة من جذوع النخل أو من الدوم وهو شجر المقل وعبارة بعضهم كان يخطب الناس وهو مستند الى جذع عند مصلاه فى الحائط القبلى فلما كثر الناس أى وقالوا له صلى الله عليه وسلم لو اتخذت شيأ تقوم عليه اذا خطبت يراك الناس وتسمعهم خطبتك فقال ابنوا لى منبرا فلما بنى له المنبر عتمتين أى ومحل الجلوس فكان ثلاث درجات وقام عليه فى يوم جمعة أى وخطب وفى لفظ لما عدل الى المنبر ليخطب عليه وجاوز ذلك الجذع سمع لتلك الاسطوانة حنين كحنين الواله بصوت هائل سمعه أهل المسجد حتى ارتج أى اضطرب المسجد وكثر بكاء الناس لذلك ولا زالت تحن حتى تصدعت وانشقت أى وفى رواية سمع له صوت كصوت العشار أى النوق التى أتى لحملها عشرة أشهر وقيل التى أخذ ولدها وفى بعض الروايات كحنين الناقة الحلوج وهى التى انتزع ولدها منها وفى رواية تجأر بفتح الجيم وبعدها همزة مفتوحة أى صوت أو بالخاء المعجمة بلا همزة وهو بمعناه كخوار الثور فنزل صلى الله عليه وسلم فالتزمها وحضنها أى فجعلت تئن أنين الصبى الذى يسكت فيسكت أى وفى كلام بعضهم وذكر الاسفرايينى ان النبى صلى الله عليه

﴿سرية زيد بن حارثة رضى الله عنه الى أم قرفة﴾

بكسر القاف وسكون الراء وبالفاء وتاء التأنيث وهو اسم امرأة وهى بنت ربيعة بن بدر الفزارى التى جرى فيها المثل أمنع من أم قرفة لانها كان يعلق فى بيتها خمسون سيفا لخمسين رجلا كلهم لها محرم كنيت بابن لها يسمى قرفة وكان لها عشرة بنين وبنتان وكانت بناحية وادى القرى على سبع ليال من المدينة جهة الشام وكانت هذه السرية فى رمضان سنة ست من الهجرة وسببها ان زيد بن حارثة رضى الله عنه خرج فى تجارة الى الشام ومعه بضائع لاصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فلما كان بوادى القرى لقيه ناس من فزارة من بنى بدر فضربوه وضربوا أصحابه وأخذوا ما كان معهم وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره وفى رواية ان زيدا رضى الله عنه حلف ان لا يمس رأسه غسل من جنابة حتى يغزو بنى فزارة فرجع وأخبر النبى صلى الله عليه وسلم فبعثه اليهم فى جيش

٢٠ سيره ثانى وقال لهم اكمنوا النهار وسيروا الليل فكمن هو وأصحابه بالنهار وساروا بالليل ومعهم دليل من فزارة فعلمت بهم بنو فزارة فجعلوا لهم ناظورا لخين يصعدون يصعد على جبل مشرف فينظر وجه الطريق الذى يرون انهم يؤتون منه فيبصر مسافة يوم فاكثر فيقول اسرحوا اسرحوا لا بأس عليكم فاذا كان العشاء اشرف على ذلك الجبل فينظر مسيرة ليلة فيقول ناموا لا بأس عليكم فلما كان الصحابة على تحويلة أخطأ دليلهم الطريق فسار فى آخر حتى أمسوا وهم على خطافعاينوا الحاضرين من بنى فزارة فحمدوا

خطأهم ثم صبحهم زيد وأصحابه وكبروا واحاطوا بهن حضر من بني فزارة فقتلوهم وأخذوا أم قرفة وكانت ملكة رئيسة وكانت ذات شرف في قومها وأخذوا ابنتها جارية بنت مالك بن حذيفة بن بدر وعمه قيس بن المحسر وقيل ابن سحل الى أم قرفة وهي عجوز كبيرة فأسرها وبنتها ففتلها قتلا عنيفا ربط رجليها بحبلين ثم ربطهما الى بعيرين حتى شقهما وانما قتلها كذلك اسبها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لانها جهزت ثلاثين راكبا من ولدها وولد ولدها وقالت اغزوا المدينة واقتلوا محمدا وقدم زيد بن حارثة

رضي الله عنه من وجهه ذلك فقرع باب النبي صلى الله عليه وسلم فقام صلى الله عليه وسلم اليه وهو يجر ثوبه حتى اعتنقه وقبله وسأله فأخبره بما ظفره الله به وكان سلمة بن الاكوع رضي الله عنه هو الذي أسر بنت أم قرفة فسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم فوهبها له ثم وهبها صلى الله عليه وسلم لخاله حزن ابن أبي وهب فولدت له عبد الرحمن ابن حزن

﴿سرية عبد الله بن عتيك﴾

لقتل أبي رافع عبد الله أو سلام بشد اللام ابن أبي الحقيق بضم الحاء وقافين بينهما تحتية مصغرا اليهودي وهو من الذين حزبوا الاحزاب يوم الخندق وأعان المشركين بالمال الكثير بعث اليه صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عتيك بفتح العين المهملة وكسر التاء الفوقية وسكون الياء وبالكاف الخزرجي الانصاري رضي الله عنه في رمضان سنة ست وقيل في ذي الحجة سنة خمس بعد وقعة الاحزاب وفي البخاري قال الزهري بعد قتل كعب بن الاشرف الواقع سنة ثلاث قال ابن اسحق ان الزهري أخذ ذلك عن عبد الله بن كعب بن مالك فقال لما قتلت الاوس كعب بن الاشرف في عداوته للنبي صلى الله عليه وسلم بعد اذنه صلى الله عليه وسلم وتحريضه

هكذا

عليه استأذنته الخزرج في قتل سلام بن أبي الحقيق وهو بخيبر قال ابن اسحق حدثني محمد بن مسلم بن شهاب عن عبد الله بن كعب ابن مالك قال كان مما صنع الله لرسوله صلى الله عليه وسلم ان الاوس والخزرج كانا يتصاولان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تصاول الفحلين أي يحمل كل منهما على الآخر والمراد ان كلا من الاوس والخزرج يدفع عن النبي صلى الله عليه وسلم ويتفاخر بذلك لا يصنع

وسلم دعاه الى نفسه فجاءه يخرق الارض فالتزمه فعاد الى مكانه وفي رواية ووضع يده عليها وقال لها اسكني واسكني فسكتت وفي رواية ان هذا أي الجذع يبكي لما فقد من الذكر والذي نفسي بيده لو لم ألتزمه لم يزل هكذا أي يحن الى يوم القيامة زاد في رواية حزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله لما فقد من الذكر هو واضح على الرواية الاولى وأما على الثانية فالمراد لما يفقده من الذكر والى حنين الجذع أشار الامام السبكي رحمه الله تعالى في تائيته بقوله

وحن اليك الجذع حين تركته * حنين الثكالى عند فقد الاحبة

وعن بعضهم قال قال لي الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه ما أعطى الله نبيا ما أعطى محمدا صلى الله عليه وسلم فقلت اعطى عيسى احياء الموتى فقال اعطى محمدا صلى الله عليه وسلم حنين الجذع فهذا أكبر من ذاك وفي رواية لا تلوموه أي الجذع على حنينه فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفارق شيأ الا وجد عليه أي حزن وفي رواية انه قال له ان شئت ادرك الى الحائط أي البستان الذي كنت فيه تنبت لك عروقك ويكمل خلقك ويجد ذلك خوص وثمرة وان شئت اغرسك في الجنة فيأكل أولياء الله من ثمرك ثم اصغى له صلى الله عليه وسلم يسمع ما يقول فقال بصوت سمعه من يليه بل تغرسني في الجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فعلت قد فعلت وفي رواية لما أصغى اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل فقال اختار ان اغرسه في الجنة أي وفي رواية اختار دار البقاء على دار الفناء ولا يخالف ما قبله لانه يجوز ان يكون السائل من غير من سمع جوابه وأمر به فدفن تحت المنبر وقيل جعل في السقف وأخذه عند أبي رضي الله عنه بعد ان هدم المسجد وازيل سقفه فكان عنده الى ان أكلته الارضة وعاد رفاتا أي متكسرا من شدة اليبس (أقول) في سيرة الحافظ الدمياطي قالوا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة يخطب الى جذع في المسجد قائما فقال ان اقيام شق علي فقال له تميم الداري الا اعمل لك منبرا كما رأيت يصنع بالشام أي تصنعه النصارى في كنائسهم لاساقفتهم تسمى المرقاة يصعدون عليها عند تذكيرهم فتشاور رسول الله صلى الله عليه وسلم مع المسلمين في ذلك فرأوا ان يتخذوه فقال العباس بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنهما ان لي غلاما يقال له كلاب أعلم الناس أي بالنجارة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مره ان يعمله فارسله الى اثلة بالغابة فقطعها ثم عمل منها درجتين ومقعدا ثم جاء به فوضعه في موضعه اليوم فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام عليه أي وقال ان أتخذ منبرا فقد اتخذه أبي ابراهيم أي ولعله صلى الله عليه وسلم عنى به المقام الذي كان يقوم عليه عند بناء البيت وهو الحجر الا ان ثبت ان ابراهيم كان له منبر يحدث عليه الناس وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم وهو عند المنبر يقول يأخذ الجبار بسمواته وأرضه بيده ثم يقول أنا الجبار أنا الجبار أين الجبارون أين المتكبرون ويميل يمنى النبي صلى الله عليه وسلم عن يمينه وشماله حتى نظرت الى المنبر يتحرك حتى اني أقول اساقط هو برسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية عنه فقال المنبر

الاوس شيأ فيه عنه صلى الله عليه وسلم غناء الا قالت الخزرج والله لا يذهبون بهذه فضلا علينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى الاسلام واذا فعلت الخزرج شيأ قالت الاوس مثل ذلك ولما أصابت الاوس كعب بن الاشرف فى عداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الخزرج والله لا يذهبون بهذه فضلا علينا أبدا فتذاكروا من رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى العداوة كابن الاشرف فذكروا اسلام بن أبى الحقيق فاستأذنوه صلى الله عليه وسلم فى قتله فاذن لهم فخرج اليه 100 من الخزرج خمسة عبد الله بن عتيك

هكذا وهكذا فجاء وذهب ثلاث مرات وفى رواية عن عائشة رضى الله تعالى عنها فرجعت برسول الله صلى الله عليه وسلم منبره حتى قال ليحزن وقال منبرى هذا على ترعة بضم المثناة فوق واسكان الراء وبالعين المهملة من ترع الجنة أى افواه جداول الجنة وقوائم منبرى رواتب أى ثوابت فى الجنة وقال صلى الله عليه وسلم منبرى على حوضى وقال ان حوضى كما بين عدن الى عمان أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وأطيب رائحة من المسك اباريقه عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا وأكثر الناس ورودا عليه يوم القيامة فقراء المهاجرين قلنا من هم يارسول الله قال الشعثة رؤسهم الدنسة ثيابهم الذين لا ينكحون المنعمات ولا تفتح لهم السدد أى الابواب الذين يعطون الذى عليهم ولا يأخذون الذى لهم وقال صلى الله عليه وسلم ما بين قبرى ومنبرى وفى رواية بدل قبرى بيتى وفى لفظ حجرتى والمراد قبره الشريف فانه فى حجرته وحجرته هى بيته صلى الله عليه وسلم روضة من رياض الجنة أى يكون بعينه فى الجنة بقعة من بقاعها أى ينقلها الله تعالى فتكون فى الجنة بعينها وقيل ان الصلاة والدعاء فيها يستحق بذلك من الثواب ما يكون موجبا لدخول الجنة كما قيل بذلك فى قوله صلى الله عليه وسلم الجنة تحت ظلال السيوف مع ان تلك السيوف كانت بأرض الكفر وقيل انها لبركتها اضيفت الى الجنة كما قيل فى الضأن انها من دواب الجنة وقال ابن حزم ليس على ما يظنه أهل الجهل من ان تلك الروضة قطعة مقتطعة من الجنة وقال صلى الله عليه وسلم من حلف على منبرى كاذبا ولو على سواك الا راك فليتبوأ مقعده من النار وفى رواية الا وجبت له النار (أقول) وجاء انه صلى الله عليه وسلم كان على المنبر يعتمد على عصا من شوحط وفى الهدى لم يعتمد صلى الله عليه وسلم فى خطبته على سيف أبدا وقبل ان يتخذ له المنبر كان يعتمد على قوس أو عصا أى وقيل كان يعتمد على قوس ان خطب فى الحرب وعلى عصا ان خطب فى غيره واختلف فيها يعنى تلك العصا هل هى العنزة التى كان يصلى اليها أو غيرها وما يظنه بعض الناس من انه كان يعتمد على سيف وان ذلك اشارة الى ان الدين قام بالسيف فمن فرط جهله هذا كلامه وفيه ان بعض فقهائنا ذكر ان اعتماده فى خطبته كان على سيف روى ولم يثبت وذكر فقهاؤنا تلك الحكمة حيث قالوا وحكمة اعتماده على العصا أو القوس أو السيف الاشارة الى ان هذا الدين قام بالسلاح وقول صاحب الهدى وكان قبل ان يتخذ المنبر يعتمد على قوس أو عصا يقتضى ان بعد اتخاذ المنبر لم يعتمد على شئ من ذلك أى وصرح به صاحب القاموس فى سفر السعادة حيث قال لم يكن يأخذ السيف والحربة بيده بل كان يعتمد على القوس أو العصا وذا قبل اتخاذ المنبر وأما بعد اتخاذ المنبر فلم يحفظ انه اعتمد على العصا ولا على القوس ولا على غير ذلك هذا كلامه فيكون الاعتماد على ذلك فوق المنبر بدعة وهو خلاف ما عليه أئمتنا من انه يسن ان يشغل يمناه بحرف المنبر ويسراه بما يعتمد عليه من نحو العصا لكن قالوا كعادة من يريد الضرب بالسيف والرمى بالقوس وهو لا يأتى فى العصا ولا يأتى فى السيف اذا كان فى غمده ووجود المرقى الذى

وعبد الله بن أنيس وأبو قتادة واسمه الحرث بن ربعى والاسود ابن خزاعى ومسعود بن سنان الاسلمى حليف بنى سلمة بطن من الخزرج فامرهم صلى الله عليه وسلم بقتله ونهاهم أن يقتلوا وليدا أو امرأة فذهبوا الى خيبر فكمنوا فلما هدأت الرجل عن الحركة جاؤا الى منزله وكان فى حصن مرتفع فلما دنوا منه وقد غربت الشمس وراح الناس بسرحهم قال عبد الله بن عتيك لاصحابه اجلسوا مكانكم فانى منطلق ومتلطف للبواب لعلى أدخل الحصن فاقبل حتى دنا من الباب ثم تقنع بثوبه ليخفى شخصه كى لا يعرف كأنه يقضى حاجته وقد دخل الناس وكانوا قد واحمار لهم فخرجوا بقبس يطلبونه فكان ذلك سبب تقنع عبد الله بن عتيك بثوبه وجلوسه كأنه يقضى حاجته مخافة أن يعرف فناداه البواب ياهذا ان كنت تريد أن تدخل فادخل فانى أريد أن أغلق الباب لانه ظن أنه من أهل الحصن الذين خرجوا الطلب الحمار قال ابن عتيك فدخلت ثم اختبأت فى مربط حمار عند باب الحصن فلما دخل الناس أغلق الباب ثم علق الاقاليد أى المفاتيح على وتد فى كوة فقمت الى الاقاليد فاخذتها ففتحت الباب وكان أبو رافع يسمر الناس عنده وفى رواية فتعشوا عند أبى رافع وتحدثوا حتى ذهب ساعة من الليل وكان فى غرفة عالية له اليها عجلة من خشب فلما ذهب عنه أهل سمره صعدت اليه فجعلت كلما فتحت بابا أغلق على من داخل وقلت ان القوم ان نذر وابى لم يخلصوا الى حتى أقتله فانتهيت اليه فاذا هو وسط عياله فى بيت مظلم فلم أدر أين هو وكان عبد الله بن عتيك يتكلم باليهودية فقدمه أصحابه ليتكلم بكلام أبى رافع فيظنه انه

من قومه فلا يفزع منه فاستفتح باب غرفته فرأته امرأته فقالت من أنت قال جئت أبا رافع بهدية ففتحت له وقالت ذاك صاحبك فلما رأت السلاح أرادت ان تصيح فأشار اليها بالسيف فسكتت قال فقلت أبا رافع لا عرف موضعه فقال من هذا فأهويت نحو الصوت فضربته ضربة واناد هش فما أغنت شيأ ولم أقتله وصاح أبو رافع فخرجت من البيت وكمنت غير بعيد فقالت امرأته يا أبا رافع هذا صوت عبد الله بن عتيك

قال ثكلتك أمك وأين عبد الله بن عتيك قال ثم دخلت عليه كأني أغيثه وغيرن صوتي فقلت ما هذا الصوت يا أبا رافع قال لأمك الويل ان رجلا في البيت ضربني قبل بالسيف فضربته ضربة أثخنته ولم أقتله فصاح وقام أهله وصاحت امرأته ثم وضعت ظبة السيف أي وحده في بطنه حتى دخل في ظهره وسمعت صوت العظم فعرفت أني قد قتلته فجعلت أفتح الابواب بابا بابا حتى انتهيت الى درجة فوضعت رجلي وانا أرى اني قد انتهيت الى الارض فوقعت في ليلة مقمرة فانكسرت ساقي فعصبتها بعمامة ثم خرجت وكمنت في موضع واوقدت اليهود النيران وذهبوا في كل وجه يطلبون حتى اذا أيسوا رجعوا اليه وجلست كامنا وقلت لا اخرج الليلة حتى اعلم اقتلته فلما صاح الديك صعد الناعي على السور فقال أنعى أبا رافع تاجر الحجاز فانطلقت الى أصحابي فقلت النجاء أي أسرعوا فقد قتل الله أبا رافع وفي رواية فعصبت رجلي وأتيت أصحابي أحجل فقلت انطلقوا فبشروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاني لا أبرح حتى اسمع الناعي فلما كان وجه الصبح صعد الناعي فقال أنعى أبا رافع فقمت أمشي ما بي قلبة فادركت أصحابي قبل ان يأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فبشرته صلى الله عليه وسلم وفي رواية فانتهيت الى النبي صلى الله عليه وسلم فحدثته فقال ابسط رجلك فبسطتها فمسحها بيده المباركة صلى الله عليه وسلم فكأني لم اشتكها قط وجاء في رواية ان الاسود بن خزاعي أحد الاربعة الذين كانوا مع عبد الله بن عتيك تخلف ليتحقق موت أبي رافع قال فذهبت انظر حتى دخلت في الناس فوجدت امرأته ورجالا من يهود حوله وفي يدها المصباح تنظر في وجهه وتحدثهم وتقول أما والله لقد سمعت صوت ابن عتيك ثم أكذبت نفسي وقلت أنى لابن عتيك بهذه البلاد ثم نظرت في وجهه فقالت فاظ أي مات والله

يقرأ الآية والخبر المشهور بدعة لانه حدث بعد الصدر الاول ولم أقف على أول زمان فعل فيه ذلك لكن ذكر بعضهم أنه صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع أمر من يستنصت له الناس عند ارادة خطبته وعليه ان كان استنصتهم بالحديث فذكر المرقي للخبر ليس من البدعة الا أن يقال هو بالنسبة لخطبة الجمعة بدعة لانه صلى الله عليه وسلم كان يذكر الحديث على المنبر فالسنة أن يذكره الخطيب كذلك ففي سفر السعادة وكان صلى الله عليه وسلم في أثناء الخطبة يأمر الناس بالانصات ويقول ان الرجل اذا قال لصاحبه أنصت فقد لغا ومن لغا فلا جمعة له وكان صلى الله عليه وسلم يقول من تكلم يوم الجمعة والامام يخطب فهو كمثل الحمار يحمل أسفارا والذي يقول أنصت ليس له جمعة وقول الحافظ الدمياطي كان صلى الله عليه وسلم يخطب على جذع قائما وانه قال ان القيام شق علي يقتضي أن حنين الجذع كان عند قيامه على ذلك المنبر من الخشب وأنه لم يتخذ قبل ذلك المنبر من الطين الذي قدمناه وفيه نظر وكذا في قوله وقال له تميم الداري الى آخره لان تميما الداري انما أسلم في السنة التاسعة وهذا المنبر الذي من الخشب انما فعل في السابعة أو الثامنة وعلى هذا اقتصر الاصل حيث قال في الحوادث وفيها أي لسنة الثامنة اتخاذ المنبر والخطبة عليه وحنين الجذع وهو أول منبر عمل في الاسلام وهو في ذلك موافق لما قدمه هو أي الاصل من اتخاذ المنبر له من الطين قبل ذلك وأنه كان عنده حنين الجذع وعلى كون المنبر عمل في الثامنة لا يشكل كون العباس رضي الله تعالى عنه أمر غلامه بعمله لان العباس رضي الله عنه قدم المدينة في السنة الثامنة لكن في بعض الروايات أنه صلى الله عليه وسلم دعا رجلا فقال أتصنع لي المنبر قال نعم قال ما اسمك قال فلان قال لست بصاحبه ثم دعا آخر فقال له مثل ذلك ثم دعا الثالث فقال له ما اسمك قال ابراهيم قال خذ في صنعته فصنعه وفي رواية عمله رجل رومي اسمه باقوم غلام سعيد بن العاص أي ولعله هو الذي تقدم ذكره عند بناء قريش للكعبة وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم أرسل الى امرأة فقال لها مري غلامك يعمل لي أعوادا أكلم الناس عليها فعمل له صلى الله عليه وسلم درجات من طرفاء الغابة ويجوز أن يكون غلام العباس رضي الله تعالى عنه انتقل الى ملك تلك المرأة وأنه كان غلاما لسعيد ابن العاص وأنه اشترك في عمله مع ابراهيم المتقدم ذكره فنسب لكل منهما فعلم من كلام الاصل في غير الحوادث أنه كان صلى الله عليه وسلم يخطب أولا على الجذع ثم على المنبر من الطين وأن حنين الجذع كان عند قيامه صلى الله عليه وسلم على ذلك المنبر من الطين وهو مخالف لكلامه في الحوادث أن حنين الجذع كان عند اتخاذه صلى الله عليه وسلم المنبر من الخشب وانه أول منبر عمل في الاسلام الا أن يقال أول منبر عمل في الاسلام من خشب ويكون ذكر حنين الجذع عند القيام عليه من تصرف بعض الرواة لان حنين الجذع لم يتكرر حتى يقال جاز أن يكون كان عند قيامه صلى الله عليه وسلم على المنبر من الطين ثم عند قيامه على المنبر من الخشب ثم رأيته في النور رجع كلام الاصل في غير الحوادث الى كلام الاصل في الحوادث

يود فلما سمعت من كلمة كانت آلذ في نفسي منها ثم أدرك أصحابه فاخبرهم الخبر وجاء في بعض الروايات أن عبد الله بن عتيك لما تمادى عليه المشي أحس بالم رجله وهو سائر مع أصحابه في الطريق فحملوه ثم لما أتاه صلى الله عليه وسلم مسح عليه فزال عنه جميع الالم ببركته صلى الله عليه وسلم وفي رواية للحاكم عن عبد الله بن أنيس رضي الله عنه قال توجهنا من خيبر فكان كمن النهار ونسير الليل واذا كنا أنعدنا منا واحدا يحرسنا فاذا رأى ما يخافه اشار الينا فلما قربنا من المدينة خرجوا سراعا ثم لحقتهم فدخلنا المدينة فقالوا ماذا رأيت فقلت ما رأيت شيأ ولكن خشيت ان تكونوا عيينم فاردت ان يحملكم الفزع وروى ابن منده عن عبد الله بن عتيك رضي الله عنه قال قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن قتل ابن أبي الحقيق وهو على المنبر فلما رآنا قال أفلحت الوجوه وفي هذه القصة من الفوائد جواز اغتيال المشرك الذي بلغته الدعوة وأسر وقتل من أعان عليه صلى الله عليه وسلم بيده أو ماله أو لسانه وجواز التجسس على أهل الحرب وتطلب غرتهم والاخذ بالشدة في محاربتهم وايهام القول للمصلحة وتعرض القليل من المسلمين للكثير من المشركين والحكم بالدليل والعلامة لاستدلال ابن عتيك على أبي رافع بصوته واعتماده على صوت الناعي بموته ووقع في بعض الروايات أن الذي قتل أبا رافع عبد الله بن أنيس والصواب ما في صحيح البخاري أن الذي قتله عبد الله بن عتيك وفي قتل أبي رافع وكعب بن الاشرف يقول حسان رضي الله عنه

لله در عصابة لاقيتهم
يا ابن الحقيق وأنت يا ابن الاشرف
يسرون بالبيض الخفاف اليكم
مرحا كاسد في عرين معرف

من أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن له منبر من طين حيث قال قوله أي الاصل فبنوا له منبرا وهذا الكلام فيه تجوز يعني اتخذوا له منبرا وذلك لان المنبر كان من طرفاء الغابة وهو شجر معروف هذا كلامه وليته عكس لان هذا منه يقتضي حينئذ ان يكون صلى الله عليه وسلم استمر من حين خطب في المسجد الى السنة الثامنة يخطب الى الجذع لان المنبر من الخشب اتخذ في السنة الثامنة كما تقدم عن الاصل ويشكل عليه قول عائشة رضي الله تعالى عنها في قصة الافك فثار الحيان الاوس والخزرج حتى كادوا أن يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر لان قصة الافك كانت في سنة خمس ثم رأيت في كتاب الشريعة للآجري عن انس ابن مالك رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب مسندا ظهره الى خشبة فلما كثر الناس قال ابنوا لي منبرا فبنوا له عتبتين أي غير المستراح فلما قام على المنبر يخطب حنت الخشبة الحديث وعن سهل بن سعد رضي الله عنه لما كثر الناس وصار يجيء القوم ولا يكادون يسمعون رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخطبة قال الناس يا رسول الله قد كثر الناس وكثير منهم لا يكاد يسمع كلامك فلو اتخذت شيأ تخطب عليه مرتفعا من الارض ويسمع الناس كلامك فارسل صلى الله عليه وسلم الى غلام نجار لامرأة من الانصار فاتخذله مرقاتين من طرفاء الغابة فلما قام حنت الخشبة التي كان يخطب اليها هذا كلامه وهو موافق لما تقدم عن الاصل في الحوادث والذي ينبغي الجمع بين الروايتين ما علم من ان اتخاذ المنبر من طرفاء الغابة كان بعد اتخاذه من الطين لانه أقوى في الارتفاع من منبر الطين وكون حنين الجذع عند اتخاذ المنبر من الطرفاء من تصرف بعض الرواة لان حنينه انما كان عند اتخاذ المنبر من الطين ولم يتكرر حنينه كما تقدم ولما ولي معاوية الخلافة كساذلك المنبر قبطية ثم كتب الى عامله بالمدينة وهو مروان بن الحكم ان يرفع ذلك المنبر عن الارض فدعا بالنجارين وفعل ست درج ورفع ذلك المنبر عليها فصارت تسع درجات وهذا يدل على ان قوله فاتخذله مرقاتين أي غير المستراح ومن ثم تقدم فعمل له درجات وقيل أمره بحمله الى الشام فلما أرادوا فلعه اظلمت المدينة وكسفت الشمس حتى بدت النجوم وثارت ريح شديدة فخرج مروان الى الناس فخطبهم وقال يا أهل المدينة انكم تزعمون ان أمير المؤمنين بعث الي ان ابعث اليه بمنبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمير المؤمنين أعلم بالله من ان يغير منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم انما أمرني ان اكرمه وارفعه ففعل ما تقدم وقيل ان معاوية لما حج اراد ان ينقل المنبر الى الشام فحصل ما تقدم من كسوف الشمس الخ فاعتذر معاوية للناس وقال أردت ان انظر الى ما تحته وخشيت عليه من الارضة وكساه يومئذ قبطية ولا مانع من تعدد الواقعة وان واقعة معاوية سابقة على واقعة مروان لقوله لا نظر ما تحته والا فمروان رفعه عن الارض ثم ان هذا المنبر احرق بسبب الحريق الواقع في المسجد أول مرة فارسل صاحب اليمن منبرا فوضع موضعه مكث عشر سنين وفي الامتاع ثم تهافت المنبر النبوي على طول الزمان فعمل بعض

حتى أتوكم في محل بلادكم * فسقوكم حتفا بيض ذفف
مستنصرين لنصر دين نبيهم * مستصغرين لكل أمر مجحف

(سرية عبد الله بن رواحة الانصاري الخزرجي رضي الله عنه) الى أسير بضم الهمزة وفتح السين وسكون التحتية وبالراء ابن رزام براء مكسورة فزاي مخففة فالف فميم اليهودي بخيبر وكانت في شوال سنة ست وسببها انه لما قتل أبو رافع سلام بن أبي الحقيق أمرت يهود عليها اسيرا فقال والله ما سار محمد الى أحد من يهود ولا بعث أحدا من أصحابه الا أصاب منهم ما أراد ولكني أصنع ما لم يصنع أصحابي

فقالوا وماعسيت ان تصنع قال أسير فى غطفان فأجمعهم ونسير الى محمد فى عقر داره بفتح العين وضمها وسكون القاف أى أصلها فانه لم يغز احدا فى عقر داره الا أدرك منه بعض ما يريد قالوا نعم ما رأيت فسار فى غطفان وغيرهم يجمعهم لحربه صلى الله عليه وسلم وبلغه صلى الله عليه وسلم ذلك فوجه عبد الله بن رواحة رضى الله عنه فى ثلاثة نفر فى شهر رمضان سرا ليستكشف له الخبر فسأل عن خبره وغرته أى غفلته فاخبر بذلك وذلك ١٥٨ انه أتى ناحية خيبر فدخل فى الحوائط وفرق الثلاثة فى ثلاثة من حصونها فوعوا ما سمعوا من أسير وغيره ثم خرج بعد ثلاثة أيام فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم لليال بقين من رمضان فأخبره بكل ما رآه وسمعه وقدم عليه أيضا خارجة بن حسيل بهملتين مصغرا فاستخبره صلى الله عليه وسلم ما وراءه فقال تركت أسير بن رزام يسير اليك فى كتائب يهود فندب صلى الله عليه وسلم الناس له فانتدب له ثلاثون رجلا فبعث عليهم عبد الله بن رواحة فقدموا عليه فقالوا نحن آمنون حتى نعرض عليك ما جئناك له قال نعم ولى منكم مثل ذلك فقالوا انهم فقالوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثنا اليك لتخرج اليه يستعملك على خيبر ويحسن اليك فطمع فى ذلك فشاوريهود فخالفوه فى الخروج وقالوا ما كان محمد يستعمل رجلا من بنى اسرائيل قال بلى قد عملنا الحرب وخرج وفى رواية لابن اسحق فلما قدموا عليه كلموه وقربوا له وقال له انك ان قدمت على رسول الله استعملك واكرمك فلم يزالوا به حتى خرج معهم وخرج معه ثلاثون رجلا من اليهود مع كل رجل رديف من المسلمين وفى رواية فحمله أى أسيرا عبد الله بن رواحة حتى اذا كانوا بقرقرة موضع على ستة أميال من خيبر ندم أسير على مسيره الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأراد الفتك بعبد الله بن رواحة فقطن له وهو يريد السيف فاقتحم به عبد الله ثم ضربه بالسيف فقطع رجله فضربه أسير بمخرش فى يده من شوحط فأمه وفى رواية عن عبد الله بن رواحة رضى الله عنه وأهوى أسير بيده الى سيفى فقطنت له فدفعت بعيرى وقلت غدرا أى عدو الله مرتين فنزلت فسقت بالقوم حتى انفرد لى أسير فضربته بالسيف فأندرت عامة فخذه وساقه فسقط عن بعيره ومال أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم على أصحابه

خلفاء بنى العباس منبرا واتخذ من اعواد المنبر النبوى امشاطا يتبرك بها فاحترق هذا المنبر المجدد فى حريق المسجد فبعث المظفر ملك اليمن منبرا هذا كلامه ثم ارسل الملك الظاهر بيبرس من مصر منبرا فرفع منبر صاحب اليمن ووضع منبر الملك الظاهر فمكث مائة سنة واثنتين وثلاثين سنة فبدا فيه اكل الارضة فارسل الظاهر برقوق منبرا فرفع منبر الملك الظاهر بيبرس ووضع منبر الملك الظاهر برقوق ومكث ثلاثا أو أربعا وعشرين سنة ثم ان السلطان المؤيد شيخ لما بنى مدرسته بالقاهرة التى يقال لها المؤيدية عمل أهل الشام له منبرا وأرسلوا به اليه ليجعله فى مدرسته فوجد أهل مصر قد صنعوا لها منبرا فسير المؤيد منبر أهل الشام الى المدينة فمكث سبعا وستين سنة ثم أحرق فى الحريق الواقع فى المسجد ثانى مرة ثم جعل موضعه منبر مبنى بالآجر مطلى بالنورة فمكث احدى وعشرين سنة ثم جعل موضعه المنبر الرخام الموجود الآن قيل واعجب منبر فى الدنيا منبر جامع قرطبة قاعدة بلاد الاندلس بالمغرب ذكر ان خشبه من ساج وابنوس وعود قاقلى أحكم عمله ونقشه فى سبع سنين وكان يعمل فيه سبع صناع كل صانع فى كل يوم نصف مثقال ذهب فكان جملة ما صرف على اجرته عشرة آلاف مثقال وخمسين مثقالا وبالجامع المذكور مصحف فيه أربع ورقات من مصحف عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه بخط يده وفيه نقط من دمه وفى هذا المسجد ثلاثة أعمدة حجر مكتوب على احدها اسم محمد صلى الله عليه وسلم وعلى الثانى صفة عيسى وموسى عليهما الصلاة والسلام وأهل الكهف وعلى الثالث صورة غراب نوح الجميع خلقة ربانية ولا بدع فقد ذكر بعضهم رأيت بحمام القاهرة رخامة عليها مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم مفسرا يقرؤه كل أحد خلقة وعن سهل قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أول يوم جلس على المنبر أى من الخشب كبر فكبر الناس خلفه ثم ركع وهو على المنبر ثم رجع فنزل القهقرى ثم سجد فى أصل المنبر ثم عاد حتى اذا فرغ من الصلاة يصنع فيها كما يصنع فى الركعة الاولى فلما فرغ أقبل على الناس وقال أيها الناس انما صنعت هذا لتأتموا بى ولتعلموا صلاتى وقوله لتأتموا بى أى تقتدوا بى فى مثل هذا الفعل من الاحرام والركوع على المحل المرتفع ثم النزول عنه والسجود تحته ثم الصعود اليه وهكذا الى ان تتم الصلاة وهذا عند أئمتنا مخصوص جوازه بما اذا لم يلزم عليه استدبار القبلة أو توالى حركات ثلاث وقوله ولتعلموا صلاتى هو واضح لو كان ذلك أول صلاة صلاها الا ان يقال المراد ولتعلموا جواز صلاتى هذه وفى كلام فقهائنا انه صلى الله عليه وسلم كان ينزل من المنبر ويسجد للتلاوة اسفل المنبر وآخر الامرين ترك ذلك فعلم ان منبره صلى الله عليه وسلم كان ثلاث درجات بالمستراح وحينئذ يشكل ان صح ما روى ان أبا بكر نزل درجة عن موقفه صلى الله عليه وسلم وعمر نزل درجة أخرى وعثمان درجة أخرى ومن ثم قال فى النور وهذا يدل على انه كان أكثر من ثلاث درجات أى أربعة غير المستراح والا يلزم أن يكون عمر وعثمان كانا يخطبان على الارض قال ويمكن تأويله هذا كلامه وانتظر ما تأويله فانه يلزم على كونه درجتين غير

المستراح

يقتلوهم لظهور ارادة الغدر لهم منهم غير رجل واحد أعجز ناشدا أى جريا أفلت على رجليه ولم يصب من المسلمين أحد ولله الحمد فلما قتلوا اليهود بعد التأمين الا لكونهم غدروا ثم قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان صلى الله عليه وسلم يحدث أصحابه فقال تمشوا بنا الى الثنية لنبحث عن أصحابنا نخرجوا معه فلما أشرفوا عليها اذا هم بسرعان أصحابنا فجلس صلى الله عليه وسلم فى أصحابه وانتهينا فحدثناه الحديث فقال قد نجاكم الله من القوم الظالمين وتفل صلى الله عليه وسلم على شجة عبد الله بن رواحة رضى الله عنه فلم تقح ولم تؤذه حتى مات وفى رواية قال عبد الله ابن رواحة رضى الله عنه ومسح صلى الله عليه وسلم وجهى ودعا لى وقطع لى قطعة من عصاه فقال امسك هذه معك علامة بينى وبينك يوم القيامة أعرفك بها فانك تأتى يوم القيامة متخصرا فلما دفن عبد الله جعلت معه على جلده دون ثيابه ومره مثل ذلك لما جاء برأس الهذلى قيل فيحتمل ان هذا وهم من بعض الرواة والحق انه لا مانع من تكرار اعطائه عصاه وأنه جعل الكل بين جلده وكفنه والشارع اذا خص بعض صحبه بشئ لا يسئل لم لم يفعله مع بقية الصحابة والله أعلم

﴿قصة عكل وعرينة﴾

وهى سرية كرز بن جابر الفهرى رضى الله عنه كان أحد رؤساء قريش استشهد عام الفتح وعكل حى من قضاعة وعرينة حى من بجيلة وكانت هذه السرية فى جمادى الاولى سنة ست وقيل فى شوال سنة ست وسببها ان ناسا من عكل وعرينة سبعة أو ثمانية قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعوه على الاسلام وتلفظوا بكلمة التوحيد وأظهروا الاسلام

المستراح أن يكون الصديق كان يخطب على الدرجة الثانية وعمر يخطب على الارض وان عثمان فعل كفعل عمر وحينئذ لا يحسن قولهم وعثمان نزل درجة أخرى اذ لا درجة بعد الدرجة الثانية ينزل عنها وحينئذ يشكل ما فى الامتاع وهو كان منبره صلى الله عليه وسلم درجتين ومجلسا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس على المجلس ويضع رجليه اذا قعد على الدرجة الثانية فلما ولى أبو بكر رضى الله عنه قام على الدرجة الثانية ووضع رجليه على الدرجة السفلى فلما ولى عمر رضى الله عنه قام على الدرجة السفلى ووضع رجليه على الارض اذا قعد فلما ولى عثمان رضى الله عنه فعل كذلك أى كفعل عمر ست سنين من خلافته ثم علا الى موضع وقوفه صلى الله عليه وسلم هذا كلامه وكان ينبغى أن يقول بدل قوله فلما ولى أبو بكر قام على الدرجة الثانية جلس على الدرجة الثانية وكذا قوله فلما ولى عمر قام على الدرجة السفلى جلس على الدرجة السفلى أى فقد خطب على الارض وكذا عثمان وذكر فقهاؤنا أن منبره صلى الله عليه وسلم كان ثلاث درج غير الدرجة التى تسمى المستراح وتسمى بالمقعد والمجلس فكان صلى الله عليه وسلم يقف على الثالثة أى بالنسبة للسفلى واذا جلس يجلس على المستراح ويجعل رجليه محل وقوفه اذا قام للخطبة وكذا الخلفاء الثلاثة كل يجعل رجليه محل وقوفه ويذكر أن المتوكل قال يوما لجلسائه وفيهم عبادة أتدرون ما الذى نقم على عثمان نقم عليه أشياء منها أنه قام أبو بكر رضى الله عنه دون مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمرقاة ثم قام عمر رضى الله عنه دونه بمرقاة فصعد عثمان رضى الله عنه ذروة المنبر فقال له عبادة ما أحد أعظم منة عليك يا أمير المؤمنين من عثمان قال وكيف ذاك قال لانه صعد ذروة المنبر وانه لو كان كلما قام خليفة نزل عمن تقدمه كنت أنت تخطبنا فى بئر عميق فضحك المتوكل ومن حوله وكون عثمان صعد ذروة المنبر انما هو فى آخر الامر كما علمت (وفى كلام بعضهم) أول من اتخذ المنبر خمس عشرة درجة معاوية رضى الله تعالى عنه وانه أول من اتخذ الخصيان فى الاسلام وأول من قيدت بين يديه الجنائب وعثمان أول من كسا المنبر قبطية وعن لواقدى أن امرأة سرقت كسوة عثمان للمنبر فاتى بها اليه فقال لها عثمان هل سرقت قولى لا فاعترفت فقطعها ثم كساه معاوية كما تقدم ثم كساه عبد الله ابن الزبير فسرقتها امرأة فقطعها كما قطع عثمان ثم كساه الخلفاء من بعده

﴿باب غزوة بدر الكبرى﴾

ويقال لها بدر العظمى ويقال لها بدر القتال ويقال بدر الفرقان أى لان الله تعالى فرق فيها بين الحق والباطل ثم ان العير التى خرج صلى الله عليه وسلم فى طلبها حتى بلغ العشيرة ووجدها سبقته بايام لم يزل مترقبا قفولها أى رجوعها من الشأم فلما سمع بقفولها من الشأم ندب المسلمين أى دعاهم وقال هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا اليها لعل الله أن ينفلكموها فانتدب ناس أى أجابوا وثقل آخرون أى لم يجيبوا لظنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يلق حربا ولم يحتفل لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أى لم يهتم بها بل قال من كان ظهره أى ما يركبه حاضرا

وكانوا حين قدموا المدينة سقاما مصفرة ألوانهم عظيمة بطونهم فقالوا يا رسول الله انا كنا أهل ضرع أى ماشية وابل ولم نكن أهل ريف وكرهنا الاقامة بالمدينة فلو أذنت لنا فخرجنا الى الابل فامر لهم بذود من الابل وهى من الثلاثة الى العشرة ومعها راع وامرهم باللحوق بها ليشربوا من ألبانها وأبوالها فانطلقوا حتى اذا كانوا ناحية الحرة وصحت أجسامهم كفروا بعد اسلامهم وقتلوا راعى النبى صلى الله عليه وسلم وكان عبدا لله صلى الله عليه وسلم اسمه يسار وحين قتلوه مثلوا به فقطعوا يده

ورجله وجعلوا الشوك فى عينيه واستاقوا الذود فجاء الصريخ بما وقع منهم فبعث صلى الله عليه وسلم فى آثارهم خيلا من المسلمين قريبا من العشرين وأمر عليهم كرز بن جابر الفهرى رضى الله عنه فلحقهم فجاء بهم فامر النبى صلى الله عليه وسلم بقطع أيديهم وارجلهم وسمر اعينهم يروى ان النبى صلى الله عليه وسلم حين بعث الطلب فى آثارهم قال اللهم اعم عليهم الطريق واجعله عليهم أضيق من مسك جمل فاعمى الله عليهم السبيل ١٦٠ وفى رواية فجاء الخبر فى أول النهار فبعث فى آثارهم فلما ارتفع النهار جىء بهم وفى رواية فبعث فى آثارهم فغدوا فاذا هم بامرأة تحمل كتف بعير فسألوها فقالت مررت بقوم قد نحروا بعيرا فاعطونى هذا وهم بتلك المفازة فساروا فوجدوهم فاسروهم ولم يفلت منهم انسان فربطوهم واردفوهم على الخيل حتى قدموا المدينة فامر بهم فقطعوا أيديهم وأرجلهم من خلاف وسمروا أعينهم وتركوا فى ناحية الحرة فى الشمس حتى ماتوا واغا سمر اعينهم لانهم فعلوا مثل ذلك بالراعى كما مر فكان ذلك قصاصا أى كالقصاص قال أنس رضى الله عنه فقد رأيتهم يكدم أى يعض بعضهم الارض بفيه حتى ماتوا وفى رواية كانوا يستسقون أى يطلبون الماء فلا يسقون لانهم ارتدوا فلا حرمة لهم وانزل الله فى هؤلاء انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله الآية وهؤلاء كفروا وقتلوا وحاربوا وقطعوا الطريق وسرقوا وفى القصة من الفوائد قدوم الوفود على الامام ونظره فى مصالحهم ومشروعية الطب والتداوى بألبان الابل وأبوالها وان كل جسد يطب بما اعتاد وقتل الجماعة بالواحد سواء قتلوه غيلة أو حرابة ان قلنا ان قتلهم كان قصاصا والمماثلة فى القصاص وانه ليس من المثلة المنهى عنها وثبوت حكم المحاربة فى الصحراء وأما فى القرى ففيه خلاف وجواز استعمال أبناء السبيل الى هذه الصدقة فى الشرب وفى غيره قياسا عليه باذن الامام والله أعلم ﴿ سرية عمرو بن أمية الضمرى رضى الله عنه الى أبى سفيان ﴾ بعثه صلى الله عليه وسلم الى أبى سفيان ليقتله غيلة لان أبا سفيان أرسل للنبى صلى الله عليه وسلم من يقتله وذلك ان أبا سفيان قال لنفر من قريش ألا احد يغدر محمدا فانه يمشى فى الاسواق فاتاه رجل من الاعراب فى منزله فقال قد وجدت أجمع الرجال قلبا وأشدهم بطشا وأسرعهم

فلم يركب معنا ولم ينتظر من كان ظهره غائبا عنه ولما خرج صلى الله عليه وسلم الى بدر قالت له أم ورقة بنت نوفل يا رسول الله ائذن لى فى الغزو معك أمرض مرضاكم لعل الله يرزقنى الشهادة فقال لها قرى فى بيتك فان الله يرزقك الشهادة وكانت قد قرأت القرآن فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها ويسميها الشهيدة فكان الناس يقولون لها الشهيدة فلما كان زمن خلافة سيدنا عمر عدا عليها غلام وجارية كانت دبرتهما فغمياها بقطيفة الى أن ماتت فجىء بهما الى سيدنا عمر فأمر بصلبهما فكانا أول مصلوب بالمدينة وقال صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول انطلقوا بنا نزور الشهيدة فكان أبو سفيان حين دنا بالعير من أرض الحجاز يتجسس الاخبار أى يبحث عنها ويسأل من لقى من الركبان تخوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استنفر أصحابه للعير أى ويقال انه لقى رجلا فاخبره أنه صلى الله عليه وسلم قد كان عرض لعيره فى بدايته وأنه تركه مقيما ينتظر رجوع العير ٥ فخاف خوفا شديدا فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفارى أى استأجره بعشرين مثقالا ولا يعرف له اسلام والذى من الصحابة ضمضم بن عمر الخزاعى ٥ ليأتى مكة أى وان يجدع بعيره وان يحول رحله ويشق قميصه من قبله ومن دبره اذا دخل مكة ويستنفر قريشا ويخبرهم أن محمدا قد عرض لعيرهم هو وأصحابه فخرج ضمضم سريعا الى مكة وقبل أن يقدم بثلاث ليال رأت عاتكة بنت عبد المطلب عمة النبى صلى الله عليه وسلم اختلف فى اسلامها رؤيا أفزعتها فبعثت الى أخيها العباس بن عبد المطلب فقالت له يا أخى والله لقد رأيت الليلة رؤيا أفظعتنى أى اشتدت على وتخوفت أن يدخل على قومك منها شر ومصيبة فاكتم عنى ما أحدثك قال وفى رواية أنها قالت له لن أحدثك حتى تعاهدنى أن لا تذكرها فانهم ان سمعوها منى كفار قريش آذونا وأسمعونا ما لا نحب فعاهدها العباس اه فقال لها ما رأيت قالت رأيت راكبا أقبل على بعيره حتى وقف بالابطح أى وهو ما بين المحصب ومكة ثم صرخ باعلى صوته ألا انفروا يا آل غدر أى يا أصحاب الغدر وعدم الوفاء الى مصارعكم فى ثلاث أى بعد ثلاثة أيام وفى كلام السهيلى يا آل غدر بضم الغين والدال جمع غدر لقومكم قالت فارى الناس اجتمعوا اليه ثم دخل المسجد والناس يتبعونه فبينما هم حوله مثل به بعيره أى انتصب به على ظهر الكعبة ثم صرخ بمثلها ثم مثل به بعيره على رأس أبى قبيس فصرخ بمثلها ثم أخذ صخرة فارسلها فأقبلت تهوى حتى اذا كانت باسفل الجبل ارفضت أى تكسرت فما بقى بيت من بيوت مكة ولا دار الا دخلها منه فلقة فقال لها العباس والله ان هذه لرؤيا وأنت فاكتمها ولا تذكريها لاحد ثم خرج العباس فاتى الوليد بن عتبة أى وكان صديقا له فذكرها له أى واستكتمه فذكرها الوليد لابنه عتبة فتحدث بها ٥ ففشا الحديث قال العباس فغدوت لاطوف بالبيت وأبو جهل بن هشام فى رهط من قريش قعود يتحدثون برؤيا عاتكة فلما رآنى أبو جهل قال يا أبا الفضل اذا فرغت من طوافك فاقبل الينا فاذا فرغت أقبلت حتى جلست معهم فقال أبو جهل لعنه الله يا بنى عبد المطلب متى حدثت فيكم



شدّ أى جريا فان أنت قويتنى خرجت اليه حتى أغتاله ومعى خنجر مثل خافية النسر فأسوره ثم آخذ فى غير فأسير وأسبق القوم عدوا فانى هاد بالطريق فقال أنت صاحبنا فأعطاه بعيرا ونفقة وقال اطو أمرك فخرج ليلا فسار على راحلته خمسا وصبح ظهر الحرة صبح سادسة ثم أقبل يسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دل عليه فعقل راحلته ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى مسجد بنى عبد الاشهل فأقبل الرجل ومعه خنجر ليغتاله فلما رآه النبى صلى الله عليه وسلم ١٦١ قال ان هذا يريد غدرا والله حائل

هذه النبية قال قلت وماذاك قال ذاك الرؤيا التى رأت عاتكة فقلت ومارأت قال يابنى عبد المطلب أما رضيتم أن تستنبأ رجالكم حتى تستنبأ نساؤكم وفى رواية مارضيتم يابنى هاشم بكذب الرجال حتى جئتمونا بكذب النساء اه قال أبو جهل قد زعمت عاتكة فى رؤياها أنه قال انفروا فى ثلاث فسنتربص بكم هذه الثلاث فان يك حقا ماتقول فسيكون وان تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شئ نكتب عليكم كتابا أنكم أكذب أهل بيت فى العرب قال العباس فوالله ما كان منى اليه كبير الا انى جحدت ذلك وأنكرت أن تكون رأت شيأ وفى رواية أن العباس قال لابى جهل هل أنت منته يامصفراسته أى يامأبون أو ياجبان أو الذى يغير لون البرص الذى بقعدته بالزعفران فان الكذب فيك وفى أهل بيتك فقال من حضرهما كنت ياأبا الفضل جهولا ولا خرقا ولقى العباس رضى الله عنه من أخته عاتكة أذى شديدا حين أفشى من حديثها قال العباس فلما أمسيت لم تبق امرأة من بنى عبد المطلب الا أتتنى أفررتم أى فائلة أفررتم لهذا الفاسق الخبيث ان يقع فى رجالكم ثم قد تناول النساء وأنت تسمع ثم لم يكن عندك غيرة لشئ مما سمعت ثم قلت لهن وايم الله لا تعرضن له وان عاد قاتلته وغدوت فى اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وأنا مغضب أرى انى قد فاتنى منه أمر أحب أن أدركه منه فدخلت المسجد فرأيته فوالله انى لامشى نحوه أتعرضه ليعود الى بعض ماقال فاوقع به اذ هو قد خرج نحو باب المسجد يشتد أى يعدو فقلت فى نفسى ماله لعنه الله أكل هذا فرق أى خوف منى فاذا هو يسمع مالم أسمع سمع صوت ضمضم بن عمرو الغفارى وهو يصرخ ببطن الوادى واقفا على بعيره قد جدع بعيره أى قطع أنفه وأذناه وحول رحله وشق قميصه وهو يقول يامعشر قريش اللطيمة اللطيمة أى أدركوا اللطيمة وهى العير التى تحمل الطيب والبز أموالكم مع أبى سفيان قد عرض لها محمد فى أصحابه لا أرى أن تدركوها وفى لفظ ان أصابها محمد لم تفلحوا أبدا الغوث الغوث قال العباس فشغلنى عنه وشغله عنى ماجاء من الامر فتجهز الناس سراعا أى وفزعوا أشد الفزع وأشفقوا أى خافوا من رؤيا عاتكة ○ وروى أنهم قالوا أيظن محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمى والله ليعلمن غير ذلك فكانوا بين رجلين اما خارج واما باعث مكانه رجلا أى وأعان قويهم ضعيفهم وقام أشراف قريش يحضون الناس على الخروج وقال سهيل بن عمرو يا آل غالب أتاركون أنتم محمدا والصباة من أهل يثرب يأخذون أموالكم من أراد مالا فهذا مالى ومن أراد قوتا فهذا قوتى ○ ولم يتخلف من أشراف قريش الا أبو لهب أى خوفا من رؤيا عاتكة فانه كان يقول رؤيا عاتكة كأخذ بيد أى صادقة لا تتخلف ○ وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة أى استأجره باربعة آلاف درهم كانت له عليه دينا أفلس بها ○ أى قال له اخرج ودينى لك أى ويقال ان ذلك الدين كان ربا ومن ثم جاء فى لفظ وكان لاطه بأربعة آلاف درهم قال أبو عبيد وسمى الربا لياطا لانه ملصق بالبيع وليس ببيع وفى كلام البلاذرى أنه قام أبا لهب على أن يطيعه فيما أراد فغمره أبو لهب فاسلمه الى ضيق أى ضيق عليه بالطلب ثم

قال ان بينه وبين ما يريد فذهب لينحنى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجذبه أسيد بن حضير رضى الله عنه بداخلة ازاره أى طرفه وحاشيته فاذا بالخنجر فأسقط فى يده أى ندم وقال دمى دمى أى اتركونى أوخلونى فأخذ أسيد بلبيبه أى منحره وخنقه أشد الخنق فقال صلى الله عليه وسلم أصدقنى ماأنت قال وانا آمن قال نعم فاخبره بخبره فخلى عنه صلى الله عليه وسلم فأسلم رضى الله عنه وقال يامحمد والله ماكنت أفرق أى أخاف الرجال فما هو الا ان رأيتك فذهب عقلى وضعفت نفسى ثم انك اطلعت على ماهممت به مما لم يعلمه أحد فعرفت أنك ممنوع وانك على حق وان حزب أبى سفيان حزب الشيطان فجعل صلى الله عليه وسلم يتبسم فاقام الرجل اياما ثم استأذن النبى صلى الله عليه وسلم فى الخروج فاذن له فخرج ولم يسمع له بذكر ولم يعرف أحد من الحفاظ اسم ذلك الرجل ثم بعث صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمرى ومعه سلمة بن أسلم الانصارى رضى الله عنه وقيل جبار بن صخر الى أبى سفيان وقال ان أصبتما منه غرة فاقتلاه فدخلا مكة ومضى عمرو بن أمية يطوف بالبيت ليلا فرآه معاوية

٢١ سيره ثانى

ابن أبى سفيان وفى رواية قدما مكة وجلسا بشعب ثم دخلا مكة ليلا فقال جبار لعمرو لو أنا طفنا بالبيت وصلينا ركعتين فقال عمرو ان القوم اذا تعشوا جلسوا بأفنيتهم وانهم ان رأونى عرفونى فانى أعرف بمكة من الفرس الابلق فقال كلا ان شاء الله قال عمرو فابى أن يطيعنى فطفنا بالبيت وصلينا ثم خرجنا نريد أبا سفيان فوالله انا لنمشى بمكة اذ نظر الىّ رجل من أهلها فعرفنى فقال عمرو بن أمية فوالله ان قدمها الا لشر فقيل ان هذا الرجل الذى أبهمه هو معاوية بن أبى سفيان وقيل غيره فاخبر أبا سفيان وقريشا

بوجود عمرو بمكة تخافوه وطلبوه وكان فاتكا جريا فى الجاهلية والفتك القتل على غفلة فحشد أى جمع له أهل مكة وصاروا يطلبونه
فهرب عمرو وسلمة أووجبار بن صخر فلقى عمرو رجلا من رؤس المشركين وهو عبيد الله بن مالك التيمى فقتله وقتل آخر من بنى الديل
سمعه يتغنى ويقول واست بمسلم مادمت حيا * واست ادين دين المسلمينا ولقى رسولين لقريش بعثتهما قريش الى
المدينة يتجسسان الاخبار فقتل أحدهما ١٦٢ واسر الآخر فقدم به المدينة فجعل عمرو يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره
ويضحك ثم دعاله بخير وفى سيرة
ابن هشام بعد قوله السابق ان
قدمها الاشر فقلت لصاحبى
النجاء فخرجنا نشتد حتى اصعدنا
فى جبل وخرجوا فى طلبنا حتى اذا
علونا الجبل يئسوا منا فرجعنا
فدخلنا كهفا فى الجبل فبتنا فيه
وقد أخذنا حجارة فرضمناها دوننا
فلما أصبحنا غدا رجل من قريش
يعنى به عبد الله بن مالك التيمى
المتقدم ذكره يقود فرسا له ويتخلى
عليها فغشينا ونحن فى الغار فقلت
ان رآنا صاح بنا فاخذنا وقتلنا قال
ومعى خنجر قد أعددته لابى
سفيان فخرجت اليه فضربته
على ثديه ضربة فصاح صيحة أسمع
أهل مكة ورجعت فدخلت مكانى
وجاء الناس يشتدون وهو بآخر
رمق فقالوا من ضربك قال عمرو
ابن أمية وغلبه الموت فمات
مكانه ولم يدل على مكاننا فاحتملوه
فقلت لصاحبى لما أمسينا النجاء
نخرجنا ليلا من مكة تريد المدينة
فررنا بالحرس وهم يحرسون جثة
خبيب بن عدى فقال أحدهم
والله ما رأيت كالليلة أشبه بمشية
عمرو بن أمية لولا انه بالمدينة
لقلت انه عمرو بن أمية فلما حاذى
الخشبة التى عليها خبيب شد عليها
فاحتملها وخرج يشتد فخرجوا
وراءه حتى أتى جرفا أى مهبط
مسيل فرمى الجثة فى الجرف فغيبه الله عنهم فلم يقدروا عليه فقلت لصاحبى النجاء ومضيت ثم أويت الى وقيل
جبل ودخلت كهفا فبينا انا فيه اذ دخل على شيخ من بنى الديل أعور فى غنيمة له فقال من الرجل فقلت من بنى بكر فقال أنت قال من بنى
بكر فقلت مرحبا فاضطجع ثم رفع عقيرته فقال واست بمسلم مادمت حيا * واست ادين دين المسلمينا فقلت فى نفسى ستعلم
ثم أمهلته حتى اذا نام أخذت قوسى فجعلت سيتها فى عينه الصحيحة والسية بكسر المهملة وفتح التحتية ما عطف من طرفها ثم تجاملت

قامره فقمره أبو لهب أيضا فارسله مكانه الى بدر وهشام هذا قتله عمر بن الخطاب فى هذه
الغزوة حتى ان أمية بن خلف أراد القعود وكان شيخا جسيما ثقيلا فجاء اليه وهو جالس مع
قومه عقبة بن أبى معيط بمجمرة فيها جمر أى بخور يحملها حتى وضعها بين يديه ثم قال يا أبا على
استجمر فانما أنت من النساء فقال له قبحك الله وقبح ما جئت به أى وكان عقبة كما فى فتح البارى
سفيها وكان أبو جهل سلط عقبة على ذلك وفى لفظ أتاه أبو جهل فقال له يا أبا صفوان انك متى
يراك الناس قد تخلفت وأنت سيد أهل الوادى وفى لفظ وأنت من أشراف الوادى تخلفوا
معك فسر يوما أو يومين أى ولا مانع من وجود ذلك كله فتجهز مع الناس أى وسبب تخلفه ان
سعد بن معاذ قدم مكة معتمرا فنزل عليه لان أمية كان ينزل على سعد بالمدينة اذا ذهب الى الشام
فى تجارته فقال سعد لامية انظر لى ساعة خلوة لعلى أن أطوف بالبيت فقال أمية لسعد انتظر
حتى اذا انتصف النهار وغفلت الناس انطلقت فطفت وفى لفظ فخرج أمية به قريبا من نصف
النهار فبينما سعد يطوف اذ أتاه أبو جهل فقال من هذا الذى يطوف فقال له سعد أنا سعد بن معاذ
فقال له أبو جهل أتطوف بالكعبة آمنا وقد آويتم محمدا وأصحابه وفى لفظ آويتم الصباة وزعمتم
أنكم تنصرونهم وتعينونهم أما والله لولا أنك مع أبى صفوان ما رجعت الى أهلك سالما فقال رافعا
أى تخاصما وسعد يرفع صوته بقوله أما والله لئن منعتنى هذا لامنعنك ما هو أشد عليك منه
طريقك على المدينة فصار أمية يقول لسعد لا ترفع صوتك على أبى الحكم فانه سيد أهل الوادى
وجعل يسكت سعدا فقال سعد لامية اليك عنى فانى سمعت محمدا صلى الله عليه وسلم يزعم أنه
قاتلك قال اياى قال نعم قال بمكة قال لا أدرى قال والله ما كذب محمد فكاد يحدث أى يبول فى ثيابه
فزعا فرجع الى امرأته فقال ما تعلمين ما قال أخى اليثربى يعنى سعد بن معاذ قالت وماذاك قال زعم
أنه سمع محمدا يزعم أنه قاتلى قالت فوالله ما يكذب محمد قال فلما جاء الصريخ وأراد الخروج قالت
له امرأته أما علمت ما قال لك أخوك اليثربى قال فانى اذن لا أخرج فلما صمم على عدم الخروج بل
أقسم بالله لا يخرج من مكة قيل له ما تقدم نخرج ناويا أن يرجع عنهم أى ومعنى كونه صلى الله عليه
وسلم قاتله انه كان سببا فى قتله والا فهو صلى الله عليه وسلم لم يباشر الا قتل أخيه وهو أبى بن خلف
فى أحد ○ كما سيأتى ومن ثم جاء فى رواية قال لامية ان أصحابه يعنى النبى صلى الله عليه وسلم
يقتلونك ويحتمل ان سعد بن معاذ رضى الله عنه سمعه صلى الله عليه وسلم يقول أنا أقتل أبى بن
خلف ففهم سعد رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم يريد أمية لا أبيا أى وفى الامتاع أن أمية بن
خلف وعتبة وشيبة بن ربيعة وزمعة بن الاسود وحكيم بن حزام استقسموا بالازلام فخرج لهم
القدح الناهى أى المكتوب عليه لا تفعل فاجمعوا على المقام فجاءهم أبو جهل لعنه الله وأزعجهم
وأعانه على ذلك عقبة بن أبى معيط والنضر بن الحرث ويقال ان عداسا قال لسيديه عتبة وشيبة
ابنى ربيعة بأبى وأمى أنتما والله ما تساقان الا لما راد اعدم الخروج فلم يزل بهما أبو جهل
حتى خرجا عازمين على العود عن الجيش وما فرغوا من جهازهم أى وكان ذلك فى ثلاثة أيام

عليه حتى بلغت العظم ثم خرجت حتى جئت العرج ثم سلكت حتى اذا هبطت النقيع اذا رجلان من قريش كانت قريش بعثتهما عينا الى المدينة فقلت استأسرا فأبيا فرميت أحدهما بسهم واستأسر الآخر فاوثقته رباطا وقدمت به المدينة وقدم رانه صلى الله عليه وسلم بعث الزبير والمقداد لانزال خبيب فانزلاه وخافا الطلب فالقياه فابتلعته الارض ويمكن ان عمرو بن أمية التقى معهما حين ارسالهما لانزال خبيب وكان هو راجعا من مكة فشاركهما فى انزال خبيب فصح نسبة ذلك الى كل منهم والله سبحانه وتعالى أعلم

١٦٣

وقيل فى يومين وأجمعوا السير أى عزموا عليه وكانوا خمسين وتسعمائة وقيل كانوا ألفا وقادوا مائة فرس أى عليها مائة درع سوى دروع المشاة قال ابن اسحق وخرجوا على الصعب والذلول أى لشدة اسراعهم والصعب الذى لا ينقاد والذلول الذى ينقاد معهم القيان أى بفتح القاف وتخفيف المثناة تحت وفى آخره نون جمع قينة وهى الامة مطلقا وقيل المغنية والمراد هنا الثانى لقوله فى الامتاع ومعهم القينات يضربن بالدفوف يغنين أى بمجاء المسلمين وسيأتى فى أحد خروج جماعة من نساء قريش معهن الدفوف وعند خروجهم ذكروا ما بينهم وبين كنانة من الحرب أى والدماء وقالوا نخشى ان يأتونا من خلفنا أى لان قريشا كانت قتلت شخصا من كنانة وان شخصا من قريش كان شاباً وضيأ له ذؤابة وعليه حلة خرج فى طلب ضالة له فمر ببنى كنانة وفيهم سيدهم وهو عامر بن الطفيل فرآه فاعجبه فقال له من أنت يا غلام فذكر أنه من قريش فلما ولى الغلام قال عامر لقومه أما لكم فى قريش من دم قالوا بلى فاغراهم به فقتلوه ثم قال بنو كنانة لقريش رجل برجل فقالت قريش نعم رجل برجل ثم ان أخا المقتول ظفر بعامر بمر الظهران فعلاه بالسيف حتى قتله ثم خاط بطنه بسيفه ثم جاء وعلقه باستار الكعبة من الليل فلما أصبحت قريش رأوا سيف عامر عرفوه وعرفوا قاتله أى وكان ذلك يقنيهم أى يصرفهم عن الخروج ○ فتبدى لهم ابليس فى صورة سراقة بن مالك المدلجى وكان من أشراف بنى كنانة وقال لهم انا لكم جار من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشئ تكرهونه فخرجوا سراعا وخرج معهم ابليس يعدهم ان بنى كنانة وراءهم قد أقبلوا لنصرهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عسكره ببئر أبى عتبة أى وأمر أصحابه ان يستقوا منها وشرب من مائها وفى الامتاع عسكر ببيوت السقيا وهى عين بينها وبين المدينة يومان كان يستقى له صلى الله عليه وسلم الماء منها وقد جاء ان عبده صلى الله عليه وسلم رباحا كان يستقى له من بئر غرس مرة ومن بيوت السقيا مرة وقال صلى الله عليه وسلم بئر غرس من عيون الجنة ومن ثم غسل منها صلى الله عليه وسلم كما سيأتى وغرس اسم عبد كان يقوم عليها وقيل غير ذلك وأمر صلى الله عليه وسلم حين فصل من بيوت السقيا أن تعد المسلمون فوقف لهم عند بئر أبى عتبة فعدوا وهى على ميل من المدينة فعرض أصحابه ورد من استصغر أى وكان ممن رده أسامة بن زيد ورافع بن خديج والبراء بن عازب وأسيد بن ظهير وزيد بن أرقم وزيد بن ثابت رضى الله عنهم ورد عمير بن أبى وقاص فبكى فاجازه وقتل وعمره ستة عشر عاما وحينئذ يتوقف فى رده لان الخمسة عشر بلوغ بالسن على ما عليه أئمتنا وخرج صلى الله عليه وسلم فى خمسة وثلثمائة رجل من المهاجرين أربعة وستون وباقيهم من الانصار وقيل كان المهاجرون نيفا وثمانين وكانت الانصار نيفا وأربعين ومائتين وذكر الامام الدوانى انه سمع من مشايخ الحديث ان الدعاء عند ذكرهم يعنى أصحاب بدر مستجاب وقد جرب ذلك وخلف عثمان على ابنته صلى الله عليه وسلم رقية وكانت مريضة أى وقيل لانه كان مريضا بالجدرى أى ولا مانع

﴿قصة الحديبية ويقال غزوة الحديبية﴾

بتخفيف الياء وتشديدها وهى بئر بسمى المكان باسمها وقيل شجرة وقيل قرية أكثرها فى الحرم على تسعة أميال من مكة وسببها ان النبى صلى الله عليه وسلم رأى فى منامه انه دخل البيت هو وأصحابه آمنين محلقين رؤسهم ومقصرين فخرج صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين هلال ذى القعدة سنة ست من الهجرة يريد العمرة ولا يريد قتالا واستنفر العرب من البوادى ومن حوله من الاعراب ليخرجوا معه وهو يخشى من قريش ان يتعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت فأبطأ عليه كثير من الاعراب فخرج بمن معه من المهاجرين والانصار ومن لحق من العرب وساق معه الهدى وأحرم بالعمرة ليأمن الناس حربه وليعلموا انه انما خرج زائرا للبيت ومعظما له واخرج معه زوجته أم سلمة رضى الله عنها واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم رضى الله عنه وقيل أبو رهم كلثوم بن الحصين وقيل استعملهما معا وجملة أصحابه الذين كانوا معه ألف وأربعمائة وقيل ألف وخمسمائة وقيل ألف وثلثمائة

والجمع بين هذا الاختلاف انهم كانوا أكثر من الف وأربعمائة فمن قال الف وخمسمائة جبر الكسر ومن قال وأربعمائة ألغاه وأما رواية ألف وثلثمائة فرواها عبد الله بن أبى أوفى رضى الله عنه فيمكن حملها على ما اطلع عليه هو واطلع غيره على زيادة مائتين وزيادة الثقة مقبولة أو ان الالف والثلثمائة هم الذين خرجوا من المدينة ابتداء ثم تلاحقوا أو ان الزيادة من الاتباع والخدم والنساء والصبيان الذين لم يبلغوا الحلم ولم يخرج صلى الله عليه وسلم معه بسلاح الا سلاح المسافر السيوف فى القرب فلما كان بذى

الحليفة فلد الهدى وأحرم منها بعمرة وبعث عينا أى جاسوسا له من خزاعة وسار النبى صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بغدير الاشطاط
أتاه جاسوسه فقال ان قريشا جمعوا لك جموعا وهم مقاتلوك وصادّوك عن البيت ومانعوك من الدخول الى مكة وفى رواية انه لقيه
بعسفان فقال هذه قريش قد سمعوا بمسيرك فخرجوا ومعهم العوذ المطافيل قد لبسوا جلود النمر وقد نزلوا بذى طوى يعاهدون الله
أن لا تدخلها عنوة أبدا والعوذ جمع عائذ ١٦٤ وهى الناقة ذات اللبن والمطافيل الامهات التى معها أطفالها والمراد أنهم خرجوا

بما ذكر لارادة طول المقام وعدم
الفرار وفى رواية قال له انى
لاطوف بالبيت فى ليلة كذا وكذا
وقريش فى أنديتها اذ صرخ صارخ
من أعلى جبل أبى قبيس بصوت
أسمع أهل مكة يقول
هيو الصاحبكم مثلى صحابته
سيروا اليه وكونوا معشرا كرما
بعد الطواف وبعد السعى فى مهل
وأن يحوزهم من مكة الحرما
شاهت وجوههم من معشر نكل
لا ينصرون اذا ما حاربوا اصطما
فارتجت مكة وتعاقدوا على أن
لا تدخل عليهم عامهم هذا فقال
صلى الله عليه وسلم هذا الهاتف
سلفع شيطان الاصنام يوشك أن
يقتله الله ان شاء الله فبينما هم
كذلك اذ سمعوا من أعلى الجبل
صوتا يقول
شاهت وجوه رجال حالفوا صنما
وخاب سعيهم ما أقصر الهمما
انى قتلت عمدا والله سلفعة
شيطان أصنامهم سحقا لمن ظلما
وقد أتاهم رسول الله فى نفر
وكلهم محرم لا يسفكون دما
فقال صلى الله عليه وسلم أشيروا
على أيها الناس أترون ان أميل
الى عيال هؤلاء الكفار الذين
يريدون أن يصدونا عن البيت
وذراريهم فان يأتونا كان الله عز
وجل قد قطع عينا من المشركين
والا تركناهم محروبين وفى رواية أترون أن نميل ذرارى هؤلاء الذين أعانوهم فنصيبهم فان قعدوا قعدوا موتورين

من وجود الامرين وقد قال صلى الله عليه وسلم ان لك لاجر رجل وسهمه أى وكان أبو امامة
ابن ثعلبة الانصارى اجمع الخروج الى بدر وكانت أمه مريضة فامره صلى الله عليه وسلم بالمقام
على أمه فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر وقد توفيت فصلى على قبرها واستعمل
صلى الله عليه وسلم أبا لبابة رضى الله عنه والياعلى المدينة ورده من المحل المذكور أى من بئر أبى
عتبة كذا فى الاصل وقيل رده من الروحاء وهو المشهور وهى قرية على ليلتين من المدينة كما
تقدم واستعمل ابن أم مكتوم على الصلاة بالناس فى المدينة وخلف عاصم بن عدى على أهل قباء
وأهل العالية أى لشئ بلغه عن أهل مسجد الضرار ليتظر فى ذلك وكسر بالروحاء خوات بن
جبير أى وفى كلام ابن عبد البر وقال موسى بن عقبة خرج خوات بن جبير مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلما بلغ الصفراء أصاب ساقه حجر ودميت رجله واعتلت فرجع وضرب له رسول الله
صلى الله عليه وسلم بسهمه وأهل الاخبار يقولون انه شهد بدرا وله فى الجاهلية قصة مشهورة
مع ذات النحيين التى تضرب العرب بها المثل فتقول اشغل من ذات النحيين وهى خولة يروى
انه صلى الله عليه وسلم سأله عنها وتبسم فقال يارسول الله قد رزقنى الله خيرا منها وأعوذ بالله
من الحور بعد الكور وروى انه صلى الله عليه وسلم قال له ما فعل بعيرك الشارد يعرض بهذه
القصة فقال قيده الاسلام يارسول الله وقيل لم يعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا
القول لتلك القضية وانما هو لقضية أخرى هى ان خواتا مر بنسوة فى الجاهلية أعجبه حسنهن
فسألهن ان يفتلن له قيدا لبعيره وزعم انه شارد وجلس اليهن بهذه العلة فعرفن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو يتحدث اليهن فاعرض عنه وعنهن فلما سلم سأله رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن ذلك البعير وهو يتبسم وكسر أيضا الحرث بن الصمة وبعث صلى الله عليه وسلم طلحة
ابن عبيد الله وسعيد بن زيد رضى الله عنهم يتحسسان خبر العير والتحسس للاخبار بالحاء
المهملة ان يفحص الشخص عن الاخبار بنفسه وبالجيم أن يفحص عنها بغيره وجاء تحسسوا
ولا تجسسوا ولم يحضر الهذا القتال بل رجعا بخبر العير الى المدينة على ظن أنه صلى الله عليه وسلم
بالمدينة فلما علما أنه ببدر خرجا اليه فلقياه منصرفا من بدر وأسهم لكل وصار كل من أسهم له
يقول وأجرى يارسول الله فيقول وأجرك ودفع صلى الله عليه وسلم اللواء وكان أبيض الى مصعب
ابن عمير وكان أمامه صلى الله عليه وسلم راية ان سوداوتان احداهما مع على بن أبى طالب كرم
الله وجهه أى ويقال لها العقاب وكانت من مرط لعائشة وفى كلام بعضهم كان أبو سفيان بن
حرب من اشراف قريش وكانت اليه راية الرؤساء المعروفة بالعقاب وكان لا يحملها فى الحرب
الا هو أو رئيس مثله وسيأتى انه حملها فى هذه الغزوة الاب الخامس لامامنا الشافعى وهو
السائب بن يزيد والاخرى مع بعض الانصار وابن قتيبة اقتصر على الاولى وذكر بعضهم أن
بعض الانصار هذا قيل هو سعد بن معاذ وقيل الحباب بن المنذر وهذا يرد ما تقدم فى غزوة
بواط عن ابن اسحق وماسيأتى فى غزوة بنى قينقاع عن ابن سعد ان الرايات لم تكن وجدت وانما

حدثت

محروبين وان يجيئوا تكن عنقا قطعها الله أم ترون أن نؤم البيت فمن صدنا عنه قاتلناه فقال أبو بكر رضى الله عنه الله ورسوله أعلم
يارسول الله خرجت عامدا لهذا البيت لا تريد قتال أحد ولا حرب أحد فتوجه للبيت فمن صدنا عنه قاتلناه فقال امضوا على اسم الله
ويروى أن المقداد بن الاسود رضى الله عنه قال نحو مقالته يوم بدر بعد كلام أبى بكر قال والله يارسول الله لا نقول لك كما قالت بنو

حدثت يوم خيبر ومما يؤيد الرد ما جاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم اعطى عليا كرم الله وجهه الراية يوم بدر وهو ابن عشرين سنة وفى الهدى ان لواء المهاجرين كان مع مصعب بن عمير ولواء الخزرج مع الحباب بن المنذر ولواء الاوس مع سعد بن معاذ ولم يذكر الرايتين وفى الامتاع انه صلى الله عليه وسلم عقد الالوية وهى ثلاثة لواء يحمله مصعب بن عمر ورايتان سوداوتان احداهما مع على والاخرى مع رجل من الانصار وفيه اطلاق اللواء على الراية وقد تقدم ان جماعة من أهل اللغة صرحوا بترادف اللواء والراية وكان صلى الله عليه وسلم خرج من المدينة على غير لواء معقود وقال فى الاصل والمعروف ان سعد بن معاذ كان على حرس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العريش أى كما سيأتى قال أى جوابا عما تقدم عن الاصل العريش كان ببدر اى وهذا كان عند خروجهم وفى الطريق فلا منافاة أى لانه يجوز ان يكون فى بدر دفع الراية لغيره باذنه صلى الله عليه وسلم ليكون معه فى العريش ولبس صلى الله عليه وسلم درعه ذات الفضول وتقلد صلى الله عليه وسلم سيفه العضب وحين فصل صلى الله عليه وسلم من بيوت السقيا قال اللهم انهم حفاة فاحملهم وعراة فاكسهم وجياع فاشبعهم وعالة فأغنهم من فضلك فما رجع أحد منهم يريد أن يركب الا وجد ظهرا للرجل البعير والبعيران واكتسى من كان عاريا واصابوا طعاما من ازوادهم وأصابوا فداء الاسارى فاغتنى به كل عائل وكان حبيب بن يساف ذا باس ونجدة ولم يكن اسلم ولكنه خرج نجدة لقومه من الخزرج طالبا للغنيمة ففرح المسلمون بخروجه معهم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصحبنا الا من كان على ديننا أى وفى رواية ارجع فانا لا نستعين بمشرك أى وسيأتى فى أحد انه صلى الله عليه وسلم قال لا ننتصر باهل الشرك على أهل الشرك لما رد حلفاء عبد الله بن أبى ابن سلول من يهود وتكررت من حبيب المراجعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفى الثالثة قال له تؤمن بالله ورسوله قال نعم فاسلم وقاتل قتالا شديدا وفى الامتاع وقدم حبيب بن يساف بالروحاء مسلما ولا مخالفة لجواز ان يكون اسلم قبل الروحاء ولما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم صام يوما أو يومين ثم نادى مناديه يا معشر العصاة انى مفطر فأفطروا وذلك انه صلى الله عليه وسلم كان قال لهم قبل ذلك أفطروا فلم يفطر وانتهى وسيأتى فى فتح مكة انه صلى الله عليه وسلم أمرهم بالفطر فلم يفعل جماعة منهم ذلك فقال أولئك العصاة وكانت ابل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أى التى معهم يومئذ سبعين بعيرا فاعتقبوها كل ثلاثة يعتقبون بعيرا أى الاما كان من حمزة وزيد بن حارثة وأبى كبشة وانيسة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فان هؤلاء الاربعة كانوا يعتقبون بعيرا أى وعن عائشة رضى الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بالاجراس ان تقطع من اعناق الابل يوم بدر وفى الامتاع فكانوا يتعاقبون الابل الاثنين والثلاثة والاربعة هذا كلامه فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه ومرثد يعتقبون بعيرا وفى لفظ كان أبو لبابة وعلى والنبى صلى الله عليه وسلم

اسرائيل لنبيها اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فقال صلى الله عليه وسلم فسيروا على اسم الله وكان أبو هريرة رضى الله عنه يقول ما رأيت أحدا قط كان أكثر مشاورة لاصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم امتثالا لقوله تعالى وشاورهم فى الامر فسار واحتى اذا كانوا ببعض الطريق قال النبى صلى الله عليه وسلم ان خالد بن الوليد بالغميم موضع قريب من مكة فى خيل لقريش فيها مائتا فارس منهم عكرمة بن أبى جهل طليعة وهى مقدمة الجيش فخذوا ذات اليمين وفى رواية قال من رجل يخرج بنا على غير طريقهم التى هم بها فقال رجل من أسلم وهو حمزة بن عمرو الاسلمى أنا يا رسول الله فسلك بهم طريقا وعرا فخرجوا منه بعد أن شق عليهم وأفضوا الى طريق سهلة فقال لهم قولوا نستغفر الله ونتوب اليه فقالوا ذلك فقال والله انها للحطة التى عرضت على بنى اسرائيل فلم يقولوها وفى رواية فقال صلى الله عليه وسلم واسلكوا ذات اليمين بين ظهرى الحمض بفتح المهملة وسكون الميم وبالضاد المعجمة اسم موضع يخرج على مهبط الحديبية من أسفل مكة فسلك الجيش ذلك الطريق فلما رأت خيل قريش قترة الجيش قد خالفوا عن طريقتهم ركضوا راجعين الى قريش وفى رواية فوالله ما شعر بهم خالد حتى اذا هم بقترة الجيش أى غباره كذا أطلقه بعضهم وقيده بعضهم بالغبار الاسود فانطلق يركض نذيرا لقريش وفى رواية أن خالدا دنا فى خيله حتى نظر المصطفى صلى الله عليه وسلم والصحابة وصف خيله بينهم وبين القبلة فأمر صلى الله عليه وسلم عباد بن بشر فتقدم فى خيله فقام بازائه فصف أصحابه وحانت صلاة الظهر فصلاها بهم صلى الله عليه وسلم فقال خالد قد كانوا على غرة لو حملنا عليهم أصبنا منهم ولكن ستأتى الساعة صلاة أخرى هى أحب اليهم من أنفسهم وأبنائهم فنزل جبريل بين الظهر والعصر بقوله تعالى واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك الآية فحانت صلاة العصر والعدو جهة القبلة فصلى بهم صلاة الخوف فرتب القوم صفين وصلى بهم فلما سجد سجد معه صف وحرس صف فلما قام هو ومن سجد معه سجد من حرس وحقوه وسجد معه فى الثانية من حرس أولا وحرس الآخرون فلما جلس سجد من حرس وتشهد

عليه وسلم

بالصفين وسلم وهذه الكيفية تعرف بصلاة عسفان ثم سار النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بالثنية التي تشرف على الحديبية وتهبط على قريش وتسمى ثنية المرار بكسر الميم وتخفيف الراء بركت ناقته القصواء فقال الناس حل حل وهي كلمة تقال للناقة اذا تركت السير فتمادت على عدم القيام فقالوا خلأت القصواء خلأت القصواء أي حرنت وبركت من غير علة والخلاء بالمد للابل كالحران للخيل فقال النبي صلى الله عليه وسلم ١٦٦ ماخلأت القصواء وماذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل أي

حبسها الله عن دخول مكة كما حبس الفيل عن دخولها ومناسبة ذلك التشبيه ان الصحابة لو دخلوا مكة على تلك الصورة وصدتهم قريش لوقع القتال المفضي الى سفك الدماء ونهب الاموال كما لو قدر دخول الفيل وأصحابه لكن سبق في علم الله انهم لا يدخلون الآن لانه سيدخل في الاسلام خلق منهم ويستخرج من أصلابهم ناس يسلمون ويجاهدون وكان بمكة جمع كثير مؤمنون من المستضعفين من الرجال والنساء والولدان فلو طرق الصحابة مكة لما امن ان يصاب منهم ناس بغير عمد كما أشار اليه قوله تعالى ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم وجواب لو محذوف أي لاذن لكم في الدخول والقتال ولكنا منعكم من الدخول والقتال ليدخل الله في رحمته من يشاء أي من الكفار الذين سبقت لهم السعادة لو تزيلوا أي لو تميز الكفار من المؤمنين المستضعفين لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما ثم قال صلى الله عليه وسلم عقب قوله حبسها حابس الفيل والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة فيها تعظيم حرمات الله أي من ترك القتال في الحرم

يعتقبون بعيرا أي وذلك قبل أن يرد أبا البابة المدينة من الروحاء وبعد ان رده قام مقامه مرثد وقيل زيد بن حارثة وقيل زيد كان مع حمزة أي كما تقدم ويجوز انه كان مع حمزة تارة ومع النبي صلى الله عليه وسلم أخرى فكان اذا كانت عقبة النبي صلى الله عليه وسلم قال له أي رفيقاه اركب حتى تمشي معك فيقول ما انتما باقوى مني على المشي وما انا باغنى عن الاجر منكما وكان أبو بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم يعتقبون بعيرا أي ورفاعة وخلاد ابنا رافع وعبيد بن يزيد الانصاري يعتقبون بعيرا حتى اذا كانوا بالروحاء برك بعيرهم عيا فعربهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله برك علينا بكر ناقد عار رسول الله صلى الله عليه وسلم بعاء فتمضمض وألقاه في اناء أي وفي الامتاع فتمضمض وتوضأ في اناء ثم قال افتح فاه فصب منه في فيه ثم صب باقي ذلك عليه ثم قال اركبا ومضى فلحقاه وانه لينفرهم أي وامر صلى الله عليه وسلم باحصاء من معه وهو محتمل لان يكون امر بذلك ثانيا بعد الروحاء بعد ان رد أبا البابة وبعد عدهم في بئر أبي عتبة فاذا هم ثلثمائة وثلاثة عشر ففرح بذلك وقال عدة أصحاب طالوت الذين جاز وا معه النهر وهذا قول عامة السلف كما قاله ابن جرير رحمه الله ومن زاد على ذلك عد منهم من رده صلى الله عليه وسلم من الروحاء ومن اسهم له ولم يحضر ومن نقص عن ذلك وعدهم ثلثمائة وخمس رجال أو ست رجال أو سبعة رجال فالجواب عنه لا يخفى وكان في الجيش خمسة أفراس فرسان له صلى الله عليه وسلم وفرس لمرثد ويقال له السبل وفرس للمقداد بن الاسود نسب اليه لانه تبناه في الجاهلية كما تقدم ويقال لها سبحة وفرس للزبير ويقال له اليعسوب وقيل لم يكن في الجيش الا فرسان فرس المقداد وفرس الزبير وعن علي رضي الله تعالى عنه ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد (أقول) يجوز أن يكون المراد لم يقاتل يوم بدر فارسا الا المقداد وغيره ممن له فرس قاتل راجلا ويؤيده ما يأتي أنه صلى الله عليه وسلم لما قسم الغنيمة لم يميز أحدا عن أحد الراجل مع الراجل والفارس مع الفارس لكن قد يخالفه قول الزمخشري في خصائص العشرة كان الزبير رضي الله عنه صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر وليس على الميمنة يومئذ فارس غيره هذا كلامه الآن يقال كون الزبير فارسا على الميمنة لا يخالف كون المقداد فارسا في محل آخر مع الجماعة الذين فيهم سيدنا علي كرم الله وجهه فتقول سيدنا علي لم يكن فينا أي في الجماعة الملازمين لنا تأمل والله أعلم وفي اثناء الطريق بعرق الظبية لقوا رجلا من الاعراب فسألوه عن الناس فلم يجدوا عنده خبرا فقال له الناس سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أفيكم رسول الله قالوا نعم فسلم عليه ثم قال ان كنت رسول الله فاخبرني بما في بطن ناقتي هذه فقال له سلامة بن وقش لا تسل رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل علي أنا أخبرك عن ذلك نزوت عليها ففي بطنها منك سخلة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم مه أفحشت على الرجل ثم أعرض عن سلامة فلما نزلوا بوادي يقال له ذفران بكسر الفاء أي وهو واد قريب من الصفراء أتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه

واخبرهم وهي من حرمات الله الا أعطيتهم اياها أي أجبتهم اليها وان كان فيها تحمل المشقة ثم زجر الناقة فوثبت فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية ثم قال للناس انزلوا فقالوا يا رسول الله ما بالوادي ماء ننزل عليه وكان فيه حفرة فيها ماء قليل يأخذونه قليلا قليلا فأخذوه حتى تزحوه وشكوا اليه العطش فانتزع سهما من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه فنزل ناجية بن الاعجم وقيل ناجية بن جندب وقيل

وأخبرهم الخبر أى قال لهم ان القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول أى مسرعين فما تقولون العير أحب اليكم من النفير فقالوا بلى أى قالت ذلك طائفة منهم العير أحب الينا من لقاء العدو وفى رواية هلا ذكرت لنا القتال حتى نتأهب له اناخرجنا للعير وفى رواية يارسول الله عليك بالعير ودع العدو فعند ذلك تغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد روى ذلك عن أبى أيوب رضى الله عنه فى سبب نزول قوله تعالى كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون وعند ذلك قام أبو بكر فقال وأحسن ثم قام عمر فقال وأحسن ثم قام المقداد فقال يارسول الله امض لما أمرك الله فنحن معك والله لانقول لك كما قالت بنو اسرائيل أى لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون اذهب انت وربك فقاتلا انا معكم مقاتلون مادامت منا عين تطرف فوالله الذى بعثك بالحق نبيا لو سرت بنا الى برك الغماد أى وهى مدينة بالحبشة لجالدنا أى ضربنا بالسيوف معك من دونه حتى نبلغه وفى لفظ نقاتل عن يمينك وعن يسارك ومن بين يديك ومن خلفك قال ابن مسعود فرأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرق لذلك وسر بذلك وفى الكشاف فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ثم دعا له بخير هذا وفى العرائس روى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يوم الحديبية حين صد عن البيت انى ذاهب بالهدى فتأخر عند البيت واستشار أصحابه فى ذلك فقال المقداد بن الاسود أما والله لانقول لك كما قال قوم موسى لموسى فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكنا نقول انا معكم مقاتلون والله لنقاتلن عن يمينك وشمالك ومن بين يديك ولوخضت بحر الحضناء معك ولو علوت جبلا لعلوناه معك ولو ذهبت بنا برك الغماد لتأبعناك فلما سمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك تابعوه فأشرق عند ذلك وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم والتعدد ممكن لكنه بعيد ثم قال اشيروا على فقال عمر يارسول الله انها قريش وعزها والله ماذلت منذ عزت ولا آمنت منذ كفرت والله لتقاتلنك فتأهب لذلك أهبته واعدد لذلك عدته أى ثم استشارهم ثالثا فقال أشيروا على أيها الناس ففهمت الانصار انه يعنيهم وذلك لانهم عدد الناس أى أكثرهم عددا ومن ثم قيل وانما كرر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستشارة أى فى ذلك المجلس ليعرف حال الانصار فانه تخوف ان لاتكون الانصار ترى عليها نصرته الا ممن دهمه أى جاءه على حين غفلة بالمدينة من عدوه وان ليس عليهم ان يسير بهم الى عدو من بلادهم عملا بظاهر قولهم له صلى الله عليه وسلم حين بايعوه عند العقبة يارسول الله انا برآء من ذمامك حتى تصل الى دارنا فاذا وصلت اليها فانت فى ذمتنا نمنعك بما نمنع به أبناءنا ونساءنا ومن ثم قال له سعد بن معاذ سيد الاوس وقيل سعد بن عبادة سيد الخزرج وانما حكى بصيغة التمريض لانه قد اختلف فى عده فى البدريين والصحيح انه لم يشهد بدرا فانه كان تهيأ للخروج فنهس بالمهملة أى لدغته الحية قبل أن يخرج فاقام أى وضرب له بسهم فقال لعلك تريدنا معاشر الانصار يارسول الله فقال أجل قال فقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت

ثم افرغه فيها وانتزع السهم فوضعه فيها ويمكن الجمع بانه فعل ذلك كله وفى حديث جابر عند البخارى ومسلم قال عطش الناس يوم الحديبية وبين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ركوة يتوضأ منها فاقبل الناس نحوه فقال مالكم قالوا يارسول الله ليس عندنا ماتتوضأ به ولانشرب الا ما فى ركوتك فوضع يده فى الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون فشربنا وتوضأنا وجع ابن حبان بينهما بان ذلك وقع فى وقتين وكان قصة الركوة قبل قصة البئر وقد اخرج الامام أحمد عن جابر رضى الله عنه القصة وفيها فجاء رجل بادارة فيها شئ من ماء ليس فى القوم ماء غيره فصبه صلى الله عليه وسلم فى قدح ثم توضأ فاحسن الوضوء ثم انصرف وترك القدح وتزاحم الناس عليه فقال على رسلكم فوضع كفه فى القدح ثم قال اسبغوا الوضوء قال فلقد رأيت العيون عيون الماء تخرج من بين أصابعه واختلاف ألفاظ حديث جابر لعله كان من تصرف الرواة ووقع فى بعض الروايات انهم توضؤا وشربوا وسقوا دوابهم وملؤا قربهم فقيل لهم كنتم قال لو كنا مائة ألف لكفانا كنا ألفا وأربعمائة وفى حديث زيد بن خالد رضى الله عنه انهم

عبادة بن خالد او خالد بن عبادة وقيل البراء بن عازب رضى الله عنه فوضعه فى البئر ويمكن أن الجميع تعاونوا فى ذلك قال فوالله ما زال يجيش أى يفور الماء حتى صدروا عنه أى رجعوا رواء بعد ورودهم وفى رواية فما زال الماء يجيش حتى اغترفوا بآنيتهم جلوسا على شفير البئر وفى البخارى عن البراء بن عازب رضى الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم جلس على البئر ثم دعا باناء فمضمض ودعا ثم صبه فيها ثم قال دعوها ساعة فاروا وانفسهم وركابهم حتى ارتحلوا وعند غير البخارى توضأ فى الدلو

أصابهم مطر بالحديبية فكان ذلك وقع بعد القصتين المذكورتين والله أعلم وفى هذا معجزات ظاهرة وفيه بركة سلاحه وما ينسب اليه صلى الله عليه وسلم فبينما هم كذلك اذ جاءهم بديل بن ورقاء بن عمرو بن ربيعة الخزاعى فى نفر من قومه خزاعة وكان ذلك قبل اسلامه فانه أسلم عام الفتح رضى الله عنه وكانت خزاعة عيبة نصح للنبى صلى الله عليه وسلم وتقدم أن بنى هاشم فى الجاهلية كانوا حلفا لهم مع خزاعة فاستمر ذلك فى الاسلام فقال بديل للنبى صلى الله عليه وسلم غورت أى أبعدت عن المدينة ولا سلاح معك

فقال لم نجئ لقتال فتكلم أبو بكر رضى الله عنه فقال له بديل أنا لا آتيهم ولا قومى ثم قال انى تركت كعب بن لؤى وعامر بن لؤى اعداد مياه الحديبية ومعهم العوذ المطافيل والعوذ جمع عائذ وهى الناقة ذات اللبن والمطافيل الامهات التى معها أطفالها يريد انهم خرجوا معهم بذوات الالبان من الابل ليتزودوا بالبانها ولا يرجعوا حتى يمنعوه أو كنى بذلك عن النساء معهن الاطفال والمراد انهم خرجوا بنسائهم واولادهم لارادة طول المقام ١٦٨ ان دعا اليه الامر ليكون ادعى الى عدم الفرار وخص كعب بن لؤى وعامر بن لؤى لرجوع انساب قريش الذين بمكة اجمع اليهما وبقى من قريش بنو سامة بن لؤى وبنو عوف بن لؤى وهم قريش البطاح ولم يكن بمكة منهم أحد وكذلك قريش الظواهر الذين منهم بنو تيم بن غالب ومحارب بن فهر وقوله اعداد مياه الحديبية قال الحافظ ابن حجر يشعر بانه كان بها مياه كثيرة وان قريشا سبقوا الى النزول عليها فلهذا عطش المسلمون وقد جاء التصريح بذلك عن عروة ابن الزبير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مجيبا البديل انا لم نجئ لقتال أحد ولكنا جئنا معتمرين وان قريشا قد نهكتهم الحرب أى أضعفت قوتهم واهزلتهم واضعفت أموالهم وأضرت بهم فان شاؤا ماددتهم أى جعلت بينى وبينهم مدة تترك الحرب فيها ويخلوا بينى وبين الناس من كفار العرب وغيرهم فان أظهر أى باظهار الله تعالى دينى بحيث يدخله الناس ويتبعونى فيما جئت به فان شاؤا الدخول فيما دخل فيه الناس فعلوا والا أى وان لم أظهر فقد جموا بفتح الجيم وشد الميم المضمومة يعنى استراحوا من القتال وفى رواية فان ظهر الناس على فذلك الذى يبغون وفى رواية وان لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة وانما رد الامر مع انه جازم بان الله تعالى سينصره ويظهره لوعد الله تعالى له بذلك على طريق التنزل مع الخصم وفرض الامر على ما زعمه ثم قال وان هم أبوا فو الذى نفسى بيده لاقاتلنهم على أمرى هذا حتى تنفرد سالفتى وهى صفحة العنق كنى بذلك عن القتل أى حتى أموت وابقى منفردا فى قبرى وقيل المراد انه يقاتل حتى ينفرد وحده فى مقاتلتهم والمعنى ان لى من القوة بالله والحول به ما يقتضى مقاتلتهم عن دينه لو انفردت فكيف لا اقاتلهم عن دينه مع كثرة المسلمين ونفاذ بصائرهم فى نصر دين الله ولينفذن

به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة زاد فى رواية وله لك يا رسول الله تخشى أن تكون الانصار ترى عليها ان لا ينصروك الا فى ديارهم وانى أقول عن الانصار واجيب عنهم فاطعن حيث شئت وصل حبل من شئت واقطع حبل من شئت وفى لفظ وصل حبال من شئت واقطع حبال من شئت وسالم من شئت وعاد من شئت وخذ من أموالنا ما شئت وما اخذت منا كان أحب الينا مما تركت وما أمرت فيه من أمر فامرنا تبع لامرك فامض يا رسول الله لما اردت فنحن معك والذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا وانا الصبر فى الحرب صدق فى اللقاء لعل الله يريك منا ما تقر به عينك وفى لفظ بعض ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله تعالى فنحن عن يمينك وشمالك وبين يديك ومن خلفك فسر النبى صلى الله عليه وسلم لذلك أى وأشرق وجهه بقول سعد ونشطه ذلك ثم قال صلى الله عليه وسلم سيروا وأبشروا فان الله تعالى قد وعدنى احدى الطائفتين أى وهما عير قريش ومن خرج من مكة من قريش يريد حماية ذلك العير فو الله لكأنى الآن أنظر الى مصارع القوم أى فقد أعلمه الله تعالى بعد وعده بذلك بالظفر بالطائفة الثانية وأراه مصارعهم فعلم القوم انهم ملاقون القتال وأن العير لا تحصل لهم ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذفران حتى نزل قريبا من بدر فركب صلى الله عليه وسلم هو وأبو بكر رضى الله عنه أى وقيل بدل أبى بكر قتادة بن النعمان وقيل معاذ ابن جبل حتى وقفا على شيخ من العرب أى يقال له سفيان قال فى النور لا اعلم له اسلاما فسأله صلى الله عليه وسلم عن قريش وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم فقال الشيخ لا أخبركما حتى تخبرانى من انتما فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أخبرتنا أخبرناك فقال الشيخ ذاك بذاك قال نعم قال فانه قد بلغنى أن محمدا وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا فان كان صدق الذى أخبرنى به فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذى نزل به رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وبلغنى ان قريشا خرجوا يوم كذا وكذا فان كان الذى أخبرنى به صدق فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذى نزلت به قريش فلما فرغ من خبره قال من أنتما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن من ماء أى من ماء دافق وهو المنى ثم انصرف عنه فقال الشيخ من ماء امن ماء العراق فهم أن المراد بالماء حقيقته أى لكن فى الامتناع فقال النبى صلى الله عليه وسلم نحن من ماء وأشار بيده الى العراق فقال من ماء العراق أى واضيف الماء الى العراق لكثرته به وفيه ان هذا من التورية وقد تقدم فى أوائل الهجرة انه لا ينبغى لنبى أن يكذب ولو صورة ومنه التورية لكن فى كلام القاضى البيضاوى وما روى انه عليه الصلاة والسلام قال لابراهيم عليه الصلاة والسلام ثلاث كذبات تسمية للمعاريض كذبا لما شابهت صورتها صورته ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أصحابه ودعا لهم فقال اللهم انهم حفاة فاحملهم اللهم انهم عراة فاكسهم اللهم انهم جياع فأشبعهم ففتح الله تعالى لهم يوم بدر فانقلبوا حين انقلبوا وما منهم رجل الا وقد رجع

الله أمره وفى هذا تصريح بما كان عليه صلى الله عليه وسلم من القوة والثبات فى تنفيذ حكم الله وتبليغ أمره والندب الى صلة الرحم والابقاء على من كان من أهلها وبذل النصيحة للقرابة فقال بديل سأبلغهم ما تقول فاذن له * قال الزرقانى فى شرح المواهب وفى هذا جواز استنصاح بعض المعاهدين وأهل الذمة اذا دلت القرائن على نصحهم وشهدت التجربة بايثارهم أهل الاسلام على غيرهم ولو كانوا من أهل دينهم ويستفاد منه جواز استنصاح بعض ملوك العدو واستظهارا على غيرهم ولا يعد ذلك من موالاة الكفار ولا من موادة أعداء الله بل من قبيل استخدامهم وتقليل شوكة جمعهم وانكاء بعضهم ببعض ولا يلزم من ذلك جواز الاستعانة بالمشركين على الاطلاق اه وبديل بن ورقاء كان سيد قومه وأسلم يوم الفتح بمر الظهران وشهد حنينا والطائف وتبوك وكان من كبار مسيلمة الفتح وقيل أسلم قبل الفتح وقال ابن منده وأبو نعيم أسلم قديما ولعله كان يكتم اسلامه والمشهور هو الاول وخزاعة قبيلة من الازد ثم انطلق بديل مع من معه من قومه حتى أتى قريشا فقال ناس منهم هذا بديل وأصحابه وانما يريدون أن يستخبروكم فلا تسألوهم عن حرف واحد فرأى بديل انهم لا يستخبرونه فقال انا قد جئناكم من عند هذا الرجل يعنى النبى صلى الله عليه وسلم وسمعناه يقول قولا فان شئتم نعرضه عليكم فعلنا وفى رواية انا جئنا من عند محمد أتحبون أن نخبركم عنه فقال سفهاؤهم لا حاجة لنا أن تخبرنا عنه بشئ ولكن اخبره عنا انه لا يدخلها علينا عامه هذا أبدا حتى لا يبقى منا رجل واحد وقال ذوو الرأى منهم هات ما سمعته يقول ولم يكن أبو سفيان حاضرا هذه القضية على الصحيح بل كان غائبا فى بعض تجاراته فمن

رجع بجمل أو جملين واكتسوا وشبعوا أخرجه أبو داود عن عمرو بن العاص رضى الله عنه أى شبعوا واكتسوا مما أصابوه من كسوة وأزواد قريش وفى الامتاع ان دعاءه صلى الله عليه وسلم المذكور كان عند مفارقته محل معسكره بالمدينة وهو بيوت السقيا كما تقدم وتقدم فيه زيادة وعالة فاغنهم فاصابوا الاسرى فاغتنى بهم كل عائل ولا مانع أن يكون دعاؤه صلى الله عليه وسلم بذلك تكرر فلما أمسى صلى الله عليه وسلم بعث على بن أبى طالب والزبير بن العوام وسعد ابن أبى وقاص فى نفر من أصحابه رضى الله عنهم الى بدر يلتمسون الخبر فاصابوا راوية لقريش معها غلام لبنى الحجاج وغلام لبنى العاص فاتوا بهما ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى فقالوا لمن انتما وظنوا انهما لابى سفيان فقالا نحن لابى سفيان فتركوهما فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلاته قال اذا صدقا كم ضربتموهما واذا كذبا كم تركتموهما صدقا والله انهما لقريش أخبرانى عن قريش قالا هم وراء هذا الكثيب أى التل من الرمل الذى يرى بالعدوة القصوى أى جانب الوادى المرتفع فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم كم القوم قالا كثير أى وفى لفظ هم والله كثير عددهم شديد بأسهم قال ما عدتهم قالا لا ندرى أى وجهد النبى صلى الله عليه وسلم ان يخبراه كم هم فأبيا قال صلى الله عليه وسلم كم تنحرون أى من الجزر كل يوم قالا يوما تسعا ويوما عشرا فقال صلى الله عليه وسلم القوم ما بين التسعمائة والالف أى لكل جزور مائة ثم قال لهما فمن فيهم من أشراف قريش قالا عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو البخترى بن هشام وحكيم بن حزام ونوفل بن خويلد والحرث بن عامر بن نوفل وطعيمة بن عدى بن نوفل والنضر بن الحرث وزمعة بن الاسود وأبو جهل بن هشام وأمية بن خلف ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وسهيل بن عمرو العامرى أى رضى الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك يوم الفتح وهو من اشراف قريش وخطبائهم وسيأتى أنه ممن امر فى هذه الغزاة وعمرو بن عبدود فاقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس فقال هذه مكة قد ألقت اليكم افلاذ اى قطع كبدها أى أشرافها وعظماءها وذكر ان مسيرهم واقامتهم كانت عشرا ميال حتى بلغوا الجحفة أى وهى قرية بقرب رابغ كما تقدم نزلوا بها عشاء أى وفى الامتاع انهم ردوا القيان من الجحفة * أقول * هذا والذى فى مسلم وأبى داود عن أنس رضى الله تعالى عنه فاذا هم بروايا قريش فيها رجل أسود لبنى الحجاج فجاؤا به فكانوا يسألونه عن أبى سفيان فيقول ما لى بابى سفيان علم فاذا قال ذلك ضربوه واذا قال هذا أبو سفيان تركوه الحديث أى وفى الامتاع وأخذ تلك الليلة يسار غلام عبيدة بن سعيد بن العاص وأسلم غلام منبه بن الحجاج وأبو رافع غلام أمية بن خلف فاتى بهم النبى صلى الله عليه وسلم وهو يصلى الحديث وقد يقال لا منافاة لان بعض الرواة ذكر الثلاثة وبعضهم اقتصر على اثنين وبعضهم اقتصر على واحد والله أعلم وكان مع قريش رجل من بنى المطلب بن عبد مناف يقال له جهم بن الصلت رضى الله تعالى عنه فانه أسلم فى عام خيبر

٢٢ سيره ثانى ذكره معهم فقد غلط وفى رواية فاشار عليهم عروة بن مسعود الثقفى بان يسمعوا كلام بديل فان أعجبهم قبلوه والا تركوه فقال صفوان بن أمية والحرث بن هشام أخبرونا بالذى رأيتم وسمعتم قال سمعته يقول كذا وكذا فحدثهم بما قال النبى صلى الله عليه وسلم فرجعوا الى قريش فقالوا انكم تعجلون على محمد انه لم يأت لقتال انما جاء زائرا لهذا البيت فقالوا وان كان جاء لا يريد قتالا بل جاء زائرا فوالله لا يدخلها علينا عنوة أبدا ولا تتحدث عنا العرب بذلك أبدا فقام عروة بن مسعود الثقفى وقد أسلم رضى الله عنه عند منصرفه

صلى الله عليه وسلم من الطائف وهو أحد الرجلين اللذين قال الله فيهما وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فأحدهما الوليد بن المغيرة كان بمكة ومات كافرا والثانى عروة بن مسعود الثقفى وكان بالطائف فالقريتان مكة والطائف فقال لقريش ياقوم ألستم بالوالد أى مثل الوالد فى الشفقة على ولده قالوا بلى قال أولست بالولد أى مثله فى النصح لوالده قالوا بلى بل جاءان أم عروة سبيعة بنت عبد شمس بن عبد مناف ١٧٠ فاراد انهم ولدوه فى الجملة قال فهل تتهمونى قالوا لا ما أنت عندنا بمتهم قال ألستم تعلمون انى استنفرت أهل عكاظ أى دعوتهم الى نصركم فلما امتنعوا من الاجابة جئتكم بأهلى وولدى ومن أطاعنى قالوا بلى قال فان هذا يعنى النبى صلى الله عليه وسلم قد عرض عليكم خطة رشد أى خصلة خير وصلاح وانصاف اقبلوها ودعونى آتيه أى أجىء اليه قالوا ائته فاتى عروة بن مسعود النبى صلى الله عليه وسلم فجعل يكلم النبى صلى الله عليه وسلم بنحو ماقال بديل بن ورقاء فقال له النبى صلى الله عليه وسلم نحوا من قوله لبديل السابق وأخبره أنه لم يأت يريد حربا وعند قول النبى صلى الله عليه وسلم فان هم أبوا فوالذى نفسى بيده لاقاتلنهم قال عروة أى محمد أخبرنى ان استأصلت قومك أى أهلكتهم بالكلية هل سمعت باحد من العرب اجتاح أى أهلك أصله قبلك وان تكن الاخرى أى وان تكن الغلبة لقريش فانى والله لارى وجوها أشوابا يعنى أخلاطا من الناس خليقا أن يفروا عنك ويدعوك وفى رواية فكأنى بهم لو لقيت قريشا قد أسلموك فتؤخذ أسيرا فأى شئ أشد عليك من هذا وانما قال ذلك لان العادة جرت ان الجيوش المجمعة لا يؤمن عليها الفرار بخلاف من كان من قبيلة واحدة فانهم يأنفون الفرار عادة ومادرى عروة ان مودة الاسلام أعظم من مودة القرابة وقد ظهر له ذلك بعد من مبالغة المسلمين فى تعظيمه صلى الله عليه وسلم فلما قال عروة بن مسعود ماقاله وعرض بل صرح بنسبتهم للفرار قال له أبو بكر الصديق رضى الله عنه وكان قاعدا خلف النبى صلى الله عليه وسلم امصص بظر اللات أنحن نفر عنه والبظر هو الفرج وقيل قطعة بعد الختان فى فرج المرأة واللات اسم صنم كانت تعبده ثقيف قال العلماء هذا مبالغة من أبى بكر رضى الله عنه فى سب عروة فانه أقام معبود عروة

وأعطا رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر ثلاثين وسقا وقيل أسلم بعد الفتح فوضع رأسه فاغفى ثم قام فزعا فقال لاصحابه هل رأيتم الفارس الذى وقف على فقالوا لا قال قد وقف على فارس فقال قتل أبو جهل وعتبة وشيبة وزمعة وأبو البحترى وأمية بن خلف وفلان وفلان وعد رجالا من أشراف قريش ممن قتل يوم بدر أى وقال أسر سهيل بن عمرو وفلان وفلان وعد رجالا ممن أسر قال ثم رأيت ذلك الفارس ضرب فى لبة بعيره ثم أرسله فى العسكر فما من خباء من أخبية العسكر الا أصابه من دمه فقال له أصحابه انما لعب بك الشيطان ولما شاعت هذه الرؤيا فى العسكر وبلغت أبا جهل قال قد جئتم بكذب بنى عبد المطلب مع كذب بنى هاشم سيرون غدا من يقتل وفى لفظ قال أبو جهل هذا نبى آخر من بنى المطلب سيعلم غدا من المقتول نحن أو محمد وأصحابه وأول من نحر لهم حين خرجوا من مكة أبو جهل بن هشام عشر جزائر أى عبر الظهران وكانت جزورا منها بعد ان نحرت بها حياة فجالت فى العسكر فما بقى خباء من أخبية العسكر الا أصابه من دمها كذا فى الامتاع ومن هذا المحل رجع بنو عدى أى تفاؤلا بذلك ثم نحر لهم سفيان بن أمية بعسفان تسع جزائر ونحر لهم سهيل بن عمرو بقديد عشر جزائر وسار وا من قديد فضلوا بها ثم أصبحوا بالجحفة فنحر لهم عتبة بن ربيعة عشر جزائر فلما أصبحوا بالابواء نحر لهم مقيس بن عمرو الجمحى تسع جزائر أى ويقال ان الذى نحر لهم بالابواء نبيه ومنبه ابنا الحجاج عشرا ونحر لهم العباس بن عبد المطلب عشر جزائر ونحر لهم الحرث بن عامر بن نوفل تسعا ونحر لهم أبو البحترى على ماء بدر عشر جزائر ونحر لهم مقيس الجمحى على ماء بدر تسعا أى ثم شغلهم الحرب فأكلوا من أزوادهم ثم مضى رجلان من الصحابة أى قبل وصوله صلى الله عليه وسلم الى بدر وكذا قبل وصول قريش الى بدر كما يدل عليه الكلام الآتى خلاف مايدل عليه هذا السياق الى ماء بدر فنزلا قريبا منه عند تل هناك ثم أخذا شنا لهما يستقيان فيه ونحن على الماء واذا جاريتان يتلازمان أى يتخاصمان وتمسك احداهما الاخرى على المال والملزومة تقول لصاحبتها انما يأتى العير غدا أو بعد غد فاعمل لهم واقضيك الذى لك فقال ذلك الرجل الذى على الماء صدقت ثم خلص بينهما وسمع ذلك الرجلان فجلسا على بعيرهما ثم انطلقا حتى أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبراه بما سمعا ثم ان أبا سفيان تقدم العير حذرا حتى ورد الماء فالقى ذلك الرجل فقال له هل أحسست أحدا قال مارأيت أحدا أنكره الا انى قد رأيت راكبين قد اناخا الى هذا التل ثم استقيا فى شن لهما ثم انطلقا فاتى أبو سفيان مناخهما فاخذ من أبعار بعيرهما ففتته فاذا فيه النوى فقال والله علائف يثرب فرجع الى أصحابه سريعا فعدل بعيره عن الطريق وترك بدرا بيسار وانطلق حتى أسرع فلما علم انه قد احرز عيره أرسل الى قريش أى وقد كان بلغه مجيئهم ليحرزوا العير وكانوا حينئذ بالجحفة انكم انما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم وقد نجاها الله تعالى فارجعوا فقال أبو جهل والله لا نرجع حتى نحضر بدرا فنقيم عليه ثلاثة أيام فلا بد ان ننحر الجزر ونطعم الطعام ونسقى الخمر

وهو صنمه مقام امرأة تحقيرا للمعبودة وعادة العرب الشتم بذلك فقال عروة من هذا يا محمد واستفهم عنه لجلوسه خلف النبي صلى الله عليه وسلم فلا ينافي أنه يعرفه وله عليه يد كما سيقول فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا أبو بكر بن أبي قحافة فقال عروة مخاطبا لابي بكر أما والذي نفسي بيده وكانت عادة العرب الحلف بذلك لولا يد لك عندي لم أكافئك بها لاجبتك ولكن هذه بها أي جعلت عدم اجابتك عن شتمي جزاء ليدك التي كنت أحسنت الي بها قال الزهري ان اليد المذكورة هي أن عروة كان تحمل دية فاعانه فيها أبو بكر رضي الله عنه بعون حسن وفي رواية أعانه بعشر فلائص وكان غيره يعينه بالاثنين والثلاث وجعل ١٧١ عروة بن مسعود يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فكلما تكلم بكلمة أخذ بلحيته صلى الله عليه وسلم وكانت تلك عادة العرب وكان المغيرة بن شعبة بن مسعود الثقفي وهو ابن أخي عروة بن مسعود قائما على رأس النبي صلى الله عليه وسلم ومعه السيف بقصد الحراسة وعليه المغفر قال عروة بن الزبير ان المغيرة لما رأى عروة بن مسعود لبس لأمته وجعل على رأسه المغفر ليستخفي من عمه عروة وقام على رأس النبي صلى الله عليه وسلم قال الحافظ ابن حجر ففيه جواز القيام على رأس الأمير بالسيف لقصد الحراسة ونحوها من ترهيب العدو ولا يعارضه النهي عن القيام على رأس الجالس لان محله ما اذا كان على وجه العظمة والكبر فكان المغيرة كلما أهوى عروة بن مسعود بيده الى لحية النبي صلى الله عليه وسلم ضرب يده بنعل السيف وهو ما يكون أسفل القراب من فضة أو غيرها وفعل المغيرة ذلك اجلالا وتعظيما للنبي صلى الله عليه وسلم وكان يقول لعروة أخر يدك عن لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لا ينبغي لمشرك أن يمسه فيقول عروة ما أفظك وأغلظك وقد كانت عادة العرب أن يتناول الرجل لحية من يكلمه ولا سيما عند الملاطفة يريد بذلك التحبب والتواصل وفي الغالب انما يصنع ذلك النظير بالنظير فرأى عروة لعظمته في قومه أنه نظير للنبي صلى الله عليه وسلم وما علم حينئذ أنه لا نظير له فلذلك منعه فلما كان المغيرة رضي الله عنه يمنعه لكن كان صلى الله عليه وسلم يغضي أي يتغافل ويسكت لعروة فلا يؤاخذه بفعله ولا يمنعه استمالة وتأليفا له ولقومه والمغيرة كان يمنعه فلما تكرر المنع من المغيرة رفع عروة رأسه وقال من هذا وفي رواية فلما أكثر المغيرة مما يقرع يده غضب وقال ليت شعري من هذا الذي قد آذاني من بين أصحابك والله لا أحسب فيكم ألأم منه

الخمر وتعزف علينا القيان أي تضرب بالمعازف أي الملاهي وقيل الدفوف وقيل الطنابير وقيل نوع منها يتخذه أهل اليمن وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا أبدا بعدها وسيأتي في غزاة بدر الموعد ان موسم بدر يكون عند هلال ذي القعدة في كل عام يمكث ثمانية أيام ويبعد ارادة ذلك لابي جهل أي اقامتهم ببدر بقية رمضان وتمام شوال قال ولما أرسل أبو سفيان يقول لقريش ما تقدم أي ورد عليه أبو جهل بما ذكر قال هذا بغي والبغي منقصة وشؤم وعند ذلك رجع منهم بنو زهرة وكانوا نحو المائة انتهى أي وقيل ثلثمائة وقائدهم كان الاخنس بن شريق وفي كلام ابن الاثير فلم يقتل منهم أي من بني زهرة أحد ببدر وفي كلام غيره ولم يشهد بدرا أحد من بني زهرة الا رجلان قتلا كافرين فان الاخنس قال لبني زهرة يا بني زهرة قد نجى الله أموالكم وخلص لكم صاحبكم مخرمة بن نوفل وانما نفرتم لتمنعوه وماله فارجعوا بني حميتها وارجعوا فانه لا حاجة لكم بان تخرجوا في غير منفعة لما يقول هذا يعني أبا جهل وقال لابي جهل أي وقد خلا به أترى محمدا يكذب قط ما كذب قط كنا نسميه الامين لكن اذا كانت في بني عبد المطلب السقاية والرفادة والمشورة ثم تكون فيهم النبوة فاي شئ يكون لنا فانخنس الاخنس ورجع ببني زهرة أي واسمه أبي وانما لقب بالاخنس من حين رجع ببني زهرة فقيل خنس بهم فسمي الاخنس كان حليفا لبني زهرة ومقدما فيهم رضي الله تعالى عنه فانه أسلم يوم الفتح واطاع رسول الله صلى الله عليه وسلم مع المؤلفة قلوبهم ورأيت عن السهيلي انه قتل يوم بدر كافرا وتبعه على ذلك التلمساني في حاشية الشفاء واستدل له بقول القاضي البيضاوي ان قوله تعالى ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا الآية نزلت في الاخنس بن شريق وفي الاصابة أنه كان من المؤلفة ومات في خلافة عمر وعن السدي ان الاخنس جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فاظهر اسلامه وقال الله يعلم اني لصادق ثم هرب بعد ذلك فمر بقوم مسلمين فحرق زرعهم فنزلت ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا الى قوله وبئس المهاد قال ابن عطية ما ثبت قط أن الاخنس أسلم قلت قد اثبته في الصحابة جماعة ولا مانع أن يكون اسلم ثم ارتد ثم رجع الى الاسلام هذا كلام الاصابة وفي كلام ابن قتيبة ولم يسلم الاخنس وفي كلام بعضهم ثلاثة ابن وأبوه وجده شهدوا بدرا الاخنس وابنه يزيد وابنه معن فليتأمل ذلك قال وأرادوا هاشم الرجوع فاشتد عليهم أبو جهل وقال لا تفارقنا هذه العصابة حتى نرجع انتهى ثم لم يزالوا سائرين حتى نزلوا بالعدوة القصوى قريبا من الماء ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون بعيدا من الماء بينهم وبين الماء رحلة فظمئ المسلمون وأصابهم ضيق شديد واجنب غالبهم وألقى الشيطان في قلوبهم الغيظ فوسوس اليهم تزعمون أنكم أولياء الله تعالى وانكم على الحق وفيكم رسوله وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم عطاش وتصلون مجنبين أي وما ينتظر اعداؤكم الا أن يقطع العطش رقابكم ويذهب قواكم فيحكموا

ولا أشر منزلة فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم فقال له عروة من هذا يا محمد قال هذا ابن أخيك شعبة وفي رواية هذا المغيرة بن شعبة فلما عرف
انه ابن أخيه قال أي غدر ألست أسعى في غدرتك وفي رواية والله ما غسلت يدي من غدرتك ولقد أورثتنا العداوة في ثقيف وفي رواية
وهل غسلت سوأتك الا بالامس فيمكن أن الاختلاف من تصرف الرواة أو انه قال ذلك كله ويعني بغدرته ما كان من المغيرة قبل اسلامه
فانه صحب في الجاهلية ثلاثة عشر من ثقيف ١٧٢ من بني مالك خرجوا للمقوقس ملك مصر بهدايا فاحسن اليهم وأعطاهم وقصر

بالمغيرة لانه لم يكن من رهطهم بل من أحلافهم فغار منهم ولم يواسه أحد منهم فلما كانوا ببعض الطريق شربوا الخمر وناموا فوثب المغيرة فقتلهم كلهم وأخذ أموالهم ثم جاء الى المدينة فاسلم فقال أبو بكر رضي الله عنه ما فعل المالكيون الذين كانوا معك قال قتلتهم وجئت باسلابهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحسن أو ليرى رأيه فيها فقال النبي صلى الله عليه وسلم أما الاسلام فاقبل وأما المال فلست منه في شئ أي لا أتعرض له لكونه أخذ غدرا لانه لا يحل أخذ مال الكفار غدرا حال الامن لان الرفقة يصطحبون على الامانة وهي تؤدي الى أهلها مسلما كان أو كافرا وانما تحل أموالهم بالمحاربة والمغالبة فلعله صلى الله عليه وسلم ترك المال في يده لامكان اسلام قومه فيرد اليهم أموالهم وقيل انه لما فعل ذلك كان مثلهم حربيا والحربي اذا أتلف مال الحربي لم يضمن وهو أحد وجهين للشافعية فبلغ ثقيفا ما فعله المغيرة من قتل أصحابه وأخذ أموالهم فتهايج الفريقان للقتال بنو مالك والاحلاف رهط المغيرة فسعى عمه عروة بن مسعود حتى أخذوا منه دية ثلاثة عشر نفرا واصطلحوا وقيل ان عروة بن مسعود ليس عم المغيرة نفسه بل عم أبيه ولا ضير في ذلك فعم الاب عم عند العرب والمغيرة ليس ابن شعبة رضي الله عنه كان من دهاة العرب أحصن في الاسلام ثمانين امرأة وقيل ثلثمائة وقيل ألف امرأة ثم ان عروة بن مسعود جعل يرمق أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعينه فقال حين حدث الحديث والله ما تنخم يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامة الا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده تبركا واذا أمرهم بأمر ابتدروا أمره أي أسرعوا الى فعله واذا توضأ كادوا

فيكم كيف شاؤا وفي الكشاف فاذا قطع العطش أعناقكم مشوا اليكم فقتلوا من احبوا وساقوا بقيتكم الى مكة فحزنوا حزنا شديدا واشفقوا وكان الوادي دهسا بالسين المهملة أي ليننا كثير التراب تسيخ فيه الاقدام فبعث الله السماء أي المطر فاطفأت الغبار ولبدت الارض أي شدتها للنبي صلى الله عليه وسلم ولاصحابه أي وطهرهم به واذهب عنهم رجز الشيطان أي وسوسته وشربوا منه وملؤا الاسقية وسقوا الركائب واغتسلوا من الجنابة أي وطابت نفوسهم فذلك قوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به أي من الاحداث ويذهب عنكم رجز الشيطان أي وسوسته وليربط على قلوبكم أي يشدها ويقويها ويثبت به الاقدام أي بتليبد الارض حتى لا تسوخ في الرمل وأصاب قريشا منها ما لم يقدروا على أن يرتحلوا منه أي ويصلوا الى الماء أي فكان المطر نعمة وقوة للمؤمنين وبلاء ونقمة للمشركين وعن علي رضي الله تعالى عنه أصابنا من الليل طش من مطر فانطلقنا تحت الشجر والخف نستظل تحتها من المطر وبات رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ربه وعن علي رضي الله تعالى عنه ما كان فينا أي تلك الليلة قائم الا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي تحت شجرة ويكثر في سجوده أن يقول ياحي ياقيوم يكرر ذلك حتى أصبح أي لان المسلمين أصابهم تلك الليلة نعاس شديد يلقى الشخص على جنبه أي وعن قتادة كان النعاس أمنة من الله وكان النعاس نعاسين نعاس يوم بدر ونعاس يوم أحد لان النعاس هناك ليلا قبل القتال وفي أحد كان وقت القتال وكون النعاس أمنة وقت القتال أو وقت التأهب له وهو وقت المصافة واضح لا قبله هذا وذكر الشمس الشامي انه لما نزلت الملائكة والناس بعد على مصافهم لم يحملوا على عدوهم وبشرهم صلى الله عليه وسلم بنزول الملائكة حصل لهم الطمأنينة والسكينة وقد حصل لهم النعاس الذي هو دليل على الطمأنينة وربما يقتضي أنه حصل لهم النعاس عند المصافة والا فقد يقال ان قوله وقد حصل لهم النعاس جملة حالية أي والحال انه حصل لهم قبل ذلك في تلك الليلة لا في وقت المصافة ولا يبعد ذلك قوله بعد ذلك ولهذا قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه النعاس في المصاف من الايمان والنعاس في الصلاة من النفاق أي لانه في الاول يدل على ثبات الجنان وفي الثاني يدل على عدم الاهتمام بامر الصلاة فلما ان طلع الفجر نادى صلى الله عليه وسلم الصلاة عباد الله فجاء الناس من تحت الشجر والخف فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرض على القتال أي في خطبة خطبها فقال بعد ان حمد الله وأثنى عليه أما بعد فاني احثكم على ما حثكم الله عليه الى ان قال وان الصبر في مواطن البأس مما يفرج الله تعالى به الهم وينجي به من الغم الحديث ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يبادرهم أي يسابق قريشا الى الماء فسبقهم عليه حتى جاء ادنى ماء من بدر أي أقرب ماء الى بدر من بقية مياهها فنزل به صلى الله عليه وسلم فقال له الحباب بن المنذر يارسول الله أرأيت هذا المنزل أمنزل انزلكه الله تعالى ليس لنا ان نتقدمه ولا نتأخر عنه أم هو الرأي والحرب والمكيدة قال بل هو الرأي والحرب والمكيدة قال يارسول الله ان هذا



يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده ومايحدون النظر اليه تعظيما له فكان فى فعلهم ذلك رد لما ظنه من فرارهم فكأنهم قالوا بلسان الحال من نحبه هذه المحبة ونعظمه هذا التعظيم كيف يظن بنا أن نفر عنه ونسلمه لعدوه بل هم أشد اغتباطا أى تعلقا وتمسكا به وبدينه ونصره من هذه القبائل التى تراعى بعضها بمجرد الرحم فرجع عروة الى أصحابه فقال أى قوم فوالله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشى والله مارأيت ملكا قط يعظمه أصحابه مايعظم أصحاب محمد محمدا والله مايتنخم نخامة الا وقعت فى كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا أمرهم ابتدروا أمره واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا أصواتهم وفى رواية واذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده اجلالا وتوقيرا ومايحدون النظر اليه تعظيما له وانه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ولقد رأيت قوما لايسلمونه لشئ أبدا فروا رأيكم وفى رواية فقال عروة أى قوم قد رأيت الملوك مارأيت مثل محمد وماهو بملك ولقد رأيت الهدى معكوفا وما أراكم الا ستصيبكم قارعة وهذا دليل على جودة عقله وتفطنه لما كان عليه الصحابة من المبالغة فى تعظيمه صلى الله عليه وسلم وتوقيره ومراعاة أموره وردع من جفا عليه بقول أو فعل والتبرك بآثاره فلم يسمع القوم ما قاله عروة بن مسعود ومارغبهم فيه من الصلح فانصرف هو ومن تبعه الى الطائف فقال رجل من بنى كنانة يسمى الحليس بن علقمة ولا يعرف له اسلام وكان سيد الاحابيش أى القبائل التى تجمعت من غير قريش دعونى آته يعنى النبى صلى الله عليه وسلم أى أذهب اليه فقالوا ائته فلما أشرف على النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن يعنى التى تهدى للحرم فابعثوها أى أثيروها دفعة واحدة ليعتبر برؤيتها ويتحقق أنهم لايريدون حربا فيعينهم على دخول مكة لنسكهم فبعثوها واستقبله الناس يلبون بالعمرة فلما رأى الحليس ذلك قال متعجبا سبحان الله ماينبغى لهؤلاء أن يصدوا أى يمنعوا عن البيت وفى رواية قال أبى الله ان تحج لخم وجذام وكندة وحمير ويمنع ابن عبد المطلب وفى رواية فلما رأى الهدى يسيل عليه من عرض الوادى بقلائده وقد حبس

ليس بمنزل فانهض بالناس حتى تأتى ادنى ماء من القوم أى اذا نزل القوم يعنى قريشا كان ذلك الماء أقرب المياه أى محله أقرب المياه اليهم قال الحباب فانى أعرف غزارة مائه وكثرته بحيث لاينزح فننزله ثم تغور ماعداه من القلب أى وهى الآبار غير المبنية ثم نبنى عليه حوضا فنملأه ماء فنشرب ولايشربون لان القلب كلها حينئذ تصير خلف ذلك القليب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد اشرت بالرأى ونزل جبريل عليه السلام على النبى صلى الله عليه وسلم فقال الرأى ما أشار اليه الحباب فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من الناس فسار حتى أتى أدنى ماء من القوم أى من المحل الذى ينزل به القوم فنزل عليه ثم أمر بالقلب فغورت بسكون الواو وقال السهيلى لما كانت القلب عينا جعلها كعين الانسان ويقال فى عين الانسان غرتها فغارت ولا يقال غورتها أى بالتشديد وبنى صلى الله عليه وسلم حوضا على القليب الذى نزل به فملأه ماء ثم قذفوا فيه الآنية ومن يومئذ قيل للحباب ذو الرأى وظاهر كلام بعضهم انه كان معروفا بذلك قبل هذه الغزاة وفيه ان ذلك القليب اذا كان خلف ظهورهم وسائر القلب خلفه ما المعنى فى تغويرها لانها اذا لم تغورهم يشربون ولا يشرب القوم الا أن يقال المعنى لئلا يأتوا اليها من خلفهم فالغرض قطع اطماعهم من الماء فليتأمل واستدل بقوله صلى الله عليه وسلم بل هو الرأى على جواز الاجتهاد له صلى الله عليه وسلم فى الحرب نظرا لصورة السبب أو مطلقا لان صورة السبب لاتخصص وجواز الاجتهاد له مطلقا هو الراجح ومما استدل به على وقوع الاجتهاد له صلى الله عليه وسلم فى الاحكام قوله الا الاذخر عقب ماقيل له الا الاذخر قال السبكى وليس قاطعا لاحتمال أن يكون اوحى اليه فى تلك اللحظة هذا وفى كلام بعضهم انهم نزلوا على ذلك القليب نصف الليل فصنعوا الحوض وملؤه وقذفوا فيه الآنية بعد ان استقوا منه وسيأتى مايؤيده وقال سعد بن معاذ يانبى الله الا نبنى لك عريشا أى وهو شئ كالخيمة من جريد يستظل به تكون فيه ونعد عندك ركائبك ثم نلقى عدونا فان أعزنا الله تعالى وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا وان كانت الاخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا فقد تخلف عنك أقوام يانبى الله مانحن بأشد لك حبا منهم ولا أطوع لك منهم لهم رغبة فى الجهاد ونية ولو ظنوا انك تلقى حربا ماتخلفوا عنك انما ظنوا انها العير يمنعك الله بهم ويناصحونك ويجاهدون معك فأثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ودعا له بخيرى وقال أو يقضى الله خيرا من ذلك ياسعد أى وهو نصرهم وظهورهم على عدوهم ثم بنى أى ذلك العريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم أى فوق تل مشرف على المعركة ٥ كان فيه أى وعن على رضى الله تعالى عنه أنه قال لجمع من الصحابة اخبرونى عن أشجع الناس قالوا أنت قال أشجع الناس أبو بكر لما كان يوم بدر جعلنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريشا فقلنا من مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أى من يكون معه لئلا يهوى اليه أحد من المشركين فوالله مادنا منا أحد الا أبو بكر شاهرا بالسيف على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم لايهوى اليه أحد الا أهوى اليه أى

عن محله رجع ولم يصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء عند الحاكم انه صاح وهو على بعد فقال هلكت قريش ورب الكعبة
ان القوم انما أتوا عمارا فقال صلى الله عليه وسلم اجل يا أخا بني كنانة قال الحافظ ابن حجر فيحتمل انه خاطبه على بعد ولم يصل اليه جمعا
بين الروايتين فلما رجع الى أصحابه قال رأيت البدن قد قلدت واشعرت فما أرى أن يصدوا عن البيت فقالوا له اجلس انما أنت اعرابي
لا علم لك فغضب عند ذلك وقال يا معشر قريش والله ما على هذا حالفناكم ولا على هذا عاهدناكم أيصد عن بيت

الله من جاءه معظما له والذي نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وما جاء له أو لانفرن بالاحابيش نفرة رجل واحد فقالوا له اكفف عنا يا حليس حتى نأخذ لانفسنا ما نرضى به * وفي القصة دليل على ان كثيرا من المشركين كانوا يعظمون حرمات الاحرام والحرم وينكرون على من يصد عن ذلك تمسكا منهم ببقايا دين ابراهيم عليه السلام ثم قام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص من بني عامر بن لؤي ولم يذكره أحد في الصحابة الا ابن حبان فانه ذكره بلفظ يقال له صحبة وهو بكسر الميم وسكون الكاف وفتح الراء بعدها زاي فقال دعوني آته فلما أشرف عليهم قال النبي صلى الله عليه وسلم هذا مكرز وهو رجل فاجر وفي رواية غادر قال الحافظ ابن حجر مازالت متعجبا من وصفه بالفجور مع أنه لم يقع منه في قصة الحديبية فجور ظاهر بل فيها ما يشعر بخلاف ذلك كما سيأتي من كلامه في قصة أبي جندل الى ان رأيت في مغازي الواقدي في غزوة بدر ان عتبة ابن ربيعة قال لقريش كيف نخرج من مكة وبنو كنانة خلفنا لا نامنهم على ذرارينا وذلك ان حفص بن الاخيف كان له ولد وضيء فقتل رجل من بني بكر بن كنانة بدم لهم كان في قريش فتكاتمت قريش في ذلك ثم اصطلحوا فعدا مكرز بعد ذلك على عامر بن يزيد سيد بني بكر غرة فقتله فنفرت من ذلك كنانة فجاءت وقعة بدر أثناء ذلك فكان مكرز معروفا بالشر وذكر الواقدي أيضا ان مكرزا أراد ان يبيت المسلمين بالحديبية فخرج في خمسين رجلا فأخذهم محمد بن مسلمة وهو على الحرس وانفلت مكرز فكان صلى الله عليه وسلم أشار الى ذلك حين قال وهو رجل فاجر أو غادر فجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وجعل يكلمه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم نحوا مما قال لبديل

ولذلك حكم علي انه أشجع الناس وبه يرد قول الشيعة والرافضة ان الخلافة لا يستحقها الا علي لانه أشجع الناس أي وهذا كان قبل أن يلتحم القتال والا فبعد التحامه كان علي على باب العريش الذي به صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وسعد بن معاذ قائمان على باب العريش في نفر من الانصار كما سيأتي ومما استدل به على أن أبا بكر أشجع من علي أن عليا أخبره النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا يقتله الا ابن ملجم فكان اذا دخل الحرب ولاقى الخصم علم انه لا قدرة له على قتله فهو معه كالنائم على فراشه وأما أبو بكر فلم يخبر بقاتله فكان اذا دخل الحرب لا يدري هل يقتل أولا ومن هذه حاله يقاسي من التعب ما لا يقاسيه غيره ومما يدل على ذلك ما وقع له في قتال أهل الردة وتصميمه العزم على مقاتلة مانعي الزكاة مع تثبيط سيدنا عمر له عن ذلك فلما كان الصباح أقبلت قريش من الكثيب وهذا يؤيد القول بأنه صلى الله عليه وسلم سار بأصحابه ليلا ليبادرهم الى الماء لان ذلك بعد طلوع الفجر وصلاة الصبح كما تقدم لان الظاهر من قول الراوي أقبلت أي عليهم وهم ما كنون ويؤيده أيضا ما في مسلم عن أنس رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليلة بدر أي بعد ان وصل الى محل الوقعة هذا مصرع فلان ان شاء الله غدا ووضع يده على الارض وهذا مصرع فلان ههنا وهذا مصرع فلان ههنا قال أنس ما ماط أحدهم عن موضع يده صلى الله عليه وسلم أي ما تنحى فليتأمل الجمع ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا وقد أقبلت بالدروع الساترة والجموع الوافرة والاسلحة الشاكية أي التامة قال اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها أي كبرها وعجبها وفخرها تجادلك أي تعاديك وتخالف أمرك وتكذب رسولك فنصرك أي انجز نصرك الذي وعدتني أي وفي لفظ اللهم انك أنزلت علي الكتاب وأمرتني بالثبات ووعدتني احدى الطائفتين أي وقد فاتت احداهما وهي العير وانك لا تخلف الميعاد اللهم احنهم أي أهلكهم الغداة وفي رواية للهم لا تفلتن أبا جهل فرعون هذه الامة اللهم لا تفلتن زمعة بن الاسود اللهم واسحق عين أبي زمعة واعم بصر أبي زمعة اللهم لا تفلتن سهيلا الحديث ولما اطمأنت قريش أرسلوا عمير بن وهب الجمحي أي رضي الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك بحسن اسلامه وشهد أحدا معه صلى الله عليه وسلم ○ فقالوا احزر لنا أصحاب محمد أي انظر لنا عددهم فاستجال بفرسه حول عسكر النبي صلى الله عليه وسلم ثم رجع اليهم فقال ثلثمائة رجل يزيدون قليلا أو ينقصون قليلا ولكن أمهلوني حتى أنظر للقوم كمينا أو مددا فذهب في الوادي حتى أبعد فلم ير شيأ ثم رجع اليهم وقال ما رأيت شيأ ولكني قد رأيت يا معشر قريش البلايا أي وهي في الاصل النوق تبرق على قبر صاحبها فلا تعلف ولا تسقى حتى تموت تحمل المنايا أي الموت أي نواضح يثرب تحمل الموت الناقع أي البالغ زاد بعضهم ألا ترونهم خرسا لا يتكلمون يتلمظون تلمظ الافاعي لا يريدون أن ينقلبوا الى أهليهم زرق العيون كأنهم الحصا تحت الحجف يعني الانصار قوم ليس لهم منعة ولا ملجأ الا سيوفهم والله ما نرى أن نقتل منهم رجلا حتى يقتل رجل منكم فاذا أصابوا منكم أعدادهم فما خير العيش



وأصحابه فبينما هو يكلمه اذ جاء سهيل بن عمرو العامرى وكان خطيب قريش وقد أسلم عام الفتح رضى الله عنه وكان ملازما للجهاد حتى استشهد يوم اليرموك وقيل مات بالشام بطاعون عمواس وكان يقول والله لا أدع موقفا وقفته مع المشركين الا وقفت مع المسلمين مثله ولا نفقة أنفقتها مع المشركين الا أنفقت على المسلمين مثلها لعل أمرى ان يتلو بعضه بعضا قال الشافعى سهيل بن عمرو رضى الله عنه كان محمود الاسلام من حين أسلم وما جاء خبر وفاة النبى ١٧٥ صلى الله عليه وسلم أهل مكة اضطرب الناس وكادوا

العيش بعد ذلك فرارا بكم فلما سمع حكيم بن حزام ذلك مشى فى الناس فأتى عتبة بن ربيعة فقال يا أبا الوليد انك كبير قريش وسيدها والمطاع فيها هل لك الى أن لا تزال تذكر فيها بخير الى آخر الدهر قال وماذاك يا حكيم قال ترجع بالناس فقام عتبة خطيبا فقال يا معشر قريش انكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمدا وأصحابه شيأ والله لئن أصبتموه لا يزال رجل ينظر فى وجه رجل يكره النظر اليه قتل ابن عمه وابن خاله ورجلا من عشيرته فارجعوا وخلوا بين محمد وبين سائر العرب فان أصابوه فذاك الذى أردتم وان كان غير ذلك كفاكم ولم تعرضوا منه ما تريدون أى يا قوم اعصبوها اليوم برأسى أى اجعلوا عارها متعلقا بى وقولوا جبن عتبة وأنتم تعلمون انى لست بأجبنكم ○ أى وفى لفظ آخر ان حكيم بن حزام قال لعتبة بن ربيعة تجير بين الناس وتحمل دم حليفك عمرو بن الحضرمى أى الذى قتله واقد بن عبد الله فى سرية عبد الله بن جحش الى نخلة وهو أول قتيل قتله المسلمون وتحمل ما أصاب محمد من تلك العير أى الذى غنمه عبد الله ابن جحش كما سيأتى فى السرايا فانهم لا يطلبون من محمد الا ذلك فقال عتبة نعم قد فعلت أى هو حليفى فعلى عقله وما اصيب من المال ونعم ما دعوت اليه وركب عتبة جملا له وصار يجيله فى صفوف قريش يقول يا قوم اطيعونى فانكم لا تطلبون غير دم ابن الحضرمى وما أخذ من العير وقد تحملت ذلك زاد بعضهم انه قال يا معشر قريش انشدكم الله فى هذه الوجوه التى تضىء مصابيح يعنى قريشا ان تجعلوها انداد الهذه الوجوه التى كأنها عيون الحيات يعنى الانصار وهذا كما ترى وما يأتى أيضا يضعف قول من قال انه صلى الله عليه وسلم قتل ابن الحضرمى أى أعطى ديته وقد كان صلى الله عليه وسلم لما رأى قريشا أقبلت من الكثيب وعتبة على جمل أحمر قال ان يكن فى أحد من القوم خير فعند صاحب الجمل الاحمر أى وفى رواية ان يكن أحد يأمر بخير فعسى أن يكون صاحب الجمل الاحمر ان يطيعوه يرشدوا ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم راكب الجمل الاحمر يجيله فى صفوف قريش قال يا على نادحمزة وكان أقربهم الى المشركين فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم من صاحب الجمل الاحمر وماذا يقول لهم فقال هو عتبة بن ربيعة ينهى عن القتال وحينئذ يكون قوله صلى الله عليه وسلم ان يكن فى أحد من القوم خير الخ من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم ○ ثم قال عتبة لحكيم بن حزام انطلق لابن الحنظلية يعنى أبا جهل قال حكيم فانطلقت حتى جئت أبا جهل فوجدته قد سل درعه من جرابها أى أخرجها منه فقلت له يا أبا الحكم ان عتبة أرسلنى اليك بكذا وكذا للذى قال فقال انتفخ والله سحره أى رئته كلمة تقال للجبان وفى لفظ أنه قال لعتبة وقد جاء اليه أنت تقول هذا والله لو غيرك يقول هذا لاغضضته أى قلت له اغضض على بظر أمك ان قد ملأت رئتك جوفك رعبا كلا والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد وقال لحكيم ما بعتبة ما قال ولكنه قد رأى ان محمدا وأصحابه أكلة جزور أى فى قلة بحيث يكفيهم الجزور وفيهم ابنه أى وهو أبو حذيفة رضى الله تعالى عنه فانه كان ممن أسلم قديما فقد تخوفكم عليه أى وفى رواية أنه قال

يرتدون فخطب الناس خطبة كخطبة الصديق بالمدينة رضى الله عنه وثبتهم فيها وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم لعمر رضى الله عنه لما أراد تكسير أسنانه لعله يقف موقفا يسرك فكان ذلك الموقف هو خطبته لاهل مكة وتثبيتهم فكان ذلك من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم قيل ان وصول سهيل ابن عمرو الى النبى صلى الله عليه وسلم كان قبل انصراف مكرز بن حفص من عند النبى صلى الله عليه وسلم وقيل ان مكرزا رجع الى قريش فأخبرهم بقوله صلى الله عليه وسلم وان ذهاب الحليس ثم عروة بعد مكرز وجمع بانه رجع فأخبرهم ثم جاء مع سهيل فى الصلح ولما جاء سهيل قال النبى صلى الله عليه وسلم قد سهل لكم من أمركم وكان مع سهيل حويطب بن عبد العزى قال ابن اسحق دعت قريش سهيل بن عمرو فقالت اذهب الى هذا الرجل ولا تكن فى صلحه الا ان يرجع عنا عامه هذا فوالله لا تحدث العرب انه دخلها علينا عنوة أبدا فأتى سهيل فقال النبى صلى الله عليه وسلم لما رآه مقبلا قد أرادت قريش الصلح حين بعثت هذا الرجل فلما انتهى الى النبى صلى الله عليه وسلم برك على ركبتيه وجلس النبى صلى الله عليه وسلم متربعا وقام عباد بن بشر وسلمة بن أسلم على رأسه مقنعين فى الحديد وجلس المسلمون حوله فجرى بينهما القول وأطال سهيل الكلام وتراجعا فقال له عباد بن بشر اخفض صوتك عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فخفض صوته ولم يزالا يتراجعان حتى تم الصلح بينهما وهذا يقتضى أن ارسال سهيل بن عمرو كان قبل أن يرسل النبى صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان رضى الله عنه الى أهل مكة وجرى على ذلك كثير من أهل السير وقال آخرون ان ارسال سهيل بن عمرو كان بعد ارسال النبى صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان

رضى الله عنه الى أهل مكة فقالوا ان النبى صلى الله عليه وسلم لما نزل الحديبية أحب أن يبعث الى قريش يعلمهم أنه انما قدم معتمرا لا مقاتلا فبعث خراش بن أمية الخزاعى على جمله عليه الصلاة والسلام فعقره عكرمة بن أبى جهل وأراد قتله فمنعه الاحابيش فأتاه صلى الله عليه وسلم وأخبره فدعا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ليبعثه فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له فقال يا رسول الله انى أخاف قريشا على نفسى وما بمكة من بنى عدى بن كعب ١٧٦ أحد يمنعنى وقد عرفت قريش عداوتى اياها وغلظى عليها ولكن أدلك على رجل أعز بها منى عثمان بن عفان رضى الله عنه أى فان بنى عمه يمنعونه فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان وكتب له كتابا الى أشراف قريش يخبرهم انه لم يات الا زائرا لهذا البيت ومعظما لحرمته وأمر النبى صلى الله عليه وسلم عثمان ان يأتى رجالا مسلمين مستضعفين بمكة ونساء مؤمنات مستضعفات بها ويدخل عليهم ويبشرهم بالفتح ويخبرهم بان الله وشيك أى قريب ان يظهر دينه بمكة حتى لا يستخفى فيها بالايمان فخرج عثمان رضى الله عنه ودخل مكة ومعه عشرة من الصحابة رضى الله عنهم باذن النبى صلى الله عليه وسلم ليزوروا أهاليهم ولم يذكروا أسماءهم فلقيه قبل ان يدخل مكة أبان بن سعيد بن العاص وأسلم بعد ذلك رضى الله عنه وكان ابن عم عثمان رضى الله عنه فأجاره حتى يبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعله بين يديه فجاء الى عظماء قريش فبلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرسله به وهم يردون عليه ويقولون ان محمدا لا يدخلها علينا أبدا فلما فرغ عثمان رضى الله عنه من رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا له ان شئت ان تطوف بالبيت فطف فقال ما كنت لافعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال المسلمون الذين مع النبى صلى الله عليه وسلم قد خلص عثمان الى البيت الذى فطاف به دوننا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أظنه طاف بالبيت ونحن محصورون قالوا وما يمنعه يا رسول الله وقد خلص اليه قال ذاك ظنى به أن لا يطوف بالكعبة حتى نطوف لو مكثت كذا وكذا سنة فلما رجع عثمان وقيل له فى ذلك أى قالوا له طفت بالبيت فقال والذى نفسى بيده لو مكثت بها معتمرا كذا وكذا سنة ورسول الله صلى الله عليه وسلم مقيم بالحديبية ما طفت حتى يطوف

يا معشر قريش انما يشير عليكم عتبة بهذا لان ابنه مع محمد ومحمد ابن عمه فهو كره أن تقتلوا ابنه وابن عمه فغضب عتبة وسب أبا جهل وقال سيعلم أينا أفسد لقومه أى ومن غريب الاتفاق ان أم أبان بنت عتبة بن ربيعة المذكور كان لها أربعة اخوة وعمان كل منهم حضر بدرا اثنان من اخوتها مسلمان واثنان مشركان وواحد من عمها مسلم والآخر كافر فالاخوان المسلمان أبو حذيفة ومصعب بن عمير ولعله كان أخاها لامها والكافران الوليد بن عتبة وأبو عزيز والعم المسلم معمر بن الحرث ولعله كان أخا لعتبة لامه والعم الكافر شيبة بن ربيعة وكان من حكمة الله تعالى ان الله جعل المسلمين قبل ان يلتحم القتال فى أعين المشركين قليلا استدراجا لهم ليقدموا ولما التحم القتال جعلهم الله فى أعين المشركين كثيرا ليحصل لهم الرعب والوهن وجعل الله المشركين عند التحام القتال فى أعين المسلمين قليلا ليقوى جاشهم على مقاتلتهم ومن ثم جاء عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه انه قال لقد قللوا فى أعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل أتراهم سبعين قال أراهم مائة وأنزل الله تعالى واذ يريكموهم اذ التقيتم فى أعينكم قليلا ويقللكم فى أعينهم ومن ثم قال الله تعالى قد كان لكم آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم أى يرى أولئك الكفار المؤمنين مثليهم رأى العين أى وقد ذكر ان قباث بن أشيم رضى الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك قال فى نفسه يوم بدر لو خرجت نساء قريش بأكمتها لردت محمدا وأصحابه وعنه أنه قال لما كان بعد الخندق قدمت المدينة سألت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا هو ذاك فى محل المسجد مع ملا من أصحابه فاتيته وأنا لا أعرفه من بينهم فسلمت عليه فقال صلى الله عليه وسلم يا قباث أنت القائل يوم بدر لو خرجت نساء قريش بأكمتها ردت محمدا وأصحابه فقال قباث والذى بعثك بالحق ما تحدث به لسانى ولا ترفرفت به شفتاى ولا سمعه منى أحد وما هو الا شئ هجر فى قلبى وحينئذ يكون معنى قوله صلى الله عليه وسلم له أنت القائل أى فى نفسك أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وأن ما جئت به الحق ولما بلغ عتبة ما قاله أبو جهل قال سيعلم مصفر استه من انتفخ سحره أنا أم هو وقد تقدم معنى مصفر استه وذكر السهيلى هنا ان هذه الكلمة لم يخترعها عتبة ولا هو أبو عذرتها فقد قيلت لبعض الملوك كان مترفها لا يغزو فى الحروب يريدون صفرة الخلوق والطيب وسادة العرب لا تستعمل الخلوق والطيب الا فى الدعة وتعيبه فى الحرب أشد العيب وأظن أن أبا جهل لما علم بسلامة العير استعمل الطيب والخلوق فلذلك قال له عتبة هذه الكلمة وانما أراد مصفر بدنه ولكنه قصد المبالغة فى الذم فخص منه بالذكر ما يسوءه أن يذكر هذا كلامه وذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم بعث عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه اليهم يقول ارجعوا فانه ان يلى هذا الامر منى غيركم أحب الى من أن تلوه منى فقال حكيم بن حزام قد عرض نصفا فاقبلوه فوالله لا تنصرون عليه بعد ما عرض من النصف فقال أبو جهل والله لا نرجع بعد ان مكننا الله منهم ثم ان أبا جهل بعث الى عامر بن الحضرمى أى أخو المقتول

رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتبست قريش عثمان عندها ثلاثة أيام وأشاع الناس انهم قتلوه هو والعشرة الذين معه فبلغ ذلك الخبر
النبي صلى الله عليه وسلم فقال عند بلوغه ذلك لا نبرح حتى نناجز القوم أي نقاتلهم ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الى البيعة
وأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن ينادي الناس الى البيعة قال سلمة بن الاكوع رضي الله عنه بايعناه وبايعه الناس على عدم
الفرار وانه اما الفتح واما الشهادة وفي رواية بايعناه على الموت ولما لم يكن قتل عثمان ١٧٧ رضي الله عنه محققا بل كان بالاشاعة

الذي هو عمرو وقال هذا حليفك يعني عتبة يريد أن يرجع بالناس وفي لفظ يخذل الناس عن
القتال وقد تحمل دية أخيك من ماله يزعم أنك قابلها ألا تستحي ان تقبل الدية من مال عتبة
وقد رأيت ثأرك بعينك فقم فاذكر مقتل أخيك وكان عامر كأخيه المقتول من حلفاء عتبة
وسيأتي ذلك فقام عامر بن الحضرمي فاكتشف أي كشف استه أي وحثا عليه التراب ثم صرخ
واعمراه واعمراه فثارت النفوس أي وعامر هذا لا يعرف له اسلام أي وفي الاستيعاب عامر بن
الحضرمي قتل يوم بدر كافرا وأما أخوهما العلاء فمن فضلاء الصحابة رضي الله تعالى عنهم أي وقد
كان يقال انه مجاب الدعوة وانه خاض البحر هو وسريته التي كان أميرا عليها وذلك في زمن
خلافة عمر رضي الله تعالى عنه ويقال يبس حتى رىء الغبار من حوافر الخيل بكلمات قالها
ودعا بها وهي يا لي يا حكيم يا علي يا عظيم انا عبيدك وفي سبيلك نقاتل عدوك اللهم فاجعل لنا
اليهم سبيلا وقد وقع نظير ذلك أي دخول البحر لابي مسلم الخولاني التابعي فانه لما غزا الروم مع
جيشه مر وابنهر عظيم بينهم وبين العدو فقال أبو مسلم اللهم أجزت بني اسرائيل البحر وانا عبادك
وفي سبيلك فاجزنا هذا النهر اليوم ثم قال اعبروا بسم الله فعبروا فلم يبلغ الماء بطون الخيل وكذا
وقع نظير ذلك لابي عبيد الثقفي التابعي أمير الجيوش في أيام سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه فان
دجلة حالت بينه وبين العدو وقتلا قوله تعالى وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا
ثم سمى الله تعالى واقتحم بفرسه الماء واقتحم الجيش وراءه ولما نظر اليهم الاعاجم صاروا
يقولون ديوانا ديوانا أي مجانين ثم ولوا مدبرين فقتلهم المسلمون وغنموا أموالهم وله أخ يقال له
ميمون وهو الذي حفر البئر التي بأعلى مكة التي يقال لها بئر ميمون ولم أقف على اسلامه وأما
أختهم التي هي الصعبة وهي أم طلحة بن عبيد الله فصحابية رضي الله تعالى عنها كانت أولا تحت
أبي سفيان بن حرب فطلقها فخلف عليها عبيد الله فولدت له طلحة الذي قال في حقه صلى الله عليه
وسلم من أراد أن ينظر الى شهيد يمشي على وجه الارض فلينظر الى طلحة بن عبيد الله ثم ان
الاسود بن عبد الاسد المخزومي وهو أخو أبي سلمة عبد الله بن عبد الاسد وكان رجلا شرسا سيئ
الخلق شديد العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء انه أول من يعطى كتابه بشماله كما ان
أخاه أبا سلمة أول من يعطى كتابه بيمينه كما تقدم قال أعاهد الله لاشربن من حوضهم أو لاهدمنه
أو لاموتن دونه فلما خرج اليه حمزة بن عبد المطلب فلما التقيا ضربه حمزة فاطن قدمه
بنصف ساقه أي أسرع قطعها فطارت وهو دون الحوض فوقع على ظهره تشخب رجله دما
ثم حبا الى الحوض حتى اقتحم فيه أي وشرب منه وهدمه برجله الصحيحة يريد أن تبر يمينه
فاتبعه حمزة فضربه حتى قتله في الحوض وأقبل نفر من قريش حتى وردوا ذلك الحوض منهم
حكيم بن حزام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوهم فما شرب منه رجل يومئذ الا قتل كافرا
الا ما كان من حكيم بن حزام فانه لم يقتل ثم أسلم بعد ذلك وحسن اسلامه فكان اذا اجتهد في
يمينه قال لا والذي نجاني يوم بدر وعلى أن هذا الحوض كان وراء ظهره صلى الله عليه وسلم

بايع عنه النبي صلى الله عليه وسلم
أي على تقدير حياته وفي ذلك اشارة
منه صلى الله عليه وسلم الى ان عثمان
لم يقتل وانما فعل المبايعة مع
القوم لاجل أخذ ثار عثمان رضي
الله عنه جريا على ظاهر تلك الاشاعة
تثبتا وتقوية لاولئك القوم فوضع
يده اليمنى على يده اليسرى وقال
اللهم هذه عن عثمان فانه في حاجتك
وحاجة رسولك وفي لفظ ان عثمان
ذهب في حاجة الله وحاجة رسوله
فأنا أبايع عنه فضرب بيمينه شماله
وماذاك الا لانه علم عدم صحة القول
بقتله وبعد ان جاء عثمان رضي
الله عنه بايع بنفسه تحصيلا لتلك
الفضيلة (وقد أشار) الى امتناع
عثمان رضي الله عنه من الطواف
والى مبايعة النبي صلى الله عليه
وسلم صاحب الهمزية فقال
وأبى ان يطوف بالبيت اذ لم
يدن منه الى النبي فناء
فجزنه منه ببيعة رضوا
ن بيد من نبيه بيضاء
أدب عنده تضاءفت الاء
مال بالترك حيذا الادباء
(ويروى) أن قريشا بعثت الى
عبد الله بن أبي ابن سلول ان أحببت
ان تدخل فتطوف بالبيت فافعل
فقال له ابنه عبد الله وهو المسمى
بالحباب كما تقدم رضي الله عنه
يا أبت اذكرك الله ان تفضحنا في كل

٢٣ سيره ثاني موطن تطوف ولم يطف رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبى حينئذ وقال لا أطوف حتى يطوف رسول الله صلى الله عليه
وسلم وكانت البيعة تحت شجرة هناك من أشجار السمر وتسمى بيعة الرضوان لقول الله تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك
تحت الشجرة وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل النار أحد بايع تحت تلك الشجرة وكانوا ألفا وأربعمائة كما تقدم وجاء انه صلى الله عليه
وسلم قال أيها الناس ان الله قد غفر لاهل بدر والحديبية وأول من بايعه صلى الله عليه وسلم سنان بن سنان الاسدي وقيل انه أبو سنان

أخو عكاشة بن محصن رضى الله عنهما ولما بايعه رضى الله عنه قال أبايعك على ما فى نفسك قال وما فى نفسى قال اضرب بسيفى بين يديك حتى يظهرك الله أو اقتل وصار الناس يقولون نبايعك على ما بايعك عليه سنان وقيل أول من بايع عبد الله بن عمر رضى الله عنهما وقيل سلمة بن الاكوع رضى الله عنه وقيل ان سلمة رضى الله عنه بايع ثلاث مرات أول الناس ووسط الناس وآخر الناس بأمره صلى الله عليه وسلم فى الثانية والثالثة بعد قول سلمة له قد بايعت فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيضا وذلك ليكون له فى ذلك فضيلة لانه أراد ان يؤكد بيعته لعلمه بشجاعته وعنايته فى الاسلام وشهرته فى الثبات وجاء ان عبد الله ابن عمر رضى الله عنهما بايع مرتين (وقد قيل) فى سبب نزول قوله تعالى لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام الى قوله ولا يجرمنكم شنآن قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا ان المسلمين لما صدوا عن البيت بالحديبية مر بهم ناس من المشركين يريدون العمرة فقال المسلمون نصد هؤلاء كما صدنا أصحابهم أى لا تصدوا هؤلاء العمار ان صدكم أصحابهم وكان محمد بن مسلمة رضى الله عنه على حرس رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثت قريش أربعين وقيل خمسين رجلا عليهم مكرز ابن حفص الذى قال فيه صلى الله عليه وسلم انه رجل غادر يطوفوا بعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء ان يصيبوا منهم أحدا أو يجدوا منهم غرة أى غفلة فأخذهم محمد بن مسلمة الا مكرزا فأتى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحبسوا وبلغ قريشا حبس أصحابهم فجاء جمع منهم حتى رموا المسلمين بالنبل والحجارة وقتل من المسلمين ابن رسيم بسهم فأسر المسلمون منهم اثنى عشر رجلا ولما علمت قريش بهذه البيعة خافوا وأشار أهل الرأى منهم بالصلح على ان يرجع و يعود من قابل فيقيم ثلاثا

يكون مجىء هؤلاء للحوض من خلفه صلى الله عليه وسلم فليتأمل ثم ان عتبة بن ربيعة التمس بيضة أى خوذة ليدخلها فى رأسه فما وجد فى الجيش بيضة تسع رأسه لعظمها فاعتجر على رأسه ببرده أى تعمم به ولم يجعل تحت لحيته من العمامة شيأ وخرج بين أخيه شيبة وابنه الوليد حتى فصل من الصف ودعا للمبارزة فخرج اليه فتية من الانصار ثلاثة اخوة أشقاء هم معوذ ومعاذ وعوف بنو عفراء وقيل بدل عوف عبد الله بن رواحة فقالوا من أنتم قالوا رهط من الانصار قالوا ما لنا بكم من حاجة وفى رواية أكفاء كرام انما نريد قومنا أى وفى لفظ ولكن اخرجوا الينا من بنى عمنا أى وفى لفظ أنه صلى الله عليه وسلم أمرهم بالرجوع فرجعوا الى مصافهم وقال لهم خيرا لانه كره أن تكون الشوكة لغير بنى عمه وقومه فى أول قتال وعند ذلك نادى مناديهم يا محمد اخرج الينا أكفاءنا من قومنا فقال النبى صلى الله عليه وسلم قم يا عبيدة بن الحرث وقم يا حمزة وقم يا على وفى لفظ قوموا يا بنى هاشم فقاتلوا بحقكم الذى بعث به نبيكم اذ جاؤا بباطلهم ليطفؤا نور الله قم يا عبيدة بن الحرث قم يا حمزة قم يا على فلما قاموا ودنوا قالوا لهم من أنتم أى لانهم كانوا ملبسين لا يعرفون من السلاح قال عبيدة عبيدة وقال حمزة حمزة وقال على على قالوا نعم أكفاء كرام فبارز عبيدة بن الحرث وكان أسن القوم كان أسن من النبى صلى الله عليه وسلم بعشر سنين عتبة بن ربيعة وبارز حمزة شيبة وبارز على الوليد فاما حمزة فلم يمهل ان قتل شيبة وأما على فلم يمهل أن قتل الوليد واختلف عبيدة وعتبة بينهما بضربتين كلاهما أثبت صاحبه وكر حمزة وعلى باسيافهما على عتبة فذففاه بالمهملة والمعجمة واحتملا صاحبهما فجراه الى أصحابه أى وأضجعوه الى جانب موقفه صلى الله عليه وسلم فافرشه رسول الله صلى الله عليه وسلم قدمه الشريفة فوضع خده عليها وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أشهد أنك شهيد أى بعد أن قال له عبيدة ألست شهيدا يا رسول الله فتوفى فى الصفراء ودفن بها عند مرجع المسلمين الى المدينة وقيل برز حمزة لعتبة وعبيدة لشيبة وعلى للوليد واختلف عبيدة وشيبة بينهما بضربتين كلاهما أثبت صاحبه وقعت الضربة فى ركبة عبيدة فاطاحت رجله وصار مخ ساقه يسيل ثم مال حمزة وعلى على شيبة فذففا عليه أى ويقال ان شيبة لما صرع من ضربة عبيدة قام فقام اليه حمزة فاختلفا ضربتين فلم يصنع سيفهما شيأ فاعتنق كل واحد منهما صاحبه فاهوى عبيدة وهو صريع فضرب شيبة فقطع ساقه فذفف عليه حمزة وقيل بارز على شيبة وبارز عبيدة الوليد فقد روى الطبرانى باسناد حسن عن على أنه قال أعنت أنا وحمزة عبيدة بن الحرث على الوليد فلم يعب النبى صلى الله عليه وسلم علينا ذلك وقال هذا أصح الروايات ولكن المشهور أن عليا كرم الله وجهه انما بارز الوليد وهذا هو اللائق بالمقام لان عتبة وشيبة كانا شيخين كعبيدة وحمزة بخلاف على والوليد فكانا شابين وقتل حمزة طعيمة بن عدى أخا المطعم بن عدى وتقدم ان المطعم مات قبل هذه الغزاة بستة أشهر كافر قيل وهذه المبارزة أول مبارزة وقعت فى الاسلام وفى الصحيحين عن أبى ذر أنه كان يقسم قسما ان هذه الآية هذان خصمان اختصموا

معه سلاح الراكب السيوف فى القرب والقوس فبعثت قريش سهيل بن عمرو العامرى ومعه حويطب بن عبد العزى وقيل معه جمع منهم وقيل ان ارسال سهيل كان مرتين جاء ورجع اليهم ثم رجع الى النبى صلى الله عليه وسلم ولما أقبل سهيل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد القوم الصلح حيث بعثوا هذا الرجل ثانيا وطالت المراجعة بينه وبين النبى صلى الله عليه وسلم ومن جملة ذلك ان النبى

صلى الله عليه وسلم قال له لم تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به فقال له سهيل والله لا تتحدث العرب انا أخذنا ضغطة أي بالشدة والاكراه ولكن ذلك بالعام القابل ثم تم الامر على الصلح على ترك القتال وان يوضع الحرب بينهم عشر سنين وان يأمن بعضهم بعضا وان يرجع عنهم عامهم هذا ويأتي في العام القابل ويخلون له مكة ثلاثة ايام وان لا يدخلوا الا بالسيوف في قربها واشترط سهيل على النبي صلى الله عليه وسلم شروطا منها انه قال لا يأتيك منا رجل وان كان ١٧٩ على دينك الا رددته الينا وقيل هذا الشرط انما

اختصموا في ربهم نزلت في حمزة وصاحبه وعتبة وصاحبه يوم بدر وفي البخاري عن علي رضي الله تعالى عنه انه أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة وقيل أول من يقف بين يدي الله تعالى للخصومة علي ومعاوية ثم تزاحم الناس ودنا بعضهم من بعض وقد كان عدل رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوف أصحابه بقدح في يده أي بسهم لا نصل له ولا ريش فر بسواد بتخفيف الواو ولا بتشديدها كما زعمه ابن هشام بن غزية بفتح الغين المعجمة وكسر الزاي وتشديد الياء أي حليف بني النجار وهو خارج من الصف فطعنه صلى الله عليه وسلم في بطنه بالقدح وقال استو يا سواد فقال يا رسول الله أوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقدني أي مكني من القود أي القصاص من نفسك فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه وقال استقد أي خذ القود أي القصاص فاعتنقه فقبل بطنه الشريف فقال ما حملك على هذا يا سواد فقال يا رسول الله حضر ما ترى فاردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير وفيه أن هذا القود فيه ولا قصاص عندنا فليتأمل وسواد هذا جعله صلى الله عليه وسلم بعد فتح خيبر عاملا على خيبر كما سيأتي أي وفي حديث حسن عن عبد الرحمن بن عوف قال صففنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر فبدرت منا بادرة أمام الصف فنظر إلينا النبي صلى الله عليه وسلم فقال معي معي ﴿أقول﴾ وقع له صلى الله عليه وسلم مع بعض الانصار أي وهو سواد بن عمر ومثل هذا الذي وقع له مع سواد بن غزية ففي أبي داود أن رجلا من الانصار كان فيه مزاح فبينما هو يحدث لقوم يضحكهم اذ طعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم في خاصرته بعود كان في يده وفي لفظ بعرجون وفي آخر بعصا فقال أصبرني يا رسول الله أي أقدني ومكني من نفسك لاقتص منك فقال اصبر أي اقتص قال ان عليك قميصا وليس على قميص فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصه فاحتضنه وجعل يقبل كشحه أي وهو خاصرته صلى الله عليه وسلم أنه ما التصق ببدنه صلى الله عليه وسلم وتمسه النار كذا في الخصائص الصغرى وفيها محل آخر ولا تأكل النار شيأ مس جسده وكذلك الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم ثم لما عدل الصفوف قال لهم ان دنا القوم منكم فانضحوهم أي ادفعوهم عنكم بالنبل واستبقوا نبلكم أي لا ترموهم على بعد فان الرمي مع البعد عالبا يخطئ فيضيع النبل بلا فائدة أي وقال لهم لا تسلوا السيوف حتى يغشوكم وخطبهم خطبة حثهم فيها على الجهاد وعلى المصابرة فيه منها وان الصبر في مواطن البأس مما يفرج الله عز وجل به الهم ويجي به من الغم وهذا السياق يدل على تكرر هذه الخطبة أي وقوعها قبل مجيئهم الى محل القتال وبعد مجيئهم اليه ولا مانع منه ثم رجع صلى الله عليه وسلم الى العريش فدخله ومعه أبو بكر ليس معه فيه غيره وسعد بن معاذ قائم على باب العريش متوشح بسيفه مع نفر من الانصار يخافون على رسول الله صلى الله عليه وسلم كرة العدو وأي والجنائب مهيأة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان احتاج الى ركوبها ولما اصطف الناس للقتال رمى قطبة بن عامر حجرا بين الصفين وقال لا أفر الا ان فر هذا الحجر وكان أول من

ذكره عند كتابة الكتاب كما سيأتي فلما تم الامر ولم يبق الا كتابة الكتاب وثب عمر بن الخطاب فأتى أبا بكر رضي الله عنه فقال يا أبا بكر أليس هو برسول الله صلى الله عليه وسلم قال بلى قال أولسنا بمسلمين قال بلى قال فعلام نعطي الدنية أي الخصلة المذمومة في ديننا فقال أبو بكر رضي الله عنه يا عمر الزم غرزه أي ركابه وفي رواية قال له أيها الرجل انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس يعصي ربه وهو ناصره فاستمسك بغرزه حتى تموت فاني اشهد انه رسول الله فقال عمر وانا اشهد انه رسول الله ثم أتى عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مثل ما قال لابي بكر فقال النبي صلى الله عليه وسلم أنا عبد الله ورسوله ولن أخالف أمره ولن يضيعني الله ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أوس بن خولة رضي الله عنه وأمره أن يكتب بينهم فقال له سهيل بن عمرو لا يكتب الا ابن عمك علي أو عثمان بن عفان رضي الله عنهما وكان ذلك بعد رجوع عثمان رضي الله عنه على بعض الروايات فامر النبي صلى الله عليه وسلم عليا كرم الله وجهه فقال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل بن عمرو لا أعرف هذا أي الرحمن الرحيم ولكن اكتب باسمك اللهم أي لان قريشا كانت تكتبها فقال المسلمون والله لا يكتبها وانما يكتب بسم الله الرحمن الرحيم وضج المسلمون ثم أسكتهم النبي صلى الله عليه وسلم وقال اكتب باسمك اللهم ثم قال صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو فقال سهيل بن عمرو لو شهدت انك رسول الله لم أقاتلك ولم نصدك عن البيت ولكن اكتب باسمك واسم أبيك وفي رواية لو اعلم أنك رسول الله ما خالفتك ولتابعتك أفترغب عن اسمك واسم أبيك محمد بن عبد الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه

امح رسول الله فقال علي رضي الله عنه ما أنا بالذي امحوه وفي رواية والله لا أمحوك أبدا فقال أرنيه فاراه اياه فمحاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو وقال أنا رسول الله وان كذبتموني وأنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب فجعل علي رضي الله عنه يبكي ويأبى أن يكتب الا محمد رسول الله فقال له صلى الله عليه وسلم اكتب فان لك مثلها تعطيها وأنت مقهور وهذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم ١٨٠ واعلام نبوته فانه اشارة لما سيقع بين علي ومعاوية رضي الله عنهما فانهما

خرج من المسلمين مهجع بكسر الميم واسكان الهاء فجيم مفتوحة فعين مهملة مولى عمر بن الخطاب فقتله عامر بن الحضرمي بسهم أرسله اليه ونقل بعض المشايخ أنه أول من يدعى من شهداء هذه الامة وانه صلى الله عليه وسلم قال يومئذ مهجع سيد الشهداء أي من هذه الامة فلا ينافي ما جاء أن سيد الشهداء يوم القيامة يحيى بن زكريا وقائدهم الى الجنة وذابح الموت يوم القيامة يضجعه ويذبحه بشفرة في يده والناس ينظرون اليه لكن جاء سيد الشهداء هابيل الا أن تجعل الاولية اضافية فيراد أول أولاد آدم لصلبه قيل وكون مهجع أول قتيل من المسلمين لا ينافي كون أول قتيل من المسلمين عمير بن الحمام لان ذاك أول قتيل من المهاجرين وعمير أول قتيل من الانصار ولا ينافي ذلك أن أول قتيل من الانصار حارثة بن قيس أي قتل بسهم لم يدر رامية ففي البخاري عن حميد قال سمعت أنسا يقول أصيب حارثة يوم بدر وهو غلام قتل بارسال مهم اليه أي فانه أصابه سهم غرب أي لا يعرف رامية وهو يشرب من الحوض وفي كلام ابن اسحق أول من قتل من المسلمين مهجع مولى عمر بن الخطاب ومن بعده حارثة بن سراقة وقد جاءت أم حارثة وهي عمة أنس بن مالك الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله حدثني عن حارثة فان يكن في الجنة لم أبك عليه ولكن أحزن وان يكن في النار بكيت ما عشت في دار الدنيا وفي رواية ان يكن في الجنة صبرت وان يكن غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء فقال يا أم حارثة انها ليست بجنة ولكنها جنات وحارثة في الفردوس الاعلى فرجعت وهي تضحك وتقول بخ بخ لك يا حارثة وهذا قد يخالف قول ابن القيم كان مختبرى ان الجنة التي هي دار الثواب واحدة بالذات كثيرة بالاسماء والصفات وهذا الاسم الذي هو الجنة يجمعها من اسمائها جنة عدن والفردوس والمأوى ودار السلام ودار الخلد ودار المقامة ودار النعيم ومقعد صدق وغير ذلك مما يزيد على عشرين اسما أي وعن الواقدي أنه بلغ أمه وأخته وهما بالمدينة مقتله فقالت أمه والله لا أبكي عليه حتى يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسأله فان كان في الجنة لم أبك عليه وفي رواية اصبر واحتسب وان كان ابني في النار بكيته وفي رواية نرى ما أصنع فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر جاءت أمه فقالت يا رسول الله قد عرفت موقع حارثة من قلبي فاردت أن أبكي عليه ثم قلت لا أفعل حتى أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كان في الجنة لم أبك عليه وان كان في النار بكيته فقال النبي صلى الله عليه وسلم هبلت وفي رواية ويحك أوهبلت أجنة واحدة انها جنان كثيرة والذي نفسي بيده انه لفي الفردوس الاعلى ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بانائه من ماء فغمس يده فيه ومضمض فاه ثم ناوله أم حارثة فشربت ثم ناولت ابنتها فشربت ثم أمرهما بفضلهما في جيوبهما ففعلتا فرجعتا من عند النبي صلى الله عليه وسلم وما بالمدينة امرأتان أقر عينا منهما ولا أسر وقد كان حارثة سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو له بالشهادة فقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم قال لحارثة يوما وقد استقبله كيف أصبحت يا حارثة قال أصبحت مؤمنا بالله حقا قال انظر

بعد حرب صفين وقعت بينهما المصالحة الى رأس الحول فلما كتب الكاتب هذا ما صالح عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب معاوية بن أبي سفيان فقال عمرو ابن العاص وكان أحد الحكمين وكان من جهة معاوية لا تكتب أمير المؤمنين وارسل معاوية أيضا رضي الله عنه لعمرو بن العاص يقول لا تكتب ان عليا أمير المؤمنين لو كنت أعلم ان عليا أمير المؤمنين ما قاتلته فبئس الرجل أنا ان أقررت أنه أمير المؤمنين ثم أقاتله ولكن اكتب علي بن أبي طالب وامح أمير المؤمنين فقال أصحاب علي رضي الله عنه لعلي يا أمير المؤمنين لا تمح اسم امارة المؤمنين فانك ان محوتها لا تعود اليك فلم يسمع منهم وقال للكاتب امحها ثم تذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم له في الحديبية ان لك مثلها تعطيها وأنت مقهور فقال الله أكبر مثلا بمثل والله اني لكاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية اذ قالوا لست برسول الله ولا نشهد لك بذلك اكتب اسمك محمد بن عبد الله فقال له عمرو بن العاص رضي الله عنه سبحان الله أنشبه بالكفار ووقع بينهما نزاع في ذلك حتى تمت الكتابة على عدم ذكر أمير المؤمنين وظهر صدق قول النبي صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه ان لك مثلها تعطيها وأنت مقهور

ما

ولما أبى علي رضي الله عنه يوم الحديبية أن يكتب الا رسول الله وافقه على ذلك بعض الحاضرين من المسلمين منهم أسيد بن حضير وسعد بن عبادة رضي الله عنهما فاخذا بيد علي رضي الله عنه ومنعاه أن يكتب الا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم والا فالسيف بيننا وبينهم وضج المسلمون وارتفعت الاصوات وجعلوا يقولون لا نعطي هذه الدنية في ديننا فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم

ما تقول فان لكل قول حقيقة قال يارسول الله عزلت نفسي عن الدنيا فاسهرت ليلي وأظمأت نهاري فكأني بعرش ربي بارزا وكأني أنظر الى أهل الجنة يتزاورون فيها وكأني أنظر الى أهل النار يتعاوون فيها قال أبصرت فالزم عبد أي أنت عبد نور الله الايمان في قلبه قال فقلت ادع الله لي بالشهادة فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وقال أبو جهل وأصحابه حين قتل عتبة وشيبة والوليد تصبر النا العزى ولا عزى لكم ونادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم الله مولانا ولا مولى لكم قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار (أقول) سيأتي وقوع مثل ما قال أبو جهل وأصحابه من أبي سفيان وانه أجيب بمثل هذا الجواب في يوم أحد والله أعلم وصار رسول الله صلى الله عليه وسلم يناشد ربه ماوعده من النصر أي وهذا العريش هو المراد بالقبة في قول البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو في قبة يوم بدر اللهم أنشدك عهدك الحديث ويقول اللهم ان تهلك هذه العصابة اليوم فلا تعبد أي وفي مسلم انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم انك ان تشأ لا تعبد في الارض قال ذلك في هذا اليوم وفي يوم أحد قال العلماء فيه التسليم لقدر الله تعالى والرد على غلاة القدرية الذين يزعمون أن الشر غير مراد الله ولا مقدور له وذكر الامام النووي أن كونه قال ماذكر يوم بدر هو المشهور وفي كتب التفسير والمغازي أنه يوم أحد ولا معارضة بينهما فقاله في اليومين هذا كلامه أي يجوز أن يكون قال ذلك في يوم بدر وفي يوم أحد وفي رواية اللهم ان ظهر واعلى هذه العصابة ظهر الشرك ولا يقوم لك دين أي لانه صلى الله عليه وسلم علم أنه آخر النبيين فاذا هلك هو ومن معه لا يبقى من يتعبد بهذه الشريعة وفي لفظ آخر اللهم لا تودع مني ولا تخذلني أنشدك ماوعدتني لانه كان وعده النصر وفي رواية مازال يدعو ربه ماد يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه فاخذ أبو بكر رداءه وألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال يانبي الله كفاك تناشدوبك فانه سينجز لك ماوعدك أي وفي رواية والله لينصرنك الله وليبيضن وجهك أي وفي لفظ قد ألححت على ربك وكون وعد الله لا يتخلف لا ينافي الالحاح في الدعاء لان الله يحب الملحين في الدعاء وانما قال أبو بكر ماذكر لانه شق عليه تعب النبي صلى الله عليه وسلم في الحاحه بالدعاء لانه رضي الله تعالى عنه رقيق القلب شديد الاشفاق على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لان الصديق كان في تلك الساعة في مقام الرجاء والنبي صلى الله عليه وسلم كان في مقام الخوف لان الله يفعل مايشاء وكلا المقامين سواء في الفضل ذكره السهيلي وحين رأى المسلمون القتال قد نشب عجوا بالدعاء الى الله تعالى فانزل الله تعالى عند ذلك اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بالف من الملائكة مردفين أي متتابعين وقيل ردفا لكم ومددا لكم وقيل وراء كل ملك ملك آخر ويوافق ذلك ماجاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أمد الله نبيه يوم بدر بالف من الملائكة فكان جبريل في خمسمائة وميكائيل في خمسمائة فامده الله تعالى بالملائكة ألف مع جبريل وألف مع ميكائيل وجاء أمده الله بثلاثة آلاف ألف مع جبريل وألف مع

وبوحي بيده اليهم ان اسكتوا ثم أمر عليا رضي الله عنه أن يكتب محمد بن عبد الله فكتب وقيل أمر محمد بن مسلمة رضي الله عنه فكتب والحق أن الذي كتبه محمد نسخة أخرى مثل ذلك الكتاب لان سهيلا قال يكون هذا الكتاب معي فكتب محمد بن مسلمة مثله ليكون عند المسلمين وجاء في بعض الروايات ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب بيده فكتب فتمسك بعضهم بظاهره وقال ان النبي صلى الله عليه وسلم كتب بيده يوم الحديبية معجزة له مع أنه لا يقرأ ولا يكتب وجرى على ذلك أبو الوليد الباجي المالكي فشنع عليه علماء الاندلس في زمانه وقالوا ان هذا مخالف للقرآن فناظرهم واستظهر عليهم بان هذا الاينافي القرآن وهو قوله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك بان هذا النفي مقيد بما قبل ورود القرآن وقبل تحقق أميته أما بعد القرآن وبعد ان تحققت أميته وتقررت بذلك معجزته فلا مانع أن يعرف الكتابة من غير معلم معجزة أخرى ولا يخرجه ذلك عن كونه أميا والجمهور على أن الروايات التي فيها أخذ الكتاب بيده فكتب محمولة على المجاز أي أمر أن يكتب الكاتب وقوله بيده متعلق بأخذ وليس متعلقا بقوله كتب قال العلماء وافقهم النبي صلى الله عليه وسلم على عدم كتابة بسم الله الرحمن الرحيم وكتب باسمك اللهم وكذا وافقهم في محمد بن عبد الله وترك كتابة رسول الله للمصلحة المهمة الحاصلة بالصلح التي أطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم عليها وحجب المسلمين عنها حتى ضجوا وتشوشوا من ذلك ولم يكن أحد في القوم راضيا بجميع مايرضى به النبي صلى الله عليه وسلم غير أبي بكر الصديق رضي الله عنه وبهذا يتبين علو مقامه ويمكن أن الله كشف لقلبه وأطلعه على بعض تلك الاسرار التي ترتبت على ذلك الصلح ثم أطلع على ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فانه حقيق بذلك رضي الله عنه كيف وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم والله ماصعب الله في قلبي شيأ الا وصيبته في قلب أبي بكر رضي الله عنه قال أبو بكر رضي الله عنه ما كان فتح أعظم من فتح الحديبية ولكن قصر رأيهم عما كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين ربه والعباد يجهلون والله تعالى لا يعجل لعجلة العباد حتى تبلغ الامور ما أراد ولقد رأيت سهيل بن عمرو في حجة الوداع قائما عند المنحر يقرب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بدنه ورسول الله

صلى الله عليه وسلم ينحرها بيده ودعا الحلاق فحلق رأسه فانا أنظر الى سهيل بن عمرو يلتقط من شعره صلى الله عليه وسلم ويجعل بعضه على عينيه واذكر امتناعه أن يقر يوم الحديبية ببسم الله الرحمن الرحيم أى ورسالة النبى صلى الله عليه وسلم فحمدت الله الذى هداه للاسلام مع أنه لا مفسدة فى عدم كتابة بسم الله الرحمن الرحيم وعدم كتابة رسول الله بل ترتب عليهما مصلحة وانما المفسدة لو طلبوا أن يكتب ما لا يحل ثم كتب على يخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به وأراد النبى صلى الله عليه وسلم بذلك اظهار ما تكلم به مع سهيل أولا ليطلع المسلمون على أنه صلى الله عليه وسلم بذل الجهد للمسلمون فى ذلك الصلح فقال سهيل والله لا نخلى بينك وبين البيت وتتحدث العرب انا أخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام المقبل فكتب على رضى الله عنه ذلك فقال سهيل وعلى أنه لا يأتيك منا رجل الا رددته الينا وان كان على دينك ومن جاء قريشا ممن تبعك لم يردوه اليك وفى رواية لمسلم من حديث انس رضى الله عنه أن قريشا صالحت النبى صلى الله عليه وسلم على أن من جاءنا منكم لم نرده اليكم ومن جاءكم منا رددتموه الينا فقالوا يا رسول الله أنكتب هذا قال نعم فانه من ذهب منا اليهم فابعده الله ومن جاء منهم الينا فسيجعل الله له فرجا ومخرجا وفى رواية للبخارى وكان فيما اشترط سهيل على النبى صلى الله عليه وسلم أنه لا يأتيك منا احد وان كان على دينك الا رددته الينا وخليت بيننا وبينه فكره المؤمنون ذلك وامتعضوا أى غضبوا وأنفوا منه فابى سهيل الا ذلك فكاتبه النبى صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال المسلمون متعجبين سبحان الله كيف يرد الى المشركين وقد جاء مسلما وكان ممن قال ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأسيد بن حضير وسعد بن عبادة وسهل ابن حنيف رضى الله عنهم وفى رواية أن عمر رضى الله عنه قال يا رسول الله أترضى بهذا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال من ذهب منا اليهم فابعده الله ومن جاء منهم الينا أى وردناه فسيجعل الله له فرجا ومخرجا ومما كتب فى كتاب الصلح ما رواه البخارى عن البراء بن عازب رضى الله عنهما لا يدخل مكة بالسلاح الا السيف فى القراب وأن لا يخرج من أهلها باحدا ان أراد أن يتبعه وأن لا يمنع

ميكائيل وألف مع اسرافيل وهذا رواه البيهقى فى الدلائل عن على بإسناد فيه ضعف وقيل وعدهم الله تعالى أن يمدهم بالف ثم زيد وافى الوعد بألفين ثم زيد وافى الوعد بألفين أيضا وقيل أمدهم الله تعالى بثلاثة آلاف من الملائكة ثم أكملهم بخمسة آلاف قال الله تعالى اذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين أى ألف مع جبريل وألف مع ميكائيل وألف مع اسرافيل بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين فان ذلك كان يوم بدر على ما عليه الاكثر وقيل يوم أحد كان الامداد فيه بذلك أى بثلاثة آلاف ثم وقع الوعد بأكملهم خمسة آلاف معلقا على شرط وهو التقوى والصبر عن حوز الغنائم فلم يصبروا ففات الامداد بما زاد على الثلاثة آلاف وهذا الثانى هو الذى فى النهر لابى حيان كان المدد يوم بدر بالف من الملائكة ويوم أحد بثلاثة آلاف ثم بخمسة لو صبروا على أخذ الغنائم فلم يصبروا فلم تنزل هذا كلامه وهو واضح لان عدم صبرهم عن أخذ الغنائم وعدم امتثال أمره انما كان فى أحد لا فى بدر وروى البيهقى عن حكيم ابن حزام رضى الله عنه أن يوم بدر وقع غمل من السماء قد سد الافق فاذا الوادى يسيل غلا أى نازلا من السماء فوقع فى نفسى أن هذا شئ أيد به صلى الله عليه وسلم وهى الملائكة أى وروى بسند حسن عن جبير بن مطعم قال رأيت قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون مثل البجاد الاسود مبثوث حتى امتلأ الوادى فلم أشك أنها الملائكة فلم يكن الا هزيمة القوم والبجاد كساء مخطط من أكسية الاعراب وسيأتى وقوع مثل ذلك فى حنين قال وانما كانت الملائكة شركاء لهم فى بعض الفعل ليكون الفعل منسوبا للنبى صلى الله عليه وسلم ولاصحابه والا فجبريل قادر على أن يدفع الكفار بريشة من جناحه كما فعل بمدائن قوم لوط وأهلك قوم صالح وثمود بصيحة واحدة ولياجهم العدو بعد ذلك حيث يعلمون أن الملائكة تقاتل معهم وبهذا يرد ما قيل لم تقاتل الملائكة يوم بدر وانما كانوا يكثرون السواد والافملك واحد كاف فى اهلاك أهل الدنيا كلهم وجاء لولا ان الله تعالى حال بيننا وبين الملائكة التى نزلت يوم بدر لملأت أهل الارض خوفا من شدة صعقاتهم وارتفاع أصواتهم وجاء فى حديث مرسل مارؤى الشيطان أحقر ولا أدحر ولا أصغر من يوم عرفة الا مارئى يوم بدر أى وكذا سائر مواسم المغفرة والعتق من النار كأيام رمضان سيما ليلة القدر وجاء ان ابليس جاء فى صورة سراقة بن مالك المدلجى الكنانى فى جند من الشياطين أى مشركى الجن فى صور رجال من بنى مدلج من بنى كنانة معه رايته وقال للمشركين لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم اه أى كما قال لهم ذلك عند ابتداء خروجهم وقد خافوا من بنى كنانة قوم سراقة وقد تقدم أنه كان وحده ولا منافاة لجواز أن يكون جنده لحقوا به بعد قال فلما رأى جبريل والملائكة وفى رواية وأقبل جبريل الى ابليس فلما رآه وكانت يده فى يد رجل من المشركين أى وهو الحرث بن هشام أخو أبى جهل انتزع يده من يد الرجل ثم نكص على عقبيه وتبعه جنده فقال له الرجل يا سراقة أتزعم أنك لنا جار فقال انى

من أصحابه أحدا ان أراد أن يقيم بها وعند ابن اسحق على أن بيننا عيبة مكفوفة أى أمورا مطوية فى صدور سليمة اشارة الى ترك المؤاخذة بما تقدم بينهم من أسباب الحرب وغيرها وأنه لا اسلال ولا اغلال أى لا سرقة ولا خيانة والمراد أن يأمن بعضهم من بعض فى نفوسهم وأموالهم سرا وجهارا وقيل الاسلال من سل السيوف والاغلال من لبس الدروع وان من أحب أن يدخل فى عقد محمد وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم دخل فيه ١٨٣ فتواثبت خزاعة وقالوا نحن فى عقد محمد وعهده وتواثبت بنو بكر وقالوا نحن فى عقد قريش وعهدهم وانك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل مكة علينا وأنه اذا كان عام قابل خرجنا فدخلتها باصحابك فاقمت بها ثلاثا معك سلاح الراكب السيوف فى القرب لا تدخلها بغيره وان الحرب توضع بينهم عشر سنين وفى رواية أربع سنين تأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض اه فان قيل ما الحكمة فى كونه صلى الله عليه وسلم وافق سهيلا على هذه الشروط التى من جملتها أنه لا يأتيه رجل منهم وان كان على دين الاسلام الا رده اليهم فالجواب كما نقله النووى عن العلماء أن المصلحة المترتبة على هذا الصلح هى ما ظهر من ثمراته الباهرة وفوائده المتظاهرة التى علمها النبى صلى الله عليه وسلم وخفيت عليهم فحمله ذلك على موافقتهم وذلك أنهم قبل الصلح لم يكونوا يختلطون بالمسلمين ولا تظهر عندهم أمور النبى صلى الله عليه وسلم كما هى ولا يجتمعون بمن يعلمهم بها مفصلة فلما حصل الصلح اختلطوا بالمسلمين وجاؤا الى المدينة وجاء المسلمون الى مكة وخلوا باهلهم وأصدقائهم وغيرهم ممن يستنصحونهم وسمعوا منهم أحوال النبى صلى الله عليه وسلم ومعجزاته الظاهرة وأعلام نبوته المتظاهرة وحسن سيرته وجميل طريقته وعاينوا بانفسهم كثيرا من ذلك فمالت أنفسهم الى الايمان حتى بادر خلق منهم الى الاسلام قبل فتح مكة فاسلموا فيما بين صلح الحديبية وفتح مكة كخالد بن الوليد وعمرو بن العاص رضى الله عنهما وغيرهما وازداد الآخرون أى الذين لم يسلموا ميلا الى الاسلام فلما كان يوم الفتح أسلموا كلهم لما قد عهد لهم الميل وكانت العرب من غير قريش ينتظرون باسلامهم اسلام قريش لما يعلمونه فيهم من القوة والرأى ولانهم كانوا يقولون قوم الرجل

انى برىء منكم انى أرى ما لا ترون انى أخاف الله والله شديد العقاب وتشبث به الحرث بن هشام رضى الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك وقال له والله لا أرى الا خفافيش يثرب فضرب به ابليس فى صدره فسقط وعند ذلك قال أبو جهل يا معشر الناس لا يهمنكم خذلان سراقة فانه كان على ميعاد من محمد ولا يهمنكم قتل عتبة وشيبة أى والوليد فانهم قد عجلوا واللات والعزى لا نرجع حتى نقرن محمدا وأصحابه بالحبال وصار يقول لا تقتلوهم خذوهم باليد وذكر السهيلى أنه يروى أن من بقى من قريش وهرب الى مكة وجد سراقة بمكة فقالوا له يا سراقة خرقت الصف وأوقعت فينا الهزيمة فقال والله ما علمت بشىء من أمركم وما شهدت وما علمت فما صدقوه حتى أسلموا وسمعوا ما أنزل الله فعلموا أنه ابليس هذا كلامه قال قتادة صدق ابليس فى قوله انى أرى ما لا ترون وكذب فى قوله انى أخاف الله والله ما به مخافة من الله قال فى ينبوع الحياة ولا يعجبنى هذا فان ابليس عارف بالله ومن عرف الله خافه أى وان لم يكن ابليس خافه حق الخوف قيل وانما خاف أن يكون هذا اليوم هو اليوم الموعود الذى قال فيه سبحانه وتعالى يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ورأيت عن سيدى على الخواص أنه لا يلزم من قول ابليس ذلك أن يكون معتقدا له بالباطن كما هو شأن المنافقين ورأيت عن وهب أن اليوم المعلوم الذى أنظر فيه ابليس هو يوم بدر قتلته الملائكة فى ذلك اليوم والمشهور انه منظر الى يوم القيامة ويدل لذلك ما روى أن ابليس لما ضرب الحرث فى صدره لم يزل ذاهبا حتى سقط فى البحر ورفع يديه وقال يا رب موعدك الذى وعدتنى اللهم انى أسألك نظرتك اياى وخاف أن يخلص اليه القتل هذا وفى زوائد الجامع الصغير عن مسلم ان سيدنا عيسى عليه السلام يقتل ابليس بيده بعد نزوله وفراغه من صلاته ويرى المسلمين دمه فى حربته وفى كلام بعضهم ولعل المراد بيوم القيامة الذى أنظر اليه ابليس ليس نفخة البعث بل نفخة الصعق التى بها يكون موت من لم يمت من أهل السموات وأهل الارض قيل الا حملة العرش وجبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت وهؤلاء ممن استثنى الله تعالى فى قوله ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله ثم يموت جبريل وميكائيل ثم حملة العرش ثم اسرافيل ثم ملك الموت فهو آخر من يموت وفى كلام بعضهم الصعق أعم من الموت أى فالمراد ما يشمل الغشى وذهاب الشعور أى فمن مات قبل ذلك وصار حيا فى البرزخ كالانبياء والشهداء لا يموت وانما يحصل له غشى وذهاب شعور ويكون المستثنى من القسم الاول من تقدم ذكره من الملائكة ومن القسم الثانى موسى صلوات الله وسلامه عليه فانه جوزى بذلك أى بعدم الغشى وذهاب الشعور بما حصل له من ذلك بسبب صعقة الطور وفيه أنه صلى الله عليه وسلم لم يجزم بذلك بل تردد فى ذلك حيث قال فأكون أول من رفع رأسه أى أفاق من الغشى فاذا انا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدرى أرفع رأسه أى أفاق من الغشى قبلى أو كان ممن استثنى الله فلم يصعق وفى رواية فاذا موسى متعلق بقائمة العرش فلا أدرى أكان فيمن صعق فأفاق

أعلم به فلما أسلمت قريش أسلمت العرب قال تعالى اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا ففيه اشارة الى أنه عند حصول نصر الله نبيه صلى الله عليه وسلم على أعدائه وفتح مكة يدخل الناس فى دين الله جماعات وكان الامر كذلك فجاءه العرب بعد فتح مكة من أقطار الارض طائعين وكان هذا الصلح هو سبب فتح مكة كما سيأتى ان شاء الله تعالى فالله ورسوله أعلم بالحكمة البالغة فان صد المسلمين عن البيت كان فى الظاهر ١٨٤ هضما للمسلمين وفى الباطن عزا لهم وقوة فاذل الله المشركين من حيث أرادوا العز لانفسهم وقهرهم من حيث أرادوا الغلبة ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن أكثر الناس لا يعلمون فلله الحمد والمنة على ما أنعم به وتفضل وقال البخارى عند ذكر كتابة الشروط فبينما هم كذلك وقال ابن اسحق فان الصحيفة لتكتب اذ دخل أبو جندل واسمه العاص ابن سهيل بن عمرو يرسف فى قيوده وكان قد أسلم بمكة قبل ذلك رضى الله عنه فحبسه أبوه ومنعه من الهجرة وأوثقه بالقيود فحين سمع النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالحديبية احتمل على نفسه حتى خرج من السجن وتنكب الطريق وركب الجبال حتى هبط على المسلمين ففرح به المسلمون وتلقوه فقام سهيل بن عمرو الى ابنه أبى جندل حين رآه فضرب وجهه ضربا شديدا حتى رق عليه المسلمون وبكوا وتلبيه أى جمع عليه ثوبه الذى هو لابسه وقبض عليه نحره وقال سهيل هذا يا محمد أول ما أقاضيك أى أول شئ أحاكمك عليه أن ترده الى فقال النبى صلى الله عليه وسلم انا لم نقض الكتاب بعد أى لم نفرغ من كتابته فقال سهيل والله اذا لا أصالحك على شئ أبدا فقال له النبى صلى الله عليه وسلم فاجزه لى قال ما أنا بمجيزه ذلك قال بلى فافعل قال ما أنا بفاعل فقال مكرز وحويطب بلى قد أجزناه ذلك فاخذاه وأدخلاه فسطاطا صلى وكفا أباه عنه فابى سهيل بن عمرو اجازتهما وقيل انما أجازاه ليكف عنه العذاب ليرجع الى طاعة أبيه فكان ذلك من فجور مكرز الذى أخبر به النبى صلى الله عليه وسلم فانه قال ذلك نفاقا وفى باطنه خلافه قال ابن اسحق ثم قال سهيل يا محمد قد لجت القضية أى وجبت وتمت بينى وبينك قبل أن يأتيك هذا قال صدقت فجعل ينثره ويتلبيه ويجره ليرده الى قريش فلما رأى أبو جندل أباه مصمما على

قبلى أم كان ممن استثنى الله ولعل بعض الرواة ضم هذا الخبر لخبر الشيخين أنا أول من تنشق عنه الارض يوم القيامة فاذا موسى الخ وفيه نظر لان المراد بيوم القيامة عند نفخة البعث ونفخة الصعق سابقة عليها كما علمت ويلزم على هذا التردد مع كون الخبرين خبرا واحدا الاشكال بجزمه صلى الله عليه وسلم بانه أول من تنشق عنه الارض وأجاب شيخ الاسلام بما يفيد انهما خبران لا خبر واحد حيث قال التردد كان قبل ان يعلم انه أول من تنشق عنه الارض أى فهما حديثان لا حديث واحد فان قيل قوله صلى الله عليه وسلم لا تخيرونى على موسى فان الناس يصعقون يوم القيامة فأصعق معهم فأكون أول من يفيق فاذا موسى الحديث يقتضى أنه صلى الله عليه وسلم ليس أفضل من موسى قلنا هو كقوله صلى الله عليه وسلم من قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب وذلك منه صلى الله عليه وسلم تواضع أو كان قبل ان يعلم انه أفضل الخلق أجمعين وقيل الوقت المعلوم خروج الدابة واذا خرجت قتلته بوطئها وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن ابليس اذا مرت عليه الدهور وحصل له الهرم عاد ابن ثلاثين سنة وهذه النفخة التى هى نفخة الصعق مسبوقة بنفخة الفزع التى تفزع بها أهل السموات والارض فتكون الارض كالسفينة فى البحر تضربها الامواج وتسير الجبال كسير السحاب وتنشق السماء وتكسف الشمس ويخسف القمر وهى المعنية بقوله تعالى يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة وبقوله تعالى ان زلزلة الساعة شئ عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها الآية وقال تعالى ففزع من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله قيل وهم الشهداء فقد جاء أن الاموات يومئذ لا يعلمون بشئ من ذلك قلنا يا رسول الله فمن استثنى الله تعالى فى قوله الا من شاء الله فقال أولئك الشهداء وانما يصل الفزع الى الاحياء وهم أحياء عند ربهم يرزقون وقاهم الله فزع ذلك اليوم وأمنهم منه واقتصاره صلى الله عليه وسلم على ذكر الشهداء وسكوته عن الانبياء لما هو معلوم من الاصل أن مقام الانبياء أرقى من مقام الشهداء وان كان قد يوجد فى المفضول ما لا يوجد فى الفاضل ومن ثم قيل الرزق خاص بالشهداء ومن ثم اختصوا بحرمة الصلاة عليهم ويقال انه كان مع المسلمين يوم بدر من مؤمنى الجن سبعون أى لكن لم يثبت انهم قاتلوا فكانوا مجرد مدد ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خفق خفقة أى مالت رأسه من النعاس ثم انتبه فقال ابشر يا أبا بكر أتاك نصر الله هذا جبريل آخذ بعنان فرسه وفى لفظ آخذ برأس فرسه يقوده على ثناياه النقع أى الغبار وهو يقول أتاك نصر الله اذ دعوته أى وفى رواية ان جبريل عليه السلام أتى النبى صلى الله عليه وسلم بعد ما فرغ من بدر على فرس حمراء معقودة الناصية قد خضب الغبار ثنيته عليه درعه وقال يا محمد ان الله بعثنى اليك وأمرنى ان لا أفارقك حتى ترضى أرضيت أى ولا مانع من تعدد رؤيته صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام وان هذه بعد تلك وان المرة الاولى مساقها يقتضى انها كانت منامية وان الغبار فى المرة الثالثة كان أكثر منه فى المرة الاولى بحيث علا على ثناياه ثم خرج رسول الله

أخذه قال أى معشر المسلمين أردا الى المشركين وقد جئت مسلما ألا ترون ما قد لقيت وكان قد عذب فى الله عذابا شديدا وفى رواية جعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته يا معشر المسلمين أردا الى المشركين يفتنونى فى دينى فزاد الناس ذلك على ما بهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا جندل اصبر واحتسب فانا لا نغدر وقد تم الصلح قبل أن تأتى وقد تلطفت بابيك فابى وان الله جاعل لك وان معك من المستضعفين فرجا ومخرجا فوثب عمر بن الخطاب رضى الله عنه ١٨٥ الى جنب أبى جندل يقول له اصبر يا أبا جندل

صلى الله عليه وسلم من العريش الى الناس فحرضهم وقال والذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر الا ادخله الله الجنة فقال عمير بن الحمام بضم الحاء المهملة وتخفيف الميم وبيده تمرات يأكلهن بخ بخ كلمة تقال لتعظيم الامر والتعجب منه مابينى وبين ان أدخل الجنة الا ان يقتلنى هؤلاء ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل أى وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم قال قوموا الى جنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين فقال عمير بن الحمام بخ بخ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تبخبخ أى لم تتعجب فقال رجاء أن أكون من أهلها أى وفى رواية ما يحملك على قولك بخ بخ قال لا والله يا رسول الله الا رجاء أن أكون من أهلها فأخذ تمرات فجعل يأكلهن ثم قال والله ان بقيت حتى آكلهن وفى لفظ ان حييت حتى آكل تمراتى هذه انها لحياة طويلة فنبذهن وقاتل أى وهو يقول

ركضنا الى الله بغير زاد * الا التقى وعمل المعاد
والصبر فى الله على الجهاد * وكل زاد عرضة النفاد
* غير التقى والبر والرشاد *

ولا زال يقاتل حتى قتل رضى الله تعالى عنه وسيأتى فى غزاة أحد مثل هذا البعض الصحابة أيهمه جابر رضى الله عنه فى القاء التمرات من يده ومقاتلته حتى قتل فعن جابر رضى الله عنه قال رجل للنبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد أرأيت ان قتلت فأين انا قال فى الجنة قال فألقى تمرات فى يده ثم قاتل حتى قتل اخرجه البخارى ومسلم والنسائى وسيأتى ما فى ذلك وقال عوف بن الحرث بن عفراء يا رسول الله ما يضحك الرب من عبده أى ما يرضيه غاية الرضا قال غمسه يده فى العدو حاسرا أى لا درع له ولا مغفر فنزع درعا كانت عليه فقذفها ثم أخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل رضى الله تعالى عنه فالضحك فى حق الله كناية عن غاية رضاه وقد جاء انه صلى الله عليه وسلم قال فى طلحة بن الغمر اللهم ألق طلحة يضحك اليك وتضحك اليه أى ألقه لقاء كلقاء المتحابين المطهرين لما فى أنفسهما من غاية الرضا والمحبة فهى كلمة وجيزة تتضمن الرضا مع المحبة واظهار البشر فهى من جوامع كلمه التى أوتيها صلى الله عليه وسلم وقاتل فى ذلك اليوم معبد بن وهب زوج هريرة بنت زمعة أخت سودة بنت زمعة أم المؤمنين رضى الله عنها بسيفين ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حفنة من الحصباء بالمد أمره بذلك جبريل عليه السلام كما جاء فى بعض الروايات أى قال له خذ قبضة من تراب وارمهم بها فتناولها صلى الله عليه وسلم وفى رواية انه قال لعلى كرم الله وجهه ناولنى فاستقبل بها قريشا ثم قال شاهت الوجوه أى قبحت الوجوه أى وزاد بعضهم اللهم أرعب قلوبهم وزلزل أقدامهم ثم نفحهم أى ضربهم بها فلم يبق من المشركين رجل الا ملأت عينه وفى رواية وأنفه وفمه لا يدرى أين يتوجه يعالج التراب لينزعه من عينيه أى فانهزموا وردفهم المسلمون يقتلون ويأسرون هذا والمحفوظ المشهور ان ذلك انما كان فى حنين لكن يوافق الاول ما نقله بعضهم ان قوله تعالى وما رميت

فانما هم المشركون وانما دام أحدهم كدم الكلب ويدنى له السيف قال عمر رضى الله عنه رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه وجعل يقول ان الرجل ليقتل أباه والله لو أدركنا آباءنا لقتلناهم فى الله فقال له أبو جندل مالك لا تقتله أنت فقال عمر نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتله وقتل غيره فقال أبو جندل ما أنت أحق بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم منى ولعل عمر رضى الله عنه ظن جواز قتل أبى جندل لابيه لكونه أراد ان يفتنه عن دينه وان قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا جندل اصبر واحتسب ثم رجع أبو جندل رضى الله عنه مكة فى جوار مكرز ابن حفص وحويطب بن عبد العزى فأدخلاه مكة وكفاه عنه أباه وسيأتى فى آخر القصة ان أبا جندل فى مدة الهدنة هرب من مكة ومعه جماعة من المستضعفين وانهم انضموا الى أبى بصير وقطعوا الطريق على قريش حتى كتبت قريش للنبى صلى الله عليه وسلم تسأله بالارحام أن يأويهم عنده كما سيأتى ثم ان سهيل بن عمرو له ابن آخر اسمه عبد الله بن سهيل أسلم قديما وهاجر وخرج مع المشركين يوم بدر فلما وصلوا بدرا خرج من

بينهم ودخل فى أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وشهد بدرا والمشاهد كلها وأما أبو جندل فاسمه العاص كما تقدم وأول مشهد شهده فتح مكة ثم ان قريشا أرسلت عثمان بن عفان رضى الله عنه وبهذا يعلم ان بيعة الرضوان كانت قبل الصلح وانها السبب الباعث لقريش عليه وقد وقع فى المواهب ما يقتضى ان البيعة كانت بعد الصلح وان الكتاب الذى ذهب به عثمان كان متضمنا للصلح الذى وقع بينه صلى الله عليه وسلم وبين سهيل بن عمرو فحبست قريش عثمان رضى الله عنه فحبس صلى الله عليه وسلم

سهيلا قال الحلبي ولا يخفى ما فيه ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلح أشهد عليه رجالا من المسلمين وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وأبو عبيدة بن الجراح ومحمد بن مسلمة رضي الله عنهم ومن المشركين حويطب ابن عبد العزى ومكرز بن حفص وما تم هذا الصلح الا بعد توقف كثير من المسلمين فيه وصاروا يراجعون النبي صلى الله عليه وسلم ويسألونه أن لا يوافق على تلك الشروط لاسيما عمر رضي الله عنه فانه أتى النبي صلى الله عليه وسلم وراجعه كثيرا كما تقدم

ومن مراجعته انه قال له ألست نبي الله حقا قال بلى قال ألسنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قال أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار قال بلى قال فلم نعطي الدنية أي الخسيسة الحقيرة في ديننا اذا ونرجع ولم يحكم الله بيننا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري قلت أوليس كنت تحدثنا اناسنأتي البيت فنطوف به أي للرؤيا التي رآها قال بلى أفاخبرتك انا نأتيه هذا العام قال لا قال صلى الله عليه وسلم فانك آتيه ومطوف به أي وكذلك الصحابة رضي الله عنهم لانه كان صلى الله عليه وسلم أخبرهم بانه رأى انهم يدخلون المسجد الحرام ويطوفون بالبيت ووعدهم بذلك فلما رأوا الصلح دخلهم من ذلك أمر عظيم حتى كادوا يهلكون وشق عليهم قال عمر رضي الله عنه لقد دخلني أمر عظيم وراجعت النبي صلى الله عليه وسلم مراجعة ما راجعته مثلها قط حتى قال لي أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه ألا تسمع يا ابن الخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما يقول تعوذ بالله من الشيطان الرجيم فجعلت أتعوذ بالله من الشيطان الرجيم وروى البزار عن عمر رضي الله عنه انهموا الرأي على الدين فلقد رأيتني أرد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم برأيي وما ألوت عن الحق فرضي صلى الله عليه وسلم وأبيت حتى قال يا عمر ترانى رضيت وتأبى وفي رواية قال يا ابن الخطاب اني رسول الله ولن يضيعني الله فرجع متغيظا فلم يصبر حتى جاء أبا بكر فقال يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقا قال بلى قال ألسنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قال فلم نعطي الدنية في ديننا اذا فقال أبو بكر أيها الرجل انه رسول الله وليس يعصي ربه فاستمسك بغرزه أي ركابه أي لا تفارقه فوالله انه على الحق قال قلت أوليس كان

اكراها

اذ رميت ولكن الله رمى نزل يوم بدر هكذا قال عروة وعكرمة ومجاهد وقتادة قال هذا البعض وقد فعل عليه الصلاة والسلام مثل ذلك في غزوة أحد هذا كلامه وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم أخذ ثلاث حصيات فرمى بحصاة في ميمنة القوم وحصاة في ميسرة القوم وحصاة بين أيديهم فقال شاهت الوجوه فانهزم القوم وهذه الحصيات الثلاث قال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما وقعن من السماء يوم بدر كأنهن وقعن في طست فأخذهن رسول الله صلى الله عليه وسلم فرمى بهن في وجوه المشركين أي يمنة ويسرة وبين أيديهم وحين رمى صلى الله عليه وسلم بذلك قال لاصحابه شدوا فكانت الهزيمة وأنزل الله وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وقد يقال لا مانع من اجتماع الامرين وكل منهما مراد من الآية قال وقاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ بنفسه قتالا شديدا وكذلك أبو بكر رضي الله عنه كما كانا في العريش يجاهدان بالدعاء قاتلا بايدانهما جمعا بين المقامين انتهى (أقول) كذا نقل بعضهم عن الاموي ويتأمل ذلك فاني لم أقف عليه في كلام أحد غيره وكأن قائل ذلك فهم مباشرته صلى الله عليه وسلم للقتال مما تقدم عن علي رضي الله تعالى عنه لما كان يوم بدر اتقينا المشركين برسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أشد الناس باسا ولا دلالة في ذلك والله أعلم ثم ذكر ابن سعد انه لما انهزم المشركون رؤى رسول الله صلى الله عليه وسلم في أثرهم مصلتا السلف يتلو هذه الآية سيهزم الجمع ويولون الدبر وهذه الآية ذكر في الاتقان انها مما تأخر حكمه عن نزوله فانها نزلت بمكة وكان ذلك يوم بدر فعن عمر رضي الله تعالى عنه قلت أي جمع فلما كان يوم بدر وانهزمت قريش نظرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في آثارهم مصلتا السيف يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر فكانت ليوم بدر أخرجه الطبراني في الاوسط ولو قاتل صلى الله عليه وسلم لجرح أو قتل من قاتله ولو وقع ذلك لنقل لانه مما تتوفر الدواعي على نقله وسيأتي في أحد عن النور أنه صلى الله عليه وسلم لم يقتل بيده الشريفة قط أحدا الا أبي بن خلف لا قبله ولا بعده والى رميه بالحصا أشار صاحب الهمزية بقوله ورمى بالحصا فأقصد جيشا * ما العصا عنده وما الالقاء

أي ورمى صلى الله عليه وسلم بالحصا جيشا فأصابهم كلهم بها أي شيء القاء عصا موسى عليه السلام على حبال سحرة فرعون وعصيهم عند ذلك الحصا المرمى به لا يقارب ذلك الالقاء ولا يدانيه لان ذاك وجد له نظير وهو القاء السحرة الحبال والعصي والرمي بالحصا لم يوجد له نظير أي وقال صلى الله عليه وسلم حينئذ من قتل قتيلا فله سلبه ومن اسر أسيرا فهو له كما في الامتاع فلما وضع القوم أيديهم يأسرون نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سعد فوجد في وجهه الكراهية لما يصنع القوم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لكأنك يا سعد تكره ما يصنع القوم قال أجل والله يا رسول الله كانت أول وقعة أوقعها الله بأهل الشرك فكان الاثخان في القتل أي الاكثار منه والمبالغة فيه أحب الي من استبقاء الرجال (وذكر بعضهم) ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه انكم قد عرفتم ان رجالا من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا

يحدثنا الناس أتى البيت فنطوف به قال بلى أفأخبرك انا نأتيه العام قلت لا قال فانك آتيه ومطوف به فأجابه بمثل ما أجابه النبي صلى الله عليه وسلم ثم ان هذه الرواية مصرحة بان اتيانه لابي بكر كان بعد اتيانه للنبي صلى الله عليه وسلم وتقدمت رواية صحيحة بان ذلك كان قبل اتيانه صلى الله عليه وسلم ويمكن الجمع بان تلك المراجعة تكررت فجاء لابي بكر وراجعه قبل وبعد ودل جواب أبي بكر الموافق لجواب النبي صلى الله عليه وسلم على ان أبا بكر رضي الله عنه أكمل الصحابة علما وأعرفهم باحوال النبي صلى الله عليه وسلم وأعلمهم بامور الدين وأشدهم موافقة لامر الله تعالى فهو من الدلائل الظاهرة على عظيم فضله وبارع علمه وزيادة عرفانه ورسوخه وزيادته في كل ذلك على غيره وقد جاء في بعض الروايات ان المسلمين استنكروا الصلح المذكور وكانوا على رأي عمر رضي الله عنه وعنهم فلم يوافقهم أبو بكر رضي الله عنه بل كان قلبه على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم سواء ومر في الهجرة ان ابن الدغنة وصفه بمثل ما وصفت به خديجة النبي صلى الله عليه وسلم سواء من كونه يصل الرحم ويحمل الكل ويعين على نوائب الحق وغير ذلك فلما تشابهت صفاتهما من الابتداء استمر ذلك الى الانتهاء ولجلالة قدر أبي بكر وسعة علمه عند عمر رضي الله عنه لم يراجع عمر في ذلك أحدا بعده صلى الله عليه وسلم أو قبله غير الصديق وانما سأله بعد سؤال المصطفى صلى الله عليه وسلم لشدة ما حصل لعمر رضي الله عنه من الغيظ ولقوته في نصر الدين واذلال الكافرين قال العلماء لم يكن سؤال عمر رضي الله عنه وكلامه شكا في الدين حاشاه رضي الله عنه ففي رواية ابن اسحق أنه لما قال له الزم غرزه فانه رسول الله قال عمر وأنا أشهد انه رسول الله بل كان سؤاله طلب الكشف ما خفي عليه من المصلحة وحنقا على اذلال الكفار وظهور الاسلام كما عرف في خلقه وقوته في نصر الدين واذلال المبطلين ففي ذلك دليل على جواز البحث في العلم حتى يظهر المعنى وفي البخاري قال عمر رضي الله عنه فعملت لذلك اعمالا وفي ابن اسحق فما زلت أتصدق وأصوم وأصلي وأعتق من الذي صنعت يومئذ مخافة كلامي الذي تكلمت به حين رجوت أن يكون خيرا وعند الواحدي عن ابن عباس رضي الله عنهما لقد أعتقت بسبب ذلك رقابا وصمت دهرا وانما عمل ذلك لتوقفه عن المبادرة

اكراها لا حاجة لهم بقتال المانع لقي منكم أحدا من بني هاشم فلا يقتله أي بل يأسره وذكرا البختري بن هشام أي فقال من لقي أبا البختري فلا يقتله أي لانه كان ممن قام في نقض الصحيفة ونص علي العباس بن عبد المطلب فقال أبو حذيفة رضي الله تعالى عنه ايقتل آباؤنا وابناؤنا واخواننا وعشيرتنا ويترك العباس أي لانه تقدم ان أباه عتبة وعمه شيبة وأخاه الوليد أول من قتل من الكفار مبارزة وعشيرته وهي بنو عبد شمس قد قتل منها جماعة لئن لقيته يعني العباس لالجمنه السيف هو بالمهملة والجيم فبلغت أي تلك المقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر يا أبا حفص أيضرب وجه عم رسول الله بالسيف فقال عمر والله انه لاول يوم كناني فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بابي حفص يا رسول الله دعني أضرب عنقه يعني أبا حذيفة بالسيف فوالله لقد نافق فكان أبو حذيفة يقول ما أنا بآمن من تلك الكلمة التي قلتها يومئذ ولا أزال منها خائفا الا ان تكفرها عني الشهادة فقتل يوم اليمامة شهيدا في جملة من قتل فيها من الصحابة وهم أربعمائة وخمسون وقيل سبعمائة رضي الله عنهم ولقي المجذر رضي الله عنه أبا البختري فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهانا عن قتلك فقال وزميلي أي ورفيقي وكان معه زميل له خرج معه من مكة أي يقال له جنادة بن ملجمة فقال له المجذر لا والله ما نحن بتاركي زميلك ما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بك وحدك قال لا والله اذا لاموتن أنا وهو جميعا لاتحدث عني نساء مكة أني تركت زميلي أي يقتل حرصا على الحياة فقتله المجذر أي بعد ان قاتله ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والذي بعثك بالحق لقد جهدت عليه ان يستأسر فأتيك به فأبى الا ان يقاتلني فقتلته (أقول) لعل المجذر فهم ان ما عدا من نهى عن قتله يقتل وان استأسر حتى قال ما نحن بتاركي زميلك أي ولا بد من قتله وان استأسر فكان ذلك حاملا لابي البختري على ان لا يستأسر ويترك زميله فيقتل خوف السبة والله أعلم أي وكان من جملة من خرج من المشركين يوم بدر عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما وكان اسمه قبل الاسلام عبد الكعبة وقيل عبد العزى فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن وكان من أشجع قريش وأشدهم رماية وكان أسن ولد أبيه وكان صالحا وفيه دعابة فلما أسلم قال لابيه لقد أهدفت لي أي ارتفعت لي يوم بدر مرارا فصددت عنك أي أعرضت عنك فقال أبو بكر لو هدفت لي لم أصدف أي أعرض عنك فالمراد بكونه أهدف له ارتفع وهو لا يشعر بذلك فلا ينافي ما قيل ان عبد الرحمن بن أبي بكر يوم بدر دعا الى البراز فقام اليه أبوه أبو بكر ليبارزه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم متعنا بنفسك يا أبا بكر أما علمت انك عندي بمنزلة سمعي وبصري أي وفي بعض السير ان الصديق قال لولده عبد الرحمن يوم بدر وهو مع المشركين لم يسلم أين مالي يا خبيث فقال له عبد الرحمن كلا ما معناه لم يبق الا عدة الحرب التي هي السلاح وفرس سريعة الجري وجنان يقاتل عليه شيوخ الضلال أي وهذا يدل على ان الصديق رضي الله تعالى عنه ترك ما لا عند أهله لما هاجر وهو قد يخالف ما تقدم

بامتثال الامر وان كان معذورا فى جميع ما صدر منه بل مأجورا لانه مجتهد وانما توقف لتظهر له الحكمة وتنكشف عنه الشبهة ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلح والاشهاد وتوجه سهيل بن عمرو ومن معه بالكتاب قام صلى الله عليه وسلم الى هديه فنحره ومن جملته جمل كان لابى جهل نجيب مهرى غنمه المسلمون منه يوم بدر ثم صار له صلى الله عليه وسلم وكان يضرب فى لقاحه صلى الله عليه وسلم وفى رأسه برة ١٨٨ أى حلقة من فضة وقيل من ذهب وانما أدخله صلى الله عليه وسلم فى الهدى ليكون فى ذبحه اغاظة للمشركين وكان قد فرهذا الجمل من الحديبية ودخل مكة وانتهى الى دار أبى جهل وخرج فى أثره عمرو بن غفارة الانصارى فابى سفهاء مكة أن يعطوه حتى أمرهم سهيل بن عمرو بدفعه ودفع اليه عدة ثياب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا اننا سميناه فى الهدى فعلنا وفى لفظ قال لهم سهيل بن عمرو ان تريدوه فاعرضوا على محمد مائة من الابل فان قبلها فامسكوا هذا الجمل والا فلا تتعرضوا له فعرضوا ذلك عليه صلى الله عليه وسلم فابى وقال لو لم يكن هذا الجمل للهدى لقبلت المائة فردوه اليه فنحره وفرق لحمه ولحم بقية الهدى على الفقراء الذين حضروا الحديبية وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم بعث الى مكة عشرين بدنة مع ناجية رجل من أسلم وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم بعد فراغهم من الكتاب أمرهم بالنحر والحلق ثلاث مرات فلم يقم منهم أحد فدخل على أم سلمة رضى الله عنها وهو شديد الغضب فاضطجع فقالت ماشانك يا رسول الله فذكر لها ما لقى من الناس وقال لها هلك المسلمون أمرتهم أن ينحروا ويحلقوا فلم يفعلوا وفى لفظ قال عجبا يا ام سلمة الا ترين الى الناس آمرهم بالامر فلا يفعلونه قالت لهم انحروا واحلقوا واحلوا مرارا فلم يجبنى أحد من الناس الى ذلك وهم يسمعون كلامى وينظرون وجهى فقالت يا رسول الله لا تلمهم فانهم قد دخلهم أمر عظيم مما أدخلت على نفسك من المشقة فى أمر الصلح ورجوعهم بغير فتح ثم أشارت اليه أن يخرج ولا يكلم أحدا منهم وينحر بدنه ويحلق رأسه ففعل ذلك أى أخذ الحربة وقصد هديه وأهوى بالحربة الى

عن ابنته أسماء من قولها ان أبا بكر ارسل ابنه عبد الله فحمل ماله وكان خمسة آلاف درهم الى الغار فدخل علينا جدى أبو قحافة الحديث ولعل ماله الذى عناه الصديق ما كان من نحو امتعة وبعض مواشى لا النقد فلا مخالفة (ويروى عن ابن مسعود) ان الصديق رضى الله تعالى عنه دعا ابنه يعنى عبد الرحمن يوم أحد الى البراز فقال له النبى صلى الله عليه وسلم متعنا بنفسك اما علمت انك منى بمنزلة سمعى وبصرى فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم ولا مانع من التعدد حتى فى نزول الآية لكن يبعد نزولها فى أحد أيضا كون أبى بكر يدعو للمبارزة بعد نزولها أولا فى بدر ثم رأيت ابن ظفر قال فى الينبوع انه لم يثبت أن أبا بكر دعا ابنه للمبارزة وانما هو شئ ذكر فى كتب التفسير فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم فالآية مدنية لا مكية وبه يرد ما ذكر أن سببها ان أبا بكر سمع والده أبا قحافة يذكر النبى صلى الله عليه وسلم بشر فلطمه لطمة سقط منها فأخبر أبو بكر النبى صلى الله عليه وسلم فقال له لا تعد لمثلها فقال والله لو حضرنى السيف لقتلته به وفى كلام الزمخشرى أن عبد الرحمن أسلم فى هدنة الحديبية وهاجر الى المدينة ومات سنة ثلاث وخمسين بعد بينه وبين مكة ستة أميال وحمل على أعناق الرجال الى مكة وقدمت أخته عائشة رضى الله تعالى عنها من المدينة فأتت قبره فصلت عليه أى وفى هذا اليوم الذى هو يوم بدر قتل أبو عبيدة بن الجراح أباه وكان مشركا فان أباه قصده ليقتله فولى عنه أبو عبيدة لينكف عنه فلم ينكف عنه فرجع عليه وقتله وأنزل الله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم الآية وعن عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه قال لقد لقيت أمية بن خلف وكان صديقا لى فى الجاهلية ومعه أى مع أمية ابنه على أى آخذ بيده وكان على ممن أسلم والنبى صلى الله عليه وسلم بمكة قبل ان يهاجر ففتنهم أقاربهم عن الاسلام ورجعوا عنه وماتوا على كفرهم وأنزل الله تعالى فيهم ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم الآية أى وهم الحرث بن ربيعة وأبو قيس بن الفاكه وأبو قيس بن الوليد والعاص بن منبه وعلى بن أمية المذكور (وفى السيرة الهشامية) وذلك انهم كانوا أسلموا ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة حبستهم آباؤهم وعشيرتهم بمكة وفتنوهم فافتتنوا أى رجعوا عن الاسلام ثم سار وا مع قومهم الى بدر فأصيبوا جميعا وسياقه كما ترى يقتضى انهم لم يرجعوا الى الكفر الا بعد الهجرة وسياق ما قبله ربما يقتضى انهم رجعوا الى الكفر قبل ان يهاجر صلى الله عليه وسلم قال عبد الرحمن بن عوف وكان معى أدراع استلبتها أى فانا أحملها فلما رآنى أمية نادانى باسمى الاول يا عبد عمرو فلم أجبه لانه كان قال لى لما سمانى رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن أترغب عن اسم سماك به أبوك فقلت نعم قال الرحمن لا أعرفه ولكنى أسميك بعبد الاله كما تقدم فلما نادانى بعبد الاله قلت نعم أى وظاهر السياق يقتضى انه عرف انه المراد بذلك وانه

البدنة رافعا صوته بسم الله والله أكبر ثم دخل قبته له من أدم ودعا بحراش الخزاعي فحلق رأسه ورمى شعره على شجرة فاخذه الناس وتعاصوه وأخذت أم عمارة رضي الله عنها طاقة منه فكانت تغسله للمريض وتسقيه فيبرأ وكانت بدنه صلى الله عليه وسلم التي نحرها بالحديبية سبعين ولما رآه الناس نحر وحلق قاموا ونحروا وحلقوا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا للازدحام وارادة التجميل اقتداء به صلى الله عليه وسلم وكان نحرهم للهدايا بالحديبية وهي في الحرم في قول مالك رضي الله عنه وبعضها في الحل وبعضها في الحرم في قول الشافعي رضي الله عنه وفي رواية أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بالهدى فساقه المسلمون الى جهة الحرم فقام اليه مشركو قريش فحبسوه فامر صلى الله عليه وسلم بنحره وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما صدت الهدايا عن البيت جعلت كما تحن الى أولادها فنحر صلى الله عليه وسلم بدنه حيث حبسوه وهي الحديبية والمراد نحر أكثره فلا ينافي ما رواه ابن سعد عن جابر رضي الله عنه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من هديه بعشرين بدنة لتنحر عنه عند المروة مع رجل من اسلم وبعث الله ريحا فحملت شعورهم فألقتها في الحرم جبرا لهم في صدهم عن البيت فاستبشروا بقبول عمرتهم قال الزرقاني ولعل المراد غير شعره صلى الله عليه وسلم أي لانه أخذه المسلمون كما تقدم ويحتمل انهم أخذوا أكثره وألقت الريح باقيه في الحرم وحلق رجال وقصر آخرون فقال صلى الله عليه وسلم يرحم الله المحلقين قالوا والمقصرين قال يرحم الله المحلقين قالوا والمقصرين قال والمقصرين وفي رواية وقال في الرابعة والمقصرين وانما توقف الصحابة رضي الله عنهم بعد الامر لاحتمال أنه للندب أو لرجاء نزول الوحي بابطال الصلح أو تخصيصه بمن أذن لهم في دخول مكة ذلك العام لاتمام نسكهم وساغ ذلك لهم لانه زمان وقوع النسخ ويحتمل أن صورة الحال أبهمتهم فاستغرقوا في الفكر لما لحقهم من الذل عند نفوسهم مع ظهور قوتهم واعتقادهم القدرة على قضاء نسكهم بالغلبة أولان الامر المطلق لا يقتضي الفور ويحتمل مجموع هذه الامور لمجموعهم أو فهموا انه صلى الله عليه وسلم أمرهم بالتحلل أخذا بالرخصة في حقهم وأنه هو يستمر على الاحرام أخذا بالعزيمة في حق نفسه فاشارت اليه أم سلمة بالتحلل لينتفي هذا الاحتمال

ترك اجابته قصدا حيث جعله عبد اللصنم ويحتمل وهو الاقرب انه لم يجبه لعدم معرفته انه المراد بذلك الاسم لكونه هجر بالمرة فلما ناداه أمية بما ذكر عرفه وعرف انه المراد بذلك لما ذكر وعند ذلك قال له أمية هل لك في فانا خير لك من هذه الادراع التي معك قلت نعم فطرحت الادراع من يدي وأخذت بيده وبيد ابنه علي وهو يقول ما رأيت كاليوم قط ثم قال لي يا عبد الاله من الرجل منكم المعلم بريشة نعامة في صدره أي كانت في درعه بجمال صدره قلت ذاك حمزة بن عبد المطلب قال ذاك الذي فعل بنا الافاعيل وقيل قائل ذلك ابنه ثم خرجت أمشي بهما فوالله اني لاقودهما اذ رآه بلال معي وكان هو الذي يعذب بلالا بمكة على ان يترك الاسلام أي كما تقدم فقال بلال رأس الكفر امية بن خلف لا نجوت ان نجا فقلت أي بلال افبأسيري أي تفعل ذلك بهما قال لا نجوت ان نجا وكرر ذلك ثم صرخ باعلى صوته يا انصار الله رأس الكفر امية بن خلف لا نجوت ان نجا وكرر ذلك فأحاط بنا فأصلت رجل السيف أي سله من غمده وذلك الرجل هو بلال فضرب رجل ابنه فوقع وصاح أمية صيحة ما سمعت مثلها قط فضربوهما بأسيافهم فهبروهما (أقول) الذي في البخاري عن عبد الرحمن بن عوف ان بلالا لما استصرخ الانصار قال خشيت ان يلحقونا فخلفت لهم ابنه لاشغلهم به فقتلوه ثم أتونا حتى لحقونا وكان أمية رجلا ثقيلا أي كما تقدم فقلت ابرك فالقيت نفسي عليه لامنعه فتخللوه بالسيوف من تحتي حتى قتلوه فاصاب أحدهم رجلي بسيفه أي ظهر قدمه وفي كلام ابن عبد البر قال ابن هشام قتل أمية بن خلف معاذ بن عفراء وخارجة بن زيد وحبيب بن اساف اشتركوا فيه قال ابن اسحق وابنه على قتله عمار بن ياسر وحبيب بن اساف هذا شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزوج بنت خارجة بعد ان توفي عنها أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وهو جد حبيب شيخ مالك رضي الله تعالى عنه والله أعلم (وكان عبد الرحمن بن عوف) يقول يرحم الله بلالا ذهبت ادراعي وجعني باسيري أي وفي رواية لما كان يوم بدر حصل لي درعان واقيني أمية فقال خذني وابنى فانا خير لك من الدرعين فالقيت الدرعين فاخذتهما فلما قتلا صار يقول يرحم الله بلالا فلا درعي ولا أسيري أي لانه صلى الله عليه وسلم جعل في هذه الغزاة ان كل من أسر أسيرا فهو له كما تقدم وسيأتي أي له فداؤه وهو يخالف ما عليه أئمتنا ان مال فداء الاسرى ورقابهم اذا استرقوا كسائر اموال الغنيمة الا ان يقال ذاك كان في صدر الاسلام ترغيبا في الجهاد ثم استقر الامر على ما قاله فقهاؤنا أي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من له علم بنوفل ابن خويلد فقال علي كرم الله وجهه انا قتلته فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الحمد لله الذي أجاب دعوتي فيه أي فانه لما التقى الصفان نادى نوفل بصوت رفيع يا معاشر قريش اليوم يوم الرفعة والعلاء فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اكفني نوفل بن خويلد وفي كلام بعضهم ما يفيد ان قتل علي كرم الله وجهه له كان بعد ان أسره جبار بن صخر فقد جاء أن جبارا بينما هو يسوقه اذ رأى عليا فقال يا أخا الانصار من هذا واللات والعزى انه ليريدني فقال هذا علي

ففعله فلما رأوه بادروا الى فعل ما أمرهم به اذلم تبق غاية ينتظرونها وتطيره ماوقع لهم فى غزوة الفتح من أمره لهم بالفطر فى رمضان فابوا حتى شربوا وفى سؤاله أم سلمة رضى الله عنها فضيلة أمر المشورة ومشاورة المرأة الفاضلة وفضل أم سلمة رضى الله عنها ووفور عقلها حتى قال امام الحرمين لا نعلم امرأة أشارت برأى فاصابت الا أم سلمة قال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى واستدرك عليه بعضهم بنت شعيب فى أمر موسى ١٩٠ عليهما الصلاة والسلام أى حين قالت يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوى الامين وفى قصة بيعة الرضوان دليل على فضل الصحابة الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعالى لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة الآية وفى الصحيح عن جابر رضى الله عنه قال قال لنا النبى صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية أنتم خير أهل الارض وأخرج مسلم وغيره عن جابر رضى الله عنه لا يدخل النار من شهد بدرا والحديبية وروى أحمد باسناد حسن عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال لما كنا بالحديبية قال صلى الله عليه وسلم لا توقدوا نارا بليل فلما كان بعد ذلك قال أوقدوا واصطنعوا فانه لا يدرك قوم بعدكم صانعكم ولا مدكم وفى مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل النار أحد من أصحاب الشجرة وقد قدح بعض الرافضة لعنهم الله تعالى على عثمان رضى الله عنه أنه لم يحضر هذه البيعة كما أنه لم يحضر غزوة بدر وأجيب بان هذه البيعة انما كانت لاجله لما أشاعوا موته وغيبته انما هى لامتثاله أمر الله ورسوله وبايع عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذه عن عثمان وضرب بيده على الاخرى ولما رجع بايع كما تقدم فهو من جملة من بايع بيعة الرضوان فاخراجه غلط ظاهر وأما عدم حضوره غزوة بدر فكان بامر النبى صلى الله عليه وسلم لاجل تمريض ابنته رقية رضى الله عنها وقد عده صلى الله عليه وسلم من أهل بدر وضرب له بسهم معهم فهو معدود من البدريين فاخراجه غلط ظاهر ودل قوله لا يدخل النار أحد من أصحاب الشجرة انهم مبشرون بالجنة وأما قولهم العشرة المبشرون بالجنة فالمراد انهم ذكروا باسمائهم فى حديث واحد حيث قال أبو بكر فى الجنة الى آخرهم قال ابن عبد البر ليس فى الغزوات ما يعدل بدرا أو يقرب منها الا الحديبية حيث كانت بيعة الرضوان قال الزرقانى لكن قال غيره الراجح

ابن أبى طالب فعمد له على كرم الله وجهه فقتله ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بابى جهل أن يلتمس فى القتلى وقال ان خفى عليكم أى بان قطع رأسه وازيل عن جثته انظروا الى أثر جرح فى ركبته فانى ازدحمت يوما أنا وهو على مائدة لعبد الله بن جدعان ونحن غلامان وكنت أسن منه أى أكبر منه بيسير فدفعته فوقع على ركبتيه فجحش أى خدش على احديهما جحشا لم يزل أثره به أى ولعل هذا هو محمل قول بعضهم انه صلى الله عليه وسلم صارع أبا جهل فانه لم يصح انه صارعه ولعل هذا الاثر هو الذى عناه ابن مسعود رضى الله عنه بقوله لما قتلت أبا جهل لعنه الله وقلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم قتلت أبا جهل فقال لى عقيل وهو اسير عند النبى صلى الله عليه وسلم كذبت ما قتلته فقلت له بل أنت الكذاب الاثيم يا عدو الله قد والله قتلته قال فما علامته قلت ان بفخذه حلقة كحلقة الجمل المحلق قال صدقت وكان أبو جهل قد استفتح أى طلب الحكم على نفسه لانه لما دنا لقوم بعضهم من بعض قال اللهم اقطعنا للرحم واتيانا بما لا نعرف فاحنه أى أهلكه الغداة أى زاد بعضهم اللهم من كان أحب اليك وارضى عندك وفى لفظ اللهم أولانا بالحق فانصره اليوم فانزل الله تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح ٥ (أقول) كون أبى جهل طلب الحكم على نفسه واضح لو سكت عن قوله واتيانا بما لا نعرف اذ هو نص فيه صلى الله عليه وسلم وفى تفسير سهل أن أبا جهل قال يوم بدر اللهم انصر افضل الدينين عندك وارضاهما لك أى وفى رواية للهم انصر خير الدينين اللهم ديننا القديم ودين محمد الحادث فنزل ان تستفتحوا يعنى تستنصروا فقد جاءكم الفتح وفى أسباب النزول للواحدى ان المشركين حين أرادوا الخروج من مكة أخذوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر أعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين وافضل الدينين فانزل الله تعالى الآية وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يستفتح بصعاليك المهاجرين والله أعلم قال معاذ بن عمرو بن الجموح رأيت أبا جهل وقد أحاط بوابه وهم يقولون أبو الحكم لا يخلص اليه فلما سمعتها عمدت نحوه وحملت عليه فضربته ضربة أطنت قدمه بنصف ساقه أى اسرعت قطعه فوالله ما شبهتها حين طاحت الا بالنواة تطيح من تحت مرضخة النوى والمرضخة بالخاء المعجمة وبالمهملة وقيل الرضخ بالمعجمة كسر الرطب وبالمهملة كسر اليابس وضربنى ابنه أى عكرمة رضى الله تعالى عنه فانه اسلم بعد ذلك على عاتقى فطرح يدى فتعلقت بجلدة من جسمى وأجهضنى القتال أى شغلنى عنه فقد قاتلت عامة يومى وانى لاسحبها خلفى فلما آذتنى وضعت عليها قدمى ثم تمطيت عليها حتى طرحتها وفى رواية أنه جاء بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبصق عليها أى واصقها فالصقت والى ذلك يشير الامام السبكى فى تائيته لكن قال ابن عفراء ولا مناقاة لجواز أن يكون معاذ بن عمرو بن الجموح بن عفراء وسيأتى ما يدل على ذلك بقوله

وبانت بها كف ابن عفراء فاشتكى * اليك فعادت بعد أحسن عودة

الا أن قوله بها يرجع لغزاة أحد وقد علمت أن ذلك انما هو ببدر واحتمال تكرر ذلك فى أحد

تقديم أحد على الحديبية وأنها التي تلي غزوة بدر في الفضل وكانت اقامته صلى الله عليه وسلم بالحديبية بضعة عشر يوما وقيل عشرين يوما وقال بعضهم كانت مدة غزوته هذه كلها شهرا ونصفا ثم رجع صلى الله عليه وسلم الى المدينة وفي نفوس أصحابه رضي الله عنهم شيء من عدم الفتح الذي كانوا لا يشكون فيه فأنزل الله تعالى سورة الفتح بين مكة والمدينة بكراع الغميم وقال ابن اسحق نزلت وهو بضجنان بفتح الضاد المعجمة وسكون الجيم ونونين بينهما ألف جبل على بريد من مكة ١٩١ وفي البخاري عن عمر رضي الله عنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أنزلت علي سورة هي أحب الي مما طلعت عليه الشمس ثم قرأ انا فتحنا لك فتحا مبينا واختلف الناس في المراد من الفتح فقال ابن عباس وأنس والبراء بن عازب رضي الله عنهم الفتح هنا فتح الحديبية ووقوع الصلح قال الحافظ ابن حجر ان الفتح في اللغة فتح المغلق والصلح كان مغلقا حتى فتحه الله وكان من أسباب فتحه صد المسلمين عن البيت فكانت الصورة الظاهرية ضيما للمسلمين والباطنة عزا لهم فان الناس للامن الذي وقع فيهم اختلط بعضهم ببعض من غير نكير وأسمع المسلمون المشركين القرآن وناظروهم على الاسلام جهرة آمنين وكانوا قبل ذلك لا يتكلمون عندهم بذلك الا خفية فظهر من كان يخفي اسلامه فذل المشركون من حيث أرادوا العزة وقهروا من حيث أرادوا الغلبة بعد ان كان المنافقون يظنون أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبدا أي حسبوا أنهم لا يرجعون بل يقتلون كلهم وقيل الفتح المراد هو فتح مكة فنزلت السورة عند مرجعه من الحديبية عدة له بفتحها وعبر فيه بالماضي لتحقق وقوعه وفيه من الفخامة والدلالة على علو شأن المخبر به

وفي بدر لشخص واحد بعيد الا أن يثبت النقل بذلك ثم مر بابي جهل وهو عقير معوذ بضم الميم وتشديد الواو ومفتوحة ومكسورة ابن عفراء فضربه حتى أثبته وتركه وبه رمق أي وما جاء في بعض الروايات ضربه حتى برد بفتح الموحدة والراء والدال المهملة أي مات لا ينافيه لانه يجوز أن يكون المراد صار في حالة من مات بان صار الى حركة المذبوح ومن ثم جاء في بعض الروايات حتى برك بالكاف بدل الدال أي سقط الى الارض أي الى جنبه والا فقطع قدمه مع نصف ساقه لا يفضي غالبا أن يسقط الى جنبه ومعوذ هذا لا زال يقاتل حتى قتل قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه رأيت أبا جهل بآخر رمق فعرفته فوضعت رجلي على عنقه ثم قلت له هل اخزاك الله يا عدو الله قال وبم اخزاني اعار على رجل قتلتموه أي ليس بعار على رجل قتلتموه وفي رواية أعمد من رجل قتلتموه أي اناسيد رجل قتلتموه لان عميد القوم سيدهم أي فلا عار علي في قتلكم اياي وجاء أنه قال لو غير أكار قتلني والاكار الزراع يعني الانصار لانهم كانوا أصحاب زرع أي لو كان الذي قتلني غير فلاح لكان أحب الي واعظم لشأني ولم يكن علي في ذلك نقص لقد ارتقيت يا رويعي الغنم مرتقى صعبا أخبرني لمن الدبرة أي النصرة والظفر اليوم زادني في رواية لنا أو علينا قلت لله ولرسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الصحاح في دبر بالباء الموحدة والدبرة الهزيمة في القتال ومما يدل للاول ما تقدم من قول أبي جهل أخبرني على من كانت الدبرة لنا أو علينا وفي مغازي ابن عقبة التي قال فيها مالك رضي الله تعالى عنه مغازي موسى بن عقبة أصح المغازي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على القتلى والتمس أبا جهل فلم يجده حتى عرف ذلك في وجهه ثم قال اللهم لا تعجزني فرعون هذه الامة فسعى له الرجال حتى وجده ابن مسعود الحديث وفي الصحيحين عن أنس رضي الله تعالى عنه لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ينظر لنا ما صنع أبو جهل فانطلق ابن مسعود رضي الله تعالى عنه فوجده قد ضربه ابن عفراء حتى برد ولسلم برك أي وهو المراد من الاول كما تقدم فاخذ بلحيته فقال أنت أبو جهل الحديث وأخذه بلحيته لا ينافي وضع رجله على رقبته لجواز أن يكون جمع بينهما قال ابن مسعود ثم احتززت رأسه وفي رواية رويت عن ابن مسعود رضي الله عنه قال لما ضربته بسيفي لم يغن شيأ فبصق في وجهي وقال خذ سيفي فاحتز به رأسي من عرشي ليكون أنهى للرقبة والعرش عرف في أصل الرقبة ففعلت كذلك ثم جئت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هذا رأس عدو الله أبي جهل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم آلله الذي لا اله غيره أي ورددها ثلاثا وروى الطبراني آلله قتلت أبا جهل بنصب الجلالة وهو بهذا اللفظ عندنا كناية يمين ومثل النصب الرفع والجر قال قلت نعم والله الذي لا اله غيره ثم ألقيت رأسه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله تعالى أي ويقال انه صلى الله عليه وسلم سجد خمس سجدات شكرا ويقال انه قال الله أكبر الحمد لله الذي صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده وكون أبي جهل صق في وجه ابن مسعود رضي الله عنه وقال له خذ سيفي الخ ينافي كونه وصل الى حركة المذبوح

مما لا يخفى وقيل المعنى قضينا لك قضاء بينا على أهل مكة ان تدخلها أنت وأصحابك قابلا من الفتاحة وهي الحكومة وفي الصحيح عن البراء رضي الله عنه قال تعدون أنتم الفتح فتح مكة وقد كان فتحا ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان قال الحافظ ابن حجر يعني بالفتح قوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا وقد وقع فيه اختلاف قديم والتحقيق أنه يختلف باختلاف المراد من الآيات فالمراد بقوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا فتح الحديبية لما ترتب على الصلح من الامن ورفع الحرب وتمكن من كان يخشى الدخول في الاسلام والوصول الى المدينة منهما

وتتابع الامر الى أن كمل الفتح أى بفتح مكة وأما قوله تعالى وأثابهم فتحا قريبا فالمراد به فتح خيبر على الصحيح لانها هى التى وقعت فيها المغانم الكثيرة للمسلمين قال تعالى ومغانم كثيرة يأخذونها وروى الامام أحمد وأبو داود والحاكم من حديث مجمع بن جارية الانصارى الاوسى رضى الله عنه قال شهدنا الحديبية فلما انصرفنا منها وجدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفا عند كراع الغميم وهو موضع أمام عسفان وقد جمع الناس وقرأ عليهم انا فتحنا لك فتحا مبينا فقال رجل يا رسول الله أوفتح هو قال أى والذى نفسى بيده انه لفتح وعند ابن سعد فلما نزل بها جبريل عليه السلام قال نهنيئك يا رسول الله فلما هنأه جبريل هنأه الناس وروى موسى ابن عتبة والزهرى والبيهقى عن عروة بن الزبير قال أقبل النبى صلى الله عليه وسلم راجعا فقال رجل من أصحابه ما هذا بفتح لقد صددنا عن البيت وصد هدينا ورد صلى الله عليه وسلم رجلين من المؤمنين كانا خرجا اليه فبلغه صلى الله عليه وسلم قول ذلك الرجل فقال بئس الكلام بل هو أعظم الفتح قد رضى المشركون أن يدفعوكم بالراح عن بلادهم ويسألوكم القضية ويرغبون اليكم فى الامان ولقد رأوا منكم ما كرهوا وأظفركم الله عليهم وردكم سالمين مأجورين فهو أعظم الفتوح أنسيتم يوم أحد اذ تصعدون ولا تلوون على أحد وأنا أدعوكم فى أخراكم أنسيتم يوم الاحزاب اذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا فقال المسلمون صدق الله ورسوله هو أعظم الفتوح والله يا نبى الله ما فكرنا فيما فكرت فيه ولانت أعلم بالله وأمره منا وروى سعيد ابن منصور باسناد صحيح عن الشعبى فى قوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا قال لم يكن فى الاسلام فتح قبله أعظم منه انما كان القتال حيث التقى الناس فلما كانت الهدنة ووضع الحرب فاخضر وأمن الناس بعضهم بعضا والتقوا وتفاوضوا فى الحديث والمنازعة لم يكلم أحد ذو عقل فى تلك المدة بالاسلام الا دخل فيه ولقد دخل فى تينك السنتين مثل من كان دخل فى الاسلام قبل ذلك أو أكثر ويدل عليه انه صلى الله عليه وسلم خرج فى الحديبية فى ألف وأربعمائة ثم خرج بعد سنتين الى فتح مكة فى عشرة آلاف وعما ظهر من مصلحة الصلح انه كان مقدمة بين يدى الفتح الاعظم الذى

الا أن يقال يجوز أن يكون فى أول الامر كان كذلك ثم تراجعت اليه روحه حتى قدر على ما ذكر فليتأمل مع ما يأتى قيل وبهذا أى بحمل رأس أبى جهل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يرد على الزهرى قوله لم يحمل الى النبى صلى الله عليه وسلم رأس قط ولا يوم بدر وحمل رأس لابى بكر رضى الله عنه فانكره ويجاب بان البيهقى رحمه الله قال ما روى من حمل رأس أبى جهل قد تكلم فى ثبوته وبتقدير صحته فهو من محل الى محل لا من بلد الى بلد أى من بلد الكفر الى دار الاسلام أى الذى أنكره أبو بكر رضى الله عنه فانه أنكر نقل الرأس من بلد الكفر الى بلد الاسلام وقد جوزه من أئمتنا الماوردى والغزالى اذا كان فى ذلك مكايدة للكفار وفى النور تحصلنا على جماعة حملت رؤسهم اليه صلى الله عليه وسلم أبو جهل وسفيان بن خالد وكعب بن الاشرف ومرحب اليهودى والاسود العنسى على ما روى وعصماء بنت مروان ورفاعة بن قيس أو قيس بن رفاعة أى ورأس عتبة بن أبى وقاص الذى كسر رباعيته صلى الله عليه وسلم وشق شفته السفلى يوم أحد كما سيأتى وفى وضع ابن مسعود رضى الله تعالى عنه رجله على عنق أبى جهل وقطع رأسه تصديق لتعبيره للرؤيا التى رآها لابى جهل وقال له ان صدقت رؤياى لا طأن رقبتك ولاذبحنك ذبح الشاة وفى رواية ان ابن مسعود رضى الله عنه وجده مقنعا فى الحديد وهو منكب لا يتحرك فرفع سابغة البيضة أى الخوذة عن قفاه لان سابغة البيضة ما يغطى بها العنق ومن ثم يقال بيضة لها سابغ فضربه فوقع رأسه بين يديه وعن ابن مسعود كما فى المعجم الكبير للطبرانى انتهيت الى أبى جهل وهو صريع وعليه بيضة ومعه سيف جيد ومعى سيف ردىء فجعلت أنقف رأسه واذكر نقفا كان ينقف رأسى بمكة فاخذت سيفه فرفع رأسه فقال على من كانت الدبرة ألست بر ويعينا بمكة فقتله ثم سلبه فلما نظر اليه اذ هو ليس به جراح وانما هى أحدار أى أورام فى عنقه ويديه وكتفيه كهيئة آثار السياط أى آثار سود كسمة النار أى ليس به جراح من جراح الآدميين داخل بدنه فلا ينافى ما تقدم من قطع ابن الجموح لرجله ويجوز أن يكون ضرب ابن عفراء له حتى اثبته لم ينشأ عنه جراحة داخل بدنه فاتى النبى صلى الله عليه وسلم فاخبره به فقال ذاك ضرب الملائكة أى فان الملائكة عليهم السلام كانت لا تعلم كيف تقتل الآدميين فعلمهم الله تعالى ذلك بقوله تعالى فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان أى مفصل فكانوا يعرفون قتلى الملائكة من قتلاهم بآثار سود كسمة النار ولا ينافى ذلك وصفه بالخضرة فى بعض الروايات لان الاخضر لشدة خضرته ربما قيل فيه أسود وتلك الآثار فى الاعناق والبنان الظاهر ان ذلك يكون موجودا حتى بعد مفارقة الرأس أو اليد ليستدل به على أن مفارقة الرأس أو اليد من فعل الملائكة وينبغى أن يكون هذا أى ضربهم فوق الاعناق والبنان أكثر أحوالهم فلا ينافى وجود ضربهم فى الكتفين كما تقدم وفى الوجه والانف فعن بعض الصحابة رضى الله عنهم كنا ننظر الى المشرك أمامنا مستلقيا فننظر اليه فاذا هو قد حطم أنفه وشق فى وجهه كضربة السوط

دخل الناس عقبه فى دين الله أفواجا فكانت قصة الحديبية مقدمة الفتح فسميت فتحا اذ مقدمة الظهور ظهور وجاءانهم فى مدة اقامتهم بالحديبية حصلت للناس مجاعة فقالوا يارسول الله جهدنا أى أصابنا الجهد وهو المشقة من الجوع وفى الناس ظهر أى ابل فانحره لنأكل من لحمه ولندهن من شحمه ولنحتذى من جلوده فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه يارسول الله لا تفعل فان الناس ان يكن فيهم بقية ظهر أمثل كيف بنا اذ القينا عدونا غدا جياعا رجالا ولكن ان رأيت ١٩٣ أن تدعو الناس الى أن يجمعوا بقايا أزوادهم ثم تدعو لهم فيها بالبركة فان الله سيبلغها بدعوتك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابسطوا أنطاعكم وعباءاكم ففعلوا ثم قال من كان عنده بقية من زاد أوطعام فليثره ودعا لهم ثم قال قربوا أوعيتكم فأخذوا ماشاء الله وملأوا أوعيتهم وأكلوا حتى شبعوا وبقى مثله وفى مسلم خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة فأصابنا جهد حتى هممنا أن ننحر بعض ظهرنا فأمرنا النبى صلى الله عليه وسلم فجمعنا أزوادنا فبسطنا له نطعا فاجتمع زاد القوم على النطع فكان كربضة العنز أى كقدر العنز وهى رابضة أى باركة وكنا أربع عشرة مائة وأكلنا حتى شبعنا ثم حشونا جربنا فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه فقال أشهد أن لا اله الا الله وأنى رسول الله لا يلقى الله عبد مؤمن بهما الا حجب من النار وقال صلى الله عليه وسلم لرجل من أصحابه هل من وضوء بفتح الواو وهو ما يتوضأ به فجاء رجل باداوة وهى الركوة فيها نطفة من ماء أى قليل من ماء وقيل للماء اليسير نطفة لانه ينطف أى يصب فأفرغها فى قدح ووضع راحته الشريفة صلى الله عليه وسلم

فاخضر ذلك الموضع وفسر بعضهم الاعناق بالرؤس وهو غير مناسب لما ذكرهنا وروى عن سهل بن حنيف عن أبيه رضى الله عنه قال لقد رأيتنا يوم بدر وان أحدنا ليشير بسيفه الى المشرك أى يرفعه عليه فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل اليه السيف ويمكن الجمع بين هذا وما قبله بان ضرب الملائكة فى الاعناق تارة يفصلها وتارة لا وفى الحالتين يرى أثر ذلك أسود فى العنق ليستدل به على أنه من فعل الملائكة كما تقدم وفى رواية عن ابن مسعود رضى الله عنه قال انتهيت الى أبى جهل يوم بدر وقد قطعت رجله وهو صريع وهو يذب الناس عنه بسيف له فقلت الحمد لله الذى أخزاك ياعدو الله قال هل هو الا رجل قتله قومه قال فجعلت أتناوله بسيف لى غير طائل فاصبت يده فبدر أى سقط سيفه فاخذته فضربته حتى قتلته ثم خرجت حتى آتيت النبى صلى الله عليه وسلم كائنا أقل من الارض أى احمل من شدة الفرح فاخبرته فقال الله الذى لا اله الا هو وفى لفظ تقدم لا اله غيره رددها ثلاثا وفى رواية عن ابن مسعود فاستحلفنى صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات ثم قال الحمد لله الذى أعز الاسلام وأهله ثلاث مرات وخر ساجدا أى خمس سجدات شكرا كما تقدم وفى رواية صلى ركعتين قال ابن مسعود رضى الله عنه ثم انه صلى الله عليه وسلم خرج يمشى معى حتى قام عليه فقال الحمد لله الذى اخزاك ياعدو الله هذا كان فرعون هذه الامة زاد فى لفظ ورأس قاعدة الكفر ونفلنى سيفه أى وكان قصيرا عريضا فيه قبائع فضة وحلق فضة ومع قصره كان أقصر من سيف ابن مسعود فلا منافاة (أقول) يجوز أن يكون المضى اليه بعد القاء الرأس بين يديه صلى الله عليه وسلم استعظاما لقتله أى وان ابن مسعود فى هذه الرواية سكت عن قطع رأسه والمجىء بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا مخالفة وقد قال له النبى صلى الله عليه وسلم يوما وقد أخذ بمجامع ثوبه أولى لك فاولى ثم أولى لك فاولى أى وعيدا على وعيد فقال ما تستطيع أنت ولا ربك بى شيأ وانى لاعز من مشى بين جبليها فانزل الله تعالى فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى ثم ذهب الى أهله يتمطى وقيل نزلت كالتى قبلها فى عدى بن ربيعة لما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أمر القيامة فاخبره به فقال لو عاينت هذا اليوم لم أصدقك أو يجمع الله هذه العظام فانزل الله تعالى أيحسب الانسان ألن نجمع عظامه الآيات والله أعلم وعن قتادة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان لكل أمة فرعونا وان فرعون هذه الامة أبو جهل قتله الله شر قتلة بكسر القاف الهيئة قتلته الملائكة وفى لفظ قتله ابن عفراء وقتلته الملائكة وقد ذففه أى أجهز عليه ابن مسعود وابن عفراء هذا يجوز أن يكون هو معاذ بن عمرو بن الجموح ويجوز أن يكون أخاه معاذ بن الحرث وكونه قتله لانه أزال منعته كما تقدم وفى مسلم عن عبد الرحمن بن عوف أنه قال انى لواقف يوم بدر فى الصف نظرت عن يمينى وعن شمالى فاذا أنا بين غلامين من الانصار حديثة اسنانهما فغمزنى احدهما فقال ياعم هل تعرف أبا جهل بن هشام قلت نعم وما حاجتك به قال بلغنى أنه كان يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لو رأيته لم يفارق سوادى سواده أى

٢٥ سيره ثانى فى ذلك الماء فتوضأنا كلنا أى الاربعة عشرة مائة ندغفقه دغفقة أى نصبه صبا شديدا وذكر بعض المفسرين فى قوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لا تخافون انه صلى الله عليه وسلم رأى وهو بالحديبية ان يدخل مكة هو وأصحابه آمنين محلقين رؤسهم ومقصرين فاخبرهم بذلك فلما صدوا قالوا له أين رؤياك يارسول الله فانزل الله لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق الآية قال الحلبى فى السيرة ولا يخالف هذا ما تقدم ان الرؤيا

المذكورة كانت بالمدينة وانها السبب الحامل على الاحرام بالعمرة لجواز تكرر الرؤيا وذكر بعضهم انه صلى الله عليه وسلم لما
دخل مكة عام القضية وحلق رأسه قال هذا الذى وعدتكم فلما كان يوم الفتح وأخذ المفتاح قال ادعوا لى عمر بن الخطاب رضى الله
عنه فقال هذا الذى قلت لكم ولما كان فى حجة الوداع ووقف بعرفة قال هذا الذى قلت لكم فان قيل انه لم يذكر فى الرؤيا انه أخذ
المفتاح ولا ان يقف بعرفة أجيب ١٩٤ بانه يجوز أن يكون أخبر بذلك بعد الرؤيا أو ان المراد من ذلك مجرد دخوله والله أعلم

والشجرة التى كانت البيعة عندها
بلغ عمر رضى الله عنه فى خلافته
ان ناسا يصلون عندها ويطوفون
بها فخاف رضى الله عنه من اتساع
الامر وظهور البدعة وأن تعبد
كالاصنام فأمر بها فقطعت ولما
قدم صلى الله عليه وسلم المدينة
هاجرت اليه أم كلثوم بنت عقبة
ابن أبى معيط رضى الله عنها وكانت
أسلمت بمكة وبايعت قبل أن يهاجر
صلى الله عليه وسلم ثم خرجت فى
مدة الصلح مهاجرة ماشية على
قدميها من مكة الى المدينة
وصحبت رجلا من خزاعة حتى
قدمت المدينة وهى أخت عثمان
ابن عفان رضى الله عنه لامه
لان أم عثمان رضى الله عنه
تزوجها بعد أبى عثمان عقبة بن
أبى معيط فولدت له الوليد بن
عقبة وأم كلثوم بنت عقبة وذكر
بعضهم انها أول امرأة هاجرت
وفيه نظر ولما قدمت المدينة
دخلت على أم سلمة رضى الله عنها
وأعلمتها انها جاءت مهاجرة
وتخوفت ان يردها رسول الله صلى
الله عليه وسلم عملا بالشرط فلما
دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
على أم سلمة رضى الله عنها أعلمته
فرحب بام كلثوم فخرج أخواها
عمارة والوليد فى ردها بالعهد
فقالا يا محمد أوف لنا بما عاهدتنا
عليه فقالت يا رسول الله أنا امرأة وحال النساء الضعف أفترددنى الى الكفار يفتنونى عن دينى جرحه
ولا صبر لى فنزل القرآن بان النساء المؤمنات لا يرجعن وان الشرط فى الرجال فقط وان النساء يمتحن قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا
اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الآية فأبى صلى الله عليه وسلم أن يرجعها اليهم وكان الامتحان ان تستحلف المرأة
المهاجرة انها ما هاجرت نافرا ولا هاجرت الا لله ورسوله وفى رواية كانت المرأة اذا جاءت حلفها عمر بالله أنها ما خرجت

شخصى شخصه حتى يموت الاعجل منا أى الاقرب أجلا فغمزنى الآخر فقال مثلها فعجبت
لذلك أى لحرص كل منهما على ذلك واخفائه عن صاحبه ليكون هو المختص به فلم أنشب أى
ألبث أن نظرت الى أبى جهل يزول فى الناس أى بالزاى يتحول من محل الى محل آخر فقلت
لهما ألا تريان هذا صاحبكما الذى تسألان عنه فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه أى
أشرفا به على القتل فصيراه الى حركة مذبوح ثم انصرفا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبراه
فقال أيكما قتله فقال كل واحد منهما أنا قتلته قال هل مسحتما سيفيكما قالا لا فنظر رسول الله
صلى الله عليه وسلم فى السيفين فقال كلاكما قتله وقضى بسلبه أى ما عدا سيفه لهما فلا ينافى
ما سبق من اعطائه لابن مسعود رضى الله عنه وهما معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن عفراء بن
الحرث فهما أى معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن الحرث ابنا عفراء غاية الامر ان الاول اشتهر
بابيه عمرو بن الجموح والثانى اشتهر بامه التى هى عفراء وقول الحافظ ابن حجر ان معاذ بن عمرو
ابن الجموح ليس اسم أمه عفراء يجوز أن يكون مستنده فى ذلك مقابلة ابن الجموح بابن عفراء
فى كلامهم المقتضى ذلك لان يكون ابن الجموح ليس ابن عفراء ولا يشكل على ذلك ما فى
النور نقلا عن الامام النووى أن عمرو بن الجموح وابنى عفراء أى معاذ ومعوذا اشتركوا فى قتل
أبى جهل لان معاذ الثانى ابن الحرث فكل من عمرو بن الجموح والحرث تزوج عفراء وكل سمى
ولده منها بمعاذ ويدل لذلك ما يأتى عن الامتاع أنه صلى الله عليه وسلم قال رحم الله ابنى عفراء
اشتركا فى قتل فرعون هذه الامة ولما قيل له يا رسول الله من قتله معهما قال الملائكة ولم يقل
عمرو بن الجموح لكن رأيت بعضهم ذكر أن عفراء شهد لهما بدرا سبع بنين ثلاثة من الحرث
ابن رفاعة وهم معوذ ومعاذ وعامر وأربعة من بكر بن عبد ياليل وهم خالد وأساس وعاقل
وعامر واستشهد منهم ببدر معاذ ومعوذ وعاقل هذا كلامه وذكر عامر فى الاول تقدم بدله
ذكر عوف وهو واضح فقد تقدم أن عوف بن الحرث بن عفراء قال يا رسول الله ما يضحك الرب
الخ ولم يذكر هذا البعض ان من أولادها معاذ بن عمرو بن الجموح وهو يؤيد ما تقدم عن الحافظ
وعن الامام النووى فعليك بالتامل وقيل قضى بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح (أقول) أى لكونه
هو الذى أزال منعته فاستحق سلبه ولا ينافى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لهما كلاكما قتله لجواز
أن يكون أتى بذلك ملاطفة للثانى وترغيبا له فى الجهاد لان له مشاركة ما فى قتله لانه زاد
فى اثخانه الى أن صيره الى آخر رمق وبرده كونه صلى الله عليه وسلم أشركهما فى سلبه ومن ثم قال
فقهاؤنا يعطى السلب لمن أثخن دون من قتل أى بعد ذلك فقد أعطى رسول الله صلى الله عليه
وسلم سلب أبى جهل لمثخنيه ابنى عفراء دون قاتله ابن مسعود لكن هذا القيل قال به بعض آخر
من فقهائنا وهو الموافق لما فى البخارى فى كتاب فرض الخمس معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ
ابن عفراء قتلا أبا جهل ثم تنازعا فيه وذلك لان النبى صلى الله عليه وسلم نظر الى السيفين فرأى
فيهما أثر الدم فقال كلاكما قتله وقضى بسلبه لمعاذ بن الجموح قال الاصحاب لانه أثخنه والآخر

رغبة بارض عن أرض وبالله ماخرجت من بغض زوج وبالله ماخرجت لالتماس دنيا ولالرجل من المسلمين وبالله ماخرجت الاحبا
لله ولرسوله فاذا حلفت لترددوير دصداقها الى بعلها فلمارجع الوليد وعمارة مكة أخبرا قريشا بذلك فرضوا بذلك ولم يكن لام كلثوم
زوج بمكة فلماقدمت المدينة تزوجها زيد بن حارثة رضى الله عنه فكان صلى الله عليه وسلم فى مدة الصلح يرد الرجال ولا يرد النساء بعد
امتحانهن وممن جاء من الرجال الى النبى صلى الله عليه وسلم أبو بصير ١٩٥ وكان مسلما بمكة فحبسوه فهرب حتى وصل الى المدينة

جرحه بعده وقوله كلا كما قتله تطييب لقلب الآخر هذا كلامه فليتأمل فان الذى أظنه
أن كونه رأى أثر الدم فى سيفهما خلط من الراوى لان ذلك كان فى قتل ابن الاشرف ويؤيد
الخلط ماتقدم عن ابن مسعود أنه لم ير فيه أثر جراح داخل بدنه وفى الامتاع أنه صلى الله عليه وسلم
قال يرحم الله ابنى عفراء فانهما قد اشتركا فى قتل فرعون هذه الامة ورأس أئمة الكفر فقيل
يارسول الله من قتله معهما قال الملائكة وذفقه ابن مسعود وهذا السؤال يقتضى أن معنى
قوله صلى الله عليه وسلم انهما قد اشتركا فى قتل فرعون هذه الامة ان غيرهما شاركهما فى ذلك
فليتأمل وفى شرح الروض وهو من أجل كتبنا ان عبد الله بن رواحة وابنى عفراء تقاتلا مع
أبى جهل مبارزة وأنه صلى الله عليه وسلم علم ذلك وأقره وجعلوا ذلك دليلا على اباحة مبارزة
القوى للكافر لم يطلب المبارزة أى وأما ماتقدم من أمره صلى الله عليه وسلم لحمزة وعلى وعبيدة
ابن الحرث بمبارزة عتبة وشيبة ابنى ربيعة والوليد بن عتبة فذاك لكافر طلب المبارزة فقد
تقدم أن عتبة خرج بين أخيه شيبة وولده الوليد حتى فصل من الصف ودعا للمبارزة وأنه خرج
اليه فتية من الانصار ثلاثة اخوة أشقاء وهم معاذ ومعوذ وعوف بنو عفراء وقيل بدل عوف
عبد الله بن رواحة فلم يرضوا ببرازتهم فعند ذلك أمر صلى الله عليه وسلم من ذكر ببرازتهم
وعندى ان ماذكره فى شرح الروض من مبارزة عبد الله بن رواحة وابنى عفراء لابى جهل
ذكر أبى جهل اشتباه وانما هو لهؤلاء الثلاثة ولم تقع منهم مقاتلة وكيف يبارز ثلاثة واحدا
فليتأمل وجاء فى الحديث ان الله قتل فرعون هذه الامة أبا جهل فالحمد لله الذى صدق وعده
ونصر دينه والله أعلم وكان على الملائكة يوم بدر عمائم بيض قد أرسلوها الى ظهورهم أى
الاجبريل فانه كان عليه عمامة صفراء أى وقيل حمراء قال بعضهم كان بعضهم بعمائم خضر
وبعضهم بعمائم صفر وبعضهم بعمائم حمر أى وبعضهم بعمائم بيض وبعضهم بعمائم سود
فلا منافاة وذكر ان عمامة جبريل عليه السلام يوم اغرق فرعون كانت سوداء قال وفى رواية
سيماهم عمائم سود وعند ابن مسعود رضى الله عنه كان سيما الملائكة يوم بدر عمائم قد أرخوها
بين أكتافهم خضر وصفر وحمر اه أى وبيض وسود وفى كلام بعضهم نزلت الملائكة يوم بدر
بعمائم صفر ورواية بيض وسود ضعيفة وفى كلام ابن اسحق عن ابن عباس رضى الله تعالى
عنهما قال كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيض قد أرخوها على ظهورهم الاجبريل فانه كان
عليه عمامة صفراء من نور أى وكانوا يوم أحد بعمائم حمر ويوم حنين كذلك وفى الجامع الصغير
كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم سود ويوم أحد عمائم حمر وماذكر لاينافى ماقيل سيماهم ببدر
عمائم صفر قد أرخوها بين أكتافهم وماجاء كان على الزبير رضى الله عنه ببدر عمامة صفراء
معتجرا بها فقال صلى الله عليه وسلم نزلت الملائكة على سيما أبى عبد الله يعنى الزبير رضى الله عنه
لجواز أن يكون أكثرهم كان بعمائم صفر وقد ذكر ان الزبير رضى الله عنه قاتل يوم بدر قتالا
شديدا حتى كان الرجل يدخل يده فى الجراح فى ظهره وعاتقه وقد سئل الحافظ السيوطى

فكتب فى رده أزهر بن عبد عوف
وقد أسلم بعد ذلك رضى الله عنه
وهو من الطلقاء يوم الفتح وهو عم
عبد الرحمن بن عوف والاخنس
ابن شريق الثقفى حليف بنى زهرة
وقد أسلم بعد ذلك رضى الله عنه
كتابا وبعثا به رجلا من بنى عامر
يقال له خيس ومعه مولى يهديه
الطريق فقدما على رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالكتاب فقرأه
أبى بن كعب رضى الله عنه على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا
فيه قد عرفت ماشارطناك عليه
من رد من قدم علينا من أصحابنا
فابعث الينا بصاحبنا فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يا أبا بصير انا
قد أعطينا هؤلاء القوم ماعلمت
ولا يصلح فى ديننا الغدر وان الله
جاعل لك ولمن معك من المستضعفين
فرجا ومخرجا فانطلق الى قومك
فقال يارسول الله أتردنى الى
المشركين يفتنونى فى دينى قال يا أبا
بصير انطلق فان الله سيجعل لك
ولمن حولك من المستضعفين
فرجا ومخرجا فانطلق معهما
وصار المسلمون يقولون له الرجل
يكون خيرا من ألف رجل
يريدون بذلك اغراءه على من معه
حتى اذا كان بذى الحليفة جلس
الى جدار ومعه صاحباه فقال
أبو بصير لاحد صاحبيه ومعه

سيفه أصارم سيفك هذا يا أخا بنى عامر فقال نعم انظر اليه ان شئت فاستله العامرى ثم هزه وقال لاضربن بسيفى هذا فى الاوس
والخزرج يوما الى الليل فقال له أبو بصير ناولنيه أنظر اليه فناوله فلما قبض عليه ضربه به حتى برد يعنى مات ثم طلب المولى
الذى كان معه بهديه الطريق فوجده قد خرج سريعا حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى المسجد فلما رآه
رسول الله صلى الله عليه وسلم والحمى يطن تحت قدميه وفى لفظ يطير من تحت قدميه من شدة عدوه وأبو بصير فى أثره قد أعجزه

فقال صلى الله عليه وسلم ان هذا الرجل قد رأى فزعا وفى رواية ذعرا فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى المسجد
قال له ويحك مالك قال قتل صاحبى وأفلت منه ولم أكذب انى لمقتول واستغاث برسول الله صلى الله عليه وسلم فأمنه فاذا أبو
بصير آناخ بعير العامرى بباب المسجد ودخل متوشحا السيف وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفت ذمتك وادى الله عنك أسلمتنى
بيد القوم وقد امتنعت بديني ان أفتن فيه فقال اذهب حيث شئت فقال يارسول الله هذا سلب العامرى الذى قتلته

رحله وسيفه فخمسه فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا خمسته
رأونى لم أوف لهم بالذى عاهدتهم
عليه ولكن شأنك بسلب صاحبك
وعند ذلك ذهب أبو بصير الى
محل من طريق الشام يمر به فوو
العيرة واجتمع اليه جمع من المسلمين
الذين كانوا احتبسوا بمكة فكانوا
يتسللون اليه وانفلت أبو جندل
ابن سهيل بن عمرو الذى رده صلى
الله عليه وسلم يوم الحديبية وخرج
من مكة فى سبعين راكبا أسلموا
فلحقوا بابى بصير وكرهوا أن
يقدموا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى مدة الهدنة خوفا من
ان يردهم الى أهلهم وانضم اليهم
ناس من غفار وأسلم وجهينة
وطوائف من العرب ممن أسلم حتى
بلغوا ثلثمائة مقاتل فقطعوا امارة
قريش لا يظفرون باحد منهم
الا قتلوه ولا تمر بهم عيرا الا أخذوها
حتى كتبت قريش له صلى الله
عليه وسلم تسأله بالارحام الا
آواهم ولا حاجة لهم بهم وفى رواية
ان قريشا أرسلت أبا سفيان بن
حرب فى ذلك وان قريشا أسقطت
هذا الشرط وقالت ان هؤلاء
الركب قد فتحوا علينا بابا لا يصلح
اقراره فكتب رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى أبى جندل وأبى
بصير أن يقدما عليه وأن من
معهم من المسلمين يلحقوا ببلادهم وأهليهم ولا يتعرضوا لاحد مر بهم من قريش ولا لعيرهم فقدم كتاب رسول الله

رحمه الله تعالى عن قوله تعالى يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ما السمة التى
كانت عليهم فاجاب بان ابن أبى حاتم ذكر فى تفسيره باسانيد عن على كرم الله وجهه انها الصوف
الابيض فى نواصى خيولهم وأذنابها وعن مكحول وغيره أنها العمائم وعن ابن عباس رضى الله
عنهما أنها كانت عمائم بيض قد أرسلوها الى ظهورهم وفى سنده رجل ضعيف وعنه أيضا عمائم
سود وفى سنده متروك ثم قال وورواية البيض والسود ضعيفة هذا كلامه أى وعلى تقدير
صحتها يجاب بما قدمناه وكان شعار الانصار أى علامتهم التى يتعارفون بها فى ذلك اذا جاء الليل
أو وقع اختلاط أحد أحد أى وشعار المهاجرين يومئذ يابنى عبد الرحمن أى وعن زيد بن على قال
كان شعار النبى صلى الله عليه وسلم أى المهاجرين أوهو حتى لا يشتبه بغيره يامنصور أمت ويقال
أحد أحد وشعار الخزرج يابنى عبد الله وشعار الاوس يابنى عبيد الله وعن ابن سعد يقال كان
شعار الجميع يومئذ يامنصور أمت أى وقد يقال لا منافاة بين هذه الرواية وما قبلها من
الروايات لان المراد بالجميع المجموع لكن يحتاج الى الجمع بين تلك الروايات السابقة على تقدير
صحتها وكانت خيل الملائكة بلقا وعن على رضى الله تعالى عنه قال كان سيما الملائكة أى سيما
خيلهم يوم بدر الصوف الابيض أى وفى لفظ بالمهن الاحمر فى نواصى الخيل وأذنابها أى
ولا منافاة لجواز أن يكون بعضهم كذا وبعضهم كذا وعند ذلك قال صلى الله عليه وسلم سوموا
خيلكم فان الملائكة قد سومت فهو أول يوم وضع فيه الصوف أى فى نواصى الخيل وأذنابها
ولم أقف على لون الصوف الذى وضع فى ذلك وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال حدثنى رجل
من بنى غفار قال اقبلت أنا وابن عم لى حتى صعدنا فى جبل يشرف بنا على بدر ونحن مشركان
ننتظر الوقعة على من تكون الدبرة أى الغلبة فنهب مع من ينهب فبينا نحن فى الجبل اذ دنت
منا سحابة فسمعنا فيها حمحمة الخيل فسمعت قائلا يقول اقدم حيزوم فاما ابن عمى فانكشف
قناع قلبه أى غشاؤه فمات مكانه واما أنا فكدت أهلك ثم تماسكت واقدم بضم الدال من
التقدم كلمة يزجر بها الخيل وحيزوم بالميم وربما قيل بالنون اسم فرس جبريل ولعلها هى الحياة
واحدهما اسم لها والآخر لقب وقيل لها الحياة لانها ما مسها شئ الا صار حيا وهى التى قبض
من أثرها أى من تراب حافرها السامرى نسبة الى سامر قرية أو طائفة ما ألقاه فى العجل الذى
صاغه من حلى القبط فكان له خوار أى صوت فكان اذا خار سجدوا واذا سكت رفعوا قال فى
النهر الظاهر أنه قامت به الحياة وقيل لما صنعه السامرى أجوف تحيل لتصويته بان جعل
فى تجويفه أنابيب على شكل مخصوص وجعله فى مهب الرياح فتدخل فى تلك الانابيب
فيظهر له صوت يشبه الخوار وفى كلام بعضهم فرس جبريل التى هى حيزوم كان صهيله
التسبيح والتقديس واذا نزل عليها جبريل عليه السلام علمت الملائكة أن نزوله للرحمة واذا نزل
منشورا الاجنحة علمت أن نزوله للعذاب أى وحينئذ فنزول جبريل عليه السلام عليها يوم بدر
كان لرحمة المسلمين وان كان عذابا على الكافرين ويكون نزوله لا عليها بل منشورا الاجنحة

اذا
صلى الله عليه وسلم عليهما وأبو بصير مشرف على الموت لمرض حصل له فمات وكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى يده يقرؤه فدفنه
أبو جندل مكانه وجعل عند قبره مسجدا وقدم أبو جندل على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ناس من أصحابه ورجع باقيهم الى أهلهم
وأمنت قريش على غيرهم وتحقق قول النبى صلى الله عليه وسلم سيجعل الله لابى جندل وأصحابه فرجا ومخرجا وعلم أصحاب رسول الله

صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم الذين صعب عليهم رد أبي جندل الى قريش مع سهيل بن عمرو ان طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم خير مما أحبوه وان رأيه أفضل من رأيهم وعلموا بعد ذلك ان المصالحة كانت أولى لهم كما تقدم بيان ذلك والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿غزوة خيبر﴾ بوزن جعفر وهي مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع ونخل كثير على ثمانية برد من المدينة الى جهة الشام قال ابن اسحق أقام صلى الله عليه وسلم بالمدينة حين رجع من الحديبية ذا الحجة وبعض المحرم ثم خرج صلى الله عليه وسلم في بقية المحرم الى خيبر سنة سبع وقال ابن عقبة عن الزهري أقام بالمدينة عشرين ليلة أو نحوها وقيل عشر ليال وقيل خمسة عشر يوما وأقام يحاصرها بضع عشرة ليلة موزعة على حصونها الى ان فتحها في صفر وقيل انها كانت سنة ست وهو منقول عن الامام مالك وبه جزم ابن حزم لكن قال الحافظ ابن حجر الراجح ماذكره ابن اسحق وهو قول الجمهور واستعمل صلى الله عليه وسلم على المدينة غيلة بن عبد الله الليثي وقيل سباع بن عرفطة ويمكن الجمع بانه استخلف أحدهما أولا ثم عرض ما يقتضي استخلاف الآخر وكان معه عليه الصلاة والسلام ألف وأربعمائة راجل ومائتا فارس وقد استنفر صلى الله عليه وسلم من حوله ممن شهد الحديبية يغزون معه وجاء المخلفون عنه في غزوة الحديبية ليخرجوا معه رجاء الغنيمة فقال لا تخرجوا معي الا راغبين في الجهاد فأما الغنيمة فلا أي فلا تعطوا منها شيأ ثم أمر مناديا ينادي بذلك قال أنس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي طلحة رضي الله عنه وهو زوج أم أنس رضي الله عنها حين أراد الخروج الى خيبر التمسوا لي غلاما من غلمانكم يخدمني فخرج أبو طلحة مردفي وانا غلام وقد راهقت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل خدمته فسمعته كثيرا ما يقول اللهم اني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والجبن وضلع الدين وغلبة الرجال قال الحلبي وهذا السياق يدل على ان أول خدمة أنس له حينئذ وهو يخالف ما صح انه عند قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة جاءت به أمه وقالت هذا ابني وهو غلام كيس وكان عمره عشر سنين وقيل تسع سنين وقيل ثمان سنين ففي مسلم عن أنس رضي الله عنه قال جاءت بي أمي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ازرتني

اذا كان لمحض العذاب ويحتمل أن يكون حيزوم غير فرس الحياة واليه ذهب السهيلي رحمه الله فقال والحياة أيضا فرس لجبريل عليه السلام قال الحافظ ابن حجر ومن الاخبار الواهية أن الموت كبش لا يجدر بحه شئ الا مات والحياة فرس بلقاء أنثى أي خطوتها كما في العرائس مد البصر وهي التي كان جبريل عليه السلام والانبياء عليهم السلام يركبونها أي كلهم كما في العرائس لا تمر بشئ ولا يجدر بحها شئ الا حي هذا وفي أثر مرسل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل من القائل يوم بدر من الملائكة اقدم حيزوم فقال جبريل عليه السلام يا محمد ما كنا أهل السماء اعرف قال ابن كثير وهذا الاثر يرد قول من زعم أن حيزوم اسم فرس جبريل عليه السلام أي وفيه أنه لا يبعد أن يقول أحد من الملائكة لفرس جبريل أقدم حيزوم ولا يعرف ذلك القائل وكان الحافظ ابن كثير رحمه الله فهم من قوله صلى الله عليه وسلم من القائل الخ أن ذلك الفرس لذلك القائل نعم ان كان هذا الاثر وقع بعد الرواية التي تلي هذه وهي جاءت سحابة الخ أو ان ذلك الاثر سقط منه لفظة لفرسه والاصل من القائل يوم بدر من الملائكة لفرسه اتجه ما فهمه ابن كثير رحمه الله فليتأمل قال وفي رواية جاءت سحابة فسمعنا أصوات الرجال والسلاح وسمعنا رجلا يقول لفرسه اقدم حيزوم فنظرنا على ميمنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جاءت سحابة أخرى نزل منها رجال كانوا على ميسرته فاذاهم على الضعف من قريش فمات ابن عمي وأما أنا فتماسكت واخبرت النبي صلى الله عليه وسلم واسلمت ومن ثم ذكر في الصحابة وفي النور هذا الرجل مذكور في الصحابة وليس في الحديث أي الرواية الاولى ما يدل على اسلامه الا أن تحديثه لابن عباس رضي الله تعالى عنهما بهذه المعجزة للنبي صلى الله عليه وسلم يشعر باسلامه هذا كلامه وفيه أن قوله ونحن مشركان يدل على أنه كان مسلما عند تحديثه لابن عباس رضي الله تعالى عنهما وقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الغمام الذي ظلل بني اسرائيل في التيه هو الذي يأتي الله تعالى فيه يوم القيامة وهو الذي جاءت فيه الملائكة يوم بدر أي وعن علي رضي الله تعالى عنه هبت ريح شديدة ما رأيت مثلها قط ثم جاءت أخرى كذلك ثم جاءت أخرى كذلك فكانت الاولى جبريل نزل في ألف من الملائكة أي لعلها امامه أخذا من قوله وكانت الثانية ميكائيل نزل في ألف من الملائكة عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت الثالثة اسرافيل نزل في ألف من الملائكة عن ميسرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي ذلك سكوت عن الرابعة أي زادني الامتاع وكان اسرافيل صلى الله عليه وسلم وسط الصف لا يقاتل كما يقاتل غيره من الملائكة وظاهر هذا ان كلا من جبريل وميكائيل قاتل وتقدم أنهم في هذه الغزاة التي هي غزاة بدر قيل لم يمدوا الا بالف من الملائكة ورواية ألفين ضعيفة جاءت عن علي رضي الله تعالى عنه فتكون هذه الرواية التي جاءت عن علي أيضا كذلك ولا نظر لما تقدم عن بعضهم أن امدادهم يوم بدر بثلاثة آلاف أولا وأنهم وعدوا أن يمدوا بخمسة آلاف ان ثبتوا وصبروا وهو ما عليه

بنصف حمارها وردتني بضعفه فقالت يارسول الله هذا أنيس ابني أتيتك به ليخدمك فادع الله له فقال اللهم أكثر ماله وولده وعند غير مسلم وأطل عمره وأدخله الجنة وقد يقال لا مخالفة لانه يجوز أن يكون صلى الله عليه وسلم انما قال لابي طلحة ماذكر رجاء ان يأتي له بمن هو أقوى من أنس على السفر شفقة على أنس رضي الله عنه وكان الله قد وعد رسوله صلى الله عليه وسلم عند منصرفه من الحديبية في سورة الفتح بمغانم بقوله تعالى وعدكم الله ١٩٨ مغانم كثيرة تأخذونها أي مغانم خيبر وخرج معه من نسائه أم سلمة رضي الله عنها

وقال صلى الله عليه وسلم في مسيره لعامر بن الاكوع ثم سلمة بن الاكوع رضي الله عنهما أنزل فحدثنا من هنيهاتك أي من أراجيزك وأشعارك وفي لفظ انزل حرك بنا الركاب وكان يحدو حداء حسنا وفي رواية وكان عامر رجلا شاعرا فقال يارسول الله تركت قول الشعر فقال له عمر رضي الله عنه اسمع وأطع فنزل يرتجز ويقول

والله لولا الله ما اهتدينا
ولا تصدقنا ولا صلينا
فاغفر فداء لك ما أبقينا
وألقين سكينة علينا
وثبت الاقدام ان لاقينا
انا اذا صيح بنا أتينا
وبالصياح عولوا علينا
ونحن عن فضلك ما استغنينا
ان الذين قد بغوا علينا
اذا أرادوا فتنة أبينا

وعند انشاده الابيات المذكورة قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحمك ربك وفي رواية غفر لك ربك وما قال صلى الله عليه وسلم ذلك لاحد في مثل هذا الموطن الا استشهد فقال عمر رضي الله عنه وجبت أي الشهادة يارسول الله هلا أمتعتنا به أي هلا أخرت الدعاء له بذلك الى وقت آخر فاستشهد رضي الله عنه في هذه الغزوة رجع اليه سيفه فقتله فانه أراد ان يضرب به ساق يهودي فجاءت ذبابته في ركبته فمات من ذلك فقال الناس قتله سلاحه وفي رواية قتل نفسه أي فليس بشهيد قبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لشهيد وفي رواية قال سلمة بن الاكوع رضي الله عنه يارسول الله فداك أبي وأمي زعموا أن عامرا حبط عمله وفي لفظ يزعم أسيد بن حضير وجماعة من أصحابك ان عامرا احبط عمله اذ قتل بسيفه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذب من قال ذلك أي أخطأ في قوله وان له أجرين وجمع بين أصبعيه انه لجاهد مجاهد والجاهد الجاد في أمره فلما قام به وصفان كان

الاكثر لما علمت أن ذلك انما كان في أحد وسيأتي ذلك مع زيادة قال بعضهم ولم تقاتل الملائكة الا في يوم بدر أي وفي غيره يكونون مددا من غير مقاتلة وسيأتي أنهم قاتلوا يوم أحد ويوم حنين ففي مسلم عن سعد بن أبي وقاص أنه رأى عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض مارأيتهما قبل ولا بعد يعني جبريل وميكائيل عليهما السلام يقاتلان كأشد القتال قال الامام النووي رحمه الله فيه أن قتال الملائكة لم يختص بيوم بدر وهذا هو الصواب خلافا لمن زعم اختصاصه فان هذا صريح في الرد عليه (أقول) يمكن الجمع بان المختص ببدر قتال الملائكة عنه وعن أصحابه وفي غيره كان عنه صلى الله عليه وسلم خاصة فلا منافاة ثم رأيتني ذكرت هذا الجمع في غزوة أحد عن البيهقي وتعقبته بما جاء أن الملائكة قاتلت في ذلك اليوم عن عبد الرحمن بن عوف وعلى تسليم ورود ذلك فيه أنهم لو قاتلوا يوم أحد لظهر أثر قتلهم كما ظهر في يوم بدر وقد يقال مرادهم بالمقاتلة يوم أحد المدافعة من غير أن يوقعوا فعلا وفي يوم بدر المراد بالمقاتلة ايقاع الفعل والله أعلم وانكسر سيف عكاشة بتشديد الكاف أكثر من تخفيفها ابن محصن وهو يقاتل به فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم جذلا من حطب أي أصلا من أصول الحطب وقال له قاتل بهذا يا عكاشة فلما أخذه من رسول الله صلى الله عليه وسلم هزه فعاد في يده سيفا طويل القامة شديد المتن أبيض الحديد فقاتل به رضي الله عنه حتى فتح الله تعالى على المسلمين وكان ذلك السيف يسمى العون ثم لم يزل عند عكاشة وشهد به المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لم يزل متوارثا عند آل عكاشة وعكاشة مأخوذ من عكش على القوم اذا حمل عليهم والعكاشة العنكبوت وسيأتي مثل ذلك في أحد لعبد الله بن جحش وانكسر سيف سلمة بن أسلم رضي الله عنه فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم قضيبا كان في يده أي عرجونا من عراجين النخل وقال اضرب به فاذا هو سيف جيد فلم يزل عنده قال وعن خبيب بن عبد الرحمن قال ضرب خبيب جدي يوم بدر فمال شقه فتفل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأمه ورده فانطبق وعن رفاعة بن مالك رضي الله عنه قال لما كان يوم بدر رميت بسهم ففقئت عيني فبصق عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا فما آذاني منها شيء اه ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقتلى من المشركين أن ينقلوا من مصارعهم التي أخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وجودها فعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرينا مصارع أهل بدر يقول هذا مصرع عتبة بن ربيعة وهذا مصرع شيبة بن ربيعة وهذا مصرع أمية بن خلف وهذا مصرع أبي جهل بن هشام وهذا مصرع فلان غدا ان شاء الله تعالى أي ويضع صلى الله عليه وسلم يده الشريفة على الارض فما تنحى أحدهم عن موضع يده كما تقدم عن أنس وتقدم عنه أن ذلك كان ليلة بدر بعد أن وصل الى محل الوقعة اذ لا يتصور وضع يده على الارض الا اذا كان بمحل الوقعة وبه يعلم ماذكره بعضهم أن اخباره صلى الله عليه وسلم بمصارع القوم تكرر منه مرتين

له أجران وفى البخارى عن أنس رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم أتى خيبر ليلا أى قرب منها فنام هو وأصحابه دونها ثم ركبوا اليها بكرة فصبحوها بالقتال وكان صلى الله عليه وسلم اذا أتى قوما بليل لم يغزهم أى لم يسرع بالهجوم عليهم حتى يصبح وينظر فان سمع أذانا كف عنهم والا أغار عليهم فلما أتى خيبر اصبح ولم يسمع أذانا فركب وفى رواية لابن اسحق أنه صلى الله عليه وسلم لما أشرف على خيبر قال لاصحابه قفوا ثم قال اللهم رب السموات وما أظللن ورب الارضين ١٩٩ وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وماذرين فانا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير مافيها ونعوذبك من شرها وشر أهلها وشر مافيها اقدموا باسم الله وكان يقول هذه الكلمات لكل قرية دخلها فلما أصبح خرجت اليهود الى زروعهم بمساحيهم ومكاتلهم وحكى الواقدى ان أهل خيبر سمعوا بقصده صلى الله عليه وسلم فكانوا يخرجون فى كل يوم عشرة آلاف مقاتل متسلحين مستعدين صفوفا ثم يقولون لمحمد يغزونا هيهات هيهات حتى اذا كان الليلة التى قدم فيها المسلمون ناموا ولم تتحرك لهم دابة ولم يصح لهم ديك حتى طلعت الشمس فخرجوا بالمساحى طالبين مزارعهم فوجدوا المسلمين فلما رأوهم قالوا محمد والله والخميس أى جاء محمد وهذا محمد والله والخميس أى الجيش فقال النبى صلى الله عليه وسلم الله أكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين قالها ثلاثا وفى التنزيل اذا القيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا والثلاثة مبدأ الكثرة وصلى الصبح بغلس ثم دفع رايته العقاب الى الحباب بن المنذر رضى الله عنه ودفع راية لسعد بن عبادة رضى الله عنه وذكر ابن اسحق انه صلى الله عليه وسلم نزل بواديقال له الرجيع بينهم وبين غطفان لئلا يمدوهم وكانوا حلفاءهم وان غطفان تجهزوا وقصدوا خيبر فسمعوا بخبرهم فظنوا ان المسلمين خلفوهم فى ذراريهم فرجعوا وأقاموا وخذلوا أهل خيبر أى تركوهم وجاء انه صلى الله عليه وسلم لما توجه الى خيبر أشرف الناس على واد فرفعوا أصواتهم بالتكبير يقولون الله أكبر لا اله الا الله فقال صلى الله عليه وسلم اربعوا على أنفسكم أى ارفقوا بانفسكم لا تبالغون فى رفع أصواتكم انكم لا تدعون أصم ولا غائبا انكم تدعون سميعا قريبا وهو معكم وجاء ان عبد الله بن أبى ابن سلول أرسل الى يهود

قبل الوقعة بيوم أو أكثر ويوم الوقعة هذا كلامه الا أن يقال قوله يوم الوقعة هو بناء على أنه صلى الله عليه وسلم وصل بدرا فى النهار والقول بان ذلك كان ليلا بناء على أنه وصل بدر الليلا ومعلوم انه انما وضع يده فى محل الوقعة ثم أمر صلى الله عليه وسلم أن يطرحوا فطرحوا فى القليب الا ما كان من أمية بن خلف فانه انتفخ فى درعه فملأه فذهبوا ليحركوه فتزايل أى تقطعت أوصاله فاقروه وألقوا عليه ما غيبه من التراب والحجارة وهذا دليل على أن الحربى لا يجب دفنه وبه قال أئمتنا بل قالوا يجوز اغراء الكلاب على جيفته وفى سنن الدارقطنى كان من سنته صلى الله عليه وسلم فى مغازيه اذا مر بجيفة انسان أمر بدفنه لا يسأل عنه مؤمنا كان أو كافرا أى ولكثرة جيف الكفار كره صلى الله عليه وسلم أن يشق على أصحابه ان يأمرهم بدفنهم فكان جرهم الى القليب أيسر وكان الحافر لهذا القليب رجل من بنى النجار فكان فالا مقدما لهم ذكره السهيلى ولما ألقى عتبة والد أبى حذيفة رضى الله تعالى عنه فى القليب تغير وجه أبى حذيفة فقطن بفتح الطاء له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له لعلك دخلك من شأن أبيك شئ فقال لا والله ولكنى كنت أعرف من أبى رأيا وحلما وفضلا فكنت أرجو أن يهديه الله للاسلام فلما رأيت ما مات عليه أحزننى ذلك فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير وقال له خيرا (أقول) وذكر فقهاؤنا أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى أبا حذيفة عن قتل أبيه فى هذه الغزاة وقد أراد ذلك والله أعلم ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وقف على شفير القليب أى قيل بعد ثلاثة أيام من القائهم فى القليب وذلك ليلا أى وفى الصحيحين عن أنس رضى الله تعالى عنه كان صلى الله عليه وسلم اذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال فلما كان اليوم الثالث أمر صلى الله عليه وسلم براحلته فشد عليها رحلها ثم مشى واتبعه أصحابه حتى قام على شفة الركى أى وهو القليب وجعل يقول يا فلان ابن فلان ويا فلان ابن فلان هل وجدتم ما وعد الله ورسوله حقا فانى وجدت ما وعدنى الله حقا وجاء فى بعض الطرق نداؤهم باسمائهم فقال يا عتبة بن ربيعة ويا شيبة بن ربيعة ويا أمية بن خلف ويا أبا جهل بن هشام وهذا يقتضى انه فى تلك الرواية نطق بلفظ يا فلان ابن فلان ولا يخفى بعده فليتأمل واعترض بان أمية ابن خلف لم يكن من أهل القليب لما علمته وأجيب بانه كان قريبا من القليب بنس عشيرة النبى كنتم كذبتمونى وصدقنى الناس وأخرجتمونى وآوانى الناس وقاتلتمونى ونصرنى الناس فقال عمر رضى الله عنه يا رسول الله كيف تكلم أجساد الأرواح فيها وفى رواية أجسادا فدأجيفوا وفى لفظ قد جيفوا فقال صلى الله عليه وسلم ما أنتم باسمع وفى رواية لا تسمع لما أقول منهم وفى رواية لقد سمعوا ما قلت غير أنهم لا يستطيعون ان يردوا شيأ وعن قتادة رضى الله عنه أحياهم الله تعالى حتى سمعوا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم توبيخا لهم وتصغيرا ونقمة وحسرة (أقول) والمراد باحيائهم شدة تعلق أرواحهم باجسادهم حتى صاروا كالاحياء فى الدنيا للغرض المذكور لان الروح بعد مفارقة جسدها يصير لها تعلق به أو بما يبقى منه

خيبر يقول لهم ان محمدا سائر اليكم فخذوا حذركم وادخلوا أموالكم الى حصونكم واخرجوا الى قتاله ولا تخافوا منه ان عددكم كثير وقوم محمد شرذمة قليلون عزل لا سلاح معهم الا قليل وانما قال صلى الله عليه وسلم الله أكبر خربت خيبر لانه لما رأى آلة الهدم وهي المساحي والمكاتل تفاءل بان حصونهم ستخرب ويحتمل ان الله أعلمه بذلك بالوحي وهو الاصح وكان يهود خيبر أدخلوا أموالهم وعيالهم في حصون الكثيبة وجمعوا المقاتلة في حصون ٢٠ النطاة وكان النبي صلى الله عليه وسلم نزل قريبا من حصون النطاة فجاءه الحباب ابن المنذر رضي الله عنه فقال يارسول الله انك نزلت منزلك هذا فان كان عن أمر أمرت به فلا نتكلم وان كان هو الرأي تكلمنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الرأي فقال يارسول الله ان أهل النطاة لهم معرفة ليس قوم أبعد مدى منهم ولا أعدل رمية منهم وهم مرتفعون علينا وهو أسرع لانحطاط نبلهم ولا نأمن من بياتهم يدخلون في جمر النخل أي النخل المجتمع بعضه على بعض تحول يارسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشرت بالرأي اذا أمسينا ان شاء الله تحولنا ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد ابن مسلمة فقال انظر لنا منزلا بعيدا فطاف محمد وقال يارسول الله وجدت لك منزلا فقال صلى الله عليه وسلم على بركة الله وتحول لما أمسى وأمر الناس بالتحول وفي لفظ ان راحلته قامت تجر بزمامها فادركت لترد فقال دعوها فانها مأمورة فلما انتهت الى موضع من الصخرة بركت عندها فتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الصخرة وتحول الناس اليها واتخذوا ذلك الموضع معسكرا وكان ذلك الموضع حائلا بين أهل خيبر وغطفان وابتنى هنالك مسجدا صلى به طول مقامه بخيبر وأمر بقطع نخيل أهل حصون النطاة فوقع المسلمون في قطعها حتى قطعوا أربعمائة نخلة ثم نهاهم عن القطع فما قطع من نخيل خيبر غيرها وصلاتهم

وقاتل صلى الله عليه وسلم يومه ذلك أشد القتال وعليه درعان وبيضة ومغفر وهو على فرس يقال له الظرب وفي يده قناة وترس وما قيل انه صلى الله عليه وسلم ركب على حمار مخطوم برسن من ليف وتحته اكاف من ليف فلعله كان في الطريق اما حال الحرب فانه ركب ذلك الفرس وألح على حصن ناعم بالرمي وهو من حصون النطاة ويهود تقاتل وهو صلى الله عليه وسلم يقاتل هو وأصحابه ودفع لواءه لرجل من المهاجرين فرجع ولم يصنع شيأ فدفعه الى آخر من المهاجرين فرجع ولم يصنع شيأ وخرجت كتائب يهود يقدمهم رجل منهم

ولو عجب الذنب فانه لا يفنى وان اضمحل الجسم بأكل التراب أو بأكل السباع أو الطير أو النار وبواسطة ذلك التعلق يعرف الميت من يزوره ويأنس به ويرد سلامه اذا سلم عليه كما ثبت في الاحاديث والغالب ان هذا التعلق لا يصير الميت به حيا كحياته في الدنيا بل يصير كالمتوسط بين الحي والميت الذي لا تعلق لروحه بجسده وقد يقوى حتى يصير كالحي في الدنيا ولعله مع ذلك لا يكون فيه القدرة على الافعال الاختيارية فلا يخالف ما حكي عن السعد اتفقوا على انه تعالى لم يخلق في الميت القدرة والافعال الاختيارية هذا كلامه والكلام في غير الانبياء عليهم الصلاة والسلام والشهداء رضي الله عنهم أي شهداء المعركة أما هما فتعلق أرواحهم باجسادهم تصير به أجسادهم حية كحياتها في الدنيا ويكون لهم القدرة والافعال الاختيارية فقد روى البيهقي رحمه الله في الجزء الذي ألفه في حياة الانبياء عليهم الصلاة والسلام في قبورهم عن أنس رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الانبياء أحياء في قبورهم يصلون وجاء ان علمي بعد موتي كعلمي في الحياة وروى أبو يعلى عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه لينزلن عيسى بن مريم عليه السلام ثم ان قام على قبري وقال يا محمد لاجبته ومن ثم قال الامام السبكي حياة الانبياء والشهداء كحياتهم في الدنيا ويشهد له صلاة موسى عليه السلام في قبره فان الصلاة تستدعي جسدا حيا وكذا الصفات المذكورة في الانبياء ليلة الاسراء كلها صفات الاجسام ولا يلزم من كونها حياة حقيقية أن تكون الابدان معها كما كانت في الدنيا من الاحتياج الى الطعام والشراب وأما الادراكات كالعلم والسمع فلا شك أن ذلك ثابت لهم ولسائر الموتى هذا كلامه وسائر الموتى شامل للكفار أي وأكل الشهداء وشربهم في البرزخ لا عن احتياج بل لمجرد الاكرام وكون الشهداء اختصوا بذلك دون الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا مانع منه لان المفضول قد يخص بما لا يوجد في الفاضل ألا ترى ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام شرعت الصلاة عليهم وجوبا وحرمت على الشهداء وبهذا يرد قول بعضهم في الاستدلال على حياة الانبياء بقوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون والانبياء أولى بذلك لانهم أجل وأعظم ومامن نبي الا وقد جمع بين النبوة ووصف الشهادة فيدخلون في عموم لفظ الآية ولانه صلى الله عليه وسلم قال في مرض موته لم أزل أجد ألم الطعام الذي أكلته بخيبر فهذا أوان انقطاع ابهري من ذلك السم فثبت كونه صلى الله عليه وسلم حيا في قبره بنص القرآن اما من عموم اللفظ أو من مفهوم الموافقة ووجه رده أن الاولوية قد تمنع بل أصل القياس لما علمت أنه قد يوجد في المفضول مالا يوجد في الفاضل والانبياء صلوات الله وسلامه عليهم وان جمعوا بين النبوة والشهادة الا أن المراد في الآية شهداء المعركة لاطلاق الشهادة اذ شهادة المعركة لم تحصل لاحد من الانبياء عليهم الصلاة والسلام ثم لا يخفى أن الذي ثبت حياة الانبياء

يقال له نائر فكشف الانصار حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى موقفه فاشتد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمسى مهموما وفى ذلك اليوم قتل محمود بن مسلمة أخو محمد بن مسلمة رضى الله عنهما برحى ألقيت عليه من ذلك الحصن ألقاها عليه مرحب اليهودى وقيل كنانة بن الربيع اليهودى ويحتمل أنهما اجتمعا فى ذلك وكان محمود بن مسلمة قد حارب حتى أعياه الحرب وثقل السلاح وكان الحر شديدا فانحاز الى ظل ذلك الحصن فالقى عليه حجر الرحى فهشم ٢٠١ البيضة على رأسه ونزلت جلدة جبينه على وجهه وندرت عينه فأدركه المسلمون فأتوا به النبى صلى الله عليه وسلم فسوى الجلدة الى مكانها وعصبه بخرقة فبات من شدة الجراحة فجاء أخوه محمد بن مسلمة رضى الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان اليهود قتلوا أخى محمود بن مسلمة فقال صلى الله عليه وسلم لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فانكم لا تدرون ما تبتلون به فاذا لقيتموهم فقولوا اللهم أنت ربنا وربهم ونواصينا ونواصيهم بيدك وانما يقتلهم أنت ثم الزموا الارض جلوسا فاذا غشوكم فانهضوا وكبروا ومكث صلى الله عليه وسلم سبعة أيام يقاتل أهل حصون النطاة يذهب كل يوم بمحمد بن مسلمة للقتال ويخلف على محل العسكر عثمان ابن عفان رضى الله عنه فاذا أمسى رجع الى ذلك المحل ومن جرح من المسلمين يحمل الى ذلك المحل ليداوى جرحه وكان ينادى بين أصحابه فى حراسة الليل فلما كانت الليلة السادسة من السبع استعمل عمر رضى الله عنه فطاف عمر رضى الله عنه باصحابه حول العسكر وفرقهم فاتى برجل من يهود خيبر فى جوف الليل فأمر عمر رضى الله عنه بضرب عنقه فقال اذهب بى الى نبيكم حتى أكلمه فامسك

وصلاتهم فى قبورهم وحجهم وأماصومهم وأكلهم وشربهم فى ذلك فلم أقف على ما يدل على ذلك فى شئ من الاحاديث والآثار وقياسهم فى ذلك على الشهداء علمت انه قد يمنع لما انه قد يوجد فى المفضول مالا يوجد فى الفاضل والذى يدل على أنهم يحجون ما جاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما سرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين مكة والمدينة فررنا بوادفقال أى واد هذا فقالوا وادى الازرق فقال صلى الله عليه وسلم كأنى أنظر الى موسى عليه الصلاة والسلام واضعا اصبعيه فى أذنيه له جؤار الى الله تعالى بالتلبية مارا بهذا الوادى ثم سرنا حتى أتينا على ثنية فقال صلى الله عليه وسلم كأنى أنظر الى يونس عليه الصلاة والسلام على ناقة حمراء عليه جبة صوف مارا بهذا الوادى ملبيا وقد جاء فى موسى عليه السلام انه كان على بعير وفى رواية على ثور ولا منافاة لجواز ان يكون تكرر حجه أو ركب البعير مرة والثور اخرى ولا يخفى ان رزق الشهداء يصدق على الجماع لانه مما يتلذذ به كالاكل والشرب ثم رأيت سيدى أبا المواهب الشاذلى رحمه الله ونفعنا ببركاته قال فى كتابه المسمى بعنوان أهل السر المصون فى كشف عورات أهل المجون واخبر سبحانه عن الشهداء أنهم احياء عند ربهم يرزقون وحمله أهل العلم على الحقيقة أنهم يأكلون ويشربون وينكحون حقيقة وقائل غير هذا أى أن الاكل والشرب والنكاح عبارة عن لذة تحصل لهم كاللذة الناشئة عن الاكل والشرب والنكاح صرف الآية عن ظاهرها من غير ضرورة تلجئ الى ذلك ثم قاس الانبياء عليهم الصلاة والسلام على الشهداء فى ذلك لما تقدم من انهم أجل وأعظم وما من نبى الا وقد جمع بين النبوة والشهادة وقد علمت جواب من منع القياس ثم رأيت عن اقتفاء شيخنا الشمس الرملى الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم والشهداء رضى الله عنهم يأكلون فى قبورهم ويشربون ويصلون ويصومون ويحجون ووقع الخلاف هل ينكحون فقيل نعم وقيل لا وانهم يثابون على صلاتهم وصومهم وحجهم ولا تكليف عليهم فى ذلك لانقطاع التكليف بالموت بل من قبيل التكرمة ورفع الدرجات هذا كلامه ولعل مستنده فى اثبات ما عدا الصلاة والحج للانبياء قياسهم على الشهداء وقد علمت ما فيه واثبات الخلاف الذى ذكره شيخنا فى نكاح الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا أدرى هل هو خلاف أهل عصره أو من تقدمهم على ان اثبات النكاح للانبياء عليهم الصلاة والسلام ربما يبعده ما ذكروه فى حكمة قوله صلى الله عليه وسلم حبب الى من دنياكم النساء والطيب حيث لم يقل من دنياى ولا من الدنيا فانه أشار بهذه الاضافة الى أن النساء والطيب من دنيا الناس لانهم يقصدونهما للاستلذاذ وحظوظ النفس وهو عليه الصلاة والسلام منزه عن ذلك وانما حبب اليه النساء لينقلن عنه محاسنه ومعجزاته الباطنة والاحكام السرية التى لا يطلع عليها غالبا غيرهن وغير ذلك من الفوائد الدينية وحبب اليه الطيب لملاقاته للملائكة لانهم يحبونه ويكرهون الريح الخبيث لان حقيقة الاكرام أن يحصل له فى البرزخ ما كان يتلذذ به فى الدنيا ليكون حاله فيه كحاله فى الدنيا وفيه

 عنه وانتهى به الى باب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده يصلى فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم كلام عمر رضى الله عنه فلما سلم من صلاته أدخله عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لليهودى ما وراءك قال تؤمنى يا أبا القاسم قال نعم قال خرجت من حصن النطاة من عند قوم يتسللون من الحصن فى هذه الليلة قال فاين يذهبون قال الى الشق يجعلون فيه ذراريهم ويتهيؤن للقتال والمراد ما أبقوه من ذراريهم فلا ينافى ما تقدم انهم ادخلوا أموالهم وعيالهم فى حصون الكتيبة وأخبره ان فى هذا الحصن

يعنى حصن الصعب من حصون النطاة فى بيت فيه تحت الارض منجنيقا ودبابات ودروعا وسيوفا فاذا دخلت الحصن غدا وأنت تدخله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شاء الله قال اليهودى ان شاء الله أوقفتك عليه فانه لا يعرفه غيرى وأخرى قيل وما هى قال ستخرج المنجنيق وتنصبه على الشق ويدخل الرجال تحت الدبابات فيحفرون الحصن فتقتحمه من يومك وكذلك تفعل بحصون الكتيبة ثم قال يا أبا القاسم احتقن دمى قال أنت آمن ٢٠٢ قال ولى زوجة فهبها لى قال هى لك ثم دعاه الى الاسلام فقال انظرنى وكان صلى الله عليه وسلم تأخذه الشقيقة فى بعض تلك الايام فيبعث اناسا من أصحابه فلم يكن فتح ثم قال صلى الله عليه وسلم لمحمد بن مسلمة رضى الله عنه لاعطين الراية غدا رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله لا يولى الدبر يفتح الله عز وجل على يديه فيمكنه الله من قاتل اخيك وعند ذلك لم يكن أحد من الصحابة له منزلة عند النبى صلى الله عليه وسلم الا ورجا أن يعطاها وفى رواية فبات الناس يخوضون ليلتهم ايهم يعطاها فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال ما أحببت الامارة الا ذلك اليوم ويروى ان عليا رضى الله عنه لما بلغه مقالته صلى الله عليه وسلم قال اللهم لا معطى لما منعت ولا مانع لما أعطيت فبعث صلى الله عليه وسلم الى على رضى الله عنه وكان أرمد شديد الرمد وكان قد تخلف بالمدينة ثم لحق بالقوم فقيل للنبى صلى الله عليه وسلم انه يشتكى عينيه فقال من يأتينى به فذهب اليه سلمة ابن الاكوع رضى الله عنه وأخذ بيده يقوده حتى أتى به النبى صلى الله عليه وسلم وقد عصب عينيه فعقد له لواءه الابيض قال ابن اسحق لم تكن الرايات الا يوم خيبر فانه صلى الله عليه وسلم فرق الرايات يومئذ أبى بكر وعمر والحباب بن المنذر وسعد بن عبادة رضى الله عنهم وانما كانت الالوية وكانت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم سوداء من بردة لعائشة رضى الله عنها وفى سيرة الحافظ الدمياطى وكانت له راية سوداء وفى رواية بيضاء وربما جعل فيها الاسود ولعل السواد كان كتابة فى ذلك اللواء ولعل هذا اللواء الذى فيه الاسود هو المعنى بما جاء فى بعض الروايات كان له لواء أبيض مكتوب فيه لا اله الا الله محمد رسول الله أى بالسواد فلا تنافى

أن الحكمة المذكورة لا تناسب قوله صلى الله عليه وسلم فضلت على الناس باربع وعد منها كثرة الجماع وهم كغيرهم فى هذا التعلق متفاوتون بحسب مقاماتهم وانه يعبر عن قوة هذا التعلق بعود الحياة ومنه ما ذكر عن قتادة وتعود الروح ومنه قول بعضهم أرواح الانبياء والشهداء بعد خروجها من اجسادها تعود الى تلك الاجسام فى القبر وأذن لهم فى الخروج من قبورهم والتصرف فى الملكوت العلوى والسفلى ومن ثم قال ابن العربى رحمه الله تعالى رؤية المصطفى عليه الصلاة والسلام بصفته العلوية ادراك له على الحقيقة وعلى غير صفته العلوية ادراك للمثال ويعبر عنه بردها ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ما من أحد يسلم على الا رد الله تعالى على روحى حتى أرد عليه السلام أى الاقوى تعلق روحى وذلك اكراما لهذا المسلم حيث لا يرد عليه سلامه الا وقد قوى تعلق روحه الشريفة بجسده الشريف والروح بناء على أنها غير عرض مع كونها فى مقاماتها لها تعلق بجسدها وبما يبقى منه كما تقدم كالشمس فى السماء الرابعة ولها تعلق بالارض وربما عبر عن ضعف هذا التعلق بصعودها وطلوعها وبناء على أنها عرض تزول ويعود مثلها وقد أوضحت ذلك فى النفحة العلوية فى الاجوبة الحلبية عن الاسئلة القروية وهى أسئلة سئلت عنها من بعض أهل القرى المصرية وذكرت أن هذا أولى مما أطال به الجلال السيوطى من الاجوبة مع ما فيها مما لا يخفى ورأيت فى حديث عن عمار بن ياسر رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله ملكا أعطاه سمع العباد كلهم وانه ما من أحد يصلى على صلاة الا بلغنيها وانى سألت ربى عز وجل أن لا يصلى على أحد صلاة الا صلى الله عليه بها عشرة أمثالها وذكر الحافظ الذهبى ان راوى هذا الحديث انفرد به متنا واسنادا والله أعلم وعن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها أنكرت قوله صلى الله عليه وسلم لقد سمعوا ما قلت وقالت انما قال انهم الان ليعلمون ان الذى أقول لهم هو الحق أى لانهم يسمعون ما أقول بحاسة سمعهم التى كانت موجودة فى الدنيا ثم قرأت أى محتجة على ذلك قوله تعالى انك لا تسمع الموتى الآية وبقوله وما أنت بمسمع من فى القبور ويجاب بأنه لا مانع من ابقاء السمع هنا على حقيقته لانه اذا قوى تعلق أرواح هؤلاء الكفار بأجسادهم بحيث صاروا أحياء كحياتهم فى الدنيا للغرض المذكور لا مانع من سماعهم بحاسة سمعهم لبقاء محل تلك الحاسة منهم كما ان الجسد بذلك التعلق يقوى على الجلوس للسؤال فى القبر والسماع النفى فى الآيتين بمعنى السماع النافع وقد أشار الى ذلك الجلال السيوطى رحمه الله بقوله نظما

سماع موتى كلام الخالق قاطبة * جاءت به عندنا الآثار فى الكتب
وآية النفى معناها سماع هدى * لا يقبلون ولا يصغون للادب

لانه تعالى شبه الكفار الاحياء بالاموات فى القبور فى انهم لا ينتفعون بالدعاء الى الاسلام

بين الروايات فقال على يارسول الله انى أرمد كما ترى لا أبصر موضع قدمى فوضع رأسه فى حجره صلى الله عليه وسلم ثم بصق صلى الله عليه وسلم فى عينيه وفى رواية فتفل فى كفه وفتح له عينيه فدلكهما فبرأ حتى كان لم يكن بهما وجع وقال على رضى الله عنه فما رمدت بعد يومئذ وفى رواية فما رمدت ولا صدعت وفى لفظ فما اشتكيتهما حتى الساعة وفى هذا السياق لطيفة وهو أن من طلب شيأ أو تعرض لطلبه يحرمه غالبا وأن من لم يطلب الشئ ولا يتعرض لطلبه ربما وصل اليه ٢٠٣ وقد أشار الى ذلك صلى الله عليه وسلم بقوله

النافع ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة رضى الله عنه بشيرا لاهل العالية أى وهى محل قريب من المدينة على عدة أميال وزيد بن حارثة بشيرا لاهل السافلة بهارا كبا ناقته القصوى وقيل العضباء بما فتح الله على رسوله صلى الله عليه وسلم والمسلمين فجعل عبد الله ابن رواحة ينادى فى أهل العالية يامعشر الانصار أبشروا بسلامة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتل المشركين وأسرهم ونادى زيد بن حارثة فى أهل السافلة بمثل ذلك أى ويقولان قتل فلان وفلان أى وأسر فلان وفلان من أشراف قريش وصار عدو الله كعب بن الاشرف يكذبهما ويقول ان كان محمد قتل هؤلاء القوم فبطن الارض خير من ظهرها قال أسامة ابن زيد رضى الله عنهما فاتانا الخبر حين سوينا التراب على رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أى ولما عزى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحمد لله دفن البنات من المكرمات وفى رواية من المكرمات دفن البنات ويعجبنى قول الباخرزى رحمه الله تعالى

القبر أخفى سترة للبنات * ودفنها يروى من المكرمات
أما رأيت الله عز اسمه * قد وضع النعش بجنب البنات

وجاء عثمان رضى الله عنه من رقية هذه بولد يقال له عبد الله فاكتنى به وكان قبل ذلك يكنى أبا عمرو وتزوج بعدها أختها أم كلثوم بوحى فقدروى أنه صلى الله عليه وسلم رأى عثمان ابن عفان مهموما بعد موت رقية رضى الله عنها فقال له مالى أراك مهموما فقال له يارسول الله وهل دخل على أحد ما دخل على انقطع الصهر بينى وبينك فبينا هو يحاوره اذ قال صلى الله عليه وسلم هذا جبريل عليه السلام يأمرنى عن الله عز وجل أن أزوجك أختها أم كلثوم على مثل صداقها وعلى مثل عشرتها فزوجه اياها ولما تزوجها دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يابنية أين أبو عمرو قالت خرج لبعض حاجاته قال كيف رأيت بعلك قالت يا أبت خير بعل وأفضله فقال يابنية كيف لا يكون كذلك وهو أشبه الناس بجدك ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه وأبيك محمد وجاء عثمان من أشبه أصحابى بى خلقا وجاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى جبريل عليه السلام ان أردت أن تنظر من أهل الارض شبيه يوسف الصديق فانظر الى عثمان بن عفان ولتزوجه بينتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل له ذو النورين ولم يجمع أحد منذ آدم الى اليوم بين بنتى نبى غيره رضى الله عنه ومن ثم لما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا عنه قال ذاك امرؤ يدعى فى الملأ الاعلى ذا النورين ولما ماتت أم كلثوم تحته وذلك سنة تسع قال صلى الله عليه وسلم زوجوا عثمان لو كان لى ثالثة لزوجته اياها وما زوجته الا بوحى من الله وجاء أنه صلى الله عليه وسلم قال له لو ان لى أربعين بنتا زوجتك واحدة بعد واحدة حتى لا يبقى منهن واحدة وأم عثمان بنت عمته صلى الله عليه وسلم أروى بنت عبد المطلب توأمة عبد الله أبى النبى صلى الله عليه وسلم قال وقال رجل من المنافقين لابى لبابة رضى الله عنه قد تفرق أصحابكم تفرقا لا يجتمعون بعده أبدا قد قتل محمد

رحم الله أخى يوسف لو لم يقل اجعلنى على خزائن الارض لاستعمله من ساعته ولكن لاجل سؤاله اياه ذلك أخر عنه سنة أى وبعد السنة دعاه الملك وتوجه ورداه وقلده بسيفه وأمره بسرير من ذهب مكلل بالدر والياقوت وضرب له عليه كلة من استبرق وفوض اليه أمر مصر وقد قيل لو وقعت قلنسوة من السماء لا تقع الا على رأس من لا يريدها ثم دعا النبى صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله عنه وكرم وجهه بقوله اللهم اكفه الحر والبرد قال على رضى الله عنه فما وجدت بعد ذلك لا حرا ولا بردا فكان رضى الله عنه يلبس فى الحر الشديد القباء لمحشو الثخين ويلبس فى البرد الشديد الثوبين الخفيفين وفى لفظ الثوب الخفيف فلا يبالى بالبرد وكان يفعل ذلك اظهارا لهذه المعجزة وتحقيقا لها وقد يخالف ذلك ما حكاه بعضهم قال دخل رجل على على رضى الله عنه وهو يرعد تحت سمل قطيفة أى قطيفة خلقة فقال يا أمير المؤمنين ان الله جعل لك فى هذا المال وانت تصنع بنفسك هكذا فقال والله لا أرزأكم من مالكم فانها القطيفة التى خرجت بها من المدينة وقد يقال لا مخالفة لجواز أن تكون رعدته تلك لحمى أصابته

فى ذلك الوقت لا لشدة البرد كما ظنه السائل وقد أشار صاحب الهمزية الى زوال رمد على رضى الله عنه ببركة ريق النبى صلى الله عليه وسلم بقوله وعلى لما تفلت بعينيه * وكلتاهما معار مداء فغدا ناظرا بعينى عقاب * فى غزاة لها العقاب لواء

ثم ان النبى صلى الله عليه وسلم أعطى عليا رضى الله عنه الراية ليذهب للقتال فقال على رضى الله عنه أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا فقال انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم الى الاسلام واخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فى الاسلام فان لم يطيعوا لك بذلك

فقاتلهم فوالله لان يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم وفى رواية قال على كرم الله وجهه علام أقاتلهم قال على أن يشهدوا
أن لا اله الا الله وأنى رسول الله فاذا فعلوا ذلك فقد حقنوا دماءهم واموالهم وفى رواية لما اعطاهم الراية قال له امش ولا تلتفت فسار
شيأ ثم وقف ولم يلتفت فصرخ يارسول الله علام أقاتلهم قال قاتلهم حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فاذا فعلوا ذلك
فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم الا بحقها ٢٠٤ وحسابهم على الله وعن حذيفة رضى الله عنه قال لما انتهينا على رضى الله عنه

يوم خيبر للحملة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ياعلى والذى
نفسى بيده ان معك من لا يخذلك
هذا جبريل عن يمينك بيده سيف
لو ضرب به الجبال لقطعها فابشر
بالرضوان والجنة ياعلى انك سيد
العرب وأنا سيد ولد آدم وفى رواية
انه صلى الله عليه وسلم كان يعطى
الراية كل يوم واحدا من أصحابه
ويبعثه فبعث أبا بكر رضى الله عنه
فقاتل ورجع ولم يكن فتح وقد جهد
ثم بعث عمر بن الخطاب رضى الله
عنه من الغد فقاتل ورجع ولم يكن
فتح وقد جهد ثم بعث رجلا من
الانصار فقاتل ورجع ولم يكن فتح
فقال عليه الصلاة والسلام لاعطين
الراية أى اللواء غدا رجلا يحب
الله ورسوله يفتح الله على يديه كرار
غير فرار فدعا عليا رضى الله عنه
وهو أرمد فتفل فى عينيه ثم قال
خذ هذه الراية فامض بها حتى يفتح
الله عليك ودعا له ومن معه بالنصر
وفى رواية ألبسه درعه الحديد
وشد ذا الفقار الذى هو سيفه فى
وسطه وأعطاه الراية ووجهه الى
الحصن فخرج على رضى الله عنه
يهرول حتى ركزها تحت الحصن
فاطلع عليه يهودى من رأس
الحصن فقال من أنت قال على بن
أبى طالب قال اليهودى علوتم
والتوراة التى أنزل الله على موسى
ثم خرج اليه أهل الحصن وكان أول من خرج اليه الحرث أخو مرحب وكان معروفا بالشجاعة فانكشف المسلمون حيث
ووثب على رضى الله عنه عليه فتضاربا وتقاتلا فقتله على رضى الله عنه وانهزم اليهود الى الحصن ثم خرج اليه مرحب وفى رواية ان
مرحبا لما علم ان أخاه قد قتل خرج سريعا من الحصن وقد لبس درعين وتقلد بسيفين واعتم بعمامتين والبس فوقهما مغفرا وحجرا
قد ثقبه قدر البيضة ومعه رمح لسانه ثلاثة اسنان وهو يرتجز ويقول قد علمت خيبر انى مرحب * شاكى السلاح بطل مجرب

وغالب أصحابه وهذه ناقته عليها زيد بن حارثة لا يدرى ما يقول من الرعب قال اسامة فجئت
حتى خلوت بابى لبابة وسألته عما أسره له الرجل فأخبرنى بما أخبره به فقلت أحق ما تقول قال
أى والله حق ما أقول يابنى فغويت نفسى ورجعت الى ذلك المنافق فقلت أنت المرجف برسول
الله صلى الله عليه وسلم لنقدمنك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قدم فيضرب عنقك فقال
انما هو شئ سمعته من الناس يقولونه انتهى أى وهذا كان قبل ان يجتمع اسامة بأبيه زيد
ابن حارثة ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا الى المدينة فلما خرج من مضيق الصفراء
قسم النفل أى الغنيمة وكانت مائة وخمسين من الابل وعشرة أفراس ومتاعا وسلاحا وانطاعا
وثيابا وأدما كثيرا حمله المشركون للتجارة ونادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل
قتيلا فله سلبه ومن أسر أسيرا فهو له أى كما تقدم ولعله تكرر ذلك منه صلى الله عليه وسلم
مرتين مرة للتحريض على القتال ومرة عند القسمة فالمقسوم ما بقى بعد اخراج السلب واخراج
الاسرى قسم على المسلمين بالسوية بعد الاختلاف فيه فادعى من قاتل العدو وصده انهم أحق
به وادعى من جمعه انهم أحق به وادعى من كان يحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العريش
ان غيرهم ليس باحق به منهم أى لان سعد بن معاذ رضى الله عنه قام على باب العريش الذى به
صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه فى نفر من الانصار وفى رواية عن عبادة بن الصامت
ان جماعة خرجت فى اثر العدو عند انهزامه وجماعة اكبوا على جمع الغنيمة فجمعوها وجماعة
عند انهزام العدو أحدقوا به صلى الله عليه وسلم فى العريش خوفا ان يصيب العدو منه غرة
ولعل هؤلاء كانوا زيادة عمن كان مع سعد بن معاذ على باب العريش فادعى من اكب على جمعها
أنهم أحق بها وادعى من عداهم ان أولئك ليسوا بأحق بها منهم أى وكون جماعة أحدقوا به
صلى الله عليه وسلم بعد انهزام العدو قد يقال لا ينافى ذلك ما تقدم عن ابن سعد انه لما انهزم
المشركون دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أثرهم بالسيف مصلتا يتلو هذه الآية سيهزم
الجمع ويولون الدبر لجواز أن يكون صلى الله عليه وسلم خرج فى اثرهم برهة من الزمان ثم عاد الى
العريش فاحدق به هؤلاء مع من تقدم فأنزل الله تعالى سورة الانفال يسألونك عن الانفال
قل الانفال لله والرسول فالنفل قد يطلق على الغنيمة كما هنا كما أشرنا اليه وسماها الله تعالى
أنفالا لانها زيادة فى أموال المسلمين وكذا الفئ المذكور فى سورة الحشر التى نزلت فى غزوة
بنى النضير يطلق على الغنيمة وسمى فيأ لان الله تعالى أفاءه على المؤمنين أى رده عليهم من
الكفار فان الاصل ان الله تعالى انما خلق الاموال اعانة على عبادته لانه انما خلق الخلق لعبادته
فقد رد اليهم ما يستحقونه كما يعاد ويرد على الرجل ما غصب من ميراثه وان لم يقبضه قبل ذلك
ومنه قول بعضهم كان أهل الفئ بمنزل عن أهل الصدقة وأهل الصدقة بمعزل عن أهل الفئ
كان يعطى من الصدقة اليتيم والمسكين والضعيف فاذا احتلم اليتيم نقل الى الفئ أى الى الغنيمة
وأخرج من الصدقة فنزعه الله من أيديهم فجعله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أى يضعه



* اذا الحروب أقبلت تلهب * فبرز له على رضى الله عنه وهو يقول أنا الذى سمتنى أمى حيدره * كليث غابات كريه المنظره
اكيلكم بالسيف كيل السندره * ثم حمل مرحب على على رضى الله عنه وضربه فطرح ترسه من يده فتناول على رضى الله عنه بابا
كان عند الحصن فتترس به عن نفسه فلم يزل فى يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه الحصن ثم ألقاه من يده وراء ظهره وكان طول الباب
ثمانين شبرا ولم يحركه بعد ذلك سبعون رجلا الا بعد جهد ففيه دلالة على فرط قوة ٢٠٥ على وكمال شجاعته رضى الله عنه وعن أبى

حيث شاء فدلت الآية على ان الغنيمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ليس لاحد من
المقاتلة شئ منها ثم نسخت هذه الآية بقوله تعالى واعلموا أنما غنمتم من شئ فان لله خمسه
وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والاربعة أخماس الباقية للمقاتلة
أى فكان ذلك الخمس يخمس خمسة أخماس واحد له صلى الله عليه وسلم يفعل فيه ما أحب
والاربعة من ذلك الخمس لمن ذكر فى الآية والاربعة الاخماس الباقية تكون للمقاتلة وسيأتى
فى سرية عبد الله بن جحش انخلة انه صلى الله عليه وسلم خمس العير الذى جاء به عبد الله كذلك
فجعل خمس ذلك لله وأربعة اخماسه للجيش وقيل عبد الله هو الذى خمسها كذلك وأقره صلى
الله عليه وسلم على ذلك وهى أول غنيمة فى الاسلام وأول غنيمة خمست فكان تخميسها قبل نزول
الآية لما علمت ان نزول تلك الآية كان بعد بدر فهى من الآيات التى تأخرت تلاوتها عن
حكمها قال بعضهم وكان ابتداء تحليل الغنائم لهذه الامة فى وقعة بدر كما ثبت فى الصحيحين وذلك
فى قوله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا فأحل الغنيمة لهم (أقول) وفيه ان هذا قد يعين القول
بانه صلى الله عليه وسلم وقف غنائم نخلة حتى رجع من بدر ويضعف ما سبق من أنه صلى الله عليه
وسلم خمسها أو ان عبد الله هو الذى خمسها قبل بدر وأقره صلى الله عليه وسلم على ذلك وقد علمت
ان ما أصابه من بدر قسمه بين المسلمين سواء أى لم يميز فيه أحد عن أحد الراجل مع الراجل
والفارس مع الفارس سواء وفيه تفضيل الفارس على الراجل فى ذلك اليوم وسيأتى التصريح
بذلك وهذا يؤيد القول بان الجيش كان فيه خمسة افراس أو فرسان دون القول بانه لم يكن فيه
الا فرس واحد على ما تقدم حتى هو صلى الله عليه وسلم كان سهمه كسهم واحد منهم أى كفارس
منهم بناء على ما تقدم انه صلى الله عليه وسلم كان له فرسان الا ما اصطفاه وهو سيفه ذو الفقار
كما سيأتى وحينئذ يكون قول سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه يا رسول الله أتعطى فارس
القوم الذى يغيظهم مثل ما تعطى الضعيف أراد بالفارس فيه القوى ففى مسند الامام أحمد
قال سعد بن أبى وقاص قلت يا رسول الله الرجل يكون حاجته للقوم يكون سهمه وسهم غيره
سواء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثكلتك أمك وهل تنصرون الا بضعفائكم وما فى
مسند الامام أحمد يدل على ان مراد سعد بالفارس القوى لمقابلته فى هذه الرواية بالضعيف
فلا ينافى أنه أعطى الفارس لفرسه سهمين وله سهم كالراجل وقد أسهم لمن لم يحضر كعثمان أمره
صلى الله عليه وسلم بالتخلف لعذر منعه من الحضور كعثمان بن عفان رضى الله عنه فانه صلى الله
عليه وسلم خلفه لاجل مرض زوجته رقية بنت النبى صلى الله عليه وسلم كما تقدم أو لما كان به
رضى الله عنه من الجدرى على ما تقدم ولهذا عد من البدريين وأبى لبابة لانه صلى الله عليه وسلم
خلفه على أهل المدينة وعاصم بن عدى فانه خلفه على أهل قباء والعالية وان أرسله لكشف
أمر العدو يتجسس خبره فلم يجئ الا وقد انقضى القتال وهما طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد
كما تقدم والحرث بن حاطب أمره بمعامر فى بنى عمرو بن عوف وخوات بن جبير والحرث بن

رافع رضى الله عنه لقد رأيتنى
فى سبعة نجهد على ان نقلب ذلك
الباب فلم نقدر رواه ابن اسحق
والبيهقى والحاكم وعن أبى جعفر
محمد بن على بن الحسين عن جابر
رضى الله عنهم أن عليا رضى الله
عنه حمل الباب يوم خيبر وأنه جرب
بعد ذلك فلم يحمله أربعون رجلا
رواه البيهقى وفى رواية للبيهقى
ان عليا رضى الله عنه لما انتهى
الى الحصن المسمى القموص
اجتذب أحد أبوابه فالقاه بالارض
فاجتمع عليه بعده منا سبعون
رجلا فكان جهدهم ان أعادوا
الباب مكانه وهذا لا يعارض رواية
أربعين لانهم عالجوا حمله فما
قدروا فتكاملوا سبعين وأما
الرواية السابقة التى فيها القد رأيتنى
فى سبعة فقال الحافظ ابن حجر الجمع
بينها وبين رواية الاربعين ان
السبعة عالجوا قلبه والاربعين
عالجوا حمله والفرق بين الامرين
ظاهر ولو لم يكن الا باختلاف حال
الابطال ثم ان عليا رضى الله عنه
ضرب مرحبا فتترس فوقع السيف
على الترس فقده وشق المغفر والحجر
الذى تحته والعمامتين وفلق هامته
حتى أخذ السيف فى الاضراس
والى ذلك أشار بعضهم وقد أجاد
بقوله

وشادن أبصرته مقبلا * فقلت من وجدى به مرحبا قد فؤادى فى الهوى قدة * قد على فى الوغى مرحبا

وما ذكر من قتل على رضى الله عنه لمرحب هو الصحيح المروى فى صحيح مسلم وغيره وذكر بعض أهل السير ان الذى قتل مرحبا محمد
ابن مسلمة رضى الله عنه فقال ان مرحبا طلب المبارزة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لهذا فقال محمد بن مسلمة رضى الله عنه أنا
يا رسول الله فان أخى قتل بالامس ولم يأخذ أحد بثاره وكان الذى قتله مرحب فقال قم اليه اللهم أعنه عليه فقام اليه وبارزه فضربه

مرحب فاتقى محمد بن مسلمة ضربته بدرقته فوقع سيف مرحب فيها فعضت عليه وأمسكته فضربه محمد بن مسلمة فقتله وفى رواية فضربه فى ساقه فيحتمل انه بارزه وضربه فى ساقه وعلى رضى الله عنه هو الذى قتله وقيل ان الذى قتله محمد بن مسلمة اغاهو الحرث أخو مرحب فاشتبه على بعض الرواة وكان مكتوبا على سيف مرحب هذا سيف مرحب من يصبه يعطب وقول على رضى الله عنه

* أنا الذى سمتنى أمى حيدره * ٢٠٦ أراد بذلك اعلام مرحب برؤية رآها لها على رضى الله عنه مكاشفة وذلك ان مرحبا رأى تلك الليلة منامًا ان أسدًا افترسه فاشار بقوله حيدره وهو من أسماء الاسد الى انه الاسد الذى يفترسه فلما سمع ذلك مرحب ارتعد وضعفت نفسه وهذا الاسم سمت عليا به أمه فاطمة بنت أسد ابن هاشم أرادت أن يكون اسم ابنها كاسم أبيها وكان أبو طالب غائبا فلما قدم كره ذلك الاسم وسماه عليا وقيل ان عليا كان يلقب بحيدرة وهو صغير والحيدرة الغليظ القوى فلقب به لكونه كان عظيم البطن ممتلئ الجاثم خرج بعد مرحب أخوه ياسر وهو يرتجز ويقول

قد علمت خيبر انى ياسر ... شاكى السلاح بطل مغاور

وكان أيضا من مشاهير فرسان يهود وشجعانهم وهو يقول من يبارز فخرج له الزبير رضى الله عنه فقالت أمه صفية بنت عبد المطلب رضى الله عنها وكانت مع القوم وهى عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم يارسول الله انه يقتل ابنى فقال بل ابنك يقتله ان شاء الله تعالى فقتله الزبير وعند ذلك قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فداك عمى وخال لكل نبى حوارى وحوارى الزبير وذكر الزمخشرى أن هذه الواقعة للزبير كانت فى بنى قريظة قال نه يعنى الزبير أول من استحق السلب وكان ذلك فى بنى قريظة برز رجل من العدو فقال رجل ورجل فقال النبى صلى الله عليه وسلم قم يازبير والذى فقالت أمه صفية رضى الله عنها واحدى يارسول الله فقال صلى الله عليه وسلم أيهما علا صاحبه قتله فعلاه الزبير رضى الله عنه فقتله فنفلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال السلب للقاتل هذا كلامه قال الحلبى فليتأمل فانى لم أقف فى كلام احد على أن بنى قريظة وقعت منهم مقاتلة بالمبارزة وفى رواية ان القاتل لياسر على بن أبى طالب ويمكن الجمع بمثل ما تقدم أى من أنهما اشتركا فى ذلك وكان

الصمة لان كلا منهما كسر بالرحاء كما تقدم وبهذا يظهر التوقف فى قول الجلال السيوطى فى الخصائص الصغرى وضرب لعثمان رضى الله عنه يوم بدر بسهم ولم يضرب لاحد غاب غيره رواه أبو داود عن ابن عمر قال الخطابى هذا خاص بعثمان لانه كان يمرض ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا كلامه وأسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لاربعة عشر رجلا قتلوا ببدر ولعلهم ماتوا بعد انقضاء الحرب فلا يشكل على ما قاله فقهاؤنا ان من مات قبل انقضاء الحرب لاحق له وتنفل صلى الله عليه وسلم زيادة على سهمه سيفه ذا الفقار أى وكان لمنبه بن الحجاج أى وقيل لابنه العاص قتل أيضا يوم بدر وقيل كان لعمه نبيه وفى كلام أبى العباس بن تيمية انه كان لابى جهل أى ويمكن ان يكون ذلك السيف كان فى الاصل لابى جهل ثم أعطاه لمنبه بن الحجاج أو لغيره ممن ذكر لا يقال أو بالعكس لان سيف أبى جهل أخذه ابن مسعود كما تقدم فلا مخالفة وتنفل أيضا صلى الله عليه وسلم جمل أبى جهل وكان مهريا ولم يزل يغزو عليه حتى ساقه فى هدى الحديبية كما سيأتى وهذا الذى كان يأخذه زيادة على سهمه أى قبل قسمة الغنيمة اذا كان صلى الله عليه وسلم مع الجيش يقال له الصفى والصفية عبدا أو امة أو دابة أو سيفا أو درعا لكن فى الامتاع عن محمد بن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم صفى من المغنم حضر أو غاب قال بعضهم وهو محسوب من سهمه صلى الله عليه وسلم وقيل يكون زائدا عليه الا ان يقال ذلك الذى وقع فيه الخلاف كان بعد نزول آية التخميس وهذا كان قبل ذلك فلا يخالف ما سبق أن ما أخذه قبل القسمة كان زائدا على سهمه المساوى لسهام القوم أى وكان فى الجاهلية يقال للذى يأخذه الرئيس اذا غزا بالجيش المرباع وهو ربع الغنيمة ولم يسمع مرباع الا فى الربع دون غيره من الخمس وما بعده والصفايا اشياء كان يصطفيها الرئيس لنفسه من خيار ما يغنم والنشيطة ما أصابه الجيش فى طريقه قبل أن يصل الى مقصده وكان للرئيس النفيعة أيضا وهو بعير ينحره قبل القسمة فيطعمه الناس كذا فى شرح الحماسة للتبريزى قال وقد سقط فى الاسلام النفيعة والنشيطة وأمر صلى الله عليه وسلم عليا كرم الله وجهه فقتل النضر بن الحرث بالصفراء أى وفى الامتاع أنه صلى الله عليه وسلم نظر الى النضر وهو أسير فقال النضر للبسير الذى بجانبه محمد والله قاتلى فانه نظر الى بعينين فيهما الموت فقال له والله ما هذا منك الا رعب وقال النضر لمصعب بن عمير رضى الله عنه يا مصعب أنت أقرب من هذا الى رحما فكلم صاحبك أن يجعلنى كرجل من أصحابى يعنى المأسورين هو والله قاتلى فقال مصعب انك كنت تقول فى كتاب الله كذا وكذا وتقول فى نبيه صلى الله عليه وسلم كذا وكذا وكنت تعذب أصحابه وفى أسباب النزول للسيوطى وأقره وكان المقداد رضى الله عنه أسر النضر فلما أمر صلى الله عليه وسلم بقتله قال المقداد يارسول الله أسيرى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقول فى كتاب الله ما يقول وقد رثته اخته وقيل بنته رضى الله تعالى عنها فانها اسلمت بعد ذلك يوم الفتح فقالت من أبيات

أمحمد يا خير ضنء كريمة ... ...

من جملة قتلى المسلمين الاسود الراعى كان أجيرا لرجل من اليهود يرعى له غنما وكان عبدا حبشيا يسمى أسلم وقيل يسار فجاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو محاصر خيبر وقال يارسول الله اعرض على الاسلام فعرضه عليه فاسلم وفى رواية قال ان أسلمت ماذا لى قال الجنة فاسلم فلما أسلم قال يارسول الله انى كنت أجير الصاحب هذه الغنم فكيف اصنع بها وفى رواية انها أمانة وهى للناس الشاة والشاتان واكثر من ذلك قال اضرب فى وجهها فانها استرجع الى ربها فقام الاسود ٢٠٧ فاخذ حفنة من حصى فرمى به وجهها وقال ارجعى الى صاحبك فوالله لا أصحبك فخرجت مجتمعة كأن سائقا يسوقها حتى دخلت الحصن ثم تقدم ذلك الاسود فقاتل مع المسلمين فاصابه حجر وفى رواية سهم فقتله ولم يسجد لله سجدة فاتى به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه نفر من أصحابه فاعرض عنه فقالوا يارسول الله لم أعرضت عنه قال ان معه الآن زوجتيه من الحور العين تنفضان التراب عن وجهه وتقولان ترب الله من ترب وجهك وقتل من قتلك زاد فى لفظ لقد اكرم الله هذا العبد وساقه الى خير قد كان الاسلام من نفسه حقا ثم ان الله تعالى فتح ذلك الحصن وهو حصن ناعم وهو أول حصن من حصون النطاة على يد على بن أبى طالب رضى الله عنه وعن يزيد بن أبى عبيد قال رأيت أثر ضربة بساق سلمة بن الاكوع رضى الله عنه فقلت ما هذه الضربة قال هذه ضربة أصابتنى يوم خيبر فقال الناس أصيب سلمة فاتيت النبى صلى الله عليه وسلم فنفث فيها ثلاث نفثات فما اشتكيتها حتى الساعة رواه البخارى وفى البخارى أيضا عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى رجل ممن يدعى الاسلام انه من أهل النار فلما حضر القتال قاتل الرجل أشد القتال حتى كثرت به الجراح فكاد بعض الناس يرتاب أى يشك فى قوله صلى الله عليه وسلم انه من أهل النار فوجد الرجل ألم الجراحة فأهوى بيده الى كنانته فاستخرج منها سهما فنحر نفسه فاشتد رجال من المسلمين وهو أكثم الخزاعى فقال يارسول الله صدق الله حديثك انتحر فلان فقتل نفسه فقال صلى الله عليه وسلم قم يا بلال فاذن فى الناس انه لا يدخل الجنة الا مؤمن وان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وفى رواية عن سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم التقى هو والمشركون فاقتتلوا

والذى رأيته فى الحماسة

أمحمد ولانت ضنء نجيبة * فى قومها والفحل فحل معرق

أى له عرق فى الكرم والضنء الولد

ما كان ضرك لو مننت وربما * منّ الفتى وهو المغيظ المحنق

وحين سمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بكى حتى أخضل أى بل لحيته وقال لو بلغنى هذا الشعر قبل قتله لمننت عليه أى لقبول شفاعتها عندى بهذا الشعر وليس معناه الندم لانه صلى الله عليه وسلم لا يفعل الا حقا أى وكان للنضر هذا أخ يقال له النضير بالتصغير وكان أسن المهاجرين وقيل كان من مسلمة الفتح وربما يدل له انه صلى الله عليه وسلم أمر له بمائة بعير من غنائم حنين فجاءه شخص يبشره بذلك فقال لا آخذها فانى أحسب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعطنى ذلك الا تألفا على الاسلام وما أريد ان أرتشى على الاسلام فقيل له انها عطية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبلها واعطى المبشر منها عشرة أبعرة ثم قتل صلى الله عليه وسلم عقبة بن أبى معيط بعرق الظبية بضم الظاء المعجمة وهى شجرة يستظل بها وقال حين قدم للقتل من للصبية يا محمد قال النار وجاء عن ابن عباس رضى الله عنهما ان عقبة لما قدم للقتل نادى يامعشر قريش مالى أقتل من بينكم صبرا فقال له النبى صلى الله عليه وسلم بكفرك وافترائك على رسول الله صلى الله عليه وسلم أى وفى لفظ ببزاقك فى وجهى أى فان عقبة كان يكثر مجالسته صلى الله عليه وسلم واتخذ ضيافة فدعا النبى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان أبى بن خلف صديقه فعاتبه وقال صبأت يا عقبة قال لا ولكن أبى ان يأكل من طعامى وهو فى بيتى فاستحييت منه فشهدت له الشهادة وليست فى نفسى فقال وجهى من وجهك حرام ان لقيت محمدا فلم تطأ قفاه وتبزق فى وجهه وتلطم عينه فوجده صلى الله عليه وسلم ساجدا فى دار الندوة ففعل به ذلك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ألقاك خارج مكة الا علوت رأسك بالسيف كذا فى الكشاف وفى لفظ آخر بكفرك وفجورك وعتوك على الله ورسوله وأنزل الله فيه ويوم يعض الظالم على يديه الآية وذكر ابن قتيبة انه صلى الله عليه وسلم لما أمر بقتل عقبة أى وقد قال يامعشر قريش مالى أقتل من بينكم أى وأنا واحد منكم قال له يا محمد ناشدتك الله والرحم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل أنت الا يهودى من أهل صفورية وفى رواية قال له انما أنت يهودى من أهل صفورية أى فليس هو من قريش أى لا رحم بينى وبينك أى لان أمية جد أبيه خرج الى الشام لما نافر عمه هاشم كما تقدم فأقام بصفورية ووقع على أمة يهودية ولما زوج يهودى من أهل صفورية فولدت له أبا عمرو الذى هو والد أبى معيط على فراش اليهودى فاستلحقه بحكم الجاهلية ثم قدم به مكة وكناه بأبى عمرو وسماه ذكوان مع ان الولد للفراش وقيل كان عبدا لامية فتبناه فلما مات أمية خلفه على زوجته ويدل لهذا الثانى

فمال الى عسكره ومال الآخرون الى عسكرهم وفى أصحابه رجل لا يدع لهم شاذة ولا قادة الا اتبعها يضربها بسيفه فقيل ما أجزى أحدا منا اليوم كما أجزى فلان فقال صلى الله عليه وسلم أما انه من أهل النار فقال رجل من القوم أنا صاحبه فخرج معه كلما وقف وقف معه واذا أسرع أسرع معه فجرح الرجل جرحا شديدا فاستعجل الموت فوضع سيفه بالارض وذبابه بين ثدييه ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه فخرج الرجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ٢٠٨ فقال أشهد انك رسول الله قال وما ذاك قال الرجل الذى ذكرت آنفا انه من أهل النار فأعظم الناس ذلك فقلت أنا لكم به فخرجت فى طلبه ثم جرح جرحا شديدا فاستعجل الموت فوضع سيفه بالارض وذبابه بين ثدييه ثم تحامل عليه فقتل نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك ان الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار وان الرجل ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة تدركه الشقاوة والسعادة عند خروج نفسه فيختم له بها وانما الاعمال بالخواتيم وقوله صلى الله عليه وسلم فى هذا الرجل انه من أهل النار يحتمل أن يكون ذلك لنفاق فى قلبه أطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم عليه أو لانه يرتد بعد ذلك ويستحل قتل نفسه قال العلماء هذا الرجل أعلمنا النبى صلى الله عليه وسلم انه نفذ عليه الوعيد بالنار ولا يلزم منه أن كل من قتل نفسه يقضى عليه بالنار بل يحتمل ان هذا الرجل حين أصابته الجراحة ارتاب وشك فى الايمان أو استحل قتل نفسه فمات كافرا ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة الا نفس مسلمة وجاء فى رواية ان الذى نادى بلالا وفى أخرى عمر بن الخطاب وفى اخرى عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهم قال الحافظ ابن حجر يجمع بأنهم نادوا جميعا فى جهات مختلفة ثم انه وقع اختلاف بين رواية أبى هريرة وسهل بن سعد رضى الله عنهم فى بعض الالفاظ

الصحابة

فقيل ان القصة متعددة فى موطنين لرجلين مختلفين وقيل انها قصة واحدة والاختلاف من تصرف الرواة وسيأتى ان أبا هريرة رضى الله عنه لم يحضر قتال خيبر انما جاء عند قسم غنائمها فلعله سمع القصة من بعض الصحابة رضى الله عنهم ولم يزل القتال بين المسلمين واليهود والمسلمون يفتحون حصونهم حصنا بعد حصن حتى أتوها وقتل من اليهود ثلاثة وتسعون واستشهد من المسلمين خمسة عشر

ماذكره بعض المؤرخين ان معاوية رضى الله تعالى عنه سأل رجلا من علماء النسب وفد عليه كم عمرك قال أربعون ومائتا سنة قال كيف رأيت الزمان فقال سنيات بلاء وسنيان رخاء يهلك والدو يخلف مولود فلولا الهالك لامتلأت الدنيا ولولا المولود لم يبق أحد فقال له هل رأيت عبد المطلب قال نعم أدركته شيخا وسيما عظيما جسيما يحف به عشرة من بنيه كأنهم النجوم فقال له هل رأيت أمية بن عبد شمس يعنى جده قال نعم رأيته أخفش أزرق ذميما يقوده عبده ذكوان فقال ويحك كف فقد جاء غير ماذكرت ذاك ابنه فقال أنتم تقولون ذلك والقاتل لعقبة عاصم بن ثابت وقيل على رضى الله تعالى عنهما أى وقيل صاب على الشجرة (أقول) قال محمد بن حبيب الهاشمى هو أول مصلوب فى الاسلام ورده ابن الجوزى بان أول من صلب فى الاسلام خبيب بن عدى وقد يقال لا مخالفة لان المراد بالثانى أول مصلوب من المسلمين وبالاول أول مصلوب من الكفار وذكر ان أول من استعمل الصلب فرعون ولعل المراد به فرعون موسى بن عمران لا فرعون ابراهيم الخليل وهو أول الفراعنة ولا فرعون يوسف بن يعقوب وهو ثانى الفراعنة وفى قول ان فرعون يوسف هذا هو فرعون موسى بمعنى انه بقى الى زمن موسى عليه السلام وكان هلاكه على يده وفى كلام ابن قتيبة عن سعيد بن جبير ضم طعيمة بن عدى الى عقبة بن أبى معيط والنضر بن الحرث أى لانه ممن قتل معهما صبرا وفيه نظر فقد تقدم ان القاتل له حمزة رضى الله عنه فى الحرب وسيأتى فى أحد ان قتل حمزة كان بسبب قتله لطعيمة المذكور ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قدم المدينة قبل الاسارى بيوم أى وروى عن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم قال لما قدمت الى المدينة وكنت جائعا استقبلتنى امرأة يهودية على رأسها جفنة فيها جدى مشوى فقلت الحمد لله يا محمد الذى سلمك الله كنت نذرت لله ان قدمت المدينة سالما لأذبحن هذا الجدى ولأشوينه ولأحملنه اليك لتأكل منه فأنطق الله الجدى فقال يا محمد لا تأكلنى فانى مسموم أى بخلاف ما وقع له صلى الله عليه وسلم فى خيبر فانه لم يخبره الذراع بذلك الا بعد أكله منه كما سيأتى وسيأتى انه سأل المرأة عن سبب ذلك وهنا لم يسألها ولما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة أى قاربها خرج المسلمون للقائه وتهنئته بما فتح الله عليه فتلاقوا معه بالروحاء أى وقال لهم سلمة بن سلامة بن وقش ما الذى تهنئونا به فو الله ان لقينا أى ما لقينا الا عجائز صلعا كالبدن المعقولة فنحرناها فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أولئك الملأ من قريش أى الاشراف والرؤساء وتلقته الولائد عند دخوله المدينة بالدفوف والولائد جمع وليدة وهى الصبية والامة وتلك الولائد يقلن

طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع وجب الشكر علينا * ما دعا لله داع

وتلقاه أسيد بن الحضير فقال الحمد لله الذى أظفرك وأقر عينك ولما أقبلوا من بدر فقدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقفوا فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه على فقالوا يا رسول الله فقدناك فقال ان أبا الحسن وجد مغصا فى بطنه فتخلفت عليه ثم لما قدمت الاسارى فرقهم بين

رجلا وقيل أربع وثلاثون وفتح الله حصون اليهود حصنا حصنا وهى النطاة بوزن حصاة وحصن الصعب وحصن ناعم وحصن قامة
الزبير بن العوام نسب اليه لكونه صار فى سهمه بعد وكان فى قلة جبل والشق والقموص وحصن البرى وحصن أبى والوطيح
والسلالم وهو حصن ابن أبى الحقيق وأخذ صلى الله عليه وسلم كنز آل أبى الحقيق الذى كان فى مسك أى جلد حمار فلما كثر جعلوه
فى مسك ثور فلما كثر جعلوه فى مسك جمل وكانوا قد غيبوه فى خربة فدل الله رسوله ٢٠٩ صلى الله عليه وسلم عليه فأخبر به وضعه

الصحابة وقال استوصوا بهم خيرا وكان أول من قدم مكة بمصاب قريش ابن عبد عمرو رضى الله
تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك فقال قتل عتبة وشيبة وأبو الحكم وأمية وفلان وفلان من أشراف
قريش أى وأسر فلان وفلان فقال صفوان بن أمية وكان يقال له سيد البطحاء وكان من أفصح
قريش لسانا وكان جالسا فى الحجر والله ان يعقل أى ما يعقل هذا سلوه عنى فسألوه أى قالوا
ما فعل صفوان فقال هو ذاك الجالس فى الحجر وقد رأيت أباه وأخاه حين قتلا وعن عكرمة
مولى ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال قال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت
غلاما للعباس بن عبد المطلب أى ثم وهبه العباس له صلى الله عليه وسلم وسيأتى الكلام عليه
فى السرايا وكان العباس رضى الله تعالى عنه أسلم وأسلمت زوجته أى أم الفضل قيل انها أول
امرأة أسلمت بعد خديجة كما تقدم وهى أم أولاده وهم عبد الله وعبيد الله وعبد الرحمن والفضل
وقثم ومعبد وأم حبيب قيل رآها صلى الله عليه وسلم وهى تدب بين يديه فقال ان بلغت وأنا حى
تزوجتها فقبض صلى الله عليه وسلم قبل ان تبلغ قال ابن الجوزى فليس فى الصحابيات من كنيتها
أم الفضل الا زوج العباس قال أبو رافع وأسلمت أنا وكنا نكتم الاسلام أى لان العباس كان
يكره خلاف قومه لانه كان ذا مال كثير وأكثره متفرق فيهم أى وسيأتى الجواب عن كونه
أسر وأخذ منه الفداء مع كونه مسلما وسيأتى انه لم يظهر اسلامه الا يوم الفتح فلما جاء الخبر
عن مصاب قريش ببدر سرنا ذلك فوالله انى لجالس اذ أقبل أبو لهب يجر رجليه بشر حتى جلس
عندنا فبينا هو جالس اذ قدم أبو سفيان بن الحرث وكان مع قريش فى بدر فقال له أبو لهب هلم
الى عندك الخبر فقال والله ما هو الا ان لقينا القوم فمنحناهم اكتافنا يقتلوننا كيف شاؤا
ويأسروننا كيف شاؤا وايم الله ما لمت الناس لقينا رجال بيض على خيل بلق بين السماء والارض
والله ما يقوم لها شئ قال أبو رافع فقلت والله تلك الملائكة فرفع أبو لهب يده فضرب وجهى
ضربة شديدة وثاورته أى وأثبته أى قام كل للآخر فاحتملنى وضرب بى الارض ثم برك على
يضربنى فقامت أم الفضل الى عمود وضربته به ضربة فى رأسه اثرت شجة منكرة وقالت
استضعفته أن غاب سيده تعنى العباس فقام مولياذليلا فوالله ما عاش الا سبع ليال حتى رمى
بالعدسة أى ما عاش صحيحا قبل ان يرمى بالعدسة الا سبع ليال أى وهى بثرة تشبه العدسة
من جنس الطاعون فقتلته فلم يحفروا له حفيرة ولكن أسندوه الى الحائط وقذفوا عليه الحجارة
خلف الحائط حتى واروه أى لان العدسة قرحة كانت العرب تتشاءم بها ويرون انها تعدى
أشد العدوى فلما أصابت أبا لهب تباعد عنه بنوه وبقى بعد موته ثلاثة أيام لا تقرب جنازته
ولا يحاول دفنه حتى انتن فلما خافوا السبة أى سب الناس لهم فى تركه فعلوا به ما ذكر وفى رواية
حفروا له ثم دفعوه بعود فى حفيرته وقذفوه بالحجارة من بعيد حتى واروه وعن عائشة رضى الله
تعالى عنها انها كانت اذا مرت بموضعه ذلك غطت وجهها (أقول) قال فى النور وهذا القبر
الذى يرجم خارج باب شبيكة أى الآن ليس بقبر أبى لهب وانما هو قبر رجلين لطخا الكعبة

وكان من مال بنى النضير الذى
حمله حيى بن أخطب لما أجلى عن
المدينة روى البيهقى عن ابن عمر
رضى الله عنهما ان أهل خيبر
شرطوا له صلى الله عليه وسلم أن
لا يكتموه شيأ فان فعلوا فلا ذمة
لهم فأتى بكنانة والربيع فقال لهما
ما فعل مال حيى الذى جاء به من بنى
النضير قالا أذهبته الحروب
والنفقات فقال العهد قريب والمال
أكثر وروى البيهقى عن ابن عباس
رضى الله عنهما انه صلى الله عليه
وسلم أتى بكنانة وأخيه الربيع وابن
عمهما فقال أين آنيتكم التى كنتم
تغيرونها أهل مكة قالوا هربنا فلم
نزل تضعنا أرض وترفعنا أخرى
فذهب منا كل شئ فقال ان كتمتمانى
شيأ فاطلعت عليه استحللت به
دماءكما وذراريكما فقالا نعم فدعا
رجلا من الانصار فقال اذهب
الى نخل كذا وكذا فانظر نخلة
مرفوعة فأتنى بما فيها فجاء
بالآنية والاموال فقومت
بعشرة آلاف دينار فضرب عنقهما
وسبى أهليهما بالنكث الذى
نكثناه وفى رواية أن كنانة جحد أن
يكون يعلم مكان الكنز فدفعه صلى
الله عليه وسلم الى الزبير فمسه بعذاب
فقال رأيت حييا يطوف فى خربة
ههنا فذهبوا فوجدوا المسك
فقتل ابن أبى الحقيق واصاب المسلمين

٢٧ سيرة ثانى مجاعة قبل فتح الحصون وأرسلت أسلم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسماء بن حارثة وأمرته ان يقول لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ان أسلم يقرؤك السلام ويقولون أجهدنا الجوع فلا مهم رجل وقال من بين العرب تصنعون هذا فقال هند بن
حارثة أخو اسماء والله انى لارجو ان يكون البعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مفتاح الخير فجاءه اسماء وبلغه ما قالت اسلم فدعا
لهم أى قال اللهم انك قد عرفت حالهم وان ليست بهم قوة وان ليس بيدى شئ أعطيهم اياه وقال اللهم افتح أكثر الحصون طعاما وودكا

ودفع اللواء للحباب بن المنذر وندب الناس ففتح الله حصن الصعب قبل ما غابت الشمس من ذلك اليوم بعد ان أقاموا على محاصرته يومين وما بخيبر أكثر طعاما منه من شعير وتمر وودك أى سمن وزيت وشحم وماشية ومتاع وكان بهذا الحصن خمسمائة مقاتل وقيل فتحه خرج منه رجل يقال له يوشع مبارزا فخرج له الحباب فقتله الحباب فخرج آخر يقال له الديال فبرز له عمارة بن عقبة الغفارى فقتله وقال خذها وأنا الغلام الغفارى ٢١٠ فقال الناس حبط جهاده فقال صلى الله عليه وسلم لما بلغه ذلك يؤجر ويحمد

بالعذرة وذلك فى دولة بنى العباس فان الناس أصبحوا وجدوا الكعبة ملطخة بالعذرة فرصدوا للفاعل فمسكوهما بعد أيام فصلبا فى ذلك الموضع فصارا برجمان الى الآن والله أعلم فلما ظهر الخبر ناحت قريش على قتلاهم أى شهروا وجز النساء شعورهن وكن يأتين بفرس الرجل أو راحلته وتستر بالستور ويحنحن حولها ويخرجن الى الازقة ثم اشير عليهم ان لا تفعلوا فيبلغ محمدا وأصحابه فيشمتوا بكم ولا تبكى قتلانا حتى نأخذ بثارهم وتواصوا على ذلك وكان الاسود بن زمعة ابن عبد المطلب أصيب له فى بدر ثلاثة ولداه وولد ولده وكان يحب ان يبكى عليهم وكان قد ذهب بصره أى بدعوة النبى صلى الله عليه وسلم عليه بذلك أى لانه كما تقدم كان من المستهزئين بالنبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه اذا رآهم يقول قد جاءكم ملوك الارض ومن يغلب على ملك كسرى وقيصر ويكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يشق عليه فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعمى وتقدم ذلك وتقدم سبب عماه وفى كلام بعضهم كان صلى الله عليه وسلم دعا على الاسود هذا بان يعمى الله تعالى بصره ويثكل ولده فاستجاب الله تعالى له سبق العمى الى بصره أولا ثم أصيب يوم بدر بمن نعاه من ولده أى وهو زمعة وهو أحد الثلاثة الذين كان يقال لكل واحد منهم زاد الركب كما تقدم وأخوه عقيل والحرث فانهما قتلا كافرين ببدر فتمت اجابة الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم فاذا به قد سمع صوت باكية بالليل فقال لغلامه انظر هل أحل النحب أى البكاء هل بكيت قريش على قتلاهم لعلى أبكى فان جوفى قد احترق فلما رجع الغلام قال انما هى امرأة تبكى على بعير لها أضلته فأنشد من أبيات

أتبكى ان يضل لها بعير * ويمنعها من النوم السهود
فلا تبكى على بكر ولكن * على بدر تقاصرت الجدود

والسهود بضم السين المهملة عدم النوم والبكر الفتى من الابل والجدود بضم الجيم جمع جد بفتحها وهو الحظ والسعد وبعد هذين البيتين بيت آخر وهو

الا قد ساد بعدهم رجال * ولولا يوم بدر لم يسودوا

يعرض بأبى سفيان فانه رأس قريش قال وتدجاء فى بعض الروايات اختلاف الصحابة فيما يفعل بالاسرى لما قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ترون فى هؤلاء الاسرى ان الله قد مكنكم منهم أى وقد يخالف هذا ما سبق من قوله ان من أسر أسيرا فهو له وقد يقال لا مخالفة لان معنى كونه له انه مخير فيه بين قتله وأخذ فدائه ولعله لا يخالف ما تقدم انه صلى الله عليه وسلم لما أراد قتل النضر قال المقداد رضى الله عنه وكان أسره يا رسول الله أسيرى فقال له انه كان يقول فى كتاب الله ما يقول وفى رواية استشار صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعمر وعليا أى وفى رواية أبا بكر وعمر وعبد الله بن جحش فيما هو الاصلح من الامرين القتل وأخذ الفداء فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه يا رسول الله أهلك وقومك وفى رواية هؤلاء بنو العم والعشيرة والاخوان قد أعطاك الله الظفر ونصرك عليهم أرى أن تستبقيهم وتأخذ الفداء منهم فيكون ما أخذنا منهم قوة لنا على

وحملت يهود حملة منكرة فانكشف المسلمون حتى انتهوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف قد نزل عن فرسه فثبت الحباب ابن المنذر رضى الله عنه فحض صلى الله عليه وسلم المسلمين على الجهاد فاقبلوا وزحف بهم الحباب فانهزمت يهود وأغلقوا الحصن عليهم ثم ان المسلمين اقتحموا الحصن يقتلون ويأسرون فوجدوا فى ذلك الحصن من الشعير والتمر والسمن وغيرها شيأ كثيرا ونادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم كلوا واعلفوا ولا تحملوا أى لا تخرجوا به الى بلادكم وعن عبد الله بن مغفل رضى الله عنه قال أصبت من فى خيبر أى غنيمتها جرابا فاحتملته على عنقى أريد رحلى فلقينى صاحب المغانم الذى جعل عليها وهو أبو اليسر كعب بن زائد الانصارى رضى الله عنه فأخذ بناصيتى وقال هلم بها حتى نقسمه بين المسلمين فقلت لا والله لا أعطيك فجعل يجاذبنى الجراب فرآنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نصنع ذلك فتبسم ضاحكا ثم قال لصاحب الغنائم لا أبا لك خل بينه وبينه فارسلنى فانطلقت به الى رحلى وأصحابى فاكلناه وكل الحصون فتحت عنوة الا حصن الوطيح وحصن سلالم فانهما مكث المسلمون على حصارهما أربعة عشر يوما فلم يخرج أحد منهم فهم صلى الله عليه وسلم ان يحمل عليهم وان ينصب المكفار عليهم المنجنيق فلما أيقنوا بالهلكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح على حقن دماء المقاتلة وترك الذرية لهم ويخرجون من خيبر وأرضها بذراريهم وأن لا يصحب أحدا منهم الا ثوب واحد ففعل لهم على ذلك وعلى أن ذمة الله تعالى ورسوله برئية منهم ان كتموه شيأ فتركوا لهم من أرض ومال وصفراء وبيضاء والكراع والحلقة والبز الا ثوبا واحدا فمن قال ان خيبر فتحت عنوة حمل على نحو

هذين الحصنين ومن قال صلحا حمل على هذين ووجدوا في الحصنين المذكورين مائة درع وأربعمائة سيف وألف رمح وخمسمائة
قوس عربية بجعابها ووجدوا في أثناء الغنيمة صحائف متعددة من التوراة فجاءت يهود تطلبها فأمر صلى الله عليه وسلم بدفعها اليهم
ثم جمع السبي فجاء دحية بن خليفة الكلبي رضي الله عنه فقال يارسول الله اعطني جارية فقال له صلى الله عليه وسلم اذهب فخذ جارية
فاخذ صفية بنت حيي وكانت امرأة حسناء فتنافس الناس فيها فجاء رجل ٢١١ الى النبي صلى الله عليه وسلم قال خذ جارية

الكفار وعسى الله أن يهديهم لك فيكونون لنا عضدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقول
يا ابن الخطاب قال يارسول الله قد كذبوك وأخرجوك وقاتلوك ما أرى مارأى أبو بكر ولكن
أرى ان تمكنني من فلان قريب وفي لفظ نسيب لعمر فاضرب عنقه وتمكن عليا من أخيه
عقيل فيضرب عنقه وتمكن حمزة من فلان أخيه أي العباس رضي الله تعالى عنه فيضرب عنقه
حتى يعلم أنه ليست في قلوبنا مودة للمشركين ما أرى ان تكون لك أسرى فاضرب أعناقهم
هؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم أي وقال ابن رواحة رضي الله عنه انظروا واديا كثير
الحطب فاضرمه عليهم نارا فقال العباس رضي الله تعالى عنه وهو يسمع ثكلتك رحمك فدخل
رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت أي ولم يرد عليهم فقال بعض الناس يأخذ بقول أبي بكر وقال
بعض الناس يأخذ بقول ابن رواحة ولم يقل قائل يأخذ بقول عمر ثم خرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال ان الله ليلين قلوب أقوام فيه حتى تكون ألين من اللبن وان الله ليشدد قلوب
أقوام فيه حتى تكون أشد من الحجارة مثلك يا أبا بكر في الملائكة مثل ميكائيل ينزل بالرحمة لعله
لا ينزل الا بالرحمة فلا ينافي أن جبريل ينزل بالرحمة في بعض الاحايين كما تقدم قريبا ومن ثم جاء
في الحديث أرأف امتي بامتي أبو بكر ومثلك في الانبياء مثل ابراهيم حيث يقول فمن تبعني فانه
مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا أبا بكر مثل عيسى ابن مريم اذ قال ان تعذبهم فانهم
عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم قيل ان قوله فانك أنت العزيز الحكيم من
مشكلات الفواصل اذ كان مقتضى الظاهر فانك أنت الغفور الرحيم وردبان العزيز الذي
لا يغلبه أحد ولا يغفر لمن استحق العذاب الا من ليس فوقه أحد يرد عليه حكمه والحكيم هو
الذي يضع الشيء في محله ومثلك يا عمر في الملائكة مثل جبريل نزل بالشدة والبأس والنقمة على
اعداء الله تعالى أي أغلب أحواله ذلك فلا ينافي أنه ينزل بالرحمة في بعض الاوقات كما تقدم ومثلك
في الانبياء مثل نوح عليه السلام اذ قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ومثلك في
الانبياء مثل موسى عليه السلام اذ قال ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا
حتى يروا العذاب الاليم قال الجلال السيوطي رحمه الله في الخصائص الصغرى ومن خصائصه
صلى الله عليه وسلم ان من أصحابه من يشبه بجبريل وبابراهيم وبنوح وبموسى وبعيسى
وبيوسف وبلقمان الحكيم وبصاحب يس هذا كلامه وقد علمت أن أبا بكر رضي الله عنه
شبه بميكائيل ولم يذكر ميكائيل ولينظر من شبه من أصحابه بيوسف ثم رأيتني ذكرت فيما
تقدم قريبا أنه عثمان بن عفان رضي الله عنه ولينظر من شبه من أصحابه بلقمان الحكيم
وبصاحب يس ثم قال صلى الله عليه وسلم لابي بكر وعمر لو توافقتما ما خالفتكما فلا يفلتن منهم
أحد الا بفداء أو ضرب عنق وقد وقع له صلى الله عليه وسلم أنه قال مثل ذلك لهما وقد اختلفا في
تولية شخصين أراد صلى الله عليه وسلم تولية أحدهما على بني تميم فقال أبو بكر يارسول الله
استعمل فلانا وقال عمر يارسول الله استعمل فلانا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما انكما

من السبي غيرها فاخذ أخت
كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق
زوج صفية وكانت صفية بنت
حيي من سبط هرون أخي موسى
عليهما السلام فاصطفاها صلى
الله عليه وسلم لنفسه ثم أعتقها
وتزوج بها وفي المواهب وانما أخذ
صلى الله عليه وسلم صفية لانها بنت
ملك من ملوكهم قال الحافظ
ابن حجر ولد صفية مائة نبي ومائة
ملك ثم صيرها الى نبيه صلى الله
عليه وسلم وليس ممن توهب لدحية
لكثرة من في الصحابة مثل دحية
وفوقه وقلة من كان في السبي
مثل صفية في نفاستها نسبا وجمالا
فلو خصه بها لامكن تغير خاطر
بعضهم فكان من المصلحة العامة
ارتجاعها منه واختصاصه صلى
الله عليه وسلم بها فان في ذلك رضا
الجميع وكانت صفية قبل ذلك
رأت أن القمر وقع في حجرها
فذكرت ذلك لابيها فلطم وجهها
وقال انك لتمدين عنقك الى أن
تكوني عند ملك العرب فلم يزل
الاثر في وجهها حتى أتي بها صلى
الله عليه وسلم فسألها عنه فاخبرته
وأخرج ابن أبي عاصم عن أبي برزة
رضي الله عنه قال لما نزل صلى الله
عليه وسلم خيبر كانت صفية
عروسا فرأت في المنام ان الشمس
نزلت حتى وقعت في صدرها

فقصت ذلك على زوجها فقال ما تمنين الا هذا الملك الذي نزل بنا ولا تناله لا مكان رؤيتها القمر أولا ثم الشمس ثانيا فاخبرت بالمنام
الاول أباها وبالثاني زوجها (وفي هذه الغزوة) سمت اليهودية الشاة للنبي صلى الله عليه وسلم وأهدتها اليه واسمها زينب بنت الحرث
امرأة سلام بن مشكم روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال لما فتحت خيبر واطمأن صلى الله عليه وسلم بعد فتحها أهديت
للنبي صلى الله عليه وسلم شاة فيها سم فلاك منها مضغة ثم لفظها حين أخبره العظم أنها مسمومة وازدرد بشر بن البراء لقمة فقال

صلى الله عليه وسلم لاصحابه ارفعوا أيديكم ثم قال اجمعوا لى من كان ههنا من اليهود فجمعوا له فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انى سائلكم عن شئ فهل أنتم صادقوني عنه فقالوا نعم يا أبا القاسم فقال من أبوكم فقالوا أبونا فلان أى وانتسبوا الى غير أبيهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبتم بل أبوكم فلان قالوا صدقت وبررت ثم قال هل أنتم صادقوني عن شئ ان سألتكم عنه قالوا نعم يا أبا القاسم وان كذبناك عرفت كذبنا كما عرفته فى أبينا فقال لهم صلى الله عليه وسلم من أهل النار قالوا نكون فيها زمانا يسيرا ثم تخلفونا فيها فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اخسؤا فيها والله لا نخلفكم فيها أبدا ثم قال لهم هل أنتم صادقوني عن الشئ ان سألتكم عنه فقالوا نعم قال هل جعلتم فى هذه الشاة سما فقالوا نعم فقال ما حملكم على ذلك قالوا أردنا ان كنت كاذبا نستريح منك وان كنت نبيا لم يضرك وفى رواية أرسل صلى الله عليه وسلم الى اليهودية فقال هل سممت هذه الشاة فقالت من أخبرك قال أخبرتنى هذه فى يدى مشيرا للذراع قالت نعم قال لها ما حملك على ذلك قالت ان كنت نبيا يطلعك الله وان كنت كاذبا فأريح الناس منك وقد استبان لى انك صادق وأنا أشهدك ومن حضرك أنى على دينك وأن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله فعفا عنها صلى الله عليه وسلم ولم يعاقبها وتوفى من أصحابه الذين أكلوا معه بشر بن البراء رضى الله عنه واحتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم على كاهله من أجل الذى أكل من الشاة وفى رواية أن اليهودية قبل أن تضع السم جعلت تسأل أى أجزاء الشاة أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له الذراع فعمدت الى شاة لها فذبحتها ثم عمدت الى سم يقتل من ساعته بعد ان شاورت يهود على سموم متعددة فعينوا لها هذا السم فسمت الشاة وأكثرت

لو اجتمعتما لاخذت برأيكما ولكنى اختلفتما على احيانا فانزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله الآية واستدل بقوله صلى الله عليه وسلم مثلك يا أبا بكر الخ على جواز ضرب المثل من القرآن وهو جائز فى غير المزح ولغو الحديث والاكره ونسبة الاختلاف فى اسارى بدر لابى بكر وعمر رضى الله عنهما لا تخالف ما سبق من نسبته للصحابة رضى الله تعالى عنهم لانه يجوز أن يكونوا هم المرادين بالصحابة وعدم ذكر على رضى الله تعالى عنه مع ادخاله فى الاستشارة وكذا عبد الله بن جحش على ما تقدم لانه يجوز أن يكون وافق أحدهما أى فقد ذكر ابن رواحة مع عدم ادخاله فى الاستشارة (وفى كلام الامام أحمد رحمه الله) استشار رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس فى الاسارى يوم بدر فقال ان الله قد مكنكم منهم قال فقام عمر رضى الله تعالى عنه فقال يا رسول الله اضرب أعناقهم فاعرض عنه النبى صلى الله عليه وسلم ثم عاد فقال يا أيها الناس ان الله قد مكنكم منهم وانما هم اخوانكم بالامس فقام عمر رضى الله تعالى عنه فقال يا رسول الله اضرب أعناقهم فاعرض عنه صلى الله عليه وسلم ثم عاد فقال للناس مثل ذلك فقام أبو بكر رضى الله تعالى عنه فقال يا رسول الله نرى أن تعفو عنهم وأن تقبل منهم الفداء قال فذهب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان فيه من الغم فعفا عنهم وقبل الفداء فلما كان الغد غدا عمر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وأبو بكر يبكيان فقال يا رسول الله ما يبكيك أنت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت والا تباكيت لبكائكما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كاد لمسنا فى خلاف ابن الخطاب عذاب عظيم لو نزل عذاب ما افلت منه الا ابن الخطاب وفى مسلم والترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم قال لعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أبكى للذى عرض على أصحابك من أخذهم الفداء أى للعذاب الذى كاد ان يقع على أصحابك لاجل أخذهم الفداء أى ارادة أخذه لقد عرض على عقابهم أدنى أى أقرب من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه صلى الله عليه وسلم وانزل الله تعالى ما كان لنبى أن تكون له أسرى حتى يثخن فى الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم الآيات (أقول) قال بعضهم فى هذه الآيات دليل على أنه يجوز الاجتهاد للانبياء لان العتاب الذى فى الآيات لا يكون فيما صدر عن وحى ولا يكون فيما كان صوابا وانما اخطؤا لا يتركون عليه بل ينبهون على الصواب وأجاب ابن السبكى رحمه الله بان ذلك من خصائصه صلى الله عليه وسلم أى ما كان هذا لنبى غيرك ولا يخفى عليك ما فيه وفى كلام بعضهم ما يقتضى أن الانبياء عليهم الصلاة والسلام غير نبينا صلى الله عليه وسلم يجوز أن يقروا على الخطا لان من بعدهم من يخطئ منهم يبين خطاه بخلاف نبينا صلى الله عليه وسلم لانبى بعده يبين خطاه فلا يقر على الخطا وفيه أن بعد نبينا عليه الصلاة والسلام عيسى عليه الصلاة والسلام وأنه يوحى اليه وتظر بعضهم فى وقوع الخطا من الانبياء واستمرارهم عليه بانه غير لائق بمنصب النبوة

فى الذراعين والكتف وجاء ان بشر بن البراء مات بعد حول من تلك الاكلة بسبب ذلك السم فدفع صلى الله عليه وسلم تلك اليهودية لاولياء فقتلوها فيه وبهذا يجمع بين الروايات المختلفة فان فى بعضها أنه صلى الله عليه وسلم لم يعاقب تلك اليهودية وفى بعضها أنه قتلها فيحمل على قتلها اقتصاصا فى بشر بن البراء وما كان صلى الله عليه وسلم ينتقم لنفسه بل يعفو ويصفح وبعد فتح خيبر قدم من الحبشة

جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ومن معه من المسلمين وهم ستة عشر رجلا فتلقى النبي صلى الله عليه وسلم جعفرا وقبل جبهته وعانقه
وقام له وقد قام لصفوان بن أمية لما قدم عليه وعدي بن حاتم رضي الله عنهما ثم قال صلى الله عليه وسلم ما أدري بأيهما أفرح بفتح خيبر
أم بقدوم جعفر وقال صلى الله عليه وسلم لجعفر رضي الله عنه أشبهت خلقي وخلقي فرقص رضي الله عنه من لذة هذا الخطاب ولم ينكر
عليه صلى الله عليه وسلم رقصه وجعل ذلك أصلا لرقص الصوفية عند ما يجدون من لذة المواجيد في مجالس

النبوة لان وجود من يستدرك الخطا لا يدفع مقتضيه وفيه جواز وقوع الخطا والعمل به
قبل مجيء الاستدراك وتقدم جواز الاجتهاد له مطلقا الا في خصوص الحرب واستثناه عمر
ربما يفيد ان جميع الصحابة رضي الله تعالى عنهم وافقوا أبا بكر على أخذ الفداء وخالفوا عمر مع
أنه تقدم قريبا ان سعد بن معاذ كره ذلك قبل عمر فقد تقدم أن المسلمين لما وضعوا أيديهم
بأسرون رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سعد بن معاذ فوجد في وجهه الكراهية لما
يصنع القوم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لكأنك يا سعد تكره ما يصنع القوم قال أجل
والله يا رسول الله كانت أول وقعة أوقعها الله تعالى باهل الشرك فكان الاثخان في القتل أحب
الي من استبقاء الرجال ومن ثم قال لو نزل عذاب لم يفلت منه الا ابن الخطاب وسعد بن معاذ كما
سيأتي وفيه ان ابن رواحة كرهه بل أشار باحراقهم بالنار وفي الاصل ان جبريل عليه السلام
نزل على النبي صلى الله عليه وسلم في أسارى بدر فقال ان شئتم أخذتم منهم الفداء ويستشهد منكم
سبعون بعدد ذلك فنادى منادي النبي صلى الله عليه وسلم في أصحابه فجاؤا أو من جاء منهم أي وهم
المعظم فقال ان هذا جبريل يخيركم بين أن تقدموهم فتقتلوهم وبين أن تفادوهم ويستشهد
قابلا منكم بعدتهم فقالوا بل نفاديهم فنتقوى به عليهم ويدخل قابلا منا الجنة سبعون وفي
لفظ ويستشهد منا عدتهم فليس في ذلك ما نكره وهو كما ترى يدل على ان الصحابة وافقوا أبا بكر
رضي الله عنهم على أخذ الفداء ولعل هذا الاخبار بالتخيير كان بعد الاستشارة التي تكلم فيها
أبو بكر وعمر وان بكاءه صلى الله عليه وسلم كان بعد هذه الاستشارة الثانية وقول صاحب
الهدى بكاؤه صلى الله عليه وسلم وبكاء الصديق رحمة وخشية ان العذاب يعم ولا يصيب من أراد
ذلك خاصة يفيد ان الذي أشار باخذ الفداء طائفة من الصحابة لا كلهم (أقول) وفيه ان هذا
يشكل عليه قوله لو نزل عذاب ما افلت منه الا ابن الخطاب أو الا ابن الخطاب وسعد بن معاذ
فان فيه تصريحا بان العذاب لو وقع لا يعم وانه لا يصيب الا من أشار بالفداء وفيه ان من
أشار بالفداء غاية الامر انهم اختاروا غير الاصلح من الامرين واختيار غير الاصلح
لا يقتضي العذاب على ان حل أخذ الفداء علم من واقعة عبد الله بن جحش التي قتل فيها ابن
الحضرمي فانه أسر فيها عثمان بن المغيرة والحكم بن كيسان ولم ينكره الله تعالى وذلك قبل بدر
بازيد من عام الا أن يقال أراد الله تعالى تعظيم أمر بدر لكثرة الاسارى فيها مع شدة تصلبهم
في مقاتلته صلى الله عليه وسلم وفي المواهب كلام في الآية المذكورة يتأمل فيه ورأيت فيها عن
ابن عباس رضي الله عنهما لولا أني لا أعذب من عصاني حتى أقدم اليه الحجة لمسكم فيما أخذتم
عذاب عظيم وعن الاعمش سبق منه أنه لا يعذب أحدا شهد بدرا ومن ثم جاء كما يأتي أن رجلا
قال يا رسول الله ان ابن عمي نافق أي ائذن لي أن أضرب عنقه فقال له انه شهد بدرا وما يدريك
لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم والله أعلم ولا ينافي قتل سبعين منهم في قابل أي في
أحد كون بعض الاسارى في بدر مات في الاسر ولم يؤخذ فداؤه وهو مالك بن عبيد الله أخو

الذكر والسماع وقدم من الحبشة
مع جعفر رضي الله عنه أبو موسى
الاشعري رضي الله عنه وجماعة
من قومه ففي البخاري ومسلم عن
أبي موسى رضي الله عنه قال بلغنا
مخرج النبي صلى الله عليه وسلم
ونحن باليمن فخرجنا مهاجرين
أنا واخوان لي أنا أصغرهم
أحدهما أبو بردة والآخر أبو رهم
في ثلاث أو اثنين وخمسين رجلا
من قومي فركبنا سفينة فالقتنا
الى النجاشي فوافقنا جعفر بن أبي
طالب فقال ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم بعثنا هنا وأمرنا
بالاقامة فاقيموا معنا فاقمنا معه
حتى قدمنا جميعا فوافقنا النبي
صلى الله عليه وسلم حين افتتح خيبر
فاسهم لنا ولم يسهم لاحد غاب عن
فتح خيبر منها شيأ الا لمن شهدها
معه الا أصحاب سفينتنا مع جعفر
وأصحابه فانه قسم لهم معنا وكانت
أسماء بنت عميس رضي الله عنها
متزوجة بجعفر بن أبي طالب
رضي الله عنه وولدت له بالحبشة
ابنة عبد الله وحين قدمت معه
قال لها عمر رضي الله عنه سبقناكم
بالهجرة فنحن أحق برسول الله
منكم فغضبت وذكرت ذلك
لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ليس باحق بي منكم له
ولاصحابه هجرة واحدة ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان وعند البيهقي حديث طويل في قصتهم وفيه انه صلى الله عليه وسلم قال اني
لاعرف أصوات رفقة الاشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل واعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل وقدم على النبي
صلى الله عليه وسلم في هذه الايام أيضا أبو هريرة رضي الله عنه وطائفة من قومه قال أبو هريرة رضي الله عنه قدمنا المدينة ونحن
ثمانون بيتا من دوس فصلينا الصبح خلف سباع بن عرفطة الغفاري رضي الله عنه فاخبرنا ان النبي صلى الله عليه وسلم بخيبر

فزودنا سباع ثم جئنا خيبر وهو محاصر للكتيبة فافتتحنى فتح الله وقدم على النبى صلى الله عليه وسلم حجاج بن علاط السلمى وأسلم وكان مكثرا من المال فقال يارسول الله ان مالى عند امرأتى بمكة ومتفرق فى تجار مكة فأذن لى ان آتى مكة لآخذ مالى قبل ان يعلموا باسلامى فلا أقدر على أخذ شئ منه فاذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله لابد لى ان أقول أى خلاف الواقع لاحتمال على التوصل لاخذ مالى قال قل ٢١٤ قال فخرجت حتى انتهيت الى الحرم فاذا رجال من قريش يتشممون الاخبار وقد

طلحة بن عبيد الله وكون بعضهم اطاق من غير أخذ فداء لان المنكر عدم قتل أولئك السبعين الذين أسروا (قال بعضهم) اتفق أهل العلم بالسير على ان المخاطبين بقوله تعالى أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها هم أهل أحد أى قد أصبتم يوم بدر مثلى من استشهد منكم يوم أحد سبعين قتيلا وسبعين أسيرا والله أعلم وتواصت قريش على أن لا يحملوا فى طلب فداء الاسرى لئلا يتقالى محمد وأصحابه فى الفداء فلم يلتفت لذلك المطلب بن أبى وداعة السهمى بل خرج من الليل خفية وقدم المدينة فاخذ أباه بأربعة آلاف درهم وقد كان صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه رضى الله عنهم لما رأى أبا وداعة أسيرا ان له بمكة ابنا كيسا تاجرا ذا مال وكأنكم به قد جاء فى طلب فداء أبيه أى فكان أول أسير فدى واسم أبى وداعة الحرث وذكر فى الصحابة قال الزبير بن بكار زعموا أنه كان شريكا للنبى صلى الله عليه وسلم بمكة أى والمشهور أن شريكه على الله عليه وسلم انما هو السائب بن أبى السائب الذى قال فى حقه وقد أسلم يوم الفتح وقد جعل الناس يثنون عليه أنا أعلمكم به هذا شريكى نعم الشريك كان لا يدارى ولا يمارى وفى رواية أنه لما قال صلى الله عليه وسلم أنا أعلمكم به قال صدقت بابى أنت وأمى كنت شريكى فنعم الشريك لا تدارى ولا تمارى وعند ذلك بعثت قريش فى فداء الاسارى وكان الفداء فيهم على قدر أموالهم وكان من أربعة آلاف الى ثلاثة آلاف درهم الى ألفين الى ألف ومن لم يكن معه فداء أى وهو يحسن الكتابة دفع اليه عشرة غلمان من غلمان المدينة يعلمهم الكتابة فاذ تعلموا كان ذلك فداءه وجاء جبير بن مطعم وهو كافر أى الى المدينة يسأل النبى صلى الله عليه وسلم فى أسارى بدر فقال له صلى الله عليه وسلم لو كان شيخك أو الشيخ أبوك حيا فأتانا فيهم لشفعناه وفى رواية لو كان مطعم حيا وكلمنى فى هؤلاء النفر وفى رواية فى هؤلاء النتنى لتركتهم له لان المطعم كان أجار النبى صلى الله عليه وسلم لما قدم من الطائف وكان ممن سعى فى نقض الصحيفة كما تقدم ذلك (وكان من جملة الاسارى) عمرو بن أبى سفيان بن حرب أخو معاوية أى أسره على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه ○ فقيل لابى سفيان افد عمرا ابنك قال أيجمع على دمى ومالى قتلوا حنظلة يعنى ابنه وهو شقيق أم حبيبة أم المؤمنين رضى الله عنها وأفدى عمرا دعوه فى أيديهم يمسكونه مابدا لهم فبينما أبو سفيان اذ وجد سعد بن النعمان أخا بنى عمرو بن عوف أى قد وفد من المدينة معتمرا فعدا عليه أبو سفيان فحبسه بابنه عمرو فمضى بنو عمرو بن عوف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه خبر سعد بن النعمان وسألوه أن يعطيهم عمرو بن أبى سفيان فيفكون به صاحبهم ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثوا به الى أبى سفيان فخلى سبيل سعد أى ولم يذكر عمرو هذا فيمن أسلم من الاسارى والظاهر أنه مات على شركه وكان فى الاسارى زوج بنت النبى صلى الله عليه وسلم زينب رضى الله عنها وهو أبو العاص بن الربيع بكسر الموحدة وتشديد الياء مفتوحة قال فى الاصل ختن رسول الله صلى الله عليه وسلم أى بناء على ماتقوله العامة ان ختن الرجل زوج ابنته والمعروف لغة أن ختن الرجل أقارب زوجته مثل أبيها

بلغهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سار الى خيبر أهل القوة والمنعة بعد ماوقع بينهم من المراهنة على مائة بعير فى ان النبى صلى الله عليه وسلم يغلب أهل خيبر أولا فقال حويطب بن عبد العزى وجماعة بالاول وقال عباس بن مرداس وجماعة بالثانى فلما جاءهم حجاج قالوا لحجاج والله عنده الخبر ولم يكونوا علموا باسلامه ثم قالوا ياحجاج بلغنا ان القاطع يعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سار الى خيبر فقلت عندى من الخبر مايسركم فاجتمعوا على يقولون ياحجاج ايه فقلت لم يلق محمد وأصحابه قوما يحسنون القتال غير خيبر فهزم هزيمة لم يسمع بمثلها قط وانهم أسروا محمدا وقالوا لا نقتله حتى نبعث به الى مكة فنقتله بين أظهرهم وفى لفظ يقتلونه بمن كان أصاب من رجالهم فصاحوا وقالوا لا اله الا الله محمد قد جاءكم الخبر هذا محمد انما تنتظرون ان يقدم به عليكم فيقتل بين أظهركم قال حجاج وقلت لهم أعينونى على غرمائى أريد أن اقدم فاصيب من مغانم محمد وأصحابه قبل ان يسبقنى التجار الى ماهنالك فجمعوا الى مالى على أحسن مايكون ثم فشا الخبر بمكة وأظهر المشركون الفرح والسرور بمكة وحزن من كان بمكة من المسلمين وسمع بذلك العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه فجعل لا يستطيع

واخيها

ان يقوم ثم أرسل الى حجاج غلاما وقال قل له يقول لك العباس الله أعلى وأجل من ان يكون الذى جئت به حقا فقال له حجاج اقرأ على ابى الفضل السلام وقل له ليخل لى بعض بيوته لآتيه بالخبر على مايسره واكتم عنى فاقبل الغلام فقال ابشر يا أبا الفضل فوثب العباس فرحا كأن لم يكن مسه شئ واخبره بذلك واعتق العباس ذلك الغلام وقال لله على عتق عشر رقاب فلما كان الظهر جاء حجاج فناشده

الله ان يكتم عنه ثلاثة أيام وقال انى أخشى الطلب فاذا مضت الثلاث فاظهر امرك فوافقه العباس رضى الله عنه على ذلك فقال انى أسلمت وان لى عند امرأتى مالا ودينا على الناس ولو علموا باسلامى لم يدفعوه الىّ وانى تركت رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فتح خيبر وجرت سهام الله وسهام رسوله صلى الله عليه وسلم فيها وتركته عروسا بابنة ملكهم حيى بن أخطب وقتل ابن أبى الحقيق وأخبره الخبر بتمامه فلما أمسى حجاج خرج وطاف على العباس رضى الله عنه تلك الليالى الثلاث ٢١٥ فلما مضت الثلاث عمد العباس رضى الله عنه الى حلة فلبسها وتخلق بخلوق وأخذ بيده قضيبا ثم أقبل يخطر حتى أتى مجالس قريش وهم يقولون لا يصيبك الا خير يا أبا الفضل هذا والله التجلد لحر المصيبة قال كلا والله الذى حلفتم به لم يصبنى الا خير بحمد الله أخبرنى حجاج ان خيبر فتحها الله على يد رسوله وجرى فيها سهام الله وسهام رسوله صلى الله عليه وسلم واصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية بنت ملكهم حيى بن أخطب لنفسه وانه تركه عروسا بها وانما قال لكم ذلك ليخاص ماله والا فهو ممن أسلم فرد الله الكتابة التى كانت بالمسلمين على المشركين فقال المشركون يا عباد الله انفلت عدو الله يعنون حجاجا أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن ولم يلبثوا أن جاءهم الخبر بذلك وقد قسم صلى الله عليه وسلم غنائم خيبر فأعطى الراجل سهما والفارس ثلاثة أسهم بعد أن خمسها خمسة أجزاء ثم دفع صلى الله عليه وسلم لاهل خيبر الارض ليعملوا فيها بشطر ما يخرج منها من ثمر أو زرع وقال لهم انا اذا شئنا ان نخرجكم أخرجناكم ثم استمروا على ذلك الى خلافة عمر رضى الله عنه ووقعت منهم خيانة وغدر ببعض المسلمين فاجلاهم الى الشام بعد ان استشار الصحابة رضى الله عنهم فى ذلك والله أعلم ﴿غزوة وادى القرى﴾ اسم موضع بقرب المدينة كان به جماعة من اليهود روى ابن اسحق عن أبى هريرة رضى الله عنه لما انصرفنا من خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتينا وادى القرى نزلناها اصيلا مع غروب الشمس وحاصرهم صلى الله عليه وسلم أربعة أيام وهيأ صلى الله عليه وسلم أصحابه للقتال وصفهم ودفع لواءه الى سعد بن عبادة رضى الله عنه ورايته الى الحباب ابن المنذر رضى الله عنه ورايته الى سهل بن حنيف رضى الله عنه ورايته الى عباد بن بشر رضى الله عنه ثم دعاهم الى الاسلام واخبرهم

وأخيها ومع ذلك لا ينبغى أن يقال فى حق رسول الله صلى الله عليه وسلم ختن أبى العاص ولا ختن على لا بهامه النقص وفى حفظى أن عند المالكية من قال عنه صلى الله عليه وسلم يتيم أبى طالب وختن حيدرة كان مرتدا وفى عبارة أو بدل الواو ورواية أو مبينة للمراد من رواية الواو وان ما أفهمته من اعتبار الجمعية ليس مرادا وحيدرة اسم على رضى الله تعالى عنه وأبو العاص أسلم بعد ذلك كما سيأتى وهو ابن خالتها هالة بنت خويلد أخت خديجة أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها وأبو ولدها على الذى أردفه صلى الله عليه وسلم خلفه يوم فتح مكة ومات مراهقا وأبو بنتها امامة التى كان يحملها صلى الله عليه وسلم فى الصلاة أى وكان يحبها حبا شديدا فعن عائشة رضى الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهديت له هدية فيها قلادة من جزع فقال لادفعنها الى أحب أهلى الىّ فقالت النساء ذهبت بها ابنة أبى قحافة فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم امامة بنت زينب فعلقها فى عنقها وتزوجها على بعد موت خالتها فاطمة رضى الله تعالى عنها بوصية من فاطمة زوجها له الزبير بن العوام وكان أبوها أوصى بها الى الزبير ومات عنها فتزوجها المغيرة بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب فماتت عنده وكان تزويجها للمغيرة بوصية من على رضى الله تعالى عنه فانه لما حضرته الوفاة قال لها انى لا آمن أن يخطبك معاوية وفى لفظ هذا الطاغية بعد موتى فان كان لك فى الرجال حاجة فقد رضيت لك المغيرة بن نوفل عشيرا فلما انقضت عدتها أرسل معاوية الى مروان أن يخطبها عليه ويبذل لها مائة ألف دينار فلما خطبها أرسلت الى المغيرة بن نوفل ان هذا الرجل أرسل يخطبنى فان كان لك حاجة فىّ فاقبل فجاء وخطبها من الحسن بن على أى فزوجها منه أى ولا يخالف ما تقدم ان المزوج لها الزبير بن العوام لانه يجوز أن يكون الحسن كان هو السبب فى تزويج الزبير لها فبعثت زينب رضى الله عنها فى فداء زوجها أبى العاص قلادة لها كانت أمها خديجة رضى الله عنها أدخلتها بها عليه حين بنى بها أى والجائى بها أخوه عمرو بن الربيع ولا يعلم لعمرو هذا اسلام فلما رأى تلك القلادة رسول الله صلى الله عليه وسلم رق لها رقة شديدة وقال للصحابة ان رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها قلادتها فافعلوا قالوا نعم يا رسول الله فاطلقوه وردوا عليها القلادة وشرط عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخلى سبيل زينب أى أن تهاجر الى المدينة أى وقد كان كفار قريش مشوا اليه أن يطلق زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما طلق ولدا أبى لهب بنتى النبى صلى الله عليه وسلم قبل الدخول بهما رقية وأم كلثوم كما تقدم وقالوا له تزوج أى امرأة من قريش شئت فابى ذلك وقال والله لا أفارق صاحبتى وما أحب أن لى بها امرأة من قريش فشكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك وأثنى عليه بذلك خيرا فلما وصل أبو العاص مكة أمرها باللحوق بابيها فخرجت وقد كان صلى الله عليه وسلم أرسل زيد ابن حارثة ورجلا من الانصار قال لهما تكونا بمحل كذا المحل قريب من مكة حتى تمر بكما زينب فتصحباها حتى تأتيا بها أى وذكر ان حماها كنانة بن الربيع أخا زوجها قدم لها بعيرا فركبته

انهم ان أسلموا احرزوا أموالهم ودماءهم وحسابهم على الله فبرز رجل منهم فقتله الزبير رضى الله عنه ثم آخر فقتله الزبير أيضا ثم آخر فقتله على رضى الله عنه ثم آخر فقتله أبو دجانة رضى الله عنه ثم آخر فقتله أبو دجانة أيضا حتى قتل منهم احد عشر رجلا كلما قتل رجل دعا من بقى الى الاسلام حتى أعطوا ما بايديهم وفتحها صلى الله عليه وسلم عنوة وغنمه الله أموالهم وأصابوا أثاثا ومتاعا كثيرا وقسم ما أصابه على أصحابه وترك الارض ٢١٦ والنخل بايدى يهود وعاملهم عليها وولاها صلى الله عليه وسلم عمر بن سعد بن العاص وصالحه صلى الله عليه وسلم أهل تيماء على الجزية لما بلغهم فتح وادى القرى وولاها صلى الله عليه وسلم يزيد بن أبى سفيان رضى الله عنه وكان اسلامه يوم فتحها وتيماء بلدة معروفة بين المدينة والشام على سبع مراحل من المدينة وصالحه أيضا أهل فدك على ان لهم نصفها وله صلى الله عليه وسلم نصفها فأقرهم على ذلك فكانت له صلى الله عليه وسلم خاصة لانه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب وقدم بعض أهل السير مصالحة أهل فدك على غزوة وادى القرى لانه صالحهم بعد ان فتح خيبر ثم رجع صلى الله عليه وسلم الى المدينة منصورا مؤيدا والله أعلم

﴿ذكر خمس سرايا بين خيبر وعمرة القضاء﴾

﴿سرية عمر بن الخطاب رضى الله عنه﴾

الى تربة بضم التاء وفتح الراء وبالموحدة وتاء التأنيث وادبقرب مكة على يومين منها ناحية العبلاء وهو موضع على أربع ليال من مكة وكانت فى شعبان سنة سبع بعث صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه ومعه ثلاثون رجلا فكان يسير الليل ويكمن النهار فأتى الخبر الى هوازن الى الطائفة التى كانت منهم بتربة فهربوا وجاء عمر رضى الله عنه الى محالهم فلم يلق منهم أحدا بل ترفعوا واخذوا سائر ارسلت مالهم من نعم وغيرها فانصرف راجعا الى المدينة فلما كان بذى الجدر موضع على ستة أميال من المدينة قال له رجل من بنى هلال هل لك فى جمع آخر تركته من خثعم سائرين قد اجدبت بلادهم فقال عمر رضى الله عنه لم يأمرنى صلى الله عليه وسلم بهم انما أمرنى ان اعمد الى قتال هوازن بتربة ﴿ثم سرية أبى بكر الصديق رضى الله عنه﴾ الى بنى كلاب قبيلة بنجد بناحية ضرية بفتح الضاد وكسر الراء

واتخذ قوسه وكنانته ثم خرج بها نهارا يقودها فى هودج لها وكانت حاملا فتحدث بذلك رجال من قريش فخرجوا فى طلبها حتى أدركوها بذى طوى فكان أول من سبق اليها هبار بن الاسود رضى الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك ونخس البعير بالرمح فوقعت وألقت حملها وفى رواية أنه سبق اليها هبار ورجل آخر يقال له نافع وقيل خالد بن عبد قيس ثم ان كنانة برك وتبر كنانته وأخذ قوسه وقال والله لا يدنو منى رجل الا وضعت فيه سهما فجاء اليه أبو سفيان فى رجال من قريش وقال له كف عنا نبلك حتى نكلمك فكف ثم قال له انك لم تصب فى فعلك فانك خرجت بالمرأة جهارا على رؤس الاشهاد وقد عرفت مصيبتنا التى كانت وما دخل علينا من محمد فيظن الناس اذا خرجت زينب علانية على رؤس الناس من بين أظهرنا ان ذلك من ذل أصابنا وان ذلك منا من ضعف ووهن ولعمرى ما لنا بحبسها عن أبيها من حاجة ولكن ارجع بها حتى اذا هدأت الاصوات وتحدث الناس أن قد رددناها فسربها سرا فالحقها بابيها ففعل وأقامت ليالى ثم خرج بها ليلا حتى أسلمها الى زيد بن حارثة وصاحبه وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال لزيد بن حارثة ألا تنطلق فتجىء بزينب قال بلى يا رسول الله قال فخذ خاتمى فاعطها فانطلق زيد فلم يزل يتلطف حتى اتى راعيا فقال لمن ترعى قال لابى العاص قال فلمن هذه الغنم قال لزينب بنت محمد فتكلم معه ثم قال له هل ان أعطيتك شيأ تعطها اياه ولا تذكره لاحد قال نعم فاعطاه الخاتم فانطلق الراعى الى زينب وأدخل غنمه وأعطاها الخاتم فعرفته فقالت من أعطاك هذا قال رجل قالت فاين تركته قال بمكان كذا وكذا فسكتت حتى اذا كان الليل خرجت اليه فلما جاءته قال لها زيد اركبى بين يدى على بعيرى قالت لا ولكن اركب أنت بين يدى فركب وركبت خلفه حتى أتت المدينة وذلك بعد شهرين من بدر وكان صلى الله عليه وسلم يقول زينب أفضل بناتى أصيبت بى أى بسببى (ومن العجب) ان هذه العبارة ساقها الامام سراج الدين البلقينى فى فتاويه فى حق فاطمة رضى الله عنها حيث قال وقد روى البزار فى مسنده من طريق عائشة رضى الله تعالى عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لفاطمة هى خير بناتى لانها أصيبت فى هذا كلامه ولينظر ما الذى أصيبت فاطمة بسببه صلى الله عليه وسلم وقد يقال اصابتها بسبب موته صلى الله عليه وسلم فى حياتها ثم رأيت الحافظ ابن حجر أجاب بذلك حيث قال لانها رزئت بابيها فكان فى صحيفتها أى فهو من أعلام نبوته أو ان قوله فى زينب ما ذكر كان قبل ما وهب الله لفاطمة من الكمالات وقد سئل الامام البلقينى رحمه الله تعالى هل بقية بناته صلى الله عليه وسلم أى بعد فاطمة سواء فى الفضل أو يفضل بعضهن على بعض ولم يجب عن ذلك ولا مخالفة بين خروج زينب الى زيد وخروج حموها بها الى زيد وبهذا أى بتأخر هجرة زينب يظهر التوقف فى قول ابن اسحق أما بناته صلى الله عليه وسلم فكلهن أدركن الاسلام وأسلمن وهاجرن معه الا أن يقال المراد اشتركن معه فى الهجرة وتقدم ما فى قوله وأسلمن وكون الجائى فى فداء أبى العاص أخوه عمرو يخالف ما جاء ان زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم رضى الله عنها



وتشديد الياء وكانت فى شعبان أيضا سنة سبع ويقال الى بنى فزارة فسبى منهم جماعة وقتل آخرين وفى صحيح مسلم عن سلمة بن الاكوع رضى الله عنه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضى الله عنه الى فزارة وخرجت معه حتى اذا صلينا الصبح امرنا فشننا الغارة فوردنا الماء وقتل من قتل منهم ورأيت الذرارى فخشيت ان يسبقونى الى الجبل فأدركتهم فرميت بسهم بينهم وبين الجبل فلما رأوا السهم وقفوا وفيهم امرأة وهى أم قرفة عليها قشع من ادم ومعها ابنتها ٢١٧ من أحسن العرب فجئت بهم اسوقهم الى أبى بكر رضى الله عنه فنفلنى أبو بكر ابنتها فلم اكشف لها ثوبا فقدمنا المدينة فلقينى صلى الله عليه وسلم فقال يا سلمة هب لى المرأة لله أبوك فقلت هى لك فبعث بها الى مكة ففدى بها اسرى من المسلمين كانوا فى أيدى المشركين قال بعضهم ان تسمية المرأة بأم قرفة وهم لان ذلك انما كان فى سرية زيد بن حارثة كما تقدم والله أعلم

﴿ثم سرية بشير بن سعد﴾

الانصارى الخزرجى رضى الله عنه الى بنى مرة بفدك فى شعبان أيضا سنة سبع ومعه ثلاثون رجلا فلما وصلوا الى محل القوم لقوا رعاء الشاء فسألوهم عن الناس فقالوا هم فى نواديهم والناس يومئذ شاتون لا يحضرون الماء فاستاق النعم والشاء وانحدر الى المدينة فخرج الصريخ فاخبرهم فادركه العدد الكثير منهم عند الليل فباتوا يرمونه بالنبل حتى فنيت نبل أصحاب بشير فأصيبوا وولى منهم من ولى وقاتل بشير حتى جرح وصار به رمق فضربوا كعبه اختبارا لحاله اهو حى أم ميت فلما لم يتحرك قالوا قد مات ورجعوا بنعمهم وشائهم وقدم علبة بن زيد رضى الله عنه بخبرهم على النبى صلى الله عليه وسلم ثم قدم بعده بشير بن سعد وذلك انه استمر فى القتلى حتى

أرسلت فى فداء أبى العاص وأخيه عمرو بن الربيع بمال وبعثت فيه بقلادة الحديث ولعلها تصحيف وان الاصل بعثت فى فداء أبى العاص أخاه عمرو بن الربيع ويدل لذلك أنه صلى الله عليه وسلم قال فى هذه الرواية ان رأيتم أن تردوا لها أسيرها فأطلقوه ولم يقل أسيريها وكان فى الاسارى سهيل بن عمرو العامرى وتقدم أنه كان من أشراف قريش وخطبائها فقد سئل سعيد بن المسيب عن خطباء قريش فى الجاهلية فقال الاسود بن عبد المطلب وسهيل بن عمرو وسئل عن خطبائهم فى الاسلام فقال معاوية بن أبى سفيان وابنه يعنى يزيد وسعيد بن العاص وابنه يعنى عمرو بن سعيد وعبد الله بن الزبير ولعل هذا لا يخالف ما تقدم من قول الاصمعى الخطباء من بنى مروان عتبة بن أبى سفيان أخو معاوية وعبد الملك بن مروان ومما يؤثر عن عتبة ازدحام الكلام فى السمع مضلة للفهم كما تقدم وقال عمر رضى الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم دعنى أنزع ثنيتى سهيل بن عمرو يدلع أى بالدال والعين المهملتين يخرج لسانه أى لانه كان أعلم والاعلم اذا نزعت ثنيتاه لم يستطع الكلام فلا يقوم عليك خطيبا فى موطن أبدا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أمثل به فيمثل الله تعالى بى وان كنت نبيا وعسى ان يقوم مقاما لا تذمه فكان كذلك فانه لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أكثر أهل مكة الرجوع عن الاسلام حتى خافهم أمير مكة عتاب بن أسيد رضى الله عنه وتوارى فقام سهيل بن عمرو رضى الله عنه خطيبا فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم ذكر وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت ألم تعلموا ان الله تعالى قال انك ميت وانهم ميتون وقال وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآيات وتلا آيات أخر ثم قال والله انى أعلم أن هذا سيمتد امتداد الشمس فى طلوعها وغروبها فلا يغرنكم هذا من أنفسكم يعنى أبا سفيان فانه ليعلم من هذا الامر ما أعلم لكنه قد ختم على صدره حسد بنى هاشم وتوكلوا على ربكم فان دين الله قائم وكلمته تامة وان الله ناصر من نصره ومقوده ينه وقد جمعكم الله على خيركم يعنى أبا بكر رضى الله تعالى عنه وقال ان ذلك لم يزد الاسلام الا قوة فمن رأيناه ارتد ضربنا عنقه فتراجع الناس وكفوا عما هموا به وعند ذلك ظهر عتاب بن أسيد رضى الله عنه وقدم مكرز بن حفص فى فداء سهيل فلما ذكر قدر أرضاهم به قالوا له هات فقال اجعلوا رجلى مكان رجله وخلوا سبيله حتى يبعث اليكم بفدائه فخلوا سبيل سهيل وحبسوا مكرزا وكان فى الاسارى الوليد بن الوليد أخو خالد بن الوليد فقتكه أخواه هشام وخالد فلما افتدى أسلم فعاتبوه فى ذلك فقال كرهت ان يظن بى انى جزعت من الاسر ولما أسلم واراد الهجرة حبسه أخواه وكان النبى صلى الله عليه وسلم يدعو له فى القنوت كما تقدم ثم أفلت ولحق بالنبى صلى الله عليه وسلم فى عمرة القضاء كما سيأتى أى وكان فى الاسارى السائب وهو الاب الخامس لامامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه وكان صاحب راية بنى هاشم فى ذلك اليوم أى التى كان يقال لها فى الحرب العقاب ويقال لها راية الرؤساء ولا يحملها فى الحرب الا رئيس القوم

﴿ثم سرية غالب بن عبد الله الليثى رضى الله عنه﴾ الى أهل الميفعة بناحية نجد على ثمانية برد من المدينة فى شهر رمضان سنة سبع من الهجرة فى مائة وثلاثين رجلا وقيل فى مائتين وثلاثين فهجموا عليهم فى وسط محالهم فقتلوا من اشرف لهم واستاقوا نعما وشاء الى المدينة وفى هذه السرية قتل اسامة بن زيد رضى الله عنهما نهيك بن مرداس الاسلمى وقيل الغطفانى بعد ان قال لا اله الا الله محمد

امسى فلما امسى تحامل حتى انتهى الى فدك فأقام عندهم وبها اياما حتى ارتفع من الجراح ثم رجع الى المدينة

رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا اسامة من لك بلا اله الا الله فقال يارسول الله انما قالها تعوذا من القتل قال هلا شققت عن قلبه فتعلم أصادق هو أم كاذب فقال اسامة لا اقاتل أحدا يشهد أن لا اله الا الله وفى رواية ان قوم مرداس لما انهزموا بقى وحده وكان ألجأ غنمه لجبل فلما لحقوه قال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة بن زيد رضى الله عنهما فلما رجعوا نزل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله ٣١٨ فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا الآية وقيل ان ذلك فى سرية أخرى سنة ثمان كان اسامة هو أميرها وانه لما قدم المدينة قال له النبى صلى الله عليه وسلم يا اسامة اقتلته بعد ما قال لا اله الا الله قال اسامة قلت يارسول انما كان متعوذا فما زال يكررها أى قوله اقتلته الخ حتى تمنيت انى لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم أى لان الاسلام يجب ما قبله فقيل ان النبى صلى الله عليه وسلم دفع لاهل القتيل ديته وأمر اسامة ان يعتق رقبة والله أعلم

﴿ثم سرية بشير بن سعد أيضا﴾

الانصارى رضى الله عنه الى يمن وجبار وهى أرض لغطفان ويقال لفزارة وكانت فى شوال سنة سبع من الهجرة بعثه صلى الله عليه وسلم ومعه ثلثمائة رجل لجمع تجمعوا بارض غطفان واعدهم عيينة بن حصن للاغارة على المدينة فساروا الليل وكمنوا النهار فلما بلغهم مسير بشير هربوا وأصاب لهم نعما كثيرة فغنمها ثم لقوا جمع عيينة وهو لا يشعر بهم فناوشوهم ثم انهزم جمع عيينة وتبعهم المسلمون فاسر وامنهم رجلين وقدموا بهما المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلما فارسلهما والمناوشة تدانى الفريقين وأخذ بعضهم بعضا

﴿عمرة القضاء﴾

قال موسى بن عقبة قال ابن شهاب انه صلى الله عليه وسلم خرج فى هلال ذى القعدة سنة سبع معتمرا وأمر أصحابه أن يعتمروا قضاء لعمرتهم التى صدهم المشركون عنها بالحديبية وأمر أن لا يتخلف أحد ممن شهد الحديبية وخرج معهم غيرهم أيضا فكانوا ألفين سوى النساء والصبيان واستخلف على المدينة أبا رهم كلثوم بن الحصين الغفارى رضى الله عنه وساق معه صلى الله عليه وسلم ستين بدنة وحمل السلاح والدروع والرماح وقاد مائة فرس وانما فعل ذلك احتياطا وتوثقا خوفا من غدر

وكانت لابى سفيان أول رئيس مثله ولغيبة أبى سفيان فى العير جعلها السائب لشرفه وفدى نفسه وأما أبوه الرابع الذى هو شافع الذى ينسب اليه امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه الذى هو ولد السائب اقى النبى صلى الله عليه وسلم وهو مترعرع فأسلم وكان فى الاسارى وهب بن عمير رضى الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك وأسره رفاعة بن رافع وكان أبو عمير شيطانا من شياطين قريش وكان ممن يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بمكة رضى الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك فجلس يوما مع صفوان بن أمية رضى الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك وكان جلوسه معه فى الحجر فتذاكرا أصحاب القليب ومصابهم فقال صفوان ما فى العيش والله خير بعدهم فقال عمير والله صدقت امار الله لولا دين على ليس له عندى قضاء وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدى كنت آتى محمدا حتى أقتله فان لى فيهم علة ابنى أسير فى أيديهم فاغتنمها صفوان وقال له على دينك أنا أقضيه عنك وعيالك مع عيالى أواسيهم ما بقوا قال عمير فاكتم عنى شأنى وشأنك قال أفعل ثم ان عميرا أخذ سيفه وشحذه بالمجمة أى سنه وسمه أى جعل فيه السم ثم انطلق حتى قدم المدينة فبينا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فى نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر اذ نظر الى عمير حين اناخ راحلته على باب المسجد متوشحا السيف فقال هذا الكلب عدو الله عمير ما جاء الا بشر فدخل عمر رضى الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبى الله هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحا سيفه قال صلى الله عليه وسلم فأدخله على فأقبل عمر رضى الله عنه حتى أخذ بحمالة سيفه فى عنقه والحمالة بكسر الحاء المهملة العلاقة فشكه بها وقال لرجال ممن كانوا معه من الانصار ادخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلسوا عنده فان هذا الخبيث غير مأمون ثم دخل به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر رضى الله عنه آخذ بحمالة سيفه فى عنقه قال أرسله يا عمر ادن يا عمير فدنا ثم قال عمير أنعموا صباحا وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير بالسلام تحية أهل الجنة ما جاء بك يا عمير قال جئت لهذا الاسير الذى فى أيديكم يعنى ولده وهبا فأحسنوا فيه قال فما بال السيف قال قبحها الله من سيوف وهل أغنت عنا شيأ قال صلى الله عليه وسلم أصدقنى ما الذى جئت له قال ما جئت الا لذلك قال صلى الله عليه وسلم بل قعدت أنت وصفوان بن أمية فى الحجر فذكرتما أصحاب القليب من قريش ثم قلت لولا دين على وعيالى لخرجت حتى أقتل محمدا فتحمل لك صفوان بدينك وعيالك على أن تقتلنى له والله حائل بينك وبين ذلك قال عمير أشهد أنك رسول الله قد كنا يا رسول الله نكذبك بما تأتى به من خبر السماء وما ينزل عليك من الوحى وهذا أمر لم يحضره الا أنا وصفوان فوالله انى لا أعلم ما أتاك به الا الله تعالى فالحمد لله الذى هداه للاسلام وساقنى هذا المساق ثم شهد شهادة الحق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقهوا أخاكم فى دينه وأقرؤه القرآن وأطلقوا أسيره ففعلوا ذلك ثم قال يا رسول الله انى كنت جاهدا على اطفاء نور الله شديد

أهل مكة فلما انتهى الى ذى الحليفة قدم الخيل أمامه عليها محمد بن مسلمة رضى الله عنه وقدم السلاح واستعمل عليه بشير بن سعد
رضى الله عنه وأحرم صلى الله عليه وسلم وسلك طريق الفرع ولبى والمسلمون معه ومضى محمد بن مسلمة فى الخيل الى مر الظهران
فوجد بها نفرا من قريش فسألوه عن سبب مجيئه بالخيل فقال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبح هذا المنزل غدا ان شاء الله تعالى
فانوا قريشا فاخبروهم ففزعوا وقالوا والله ما أحدثنا حدثا وانا على كتابنا ٢١٩ ومدتنا فقيم يغزونا محمد فى أصحابه وبعثوا مكرز

شديد الاذى لمن كان على دين الله فانا أحب ان تأذن لى فاقدم مكة فادعوهم الى الله والى
الاسلام لعل الله يهديهم والا آذيتهم فى دينهم كما كنت أوذى أصحابك فى دينهم فاذن له رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلحق بمكة وأسلم ولده وهب رضى الله عنه وكان صفوان حين خرج عمير
يقول ابشر وابو قعة تأتيكم الآن تنسيكم وقعة بدر وكان صفوان يسأل عنه الركبان حتى قدم
راكب فاخبره عن اسلامه فحلف ان لا يكلمه أبدا وان لا ينفعه بنفع أبدا أى ولما قدم عمير
لم يبد أبصفوان بل بدأ ببيته وأظهر الاسلام ودعا اليه فبلغ ذلك صفوان فقال قد عرفت حيث
لم يبدأ بى قبل منزله أنه قد نكس وصبأ ولا أكلمه أبدا ولا أنفعه ولا عياله بنافعة ثم ان عميرا وقف
على صفوان وناداه أنت سيد من سادات قريش أرأيت الذى كنا عليه من عبادة الحجر والذبح له أهذا
دين أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فلم يجبه صفوان بكلمة وعند فتح مكة
هو الذى استأمنه صلى الله عليه وسلم لصفوان كما سيأتى * وكان فى الاسارى أبو عزيز بن عمير
أخو مصعب بن عمير لابيه وأمه قال أبو عزيز مر بى أخى مصعب فقال للذى أسرنى شد يدك به
فان أمه ذات متاع لعلها تفديه منك فقلت له يا أخى هذه وصايتك بى فبعثت أمه فى فدائه
أربعة آلاف درهم ففدته بها * وكان فى الاسارى العباس عم النبى صلى الله عليه وسلم أى
وقد شدوا وثاقه فأتى فلم يأخذه صلى الله عليه وسلم نوم فقيل ما سهرك يا رسول الله قال لانين
العباس فقام رجل وأرخى وثاقه وفعل ذلك بالاسارى كلهم والذى أسره أبو اليسر كعب بن
عمرو وكان دميما أى بالمهملة صغير الجثة والعباس جسيما طويلا فقيل للعباس رضى الله تعالى
عنه لو أخذته بكفك لوسعته كفك فقال ما هو ان لقيته فظهر فى عينى كالخندمة أى وهو جبل
من جبال مكة أى وأبو اليسر هذا هو الذى انتزع راية المشركين وكانت بيد أبى عزيز بن عمير
قال وفى رواية ان النبى صلى الله عليه وسلم سأل كعبا وقال له كيف أسرت العباس قال يا رسول
الله لقد أعاننى عليه ملك كريم أى وفى رواية ان العباس رضى الله تعالى عنه لما قيل له ما تقدم
قال والله ان هذا ما أسرنى لقد أسرنى رجل أبلج من أحسن الناس وجها على فرس أبلق فما أراه
فى القوم فقال الذى جاء به والله أنا الذى أسرته يا رسول الله فقال اسكت فقد أيدك الله بملك كريم
وفى الكشاف ان العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أخذ أسيرا ببدر لم يجدوا له قميصا
وكان رجلا طوالا فكساه عبد الله بن أبى ابن سلول قميصه وجعل صلى الله عليه وسلم فداء العباس
أربعمائة أوقية وفى رواية مائة أوقية وفى رواية أربعين أوقية من ذهب وفى رواية جعل
على العباس أيضا فداء عقيل بن أخيه ثمانين أوقية أى وجعل عليه فداء ابن أخيه نوفل بن
الحرث وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال له افد نفسك يا عباس وابنى أخيك عقيل بن أبى
طالب ونوفل بن الحرث ابنى عبد المطلب وحليفك عتبة بن عمرو ففدى نفسه بمائة أوقية وكل
واحد بار بعين أوقية وسيأتى ما يدل على انه انما فدى نفسه وابن أخيه عقيل فقط وقال للنبى
صلى الله عليه وسلم تركتنى فقير قريش ما بقيت وفى لفظ تركتنى أسأل الناس فى كفى فقال له

ابن حفص فى نفر من قريش
حتى لقوه صلى الله عليه وسلم
ببطن يأجج فى أصحابه والهدى
والسلاح قد تلاحق فقالوا والله
ما عرفت صغيرا ولا كبيرا بالغدر
تدخل بالسلاح فى الحرم على
قومك وقد شرطت لهم أن
لا تدخل الا بسلاح المسافر فقال
انى لا أدخل عليهم بسلاح فقال
مكرز هو الذى تعرف به البر
والوفاء ثم رجع باصحابه الى مكة
فقال ان محمدا على الشرط الذى
شرط لكم ونزل صلى الله عليه وسلم
بمر الظهران وقدم السلاح الى
بطن يأجج موضع على أميال من
مكة وخلف عليه أوس بن خولى
الانصارى رضى الله عنه فى مائتى
رجل حتى قضى الكل مناسك
عمرتهم رضى الله عنهم وخرجت
قريش من مكة الى رؤس الجبال
ولم يقدروا على رؤيته صلى الله
عليه وسلم هو وأصحابه يطوفون
بالبيت وفى رواية خرجوا استنكافا
أن ينظروا اليه صلى الله عليه وسلم
غيظا وحنقا أى حسدا وقدم صلى
الله عليه وسلم الهدى أمامه بذى
طوى وخرج راكبا ناقته القصواء
والمسلمون متوشحون السيوف
محدقون برسول الله صلى الله عليه
وسلم فدخل من الثنية التى تطلعه
على الحجون وعبد الله بن رواحة

رضى الله عنه آخذ بزمام راحلته يمشى بين يديه وهو يقول
خلوا بنى الكفار عن سبيله * اليوم نضربكم على تنزيله
ضربا يزيل الهام عن مقيله * ويذهل الخليل عن خليله
قد أنزل الرحمن فى تنزيله * بان خير القتل فى سبيله
نحن قتلناكم على تأويله * كما قتلناكم على تنزيله
يا رب انى مؤمن بقيله * انى رأيت الحق فى قبوله

فقال له عمر رضى الله عنه يا ابن رواحة أبين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى حرم الله تقول الشعر فقال له صلى الله عليه وسلم

خل عنه يا عمر فلهي أي هذه الابيات أي تكايتها فيهم اسرع من نضح النبل وقيل ان قوله نحن ضربناكم على تأويله الخ من قول عمار بن ياسر رضي الله عنهما يوم صفين ولا مانع من ان عبد الله بن رواحة قال ذلك أولا وتمثل به عمار يوم صفين ثم قال صلى الله عليه وسلم لابن رواحة رضي الله عنه قل لا اله الا الله وحده نصر عبده وأعز جنده وهزم الاحزاب وحده فقالها ابن رواحة ثم قالها الناس وفي أمره بذلك زيادة اغاظة للكفار ٢٢٠ لتأذيهم بها أكثر من الشعر المذكور لا سيما وقد قالوها كارهم معلنين بها ولم يزل

رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبي حتى استلم الركن بمجنه مضطبعا بثوبه وطاف على ناقته وفي رواية ماشيا وهرول ثلاثة أشواط والمسلمون يطوفون معه وقد اضطبعوا بثيابهم وفي البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقال المشركون انه يقدم عليكم وقد وهنتهم حمى يثرب فأمرهم صلى الله عليه وسلم أن يرملوا الاشواط الثلاثة ايرى المشركون قوتهم فقالوا هؤلاء الذين زعمتم ان الحمى وهنتهم لهؤلاء اجلد من كذا وكذا انهم لينفرون نفر الظبي والمشركون كانوا على جبل قعيقعان فأمرهم أن يمشوا بين الركنين حيث لا يراهم قريش لانهم انما يرونهم اذا كانوا بين الركنين الشاميين ثم سعى صلى الله عليه وسلم بين الصفا والمروة على راحلته وبعد فراغه نحر هديه عند المروة وحلق هناك ثم أمر مائتين من أصحابه أن يذهبوا الى أصحابه ببطن يأجج يقيمون على السلاح ويأتي الآخرون ليقضوا نسكهم ففعلوا وأقام صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاثا كما شرطه قريش في الهدنة فلما كان الظهر من اليوم الرابع جاءه سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى فقالا ننشدك الله والعهد الا ما خرجت من أرضنا فرد عليهما سعد بن عبادة رضي الله عنه فاسكنه صلى الله عليه وسلم وأذن بالرحيل قال الحافظ ابن حجر كأنه دخل في أوائل النهار فلم تكمل الثلاث الا في مثل ذلك الوقت من نهار الرابع بالتلفيق وكان مجيئهما قرب ذلك الوقت وفي البخاري من حديث البراء فلما دخلها يعني مكة ومضى الاجل أي الايام الثلاثة أتوا عليا رضي الله عنه فقالوا له قل لصاحبك اخرج عنا فقد مضى الاجل فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فتبعته ابنة حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه واسمها

الحاج

رسول الله صلى الله عليه وسلم فاين المال الذي دفعته لام الفضل يعني زوجته وقلت لها ان أصبت فهذا لبني لفضل وعبد الله وقثم وفي كلام ابن قتيبة فللفضل كذا ولعبد الله كذا ولقثم كذا فقال والله اني لاعلم انك رسول الله ان هذا شيء ما علمه الا أنا وأم الفضل زاد في رواية وأنا أشهد أن لا اله الا الله وانك عبده ورسوله وفي رواية ان العباس قال للنبي صلى الله عليه وسلم لقد تركتني فقير قريش ما بقيت فقال له كيف تكون فقير قريش وقد استودعت بنادق الذهب أم الفضل وقلت لها ان قتلت فقد تركتك غنية ما بقيت وفي رواية أين المال الذي دفنته أنت وأم الفضل فقال أشهد أن الذي تقوله قد كان وما اطلع عليه الا الله وتقدم عن أبي رافع مولى العباس أن العباس رضي الله تعالى عنه وزوجته أم الفضل كانا مسلمين بل تقدم أنها أول امرأة أسلمت بعد خديجة رضي الله عنها وكانا يكتمان اسلامهما وان أبا رافع كان كذلك ومما يؤيد اسلام العباس رضي الله عنه انه جاء في بعض الروايات ان العباس رضي الله تعالى عنه قال علام يأخذ منا الفداء وكنا مسلمين أي وفي رواية كنت مسلما لكن القوم استكرهوني فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الله أعلم بما تقول ان يك حقا فان الله يجزيك ولكن ظاهر أمرك انك كنت علينا وقد أنزل الله تعالى يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الاسرى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا أي ايمانا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم أي من الفداء الآيات فعند ذلك أي عند نزول الآيات قال العباس للنبي صلى الله عليه وسلم لوددت أنك كنت أخذت مني أضعافا فقد آتاني الله خيرا منها مائة عبد وفي لفظ أربعين عبدا كل عبد في يده مال يضرب به أي يتجر فيه واني لارجو من الله المغفرة أي وهذا القول من العباس رضي الله تعالى عنه يدل على تأخر نزول هذه الآيات (وجاء ان العباس رضي الله تعالى عنه) خرج لبدر ومعه عشرون أوقية من ذهب ليطعم بها المشركين فأخذت منه في الحرب فكلم النبي صلى الله عليه وسلم أن يحسب العشرين أوقية من فدائه فأبى وقال اما شيء خرجت تستعين به علينا فلا اتركه لك وجاء في بعض الروايات ان العباس رضي الله تعالى عنه لما أسر تواعدت طائفة من الانصار على قتله فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال لعمر لم أنم الليلة من أجل عمي العباس زعمت الانصار أنهم قاتلوه فأتى عمر الانصار فقال لهم أرسلوا العباس فقالوا والله لا نرسله فقال لهم عمر فان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رضي فقالوا ان كان رضي نخذه فأخذه عمر فلما صار في يده قال له يا عباس أسلم فوالله لان تسلم أحب الي من ان يسلم الخطاب أي وفي أسباب النزول للواحدي لما أسر العباس يوم بدر أقبل المسلمون عليه يعيرونه بكفره بالله وقطيعة الرحم وأغلظ على قوله القول فقال العباس ما لكم تذكرون مساوينا ولا تذكرون محاسننا فقال له علي ألكم محاسن قال نعم انا لنعمر المسجد الحرام ونحجي الكعبة ونسقي الحاج ونفك العاني فأنزل الله تعالى ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله الآية وجاء أنه قال للمسلمين لئن كنتم سبقتمونا بالاسلام والهجرة والجهاد لقد كنا نعمر المسجد الحرام ونسقي الحاج فأنزل الله تعالى أجعلتم سقاية

امامة أو عمارة أو سلمى أو غير ذلك تنادى يا عم يا عم فتناولها علي رضي الله عنه وقال لفاطمة رضي الله عنها وهي في هودجها دونك
ابنة عمك وقال علي رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم علام نترك ابنة عمنا يتيمة بين ظهراني المشركين فلم ينهه فخرج بها ثم اختصم
فيها علي وجعفر وزيد بن حارثة رضي الله عنهم أي في انها تكون عند أيهم وكان ذلك بعد ان قدموا المدينة فقال علي رضي الله عنه أنا
أخذتها وأخرجتها من بين ظهراني المشركين وقال جعفر بن أبي طالب هي ابنة عمي ٢٢١ وخالتها اسماء بنت عميس تحتي وقال
زيد بن حارثة هي ابنة أخي أي

الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله الآية (وذكر بعضهم) أن العباس رضي الله تعالى
عنه كان رئيسا في قريش واليه عمارة المسجد الحرام فكان لا يدع أحدا يتشبب فيه ولا يقول
فيه هجرا والتشبيب ترقيق الشعر بذكر النساء والهجر الكلام الفاحش فكانت قريش
اجتمعت وتعاقدت على تسليم ذلك للعباس وكانوا عونا له على ذلك ومن ثم قيل في العباس هذا
والله هو الشرف يطعم الجائع ويؤدب السفيه فان طعامه كان لفقراء بني هاشم وقيل وسوطه
معد لسفهائهم واذا كان ذلك لسفهاء بني هاشم فلسفهاء غيرهم بطريق الاولى والظاهر أن
ذلك لا يختص بسكونهم في المسجد كما قد يدل عليه الرواية الاولى ولا ينافي هذا أي قول عمر له
أسلم الى آخره ما تقدم عن مولاه أبي رافع من ان العباس كان مسلما ومن قوله للنبي صلى الله
عليه وسلم انه كان مسلما ومن اتيانه بالشهادتين عنده صلى الله عليه وسلم لان ذاك لم يظهره
علانية بل أظهره له صلى الله عليه وسلم فقط ولم يعلم به عمر ولا غيره ولم يظهر النبي صلى الله عليه
وسلم اسلام العباس رفقا به لما تقدم ان العباس كان له ديون متفرقة في قريش وكان يخشى ان
أظهر اسلامه ضاعت عندهم ومن ثم لما قهرهم الاسلام يوم فتح مكة أظهر اسلامه أي فلم
يظهر اسلامه الا يوم الفتح وكان كثيرا ما يطالب الهجرة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيكتب له مقامك بمكة خير لك أي وفي رواية استأذن العباس رضي الله عنه النبي صلى الله
عليه وسلم في الهجرة فكتب اليه يا عم أقم مكانك الذي أنت فيه فان الله عز وجل يختم بك
الهجرة كما ختم بي النبوة فكان كذلك وفي رواية أنه قال لابن عمه نوفل بن الحرث بن عبد
المطلب افد نفسك يا نوفل قال مالي شيء أفدي به نفسي قال افد نفسك من مالك الذي بجدة وفي
لفظ بارماحك التي بجدة فقال أشهد أنك رسول الله والله ما أحد يعلم أن لي بجدة أرماحا غير الله
أي وفدى نفسه ولم يفده العباس ويدل لذلك ما رواه البخاري عن أنس ان النبي صلى الله عليه
وسلم أتي بمال من البحرين أي من خراجهما فقال انثروه في المسجد فكان أكثر مال أتي به
رسول الله صلى الله عليه وسلم أي كان مائة ألف وكان أول خراج حمل اليه صلى الله عليه وسلم وكان
يأتي في كل سنة وحينئذ لا يعارض هذا قوله صلى الله عليه وسلم لجابر لو قد جاء مال البحرين
أعطيتك فلم يقدم مال البحرين حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم لان المراد انه لم يقدم في
تلك السنة ولما نثر ذلك المال في المسجد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الصلاة ولم يلتفت
اليه فلما قضى الصلاة جاء فجلس اليه فكان لا يرى أحدا الا أعطاه فجاءه العباس فقال يا رسول
الله اعطني اني فاديت نفسي وفاديت عقيلا أي ولم يقل نوفلا ولا حليفه عتبة بن عمرو فقال خذ
فحثى في ثوبه ثم ذهب يقله فلم يستطع فقال مر بعضهم يرفعه الي قال لا قال فارفعه أنت علي
قال لا فنثر منه ولا زال يفعل كذلك حتى بقي ما يقدر على رفعه فرفعه على كاهله أي بين كتفيه
ثم انطلق وهو يقول انما أخذت ما وعد الله فقد أنجز فما زال صلى الله عليه وسلم يتبعه بصره
عجبا من حرصه حتى خفي (ومن) رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفر من الاساري بغير فداء

والخالة بمنزلة الام وقال لعلي أنت مني وأنا منك تطييبا لخاطره وقال لجعفر اشبهت خلقي وخلقي وقال لزيد أنت أخونا ومولانا وانما اقرهم النبي صلى الله عليه وسلم على اخراجها مع اشتراط المشركين ان يرد اليهم من جاء اليه وان لا يخرج بأحد من أهلها لانهم لم يطلبوها ولان النساء المؤمنات لم يدخلن في ذلك الشرط وتزوج صلى الله عليه وسلم ميمونة رضي الله عنها عند رجوعه وهو حلال بسرف وجاء في رواية انه عقد عليها وهو محرم وبنى بها وهو حلال قال المحققون ان ذلك وهم والصحيح الاول واختلف الناس في تسمية هذه العمرة عمرة القضاء فقال مالك والشافعي والجمهور لانه قاضى قريشا سنة الحديبية فالمراد بالقضاء الفصل الذي وقع عليه الحكم لا لانها قضاء عن العمرة التي صد عنها لانه لم تكن فسدت حتى يجب قضاؤها بل كانت عمرة تامة وقال أبو حنيفة وأحمد في رواية عنه ان من صد عن البيت فعليه القضاء فتسميتها قضاء على ظاهره والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ذكر خمس سرايا قبل سرية مؤتة﴾

سرية الاخرم بن أبي العوجاء السلمي رضي الله عنه الى بني سليم في ذي الحجة سنة سبع في خمسين رجلا فخرج اليهم فعلم بخروجه عين لبني سليم فأخبرهم بخروجه اليهم وحذرهم فجمعوا لابن أبي العوجاء جمعا كثيرا فأتاهم وهم معدون له فدعاهم الى الاسلام فقالوا لا حاجة لنا الى ما دعوتنا اليه فترامواب لنبل ساعة وأتتهم الامداد وأحاط الكفار بالمسلمين من كل ناحية وقاتلهم القوم قتالا شديدا حتى قتل عامتهم وفي

رواية قتلوا جميعا حتى أميرهم وقيل تركوه جريحا ثم تحامل حتى بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أول يوم من صفر وقيل تجامعه اثنان أو أكثر فعاونوه فى الذهاب الى المدينة والله أعلم ﴿سرية غالب بن عبد الله الليثى رضى الله عنه﴾ الى بنى الملوح بالكديد بفتح الكاف وكسر الدال المهملة وسكون التحتية آخره دال وهو ماء بين عسفان وقديد وكانت فى صفر سنة ثمان روى ابن اسحق وغيره عن جندب بن مكيث الجهنى رضى الله عنه ٢٢٢ قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم غالب بن عبد الله على سرية كنت فيها وأمره بشن الغارة على بنى الملوح بالكديد فخرجنا حتى اذا كنا بقديد لقينا الحرث بن مالك الليثى المعروف بابن البرصاء فاخذناه فقال انى جئت أريد الاسلام وما خرجت الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا له ان تكن مسلما فلن يضرك رباط يوم وليلة وان تك غير ذلك كنا قد استوثقنا منك فشددنا وثاقا ثم خلفنا عليه رجلا من أصحابنا أسود وقلنا له ان غارك فاحتز رأسه ثم سرنا حتى أتينا الكديد عند غروب الشمس فكنا فى ناحية الوادى وبعثنى أصحابى رئية لهم فخرجت حتى أتيت تلا مشرفا على الحاضر فاستندت فيه فعلوت على رأسه فنظرت الى الحاضر فوالله انى لمنبطح على التل اذ خرج رجل من خبائه فقال لامرأته انى لارى على التل سوادا ما رأيته فى أول يومى فانظرى الى أوعيتك هل تفقدين شيأ لا تكون الكلاب جرت بعضها فنظرت وقالت لا والله افقد شيأ قال فناولينى قوسى وسهمين فناولته فأرسل سهما فما اخطأ بين عينى فنزعته وثبت مكانى فأرسل الآخر فوضعه فى منكبى فنزعته ووضعته وثبت مكانى فقال لامرأته لو كان رئية لقوم لقد خالطه سهماى لا ابالك اذا أصبحت فابتغيهما فخذيهما لا تمضغهما الكلاب ثم دخل وأمهلناهم حتى اذا اطمأنوا وناموا وكان فى وجه السحر رسول شنينا عليهم الغارة فقتلنا منهم واستقنا النعم وخرج صريخ القوم فجاءنا قوم لا قبل لنا بهم فمضينا بالنعم ومررنا بابن البرصاء وصاحبه واحتملناهما معنا وادركنا القوم حتى قربوا منا فما بيننا وبينهم الا وادى قديد فارسل الله الوادى بالسيل من حيث شاء تبارك وتعالى من غير سحابة نراها ولا مطر فجاء بشئ ليس لاحد به قوة ولا يقدر احد ان يجاوزه فوقفوا ينظرون الينا وانا لنسوق نعمهم لا يستطيع

منهم أبو عزة عمرو الجمحى الشاعر كان يؤذى النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمين بشعره فقال يا رسول الله انى فقير وذو عيال وحاجة قد عرفتها فامنن على فمن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أى وفى رواية قال له ان لى خمس بنات ليس لهن شئ فتصدق بى عليهن ففعل وأعتقه وأخذ عليه ان لا يظاهر عليه أحدا أى ولما وصل الى مكة قال سحرت محمدا ولما كان يوم أحد خرج مع المشركين يحرض على قتال المسلمين بشعره فأسر وقتل صبرا وحملت رأسه الى المدينة كما سيأتى أى فعلم أن أسرى بدر منهم من فدى ومنهم من خلى سبيله من غير فداء وهو أبو العاص وأبو عزة ووهب بن عمير ومنهم من مات ومنهم من قتل وهو النضر بن الحرث وعقبة بن أبى معيط كما تقدم (ولما بلغ) النجاشى نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر فرح فرحا شديدا فعن جعفر بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أن النجاشى أرسل اليه والى أصحابه الذين معه بالحبشة ذات يوم فدخلوا عليه فوجدوه جالسا على التراب لابسا أثوابا خلقة فقالوا له ما هذا أيها الملك فقال لهم انى أبشركم بما يسركم انه قد جاءنى من نحو أرضكم عين لى فأخبرنى أن الله عز وجل قد نصر نبيه وأهلك عدوه فلانا وفلانا وعدد جمعا التقوا بمحل يقال له بدر كثير الاراك كنت أرعى فيه غنما لسيدى من بنى ضمرة فقال له جعفر مالك جالس على التراب عليك هذه الاخلاق قال انا نجد فيما أنزل الله على عيسى ان حقا على عباد الله أن يحدثوا لله عز وجل تواضعا عندما أحدث لهم نعمة وفى رواية كان عيسى صلوات الله وسلامه عليه اذا حدث له من الله نعمة ازداد تواضعا فلما أحدث الله تعالى نصرة نبيه صلى الله عليه وسلم أحدثت هذا التواضع وفى رواية انا نجد فى الانجيل ان الله سبحانه وتعالى اذا أحدث بعبده نعمة وجب على العبد أن يحدث لله تواضعا وان الله قد أحدث الينا واليكم نعمة عظيمة الحديث قال ولما أوقع الله تعالى بالمشركين يوم بدر واستأصل وجوههم قالوا ان ثارنا بارض الحبشة فلنرسل الى ملكها ليدفع الينا من عنده من أتباع محمد فنقتلهم بمن قتل منا فأرسلوا عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة رضى الله تعالى عنهما فانهما أسلما بعد ذلك الى النجاشى ليدفع اليهما من عنده من المسلمين فأرسلوا معهما هدايا وتحفا للنجاشى فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى النجاشى عمرو بن أمية الضمرى بكتاب يوصيه فيه على المسلمين انتهى وفى الاصل هنا ما يوافقه وفيه ان عمرو بن أمية الضمرى لم يكن أسلم بعد أى لانه كما فى الاصل شهد بدرا وأحدا مع المشركين وأول مشهد شهده مع المسلمين بئر معونة وأسر فى ذلك وجزت ناصيته وأعتق وكان ذلك فى سنة أربع كما سيأتى قال فلما وصل عمرو وعبد الله الى النجاشى ردهما خائبين أى فعن عمرو بن العاص قال دخلت على النجاشى فسجدت له فقال مرحبا بصديقى أهديت لى من بلادك شيأ فقلت نعم أيها الملك أهديت لك أدما كثيرا ثم قربته اليه فأعجبه وفرق منه أشياء بين بطارقته وأمر بسائره فأدخل فى موضع وأمر ان يكتب ويتحفظ به قال عمرو فلما رأيت طيب نفسه قلت أيها الملك انى رأيت رجلا خرج من عندك يعنى عمرو بن أمية الضمرى وهو

رجل منهم أن يمر الينا ونحن نحذوها سمرا عاحتى فتناهم فلم يقدروا علي طلبنا فقدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم والحرث بن مالك هو ابن البرصاء وهي أمه وقيل أم أبيه وهو صحابي رضي الله عنه سكن مكة ثم المدينة وتوفي آخر خلافة معاوية رضي الله عنه وله حديث واحد وهو قوله سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم الفتح لا تغزى مكة بعد اليوم الى يوم القيامة رواه الترمذي وابن حبان وصححاه والله أعلم ﴿اسلام خالد بن الوليد وعثمان بن طلحة الحجبي ٢٢٣ وعمرو بن العاص رضي الله عنهم﴾ قال خالد بن الوليد

رسول عدولنا قد وترنا وقتل أشرافنا وخيارنا فاعطنيه فاقتله فغضب ثم رفع يده فضرب بها أنفي ضربة ظننت أنه قد كسره فجعلت أتقي الدم بثيابي وفي رواية ثم رفع يده فضرب بها أنف نفسه ظننت أنه قد كسره وقد يجمع بوقوع الامرين منه وعند ذلك قال عمرو فأصابني من الذل مالو انشقت لي الارض لدخلت فيها فرقا منه ثم قلت أيها الملك لو ظننت أنك تكره ما قلت ما سألتكه فقال يا عمرو تسألني ان أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الاكبر الذي كان يأتي موسى والذي كان يأتي عيسى بن مريم لتقتله قلت له وتشهد أنت أيها الملك أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم أشهد انه رسول الله صلى الله عليه وسلم أشهد بذلك عند الله يا عمرو فأطعني واتبعه فوالله انه لعلى الحق قلت له أفتبايعني له على الاسلام قال نعم فمد يده فبايعته على الاسلام ثم خرجت الى أصحابي وقد كساني فلما رأوا كسوة الملك سروا بذلك وقالوا هل من صاحبك قضاء لحاجتك يعنون قتل عمرو بن أمية الضمري فقلت لهم كرهت ان أكلمه أول مرة وقلت أعود اليه قالوا الرأي ما رأيت وفارقتهم وهذا يدل على انه كان معه ومع عبد الله جماعة آخرون من قريش ويحتمل أنه عنى باصحابه عبد الله بن ربيعة ويؤيد الاول ما يأتي قليلا تأمل وكأني أعمد الى حاجة فعمدت الى موضع السفن فوجدت سفينة قد شحنت فركبت معهم ودفعوها من ساعتهم حتى انتهوا الى الشعيبة وهو محل معروف كان مورد جدة أي كان ترسي به السفن قبل وجود جدة كما تقدم فخرجت من السفينة فابتعت بعيرا وتوجهت الى المدينة حتى اذا كنت بالهداة اسم محل اذا رجلان وهما خالد بن الوليد وعثمان بن أبي طلحة فرحبا بي واذا هما يريدان الذي أريد فتوجهنا الى المدينة فقد علمت ما في ارسال عمرو بن أمية الضمري الى النجاشي عقب وقعة بدر من أنه كان في ذلك الوقت كافرا لانه شهد مع الكفار أحدا ومن ثم قال في الاصل هنا فلما كان شهر ربيع الاول وقيل المحرم سنة سبع أي وقيل سنة ست حكاه ابن عبد البر عن الواقدي من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النجاشي كتابا يدعوه فيه الى الاسلام وبعث به عمرو بن أمية الضمري فلما قرئ عليه الكتاب أسلم وكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يزوجه أم حبيبة ففعل وكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبعث اليه من بقي عنده من أصحابه ويحملهم ففعل وقد تقدم القول عند ذكر الهجرة الى أرض الحبشة أن توجه عمرو بكتابي رسول الله صلى الله عليه وسلم في المحرم سنة سبع يدعوه في أحدهما الى الاسلام والثاني في تزويجه عليه الصلاة والسلام أم حبيبة وقيل ارسال عمرو كان في شهر ربيع الاول وسيأتي ذكر كتابي النبي صلى الله عليه وسلم الى النجاشي مع عمرو وعند ذكر كتبه الى الملوك هذا كله كلام الاصل فليتأمل ما فيه ثم رأيت صاحب النور قال قد رأيت غير واحد صرح بان النجاشي أسلم في السنة السابعة يعنون من الهجرة وهذا يعكر على تصديقه واسلامه عند ارسال عمرو بن العاص وعبد الله بن ربيعة أي عقب بدر حيث قال أنا أشهد أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى آخر ما تقدم هذا

لما أراد الله عز وجل بي ما أراد من الخير قذف في قلبي الاسلام وحضر لي رشدي وقلت قد شهدت هذه المواطن كلها على محمد صلى الله عليه وسلم فليس موطن اشهده الا انصرف وأنا أرى في نفسي اني في غير شيء وان محمدا يظهر فلما جاء لعمرة القضية تغيبت ولم اشهد دخوله فكان أخي الوليد بن الوليد دخل معه فطلبني فلم يجدني فكتب الي كتابا فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فاني لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الاسلام وعقلك عقلك ومثل الاسلام لا يجهله أحد قد سألني رسول الله صلى الله عليه وسلم عنك فقال أين خالد فقلت يأتي الله به فقال ما مثله يجهل الاسلام ولو كان يجعل نكايته مع المسلمين على المشركين كان خيرا له ولقد سناه على غيره فاستدرك يا أخي ما قد فاتك من مواطن صالحة فلما جاءني كتابه نشطت للخروج وزادني رغبة في الاسلام وسرتني مقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأيت في المنام كأني في بلاد ضيقة جدبة فخرجت الى بلاد خضراء واسعة فلما أجمعت على الخروج الى المدينة لقيت صفوان بن أمية فقلت يا أبا وهب اما ترى ان محمدا ظهر على العرب والعجم فلو قدمنا عليه واتبعناه فان شرفه شرف لنا فقال لو لم يكن يبقى غيري ما اتبعته أبدا فقلت هذا رجل

قتل أبوه وأخوه ببدر فقيت عكرمة بن أبي جهل فقلت له مثل ما قلت لصفوان فقال مثل الذي قال صفوان قلت فاكتم ذكر ما قلت لك قال لا اذكره ثم لقيت عثمان بن طلحة الحجبي قلت هذا لي صديق فأردت ان اذكر له ثم ذكرت قتل أبيه طلحة وعمه عثمان واخوته الاربع مسافع والحلاس والحرث وكلاب فانهم قتلوا كلهم يوم أحد فكرهت ان اذكر له ثم قلت له انما نحن بمنزلة ثعالب في بحر لوصب فيه ذنوب من ماء لخرج ثم قلت له ما قلت لصفوان وعكرمة فاسرع الاجابة ووعدني ان سبقني اقام بمحل كذا وان سبقته اليه انتظرته فلم يطلع

الفجر حتى التقينا فغدونا حتى انتهينا الى الهدة وهو اسم محل فوجدنا عمرو بن العاص بها فقال مرحبا بالقوم فقلنا وبك قال أين مسيركم قلنا الدخول فى الاسلام قال وذلك الذى أقدمنى وفى لفظ قال عمرو لخالد يا أبا سليمان أين تريد قال والله لقد استقام المنسم أى تبين الطريق وظهر الامر وان هذا الرجل لنبى فاذهب فاسلم فحتى متى قال عمرو وأنا والله ما جئت الا لاسلم فاصطحبنا جميعا وحدثنى عمرو بن العاص رضى الله عنه عن سبب

رجالا من قريش كانوا يرون رأيى ويسمعون منى فقلت لهم تعلمون والله ان أمر محمد يعلو الامور علوا منكرا وقد رأيت أن نلحق بالنجاشى فان ظهر محمد فكوننا تحت يده أحب الينا من يد محمد وان ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا فلا يأتينا منهم الا خير قالوا ان هذا الرأى فقلت فاجمعوا ما يهدى له وكان أحب ما يهدى اليه من أرضنا الادم فجمعنا له أدما كثيرا ثم خرجنا حتى قدمنا عليه فوالله انا لعنده اذ جاءه عمرو بن أمية الضمرى رسوله صلى الله عليه وسلم فى شأن جعفر وأصحابه فدخل عليه ثم خرج فقلت لاصحابى هذا عمرو بن أمية لو دخلت على النجاشى فاعطانيه فضربت عنقه لرأت قريش انى أجزت عنها بقتل رسول محمد فدخلت فسجدت له كما كنت أصنع فقال مرحبا بصديقى أهديت لى من بلادك شيأ قلت له نعم أدما كثيرا وقربته اليه فاعجبه واشتهاه ثم قلت له انى رأيت رسول عدونا خرج من عندك فاعطنيه لاقتله فانه أصاب من أشرافنا وخيارنا فغضب ثم ضرب أنفى ضربة بيده ظننت انه كسره فلو انشقت بى الارض لدخلت فيها فرقا منه ثم قلت أيها الملك والله لو ظننت انك تكره هذا ما سألته قال أتسألنى أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الاكبر الذى كان يأتى موسى

عليه السلام لتقتله قلت أكذاك هو قال ويحك يا عمرو أطعنى واتبعه فانه والله لعلى الحق وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده قلت أفتبايعنى له على الاسلام قال نعم فبسط يده فبايعته على الاسلام ثم خرجت عامدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقمت خالد بن الوليد وذلك قبل الفتح فصحبته حتى قدمنا المدينة وفى اسلام عمرو على يد النجاشى لطيفة هى ان صحابيا أسلم على

كلامه أى فكيف يكون ارسال عمرو بن أمية الى النجاشى ليسلم وقد يجاب بان المراد اظهار اسلامه أى بعث له عمرو بن أمية لاجل أن يظهر اسلامه ويعلن به بين قومه أى لانه كان يخفى اسلامه عن قومه ولما بلغ قومه أنه اعترف بان عيسى صلوات الله وسلامه عليه عبد الله ووافق جعفر بن أبى طالب على ذلك سخطوا وقالوا له أنت فارقت ديننا وأظهر واله المخاصمة فارسل النجاشى الى جعفر بن أبى طالب وأصحابه فهيأ لهم سفنا وقال اركبوا فيها وكونوا كما أنتم فان هربت فاذهبوا حيث شئتم وان ظفرت فاقيموا ثم عمد الى كتاب فكتب هو يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله و يشهد أن عيسى عبده ورسوله وروحه وكلمته ألقاها الى مريم ثم جعله فى ثيابه عند منكبه الايمن وخرج الى الحبشة وقد صفوا له فقال يا معشر الحبشة ألست أرفق الناس بكم قالوا بلى قال فكيف رأيتم سيرتى فيكم قالوا خير سيرة قال فما لكم قالوا فارقت ديننا وزعمت أن عيسى عبد قال فما تقولون أنتم فى عيسى قالوا نقول هو ابن الله فقال لهم النجاشى و وضع يده على صدره على قبائه وقال هو يشهد أن عيسى بن مريم ولم يزد على هذا وانما يعنى ما كتب فرضوا منه ذلك و يذكر أن عليا رضى الله عنه وجد ابن النجاشى عند تاجر بمكة فاشتراه منه وأعتقه مكافأة لما صنع أبوه مع المسلمين وكان يقال له نيزر مولى على كرم الله وجهه و يقال أن الحبشة لما بلغهم خبره أرسلوا وفدا منهم اليه ليملكوه و يتوجوه ولم يختلفوا عليه فأبى وقال ما كنت لاطلب الملك بعد ان من الله على بالاسلام على أن ابن الجوزى رحمه الله ذكر ان ذهاب عمرو بن العاص الى النجاشى كان عند منصرفه مع قريش فى غزوة الاحزاب أى لاعقب بدر فعن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه لما انصرفنا مع الاحزاب عن الخندق جمعت رجالا من قريش كانوا يرون مكانى و يسمعون منى فقلت لهم تعلمون والله أنى لارى أمر محمد يعلو الامور علوا منكرا وأنى قد رأيت رأيا فما ترون فيه قالوا وما رأيت قال أن نلحق بالنجاشى فنكون عنده فان ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشى فانا أن نكون تحت يديه أحب الينا أن نكون تحت يدى محمد وان ظهر قومنا فنحن ممن قد عرفوا فلن يأتينا منهم الا خير فقالوا ان هذا هو الرأى فقلت اجمعوا ما يهدى له وكان أحب ما يهدى اليه من أرضنا الادم فجمعنا له ادما كثيرا ثم خرجنا اليه فوالله انا لعنده اذ جاءه عمرو بن أمية الضمرى بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شأن جعفر وأصحابه الحديث وهذا لا يمنع أن يكون عمرو بن العاص وفد على النجاشى هو وعبد الله بن ربيعة عقب بدر فيكون وفود عمرو بن العاص على النجاشى كان ثلاث مرات مرة مع عمارة عقب مهاجرة من هاجر الى الحبشة ومرة مع عبد الله ابن ربيعة عقب بدر وهذه المرة الثالثة التى كانت عقب الاحزاب وان ارسال عمرو بن أمية واسلام عمرو بن العاص على يد النجاشى كان فى هذه المرة الثالثة وحينئذ لا يشكل ارسال عمرو بن أمية للنجاشى لانه كان مسلما حينئذ فيكون ذكر مجىء عمرو بن أمية الى النجاشى فى المرة الثانية التى كانت عقب بدر اشتباه من بعض الرواة وكذا ذكر اسلام عمرو بن العاص على

يد تابعي ولا يعرف مثله فلما وصلوا المدينة أناخوا ركابهم بظهر الحرة فاخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فسرّبهم وقال لاصحابه رمتكم مكة بأفلاذ كبدها قال خالد فلبست من صالح ثيابي ثم عمدت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقيت أخي فقال أسرع فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سرّ بقدومكم وهو ينتظركم فاسرعنا المشي فاطلعت عليه فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم حتى وقفت عليه فسلمت عليه بالنبوة فرد علي السلام بوجه طلق فقلت انى أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله

قال الحمد لله الذى هداك قد كنت أرى لك عقلا رجوت ان لا يسلمك الا الى خير قلت يارسول الله ادع الله لى يغفر تلك المواطن التى كنت أشهدها عليك فقال صلى الله عليه وسلم الاسلام يجبّ ما كان قبله وتقدم عثمان وعمرو فاسلما وفى رواية عن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال قدمنا المدينة فانخنا بالحرة فلبسنا من صالح ثيابنا ثم نودى بالعصر فانطلقنا حتى اطلعنا عليه صلى الله عليه وسلم وان لوجهه تهللا والمسلمون حوله قد سروا باسلامنا فتقدم خالد بن الوليد فبايع ثم تقدم عثمان بن طلحة فبايع ثم تقدمت فوالله ما هو الا ان جلست بين يديه صلى الله عليه وسلم وما استطعت ان أرفع طرفى حياء منه قال فبايعته على أن يغفر لى ما تقدم من ذنبى ولم يحضرنى ما تأخر فقال ان الاسلام يجبّ ما كان قبله والهجرة تجب ما كان قبلها فوالله ما عدل بى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبخالد بن الوليد فى أمر حربه منذ أسلمنا ولقد كنا عند أبى بكر بتلك المنزلة ولقد كنت عند عمر بتلك المنزلة وروى الزبير بن بكار انهم لما قدموا عليه صلى الله عليه وسلم قال عمرو كنت أسن منهما فاردت ان أكيدهما فقدمتهما قبلى

بد النجاشى فى المرة الثانية من تخليط بعض الرواة ثم رأيته فى الامتاع قال وقد روى قصة الهجرة الى الحبشة واسلام النجاشى من طرق عديدة مطولة ومختصرة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسل عمرو بن أمية الضمرى فى أموره لانه كان من رجال النجدة أى ومعلوم أنه كان لا يرسله الا بعد اسلامه واسلامه قد علمت أنه كان سنة أربع وفى الاصل أنه صلى الله عليه وسلم أرسله الى مكة بهدية لابى سفيان بن حرب أى ولعل المراد بذلك ما حكاه بعض الصحابة قال دعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أراد ان يبعثنى بمال الى أبى سفيان يقسمه فى قريش بمكة بعد الفتح وقال لى التمس صاحبا قال فجاءنى عمرو بن أمية فقال بلغنى انك تريد الخروج الى مكة وتلتمس صاحبا قلت أجل قال فانا لك صاحب قال فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت وجدت صاحبا فقال من قلت عمرو بن أمية الضمرى فقال اذا هبط بلاد قومه فاحذروه فانه قد قال القائل أخوك البكرى ولا تأمنه وقد أسلم عبد الله ولده قبل أبيه عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال فيهما وفى أم عبد الله نعم البيت عبد الله وأبو عبد الله وأم عبد الله وكان صلى الله عليه وسلم يفضل عبد الله على أبيه لانه كان من عباد الصحابة وزهادهم وفضلائهم وعلمائهم ومن أكثرهم رواية وذكر ابن مرزوق رحمه الله ان ابن عمرو رضى الله عنهما مر ببدر فاذا رجل يعذب ويئن فناداه ياعبد الله قال فالتفت اليه فقال اسقنى فاردت أن أفعل فقال الاسود الموكل بتعذيبه لا تفعل ياعبد الله فان هذا من المشركين الذين قتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه الطبرانى فى الاوسط زاد السيوطى فى الخصائص فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم فاخبرته قال أوقد رأيته قلت نعم قال ذاك عدو الله أبو جهل وذاك عذابه الى يوم القيامة وأخرج ابن أبى الدنيا والبيهقى عن الشعبى ان رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم انى مررت ببدر فرأيت رجلا يخرج من الارض فيضربه رجل بمقمعة حديد وفى لفظ بعمود حديد حتى يغيب فى الارض ثم يخرج فيفعل به مثل ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك أبو جهل يعذب الى يوم القيامة * ومما جاء فى فضل من شهد بدرا أن جبريل عليه السلام أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ما تعدون أهل بدر فيكم قال من أفضل المسلمين أو كلمة نحوها قال جبريل عليه السلام وكذلك من شهد بدرا من الملائكة وفى رواية أن للملائكة الذين شهدوا بدرا فى السماء لفضلا على من تخلف منهم وجاء بعض الصحابة رضى الله تعالى عنه الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ان ابن عمى نافق أى وقد كان من أهل بدر أتأذن لى أن أضرب عنقه فقال صلى الله عليه وسلم انه شهد بدرا وعسى أن يكفر عنه وفى رواية ومايدريك لعل الله اطلع على أهل بدر وقال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم قال وفى الطبرانى بسند جيد عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلع الله على أهل بدر فقال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم أو قال فقد وجبت لكم الجنة أى غفرت لكم مامضى وماسيقع من الذنوب أى وهو يفيد أن مايقع منهم من الكبائر لا يحتاجون الى التوبة عنه لانه اذا وقع يقع مغفورا وعبر فيه بالماضى مبالغة فى تحققه وهذا كما لا يخفى بالنسبة للآخرة

٢٩ سيره ثانى للبيعة فبايعا واشترطا أن يغفر لهما ما تقدم من ذنبهما فأضمرت فى نفسى ان أبايع على أن يغفر لى ما تقدم من ذنبى وما تأخر فلما بايعت ذكرت ما تقدم من ذنبى وأنسيت أن أقول وما تأخر وروى الزبير بن بكار ان رجلا قال لعمرو بن العاص رضى الله عنه ما أبطأ بك عن الاسلام وأنت أنت فى عقلك قال كنا مع قوم لهم علينا تقدم وكانوا من توازى أحلامهم الجبال فلذنابهم فلما ذهبوا وصار الامر الينا نظرنا وتدبرنا فاذا الحق بين فوقع الاسلام فى قلبى وكان عمرو رضى الله عنه أمير مصر فى خلافة عمر رضى الله

عنه وهو أحد دهاة العرب توفى سنة ثلاث وأربعين من الهجرة على الصحيح عن نحو تسعين سنة * وروى الخطيب مرفوعا يقدم عليكم الليلة رجل حكيم فقدم عمرو مهاجرا وأما خالد بن الوليد رضى الله عنه فهو أحد الاشراف كانت اليه أعنة الخيل فى الجاهلية وشهد مع قريش الحروب الى الحديبية وكان على خيل قريش طليعة كما تقدم ثم صار سيف الله ولم يزل صلى الله عليه وسلم يوليه أعنة الخيل روى أبو يعلى لا تؤذوا خالدا فانه سيف من سيوف الله صبه الله على الكفار وعزمانه يوم مؤتة ويوم قتال أهل الردة وفى يده فتوح العراق وجميع فتوح الشام أكثر من ان تحصى اذ كان له فيها العناء العظيم الجليل والبلاء الحسن الجميل وروى أبو زرعة الدمشقى مرفوعا نعم عبد الله وأخو العشيرة خالد بن الوليد سيف من سيوف الله سله الله على الكفار وروى سعيد بن منصور عن خالد رضى الله عنه قال اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعلها عمرة الجعرانة فحلق رأسه فابتدر الناس شعره فسبقتهم الى ناصيته فجعلتها فى هذه القلنسوة فلم أشهد قتالا وهى معى الا تبين لى النصر ورواه أبو يعلى بلفظ فما وجهت فى وجه الا فتح والاكثر على انه مات بحمص سنة احدى وعشرين وعمره بضع وأربعون سنة وقيل توفى بالمدينة النبوية روى ابن المبارك عن خالد رضى الله عنه انه قال لما حضرته الوفاة لقد طلبت القتل فى مظانه فلم يقدر لى الا أن أموت على فراشى وأما عثمان بن طلحة بن أبى طلحة عبد الله بن عبد العزى ابن عثمان بن عبد الدار بن قصى العبدرى فهو حاجب البيت وصاحب المفتاح فى الجاهلية والاسلام ووقع فى تفسير الثعلبى بلا سند أنه أسلم يوم الفتح بعد ان دفع له المفتاح قال الحافظ ابن حجر فى الاصابة وهو منكر والمعروف انه أسلم وهاجر مع عمرو وخالد وبه جزم غير واحد ثم سكن وسلم المدينة وبها مات سنة ثنتين وأربعين وقيل استشهد باجنادين قال العسكرى وهو باطل والله سبحانه وتعالى أعلم

* سرية غالب بن عبد الله الليثى رضى الله عنه أيضا * لما رجع رضى الله عنه من سرية الكديد مؤيدا منصورا بعثه صلى الله عليه وسلم الى موضع مصاب أصحاب بشير بن سعد بفدك فى صفر سنة ثمان روى ابن سعد انه صلى الله عليه وسلم هيأ الزبير بن العوام رضى

لا بالنسبة لاحكام الدنيا ومن ثم لما شرب قدامة بن مظعون الخمر فى أيام عمر حده وكان بدريا أى وقد يقال هذا يقتضى وجوب التوبة فى الدنيا فاذا لم تقع لا يؤاخذ بذلك فى الآخرة لان وجوب التوبة من أحكام الدنيا لا يقال اذا سلم أن الذنب اذا وقع منهم يقع مغفورا لا معنى لوجوب التوبة وانما حده عمر رضى الله عنه قدامة زجرا عن شرب الخمر لانا نقول بل لوجوب التوبة فى الدنيا معنى وان كان الذنب اذا وقع يقع مغفورا لان المراد بذلك عدم المؤاخذة فى الآخرة وذلك لا ينافى وجوب التوبة عنه فى الدنيا لانه لا تلازم بين وجوب التوبة فى الدنيا وبين غفران الذنب فى الآخرة هذا وفى الخصائص الصغرى نقلا عن شرح جمع الجوامع أن الصحابة كلهم لا يفسقون بارتكاب ما يفسق به غيرهم وقدامة هذا كان متزوجا أخت عمر رضى الله تعالى عنه وكان عمر متزوجا باخت قدامة وهى أم حفصة رضى الله عنها فكان خالا لحفصة ولاخيها عبد الله وكان عاملا لعمر فى بعض نواحى أى البحرين فقدم الجارود سعد بن عبد القيس على عمر من البحرين وكان قدامة واليا عليها فاخبر عمر أن قدامة سكر قال وانى رأيت حدا من حدود الله حقا على أن أرفعه اليك فقال له عمر من يشهد معك قال أبو هريرة فشهد أبو هريرة رضى الله عنه انه رآه سكران أى قال لم أره يشرب ولكنى رأيته سكران يقيء فاحضر قدامة فقال له الجارود أقم عليه الحد فقال له عمر رضى الله عنه أخصم أنت أم شاهد فصمت ثم عاوده فقال له عمر رضى الله عنه لتمسكن أو لاسوءنك فقال ليس فى الحق وفى لفظ أما والله ما ذلك بالحق أن يشرب ابن عمك وتسوءنى فارسل عمر رضى الله عنه الى زوجة قدامة أى بعد ان قال له أبو هريرة رضى الله عنه ان كنت تشك فى شهادتنا فارسل الى ابنة الوليد يعنى زوجته فجاءت فشهدت على زوجها بانه سكر فقال عمر لقدامة أريد أن أحدك فقال ليس لك ذلك لقول الله عز وجل ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا فقال له عمر أخطأت التأويل فان بقية الآية اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات فانك ان اتقيت اجتنبت ما حرم الله تعالى عليك ثم أمر به فحد فغاضبه قدامة ثم جاجيعا فى يوم استيقظ عمر رضى الله عنه من نومه فزعا فقال عجلوا بقدامة أتانى آت فقال صالح قدامة فانه أخوك فاصطلحا أى وقد احتج بهذه الآية أيضا جمع من الصحابة شربوا الخمر وهم أبو جندل وضرار ابن الخطاب وأبو الازور فاراد أبو عبيدة رضى الله عنه وهو وال بالشام أن يحدهم فقال أبو جندل ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات فكتب أبو عبيدة الى عمر بذلك وقال خصمنى أبو جندل بهذه الآية فكتب عمر لابى عبيدة ان الذى زين لابى جندل الخطيئة زين له الخصومة فاحدهم فلما أراد أبو عبيدة أن يحدهم قال أبو الازور لابى عبيدة دعنا نلقى العدو غدا فان قتلنا فذاك وان رجعنا اليكم فحدونا فلقوا العدو فاستشهد أبو الازور وحد الآخران وفى حواشى البخارى للحافظ الدمياطى أن نعيمان كان ممن شهد بدرا وسائر المشاهد وأتى به فى شربه الخمر الى رسول الله صلى الله عليه

الله عنه وقال له سر حتى تنتهي الى مصاب أصحاب بشير فان أظفرك الله بهم فلا تبق فيهم وهيأ معه مائتي رجل وعقد له لواء فقدم غالب بن عبد الله من سرية الكديد وقد أظفره الله عليهم فقال صلى الله عليه وسلم للزبير اجلس وبعث غالبا ومعه مائتا رجل فاغاروا عليهم مع الصبح وذلك انه لما دنا منهم بعث الطلائع ومعهم علبة بن الحرث الى محالهم فاشرف على جماعة منهم ثم رجع وأخبره الخبر وروى ابن سعد عن حويصة رضي الله عنه قال بعثني صلى الله عليه وسلم في سرية مع غالب الى بني مرة فاغرنا عليهم مع الصبح وقد أخذ علينا أميرنا ان لا نفترق وآخى بيننا وقال لا تعصوني فانه صلى الله عليه وسلم قال من أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصاه فقد عصاني وانكم متى ما تعصوني فانكم تعصون نبيكم فآخى بيني وبين أبي سعيد الخدري رضي الله عنه فاصبنا القوم وروى أنه لما دنا من القوم حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال أما بعد فاني أوصيكم بتقوى الله وحده لا شريك له وان تطيعوني ولا تعصوني ولا تخالفوا لي أمرا فانه لا رأي لمن لا يطاع ثم ألف بين كل اثنين وقال لهم لا يفارق أحد منكم زميله واذا كبرت فكبروا فلما أحاط بالقوم كبر غالب فكبروا معه وجردوا السيوف فخرج الرجال فقاتلوا ساعة ووضع المسلمون فيهم السيف وكان شعارهم أمت أمت وقتلوا منهم قتلى وأصابوا منهم نعما وشاء وذرية فساقوها وكانت سهامهم عشرة أبعرة لكل رجل أو عدلها من الغنم لكل بعير عشرة والله أعلم

﴿ثم سرية شجاع بن وهب الاسدي رضي الله عنه﴾

الى جمع من هوازن يقال لهم بنو عامر بالسين بكسر السين المهملة ثم همزة ممدودة وهو ماء من ذات عرق على ثلاثة مراحل من مكة في شهر ربيع الاول سنة ثمان ومعه أربعة وعشرون رجلا وأمره أن يغير عليهم فكان يسير الليل ويكمن النهار حتى صبحهم فاصابوا نعما كثيرا وشاء واستاقوا ذلك حتى قدموا المدينة وكانت غيبتهم خمس عشرة ليلة واقتسموا الغنيمة وكانت سهامهم خمسة عشر بعيرا وعدلوا البعير بعشرة من الغنم والله أعلم

﴿ثم سرية كعب بن عمير الغفاري رضي الله عنه﴾

الى ذات اطلاح من أرض الشام وراء ذات القرى في ربيع الاول سنة ثمان في خمسة عشر رجلا فسار واحتى انتهوا الى ذات اطلاح

وسلم فخذه أربعا أو خمسا أي من المرات فقال رجل من القوم اللهم العنه ما أكثر ما يشرب وأكثر ما يحد فقال عليه الصلاة والسلام لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله ولعل هذا التعليل لا ينظر لمفهومه وعند الامام أحمد رحمه الله عن حفصة رضي الله تعالى عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اني لارجو ان لا يدخل النار ان شاء الله تعالى أحد شهد بدرا والحديبية واعمل الواو بمعنى أو ويدل لذلك ما في بعض الروايات عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة ولا ينافي ما في مسلم والترمذي عن جابر أن عبدا لحاطب جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو حاطبا اليه فقال يا رسول الله ليدخلن حاطب النار فقال كذبت لا يدخلها فانه شهد بدرا والحديبية لانه يجوز أن يكون ذلك لكونه أي الجمع بين بدر والحديبية هو الواقع لحاطب وفي الطبراني عن رافع بن خديج رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر والذي نفسي بيده لو أن مولودا ولد في فقه أربعين سنة من أهل الدين يعمل بطاعة الله تعالى كلها ويجتنب معاصي الله كلها الى أن يرد الى أرذل العمر أو يرد الى أن لا يعلم بعد علم شيأ لم يبلغ أحدكم هذه الليلة وكان صلى الله عليه وسلم يكرم أهل بدر ويقدمهم على غيرهم ومن ثم جاء جماعة من أهل بدر للنبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في صفة ضيقة ومعه جماعة من أصحابه فوقفوا بعد ان سلموا ليفسح لهم القوم فلم يفعلوا فشق قيامهم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال لمن لم يكن من أهل بدر من الجالسين قم يا فلان قم يا فلان بعدد الواقفين فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الكراهة في وجه من أقامه فقال رحم الله رجلا يفسح لاخيه فنزل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم واذا قيل انشزوا فانشزوا والآية فجعلوا يقومون لهم بعد ذلك أي ولعل المراد يجلسونهم مكانهم وفي الخصائص الصغرى وخص أهل بدر من أصحابه صلى الله عليه وسلم بأن يزادوا في الجنازة على أربع تكبيرات تمييزا لهم لفضلهم وقد ذكر أن عمر بن عبد العزيز بن مروان كان يختلف الى عبيد الله بن عبد الله ليسمع منه فبلغ عبيد الله أن عمر ينتقص عليا رضي الله تعالى عنه فأتاه عمر فاعرض عبيد الله عنه وقام ليدخل فجلس عمر ينتظره فلما سلم أقبل عليه وقال له متى بلغك ان الله سخط على أهل بدر بعد أن رضي عنهم فقوموا عمر وقال معذرة الى الله واليك والله لا أعود فما سمع بعد ذلك يذكر عليا كرم الله وجهه الا بخير

﴿غزوة بني سليم﴾

ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من بدر لم يقم الا سبع ليال حتى غزا بنفسه يريد بني سليم واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري أو ابن أم مكتوم أي وفي رواية أبي داود ان استخلاف ابن أم مكتوم انما كان على الصلاة بالمدينة دون القضايا والاحكام فان الضرير

فوجدوا جمعا كثيرا وكان يكمن النهار ويسير الليل حتى دنا من القوم فرآه عين لهم فاخبر بقلة الصحابة فجاؤا على الخيل فدعاهم المسلمون الى الاسلام فلم يستجيبوا لهم ورشقوهم بالنبل فقاتلهم الصحابة أشد القتال حتى قتلوا ونجا منهم رجل جريح فى القتلى قال ابن سعد هو الامير فلما برد عليه الليل تحامل حتى أتى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر فشق عليه ذلك وهم بالبعث اليهم فبلغه انهم سار وا الى موضع آخر فتركهم والله أعلم ﴿ثم سرية مؤتة﴾ وسماها البخارى وابن اسحق غزوة مؤتة لكثرة جيش

المسلمين فيها وان لم يخرج فيها النبى صلى الله عليه وسلم وهى بضم الميم وسكون الواو وأهمز بدلها آخرها هاء وهى من عمل البلقاء وهى مدينة معروفة بالشام على مرحلتين من بيت المقدس وكانت فى جمادى الاولى سنة ثمان وسببها ان النبى صلى الله عليه وسلم كان أرسل الحرث بن عمير الازدى بكتاب الى أمير بصرى من جهة هرقل وهو الحرث بن أبى شمر الغسانى فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغسانى فقال له أين تريد فقال الشام فقال لعلك من رسل محمد قال نعم فأمر به فأوثق رباطا ثم قدمه فضرب عنقه ولم يقتل لرسول الله صلى الله عليه وسلم رسول غيره فاشتد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم مولاه زيد بن حارثة رضى الله عنه على ثلاثة آلاف وندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس وقال ان قتل زيد فالامير جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه فان قتل فعبد الله بن رواحة فان قتل فليرتض المسلمون رجلا من بينهم يجعلونه عليهم أميرا وكان ممن حضر يهودى اسمه المعمان فقال يا محمد ان كنت سميت من سميت أصبتم اجميعا لان أنبياء بنى اسرائيل كانوا اذا استعملوا الرجل على القوم ثم قالوا ان أصيب فلان فلو سمعوا مائة أصيبوا اجميعا ثم جعل يقول لزيد اعهد اى أوص فانك لا ترجع الى محمد ان كان نبيا قال زيد اشهد انه رسول صادق بار وعقد لهم صلى الله عليه وسلم لواء أبيض ودفعه الى زيد وأوصاهم أن يأتوا مقتل الحرث بن عمير وان يدعوا من هناك الى الاسلام فان أجابوا والا فاستعينوا عليهم بالله وقاتلوهم فأسرع الناس بالخروج وعسكروا بالجرف وهو موضع على ثلاثة أميال من المدينة لجهة الشام وخرج صلى الله عليه وسلم مشيعا لهم حتى بلغ ثنية الوداع فوقف وودعهم وقال أوصيكم بتقوى الله وبمن معكم

قال

لا يجوز له أن يحكم بين الناس لانه لا يدرك الاشخاص ولا يثبت الاعيان ولا يدرى لمن يحكم ولا على من يحكم أى فامر القضايا والاحكام يجوز ان يكون فرضه صلى الله عليه وسلم لسباع فلا مخالفة فلما بلغ ماء من مياههم يقال له الكدر أى وقيل لهذا الماء الكدر لان به طيرا فى ألوانها كدرة فاقام صلى الله عليه وسلم على ذلك ثلاث ليال ثم رجع الى المدينة ولم يلق حربا أى وكان لواؤه صلى الله عليه وسلم أبيض حمله على بن أبى طالب كرم الله وجهه وكان فى تلك السنة تزويج على بفاطمة رضى الله تعالى عنهما أى عقد عليها فى رمضان وقيل فى رجب ودخل بها فى ذى الحجة وقيل بعد أن تزوجها بنى بها بعد سبعة أشهر ونصف أى فيكون عقد عليها فى أول جمادى الاولى وكان عمرها خمس عشرة سنة وكان سن على يومئذ احدى وعشرين سنة وخمسة أشهر أى وأولم عليها بكبش من عند سعد وآصع من ذرة من عند جماعة من الانصار ولما خطبها على قال صلى الله عليه وسلم ان عليا يخطبك فسكتت أى وفى رواية قال لها أى بنية ان ابن عمك عليا قد خطبك فماذا تقولين فبكت ثم قالت كأنك يا أبت انما ادخرتنى لفقير قريش فقال صلى الله عليه وسلم والذى بعثنى بالحق ما تكلمت فى هذا حتى أذن لى الله فيه من السماء فقالت فاطمة رضى الله عنها رضيت بما رضى الله ورسوله وقد كان خطبها أبو بكر ثم عمر فسكت صلى الله عليه وسلم وفى رواية قال لكل انتظرها القضاء فجاء أى أبو بكر وعمر رضى الله عنهما الى على كرم الله وجهه يأمراه ان يخطبها قال على فنهانى لامر كنت عنه غافلا فجئته صلى الله عليه وسلم فقلت تزوجنى فاطمة قال وعندك شئ قلت فرسى وبدنى أى درعى قال أما فرسك فلا بد لك منها واما بدنك فبعها فبعتها بار بعمائة وثمانين درهما فجئته صلى الله عليه وسلم بها فوضعها فى حجره فقبض منها قبضة فقال أى بلال ابتع لنا بها طيبا وفى رواية لما خطبها قال له صلى الله عليه وسلم ما تصدقها وفى لفظ هل عندك شئ تستحلها به قال ليس عندى شئ قال فأين درعك الحطمية التى أعطيتك يوم كذا وكذا قال عندى فباعها من عثمان بن عفان بار بعمائة وثمانين درهما ثم ان عثمان رضى الله عنه رد الدرع الى على كرم الله وجهه فجاء على بالدرع والدراهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا لعثمان بدعوات وفى فتاوى الجلال السيوطى انه سئل هل لصحة ما قيل ان عثمان بن عفان رأى درع على رضى الله تعالى عنهما يباع بار بعمائة درهم ليلة عرسه على فاطمة رضى الله عنها فقال عثمان هذا درع على فارس الاسلام لا يباع أبدا فدفع لغلام على أربعمائة درهم وأقسم ان لا يخبره بذلك ورد الدرع معه فلما أصبح عثمان وجد فى داره أربعمائة كيس فى كل كيس أربعمائة درهم مكتوب على كل درهم هذا ضرب الرحمن لعثمان بن عفان فاخبر جبريل النبى صلى الله عليه وسلم بذلك فقال هنيئا لك يا عثمان وفيها أيضا ان عليا خرج ليبيع ازار فاطمة ليأكل بثمنه فباعه بستة دراهم فسأله سائل فاعطاه اياها فجاء جبريل فى صورة اعرابى ومعه ناقة فقال يا أبا الحسن اشتر هذه الناقة قال ما معى ثمنها قال الى أجل فاشتراها بمائة ثم عرض له ميكائيل فى صورة رجل فى طريقه فقال أتبيع هذه الناقة

من المسلمين خيرا اعزوا باسم الله فى سبيل الله من كفر بالله لا تغدروا ولا تغلوا ولا تقتلوا وليدا ولا امرأة ولا كبيرا فانيا ولا منعزلا
به ومعة ولا تقربوا نخلا ولا تقطعوا شجرا ولا تهدموا بناء ولما ودع ابن رواحة بكى رضى الله عنه فقالوا ما يبكيك فقال أما والله ما بى
حب الدنيا ولا صبابة بكم ولكنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ آية وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا فلست
أدرى كيف لى بالصدر بعد الورود فلما سار وا نادى المسلمون دفع الله عنكم ٢٢٩ وردكم صالحين غانمين فقال عبد الله بن

قال نعم قال بكم اشتريتها قال بمائة قال آخذها بمائة وثلث من الربح ستون فباعها له فعرض له
جبريل فقال بعت الناقة قال نعم قال ادفع الى دينى فدفع له مائة ورجع بستين فقالت له فاطمة
من أين لك هذا قال ضاربت مع الله بستة فاعطانى ستين ثم جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم
فأخبره بذلك فقال البائع جبريل والمشترى ميكائيل والناقة لفاطمة تركبها يوم القيامة أصل
أم لا فأجاب عن ذلك كله بانه لم يصح أى وهى تصدق بان ذلك لم يرد فهو من الكذب الموضوع
ولما أراد صلى الله عليه وسلم أن يعقد خطب خطبة منها الحمد لله المحمود بنعمته المعبود بقدرته
الذى خلق الخلق بقدرته وميزهم بحكمته ثم ان الله عز وجل جعل المصاهرة نسبا وصهرا
وكان ربك قديرا ثم ان الله أمرنى أن أزوج فاطمة من على أربعمائة مثقال فضة
أرضيت يا على قال رضيت بعد أن خطب على كرم الله وجهه أيضا خطبة منها الحمد لله شكرا
لانعمه وآياديه وأشهد أن لا اله الا الله شهادة تبلغه وترضيه أى وفى رواية أنه صلى الله عليه
وسلم قال يا على اخطب لنفسك فقال على الحمد لله الذى لا يموت وهذا محمد رسول الله صلى الله
عليه وسلم زوجنى ابنته فاطمة على صداق مبلغه أربعمائة درهم فاسمعوا ما يقول واشهدوا
قالوا ما تقول يا رسول الله قال أشهدكم انى قد زوجته كذا رواه ابن عساكر قال الحافظ ابن كثير
وهذا خبر منكر وقد ورد فى هذا الفصل أحاديث كثيرة منكرة وموضوعة ضربنا عنها ولما
تم العقد دعا صلى الله عليه وسلم بطبق بسر فوضع بين يديه ثم قال للحاضرين انتهبوا وقول على
كرم الله وجهه نهبانى لا مر كنت عنه غافلا لا ينافى ما روى عن أسماء بنت عميس انها قالت
قيل لعلى ألا تتزوج بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالى صفراء ولا بيضاء ولست بمأبور
بالباء الموحدة يعنى غير الصحيح الدين ولا المتهم فى الاسلام أى لا أخشى الفاحشة اذا لم أتزوج
وليلة بنى بها قال صلى الله عليه وسلم لعلى لا تحدث شيأ حتى تلقانى فجاءت بها أم أيمن حتى قعدت فى
جانب البيت وعلى فى جانب آخر وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لفاطمة ائتينى بماء
فقامت تعثر فى ثوبها وفى لفظ فى مرطها من الحياء فاتته بقعب فيه ماء فأخذه رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومج فيه ثم قال لها تقدمى فتقدمت فنضح بين ثديها وعلى رأسها وقال
اللهم انى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ثم قال ائتونى بماء فقال على كرم الله وجهه
فعلمت الذى يريد فقمت وملأت القعب فأتيته به فاخذه فمج فيه وصنع بى كما صنع بفاطمة
ودعا لى بما دعا لها به ثم قال اللهم بارك فيهما وبارك عليهما وبارك لهما فى شملهما أى الجماع
وتلا قل هو الله أحد والمعوذتين ثم قال ادخل باهلك باسم الله والبركة وكان فراشها اهاب كبش
أى جلده وكان لهما قطيفة اذا جعلاها بالطول انكشفت ظهورهما واذا جعلاها بالعرض
انكشفت رؤسهما ثم مكث صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام لا يدخل على فاطمة وفى اليوم الرابع
دخل عليهما فى غداة باردة وهما فى تلك القطيفة فقال لهما كما أنتما وجلس عند رأسهما ثم
أدخل قدميه وساقيه بينهما فأخذ على كرم الله وجهه احداهما فوضعها على صدره وبطنه

لكننى أسأل الرحمن مغفرة
وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا
أو طعنة بيدى حران مجهزة
بحربة تنفذ الاحشاء والكبدا
حتى يقال اذا مروا على جدثى
يا أرشد الله من غاز وقد رشدا

وفى رواية ان عبد الله بن رواحة
لما أراد وداع النبى صلى الله عليه
وسلم وفراقه قال له النبى صلى الله
عليه وسلم قل شعرا تقتضبه اقتضابا
أى من غير روية فقال
انى تفرست فيك الخير نافلة
فراسة خالفت فيك الذى نظروا
أنت الرسول فمن يحرم نوافله
والوجه منه فقد أزرى به القدر
فثبت الله ما آتاك من حسن
تثبيت موسى ونصرا كالذى نصروا

فقال له صلى الله عليه وسلم وأنت
فثبتك الله يا ابن رواحة وروى
الامام أحمد عن ابن عباس رضى
الله عنهما ان ابن رواحة تخلف
حتى صلى الجمعة مع النبى صلى الله
عليه وسلم فلما صلى رآه فقال ما منعك
ان تغدو مع أصحابك قال اردت ان
أصلى معك الجمعة ثم ألحقهم فقال
صلى الله عليه وسلم لو أنفقت ما فى
الارض جميعا ما أدركت غدوتهم
وفى رواية لغدوة فى سبيل الله
او روحة خير من الدنيا وما فيها
فلما فصلوا من المدينة سمع العدو

بمسيرهم وقام شرحبيل بن عمرو الغسانى بجمع أكثر من مائة ألف وقدم الطلائع امامه فلما نزل المسلمون وادى القرى بعث أخاه
سدوس بن عمرو فى خمسين من الكفار فاقتتلوا مع المسلمين وقتل سدوس وانكشف أصحابه ونزل المسلمون معان وبلغهم كثرة العدو
فأقاموا على معان ليلتين ومعان بفتح الميم موضع أو جبل من أرض الشام وبلغ المسلمين ان هرقل نزل بأرض البلقاء فى مائة ألف من
مشركى الروم مع ما انضم اليهم من لخم وجذام وقيس وبهرام يبلغون مائة ألف وهم الذين جمعهم شرحبيل وجاء فى رواية ان القوم

كانوا مائتي ألف من الروم وخمسين ألفا من العرب ومعهم خيول كثيرة فقال المسلمون نكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره الخبر فاما أن يمدنا بالرجال واما أن يأمرنا بأمر فنمضي له فشجعهم عبد الله بن رواحة رضي الله عنه على المضي وقال يا قوم والله ان التي تكرهون للتي خرجتم اياها تطلبون الشهادة وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ما نقاتلهم الا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به فانطلقوا فاغاهي احدى الحسنيين ٢٣٠ اما ظهور واما شهادة فقال الناس قد والله صدق ابن رواحة رضي الله عنه فمضوا الى مؤتة ووافاهم المشركون فجاء منهم من لا قبل لاحد به من العدد الكثير الزائد على مائتي ألف والسلاح والكراع أي الخيل والديباج والحرير والذهب اظهارا للقوة والشدة بكثرة أموالهم وآلات حروبهم وفي هذا دليل على فرط شجاعة الصحابة رضي الله عنهم وقوة قلوبهم وتوكلهم على ربهم وعدم مبالاتهم بأنفسهم لانهم باعوها لله تعالى اذ أقدم ثلاثة آلاف على أكثر من مائتي ألف أصحاب حروب وشدة وهذا انما هو لما وقر في قلوبهم واطمأنت عليه نفوسهم من الثقة بقول الله تعالى انا لننصر رسلنا والذين آمنوا وقوله وان جندنا لهم الغالبون وقوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين والتقى المسلمون والمشركون فقاتل الامراء الثلاثة يومئذ على أرجلهم فأخذ اللواء زيد بن حارثة رضي الله عنه فقاتل وقاتل المسلمون معه على صفوفهم حتى قتل طعنا بالرماح رضي الله عنه ثم أخذ اللواء جعفر ابن أبي طالب رضي الله عنه فقاتل به وهو على فرسه فأجلم القتال وأحاط به فنزل عن فرس له شقراء فعقرها وقاتل حتى قتل وعمره ثلاث وثلاثون سنة وكان أسن من علي رضي الله عنه بعشر سنين وقيل كان عمره أربعين وقيل احدى وأربعين وكان رضي الله عنه حين اشتد القتال واحاط به العدو يقاتل ويقول

قدمت

يا حبذا الجنة واقترابها * طيبة وبارد شرابها * والروم روم قد دنا عذابها * كافرة بعيدة أنسابها * علي اذ لاقيتها ضرابها

وانما عقر فرسه خوفا ان يأخذه الكفار فيقاتلوا عليه المسلمين ولان يقاتل ولا يفر ففيه دليل على فرط شجاعته رضي الله عنه ولما أخذ اللواء قاتل قتالا شديدا فقطعت يمينه فأخذه بيساره فقطعت يساره فاحتضنه وقاتل حتى قتل رضي الله عنه ووجد فيه بضع

ليد فئها وأخذت فاطمة رضي الله عنها الاخرى فوضعتها كذلك وقالت له في بعض الايام يا رسول الله ما لنا فراش الا جلد كبش ننام عليه بالليل ونعلف عليه ناضحنا بالنهار فقال لها صلى الله عليه وسلم يا بنية اصبري فان موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام أقام مع امرأته عشر سنين ليس لهم فراش الا عباءة قطوانية أي وهي نسبة الى قطوان موضع بالكوفة أي ولعل العباءة التي كانت تجلب من ذلك الموضع كانت صفيقة وعن علي رضي الله تعالى عنه لم يكن لي خادم غيرها وعنه رضي الله تعالى عنه لقد رأيتني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وانى لاربط الحجر على بطني من الجوع وان صدقتي اليوم لتبلغ أربعين ألف دينار ولعل المراد في السنة قال الامام أحمد بن حنبل ما ورد لاحد من الصحابة ما ورد لعلي رضي الله تعالى عنه أي من ثنائه صلى الله عليه وسلم عليه وسبب ذلك أنه كثرت أعداؤه والطاعنون عليه من الخوارج وغيرهم فاضطر لذلك الصحابة أن يظهر كل منهم من فضله ما حفظه ردا على الخوارج وغيرهم وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ما نزل في أحد من الصحابة من كتاب الله ما نزل في علي نزل في ثلثمائة آية وعن ابن عباس رضي الله عنهما كل ما تكلمت به في التفسير فانما أخذته عن علي كرم الله وجهه ومن كلماته البديعة الوجيزة لا يخافن أحد الا ذنبه ولا يرجون الا ربه ولا يستحي من لا يعلم أن يتعلم ولا من يعلم اذا سئل عما لا يعلم أن يقول الله أعلم ما أبردها على الكبد اذا سئلت عما لا أعلم أن أقول الله أعلم ومن ذلك العالم من عمل بما علم ووافق علمه عمله وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم تخالف سريرتهم علانيتهم ويخالف علمهم عملهم يجلسون حلقا فيباهي بعضهم بعضا حتى ان الرجل ليغضب على جليسه ان يجلس الى غيره ويدعه أولئك لا تصعد أعمالهم من مجالسهم تلك الى الله وقال صلى الله عليه وسلم لعلي يهلك فيك رجلان محب مطر وكذاب مفتر مكره لك يأتي بالكذب المفتري وقال له يا علي ستفترق أمتي فيك كما افترقت في عيسى بن مريم وجاء أنه صلى الله عليه وسلم قال ان بني هشام بن المغيرة استأذنوني في أن ينكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب فلا آذن ثم لا آذن الا ان يريد ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم فانما هي بضعة مني يريبني ما أرابها ويؤذيني ما آذاها

﴿غزوة بني قينقاع﴾

بضم النون وقيل بكسرها أي وقيل بفتحها فهي مثلثة النون والضم اشهر قوم من اليهود وكانوا أشجع يهود وكانوا صاغة وكانوا حلفاء عبادة بن الصامت رضي الله عنه وعبد الله بن أبي ابن سلول فلما كانت وقعة بدر أظهروا البغي والحسد ونبذوا العهد اي لانه صلى الله عليه وسلم كان عاهدهم وعاهد بني قريظة وبني النضير أن لا يحاربوه وان لا يظاهروا عليه عدوه وقيل على أن لا يكونوا معه ولا عليه وقيل على أن ينصروه صلى الله عليه وسلم على من دهمه من عدوه أي كما تقدم فهم أول من غدر من يهود فانه مع ما هم عليه من العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم

وسبعون وفى رواية وتسعون جرحا ما بين ضربة بسيف وطعنة برمح ليس فيها شئ فى دبره ولا ظهره أى ليس منها شئ فى حال الادبار بل كلها فى حال الاقبال لمزيد شجاعته ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة رضى الله عنه ثم تقدم به وهو على فرسه فجعل يستنزل نفسه ويتردد بعض التردد ثم قال

أقسمت يا نفس لتنزلنه * لتنزلن أو لتكرهنه ان اجلب الناس وشدوا الرنه *

مالى أراك تكرهين الجنه قد طالما قد كنت مطمئنه * هل انت الا نطفة فى شنه ٢٣١ (وقال أيضا) يا نفس الا تقتلى تموتى

هذا حمام الموت قد صليت

وما تمنيت فقد أعطيت

ان تفعلى فعلهما هديت

يريد صاحبيه زيدا وجعفرا رضى الله عنهما ثم نزل عن فرسه فاتاه ابن عم له بعرق من لحم فقال شد بهذا صلبك فانك قد لقيت أيامك هذه ما لقيت فأخذه من يده ثم انتهس منه نهسة ثم سمع الحطمة فى الناس فقال وانت فى الدنيا ثم ألقاه من يده وأخذ سيفه فقاتل حتى قتل رضى الله عنه روى سعيد بن منصور انهم دفنوا يومئذ فى قبر واحد زيدا وجعفرا وعبد الله بن رواحة رضى الله عنهم وفى الصحيح وما يسرهم انهم عندنا أى لما رأوا من فضل الشهادة ثم أخذ اللواء ثابت بن أقرم العجلانى البلوى حليف الانصار وكان من أهل بدر رضى الله عنهم وقال يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم قالوا انت قال ما أنا بفاعل فاصطلحوا على خالد بن الوليد رضى الله عنه وفى رواية ان ثابتا مشى باللواء الى خالد وقال انت اعلم بالقتال منى فلم يقبل خالد اللواء وقالت انت احق به منى لانك ممن شهد بدرا فنادى ثابت يا معشر المسلمين فاجتمع الناس على خالد ابن الوليد رضى الله عنه وسلموه اللواء فأخذه وفى الصحيح حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله ففتح

قدمت امرأة من العرب بجلب لها أى وهو ما يجلب ليباع من ابل وغنم وغيرها ٥ فباعته بسوق بنى قينقاع وجلست الى صائغ منهم أى وفى الامتاع ان المرأة كانت زوجة لبعض الانصار أى ومعلوم ان الانصار كانوا بالمدينة أى وقد يقال لا مخالفة لجواز أن تكون زوجة بعض الانصار من الاعراب وانها جاءت بجلب لها فجعلوا أى جماعة منهم يراودونها عن كشف وجهها فابت فعمد الصائغ الى طرف ثوبها فعقده الى ظهرها قال وفى رواية خله بشوكة وهى لا تشعر فلما قامت انكشفت سوأتها فضحكوا منها فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله وشدت اليهود على المسلم فقتلوه فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود فغضب المسلمون أى وتقدم وقوع مثل ذلك وأنه كان سببا لوقوع حرب الفجار الاول ولما غضب المسلمون على بنى قينقاع أى وقال لهم صلى الله عليه وسلم ما على هذا أقررناهم تبرأ عبادة بن الصامت رضى الله عنه من حلفهم أى قال يا رسول الله أتولى الله ورسوله والمؤمنين وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار ٥ وتشبث به عبد الله بن أبى ابن سلول أى لم يتبرأ من حلفهم كما تبرأ منه عبادة بن الصامت أى وفيه نزلت يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض الى قوله فان حزب الله هم الغالبون فجمعهم صلى الله عليه وسلم وقال لهم يا معشر يهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة أى ببدر وأسلموا فانكم قد عرفتم أنى مرسل تجدون ذلك فى كتابكم وعهد الله تعالى اليكم قالوا يا محمد انك ترى أنا قومك أى تظننا أنا مثل قومك ولا يغرنك انك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فاصبت لهم فرصة انا والله لو حاربناك لتعلمن انا نحن الناس وفى لفظ لتعلمن أنك لم تقاتل مثلنا أى لانهم كانوا أشجع اليهود واكثرهم أموالا واشدهم بغيا فانزل الله تعالى قل للذين كفروا ستغلبون الآية أى وانزل الله وامانخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء الآية فتحصنوا فى حصونهم فسار اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولواؤه وكان أبيض بيد عمه حمزة بن عبد المطلب رضى الله تعالى عنه قال ابن سعد ولم تكن الرايات يومئذ وقد قدمنا ان هذا يرده ما تقدم فى ضمن غزاة بدر من انه كان امامه رايتان سوداوتان احداهما مع على ويقال لها العقاب ولعلها سميت بذلك فى مقابلة الراية التى كانت فى الجاهلية تسمى بهذا الاسم ويقال لها راية الرؤساء لانه كان لا يحملها فى الحرب الا رئيس وكانت فى زمنه صلى الله عليه وسلم مختصة بابى سفيان رضى الله عنه لا يحملها فى الحرب الا هو أو رئيس مثله اذا غاب كما فى يوم بدر والاخرى مع بعض الانصار وسيأتى فى خيبر أن العقاب كان قطعة من برد لعائشة رضى الله عنها واستخلف صلى الله عليه وسلم على المدينة أبا لبابة وحاصرهم خمس عشرة ليلة أشد الحصار لان خروجه صلى الله عليه وسلم كان فى نصف شوال واستمر الى هلال ذى القعدة الحرام فقذف الله فى قلوبهم الرعب وكانوا أربعمائة حاسر وثلثمائة دارع فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخلى سبيلهم وأن يجلوا من المدينة أى يخرجوا منها وان لهم نساءهم والذرية وله صلى الله عليه وسلم الاموال أى ومنها الحلقة

الله عليهم وانكشف الناس فكانت الهزيمة قال الحاكم قاتلهم خالد بن الوليد قتالا شديدا فقتل منهم مقتلة عظيمة وأصاب غنيمة عظيمة وانقطع فى يد خالد يومئذ تسعة أسياف حتى ما بقى فى يده الا صفيحة يمانية وانهزم المشركون أسوأ هزيمة ما روى مثلها قط حتى وضع المسلمون أسيافهم حيث شاؤا وجاء فى رواية انه لما قتل عبد الله بن رواحة تفرق المسلمون وانهزموا حتى لم ير اثنان جميعا ثم لما اجتمعوا على خالد هزم الله المشركين وفى رواية انه لما أصبح خالد بن الوليد جعل مقدمته ساقة وميمنته ميسرة فأنكر العدو جاههم وقالوا جاءهم

مدد فرعبوا وانكشفوا منهزمين وغنم المسلمون أكثر ما كان معهم وكان جملة من قتل من المسلمين اثنى عشر رجلا وهذا من عناية الله بالاسلام وأهله ومزيد اعزازه ونصره لهم اذ جيش عدته ثلاثة آلاف يلقون أكثر من مائتى ألف فلا يقتل منهم الا اثنا عشر رجلا مع انهم اقتتلوا مع المشركين سبعة أيام وأما قتلى المشركين فلا يحصون فكانت هذه السرية من أعظم معجزاته صلى الله عليه وسلم الباهرة التى أكرم الله بها أصحابه رضى الله عنهم ورفعت الارض يومئذ لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نظر الى معترك القوم فاخبر أصحابه وذلك انه لما اطلع على ذلك نادى فى الناس الصلاة جامعة ثم صعد المنبر وعيناه تذرفان وقال يا أيها الناس باب خير باب خير باب خير ثلاثا أخبركم عن جيشكم هذا الغازى انهم انطلقوا فلقوا العدو فقتل زيد شهيدا فاستغفروا له ثم أخذ الراية جعفر فشد على القوم حتى قتل شهيدا فاستغفروا له ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة وأثبت قدميه حتى قتل شهيدا فاستغفروا له ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد ولم يكن من الامراء وهو أمير نفسه ولكنه سيف من سيوف الله فاتاب بنصره وفى رواية ثم أخذ الراية خالد بن الوليد نعم عبد الله واخو العشيرة وسيف من سيوف الله سله الله على الكفار والمنافقين من غير امرة حتى فتح الله عليهم وفى رواية قال اللهم انه سيف من سيوفك فانصره فمن يومئذ سمى خالد سيف الله وفى لفظ ثم أخذ اللواء سيف من سيوف الله تبارك وتعالى ففتح الله على يديه وعن عبد الله بن أبى أوفى رضى الله عنهما قال اشتكى عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه خالد بن الوليد رضى الله عنه الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا خالد لم تؤذى رجلا من أهل بدر لو أنفقت مثل أحد ذهبا لم تدرك عمله فقال يا رسول الله انهم يقعون فى فارد عليهم فقال لا تؤذوا خالدا فانه سيف من سيوف الله صبه الله على الكفار قال بعضهم كون ما وقع يوم مؤتة فتحا ونصرا واضحا لاحاطة العدو بهم وتكاثرهم عليهم لانهم كانوا أكثر من مائتى ألف والصحابة رضى الله عنهم ثلاثة آلاف وكان مقتضى العادة انهم يقتلون بالكلية وجاء فى رواية أصاب خالد منهم مقتلة عظيمة وأصاب غنيمة وهذا لا يخالف ما جاء ان طائفة من الصحابة فروا الى المدينة لما عاينوا كثرة جموع الروم فصار أهل المدينة يقولون لهم انتم الفرارون

التى هى السلاح والظاهر من كلامهم أنه لم يكن لهم نخيل ولا ارض تزرع وخمست أموالهم أى مع كونها فيأ له صلى الله عليه وسلم لانها لم تحصل بقتال ولا جلوا عنها قبل التقاء الصفين فكان له صلى الله عليه وسلم الخمس ولاصحابه الاربعة الاخماس (أقول) ولا يخفى ان من جملة أموالهم دورهم ولم أقف على نقل صريح دال على ما فعل بها وعلم أنه صلى الله عليه وسلم جعل هذا الفىء كالغنيمة ومذهبنا معاشر الشافعية ان الفىء المقابل للغنيمة كالواقع فى هذه الغزوة وغزوة بنى النضير الآتية كان فى زمنه صلى الله عليه وسلم يقسم خمسة أقسام له صلى الله عليه وسلم أربعة منها والقسم الخامس يقسم خمسة أقسام له صلى الله عليه وسلم منها قسم فيكون له أربعة أخماس وخمس الخمس والاربعة الاخماس الباقية من الخمس منها واحد لذوى القربى وآخر لليتامى وآخر للمساكين وآخر لابن السبيل فجميع مال الفىء مقسوم على خمسة وعشرين سهما منها احد وعشرون سهما لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأربعة اسهم لاربعة أصناف هم ذوو القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ولعل امامنا الشافعى رضى الله عنه رأى ان ذلك كان أكثر أحواله صلى الله عليه وسلم والا فهو هنا وفى بنى النضير كما سيأتى لم يفعل ذلك بل خمسه هنا وثم استقل به أى لم يعط الجيش منه وقد جعل صلى الله عليه وسلم سهم ذوى القربى بين بنى هاشم أى وبنات هاشم وبنى أى وبنات المطلب دون بنى اخويهما عبد شمس ونوفل مع ان الاربعة أولاد عبد مناف كما تقدم ولما فعل ذلك جاء اليه صلى الله عليه وسلم جبير بن مطعم من بنى نوفل وعثمان بن عفان من بنى عبد شمس فقالا يا رسول الله هؤلاء اخواننا من بنى هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذى وضعك الله منهم أرأيت اخواننا من بنى المطلب أعطيتهم وتركتنا وفى لفظ ومنعتنا وانما قرابتنا وقرابتهم واحدة وفى رواية ان بنى هاشم شرفوا بمكانك منهم وبنو المطلب ونحن ندلى اليك بنسب واحد ودرجة واحدة فبم فضلتهم علينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما بنو هاشم وبنو المطلب شىء واحد هكذا وشبك بين أصابعه زاد فى رواية انهم لم يفارقونا فى جاهلية ولا فى اسلام أى لان الصحيفة انما كتبت على بنى هاشم والمطلب لانهم هم الذين قاموا دونه صلى الله عليه وسلم ودخلوا الشعب وبعده صلى الله عليه وسلم صار الفىء أربعة أخماس للمرتزقة المرصدة للجهاد وخمس الخمس الخامس لمصالح المسلمين والخمس الثانى منه لذوى القربى والخمس الثالث منه لليتامى والخمس الرابع منه للمساكين والخمس الباقى منه لابن السبيل ثم لا يخفى أنه صلى الله عليه وسلم اذا كان مع الجيش وغنم شيأ بقتال أو ايجاف خيل أو جلا عنه أهله بعد التقاء الصفين كان من خصائصه صلى الله عليه وسلم أن يختار من ذلك قبل قسمته ويقال لهذا الذى يختاره الصفى والصفية كما تقدم (أقول) وتقدم عن الامتاع عن محمد بن أبى بكر رضى الله عنهما خلافه وتقدم هل صفيه صلى الله عليه وسلم كان محسوبا عليه من سهمه أو لا قيل نعم وقيل كان خارجا عنه وتقدم الجواب عن ذلك فى غزاة بدر أن هذا الخلاف لا ينافى الجزم ثم بانه كان زائدا على سهمه صلى الله عليه وسلم

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بل هم الكرارون وفى لفظ العكارون أى الكرارون وجاء فى رواية انا فئتكم يشير الى قوله تعالى
الامتحر فالقتال أو متحيزا الى فئة يعنى ان فرارهم كان من الانحياز الى فئة وأيضا زاد العدو على ضعفهم بل زاد على عشرة أضعافهم
والحاصل أن المسلمين لما قتل عبد الله بن رواحة رضى الله عنه انهزموا وتفرقوا وذهب جماعة منهم الى المدينة ثم اجتمع الناس لما
انحاز خالد بن الوليد رضى الله عنه ورتب الناس وقد مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ٢٢٣ خالدا على ذلك وأثنى عليه ولما قدم

لان ذلك كان قبل نزول آية تخميس الغنيمة فكان سهمه صلى الله عليه وسلم كسهم واحد
من الجيش فصفيه يكون زائدا على ذلك واما سهمه صلى الله عليه وسلم بعد نزول آية التخميس
للغنيمة فهو خمس الغنيمة فيجرى فيما يأخذه قبل القسمة الخلاف هل يكون زائدا على ذلك
الخمس أو يكون محسوبا منه فلا مخالفة بين اجراء الخلاف والجزم والله أعلم وقيل لما نزلت
بنو قينقاع أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكتفوا فكتفوا فاراد قتلهم فكلمه فيهم عبد
الله بن أبى ابن سلول وألح عليه أى فقال يا محمد أحسن فى موالى فاعرض عنه صلى الله عليه وسلم
فادخل يده فى جيب درع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خلفه أى وتلك الدرع هى ذات
الفضول فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك أرسلنى وغضب رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى رأوا لوجهه صلى الله عليه وسلم غبرة لشدة غضبه ثم قال ويحك أرسلنى فقال والله لا أرسلك حتى تحسن
فى موالى فانهم عترتى وأنا امرؤ أخشى الدوائر فقال صلى الله عليه وسلم خلوهم لعنهم الله ولعنه
معهم وتركهم من القتل أى وقال له خذهم لا بارك الله لك فيهم وامر صلى الله عليه وسلم ان
يجلوا من المدينة أى ووكل باجلائهم عبادة بن الصامت رضى الله عنه وأمهلهم ثلاثة أيام
فجلوا منها بعد ثلاث أى بعد ان سألوا عبادة بن الصامت ان يمهلهم فوق الثلاث فقال لا ولا ساعة
واحدة وتولى اخراجهم وذهبوا الى اذرعات بلدة بالشام أى ولم يدر الحول عليهم حتى هلكوا
أجمعون بدعوته صلى الله عليه وسلم فى قوله لابن أبى لا بارك الله لك فيهم ويذكر ان ابن أبى قبل
خروجهم جاء الى منزله صلى الله عليه وسلم يسأله فى اقرارهم فحجب عنه فأراد الدخول فدفعه
بعض الصحابة فصدم وجهه الحائط فشجه فانصرف مغضبا فقال بنو قينقاع لا نمكث فى بلد
يفعل فيه بابى الحباب هذا ولا ننتصر له وتأهبوا للجلاء قال وقيل الذى تولى اخراجهم محمد بن
مسلمة رضى الله عنه أى ولا مانع ان يكونا أى عبادة بن الصامت ومحمد بن مسلمة اشتركا فى
اخراجهم ووجد صلى الله عليه وسلم فى منازلهم سلاحا كثيرا أى لانهم كما تقدم أكثر يهود اموالا
وأشدهم بأسا وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلاحهم ثلاث قسى قوس يدعى الكتوم
أى لا يسمع له صوت اذا رمى به وهو الذى رمى به صلى الله عليه وسلم يوم أحد حتى تشظى بالنظاء
المشالة كما سيأتى وسيأتى ما فيه وقوس يدعى الروحاء وقوس يدعى البيضاء وأخذ درعين درعا يقال
له السغدية أى بسين مهملة وغين معجمة ويقال انها درع داود التى لبسها صلى الله عليه وسلم
حين قتل جالوت والاخرى يقال لها فضة وثلاثة أرماح وثلاثة أسياف سيف يقال له قلعى
وسيف يقال له بتار والآخر لم يسم انتهى أى وسماه بعضهم بالحتف ووهب صلى الله عليه وسلم
درعا لمحمد بن مسلمة ودرعا لسعد بن معاذ رضى الله عنهما والله تعالى أعلم

﴿غزوة لسويق﴾

لما أصاب قريشا فى بدر ما أصابهم نذر أبو سفيان أن لا يمس رأسه ماء من جنابة أى لا يأتى

يعلى بن أمية رضى الله عنه على
النبى صلى الله عليه وسلم يخبر
الجيش قال له النبى صلى الله عليه
وسلم ان شئت فاخبرنى وان شئت
أخبرتك قال فاخبرنى يا رسول الله
لازداد يقينا فاخبره رسول الله
صلى الله عليه وسلم الخبر كله
ووصف له ما كان فقال والذى
بعثك بالحق ما تركت من حديثهم
حرفا واحدا وان أمرهم لكما
ذكرت فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله رفع لى الارض
حتى رأيت معترككم وحين رأى
ذلك قال حمى الوطيس أى حميت
الحرب واشتدت وقيل ان الذى
جاء بخبرهم أبو عامر الاشعرى
رضى الله عنه ولا مانع من ان كلا
منهما جاء بالخبر وعن أسماء بنت
عميس رضى الله عنها زوج جعفر
ابن أبى طالب رضى الله عنه قالت
دخل على رسول الله صلى الله عليه
وسلم يوم أصيب جعفر وأصحابه
فقال ائتنى ببنى جعفر فأتيته بهم
فشمهم وذرفت عيناه وفى رواية
وبكى حتى تقطر لحيته الشريفة
فقلت يا رسول الله بأبى أنت وأمى
ما يبكيك أبلغك عن جعفر
وأصحابه شئ قال نعم أصيبوا هذا
اليوم قالت فقمت أصيح واجتمع
على النساء وجعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول لى يا أسماء

٣٠ سيره ثانى لا تقولى هجرا ولا تضربى خدا وقال اللهم قدمه يعنى جعفرا الى أحسن الثواب وأخلفه فى ذريته بأحسن
ما خلفت أحدا من عبادك فى ذريته وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهله فقال لا تغفلوا عن آل جعفر أن تصنعوا لهم طعاما
فانهم قد شغلوا بامر صاحبهم وفى لفظ انه دخل على فاطمة رضى الله عنها وهى تقول واعماه فقال على مثل جعفر فلتبك البواكى ثم
قال صلى الله عليه وسلم اصنعوا لآل جعفر طعاما فقد شغلوا عن أنفسهم اليوم وفى رواية قد شغلهم ما هم فيه وعن عبد الله بن جعفر

رضى الله عنهما أن سلمى مولاة النبى صلى الله عليه وسلم عمدت الى شعير فطحنته ونسفته ثم عجنته وأدمته بزيت وجعلت عليه فلفلا قال عبد الله فأكلت من ذلك الطعام وحبسنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع اخوتى ثلاثة أيام ندور معه صلى الله عليه وسلم كلما صار فى بيت احدى نسائه ثم رجعنا الى بيتنا وهذا الطعام الذى جعل لآل جعفر رضى الله عنه هو أصل طعام التعزية وتسميه العرب الوضيمة كما تسمى طعام العرس الوليمة ٢٣٤ وطعام القادم من السفر النقيعة وطعام البناء الوكيرة وروى الامام أحمد بسند صحيح

ثم أمهل صلى الله عليه وسلم آل جعفر ثلاثا ثم أتاهم فقال لهم لا تبكوا على أخى بعد اليوم ثم قال ائتونى ببنى أخى فجىء بنا كأنا أفرخ فدعا الحلاق فحلق رؤسنا ثم قال أما محمد فشبيه عمنا أبى طالب وأما عبد الله فشبيه خلقى وخلقى ثم دعا لهم قال عبد الله بن جعفر رضى الله عنهما دعا لى وقال اللهم بارك له فى صفقة يمينه فما بعت شيأ ولا اشتريته الا بورك لى فيه وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال مثل لى زيد بن حارثة وجعفر وعبد الله بن رواحة رضى الله عنهم فى خيمة من درة كل واحد منهم على سرير فرأيت زيدا وابن رواحة فى أعناقهما صدودا أى اعراضا ورأيت جعفر اليس فى عنقه صدود فسألت فقيل انهما حين غشيهما الموت أعرضا بوجوههما وأما جعفر فانه لم يفعل * وعن قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما قتل زيد أخذ الراية جعفر فجاءه الشيطان فحبب اليه الحياة وكره اليه الموت ومناه الدنيا ثم مضى حتى استشهد وفى رواية رأيتهم فيما يرى النائم وقد رفعوا فى الجنة على سرر من ذهب فرأيت فى سرير عبد الله بن رواحة ازورارا من سريرى صاحبيه فقلت مم هذا فقيل لى مضيا وترددا وعبد الله بعض التردد ثم مضى أى فانه كما تقدم صار يتنزل نفسه ويتردد بعض التردد فى النزول وفى لفظ كما دخل عبد الله بن رواحة الجنة معترضا فقيل يا رسول الله ما اعتراضه قال لما أصابته الجراحة جزع فعاتب نفسه فتشجع فاستشهد وقال صلى الله عليه وسلم ان الله أبدل جعفرا بيديه جناحين يطير بهما فى الجنة حيث شاء وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال أتيته وهو مستلق آخر النهار فعرضت عليه الماء فقال انى صائم فضمه فى ترسى عند رأسى فان عشت حتى تغرب الشمس أفطرت قال فان

النساء واعل هذه العبارة وهى لا يمس رأسه ماء من جنابة وقعت من بعض الصحابة مراده بها ما ذكر من انه لا يأتى النساء ويؤيده ما جاء فى بعض الروايات لا يمس النساء والطيب حتى يغزو محمدا أو أن ذلك قاله أبو سفيان بناء على أنهم كانوا يغتسلون من الجنابة ومن ثم ذكر الدميرى أن الحكمة فى عدم بيان الغسل فى آية الوضوء كون الغسل من الجنابة كان معلوما قبل لاسلام بقية من دين ابراهيم واسمعيل عليهما الصلاة والسلام فهو من الشرائع القديمة وفى كلام بعضهم كانوا فى الجاهلية يغتسلون من الجنابة ويغسلون موتاهم ويكفنونهم ويصلون عليهم وهو أن يقوم وليه بعد أن يوضع على سريره ويذكر محاسنه ويثنى عليه ثم يقول عليك رحمة الله ثم يدفن وما ذكره الدميرى تبع فيه السهيلى حيث قال ان الغسل من الجنابة كان معمولا به فى الجاهلية بقية من دين ابراهيم واسمعيل كما بقى فيهم الحج والنكاح فكان الحدث الاكبر معروفا عندهم ولذلك قال تعالى وان كنتم جنبا فاطهروا فلم يحتاجوا الى تفسيره وأما الحدث الاصغر فلما لم يكن معروفا عندهم قبل الاسلام لم يقل وان كنتم محدثين فتوضؤا بل قال فاغسلوا الآية فخرج أبو سفيان فى مائتى راكب من قريش ليبر يمينه حتى نزل بجمل بينه وبين المدينة نحو بريد ثم أتى لبنى النضير أى وهم حى من يهود خيبر ينسبون الى هرون أخى موسى بن عمران عليهما الصلاة والسلام تحت الليل فاتى حيى بن أخطب أى وهو من رؤساء بنى النضير وهو أبو صفية أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها فضرب عليه بابه فابى أن يفتح له لانه خافه فانصرف عنه وجاء الى سلام بن مشكم سيد بنى النضير أى وصاحب كنزهم أى المال الذى كانوا يجمعونه ويدخرونه لنوائبهم وما يعرض لهم ○ أى وكان حليا يعيرونه لاهل مكة فاستأذن عليه فأذن له واجتمع به ثم خرج الى أصحابه فبعث رجالا من قريش فأتوا ناحية من المدينة فحرقوا نخلا منها ووجدوا رجلا من الانصار قال فى الامتاع وهذا الانصارى هو معبد ابن عمرو وحليفا لهم ففقئوا عينيهما ثم انصرفوا راجعين فعلم بهم الناس فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طلبهم فى مائتين من المهاجرين والانصار أى واستعمل صلى الله عليه وسلم على المدينة بشير بن عبد المنذر وكان خروجه لخمس خلون من ذى الحجة وجعل أبو سفيان وأصحابه يخففون للهرب أى لاجله فجعلوا يلقون جرب السويق أى وهو فتح أو شعير يقلى ثم يطحن ليسف تارة بماء وتارة بسمن وتارة بعسل وسمن ○ وهو عامة أزوادهم فيأخذه المسلمون ولم يلحقوا بهم وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا الى المدينة وكانت غيبته خمسة أيام

﴿غزوة قرقرة الكدر﴾

ويقال قرقرة الكدرة ويقال قرا قر فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جمعا من بنى سليم وغطفان بقرقرة الكدر أى لعله بلغه انهم يريدون الاغارة على المدينة بعد أن غزاهم صلى الله عليه وسلم كما تقدم وقرقرة الكدر أرض ملساء فيها طيور فى ألوانها كدرة عرف بها ذلك الموضع

صائما قبل الغروب ووجدنا فيما بين صدره ومنكبيه وما أقبل منه تسعين جراحة ما بين ضربة بسيف وطعنة برمح وكان النبي صلى الله عليه وسلم يوما جالسا مع أصحابه فرفع رأسه الى السماء وقال وعليكم السلام ورحمة الله فقال الناس يارسول الله ما كنت تصنع هذا فقال مر بي جعفر بن أبي طالب في ملا من الملائكة فسلم علي وفي رواية مر بي وهو مخضب الجناحين بالدم * ولما دنا الجيش من المدينة تلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ولقيهم الصبيان فقال النبي صلى الله عليه وسلم خذوا الصبيان فاحملوهم واعطوني ابني عبد الله ابن جعفر فأتي به فأخذه فحمله بين يديه وكان عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما ولد بالحبشة وأمه أسماء بنت عميس رضي الله عنها وتزوجها أبو بكر رضي الله عنه بعد جعفر بن أبي طالب فولدت له محمد ابن أبي بكر رضي الله عنهما ثم تزوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد أبي بكر رضي الله عنه وعن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هنيأ لك أبوك يطير مع الملائكة في السماء وروى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال دخلت الجنة البارحة فرأيت فيها جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه يطير مع الملائكة وفي رواية يطير مع جبريل وميكائيل له جناحان عوضه الله من يديه وروى جناحان من ياقوت قال السهيلي ان الجناحين عبارة عن صفة ملكية وقوة روحانية أعطيها جعفر يقتدر بها على الطيران لا انهما جناحان كجناحي الطائر كما قد يسبق للوهم لان الصورة الآدمية أشرف الصور ولا يضر ذلك وصفهما بأنهما من ياقوت ولا كونهما مضمخين بالدم ورجح بعضهم حمل الكلام على حقيقته وقال انهما جناحان حقيقيان وأطال في ذلك والله أعلم وقد قال حسان بن ثابت رضي الله عنه قصيدة يرثي بها جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وبعض من معه فقال

يؤوبني ليل بيثرب أعسم * وهم اذا ما نوم الناس مسهر
لذكرى حبيب هيجت لي لوعة * سفوحا وأسباب البكاء التذكر
بلى ان فقدان الحبيب بلية * وكم من كريم يبتلى ثم يصبر
رأيت خيار المسلمين تواردوا * شعوبا وخلفا بعدهم يتأخر
فلا يبعدن الله قتلى تتابعوا * جميعا وأسباب المنية تخطر

كما تقدم أن الماء الذي بارضهم الذي بلغه صلى الله عليه وسلم ولم يجد به أحدا منهم يسمى الكدر لوجود ذلك الطير به فسار اليهم في مائتين من أصحابه وحمل لواءه علي بن ابي طالب واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم وتقدم في تلك انه استخلف على المدينة سباع بن عرفطة أو ابن أم مكتوم وتقدم ما فيه فلما سار اليه أي الى ذلك الموضع لم يجد به أحدا وأرسل نفرا من أصحابه الى أعلى الوادي واستقبلهم في بطن الوادي فوجد خمسمائة بعير مع رعاة منهم غلام يقال له يسار فحاذوها وانحدروا بها الى المدينة فلما كانوا بمحل على ثلاثة أميال من المدينة خمسها صلى الله عليه وسلم فأخرج خمسه وقسم الاربعة اخماس على أصحابه فخص كل رجل منهم بعيران ووقع يسار في سهمه صلى الله عليه وسلم فاعتقه صلى الله عليه وسلم لانه رآه يصلي أي وقد أسلم وتعلم الصلاة من المسلمين بعد أسره أي وفي كون هذا غنيمة حيث قسمه كذلك وقفة وكانت مدة غيبته صلى الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة فعلم انه صلى الله عليه وسلم غزا بني سليم وأنه وصل الى ماء من مياههم يقال له الكدر لوجود ذلك الطير به وأنه استعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري أو ابن أم مكتوم وهنا وقع الجزم بالثاني وأن الاولى لم يذكر أنه وجد فيها شيأ من النعم وظاهر هذا يدل على التعدد وجرى عليه الاصل أي وحينئذ تكون تلك الطيور توجد في ذلك الماء وفي تلك الارض فعلى هذا يكون صلى الله عليه وسلم غزا بني سليم مرتين مرة وصل فيها لذلك الماء ولم يجد شيأ من النعم ومرة وصل فيها لتلك الارض ووجد بها تلك النعم ولم أقف على أن محل ذلك الماء سابق على تلك الارض أو ان تلك الارض سابقة على محل ذلك الماء وفي السيرة الشامية ان غزوة بني سليم هي غزوة قرقرة الكدر فعليه يكون انما غزا بني سليم مرة واحدة أي وحينئذ يكون الماء الذي كان به ذلك الطير كان في تلك الارض الملساء أو قريبا منها فليتأمل والحافظ الدمياطي جعل غزوة بني سليم هي غزوة بحران الآتية وسنذكرها

﴿غزوة ذي امر﴾

بتشديد الراء اسم ماء أي وسماها الحاكم غزوة انمار ويقال انها غزوة غطفان بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا يقال له دعثور بضم الدال واسكان العين المهملتين ثم مثلثة مضمومة ابن الحرث أي الغطفاني من بني محارب جمع جمعا من ثعلبة ومحارب بذي امر أي وهو موضع من ديار غطفان أي ولعل به ذلك الماء المسمى بما ذكر كما تقدم يريدون أن يصيبوا من أطراف المدينة فخرج اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في أربعمائة وخمسين رجلا لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الاول واستخلف على المدينة عثمان بن عفان وأصاب أصحابه رجلا منهم أي يقال له جبار وقيل حباب بكسر الحاء المهملة وبالباء الموحدة من بني ثعلبة فادخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره من خبرهم أي وقال له لن يلاقوك ولو سمعوا بمسيرك اليهم هربوا في رؤس الجبال وأنا سائر معك فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم للاسلام

غداة غدوا بالمؤمنين يقودهم * الى الموت ميمون النقيبة أزهر أغر كضوء البدر من آل هاشم * أبي اذا سم الظلامة يجبر
فطاعن حتى مال غير موسد * بمعترك فيه فتى متكسر فصار مع المستشهدين ثوابه * جنان وملتف الحدائق أخضر
وكنا نرى في جعفر من محمد * وفاء وأمرا حازما حين يأمر ولازال في الاسلام من آل هاشم * دعائم عز لا يزلن ومفخر
فهم جبل الاسلام والناس حولهم * رضام الى طود يروق ويقهر ٢٣٦ بهاء ليال جعفر وابن أمه * علي ومنهم أحمد المتخير
وحمزة والعباس منهم ومنهم
عقيل وماء العود من حيث يعصر
بهم تفرج اللأواء في كل مأزق
عماس اذا ما ضاق بالناس مصدر
هم أولياء الله أنزل حكمه
عليهم وفيهم ذا الكتاب المطهر

فاسلم وضمه صلى الله عليه وسلم الى بلال أي وأخذ به ذلك الرجل طريقا وهبط به عليهم فسمعوا بمسير رسول الله صلى الله عليه وسلم فهربوا في رؤس الجبال أي فبلغوا ماء يقال له ذو امر فعسكر به صلى الله عليه وسلم وأصابهم مطر أي كثير بل ثياب رسول الله صلى الله عليه وسلم وثياب أصحابه ○ فنزع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبيه ونشرهما على شجرة ليجفا واضطجع أي بمر أي من المشركين واشتغل المسلمون في شؤنهم فبعث المشركون دعثورا الذي هو سيد القوم وأشجعهم الجمع لهم أي فقالوا له قد انفرد محمد فعليك به ○ أي وفي لفظ انه لما رآه قال قتلني الله ان لم أقتل محمدا فجاء دعثور ومعه سيفه حتى قام على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال من يمنعك مني اليوم وفي رواية الآن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله ودفع جبريل في صدره فوقع السيف من يده أي بعد وقوعه على ظهره فاخذ السيف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له من يمنعك مني قال لا أحد أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وفي رواية وأنا أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله ثم أتى قومه أي بعد ان أعطاه صلى الله عليه وسلم سيفه ○ فجعل يدعوهم الى الاسلام وأخبرهم أنه رأى رجلا طويلا دفع في صدره فوقع على ظهره فقال علمت أنه ملك فاسلمت ونزلت هذه الآية يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم الآية ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ولم يلق حربا وكانت مدة غيبته احدى عشرة ليلة

﴿غزوة بحران﴾

بفتح الموحدة وتضم وسكون الحاء المهملة وعبر عنها الحافظ الدمياطي بغزوة بني سليم كما تقدم لما بلغه صلى الله عليه وسلم أن بحران وهو موضع بالحجاز معروف بينه وبين المدينة ثمانية برد جمعا كثيرا من بني سليم خرج في ثلثمائة من أصحابه ليست خلون من جمادى الاولى واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم أي ولم يظهر وجها للسير ○ وأحث السير حتى بلغ بحران فوجدهم قد تفرقوا في مياههم أي وكان صلى الله عليه وسلم قبل أي يصل الى ذلك بليلة لقي رجلا من بني سليم فاخبره أن القوم تفرقوا فحبسه مع رجل وسار الى أن وجدهم كذلك فاطلق الرجل وأقام بذلك المحل أياما ثم رجع ولم يلق حربا وكانت غيبته عشر ليال وعلى مقتضى هذا السياق تبعا للاصل يكون غزا بني سليم ثلاث مرات مرة عقب بدر وهذه الغزوة وغزوة ذي امر كانتا في السنة الثالثة من الهجرة وفي تلك السنة التي هي الثالثة عقد عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه على أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موت أختها رقية وتقدم وقت موتهما وعقد صلى الله عليه وسلم على حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما وذلك في شعبان لما انقضت عدة وفاة زوجها خنيس بن حذافة من شهداء بدر بعد ان عرضها عمر على أبي بكر فلم يجبه لشيء وعرضها على عثمان فلم يجبه لشيء فقال عمر يا رسول الله قد عرضت حفصة

﴿سرية عمرو بن العاص رضي الله عنه﴾

بسلاد بلي وعذرة وهي وراء وادي ذات القرى بينهما وبين المدينة عشرة أيام وبلي قبيلة كبيرة ينسبون الى بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاعة وكذا عذرة ينسبون الى عذرة بن سعد بن قضاعة وتسمى سرية ذات السلاسل سميت بذلك لان المشركين ارتبط بعضهم الى بعض مخافة أن يفروا والمراد انهم تجمعوا وانضم بعضهم الى بعض في أول الامر فلا ينافي انهم لما قرب المسلمون منهم ألقى الله في قلوبهم الرعب وفروا وقيل سميت بذلك لان بها ماء يقال له السلسل وكانت في جمادى الآخرة سنة ثمان وسببها انه صلى الله عليه وسلم بلغه ان جمعا من قضاعة تجمعوا للاغارة وأرادوا أن يدنوا من أطراف المدينة فبعث صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص رضي الله عنه في ثلثمائة من سراة المهاجرين والانصار ومعهم ثلاثون فرسا وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال بعث الي النبي صلى الله عليه وسلم يأمرني أن آخذ ثيابي وسلاحي فقال يا عمرو اني أريد أن أبعثك على جيش فيغنمك الله ويسلمك قلت اني لم أسلم رغبة في المال قال نعم المال الصالح للمرء الصالح فعقد له لواء أبيض وجعل معه راية سوداء فسار هو ومن معه وكان يكمن النهار ويسير الليل فلما قرب منهم بلغه ان لهم جمعا كثيرا فبعث رافع بن مكيث الجهني الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمده فبعث اليه أبا عبيدة بن الجراح وعقد له لواء وبعث معه مائتين من سراة المهاجرين والانصار فيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما

وأمره ان يطيع عمرو وان يكونا جميعا ولا يختلفا فاراد أبو عبيدة أن يؤم الناس فقال عمرو انما قدمت على مددا أى معينا وقويا وأنا الامير أى ولا امارة لك حتى تؤم الناس فقال أبو عبيدة لا ولكن أنا على ما أنا عليه وأنت على ما أنت عليه وكان أبو عبيدة رجلا سهلا هينا عليه أمر الدنيا فقال يا عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى لا تختلفا وانك ان عصيتنى أطعتك فاطاع له أبو عبيدة فكان عمرو يصلى بالناس وسار حتى وصل الى العدو بلى وعذرة فحمل عليهم المسلمون ٢٣٧ فهربوا فى البلاد وتفرقوا بعد ان اقتتلوا ساعة فهزمهم المسلمون فأقام هناك ثلاثة أيام وكان يبعث الخيل فيأتون بالشاء والنعم فينحرون ويأكلون ولم يكن فى ذلك غنائم تقسم وقال البلاذرى فلق العدو من قضاعة وغيرهم وكانوا مجتمعين ففضهم أى فرقهم وقتل منهم مقتلة عظيمة وغنم وهذا يعضده قوله صلى الله عليه وسلم فيغنمك الله ويسلمك كما مر وروى ابن راهويه والحاكم عن بريدة ان عمرو بن العاص رضى الله عنه أمرهم فى تلك الغزوة أن لا يوقدوا نارا فأنكر ذلك عمر رضى الله عنه فقال له أبو بكر رضى الله عنه دعه فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبعثه علينا الا لعلمه بالحرب فسكت عنه (وروى ابن حبان) عن عمرو بن العاص رضى الله عنه انهم سألوه أن يوقدوا نارا فمنعهم فكلموا أبا بكر رضى الله عنه فكلمه فى ذلك فقال لا يوقد أحد نارا الا قذفته فيها قال فلقوا العدو فهزموهم فأرادوا أن يتبعوهم فمنعهم فلما انصرفوا ذكروا ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فسأله فقال كرهت أن آذن لهم أن يوقدوا نارا فيرى عدوهم قلتهم وكرهت أن يتبعوهم فيكون لهم مدد فحمد أمره وروى الشيخان عن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال قدمت عن جيش ذات السلاسل فحدثت نفسى انه لم يبعثنى على قوم فيهم أبو بكر وعمر الا لمنزلة لى عنده فأتيته حتى قعدت بين يديه فقلت يا رسول الله أى الناس أحب اليك قال عائشة قلت انى لست أعنى النساء انما أعنى الرجال قال أبوها قلت ثم من قال ثم عمر بن الخطاب فعد رجالا فسكت مخافة أن يجعلنى فى آخرهم وقلت فى نفسى لا أعود أسأله عن هذا وفى الحديث جواز تأمير المفضول على الفاضل اذا امتاز المفضول بصفة تتعلق بتلك الولاية وفضل أبى بكر على الرجال وبنته على النساء ومنقبة لعمرو

على عثمان فأعرض عنى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد زوج عثمان خيرا من ابنتك وزوج ابنتك خيرا من عثمان فتزوج عثمان أم كلثوم وتزوج صلى الله عليه وسلم حفصة وتزوج أيضا صلى الله عليه وسلم زينب بنت خزيمة فى رمضان وتزوج زينب بنت جحش بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب فى تلك السنة وقيل تزوجها فى السنة الرابعة وصححها فى الاصل وقيل فى الخامسة وكان اسمها برة بفتح الموحدة واسم أمها برة بضمها فغيرصلى الله عليه وسلم اسمها وسماها زينب وقال لها صلى الله عليه وسلم لو كان أبوك مسلما لسميناه باسم رجل منا ولكن قد سميته بجحشا أى والجحش فى اللغة السيد وقد كان صلى الله عليه وسلم جاء اليها يخطبها لمولاه زيد بن حارثة فقالت لست بناكحته قال بلى فانكحيه قالت يا رسول الله أوامر أى أشاور نفسى فانى خير منه حسبا فأنزل الله تعالى وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن تكون لهم الخيرة من أمرهم الآية فقالت عند ذلك رضيت وفى رواية انها وهبت نفسها للنبى صلى الله عليه وسلم فزوجها من زيد فسخطت هى وأخوها وقالا انما أردنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجها عبده فنزلت الآية أى وعن مقاتل ان زيد بن حارثة لما أراد أن يتزوج زينب جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله اخطب على قال له من قال زينب بنت جحش فقال له لا أراها تفعل انها أكرم من ذلك نسبا فقال يا رسول الله اذا كلمتها أنت وقالت زيد أكرم الناس على فعلت قال انها امرأة لسناء أى فصيحة والمراد لسانها طويل فذهب زيد الى على رضى الله تعالى عنه فحمله على ان يكلم له النبى صلى الله عليه وسلم فانطلق معه على الى النبى صلى الله عليه وسلم فكلمه فقال انى فاعل ذلك ومرسلك يا على الى أهلها لتكلمهم ففعل ثم عاد فأخبره بكراهتها وكراهة أخيها لذلك فأرسل اليهم النبى صلى الله عليه وسلم يقول قد رضيته لكم وأقضى أن تنكحوه فانكحوه وساق اليهم عشرة دنانير وستين درهما ودرعا وخمارا وملحفة وازارا وخمسين مدا من الطعام وعشرة أمداد من التمر أعطاه ذلك كله رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بعد ذلك جاء صلى الله عليه وسلم بيت زيد يطلبه فلم يجده فتقدمت اليه زينب فاعرض عنها فقالت له ليس هو ههنا يا رسول الله فادخل فابى أن يدخل وأعجبت رسول الله صلى الله عليه وسلم أى لان الريح رفعت الستر فنظر اليها من غير قصد فوقعت فى نفسه صلى الله عليه وسلم فرجع وهو يقول سبحان مصرف القلوب وفى رواية مقلب القلوب وسمعته زينب يقول ذلك فلما جاء زيد أخبرته الخبر فجاء اليه صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله لعل زينب أعجبتك فافارقها قال فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عليك زوجك فما استطاع زيد اليها سبيلا بعد ذلك اليوم أى فلم يستطع أن يغشاها من حين رآها صلى الله عليه وسلم الى أن طلقها فعنها رضى الله تعالى عنها لما وقعت فى قلب النبى صلى الله عليه وسلم لم يستطعنى زيد وما امتنعت منه وصرف الله تعالى قلبه عنى وجاءه يوما وقال له يا رسول الله ان زينب اشتد على لسانها وأنا أريد أن أطلقها فقال له اتق الله وأمسك عليك

ابن العاص رضى الله عنه لتأميرة على جيش فيهم أبو بكر وعمر رضى الله عنهما وان لم يقتض ذلك أفضليته عليهم لكن يقتضى ان له فضلا فى الجملة وقد قال رافع الطائى وهذه الغزوة هى التى يفتخر بها أهل الشام أى ويحتجون بها على فضل عمرو بن العاص رضى الله عنه والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿سرية الخبط﴾ وهى سرية أبى عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال القرشى الفهرى أحد العشرة المبشرين بالجنة رضى الله عنه وعنهم وسماها البخارى غزوة سيف البحر بكسر السين أى ساحل البحر واشتهرت بسرية الخبط بعث صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة ومعه ثلثمائة و بضعة عشر رجلا وكان فيهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى أرض جهينة ليلقى عيرا لقريش ولمحاربة حى من جهينة وكانت فى رجب سنة ثمان بعد نكث قريش العهد وقبل فتح مكة وزودهم رسول الله صلى الله عليه وسلم جرابا من التمر لم يجدوا غيره وقيل كان معهم غيره فلما فنى ما معهم أكلوا الخبط وهو بفتح الخاء المعجمة والباء الموحدة ورق السلم قال جابر رضى الله عنه كنا نضرب بعصينا الخبط ونبله بالماء فنأكله وفى رواية كان الرجل منا يأكل تمرة تمرة فقالوا لجابر كيف كنتم تصنعون قال نمصها كما يمص الصبى الثدى ثم نشرب عليها الماء فيكفينا يومنا الى الليل ثم أكلوا الخبط بعد فناء التمر وابتاع لهم قيس بن سعد بن عبادة رضى الله عنهما جزرا ونحرها لهم وفى رواية انهم أصابهم جوع شديد فقال قيس من يشترى منى تمرا بالمدينة بجزر تجزرها هنا فقال له رجل من جهينة من أنت فانتسب فعرفه الجهنى فقال عرفت نسبك فابتاع منه خمس جزائر بخمسة أوسق وأشهد له نفر من الصحابة وامتنع عمر رضى الله عنه لكون قيس لا مال له فقال الاعرابى ما كان سعد ليقصر بابنه وأرى وجها حسنا وفعلا شريفا فأخذ قيس الجزر فنحر لهم ثلاثة كل يوم جزورا فلما كان اليوم الرابع نهاه أميره فقال عزمت عليك أن لا تنحر أتريد ان تحفر ذمتك ولا مال لك فقال قيس يا أبا عبيدة أترى أبا ثابت يقضى ديون الناس ويحمل الكل ويطعم فى المجاعة ولا يقضى عنى تمر القوم مجاهدين فى سبيل الله فكاد أبو عبيدة يلين وجعل عمر يقول اعزم فعزم عليه فبقيت جزوران فقدم بهما قيس المدينة ظهرا يتعاقبون عليهما

زوجك فقال استطالت على فقال له اذن طلقها فطلقها فلما انقضت عدتها أرسل زيد الما فقال له اذهب فاذكرها على فانطلق قال فلما رأيتها عظمت فى صدرى فقلت يا زينب ابشرى أرسلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرك قالت ما أنا بصانعة شيأ حتى أؤامر ربى أى أستخيره فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس يتحدث مع عائشة اذ نزل عليه الوحى بان الله زوجه زينب فسرى عنه وهو يتبسم وهو يقول من يذهب الى زينب فيبشرها أن الله زوجنيها من السماء وجاء الى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليها بغير اذن قالت دخل على وأنا مكشوفة الشعر فقلت يا رسول الله بلا خطبة ولا اشهاد قال الله المزوج وجبريل الشاهد أى وأنزل الله تعالى واذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك الآية فهذه الآية نزلت فى زيد رضى الله تعالى عنه وقد قالها صلى الله عليه وسلم فى حق ولده اسامة فقد جاء أحب أهلى الى من أنعم الله وأنعمت عليه اسامة بن زيد وعلى بن أبى طالب فنعمة الله على زيد وعلى ولده اسامة الاسلام ونعمة النبى صلى الله عليه وسلم عليهما العتق لان عتق أبيه عتق له تأمل وانما توجه هذا العتب أى لان الله تعالى كان أعلم نبيه أن زينب ستكون من أزواجه صلى الله عليه وسلم فلما شكا اليه زيد قال له امسك عليك زوجك واتق الله وأخفى منه فى نفسه ما الله مبديه ومظهره وهو ما أعلمه الله به من انك ستتزوجها فالذى أخفاه ما كان الله أعلمه به وتخشى الناس أى اليهود والمنافقين أن يقولوا تزوج امرأة ابنه والله أحق أن تخشاه فى امضاء ما أحبه ورضيه لك وأعطاك اياه وقد جعل الله تعالى طلاق زيد لها وتزوج النبى صلى الله عليه وسلم اياها لازالة حرمة التبنى قال تعالى لئلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم وأولم صلى الله عليه وسلم عليها بما لم يولم به على نسائه وذبح شاة وأطعم فخرج الناس وبقى رجال يتحدثون فى البيت بعد الطعام فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ففى البخارى فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يخرج ثم يرجع وهم قعود يتحدثون وفى البخارى أيضا فخرج النبى صلى الله عليه وسلم فانطلق الى حجرة عائشة فقال السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته فقالت وعليك السلام ورحمة الله وبركاته كيف وجدت أهلك بارك الله لك ثم دخل حجر نسائه كلهن يقول كما قال لعائشة و يقلن له كما قالت عائشة ثم رجع النبى صلى الله عليه وسلم فوجد القوم فى البيت يتحدثون قال أنس رضى الله تعالى عنه وكان النبى صلى الله عليه وسلم شديد الحياء فخرج فطلبها الى حجرة عائشة فاخبر ان القوم خرجوا فرجع حتى وضع رجله فى أسكفة البيت داخله وأخرى خارجه أرخى الستر بينى و بينه فنزلت آية الحجاب قال فى الكشاف وهى أدب أدب الله تعالى به الثقلاء وفى مسلم عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت خرجت سودة بعد ما ضرب علينا الحجاب تقضى حاجتها أى بالمناصع محل كان أزواجه صلى الله عليه وسلم يخرجن اليه بالليل للتبرز وكانت امرأة جسيمة فرآها عمر بن الخطاب فقال يا سودة والله ما تخفين علينا فانظرى كيف تخرجين فانكفأت راجعة ورسول الله صلى الله عليه

وبلغ سعدا مجاعة القوم فقال ان يكن قيس كما أعرف فسينحر لهم فلما لقيه قال ما صنعت فى مجاعة قال نحرت قال أصبت ثم ماذا قال نحرت قال أصبت ثم ماذا قال نحرت قال أصبت ثم ماذا قال نهيت قال ومن نهاك قال أبو عبيدة أميرى قال ولم قال زعم انه لا مال لى وانما المال لابيك فقال لك أربع حوائط أدناها تجد منه خمسين وسقا وقدم الجهنى مع قيس فأوفاه أوسقه وحمله وكساه فبلغ النبى صلى الله عليه وسلم فعل قيس فقال ان الجود من سمت أهل ذلك البيت وقيل ان قيسا ٢٣٩ نحر قبل الثلاث ستا مما كان معه من الظهر ثم ثلاثا من التى اشتراها من الجهنى وكان قيس من دهاة العرب أهل الرأى والمكيدة فى الحرب مع النجدة والبسالة والشجاعة من وقف على ما وقع بينه وبين معاوية رضى الله عنهما حين ولاه سيدنا على رضى الله عنه مصر بعد قتل سيدنا عثمان رضى الله عنه لرأى العجب العجاب من وفور عقله ومع ذلك كان له من الكرم مالا مزيد عليه وقفت له عجوز مرة وقالت أشكو اليك قلة الجرذان ببيتى والجرذان نوع من الفيران فقال ما أحسن هذا السؤال وقال لها لا كثرن جرذان بيتك فلأ بيتها طعاما وقيل قالت له مشت جرذان بيتى على العصا فقال لها لادعون يثبن وثوب الاسود ثم ملأ لها بيتها طعاما ولا مانع من تعدد الواقعة وكان قيس لا شعر بوجهه وكان مع ذلك جميلا وكانت الانصار تقول ودنا أن نشترى لقيس بن سعد لحية بامو النا كلها ولنرجع الى تمام قصة سرية الخبط قال أهل السير ثم أخرج الله لهم دابة من البحر تسمى العنبر وهى سمكة كبيرة يتخذ من جلدها الترسة وقيل ان العنبر المشموم رجيعها قال الازهرى العنبر سمكة بالبحر الاعظم يبلغ طولها خمسين ذراعا وفى رواية لجابر رضى الله عنه فالقى لنا البحر حوتا ميتا لم نر مثله فأكلنا منه نصف شهر وفى رواية ثمانية عشر يوما حتى صحت أجسامنا واتدهنا من ودكه فأخذ أبو عبيدة ضلعا من أضلاعه فنصبه ونظر الى أطول بعير فجاز تحته راكبه وفى رواية ثم أمر باجسم بعير معنا فحمل عليه أجسم رجل فخرج من تحتها ومامست رأسه وفى رواية فدخل أى الراكب تحتها مايطاطئ رأسه وفى رواية لمسلم عن جابر رضى الله عنه فلقد رأيتنا نغترف من وقب عينيه أى حدقتيه الدهن بالقلال ونقتطع منه القدر أى القطع من اللحم كالثور وفى رواية عن جابر أيضا فدخلت أنا وفلان فعد خمسة فى

عليه وسلم فى بيتى ليتعشى وفى يده عرق فدخلت فقالت يارسول الله انى خرجت فقال لى عمر كذا وكذا قالت فاوحى الله تعالى اليه ثم رفع عنه وان العرق فى يده ماوضعه فقال انه قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن وكان قول عمر لسودة ماذكر حرصا على أن ينزل الحجاب قالت عائشة رضى الله تعالى عنها فانزل الله الحجاب وفيه أنه تقدم عنها أن قول عمر لسودة كان بعد أن ضرب الحجاب وقد يقال المراد بالحجاب هنا عدم خروجهن للبراز فلا ترى أشخاصهن والحجاب المتقدم عدم رؤية شئ من أبدانهن فلا مخالفة فليتأمل (وعن عائشة) رضى الله تعالى عنها قالت دخلت على زينب بنت جحش وعندى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبلت عليه فقالت له مائل واحدة منا عندك الا على خلاء أى على ما أردت ثم أقبلت على تسبنى فردعها النبى صلى الله عليه وسلم فلم تنته فقال لى سبيها فسببتها وكنت أطول لسانا منها حتى جف ريقها فى فمها ووجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهلل سرورا أى وفى يوم غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم على زينب لقول لها فى صفية بنت حيى تلك اليهودية فهجرها لذلك ذا الحجة والمحرم وبعض صفر ثم أتاها بعد وعاد الى ما كان عليه معها وعن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت أرسل أزواج النبى صلى الله عليه وسلم فاطمة بنت النبى صلى الله عليه وسلم تستأذن والنبى صلى الله عليه وسلم معى فاذن لها فدخلت عليه فقالت يارسول الله ان أزواجك أرسلننى اليك يسألنك العدل فى ابنة أبى قحافة أى ان تعدل بينهن وبينها فقال النبى صلى الله عليه وسلم أى بنية ألست تحبين ما أحب فقالت بلى قال فاحبى هذه يعنينى فقامت فاطمة فخرجت فجاءت أزواج النبى صلى الله عليه وسلم فحدثتهن بما قالت وبما قال لها فقلن لها ما أغنيت عنا من شئ فارجعى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت والله لا أكلمه فيها أبدا فارسل أزواج النبى صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش فاستأذنت عليه وهو فى بيت عائشة فأذن لها فدخلت فقالت يارسول الله أرسلنى أزواجك يسألنك العدل فى ابنة أبى قحافة ثم وقعت أى زينب بى تسمعنى ما أكره فطفقت أنظر الى النبى صلى الله عليه وسلم حتى يأذن لى فيها فلم أزل حتى عرفت أن النبى صلى الله عليه وسلم لا يكره ان انتصر فوقعت بها أسمعها ما تكره فتبسم النبى صلى الله عليه وسلم وقال لها انها ابنة أبى بكر أى محل الفصاحة والشهامة وسبب ذلك أى طلبهن أن يعدل بينهن وبين عائشة ان الناس كانوا يتحرون بهداياهم يوم عائشة يبتغون بذلك مرضاة رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿غزوة أحد﴾

وكانت فى شوال سنة ثلاث أى باتفاق الجمهور وشذ من قال سنة أربع وأحد جبل من جبال المدينة قيل سمى بذلك لتوحده وانفراده عن غيره من الجبال التى هناك وهذا الجبل يقصد لزيارة سيدنا حمزة ومن فيه من الشهداء وهو على نحو ميلين وقيل على ثلاثة أميال من المدينة

حجاج عينها ما يرانا أحد حتى خرجنا فسبحان القوى القادر فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا له ذلك فقال هو رزق أخرجه الله لكم فهل معكم شئ من لحمه فتطعمونا فكان معنا منه شئ فأرسلنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكل ولم يذكر أحد من أهل السير انهم قاتلوا أحدا فى هذه السرية بل أقاموا نصف شهر أو أكثر فى مكان واحد ثم رجعوا ولم يلقوا كيدا والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿سرية أبى قتادة رضى الله عنه الى نجد﴾ واسم أبى قتادة الحرث وقيل عمرو أو النعمان بن ربعى الانصارى السلمى بعثه صلى الله عليه وسلم الى خضرة وهى أرض محارب بنجد فى شعبان سنة ثمان وبعث معه خمسة عشر رجلا وأمره ان يشن الغارة على غطفان بارض محارب فسار الليل وكمن النهار ثم هجم على جمع منهم فقاتله منهم رجال وقتل من أشرف منهم وسبى أبو قتادة ومن معه سبيا كثيرا واستاق النعم فكانت الابل مائتى بعير والغنم ألفى شاة وفى رواية عن ابن عمر رضى الله عنهما بعث صلى الله عليه وسلم سرية قبل نجد فكنت فيها فغنموا ابلا كثيرة وغنما فكانت سهامنا اثنى عشر بعيرا ونقلنا بعيرا بعيرا فرجعنا بثلاثة عشر بعيرا وكانت غيبته خمس عشرة ليلة وكان السبى أربع نسوة وأطفال وجوار وكان فيهم جارية وضيئة كأنها ظبى وقعت فى سهم أبى قتادة فجاء محمية ابن جزء الزبيدى فقال يا رسول الله ان أبا قتادة قد أصاب فى وجهه هذا جارية وضيئة وقد كنت وعدتنى جارية فأرسل صلى الله عليه وسلم الى أبى قتادة فقال هب لى الجارية فوهبها له فدفعها الى محمية بن جزء الزبيدى والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿سرية أبى قتادة أيضا رضى الله عنه الى اضم﴾ وهو بكسر الهمزة وفتح الضاد المعجمة وبالميم واد على ثلاثة برد من المدينة وكانت هذه السرية فى أول شهر رمضان سنة ثمان وذلك انه صلى الله عليه وسلم لما هم أن يغزو أهل مكة بعد أن نقضوا العهد كما سيأتى بعث أبا قتادة رضى الله عنه فى ثمانية أنفار سرية الى بطن اضم ليظن ظان انه صلى الله عليه وسلم توجه الى تلك الناحية ولتذهب بذلك الاخبار فلا تستعد قريش لحربه ويدخل عليهم على حين غفلة وكان يقول اللهم خذ العيون والاخبار عن قريش

يقال ان فيه قبر هرون أخى موسى عليهما الصلاة والسلام وفيه قبض فواراه موسى فيه وكانا قدما حاجين أو معتمرين وعن ابن دحية أن هذا باطل بيقين وأن نص التوراة أنه دفن بجبل من جبال بعض مدن الشام وقد يقال لا مخالفة لانه يقال المدينة شامية وقيل دفن بالتيه هو وأخوه موسى عليهما الصلاة والسلام كما تقدم قال صلى الله عليه وسلم ان أحدا هذا جبل يحبنا ونحبه اذا مررتم به فكلوا من شجره ولو من عضاهه أى وهى كل شجرة عظيمة لها شوك والقصد الحث على عدم اهمال الاكل من شجره تبركا به وقال صلى الله عليه وسلم أحد ركن من أركان الجنة أى جانب عظيم من جوانبها وفى رواية على باب من أبواب الجنة ولا يخالف ما قبله فانه جاز أن يكون ركنا بجانب الباب وفى رواية جبل من جبال الجنة ولا مانع أن تكون المحبة من الجبل على حقيقتها وضع الحب فيه كما وضع التسبيح فى الجبال المسبحة مع داود عليه السلام وكما وضعت الخشية فى الحجارة التى قال الله فيها وان منها لما يهبط من خشية الله وقيل هو على حذف مضاف أى يحبنا أهله وهم الانصار أو لان اسمه مشتق من الاحدية وأخذ من هذا انه أفضل الجبال وقيل أفضلها عرفة وقيل أبو قبيس وقيل الذى كلم الله عليه موسى وقيل قاف ولما أصاب قريشا يوم بدر ما أصابها مشى عبد الله بن أبى ربيعة وعكرمة بن أبى جهل وصفوان بن أمية رضى الله تعالى عنهم فانهم أسلموا بعد ذلك ورجال أخر من أشراف قريش الى أبى سفيان رضى الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك أيضا والى من كان له تجارة فى تلك العير أى التى كان سببها وقعة بدر وكانت تلك العير موقوفة فى دار الندوة لم تعط لاربابها فقالوا ان محمدا قد وتركم أى قتل رجالكم ولم تدركوا دماءهم وقتل خياركم فاعينونا بهذا المال على حربه لعلنا ندرك منه ثارا عمن أصاب منا أى وقالوا نحن طيبو النفوس أن تجهزوا بربح هذه العير جيشا الى محمد فقال أبو سفيان وأنا أول من أجاب الى ذلك وبنو عبد مناف معى فجعلوا لذلك ربح المال فسلم لاهل العير رؤس أموالهم وكانت خمسين ألف دينار وأخرجوا أرباحها وكان الربح لكل دينار دينارا أى فكان الذى أخرج خمسين ألف دينار وقيل أخرجوا خمسة وعشرين ألف دينار وأنزل الله تعالى فى تلك ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون وتجهزت قريش ومن والاهم من قبائل كنانة وتهامة وقال صفوان بن أمية لابى عزة يا أبا عزة انك رجل شاعر فاعنا بلسانك ولك على ان رجعت أن أغنيك وان أصبت اجعل بناتك مع بناتى يصيبهن ما أصابهن من عسر ويسر فقال ان محمدا قد من على أى وأخذ على أن لا أظاهر عليه أحدا حين أطلقنى وأنا أسير فى أسارى بدر فلا أريد أن أظاهر عليه قال بلى فاعنا بلسانك فخرج أبو عزة ومسافع يستنفران الناس باشعارهما فأما مسافع فلا يعلم له اسلام لكن فى كلام ابن عبد البر مسافع بن عياض بن صخر القرشى التيمى له صحبة وكان شاعرا لم يرو شيأ ولا أدرى هل هو هذا أو غيره وأما أبو عزة فظفر به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الوقعة بحمراء الاسد أى المكان المعروف الآتى

بيانه

حتى تبغتها فى بلادها واستجيب له فعميت الاخبار عنهم فلم يأتهم خبر عنه ولا علموا بذلك الا ليلة دخوله صلى الله عليه وسلم كما سيأتى
فخرج أبو قتادة ومن معه رضى الله عنهم فلقوا عامر بن الاضبط الاشجعى فسلم عليهم بتحية الاسلام أى قال السلام عليكم وقيل عظمهم
بالانقياد ومنه كلمة الشهادة التى هى امارة على اسلامه فقتله محلم بن جثامة فانزل الله ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا
الآية روى الامام أحمد والطبرانى عن عبد الله بن أبى حدرد رضى الله عنه ٢٤١ قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أضم

بيانه قريبا وتقدم استطرادا ثم أمر صلى الله عليه وسلم عاصم بن ثابت فضرب عنقه وحملت
رأسه الى المدينة كما سيأتى وتقدم استطرادا ودعا جبير بن مطعم بن عدى رضى الله تعالى عنه
فانه أسلم بعد ذلك غلاما له حبشيا يقال له وحشى رضى الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك وكان
يقذف بحربة له قذف الحبشة فلما يخطئ بها فقال له اخرج مع الناس فان أنت قتلت حمزة عم
محمد بعمى طعيمة بن عدى فانت عتيق أى لان حمزة هو القاتل له وقيل وحشى كان غلاما لطعيمة
وان ابنة سيده طعيمة قالت له ان قتلت محمدا أو حمزة أو عليا فى أبى فانى لا أدرى فى القوم كفؤ له
غيرهم فانت عتيق وخرج معهم النساء بالدفوف وفى كلام سبط ابن الجوزى وسار وا بالقيان
والدفوف والمعازف والخمور والبغايا هـ ذا كلامه وخرج من نساء قريش خمس عشرة امرأة
أى مع أزواجهن ومنهن هند زوج أبى سفيان رضى الله تعالى عنها فانها أسلمت بعد ذلك أى وأم
حكيم بنت طارق مع زوجها عكرمة رضى الله تعالى عنهما فانهما أسلما بعد ذلك وسلافة مع
زوجها طلحة بن أبى طلحة وأم مصعب بن عمير يبكين قتلى بدر ويحثون عليهم يحرضنهم على القتال
وعدم الهزيمة والفرار وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك أرسل به اليه عمه العباس أى بعد
أن راودوه على الخروج معهم فاعتذر بما لحقه من القوم يوم بدر ولم يساعدهم بشئ وذلك
فى كتاب جاء اليه صلى الله عليه وسلم وهو بقباء أرسله العباس مع رجل استأجره من بنى غفار
وشرط عليه أن يأتى المدينة فى ثلاثة أيام بليليها ففعل كذلك فلما جاءه الكتاب فك ختمه ودفعه
لابى فقرأه عليه أبى بن كعب واستكتم أبيا ونزل صلى الله عليه وسلم على سعد بن الربيع فاخبره
بكتاب العباس أى فقال والله انى لارجو أن يكون خيرا فاستكتمه اياه فلما خرج رسول الله صلى
الله عليه وسلم من عنده قالت له امرأته ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها لا أم
لك وما أنت وذاك فقالت قد سمعت ما قال وأخبرته بما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاسترجع وأخذ بيدها ولحقه صلى الله عليه وسلم فأخبره خبرها وقال يا رسول الله انى خفت
أن يفشو الخبر فترى انى أنا المفشى له وقد استكتمتنى اياه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
خل عنها ○ وسارت قريش وهم ثلاثة آلاف رجل وقال بعض الحفاظ جمع أبو سفيان
قريبا من ثلاثة آلاف من قريش والحلفاء والاحابيش وخرج معه أبو عامر الراهب فى سبعين
فارسا من الاوس قال فى الاصل والاحابيش الذين حالفوا قريشا وهم بنو المصطلق وبنو الهون
ابن خزيمة اجتمعوا عند حبشى وهو جبل باسفل مكة وتحالفوا على انهم مع قريش يدا واحدة
على غيرهم ما سجى ليل ووضح نهار ومارس احبشى مكانه فسموا أحابيش باسم الجبل وقيل سموا
بذلك لتحبشهم أى تجمعهم وفيهم مائتا فارس أى وثلاثة آلاف بعير وسبعمائة دارع حتى نزلوا
مقابل المدينة بذى الحليفة أى وهو ميقات أهل المدينة الذى يحرمون منه أى وأرجفت
اليهود والمنافقون فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عينين له أى جاسوسين فأتيا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بخبرهم ويقال ان عمرو بن سالم الخزاعى مع نفر من خزاعة فارقوا قريشا

فى نفر من المسلمين فيهم أبو قتادة
ومحلم بن جثامة بن قيس فخرجنا
حتى اذا كنا ببطن اضم مر بنا
عامر بن الاضبط الاشجعى على
قعود له ومعه متبع له ووطب
من لبن فسلم علينا بتحية الاسلام
فامسكنا عنه وحمل عليه محلم
فقتله لشئ كان بينه وبينه وأخذ
بعيره ومتبعه فلما قدمنا على
رسول الله صلى الله عليه وسلم
واخبرناه الخبر نزل فينا يا أيها
الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل
الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى
اليكم السلام لست مؤمنا
الى آخر الآية وتقدم فى سرية
غالب الليثى أن الآية نزلت فى
قتل اسامة بن زيد مرداس بن
نهيك فيحتمل تعدد القصة وتكرر
نزول الآية ثم ان أبا قتادة ومن
معه لم يلقوا جمعا ولا بلغهم انه صلى
الله عليه وسلم خرج من المدينة
وتوجه الى مكة فلحقوه بالسقيا
فاخبروه الخبر فقال لمحلم أقتلته بعد
ما قال آمنت بالله وفى رواية بعد
ما قال انى مسلم فجلس محلم بين
يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليستغفر له وقال انما قالها متعوذا
قال أفلا شققت عن قلبه لتعلم
أصادق هو أم كاذب قال وهل
قلبه الا مضغة من لحم قال صلى
الله عليه وسلم انما كان ينبئ عنه

٣١ سيره ثانى لسانه وفى رواية لا ما فى قلبه تعلم ولا لسانه صدقت فقال استغفر لى يا رسول الله قال لا غفر الله لك أى زجرا وتهويلا
لهذا الامر كيلا يتهاون الناس بقتل النفس المؤمنة فقام محلم وهو يتلقى دموعه ببرديه فما مضت له سابعة من الليالى حتى مات
فجهزوه ودفنوه فلفظته الارض ثم عادوا فدفنوه فلفظته الارض ثم دفنوه فلفظته الارض فرضموا عليه الحجارة حتى واروه فذكروا
ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الارض تقبل من هو شر من صاحبكم ولكن الله أراد ان يعظكم فى حرمة ما بينكم بما

أراكم منه وجاء فى بعض طرق هذه القصة ان عيينة بن حصن قام يطالب بدم عامر بن الاضبط وعيينة يومئذ رئيس غطفان وقام الاقرع بن حابس يدفع عن محلم بن جثامة لمكانه من خندف فتداولا الخصومة عنده صلى الله عليه وسلم وأرادوا الاقتصاص من محلم ثم قبلوا الدية ثم سأل محلم النبى صلى الله عليه وسلم ان يستغفر له فقال اللهم لا تغفر له فمات بعد سبع الى آخر ما تقدم

﴿غزوة الفتح الاعظم وهو فتح مكة شرفها الله تعالى﴾ ٢٤٢ وهو الفتح الذى استبشر به أهل السماء وضربت أطناب عزه على

من ذى طوى وجاؤا الى النبى صلى الله عليه وسلم وأخبروه خبرهم وانصرفوا وما وصلوا أى كفار قريش ومن معهم للابواء أرادوا نبش قبر أمه صلى الله عليه وسلم والمشير عليهم بذلك هند بنت عتبة زوج أبى سفيان رضى الله تعالى عنهما فقالت لو بحثتم قبر أم محمد فان أسر منكم أحدا فديتم كل انسان بارب من آرابها أى جزء من أجزائها فقال بعض قريش لا يفتح هذا الباب والا نبش بنو بكر موتانا عند مجيئهم وحرست المدينة وبات سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وسعد ابن عبادة وعليهم السلاح فى المسجد بباب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أصبحوا ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا قال رأيت البارحة فى منامى خيرا رأيت بقرا تذبح ورأيت فى ذبابة سيفى أى وهو ذو الفقار ثلما باسكان اللام وفى لفظ وكأن ظبة سيفى انكسرت وفى لفظ ورأيت سيفى ذا الفقار انفصم من عند ظبته فكرهته وهما مصيبتان ورأيت أنى أدخلت يدى فى درع حصينة وفى رواية ورأيت أنى فى درع حصينة أى وانى مردف كبشا قال صلى الله عليه وسلم بعد أن قيل له ما أولتها قال فأما البقر فناس من أصحابى يقتلون وفى لفظ أولت البقر بقرا يكون فينا وأما الثلم الذى رأيت فى سيفى فهو رجل من أهل بيتى أى وفى رواية من عترتى يقتل وفى رواية رأيت أن سيفى ذا الفقار فل فأولته فلا فيكم أى وفلول السيف كسور فى حده وقد حصل فى حد سيفه كسور وحصل انفصام ظبته وذهابها فكان ذلك علامة على وجود الامرين وأما الدرع الحصينة فالمدينة أى واما الكبش فانى أقتل كبش القوم أى حامیهم وقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه ان رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا فان أقاموا أقاموا بشر مقام وان هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها أى فانا أعلم بها منهم وكانوا قد شبكوا المدينة بالبنيان من كل ناحية فهى كالحصن وكان ذلك رأى أكابر المهاجرين والانصار قال ووافق على ذلك عبد الله بن أبى ابن سلول أى فان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل اليه يستشيره ولم يستشره قبل ذلك قال يا رسول الله أقم بالمدينة ولا تخرج فوالله ما خرجنا منها الى عدو لنا قط الا أصاب منا ولا دخلها الا أصبنا منه فدعهم يا رسول الله فان أقاموا أقاموا بشر مجلس وان دخلوا قاتلهم الرجال فى وجوههم ورماهم الصبيان بالحجارة من ورائهم وان رجعوا رجعوا خائبين كما جاؤا اه وهذا هو الظاهر خلافا لما ذكره بعضهم من أنه صلى الله عليه وسلم دعا عبد الله بن أبى ابن سلول ولم يدعه قط قبلها فاستشاره فقال يا رسول الله اخرج بنا الى هذه الاكالب اذلا يناسب ذلك ما يأتى عنه من رجوعه وقوله خالفنى الخ ونحو قال ذلك رجل من المسلمين ممن أكرمه الله بالشهادة يوم أحد وقال رجال أى غالبهم احداث أحبوا لقاء العدو وغالبهم ممن أسف على ما فاته من مشهد بدر اخرج بنا الى أعدائنا لا يرونا أنا جبنا عنهم وضعفنا أى فيكون ذلك جراءة منهم علينا والله لا تطمع العرب فى أن تدخل علينا منازلنا وفى لفظ ان الانصار قالوا يا رسول الله ما غلبنا عدو لنا أتانا فى دارنا أى فى ناحية من نواحيها فكيف وأنت فينا ووافقهم على ذلك حمزة بن عبد المطلب وقال للنبى صلى الله عليه وسلم والذى أنزل عليك

مناكب الجوزاء ودخل الناس بسببه فى دين الله أفواجا وأشرق به وجه الارض ضياء وابتهاجا خرج صلى الله عليه وسلم بكتائب الاسلام وجنود الرحمن لنقض قريش العهد الذى وقع بالحديبية فانه كان قد وقع الشرط ان من أحب ان يدخل فى عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده فعل ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم فعل فدخلت بنو بكر فى عقد قريش وعهدهم ودخلت خزاعة فى عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده وكانت خزاعة حلفاء جده عبد المطلب حين تنازع مع عمه نوفل فى ساحات وأفنية من السقاية كانت فى يد عبد المطلب فأخذها منه نوفل فاستنهض عبد المطلب قومه فلم ينهض معه منهم أحد وقالوا لا ندخل بينك وبين عمك ثم كتب الى أخواله بنى النجار فجاء منهم سبعون وقالوا ورب هذه البنية لتردن على ابن اختنا ما أخذت منه والا ملأنا منك السيف فرده ثم حالف نوفل بنى أخيه عبد شمس فحالف عبد المطلب خزاعة وكان عليه الصلاة والسلام بذلك عارفا ولقد جاءته خزاعة يوم الحديبية بكتاب جده عبد المطلب فقرأه عليه أبى بن كعب رضى الله عنه وهو باسمك اللهم هذا حلف عبد المطلب بن هاشم لخزاعة اذ قدم عليه سراتهم وأهل الرأى منهم غائبهم يقرب ما الكتاب قاض عليه شاهدهم ان بيننا وبينكم عهود الله وعقوده وما لا ينسى أبدا اليد واحدة والنصر واحد ما أشرق ثبير وثبت حراء وما بل بحر صوفة ولا يزداد فيما بيننا وبينكم الا تجددا أبد الدهر سرمدا وفى رواية حلفا جاهليا غير مفرق الاشياخ على الاشياخ والاصاغر على الاصاغر والشاهد على الغائب وتعاهدوا وتعاقدوا وأوكد عهد وأوثق عقد لا ينقض ولا ينكث ما أشرقت شمس على ثبير وحق بفلاة

بعير وما أقام الاخشبان واعتمر بمكة انسان حلف أبد لطول أمد يزيده طلوع الشمس شدا وظلام الليل مدا وان عبد المطلب وولده
ومن معهم ورجال خزاعة متكافئون متضافرون متعاونون على عبد المطلب النصرة لهم بن تابعه على كل طالب وعلى خزاعة النصرة
لعبد المطلب وولده ومن معهم على جميع العرب فى شرق أو غرب أو حزن أو سهل وجعلوا الله على ذلك كفيلا وكفى به حميلا ولما ذكرت
خزاعة ذلك الحلف للنبى صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية قال صلى الله عليه وسلم ٢٤٣ ما أعرفنى بحلفكم وأنتم على ما أسلمتم عليه
من الحلف وكل حلف كان فى الجاهلية فلا يزيده الاسلام الا شدة ولا حلف فى الاسلام وهذا الذى نفاه فى الاسلام هو ما كان على الفتن والقتال والغارات والذى قواه الاسلام ما كان على نصر المظلوم وصلة الارحام والخير ونصرة الحق فلا تنافى حينئذ ثم انه قد كان بين بنى بكر بن عبد مناة ابن كنانة وبين خزاعة حروب وقتلى فى الجاهلية وتشاغلوا عن ذلك لما ظهر الاسلام فلما كانت الهدنة خرج نوفل بن معاوية الديلى من بنى بكر ومعه جماعة من قبيلة بنى الديل حتى بيت خزاعة وهم على ماء لهم يسمى الوتير بأسفل مكة فأصاب منهم رجلا يقال له منبه واستيقظت لهم خزاعة فاقتتلوا الى ان دخلوا الحرم ولم يتركوا القتال فلما انتهوا الى الحرم قالت بنو بكر يا نوفل انا قد دخلنا الحرم الهك الهك فقال كلمة عظيمة وهى قوله لا اله له يا بنى بكر اصيبوا ثاركم فلعمرى انكم لتسرقون فلا تصيبون ثاركم فيه وقيل ان سبب القتال بين بنى بكر وخزاعة ان شخصا من بنى بكر هجا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصار يتغنى به فسمعه غلام من خزاعة فضربه فشجه فثار الشر بين الحيين مع ما كان بينهم من العداوة وطلب بنو بكر من قريش ان يعينوهم بالرجال والسلاح على خزاعة فأمدوهم بذلك فبيتوا خزاعة ووقع القتال بينهم وكان جملة من قتل من خزاعة عشرين أو ثلاثة وعشرين وقاتل مع بنى بكر جمع من قريش خفية منهم صفوان بن أمية وحويطب بن عبد العزى وعكرمة بن أبى جهل وشيبة بن عثمان وسهيل بن عمرو وكل هؤلاء أسلموا بعد ذلك رضى الله عنهم ولم يشاوروا فى ذلك أبا سفيان وقيل شاوروه فأبى عليهم وظنوا أنهم لم يعرفوا وأن هذا لا يبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا زالوا يقاتلون

الكتاب لا أطعم طعاما حتى أجاد لهم بسيفى خارج المدينة كل ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم كاره للخروج فلم يزالوا برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وافق على ذلك فصلى الجمعة بالناس ثم وعظهم وأمرهم بالجد والاجتهاد وأخبرهم ان لهم النصرة ما صبروا وأمرهم بالتهيؤ لعدوهم ففرح الناس بذلك ثم صلى بالناس العصر وقد حشدوا أى اجتمعوا وقد حضر أهل العوالى ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته ومعه أبو بكر وعمر رضى الله عنهما عماه ولبساه وصف الناس ينتظرون خروجه صلى الله عليه وسلم فقال لهم سعد بن معاذ وأسيد بن حضير استكرهتم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الخروج فردوا الامر اليه أى فأمركم به وما رأيتم له فيه هوى ورأيا فاطيعوه ○ فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد لبس لأمته ○ وظاهر بين درعين ○ أى لبس درعا فوق درع وهما ذات الفضول وفضة التى أصابها من بنى قينقاع كما تقدم وذات الفضول هذه هى التى أرسلها اليه صلى الله عليه وسلم سعد بن عبادة رضى الله عنه حين سار الى بدر وهى التى مات صلى الله عليه وسلم عنها وهى مرهونة عند اليهودى وافتكها أبو بكر رضى الله عنه وأظهر الدرع وخرم وسطها بمنطقة من أدم من جمائل سيفه صلى الله عليه وسلم وأنكر الامام أبو العباس بن تيمية أنه صلى الله عليه وسلم تمنطق حيث قال لم يبلغنا أن النبى صلى الله عليه وسلم شد وسطه بمنطقة وقد يقال مراد ابن تيمية المنطقة المعروفة وليس هذا منها وفيه رد على بعضهم فى قوله كان له صلى الله عليه وسلم منطقة من أدم فهى ثلاث حلق من فضة والطرف من فضة وقد يقال لا يلزم من كونه له منطقة أن يكون تمنطق بها فليتأمل وتقلد صلى الله عليه وسلم السيف وألقى الترس فى ظهره أى وفى رواية فركب صلى الله عليه وسلم فرسه السكب وتقلد القوس وأخذ قناته بيده أى ولا مانع أن يكون جمع بين ذلك فقالوا له ما كان لنا أن نخالفك ولا نستكرهك على الخروج فاصنع ما شئت وفى رواية فان شئت فاقعد أى وقال قد دعوتكم الى القعود فأبيتم وما ينبغى لنبى اذا لبس لامته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه أى وفى رواية حتى يقاتل وأخذ منه أنه يحرم على النبى نزع لامته اذا لبسها حتى يلحق العدو ويقاتل وبه قال أئمتنا أى وقيل انه مكروه واستبعد وقوله صلى الله عليه وسلم وما ينبغى لنبى يقتضى أن سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام مثله فى ذلك أى لان نزع ذلك يشعر بالجبن وذلك ممتنع على الانبياء صلى الله وسلم عليهم قاله فى النور وما اختص به من المحرمات فهو مكروه له لان المحرم فى المنهيات كالواجب فى المأمورات وعقد صلى الله عليه وسلم ثلاثة ألوية لواء للاوس وكان بيد أسيد بن حضير ولواء للمهاجرين وكان بيد على بن أبى طالب كرم الله وجهه وقيل بيد مصعب بن عمير أى لانه كما قيل لما سئل عمن يحمل لواء المشركين فقيل طلحة بن أبى طلحة أى من بنى عبد الدار فأخذه صلى الله عليه وسلم من على ودفعه لمصعب بن عمير أى لان مصعب بن عمير من بنى عبد الدار وهم أصحاب اللواء فى الجاهلية كما تقدم وسيأتى ولواء للخزرج كان بيد الحباب بن المنذر وقيل بيد سعد بن عبادة وخرج فى ألف وقيل

خزاعة حتى أدخلوهم دار بديل بن ورقاء الخزاعي بمكة فلما ناصرت قريش بني بكر على خزاعة ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهد والميثاق تدموا وفي رواية ولما لجأت خزاعة الى دار بديل بن ورقاء ودار مولى لهم يقال له رافع وانتهوا بهم في عماية الصبح ودخلت رؤساء قريش منازلهم وهم يظنون أنهم لا يعرفون وأصبحت خزاعة مقتولين على باب بديل ورافع فقال سهيل بن عمرو لنوفل بن معاوية البكري قد حصرتهم تريد قتل من بقي وهذا مما لا نطاوعك عليه فاتركهم

فتركهم فخرجوا وندمت قريش على ما صنعوا وجاء الحرث بن هشام وعبد الله بن أبي ربيعة الى صفوان ومن كان معه فلاماهم على ما صنعوا وقالا ان بيننا وبين محمد مدة وهذا نقض لها وقالت قريش ان محمدا غازينا فقال ابن أبي سرح لا يغزوكم حتى يخيركم في خصال كلها أهون من غزوة يرسل اليكم أن دوا قتلى خزاعة وهم ثلاثة وعشرون قتيلا أو تبرؤا من حلف بني بكر أو ننبذ اليكم على سواء فقال سهيل بن عمرو نبرأ من حلفهم أسهل وقال شيبة بن عثمان ندى القتلى أهون وقال قرطة بن عمرو لا ندى ولا نبرأ لكن ننبذ اليه على سواء وقال أبو سفيان ليس هذا بشئ وما الرأي الا صوب الا بحد هذا الامر أي كون قريش دخلت في نقض عهد أو قطع مدة وأنه قطع قوم بغير رضا منا ولا مشورة فما علينا قالوا هذا الرأي ولا رأي غيره وكان هذا النقض من قريش في شعبان سنة ثمان وأطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك يوم وقوعه حتى قال لعائشة رضي الله عنها صبيحة وقعة خزاعة لقد حدث يا عائشة في خزاعة أمر فقالت أترى قريشا تجترئ على نقض العهد الذي بينك وبينهم وقد أفناهم السيف فقال ينقضون العهد لا مرير يده الله تعالى قالت يا رسول الله خير قال خير (وروى الطبراني) وسلم من حديث ميمونة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت بات عندي رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فقام ليتوضأ للصلاة فسمعته يقول في متوضئه بالليل لبيك لبيك لبيك لبيك ثلاثا نصرت نصرت نصرت ثلاثا فلما خرج قلت يا رسول الله سمعتك تقول في متوضئك لبيك لبيك لبيك ثلاثا نصرت نصرت نصرت ثلاثا كأنك تكلم انسانا فهل كان معك أحد فقال هذا راجز بني كعب وهم بطن من خزاعة

تسعمائة ولعله تصحيف عن سبعمائة لما سيأتي ان عبد الله بن أبي ابن سلول رجع معه ثلاثمائة فبقي سبعمائة من أصحابه صلى الله عليه وسلم منهم مائة دارع وخرج السعدان امامه صلى الله عليه وسلم يعدو ان سعد بن معاذ وسعد بن عبادة دارعين واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم أي وسار الى ان وصل رأس الثنية أي وعندها وجد كتيبة كبيرة فقال ما هذا قالوا هؤلاء حلفاء عبد الله بن أبي ابن سلول من يهود فقال اسلموا فقيل لا فقال انا لا ننتصر بأهل الكفر على أهل الشرك فردهم أي وهؤلاء اليهود غير حلفائه من بني قينقاع فلا يقال هذا انما يأتي على ان اجلاء بني قينقاع كان بعد أحد لانهم هم حلفاؤه من يهود كما تقدم لانا نمنع انحصار حلفائه من يهود في بني قينقاع وسار صلى الله عليه وسلم وعسكر بالشيخين وهما أطمان أي جبلان ٥ وعند ذلك عرض قومه فرد جعا أي شبابا لم يرهم بلغوا خمس عشرة سنة بل أربع عشرة سنة كذا نقل عن امامنا الشافعي رضي الله عنه ونقل عنه بعضهم انه قال لم يرهم بلغوا أربع عشرة سنة منهم عبد الله بن عمر أو زيد بن ثابت واسامة بن زيد وزيد بن أرقم والبراء بن عازب واسيد بن ظهير وعرابة بن أوس خلافا لمن أنكر صحبته وعرابة هذا هو القائل فيه الشماخ

رأيت عرابة الاوسي يسمو * الى الخيرات منقطع القرين

اذا ما راية رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمين

وأوس والده هو القائل في يوم الاحزاب ان بيوتنا عورة كما سيأتي وأبو سعيد الخدري وسعد بن خيثمة رضي الله تعالى عنهم أي وزيد بن حارثة الانصاري كان أبوه حارثة من المنافقين من أصحاب مسجد الضرار ورافع بن خديج وسمرة بن جندب ثم أجاز صلى الله عليه وسلم رافع بن خديج لما قيل له انه رام وأصيب في ذلك اليوم بسهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أشهد له يوم القيامة ومات في زمن عبد الملك بن مروان لما نقض عليه ذلك الجرح وعند ما أجازه قال سمرة بن جندب لزوج أمه أجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم رافع بن خديج وردني وانا أصرعه فاعلم بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تصارعا فصرع سمرة بن جندب رافعا فأجازه وممن رده صلى الله عليه وسلم يوم أحد لصغر سنه سعد بن حبتة عرف بامه حبتة فلما كان يوم الخندق رآه صلى الله عليه وسلم يقاتل قتالا شديدا فدعاه ومسح على رأسه ودعا له بالبركة في ولده ونسله فكان عمالا ربعين وخالا لاربعين وأبا لعشرين ومن ولده أبو يوسف صاحب أبي حنيفة رضي الله عنهم وتقدم في بدر أنه صلى الله عليه وسلم رد زيد بن ثابت وزيد بن أرقم وأسيد بن ظهير فلما فرغ العرض الا وقد غابت الشمس فأذن بلال بالمغرب فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه ثم أذن بالعشاء فصلى بهم وبات واستعمل على الحرس تلك الليلة محمد بن مسلمة في خمسين رجلا يطوفون بالعسكر ونام رسول الله صلى الله عليه وسلم أي وذكوان بن عبد قيس يحرسه لم يفارقه لما قال صلى الله عليه وسلم من يحفظنا الليلة حتى كان السحر وجاء أنه صلى الله عليه وسلم قال لقد رأيت أي في النوم الملائكة تغسل حمزة رضي الله عنه وأدلج رسول الله صلى الله عليه

يستهزئ بي و يزعم ان قريشا أعانت عليهم بني بكر وهذا علم من أعلام النبوة باهر فاما انه أعلم بذلك بالوحي وعلم ما تصوره الراجز في نفسه أو ان الراجز كان برتجز وأسمع الله نبيه صلى الله عليه وسلم كلامه (قال أهل السير) ولما انقضى قتال بني بكر وخزاعة خرج عمر ابن سالم الخزاعي أحد بني كعب وهم بطن من خزاعة ومعه أربعون راكبا من خزاعة فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرونه بالذي أصابهم و يستنصرونه وقبل قدومهم بثلاث أمر النبي صلى الله عليه وسلم

عائشة رضي الله عنها أن تجهزه أي تهيئ له أهبة السفر وما يحتاج اليه في قطع المسافة اعتمادا على ما أطلعه الله عليه مما وقع من نقض العهد وأمرها أن لا تعلم أحدا فدخل عليها أبو بكر رضي الله عنه قبل ان يخبره النبي صلى الله عليه وسلم ويستشيره في ذلك فقال يا بنية ما هذا الجهاز فقالت ما أدري فقال والله ما هذا زمان غزو بني الاصفر فأين يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا علم لي وفي رواية لابن أبي شيبة انها أعلمته وجمع بينهما بأنه دخل عليها مرتين الاولى قالت له لا علم لي ثم أخبرته صلى الله عليه وسلم فأذن لها في اخبار أبيها لكونه عيبة سره فدخل عليها ثانيا فأخبرته فقال والله ما انتقضت الهدنة بيننا وخرج رضي الله عنه فذكر ما قالت له للنبي صلى الله عليه وسلم فذكر له صلى الله عليه وسلم انهم أول من غدر قالت ميمونة رضي الله عنها فأقمنا ثلاثا أي بعد قوله لها هذا راجز بني كعب ثم صلى بالناس صلى الله عليه وسلم اليوم الثالث فسمعت الراجز ينشده وذلك أن عمرو بن سالم أقبل هو ومن معه حتى دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس بالمسجد فقال منشدا

يا رب اني ناشد محمدا * حلف أبينا وأبيه الاتلدا
ان قريشا أخلفوك الموعدا * ونقضوا ميثاقك المؤكدا
وزعموا أن لست تدعو أحدا * فانصر هداك الله نصرا أبدا
فيهم رسول الله قد تجردا * وادع عباد الله يأتوا مددا
ان سيم خسفا وجهه تربدا * هم بيتونا بالوتير هجدا
(وفي رواية) هم قتلونا بصعيد هجدا * وقتلونا ركعا وسجدا
هم أذل وأقل عددا * وزعموا ان لست أدعو أحدا

وسلم في السحر فكانت صلاة الصبح بالشوط حائط بين المدينة وأحد ومن ذلك المكان رجع عبد الله بن أبي ابن سلول ومن معه من أهل النفاق وهم ثلثمائة رجل وهو يقول عصاني وأطاع الولدان ومن لا رأي له سيعلم ما ندري علام نقتل أنفسنا ارجعوا أيها الناس فرجعوا فتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام وهو والد جابر رضي الله عنهما وكان في الخزرج كعبد الله بن أبي يقول يا قوم اذكركم الله ان تخذلوا بضم الذال المعجمة قومكم ونبيكم أي تتركوا نصرتهم واعانتهم عند ما حضر من عدوهم قالوا لو نعلم انكم تقاتلون لما اسلمناكم ولكن لا نرى أنه يكون قتال وأبوا الا الانصراف فقال لهم أبعدكم الله أي أهلكم الله أعداء الله فسيغني الله تعالى عنكم نبيه وفيه ان قوله المذكور يخالف قوله علام نقتل أنفسنا الا أن يقال على فرض انه يقع قتال علام نقتل أنفسنا فلما رجع عبد الله بن أبي ابن سلول بمن معه قالت طائفة نقتلهم وقالت طائفة أخرى لا نقتلهم وهما ان يقتتلا والطائفتان هما بنو حارثة من الاوس و بنو سلمة من الخزرج فأنزل الله تعالى فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم أي ردهم الى كفرهم بما كسبوا وفي كلام سبط ابن الجوزي ولما رأى بنو سلمة و بنو حارثة عبد الله بن أبي قد خذل هموا بالانصراف وكانوا جناحين من العسكر ثم عصمهما الله وأنزل قوله تعالى اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا الآية فبقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعمائة رجل ومن هذا يعلم ما في المواهب من قوله و يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم أمرهم بالانصراف لكفرهم بمكان يقال له الشوط لان الذين ردهم صلى الله عليه وسلم لكفرهم حلفاء عبد الله بن أبي ابن سلول من يهود وكان رجوعهم قبل الشوط والذين رجع بهم عبد الله كانوا منافقين ورجوعه بهم كان من الشوط ولم يكن مع المسلمين يومئذ الا فرسان فرس لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفرس لابي بردة وقيل لم يكن معهم فرس أي وهذا القيل نقله في فتح الباري عن موسى بن عقبة وأقره وقالت الانصار أي لما رجع ابن أبي يا رسول الله ألا نستعين بحلفائنا من يهود أي يهود المدينة ولعلهم عنوا بهم بني قريظة لان بني قريظة من حلفاء سعد بن معاذ وهو سيد الاوس قال بعضهم كان في الانصار كأبي بكر في المهاجرين فقال صلى الله عليه وسلم لا حاجة لنا فيهم (أقول) وحينئذ يكون المراد قالت طائفة من الانصار وهم الاوس ولم يكونوا سمعوا قوله صلى الله عليه وسلم انا لا نستنصر بأهل الشرك على أهل الشرك والله أعلم وقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه من يخرج بنا على القوم من كثيب أي من طريق قريب لا يمر بنا عليهم فقال أبو خيثمة أنا يا رسول الله فنفذ به من حرة بني حارثة و بين أموالهم حتى دخل في حائط للمربع بن قيظي الحارثي وكان رجلا منافقا ضريرا فقام يحثي التراب أي في وجوههم و يقول ان كنت رسول الله فاني لا أحل لك أن تدخل حائطي وفي يده حفنة من تراب وقال والله لو أعلم اني لا أصيب بها غيرك يا محمد لضربت بها وجهك فابتدر اليه سعد بن زيد فضربه بالقوس في رأسه فشجه وأراد القوم قتله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقتلوه فهذا الاعمى أعمى القلب أعمى البصر أي وغضب له ناس من

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت يا عمرو بن سالم وفى رواية فقام صلى الله عليه وسلم وهو يجر رداءه وهو يقول لا نصرت ان لم أنصركم بما انصر به نفسى وفى رواية قال والذى نفسى بيده لا منعنهم مما أمنع منه نفسى وأهل بيتى وفى رواية قالت عائشة رضى الله عنها لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم غضب مما كان من شأن بنى كعب غضبا لم أره غضبه منذ زمان وفى رواية انه دمعت عيناه حين سمع شعر عمرو بن سالم وقال خزاعة ٢٤٦ منى وأنا منهم وسأل صلى الله عليه وسلم عمرو بن سالم فيمن تهمتكم قال فى بنى بكر قال كلها قال لا ولكن فى بنى نفاثة وهم بطن من بنى بكر ثم قال صلى الله عليه وسلم لعمرو بن سالم وأصحابه ارجعوا وتفرقوا فى الاودية فرجعوا وتفرقوا وذهبت فرقة الى الساحل وفرقة لزمت الطريق وقصد بذلك صلى الله عليه وسلم اخفاء مجيئهم للنبى صلى الله عليه وسلم ثم قدم بديل بن ورقاء الخزاعى على النبى صلى الله عليه وسلم بعد ذهاب عمرو بن سالم ومعه نفر من قومه فأخبروه صلى الله عليه وسلم الخبر ورجعوا ولزم بديل الطريق فى نفر من قومه وقيل ان بديلا لم يفارق مكة حتى لقيه فى الفتح بمر الظهران وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال لركب خزاعة أنا باعث الى أهل مكة فسائلهم عن هذا الامر ومخبرهم فى خصال ثلاث فبعث اليهم ضمرة يخيرهم بين أن يدوا قتلى خزاعة أو يبرؤا من حلف بنى نفاثة أو ينبذ اليهم على سواء فأتاهم ضمرة فأخبرهم فقال قرظة بن عمرو لا ندى ولا نبرأ لكن ننبذ اليه على سواء ثم ندمت قريش على ما رد وابه فبعثوا أبا سفيان يجدد الصلح ويزيدهم فى المدة وقيل ان أبا سفيان توجه مبادرا قبل أن يبلغ المسلمين الخبر ولم يعلم بمسير خزاعة قبله وقيل ان الحرث بن هشام وعبد الله بن أبى ربيعة مشيا الى أبى سفيان فقالا له ان لم يصلح هذا الامر لا روعكم الا محمد فى أصحابه فقال أى أبو سفيان قد رأت هند بنت عتبة رؤيا كرهتها وخفت من شرها قالوا وما هى قال رأت دما أقبل من الحجون يسيل حتى وقف بالخندمة ملیا ثم كان ذلك الدم كأن لم يكن فكرهوا الرؤيا وقال أبو سفيان هذا أمر ألم أشهده ولم أغب عنه ولا يحمل الا على والله ما شوورت فيه ولا هويته حتى بلغنى ليغزونا محمد ان صدقنى ظنى وهو صادق وما بد من أن آتى محمدا فأكلمه فقالت قريش أصبت فخرج ومعه مولى

بنى حارثة كانوا على مثل رأيه أى منافقين لم يرجعوا مع من رجع مع عبد الله بن أبى فهم بهم أسيد بن حضير حتى أومأ أى أشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بترك ذلك ○ ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل الشعب من أحد فجعل ظهره وعسكره الى أحد قال واستقبل المدينة وصف المسلمين فى جبل أحد أى بعد ان بات به تلك الليلة وحانت الصلاة صلاة الصبح والمسلمون يرون المشركين فأذن بلال وأقام وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه صفوفا وخطب خطبة حثهم فيها على الجهاد ومن جملة ما ذكر فيها من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فعليه الجمعة الا صبيا أو امرأة أو مريضا أو عبدا مملوكا وفى رواية الا امرأة أو مسافرا أو عبدا أو مريض بالرفع وعليها فالمستثنى محذوف أى الأربعة وماذكر بدل منها قال ومن استغنى عنها استغنى الله عنه والله غنى حميد ما أعلم من عمل يقربكم الى الله تعالى الا وقد أمرتكم به ولا أعلم من عمل يقربكم من النار الا وقد نهيتكم عنه وانه قد نفث أى أوحى وألقى فى روعى بضم الراء أى قلبى الروح الامين أى الذى هو جبريل انه لن تموت نفس حتى تستوفى أقصى رزقها لا ينقص منه شئ وان أبطأ عنها فاتقوا الله ربكم واجملوا أى احسنوا فى طلب الرزق لا يحملنكم استبطاؤه ان تطلبوه بمعصية الله والمؤمن من المؤمن كالرأس من الجسد اذا اشتكى تداعى اليه سائر جسده والسلام عليكم انتهى أى ولما أقبل خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك ومعه عكرمة بن أبى جهل رضى الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك كما تقدم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام وقال له استقبل خالد بن الوليد فكن بازائه وأمر بخيل أخرى فكانوا من جانب آخر ولعل المراد وأمر جماعة بأن يكونوا بازاء خيل أخرى للمشركين لانه تقدم أنه لم يكن معهم الا فرس أو الا فرسان أى وما وقع فى الهدى أن الفرسان من المسلمين يوم أحد كانوا خمسين رجلا سبق قلم وقال لا تبرحوا حتى أوذنكم وقال لا يقاتلن أحد حتى آمره بالقتال أو كان الرماة خمسين رجلا وأمر عليهم عبد الله بن جبير وقال انضح الخيل عنا بالنبل لا يأتونا من خلفنا وانبت مكانك ان كانت لنا أو علينا أى وفى رواية ان رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا حتى أرسل اليكم وان رأيتمونا ظهرنا على القوم وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل اليكم زاد فى رواية وان رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا قال وفى رواية انه قال أى للرماة الزموا مكانكم لا تبرحوا منه فاذا رأيتمونا نهزمهم حتى ندخل فى عسكرهم فلا تفارقوا مكانكم وان رأيتمونا نقتل فلا تغيثونا ولا تدفعوا عنا وارشقوهم بالنبل فان الخيل لا تقدم على النبل ان نال غالبين ما مكثتم مكانكم اللهم انى أشهدك عليهم انتهى وأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفا أى وكان مكتوبا فى احدى صفحتيه

فى الجبن عار وفى الاقبال مكرمة * والمرء بالجبن لا ينجو من القدر

وقال من يأخذ هذا السيف بحقه فقام اليه رجال فأمسكه عنهم من جملتهم على رضى الله تعالى عنه قام ليأخذه فقال اجلس وعمر رضى الله تعالى عنه فاعرض عنه والزبير رضى الله تعالى عنه

له على راحلتين وعند رجوع ركب خزاعة من المدينة لقوا أبا سفيان بعسفان فسألهم هل ذهبتم الى المدينة قالوا لا وتركوه وذهبوا
فجاء الى مبركهم بعدان فارقوه فأخذ بعرا وفتته فوجد فيه النوى فعلم انهم ذهبوا الى المدينة وفى رواية ان أبا سفيان لقى بديل بن ورقاء
بعسفان فاشفق أبو سفيان أن يكون بديل قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال للقوم أخبرونا عن يثرب متى عهدكم بها قالوا لا علم
لنا بها انما كنا بالساحل نصلح بين الناس فى قتيل وفى لفظ قال من أين أقبلت ٢٤٧ يا بديل قال سرت الى خزاعة فى هذا الساحل

أى وطلبه ثلاث مرات كل ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض عنه ○ حتى أقام اليه
أبو دجانة وقال ما حقه يا رسول الله قال تضرب به فى وجه العدو حتى ينحنى قال أنا آخذه بحقه
فدفعه اليه وكان رجلا شجاعا يختال عند الحرب أى يمشى مشية المتكبر وحين رآه رسول الله
صلى الله عليه وسلم يتبختر بين الصفين قال انها المشية يبغضها الله الا فى مثل هذا الموطن أى لان
فيها دليلا على عدم الاكتراث بالعدو وعند اصطفاف القوم نادى أبو سفيان بن حرب يا معشر
الاوس والخزرج خلوا بيننا وبين بنى عمنا ونصرف عنكم فشتموه أقبح شتم ولعنوه أشد اللعن
قال وخرج رجل من المشركين على بعيره فدعا للبراز فأحجم عنه الناس حتى دعا ثلاثا فقام اليه
الزبير فوثب حتى استوى معه على البعير ثم عانقه فاقتتلا فوق البعير فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الذى يلى حضيض الارض مقتول فوقع المشرك فوقع عليه الزبير فذبحه فاثنى عليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لكل نبى حوارى وان حوارى الزبير وقال صلى الله عليه
وسلم لو لم يبرز اليه الزبير لبرزت اليه لما رأى من احجام الناس عنه انتهى وخرج رجل من
المشركين بين الصفين أى وهو طلحة بن أبى طلحة وأبو طلحة والده اسمه عبد الله بن عثمان بن عبد
الدار وكان بيده لواء المشركين لان بنى عبد الدار كانوا أصحاب لواء المشركين لان اللواء كان
لوالدهم عبد الدار كما تقدم وطلب طلحة المبارزة مرارا فلم يخرج اليه أحد فقال يا أصحاب محمد
زعمتم ان قتلاكم الى الجنة وان قتلانا الى النار وفى رواية قال يا أصحاب محمد انكم تزعمون ان
الله تعالى يعجلنا بسيوفكم الى النار ويعجلكم بسيوفنا الى الجنة فهل أحد منكم يعجلنى بسيفه
الى النار أو أعجله بسيفى الى الجنة كذبتم واللات والعزى لو تعلمون ذلك حقا لخرج الى
بعضكم فخرج اليه على بن أبى طالب فاختلفا ضربتين فقتله على رضى الله تعالى عنه أى وفى
رواية فالتقيا بين الصفين فبدره على نصره أى قطع رجله ووقع على الارض وبدت عورته
فقال يا ابن عمى أنشدك الله والرحم فرجع عنه ولم يجهز عليه فقال له بعض أصحابه أفلا أجهزت
عليه فقال انه استقبانى بعورته فعطفنى عليه الرحم وعرفت ان الله قد قتله وفى رواية قال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منعك ان تجهز عليه فقال ناشدنى الله والرحم فقال اقتله فقتله
أى ووقع السيد ناعلى كرم الله وجهه مثل ذلك فى يوم صفين مرتين الاولى حمل على نصر بن
ارطاة فلما رأى أنه مقتول كشف عن عورته فانصرف عنه والثانية حمل على عمرو بن العاص
فلما رأى أنه مقتول كشف عن عورته فانصرف عنه على كرم الله وجهه ○ فأخذ لواء
المشركين أخو طلحة وهو عثمان بن أبى طلحة وعثمان هذا هو أبو شيبة الذى ينسب اليه
الشيبيون فيقال بنى شيبة فحمل عليه حمزة فقطع يده وكتفه حتى انتهى الى مؤتزره فرجع
حمزة وهو يقول أنا ابن ساقى الحجيج يعنى عبد المطلب فأخذه أخو عثمان وأخو طلحة وهو
أبو سعيد بن أبى طلحة فرماه سعد بن أبى وقاص فأصاب حنجرته فقتله فحمله مسافع بن طلحة بن
أبى طلحة الذى قتله على رضى الله تعالى عنه فرماه عاصم بن ثابت بن أبى الافلح فقتله ثم حمله

قال أوما أتيت محمدا قال لا فلما
راح بديل الى مكة أى توجه اليها
قال أبو سفيان لئن كان جاء الى
المدينة لقد علف بها النوى فجاء
الى منزلهم ففتت أبعارا بأعرهم
فوجد فيها النوى فقال أبو سفيان
احلف بالله لقد جاء القوم محمدا
وقبل قدوم أبى سفيان المدينة قال
صلى الله عليه وسلم لاصحابه رضى
الله عنهم كأنكم بأبى سفيان قد جاء
يقول جدد العهد وزد فى المدة وهو
راجع بسخطة فلما انتهى أبو
سفيان الى المدينة دخل على بنته
أم حبيبة أم المؤمنين زوج النبى
صلى الله عليه وسلم ورضى عنها
فأراد أن يجلس على فراش رسول
الله صلى الله عليه وسلم فطوته عنه
فقال يا بنية ما أدرى ارغبت بى
عن هذا الفراش أم رغبت به عنى
قالت بل هو فراش رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأنت رجل
مشرك نجس ولم أحب ان تجلس
على فراش رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال والله لقد أصابك
يا بنية بعدى شر قالت بل هدانى
الله للاسلام فأنت يا أبت سيد
قريش وكبيرها كيف يسقط
عنك الدخول فى الاسلام وأنت
تعبد حجرا لا يسمع ولا يبصر فقام
من عندها فأتى رسول الله صلى
الله عليه وسلم يسأله ان يجدد العهد

ويزيد فى المدة فأبى عليه وقال ابن اسحق انه كلم النبى صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليه شيأ وفى رواية قال يا محمد انى كنت غائبا فى صلح
الحديبية فاشدد العهد وزد نا فى المدة فقال صلى الله عليه وسلم فلذلك جئت قال نعم فقال هل كان من حدث فقال معاذ الله نحن على عهدنا
وصلحنا لا نغير ولا نبدل فقال صلى الله عليه وسلم فنحن على ذلك فأعاد أبو سفيان القول فلم يرد عليه شيأ فذهب الى أبى بكر رضى الله عنه
فكلمه ان يكلم له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما أنا بفاعل وفى رواية قال لابى بكر تكلم محمدا أو تجير بين الناس فقال جوارى

فى جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتى عمر رضى الله عنه فقال أنا أشفع لكم والله لو لم أجد الا الذر لجاهدتكم به وفى رواية قال له عمر رضى الله عنه ما كان من حلفنا جديدا فأخلقه الله وما كان متينا فقطعه الله وما كان منه مقطوعا فلا وصله الله فقال أبو سفيان جوزيت من ذى رحم شرا ثم دخل على على رضى الله عنه وعنده فاطمة رضى الله عنها وحسن رضى الله عنه غلام يدب بين يديها فقال يا على انك أمس القوم بى رحما وانى جئت فى حاجة فلا أرجع كما جئت خائبا فاشفع لى فقال على رضى الله عنه ويحك يا أبا سفيان والله لقد عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر ما نستطيع ان نكلمه فيه فالتفت الى فاطمة وقال يا بنت محمد هل لك ان تأمرى ابنك هذا فيجير بين الناس فيكون سيد العرب الى آخر الدهر فقالت والله ما بلغ بنى هذا ان يجير بين الناس وما كان أحد يجير على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية انه جاء عثمان رضى الله عنه قبل على رضى الله عنه فقال جوارى فى جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أتى سعد بن عبادة رضى الله عنه فقال يا أبا ثابت انك سيد هذه البحيرة فأجر بين الناس وزد فى المدة فقال سعد جوارى فى جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يجير أحد عليه فأتى أشراف قريش والانصار فكلمهم وكلهم يقول جوارى فى جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يجير أحد عليه فلما أيس منهم دخل على فاطمة رضى الله عنها فقال هل لك أن تجيرى بين الناس فقالت انما أنا امرأة وأبت عليه فقال هرى ابنك فقالت ما بلغ ان يجير فقال لعلى رضى الله عنه يا أبا حسن انى أرى الامور قد اشتدت على فانصحنى قال والله ما اعلم شيأ يغنى عنك ولكنك سيد بنى كنانة فقم فأجر بين الناس ثم الحق بأرضك قال أوترى ذلك مغنيا عنى شيأ قال لا والله ما أظنه ولكن لا اجد لك غير ذلك فقام أبو سفيان فى المسجد فقال أيها الناس انى قد أجرت بين الناس ولا والله ما أظن ان يخفرنى أحد ثم دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد انى قد أجرت بين الناس فقال صلى الله عليه وسلم أنت تقول ذلك يا أبا حنظلة ثم ركب بعيره وانصرف الى مكة وكانت غيبته قد طالت واتهمته قريش أشد التهمة وقالوا قد صبا واتبع محمدا سرا وكتم اسلامه فلما دخل على هند امرأته ليلا قالت لقد غبت حتى

أخو مسافع وهو الحرث بن طلحة فرماه عاصم فقتله أى فكانت أمهما وهى سلافة معهما وكل واحد منهما بعد ان رماه عاصم يأتى أمه ويضع رأسه فى حجرها فتقول له يا بنى من أصابك فيقول سمعت رجلا حين رمانى يقول خذها وأنا ابن أبى الافلح فنذرت ان أمكنها الله من رأس عاصم أن تشرب فيه الخمر وجعلت لمن جاء برأسه مائة من الابل وسيأتى مقتل عاصم فى سرية الرجيع فحمله أخوه مسافع وأخوا الحرث وهو كلاب بن طلحة فقتله الزبير أى وقيل قزمان فحمله أخوهم وهو الجلاس بن طلحة فقتله طلحة بن عبيد الله فكل من مسافع والحرث وكلاب والجلاس الاربعة أولاد طلحة بن أبى طلحة كل قتل كأبيهم طلحة وعمهم وهما عثمان وأبو سعيد وعند ذلك حمله أرطاة بن شرحبيل فقتله على بن أبى طالب وقيل حمزة فحمله شريح بن قارظ فقتل أى ولم يعرف قاتله ثم حمله أبو زيد بن عمرو بن عبد مناف بن هاشم بن عبد الدار فقتله قزمان فحمله ولد شرحبيل بن هاشم فقتله قزمان أيضا ثم حمله صواب غلامهم أى وكان حبشيا فقاتل حتى قطعت يده ثم برك عليه فأخذه لصدره وعنقه حتى قتل عليه أى قتله قزمان وقيل القاتل له سعد بن أبى وقاص وقيل على وقد كان أبو سفيان قال لاصحاب اللواء أى لواء المشركين من بنى عبد الدار يحرضهم على القتال يا بنى عبد الدار انكم تركتم لواءنا يوم بدر فأصابنا ما قد رأيتم وانما تؤتى الناس من قبل راياتهم اذا زالت زالوا فاما أن تكفونا لواءنا واما ان تخلوا بيننا وبينه فنكفيكموه فهموا به وتواعدوه وقالوا نحن نسلم اليك لواءنا ستعلم غدا اذا التقينا كيف نصنع وذلك الذى أراد أبو سفيان قال ابن قتيبة ويقال ان هذه الآية نزلت فى بنى عبد الدار ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ولما صرع صاحب لواء المشركين أى الذى هو طلحة بن أبى طلحة استبشر النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه أى لانه كبش الكتيبة أى الجيش أى حاميهم الذى رآه صلى الله عليه وسلم فى رؤياه المتقدمة انه مرد فاكبشا وقال أولت ذلك أنى أقتل كبش الكتيبة فهذا كبش الكتيبة وعند وجود ما ذكر من قتل أصحاب اللواء صاروا كتائب متفرقة فجلس المسلمون فيهم ضربا حتى اجتاحوهم أى أزالوهم عن أثقالهم أى وكان شعار المسلمين يومئذ امت امت وشعار الكفار باللعزى وهى شجرة كانوا يعبدونها بالهبل وهو صنم كان داخل الكعبة منصوبا على بئرها وسيأتى فى فتح مكة أنه كان خارجها بجانب الباب وقد يقال لا منافاة لانه يجوز أن يكون فى أول الامر كان داخل الكعبة ثم أخرج منها وجعل بجانبها ○ أى وخرج عبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك فقال من يبارز فنهض اليه أبوه أبو بكر شاهرا سيفه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم شم سيفك وارجع الى مكانك ومتعنا بنفسك وتقدم طلب عبد الرحمن للمبارزة أيضا فى يوم بدر وتقدم عن ابن مسعود ان الصديق دعا ابنه يعنى عبد الرحمن يوم أحد الى البراز وهو يخالف ما هنا الا أن يقال انه هنا يجوز وقوع كل من الامرين أى طلب المبارزة من الصديق لولده عبد الرحمن وطلب المبارزة من عبد الرحمن

لوالده

انهمك قومك فان كنت مع طول الاقامة جئتهم بنجح فانت الرجل ثم جلس منها مجلس الرجل من امرأته فقالت ماصنعت فأخبرها الخبر وقال لم أجد الا ماقال لى على فضربت برجلها فى صدره وقالت قبحت من رسول قوم فما جئت بخير فلما أصبح حلق رأسه عند أساف ونائلة وذبح لهما ومسح بالدم رؤسهما وقال لا أفارق عبادتكما حتى أموت وأراد بذلك ان تبرئه قريش مما اتهمته به من قولهم انه صبأ فلما صنع ذلك قالوا له ماوراءك هل جئت بكتاب من محمد أو زيادة فى مدة ٢٤٩ فانا لا نأمن ان يغزونا فقال والله لقد أبى على وفى رواية كلمته فوالله مارد على شيأ ثم جئت أبا بكر فلم أجد فيه خيرا ثم جئت ابن الخطاب فوجدته ادنى العدو وفى رواية اعدى العدو وكلمت عليه أصحابه فما قدرت على شئ منهم الا انهم يرمونني بكلمة واحدة ومارأيت قوما يوما اطوع للك عليهم منهم له الا ان عليا لما ضاقت بى الامور قال أنت سيد بنى كنانة فأجر بين الناس فناديت بالجوار قالوا هل أجاز ذلك محمد قال لا وانما قال أنت تقول ذلك يا أبا حنظلة قالوا رضيت بغير رضا وجئتنا بما لا يغنى عنا ولا عنك شيأ ولعمر الله ما جوارك بجائز وان اخفارك عليهم لهين والله مازاد على ان لعب بك تلعبا فقال والله ماوجدت غير ذلك فقالوا ما جئتنا بحرب فنحذر ولا صلح فنأمن وتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم خذ العيون والاخبار عن قريش حتى نبغتها فى بلادها (وروى ابن أبى شيبة) عن أبى مالك الاشجعى قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بعض حجره فجلس عندبابها وكان اذا جلس وحده لم يأته احد حتى يدعوه فقال ادع لى أبا بكر فجاء فجلس بين يديه فناجاه طويلا ثم أمره فجلس عن يمينه ثم قال ادع لى عمر فجاء فجلس فناجاه طويلا فرفع عمر صوته فقال يارسول الله هم رأس الكفر الذين زعموا انك ساحر وانك كاهن وانك كذاب وانك مفتر ولم يدع شيأ مما كانوا يقولون الا ذكره ثم قال وأيم الله لا تذل العرب حتى تذل أهل مكة فأمره فجلس عن يساره ثم دعا الناس فقال ألا أحدثكم بمثل صاحبيكم هذين قالوا نعم يارسول الله فأقبل بوجهه الكريم على أبى بكر رضى الله عنه فقال ان ابراهيم عليه السلام كان ألين فى الله تعالى من الدهن بالليل ثم أقبل على عمر رضى الله عنه فقال ان نوحا كان أشد فى الله تعالى من الحجر

لوالده الصديق وقد وقع للصديق رضى الله تعالى عنه ان العرب لما ارتدت بعد موته صلى الله عليه وسلم خرج مع الجيش شاهرا سيفه فأخذ على رضى الله تعالى عنه بزمام راحلته وقال له الى أين ياخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أقول لك كما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد شم سيفك ولا تفجعنا بنفسك وارجع الى المدينة فوالله لئن فجعنا بك لا يكون للاسلام نظام أبدا فرجع وأمضى الجيش وفى أول الامر حملت خيل المشركين على المسلمين ثلاث مرات كل ذلك تنضح بالنبل فترجع مفلولة أى بالفاء متفرقة وحمل المسلمون على المشركين فنهكوهم أى اضعفوهم قتلا فلما التقى الناس وحميت الحرب قامت هند فى النسوة اللاتى معها واخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال ويقلن

ويها بنى عبد الدار * ويها حماة الادبار * ضربا بكل بتار

وويها كلمة اغراء وتحريض كما تقول دونك يافلان والادبار الاعقاب أى الذين يحمون أعقاب الناس والبتار السيف القاطع ويقلن

نحن بنات طارق * نمشى على النمارق * مشى القطا النوازق أى الخفاف

والمسك فى المفارق * والدر فى المخانق * ان تقبلوا نعانق

ونفرش النمارق * أو تدبروا نفارق * فراق غير وامق

والطارق النجم قال تعالى والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب قيل هو زحل أى نحن بنات من بلغ العلو وارتفاع القدر كالنجم واعترض بأنها لو أرادت النجم لقالت نحن بنات الطارق ثم رأيت ان هذا الرجز لهند بنت طارق وحينئذ فليس المراد بطارق النجم وانما هو الرجل المعروف كأنها قالت نحن بنات طارق المعروف بالعلو والشرف وعن بعضهم قال جلست بمكة وراء الضحاك فسئل عن قول هند يوم أحد نحن بنات طارق ما طارق فقلت هو النجم فقال لى كيف ذلك فقلت له قال الله تعالى والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق والنمارق الوسائد الصغار والمراد نفرش ما تجعل عليه الوسائد مع جعلها عليه والوامق المحب أى فراق غير محب لان غير المحب لا يرجع اذا غضب بخلاف المحب ومن ثم قيل غضب المحب فى الطاعة مهابة سيف وفى الباطن كسحابة صيف قال وكان صلى الله عليه وسلم اذا سمع ذلك أى تحريض هند وأذكر يقول اللهم بك أحول بالحاء المهملة أى أمنع وبك أصول وفيك أقاتل حسبى الله ونعم الوكيل انتهى أى وفى رواية كان صلى الله عليه وسلم اذا لقى العدو قال اللهم بك أصاول وبك أحاول أى أطالب وقاتل أبو دجانة حتى امعن فى الناس فعن الزبير قال وجدت أى غضبت فى نفسى حين سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف أى الذى قال فيه من يأخذه بحقه ثلاث مرات وأنا ابن عمته فقنعنيه وأعطاه أبا دجانة فقلت والله لانظرن مايصنع فاتبعته فأخذ عصابة حمراء أى أخرجها من ساق خفه وكان مكتوبا على أحد طرفيها نصر من الله وفتح قريب وفى طرفها الآخر الجبانة فى الحرب عار ومن فر لم ينج من النار فعصب بها رأسه فقالت

وان الامر أمر عمر فتجهز واوتعاونوا فتبعوا أبابكر فقالوا انا كرهنا أن نسأل عمر عما ناجاك به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال لى
كيف تأمرنى فى غزو مكة قلت يارسول الله هم قومك حتى رأيت انه سيطيعنى ثم دعا عمر فقال هم رأس الكفر حتى ذكر له كل سوء
كانوا يقولونه وقد أمركم بالجهاد لتغزوا مكة وجاء فى بعض الروايات انه صلى الله عليه وسلم تجهز وما أعلم أحدا والمراد انه ما أعلم عامة
الناس فلا ينافى انه أعلم كبار أصحابه ٢٥٠ رضى الله عنهم فتجهز الناس وقال حسان رضى الله عنه يحرض الناس ويذكر مصاب

رجال خزاعة
عنانى ولم أشهد ببطحاء مكة

رجال بنى كعب تحزر قابها
بأيدى رجال لم يسلوا سيوفهم

وقتلى كثير لم تجس ثيابها
ألا ليت شعرى هل تنالن نصرتى

سهيل بن عمرو حرها وعقابها
فلا تأمنن يا ابن أم مجالد

اذا احتلبت صرفا وأعضل بابها
فلا تجزعوا منها فان سيوفنا

لها وقعة بالموت يفتح بابها
قال ابن اسحق قوله بايدى رجال
يعنى قريشا وابن أم مجالد عكرمة
ابن أبى جهل وكان صلى الله عليه
وسلم يقول اللهم خذ على أسماعهم
وأبصارهم فلا يرونا الا بغتة ولا
يسمعون بنا الا فلتة وأمر جماعة
أن تقيم بالانقاب وكان عمر رضى
الله عنه يطوف على الانقاب
فيقول لا تدعوا أحدا يمر بكم
تنكرونه الا رددتموه وفى رواية
ثم أمر بالطرق فحبست فعمى
على أهل مكة لا يأتيهم خبر
فكتب حاطب بن أبى بلتعة البدرى
حليف بنى أسد رضى الله عنه
كتابا وأرسله الى مكة يخبرهم
بمسير النبى صلى الله عليه وسلم
وأرسله مع امرأة استأجرها
بعشرة دنانير وقال لها اخفيه
ما استطعت ولا تمرى على الطريق
فان عليه حرسا فأطلع الله نبيه صلى
الله عليه وسلم على ذلك فقال عليه الصلاة والسلام لعلى بن أبى طالب والزبير بن العوام والمقداد بن الاسود رضى الله عنهم انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ وهو موضع على بريد من المدينة فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب بن أبى بلتعة الى المشركين
فخذوه منها قال فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة فاذا نحن بالظعينة فقلنا لها أخرجى الكتاب قالت ما معى كتاب فالتمسناه
فلم نر كتابا فقلنا ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم لتخرجن الكتاب أو لتلقين عنك الثياب وفى رواية أو لنكشفنك أو لتضربن

الانصار اخرج أبو دجانة عصابة الموت أى لانهم كانوا يقولون ذلك اذا تعصب بها فجعل لا يلقى
أحدا الا قتله أى وكان اذا كل ذلك السيف يشحذه أى يحده بالحجارة ولم يزل يضرب به العدو حتى
انحنى وصار كأنه منجل وكان رجل من المشركين لا يدع لنا جريحا الا ذفف عليه أى أسرع قتله
فدعوت الله ان يجمع بينه وبين أبى دجانة فالتقيا فاختلفا ضربتين فضرب المشرك أبا دجانة
فاتقاها بدرقته فعضت الدرقة على سيفه وضربه أبو دجانة فقتله ثم رأيته حمل بالسيف على
رأس هند أى بنت عتبة زوج أبى سفيان وقيل غيرها ثم رد السيف عنها قال أبو دجانة رأيت
انسانا يحمس الناس أى بالسين المهملة حماسا شديدا أى يشجعهم وبالشين المعجمة يوقد الحرب
ويثيرها فعمدت اليه فلما حملت عليه بالسيف ولول أى دعا بالويل أى قال يا ويلاه فعلمت انه
امرأة فأكرمت سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أضرب به امرأة وقاتل حمزة بن
عبد المطلب قتالا شديدا ومر به سباع بن عبد العزى فقال له حمزة هلم أى أقبل يا ابن مقطعة
البظور لان أمه أم انمار مولاة شريق والد الاخنس كانت ختانة بمكة أى وفى البخارى يا سباع
يا ابن ام أنمار مقطعة البظور أتحاد الله ورسوله أى تحاربهما وتعاندهما وفيه انهم لما اصطفوا
للقتال خرج سباع فقال هل من مبارز فخرج اليه حمزة فشد عليه فلما التقيا ضربه حمزة فقتله
وفى رواية فكان كأمس الذاهب أى وكان تمام واحد وثلاثين قتلهم حمزة وفيه انه سيأتى عن
الاصل وقتل من كفار قريش يوم أحد ثلاثة وعشرين رجلا واكب حمزة عليه ليأخذ درعه
قال وحشى غلام جبير بن مطعم انى لانظر الى حمزة يهد الناس بسيفه يهد بالدال المهملة يهدم
وبالذال المعجمة يقطع أى وقد عثر حمزة فانكشف الدرع عن بطنه فهززت حربتى حتى اذا رضيت
منها دفعتها عليه فوقعت فى ثنيته بالمثلثة وهو موضع تحت السرة وفوق العانة وفى لفظ فندرت
حتى خرجت من بين رجليه فأقبل نحوى فغلب فوقع فأمهلته حتى اذا مات جئته فأخذت
حربتى ثم تنحيت الى العسكر ولم يكن لى فى شئ حاجة غيره أى وفى لفظ آخر كان حمزة يقاتل
بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم بسيفين وهو يقول أنا أسد الله فبينا هو كذلك اذ عثر عثرة
وقع منها على ظهره فانكشفت الدرع عن بطنه فطعنه وحشى الحبشى بحربته ثم لما قتل
أصحاب لواء المشركين واحدا بعد واحد ولم يقدر أحد ينومنه انهزم المشركون وولوا لا يلوون
على شئ ونساؤهم يدعون بالويل بعد فرحهم وضربهم بالدفوف وألقين الدفوف وقصدن
الجبل كاشفات سيقانهن يرفعن ثيابهن وتبع المسلمون المشركين يضعون فيهم السلاح
وينتهبون الغنائم ففارقت الرماة محلهم الذى أمرهم صلى الله عليه وسلم ان لا يفارقوه ونهاهم
أميرهم عبد الله بن جبير فقالوا له انهزم المشركون فما مقامنا ههنا وانطلقوا ينتهبون وثبت
عبد الله بن جبير مكانه وثبت معه دون العشرة وقال لا أجاوز امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنظر خالد بن الوليد الى خلاء الجبل من الرماة وقلة من به منهم فكر بالخيل ومعه عكرمة بن أبى
جهل رضى الله تعالى عنهما فانهما أسلما بعد ذلك فحملوا على من بقى من الرماة فقتلوهم مع

امیرهم

عنقك فلما رأت الجد حانت قرونها فاخرجته من عقاصها وفى رواية فلما رأت الجد أهوت الى جزنها فاخرجته فأتيناه به رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاذا فيه من حاطب بن أبى بلتعة الى سهيل بن عمرو وعكرمة بن أبى جهل وصفوان بن أمية أما بعد يا معشر قريش
فان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءكم بجيش عظيم يسير كالسيل فوالله لو جاءكم وحده لنصره الله وأنجزله وعده فانظروا لانفسكم
والسلام وفى رواية ان لفظ الكتاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذن فى الناس ٢٥١ بالغزو ولا أراه يريد غيركم وقد أحببت

أن تكون لى عندكم يد فدعا النبى صلى الله عليه وسلم حاطبا فقال أتعرف هذا الكتاب قال نعم قال ما حملك على هذا قال حاطب يارسول الله لا تعجل على أما والله انى لمؤمن بالله ورسوله ما غيرت ولا بدلت وفى لفظ ما كفرت منذ أسلمت ولا غششت منذ نصحت ولا أحببتهم منذ فارقتهم ولكنى كنت امرأ ملصقا فى قريش يعنى حليفا لهم ولم أكن من أنفسها وفى رواية ولكنى كنت امرأ ليس لى فى القوم أصل ولا عشيرة وكان لى بين أظهرهم ولد وأهل فصانعتهم عليه وكان من معك من المهاجرين ممن له أهل وأموال بمكة لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم فاحببت اذ فاتنى النسب فيهم أن أتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتى وفى رواية فقال حاطب والله ما ارتبت فى الله منذ اسلمت ولكننى كنت امرأ غريبا ولى فى مكة بنون واخوة فكتبت كتابا لا يضر الله ورسوله ولم أفعله ارتدادا عن دينى ولا رضا بالكفر بعد الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما انه قد صدقكم فيما أخبركم به فقال له عمر رضى الله عنه قاتلك الله ترى رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ بالانقاب وتكتب الى قريش وفى رواية

أميرهم عبد الله بن جبير أى ومثلوا به ومن كثرة طعنه بالرماح خرجت حشوته وأحاطوا بالمسلمين فبينما المسلمون قد شغلوا بالنهب والاسر اذ دخلت خيول المشركين تنادى فرسانها ٥ بشعارها باللعزى بالهبل ووضعوا السيوف فى المسلمين وهم آمنون وتفرقت المسلمون فى كل وجه وتركوا ما انتهبوا وخلوا من اسروا وانتقضت صفوف المسلمين واختلط المسلمون وصار يضرب بعضهم بعضا من غير شعار أى من غير أن يأتوا بما كانوا ينادون به فى الحرب يتعارفون به فى ظلمة الليل وعند الاختلاط وهو أمت أمت مما أصابهم من الدهش والحيرة ولم يزل لواء المشركين ماثلا حتى أخذته عمرة بنت علقمة ورفعته لهم فلاثوا أى بالمثلثة استداروا به واجتمعوا عنده ونادى ابن قمئة بفتح القاف وكسر الميم وبعدها همزة ان محمدا قد قتل وقيل المنادى بذلك ابليس أى متمثلا بصورة جعال أو جعيل بن سراقة وكان رجلا صالحا ممن أسلم قديما وكان من أهل الصفة نيل وهو الذى غير النبى صلى الله عليه وسلم اسمه يوم الخندق وسماه عمرا كما سيأتى وسيأتى ما فيه ثم ان الناس وثبوا على جعال ليقتلوه فتبرأ من ذلك القول وشهد له اخوات بن جبير وأبو بردة بأن جعالا كان عندهما وبجنبهما حين صرخ ذلك الصارخ وقيل المنادى بذلك ازب العقبة قال ذلك ثلاث مرات أى لانه لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صرخ الشيطان به قال هذا ازب العقبة بكسر الهمزة وسكون الزاى والازب القصير كما تقدم وقد ذكر ان عبد الله بن الزبير رأى رجلا طوله شبر ان على رحله فقال ما أنت قال ازب قال ما ازب قال رجل من الجن فضربه على رأسه بعود السوط حتى هرب أى ويجوز أن يكون ذلك صدر من الثلاثة وهم ابن قمئة وابليس وازب العقبة فرجعت الهزيمة على المسلمين أى وقال قائل يا عباد الله أخراكم أى احترزوا من جهة اخراكم فعطف المسلمون على اخراهم يقتل بعضهم بعضا وهم لا يشعرون وانهزمت طائفة منهم الى جهة المدينة ولم يدخلوها وقال رجال من المسلمين حيث قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ارجعوا الى قومكم يؤمنوكم وقال آخرون ان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل أفلا تقاتلون على دين نبيكم وعلى ما كان عليه نبيكم حتى تلقوا الله شهداء أى وفى الامتاع ان ثابت بن الدحداح قال يا معشر الانصار ان كان محمد قد قتل فان الله حى لا يموت قاتلوا على دينكم فان الله مظفركم وناصركم فنهض اليه نفر من الانصار فحمل بهم على كتيبة فيها خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعكرمة بن أبى جهل وضرار بن الخطاب فحمل عليه خالد بن الوليد بالرمح فقتله وقتل من كان معه من الانصار رضى الله تعالى عنهم وكان من جملة من انهزم عثمان بن عفان والوليد بن عقبة وخارجة بن زيد ورفاعة بن معلى فاقاموا ثلاثة أيام ثم رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهبتم فيها عريضة وأنزل الله تعالى ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم قال وقال جماعة ليت لنا رسولا الى عبد الله بن أبى ليأخذ لنا أمانا من أبى سفيان يا قوم ان محمدا قد قتل فارجعوا الى قومكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم

انه قال انه يعلم يارسول الله أنك أخذت على الطريق وامرت أن لا نرى احدا ممن ينكره الا رددناه يارسول الله دعنى اضرب عنق هذا المنافق فقال النبى صلى الله عليه وسلم انه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدرا فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم وفى رواية فقد وجبت لكم الجنة وفى اخرى لا يدخل النار أحد شهد بدرا فدمعت عينا عمر رضى الله عنه وقال الله ورسوله أعلم وأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون

الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون اليهم بالمودة وأنا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل فالذي نزل في ذلك الى هنا وقيل الى قوله قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم وانما قال عمر رضي الله عنه دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق مع تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاطب فيما اعتذر به لما كان عند عمر رضي الله عنه من القوة في الدين وبغض المنافقين فظن انه يستحق القتل لكونه خالف ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم من اخفاء مسيره عن قريش وحرصه على عدم وصول خبره اليهم وبعثه جماعة على الطريق حتى لا يبلغهم الخبر فلذا ظن انه استحق القتل لكنه لم يجزم بذلك فلذلك استأذن في قتله وأطلق عليه منافقا لكونه اظهر خلاف ما أبطن وحاطب كان معذورا متأولا بما ذكره من عذره وكفاه منقبة شهادة الله له بالايمان حيث قال يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الخ وقوله صلى الله عليه وسلم لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ليس فيه اباحة المعاصي لهم وانما هو خطاب اكرام وتشريف تضمن انهم رضي الله عنهم حصلت لهم حالة غفرت بها ذنوبهم السالفة وتأهلوا الان يغفر لهم ما سيحصل من الذنوب لو فرض وقوعه منهم وما أحسن قول بعضهم

واذا الحبيب أتى بذنب واحد
جاءت محاسنه بألف شفيع

وقد أظهر الله صدق رسوله صلى الله عليه وسلم في كل من أخبر عنه بشيء من ذلك فانهم لم يزالوا على أعمال أهل الجنة الى ان فارقوا الدنيا ولو قدر صدور شيء من أحدهم لبادر الى التوبة ولازم الطريقة المثلى يعلم ذلك من أحوالهم بالقطع من اطلع على سيرهم رضي الله عنهم ولما أراد صلى الله عليه وسلم الخروج من المدينة وعزم على غزو أهل مكة بعث الى من حوله من العرب وطلب حضورهم أسلم وغفار وأشجع وسليم وغيرهم فأرسل اليهم يقول لهم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحضر رمضان بالمدينة وبعث رسلا في كل ناحية فمنهم من وافاه بالمدينة ومنهم من لحقه بالطريق فكان المسلمون في غزوة الفتح عشرة آلاف وقيل اثنى عشر ألفا من المهاجرين والانصار وأسلم وغفار ومزينة وجهينة وأشجع وسليم وقيل ان العشرة

وانهزمت طائفة منهم حتى دخلت المدينة فلقيتهم أم أيمن رضي الله عنها فجعلت تحثو التراب في وجوههم وتقول لبعضهم هاك المغزل فاغزل به وهلم سيفك اه أي اعطني سيفك أي فالمنهزمون في ذلك اليوم طائفتان طائفة لم تدخل المدينة واخرى دخلتها وفيه أن أم أيمن كانت في الجيش تسقي الجرحى أي فقد جاء ان حباب بن العرقة رمى بسهم فاصاب أم أيمن وكانت تسقي الجرحى فوقعت وتكشفت فأغرق عدو الله في الضحك فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفع الى سعد سهما لا نصل له وقال ارم به فوقع السهم في نحر حباب فوقع مستلقيا حتى بدت عورته فضحك صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال استقاد لها سعد أجاب الله دعوته أي وفي رواية اللهم استجب لسعد اذا دعاك فكان مجاب الدعوة وقد يقال لا منافاة بين كون أم ايمن كانت في الجيش وبين كونها كانت في المدينة لجواز أن تكون رجعت ذلك الوقت من الجيش الى المدينة وقال رجال أي من المنافقين لما قيل قد قتل محمد الذين يقولوا يذهبوا مع عبد الله بن أبي ابن سلول لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا أي وقال بعضهم لو كان نبيا ما قتل فارجعوا الى دينكم الاول وفي النهر أن فرقة قالوا نلقى اليهم بأيدينا فانهم قومنا وبنو عمنا وهذا يدل على أن هذه الفرقة ليست من الانصار بل من المهاجرين قال وعن الزبير بن العوام رضي الله تعالى عنه قال لقد رأيتني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد حين اشتد علينا الخوف وارسل علينا النوم فما منا أحد الا وذقنه في صدره فوالله اني لاسمع كالحلم قول معتب بن قشير أي ويقال ابن بشير وكان ممن شهد العقبة لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا فحفظتها فانزل الله تعالى في ذلك قوله ثم انزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا الآية وعن كعب ابن عمرو الانصاري رضي الله تعالى عنه قال لقد رأيتني يومئذ في أربعة عشر من قومي الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أصابنا النعاس أمنة منه أي لانه لا ينعس الا من يأمن ما منهم أحد الا وذقنه في صدره غطيطا حتى ان الخوف أي الدرق تتناطح ولقد رأيت سيف بشر بن البراء بن معرور سقط من يده وما يشعر وان المشركين لتحتنا اه وتقدم في بدر أنه حصل لهم النعاس ليلة القتال لا فيه على ما تقدم وتقدم أن النعاس في الصف من الايمان وفي الصلاة من الشيطان وثبت صلى الله عليه وسلم لما تفرقت عنه أصحابه وصار يقول الى يا فلان الى يا فلان أنا رسول الله فما يعرج اليه أحد والنبل يأتي اليه من كل ناحية والله يصرفه عنه أي وفي الامتاع أنه صلى الله عليه وسلم قال أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب أنا ابن العواتك فليتأمل فان المحفوظ أنه انما قال ذلك في حنين وان كان لا مانع من التعدد وثبت معه صلى الله عليه وسلم جماعة أي من أصحابه منهم أبو طلحة فانه استمر بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم يحوزعنه بحجفته وكان رجلا راميا شديد الرمي فنثر كنانته بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم أي وصار يقول نفسي لنفسك الفداء ووجهي لوجهك الوقاء فلم يزل يرمي بها وكان الرجل يمر بالجعبة بضم الجيم من النبل فيقول صلى الله عليه وسلم انثرها لابي طلحة أي وكسر ذلك اليوم قوسين أو ثلاثة وصار رسول



آلاف خرج بهم من نفس المدينة ثم تلاحق به ألفان قال الحلبي في السيرة وكان المهاجرون سبعمائة ومعهم ثلثمائة فرس وكانت الانصار أربعة آلاف ومعهم خمسمائة فرس وكانت مزينة ألفا ومعها مائة فرس وكانت أسلم أربعمائة ومعها ثلاثون فرسا وكانت جهينة ثمانمائة ومعها خمسون فرسا وكان معه صلى الله عليه وسلم من زوجاته أم سلمة وميمونة رضي الله عنهما واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم وقيل أبا رهم كلثوم بن الحصين الغفاري وجمع بينهما بان أبا رهم جعله ٢٥٣ للقضايا والاحكام وابن أم مكتوم للصلاة

رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرف أي ينظر الى القوم وفي لفظ ليرى مواضع النبل فيقول له أبو طلحة يانبي الله بأبي أنت وأمي لا تشرف يصبك سهم من سهام القوم نحري دون نحرك انتهى أي ويتطاول أبو طلحة بصدره يقي رسول الله صلى الله عليه وسلم واستدل بذلك على ان من خصائصه صلى الله عليه وسلم انه يجب على كل مؤمن ان يؤثر حياته صلى الله عليه وسلم على حياته قال فلا خلاف ان هذا لا يجب لغيره وهذا المذكور عن أبي طلحة من قوله نحري دون نحرك نقله ابن المنير عن سعد بن أبي وقاص فقال ولهذا قال سعد يوم أحد نحري دون نحرك ولا زال صلى الله عليه وسلم يرمي عن قوسه أي المسماة بالكتوم لعدم تصويتها اذا رمى عنها حتى صارت شظايا أي ذهب منها قطع وفي رواية رمى عن قوسه حتى اندقت سيتها والسية ما انعطف من طرفي القوس اللذين هما محل الوتر قال ومازال صلى الله عليه وسلم يرمي عن قوسه حتى تقطع وتره وبقيت في يده منه قطعة تكون شبرا في سية القوس فاخذ القوس عكاشة بن محصن ليوتره له فقال يارسول الله لا يبلغ الوتر فقال مده يبلغ قال عكاشة فوالذي بعثه بالحق لمددته حتى بلغ وطويت منه لفتين أو ثلاثا على سية القوس ورمى صلى الله عليه وسلم بالحجارة وكان أقرب الناس الى القوم اه أي وأنكر الامام أبو العباس بن تيمية كونه صلى الله عليه وسلم رمى عن قوسه حتى صارت شظايا أي لانه يبعد وجود رميه صلى الله عليه وسلم من غير اصابة ولو أصاب أحدا لذكر لانه مما تتوفر الدواعي على نقله وقاتل جماعة من أصحابه منهم سعد بن أبي وقاص فانه كان من الرماة المذكورين رمى بقوسه قال سعد لقد رأيته يعني النبي صلى الله عليه وسلم يناولني النبل ويقول ارم فداك أبي وأمي حتى انه ليناولني السهم ما له نصل فيقول ارم به وقد تقدم أنه رمى بسهم من تلك السهام التي لا نصل لها لمن رمى ام أيمن قال وفي رواية عن سعد قال أجلسني رسول الله صلى الله عليه وسلم أمامه فجعلت أرمي وأقول اللهم سهمك فارم به عدوك ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم استجب لسعد اللهم سدد رميته وأجب دعوته حتى اذا فرغت من كنانتي نثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ما في كنانته اه أي فكان سعد مجاب الدعوة كما تقدم ولما سعى أهل الكوفة به الى سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه أرسل جماعة للكوفة يسألون عن حاله من أهل الكوفة فصاروا كلما سألوا عنه أحدا قال خيرا وأثنى عليه معروفا حتى سألوا رجلا يقال له أبو سعدة ذمه وقال لا يقسم بالسوية ولا يعدل في القضية فلما بلغ سعدا ذلك قال اللهم ان كان كاذبا فطل عمره وأدم فقره واعم بصره وعرضه للفتن فعمي وافتقر وكبر سنه وصار يتعرض للاماء في سكك الكوفة فاذا قيل له كيف أنت يا أبا سعدة يقول شيخ كبير فقير مفتون اصابتني دعوة سعد قيل لسعد لم تستجاب دعوتك من دون الصحابة فقال ما رفعت الى فمي لقمة الا وأنا اعلم من أين جاءت ومن أين خرجت أي لانه جاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما تليت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية يا أيها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا فقام سعد بن أبي وقاص وقال يارسول الله ادع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة فقال والذي

وخرج عليه الصلاة والسلام من المدينة لعشر ليال خلون من رمضان بعد العصر سنة ثمان من الهجرة وقيل لليلتين خلتا من رمضان وقيل لست عشرة وقيل ثمان عشرة قال النووي لا أعلم خلافا في ان ذلك في شهر رمضان أي وانما الخلاف فيما مضى منه حين الخروج ولما بلغ صلى الله عليه وسلم الكديد بفتح الكاف وهو موضع بين قديد وعسفان افطر لانه بلغه ان الناس شق عليهم الصيام وقيل له انما ينظرون فيما فعلت فلما استوى على راحلته بعد العصر دعا بإناء من ماء وقيل من لبن فوضعه على راحلته ليراه الناس فشرب فأفطر فناوله رجلا الى جنبه فشرب فلم يزل مفطرا رفقا بالمسلمين حتى انسلخ الشهر لانه وان قدم مكة قبل تمام الشهر لكنه كان في أهبة القتال وبعث السرايا ولم ينو الاقامة ولذا كان يقصر الصلاة وكان العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه عم النبي صلى الله عليه وسلم قد خرج بأهله وعياله مهاجرا فلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجحفة وكان اسلامه قديما وكان يكتمه بأمر النبي صلى الله عليه وسلم وكان صلى الله عليه وسلم أمره بالاقامة بمكة ليكتب له أخبار قريش وكان العباس رضي الله عنه يسره ما يفتح الله على المسلمين وما أظهر اسلامه لاهل مكة الا يوم الفتح وكان مقيما بمكة على سقايته وكان ينفع المستضعفين بمكة وبه يتقون ورسول الله صلى الله عليه وسلم عنه راض وقيل انه لقي النبي صلى الله عليه وسلم بذي الحليفة فبعث ثقله الى المدينة وسار مع النبي صلى الله عليه وسلم الى مكة للفتح (وروى الطبراني) عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال استأذن العباس النبي صلى الله عليه وسلم في الهجرة فكتب اليه يا عم أقم مكانك الذي أنت فيه فان الله يختم بك

الهجرة كما ختم بي النبوة ولما لقيه قال هجرتك ياعم آخر هجرة كما ان نبوتي آخر نبوة (وكان) ممن لقيه صلى الله عليه وسلم في الطريق أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب ابن عمه صلى الله عليه وسلم وأخوه من الرضاع من حليمة السعدية وكان مع أبي سفيان ولده جعفر وعبد الله بن أبي أمية المخزومي ابن عمته صلى الله عليه وسلم عاتكة بنت عبد المطلب وهو أخو أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم لابيها لان أمها عاتكة بنت عامر بن قيس وكان لقاء أبي سفيان ومن معه للنبي صلى الله عليه وسلم بنقب العقاب بين مكة والمدينة وقيل بالابواء وهم مسلمون مهاجرون واسم أبي سفيان كنيته وقيل اسمه المغيرة وكان يألف النبي صلى الله عليه وسلم ولا يفارقه قبل النبوة فلما بعثه الله عاداه وهجاه وأجابه عنه حسان رضي الله عنه كثيرا وكان عبد الله بن أبي أمية قبل اسلامه شديدا على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين وفي لفظ وكان كل منهما أي من أبي سفيان وعبد الله من أشد الناس أذية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاعرض عنهما صلى الله عليه وسلم لما لقياه لما كان يأتي منهما من شدة الاذى والهجو فالتمسا الدخول عليه صلى الله عليه وسلم فكلمته أم سلمة رضي الله عنها فيهما فقالت يارسول الله ابن عمك وابن عمتك وصهرك فقال لا حاجة لي بهما أما ابن عمي فهتك عرضي وأما ابن عمتي وصهري فهو الذي قال لي بمكة ما قال يعني قوله له والله لا آمنت بك حتى تتخذ سلما الى السماء فتعرج فيه وأنا أنظر ثم تأتي بصك وأربعة من الملائكة يشهدون ان الله أرسلك فقالت له أم سلمة رضي الله عنها لا يكن ابن عمك وابن عمتك أشقى الناس بك فلما خرج الخبر اليهما بذلك قال أبو سفيان والله ليأذنن لي أو لآخذن بيد ابني هذا يعني ولده جعفرا ثم لنذهبن في الارض حتى نموت عطشا وجوعا فلما بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم رق لهما ثم اسدى أذن لهما فدخلا عليه وأسلما وأنشده أبو سفيان معتذرا عما مضى فقال

لعمرك اني يوم أحمل راية * لتغلب خيل اللات خيل محمد
لكالمدلج الحيران اظلم ليله * فهذا أواني حين أهدى وأهتدي
أصد وأنأى جانبا عن محمد * وأدعى وان لم أنتسب من محمد

هدا ني هاد غير نفسي ونالني * مع الله من طردته كل مطرد
قال ابن اسحق انه لما قال ونالني مع الله من طردته كل مطرد

نفس محمد بيده ان العبد ليعقد اللقمة الحرام في جوفه ما يتقبل منه أربعين يوما وقد جاء في الحديث من كان مأكله حراما ومشربه حراما وملبسه حراما فأنى يستجاب له فليتأمل هذا الجواب وقد يقال مراد سعد بقوله ادع الله ان يجعلني مستجاب الدعوة أي ممن يأكل الحلال الطيب ويميز عند الاكل بين الحرام وبين غيره حتى اكون مستجاب الدعوة ولعل المراد بالاكل ما يشمل الشرب ولعل السكوت عن اللبس لانه نادر بالنسبة للاكل وجوابه صلى الله عليه وسلم بقوله والذي نفس محمد بيده تقرير لما فهمه سعد رضي الله عنه ان من يأكل غير الحلال لا يكون مستجاب الدعوة تأمل والحق ان سبب استجابة دعوة سعد دعاء النبي صلى الله عليه وسلم له بذلك ولعله انما لم يجب بذلك لمن سأله بقوله لم تستجب دعوتك من بين الصحابة لانه يجوز أن يكون دعاء النبي صلى الله عليه وسلم له بذلك تأخر عن هذا فليتأمل وفي الشرف ان سعدا رضي الله عنه رمى يوم أحد ألف سهم ما منها سهم الا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له ارم فداك أبي وأمي ففداه في ذلك اليوم ألف مرة وعن علي كرم الله وجهه ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فداك أبي وأمي الا لسعد رضي الله عنه وفي رواية فاجمع صلى الله عليه وسلم أبويه لاحد الا لسعد رضي الله تعالى عنه قال في النور الرواية الاولى أصح لانه أخبر فيها انه لم يسمع أي لانه حينئذ لا يخالف ما جاء عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم جمع لابيه الزبير رضي الله عنه بين أبويه أي قال له فداك أبي وأمي كسعد أي وذلك في يوم الخندق حيث أتاه بخبر بني قريظة وكذا الرواية الثانية لا تخالف لانها محمولة على سماعه وعلى الاخذ بظاهرها وعدم حملها على ذلك يجاب بما قال في النور ظهر لي ان عليا كرم الله وجهه انما أراد تفدية خاصة وهي ألف مرة أو في خصوص أحد وكان صلى الله عليه وسلم يفتخر بسعد فيقول هذا سعد خالي فليرني امرؤ خاله لان سعدا رضي الله عنه كان من بني زهرة وكانت أم النبي صلى الله عليه وسلم منهم كما تقدم أي وكان رضي الله عنه اذا غاب يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم مالي لا أرى الصبيح الملبح الفصيح والماكف بصره رضي الله عنه قيل له لو دعوت الله سبحانه ان يرد عليك بصرك فقال قضاء الله أحب الي من بصري (ولما حضرت الوفاة) سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه دعا بخلق جبة من صوف فقال كفنوني فيها فاني كنت لقيت فيها المشركين يوم بدر وانما كنت أخبؤها لهذا ومن كان مشهورا بالرماية سهيل بن حنيف رضي الله عنه وكان ممن ثبت مع النبي صلى الله عليه وسلم في هذا اليوم الذي هو يوم أحد قال بعضهم وكان بايعه صلى الله عليه وسلم يومئذ على الموت فثبت معه صلى الله عليه وسلم حتى انكشف الناس عنه وجعل ينضح بالنبل يومئذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم نبلوا سهيلا أي اعطوه النبل وجاء ان خاله صلى الله عليه وسلم وهو الاسود بن وهب بن عبد مناف بن زهرة استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم باخالي ادخل فدخل فبسط له صلى الله عليه وسلم رداءه وقال اجلس عليه ان الخال والد يا خال من

ضرب صلى الله عليه وسلم صدره وقال أنت طردتني كل مطرد وقال علي رضي الله عنه لابي سفيان بن الحرث عند اذنه صلى الله عليه وسلم له في الدخول عليه أنت من قبل وجهه فقل له ما قال اخوة يوسف تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين فانه لا يرضى ان يكون أحد أحسن منه قولا ففعل ذلك أبو سفيان فقال له صلى الله عليه وسلم لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ويقال انه مارفع رأسه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسلم حياء منه ٢٥٥ وكان صلى الله عليه وسلم يحبه ويشهد له بالجنة ولزم ركاب النبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين ولم يفارقه وكان صلى الله عليه وسلم يقول فيه أرجو أن يكون خلفا من حمزة وقال له صلى الله عليه وسلم كل الصيد في جوف الفرا وقيل قال ذلك لابي سفيان بن حرب ولا مانع من التعدد وتوفي أبو سفيان ابن الحرث رضي الله عنه سنة خمس عشرة أو عشرين بالمدينة وصلى عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقبره بالمدينة معروف يزار عليه قبة منيرة يروى انه قال عند موته ولا تبكن علي فاني لم انطق بخطيئة منذ أسلمت (وأما عبد الله ابن أبي أمية المخزومي فكذلك) كان بعد اسلامه شديد الحياء من النبي صلى الله عليه وسلم لا يستطيع ان يرفع طرفه اليه حياء منه واستشهد في غزوة الطائف رضي الله عنه وعقد صلى الله عليه وسلم الالوية والرايات بقديد ودفعها للقبائل فأعطى لبني سليم لواء ورايه ولبني غفار راية ولاسلم لواءين ولبني كعب راية ولمزينة ثلاثة ألوية ولجهينة أربعة ألوية وكان جماعة من بني بكر أسلموا فكانوا معه صلى الله عليه وسلم فأعطاهم لواء ولاشجع لواءين ورأى أبو بكر الصديق منا ما قبل عقد الالوية وقيل عند نزولهم بمر الظهران فقال يا رسول الله رأيت في المنام اتاد نونا من مكة فخرجت الينا كلبة تهر فرأى تصوت فلما دنونا منها استاقت على ظهرها فاذا هي تشخب لبنا فقال صلى الله عليه وسلم ذهب كلبهم وأقبل درهم وهم يساوون بارحامهم وانكم لاقون بعضهم فان لقيتم أبا سفيان فلا تقتلوه وقوله ذهب كلبهم أي شدتهم وقوله واقبل درهم المراد خيرهم وهو انقيادهم للاسلام ثم لما نزل صلى الله عليه وسلم مر الظهران أمر أصحابه فأوقدوا عشرة آلاف نار لترا هاقريش أو تسمع بها فترعب من كثرتهم واستجاب الله لرسوله صلى الله عليه وسلم فأخذ العيون والاخبار عن أهل مكة

أسدى اليه معروف فلم يشكر فليذكر فانه اذا ذكر فقد شكر وقال له ألا أنبئك بشئ عسى الله ان ينفعك به قال بلى قال ان اربى الربا استطالة المرء في عرض أخيه بغير حق وعن أم عمارة المازنية رضي الله عنها أي وهي نسيبة بالتصغير على المشهور زوج زيد بن عاصم رضي الله عنه قالت خرجت يوم أحد لانظر ما يصنع الناس ومعي سقاء فيه ماء أسقي به الجرحى فانتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في أصحابه والريح للمسلمين فلما انهزم المسلمون انحزت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقمت أباشر القتال وأذب عنه بالسيف وأرمي عن القوس حتى حصلت الجراحة الي وريء على عاتقها جرح اجوف له غور فقيل لها من أصابك بهذا قالت ابن قئة لما ولى الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل يقول دلوني على محمد فلا نجوت ان نجا فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير فضربني هذه الضربة وضربته ضربات ولكن عدو الله كان عليه درعان قال وفي كلام بعضهم خرجت نسيبة يوم أحد وزوجها زيد بن عاصم وابناهما حبيب وعبد الله رضي الله عنهم وقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمكم الله أهل البيت وفي رواية بارك الله فيكم أهل بيت قالت له أم عمارة رضي الله عنها ادع الله أن نرافقك في الجنة فقال اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة أي وعند ذلك قالت رضي الله عنها ما أبالي ما أصابني من أمر الدنيا ٥ وقال صلى الله عليه وسلم في حقها ما التفت يمينا ولا شمالا يوم أحد الا ورأيتها تقاتل دوني اه أي وقد جرحت رضي الله عنها اثني عشر جرحا بين طعنة برمح أو ضربة بسيف وعبد الله ابنها رضي الله عنهما هو القاتل لمسيلمة الكذاب لعنه الله فعنها رضي الله عنها قالت يوم اليمامة تقطعت يدي وأنا أريد قتل مسيلمة وما كان لي ناهية أي مانعة حتى رأيت الخبيث مقتولا واذا ابني عبد الله بن زيد يمسح سيفه بثيابه فقلت اقتلته فقال نعم فسجدت لله شكرا ٥ ولا ينافيه ما اشتهر ان قاتله وحشي فعن وحشي رضي الله عنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أي بعد ان قدم عليه في وفد ثقيف واسلم كما سيأتي يا وحشي اخرج فقاتل في سبيل الله كما كنت تقاتل لتصد عن سبيل الله فلما كان خروج المسلمين لقتال مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة لما ولى الصديق رضي الله عنه الخلافة وارتدت العرب خرجت معهم فأخذت حربتي فلما رأيته تهيأت له وتهيأ له رجل من الانصار من الناحية الاخرى كلانا يريده وهززت حربتي حتى اذا رضيت منها دفعتها فوقعت فيه وشد عليه الانصاري فضربه بالسيف فربك أعلم أينا قتله قال بعضهم والانصاري هو عبد الله بن زيد أي كما تقدم وقيل غيره أي وفي كلام بعضهم اشترك في قتل مسيلمة الكذاب لعنه الله أبو دجانة وعبد الله بن زيد ووحشي رضي الله عنهم وفي تاريخ ابن كثير رحمه الله الاقتصار على وحشي وأبي دجانة وقد يقال لا مخالفة لان كلا من الرواة روى بحسب ما رأى وذكر ابن كثير ان ما يروى عن أبي دجانة رضي الله عنه من ذكر الحرز المنسوب اليه اسناده ضعيف لا يلتفت اليه وقد نقل عن وحشي رضي الله عنه أنه قال قتلت بحربتي هذه خير الناس وشر الناس وكان عمر مسيلمة حين قتل مائة وخمسين سنة

ولم يبلغهم مسيره وهم مغتمون محزونون متحيرون خائفون وتقدم ان العباس رضى الله عنه استقبل النبى صلى الله عليه وسلم وهو مهاجر فبعث أهله الى المدينة ورجع مع النبى صلى الله عليه وسلم قال العباس حين نزل النبى صلى الله عليه وسلم مر الظهران رقت نفسى لاهل مكة وقلت واصباح قريش والله لئن دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عنوة قبل ان يأتوه فيستأمنوه انه لهلاك قريش الى آخر الدهر فجلست على بغلة رسول الله ٢٥٦ صلى الله عليه وسلم البيضاء فخرجت عليها حتى جئت الاراك لعلى أجد بعض الحطابة أو صاحب لبن أو ذا حاجة يأتى مكة يخبرهم بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوا اليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عنوة وكان من قضاء الله وقدره أن خرج أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء الخزاعى يتجسسون الاخبار وينظرون هل يجدون خبرا أو يسمعون به وقيل انه بلغهم مسيره صلى الله عليه وسلم ولم يعلموا الى اى جهة وقيل ان قريشا بعثوا أبا سفيان يتجسس الاخبار وقالوا ان لقيت محمدا فخذ لنا منه أمانا فاقبل أبو سفيان وحكيم وبديل يسيرون فلما سمعوا صهيل الخيل راعهم ذلك ورأوا كثرة النيران فقال أبو سفيان ما رأيت كالليلة نيرانا قط ولا عسكرا هذه كنيران عرفة فقال بديل هذه نيران بنى عمرو يعنى خزاعة فقال أبو سفيان هم أذل وأقل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها فلما دخل أبو سفيان ومن معه عسكر المسلمين أخذهم حرس رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية أخذتهم الخيل تحت الليل وكان الحرس عند نفر من الانصار وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه عليهم تلك الليلة فجاؤا بهم فلما أخذوا يخطمهم أبعرتهم قال أبو سفيان من أنتم قالوا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقال هل سمعتم بمثل هذا الجيش نزلوا على اكباد قوم صلى لم يعلموا بهم وروى الطبرانى عن أبى ليلى قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمر الظهران فقال ان أبا سفيان بالاراك فخذوه فاخذناه وفى رواية وكان صلى الله عليه وسلم بعث بين يديه خيلا تقتص العيون وخزاعة على الطريق لا يتركون أحدا يمضى ولما أخذ المسلمون أبا سفيان ومن معه جاؤا بهم الى عمر رضى الله عنه لكونه كان على الحرس تلك الليلة فقالوا جئناك بنفر أخذناهم من

(وذكر) ان أبا دجانة رضى الله عنه تترس دون رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار يقع النبل على ظهره وهو منحن حتى كثر فيه النبل وقاتل دونه صلى الله عليه وسلم زيادة بن عمارة حتى اثبتته الجراحة أى اصابت مقاتله فقال صلى الله عليه وسلم ادنوه منى فوسده قدمه الشريف فمات رضى الله عنه وخده على قدمه الشريف صلى الله عليه وسلم وقاتل مصعب بن عمير رضى الله عنه دون رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتله ابن قمئة لعنه الله وهو يظنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع الى قريش فقال قتلت محمدا وقيل القاتل لمصعب رضى الله عنه أبى بن خلف لعنه الله فانه أقبل نحو النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقول أين محمد لا نجوت ان نجا فاستقبل مصعب بن عمير رضى الله عنه فقتل مصعبا فاعترضه رجال من المسلمين فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخلوا طريقه أى فأقبل وهو يقول يا كذاب اين تفر وتناول النبى صلى الله عليه وسلم الحربة من بعض أصحابه أى وهو الحرث بن الصمة أو الزبير بن العوام على ما سيأتى فخدشه بها فى عنقه خدشا غير كبير احتقن الدم أى لم يخرج بسبب ذلك الخدش فقال قتلنى والله محمد فقالوا ذهب والله فؤادك أى وفى لفظ ذهب والله عقلك انك لتأخذ السهام من أضلاعك فترمى بها فما هذا والله ما بك من بأس ما خدعك انما هو خدش ولو كان هذا الذى بك بعين احدنا ما ضره فقال واللات والعزى لو كان هذا الذى بى بأهل ذى المجاز أى السوق المعروف من جملة أسواق الجاهلية كان عند عرفة كما تقدم وفى لفظ لو كان بربيعة ومضر أى وفى لفظ بأهل الارض لماتوا أجمعون انه قد كان قال لى بمكة انا أقتلك فوالله لو بصق على لقتلنى أى فضلا عن هذه الضربة لانه كان يقول للنبى صلى الله عليه وسلم فى مكة يا محمد ان عندى العود يعنى فرسا له أعلفه فى كل يوم فرقا بفتح الراء هو مكيال معروف يسع اثنى عشر مدا من ذرة أقتلك عليها فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أقتلك ان شاء الله فحقق الله تعالى قول نبيه صلى الله عليه وسلم هذا وعن سعيد بن المسيب رضى الله عنه أن أبى بن خلف قال حين افتدى أى من الاسر ببدر والله ان عندى لفرسا اعلفها كل يوم فرقا من ذرة أقتل عليها محمدا فبلغت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بل أنا أقتله ان شاء الله أقول يمكن الجمع بانه تكرر ذلك من أبى لعنه الله ومن النبى صلى الله عليه وسلم والله أعلم وفى رواية ابصر صلى الله عليه وسلم ترقوته بالفتح لا بالضم من فرجة من سابغة الدرع وهى ما يغطى به العنق من الدرع كما تقدم فطعنه طعنة أى كسر فيها ضلعا بكسر الضاد وفتح اللام وتسكينها من اضلاعه أى وهو المناسب لما فى بعض الروايات ان النبى صلى الله عليه وسلم طعنه طعنة وقع فيها مرارا من على فرسه وجعل يخور كما يخور الثور اذا ذبح وانه صلى الله عليه وسلم لما أخذ الحربة من الحرث بن الصمة وقيل من الزبير بن العوام رضى الله عنه انتفض بها انتفاضة شديدة ثم استقبله فطعنه فى عنقه أقول ولا مخالفة بين كون الطعنة فى عنقه وكونها فى ترقوته لان الترقوة فى أصل العنق ولا مخالفة أيضا بين كون الحاصل من الطعنة خدشا مع اعتنائه صلى الله عليه وسلم بالطعنة وناهيك بعزمه

أهل مكة فقال عمر رضى الله عنه وهو يضحك اليهم والله لو جئتمونى بابى سفيان ما زدتم قالوا والله أتيناك بابى سفيان فقال احبسوه وفى رواية ان العباس رضى الله عنه كان صديقا لابى سفيان فلما ركب البغلة ليتوجه الى الاراك رجاء أن يجد من يبعثه لقريش ليأخذوا أمانا اذ سمع صوت أبى سفيان فاخذه وجاء به فامسكه الحرس فاجاره من الحرس أن يقتلوه وقال عمر رضى الله عنه لابى سفيان حين مر به العباس عليه أبو سفيان عدو الله الحمد لله الذى أمكن منك ٢٥٧ من غير عقد ولا عهد قال العباس وقلت له

صلى الله عليه وسلم لان كون الخدش فى الظاهر أى بحسب ما يظهر للرائى والشدة فى الباطن أنوى فى النكاية ودليل وجود الشدة فى الباطن وقوعه مرارا وكونه خار كالثور الذى يذبح وكون الطعن فى العنق يفضى الى كسر الضلع من خوارق العادات لكن رأيت فى رواية أنه ضربه تحت ابطه فكسر ضلعا من أضلاعه وقد يقال يجوز أن تكون الحربة نفذت من المكان المذكور قال فى النور ولم يقتل بيده الشريفة صلى الله عليه وسلم قط أحدا الا أبى بن خلف لا قبل ولا بعد ثم مات عدو الله وهم قافلون به الى مكة أى بسرف بفتح السين المهملة وكسر الراء وهو المناسب لوصفه لانه مسرف وقيل ببطن رابغ فمن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال انى لاسير ببطن رابغ بعد هدو من الليل اذا انا برتاج جج لى لهبها واذا رجل يخرج منها فى سلسلة يجتذب بها يصيح العطش وناداني يا عبد الله فلا أدرى أعرف اسمى أو كما يقول الرجل ان يجهل اسمه يا عبد الله فالتفت اليه فقال اسقنى فاردت أن أفعل واذا رجل وهو الموكل بعذابه يقول لا تسقه هذا قتيل رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا أبى بن خلف لعنه الله رواه البيهقى ويدل لهذا ما جاء فى الحديث كل من قتله نبى أو قتل بامر نبى فى زمنه يعذب من حين قتل الى نفخ الصعقة وجاء أشد الناس عذابا من قتله نبى أى وفى رواية اشتد غضب الله على رجل قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم فصحقا لاصحاب السعير وفى رواية اشتد غضب الله عز وجل على رجل قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبيل الله أى لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام مأمورون باللطف والشفقة على عباد الله فما يحمل الواحد منهم على قتل شخص الا أمر عظيم ورسول الله صلى الله عليه وسلم أكملهم لطفا ورفقا وسعة بعباد الله وفى شرح التقريب احترز بقوله فى سبيل الله عمن يقتله حدا أو قصاصا لان من يقتله رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبيل الله كان قاصدا قتله صلى الله عليه وسلم وقد اتفق ذلك لابى بن خلف لعنه الله وقد تقدم أن ابن مرزوق رحمه الله ذكر أن ابن عمر مر ببدر فاذا رجل يعذب ويئن فناداه يا عبد الله فالتفت اليه فقال اسقنى فاردت أن افعل فقال الاسود الموكل بتعذيبه لا تفعل يا عبد الله فان هذا من المشركين الذين قتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أى أصحابه رواه الطبرانى فى الاوسط ولا بعد فى تعدد الواقعة ثم رأيت فى الخصائص الكبرى ما يقتضى التعدد فانه ذكر فيها أن ابن عمر رضى الله عنهما ذكر ذلك أى مروره ببدر للنبى صلى الله عليه وسلم وأنه صلى الله عليه وسلم قال له ذلك أبو جهل وذلك عذابه الى يوم القيامة وقد ذكرت ذلك فى الكلام على غزوة بدر ووقع صلى الله عليه وسلم فى حفرة من الحفر التى حفرت للمسلمين أى التى حفرها أبو عامر الفاسق والد حنظلة غسيل الملائكة رضى الله عنه واسم أبى عامر عبد عمرو مات كافرا بأرض الروم فر اليها لما فتحت مكة ليقعوا فيها وهم لا يعلمون فأعمى عليه صلى الله عليه وسلم وجحشت أى خدشت ركبتاه فأخذ على كرم الله وجهه بيده ورفعه طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائما وكان سبب وقوعه صلى الله عليه وسلم ان ابن قئة لعنه الله علاه صلى الله عليه وسلم بالسيف فلم يؤثر فيه السيف الا أن ثقل السيف أثر فى عاتقه

يا أبا حنظلة فعرف صوتى فقال أبو الفضل قلت نعم قال مالك فداك أبى وأمى قلت والله هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس قد جاءكم بما لا قبل لكم به وفى رواية قد جاءكم فى عشرة آلاف فقال واصباح قريش والله فما الحيلة فداك أبى وأمى قلت والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك فاركب فى عجز هذه البغلة حتى آتى بك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأمنه لك فتركك صاحبيه وركب خلف العباس رضى الله عنه فكان كلما مر بنار من نيران المسلمين قالوا من هذا فاذا رأوا بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم والعباس عليها قالوا عم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته قال العباس ثم خرج عمر رضى الله عنه يشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم فركضت البغلة وسبقته فاقتحمت عن البغلة فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل عليه عمر فى أثرى فقال يا رسول الله هذا أبو سفيان عدو الله قد أمكن الله منه من غير عقد ولا عهد فدعنى أضرب عنقه قال العباس رضى الله عنه قلت يا رسول الله انى قد أجرته ولعل العباس وعمر لم يبلغهما قوله صلى الله عليه وسلم انكم لا قون بعضهم فان لقيتم أبا سفيان فلا تقتلوه قال العباس رضى الله عنه ثم جلست الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لا يناجيه الليلة دونى رجل فلما أكثر عمر فى شأن أبى سفيان قلت مهلا يا عمر فوالله لو كان من رجال بنى عدى ما قلت هذا ولكنك قد عرفت انه من رجال بنى عبد مناف فقال مهلا يا عباس فوالله لاسلامك يوم أسلمت كان أحب الى من اسلام الخطاب لو أسلم وما بى الا انى عرفت أن اسلامك كان أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اسلام الخطاب لو أسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب يا عباس به

الى رحلك فاذا أصبحت فائتني به كذا في رواية ابن اسحق وذكر موسى بن عقبة وغيره أن العباس قال قلت يارسول الله أبو سفيان وحكيم وبديل قد أجرتهم وهم يدخلون عليك قال ادخلوهم فدخلوا عليه فمكثوا عنده عامة الليل يستخبرهم فدعاهم الى الاسلام وأن يشهدوا أن لا اله الا الله وأنه رسول الله فشهد بديل وحكيم وقال أبو سفيان ما أعلم ذلك والله ان في النفس من هذا شيأ بعد فارجئهما أي أخرهما وفي رواية قال له صلى الله عليه وسلم ٢٥٨ ياأبا سفيان اسلم تسلم قال كيف أصنع باللات والعزى فقال له عمر اخرأ عليهما

وكان عمر رضي الله عنه خارج القبة ثم قال عمر أما والله لو كنت داخل القبة ما قلتها فقال أبو سفيان ويحك ياعمر انك رجل فاحش دعني مع ابن عمي فاياه أكلم فقال صلى الله عليه وسلم اذهب به ياعباس فذهب به فلما أصبح أتى به أول النهار على رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ان أبا سفيان لما أصبح ورأى الناس بادروا الى الوضوء قال ما للناس أمروا في بشئ قالوا لا ولكنهم قاموا الى الصلاة فامره العباس فتوضأ وانطلق به فلما كبر صلى الله عليه وسلم كبر الناس ثم ركع فركعوا ثم رفع فرفعوا ثم سجد فسجدوا فقال ما رأيت كاليوم طاعة قوم جمعهم من ههنا وههنا ولا فارس الاكارم ولا الروم ذات القرون باطوع منهم له ياأبا الفضل أصبح ابن أخيك والله عظيم الملك فقال العباس انه ليس بملك ولكنها النبوة فقال أوذاك فلما رآه صلى الله عليه وسلم بعد فراغه من الصلاة قال ويحك ياأبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لا اله الا الله فلما رأى أبو سفيان مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم له بهذا الخطاب اللين العذب وأنه صلى الله عليه وسلم أغضى وضرب صفحا عما جرى منه في عداوته ومحاربته قال بابي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك لقد ظننت أنه لو كان مع الله اله غيره لاغنى عني شيأ خرج

الشريف فشكا صلى الله عليه وسلم منه شهرا أو اكثر وقذف صلى الله عليه وسلم بالحجارة حتى وقع لشقه ورماه صلى الله عليه وسلم عتبة بن أبي وقاص أخو سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه بحجر فكسر رباعيته اليمنى السفلى وشق شفته السفلى أي ودعا عليه صلى الله عليه وسلم بقوله اللهم لا يحول عليه الحول حتى يموت كافرا وقد استجاب الله تعالى ذلك وقتله في ذلك اليوم حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه قال حاطب لما رأيت ما فعل عتبة برسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أين توجه عتبة فأشار النبي صلى الله عليه وسلم الى حيث توجه فمضيت حتى ظفرت به فضربته بالسيف فطرحت رأسه فنزلت وأخذت فرسه وسيفه وجئت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي رضي الله عنك رضي الله عنك مرتين أي ولا يخالف هذا قول بعضهم فمات بعد بقليل لكن يخالف القول بأنه مات بعد ان أسلم بعد الفتح وأنه أثبت ولم يولد لعتبة ولد او ولد ولد الا وهو أهتم أي ساقط مقدم اسنانه أي التي هي الرباعيات أبخر يعرف ذلك في عقبه وكسرت البيضة أي الخوذة على رأسه صلى الله عليه وسلم وشج وجهه الشريف شجه عبد الله بن شهاب الزهري رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك وهو جد الامام الزهري رحمه الله ويجوز أن يكون من قبل امه أي ويقال له عبد الله الاصغر أي ولعل هذا حصل منه قبل أو بعد قوله دلوني على محمد فلا نجوت ان نجا ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف الى جنبه ما معه أحد ثم جاوزه فعاتبه في ذلك صفوان فقال والله ما رأيته أحلف بالله انه منا ممنوع وجد الامام الزهري من قبل أبيه يقال له عبد الله بن شهاب ويقال له عبد الله الاكبر رضي الله عنه كان من مهاجري الحبشة توفي بمكة قبل الهجرة وأشار صاحب الهمزية رحمه الله الى أن هذه الشجة لم تشنه صلى الله عليه وسلم بل زادته جمالا بقوله

مظهر شجة الجبين على البر * ء كما أظهر الهلال السراء
ستر الحسن منه بالحسن فاعجب * لجمال له الجمال وقاء
فهو كالزهر لاح من سجف الاكـ * ـمام والعود شق عنه اللحاء

أي مظهر وجهه الشريف أثر جرح جبينه أي جهته مع برئها ظهورا كظهور الهلال ليلة استهلاله ستر ذلك الوجه الحسن الاصلي بالحسن العارض بسبب ذلك الجرح فاعجب لجمال اصلي له الجمال العارض وقاية وساترفهو أي ماظهر بذلك الجرح كالزهر اذا ظهر من ستره وكالعود الذي يتطيب به اذا أزيل عنه قشره وقال حسان رضي الله عنه في وصف جبينه الشريف صلى الله عليه وسلم

متى يبد في الداجي البهيم جبينه * يلح مثل مصباح الدجى المتوقد

وجرحت وجنتاه صلى الله عليه وسلم بسبب دخول حلقتين من المغفر في وجنتيه بضربة من ابن قئة لعنه الله وقال له لما ضربه خذها وأنا ابن قئة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أقماك الله عز وجل أي صغرك وأذلك وقد استجاب الله فيه دعوة نبيه صلى الله عليه وسلم فانه بعد الوقعة

لقد استنصرت الهك فوالله ما لقيتك من مرة الا نصرت لي فلو كان الهي محققا والهك مبطلا لكنت غلبتك ثم قال صلى الله عليه وسلم ويحك ياأبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله فقال بابي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك أما هذه ففي النفس منها شئ نخاف عليه العباس أن يبادر أحد بقتله لانه ليس وقت مجادلة لاسيما مع شدة حنق المسلمين عليه فقال له ويحك اسلم

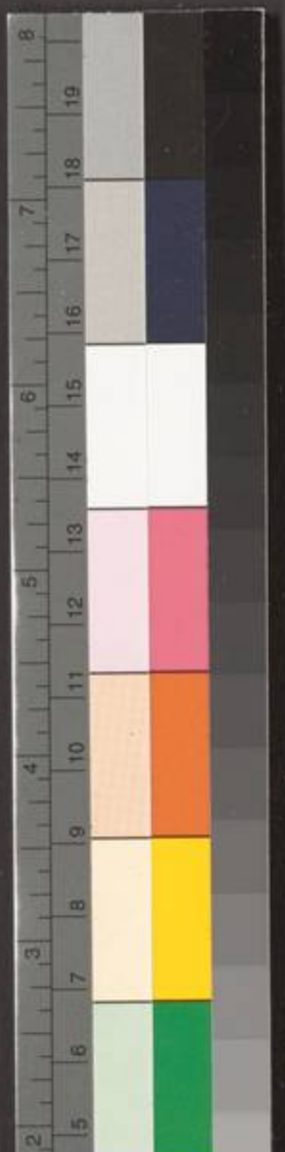



واشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله قبل أن تضرب عنقك فاسلم وشهد شهادة الحق رضى الله عنه وروى الحافظ الذهلى عن سعيد بن المسيب قال لما دخل صلى الله عليه وسلم مكة ليلة الفتح لم يزالوا فى تكبير وتهليل وطواف بالبيت حتى أصبحوا فقال أبو سفيان لهند أترين هذا من الله ثم أصبح فقال له النبى صلى الله عليه وسلم قلت لهند أترين هذا من الله فقال أبو سفيان أشهد انك عبد الله ورسوله والذى يحلف به ما سمع قولى هذا الا الله وهند وروى ابن عساكر ٢٥٩ عن عبد الله بن أبى بكر بن حزم قال خرج صلى الله عليه وسلم وأبو سفيان جالس فى المسجد فقال فى نفسه ما أدرى يم يغلبنا محمد فأتاه صلى الله عليه وسلم فضرب صدره وقال بالله نغلبك فقال أشهد أنك رسول الله وروى الحاكم والبيهقى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال رأى أبو سفيان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشى والناس يطؤن عقبه فقال فى نفسه لو عاودت هذا الرجل القتال وجمعت له جمعا فجاءه عليه السلام حتى ضرب فى صدره فقال اذن يخزيك الله فقال أتوب الى الله واستغفر الله ما أيقنت انك نبى الا الساعة انى كنت لاحدث بذلك نفسى والحاصل ان أبا سفيان كان فى أول الامر مستكبرها فلم يزل صلى الله عليه وسلم يترفق به ويتألفه حتى تمكن الاسلام من قلبه واقد حضر مع النبى صلى الله عليه وسلم غزوة الطائف فعقئت عينه فجاء بها فى يده الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له ان شئت أرجعها الله اليك خيرا مما كانت وان شئت خيرا منها فى الجنة فرمى بها وقال خيرا منها فى الجنة وفقئت عينه الاخرى يوم اليرموك فى خلافة عمر رضى الله عنه وكان يحث الناس ويحرضهم على القتال ويقول هذا يوم من أيام الله انصروا دين الله ينصركم الله قال أنس ابن مالك رضى الله عنه لقد رأيته أعمى يقوده غلامه يدخل به على عثمان رضى الله عنه فى زمن خلافته وتوفى فى خلافة عثمان رضى الله عنه وصلى عليه عثمان ودفن بالبقيع سنة أربع وثلاثين وقيل سنة احدى وثلاثين وعمره ثمان وثمانون سنة قال السيوطى فى تحفة الادب روى القزوينى فى تاريخه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لطم أبو جهل فاطمة رضى الله عنها فى أول بعثة النبى صلى الله عليه وسلم فشكت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها ائت أبا سفيان فائته فاخبرته فاخذ بيدها حتى وقف على أبى جهل

خرج الى غنمه فوافاها على ذروة الجبل أى أعلى الجبل فأخذ يعترضها فشد عليه كبشها فنطحه نطحة أرداه من شاهق الجبل فتقطع وفى رواية فسلط الله عليه تيس جبل فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة ٥ (أقول) ويمكن الجمع بأنه لما نطحه ذلك الكبش ووقع من شاهق الجبل الى أسفل سلط الله عليه عند ذلك تيس الجبل فنطحه حتى قطعه قطعا زيادة فى نكاله وخزيه ووبائه لعنة الله عليه والله أعلم * ولما جرح وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم صار الدم يسيل على وجهه الشريف وجعل صلى الله عليه وسلم يمسح الدم وفى لفظ ينشف دمه وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم الى ربهم أى وفى رواية اشتد غضب الله على قوم أدموا وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون أى وفى رواية صار صلى الله عليه وسلم يقول اللهم العن فلانا وفلانا أى اللهم العن أبا سفيان اللهم العن الحرث بن هشام اللهم العن سهيل بن عمرو اللهم العن صفوان بن أمية فأنزل الله تعالى الآية فان قيل كيف هذا مع قوله تعالى والله يعصمك من الناس أجيب بان هذه الآية نزلت بعد أحد وعلى تسليم انها نزلت قبله فالمراد عصمته من القتل قال الشيخ محيى الدين بن العربى رحمه الله لا يخفى أن أجر كل نبى فى التبليغ يكون على قدر ما ناله من المشقة الحاصلة له من المخالفين له وعلى قدر ما يقاسيه منهم وله أجر الهداية لمن أطاعه ولا أحد أكثر أجرا من نبينا صلى الله عليه وسلم فانه لم يتفق لنبى من الانبياء ما اتفق له صلى الله عليه وسلم فى كثير من طائفى أمة اجابته ولا فى كثير عصاة أمة دعوته الخارجين عن الاجابة وامتص مالك بن سنان الخدرى وهو والد أبى سعيد الخدرى رضى الله عنهما دم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ازدرده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مس دمى دمه لم تصبه النار وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال من أراد أن ينظر الى رجل من أهل الجنة فلينظر الى هذا وأشار اليه فاستشهد فى هذه الغزاة وفى لفظ من سره ان ينظر الى من لا تمسه النار فلينظر الى مالك بن سنان رضى الله عنه ولم ينقل أنه صلى الله عليه وسلم أمر هذا الذى امتص دمه بغسل فيه ولا انه غسل فيه من ذلك كما لم ينقل أنه أمر حاضنته أم أيمن بركة الحبشية رضى الله عنها بغسل فيها ولا هى غسلته من ذلك لما شربت بوله صلى الله عليه وسلم فعنها رضى الله عنها أنها قالت قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل الى المخارة أى تحت سريره فبال فيها فقمت وأنا عطشى فشربت ما فى المخارة وأنا لا أشعر فلما أصبح النبى صلى الله عليه وسلم قال يا أم أيمن قومى الى تلك المخارة فاهريقى ما فيها فقالت والله لقد شربت ما فيها فضحك صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال لا يجفر بالجيم والفاء بطنك بعده أبدا وفى لفظ لا تلج النار بطنك وفى أخرى لا تشتكى بطنك أى ويجوز نه صلى الله عليه وسلم قال هذه الالفاظ الثلاثة وكل روى بحسب ما سمع منها فتكون هذه الامور الثلاثة تحصل لام أيمن رضى الله عنها وفى رواية بدل مخارة اناء من عيدان بالفتح الطوال من النخل فان صحا حملا على التعدد لام أيمن رضى الله عنها ولا مانع منه وقد شرب بوله صلى الله عليه

فقال لها الطميه كالطمك ففعلت فجاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته فرفع يديه وقال اللهم لا تنسها لابي سفيان قال ابن عباس رضي الله عنهما ما شككت أن اسلامه كان لدعوة النبي صلى الله عليه وسلم وقد أوصى صلى الله عليه وسلم باصحابه وأنصاره وأصهاره وهو من أصهاره لان ابنته أم حبيبة رضي الله عنها كانت زوج النبي صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم اني سألت الله أن لا يدخل النار أحدا ممن صاهرني أو صاهرته ٢٦٠ فاياك أن تصغي لما ينقله بعض المؤرخين ويتشدق به بعض أهل الزيغ والضلال من الطعن فيه وفي ابنه أو في أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فتكون من الهالكين ومجرى بين الصحابة من الاختلاف فهو محمول على الاجتهاد وكلهم مأجورون ان شاء الله تعالى فنسأل الله أن يحيينا ويميتنا على محبة أهل البيت وأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأن لا يجعل لاحد منهم في عنقنا ظلامة قال موسى بن عقبة قال أبو سفيان وحكيم بن حزام يا رسول الله جئت باوباش الناس ممن يعرف ومن لا يعرف الى أهلك وعشيرتك فقال صلى الله عليه وسلم أنتم أظلم وأفجر فقد غدرتم بعد الحديبية وظاهرتم على بني كعب يعني خزاعة بالاثم والعدوان في حرم الله وأمنه فقد لا صدقت يا رسول الله وقال بديل والله يا رسول الله لقد غدروا ولو أن قريشا خلوا بيننا وبين عدونا يعني بني بكر ما نالوا منا ثم قالا لو كنت جعلت جدك ومكيدتك لهوازن فهم أبعد رحما وأشد عداوة لك فقال صلى الله عليه وسلم اني لارجو من ربي أن يجمع لي ذلك كله فتح مكة واعزاز الاسلام بها وهزيمة هوازن وغنيمة أموالهم وذراريهم فاني أرغب الى الله تعالى في ذلك ثم قال أبو سفيان يا رسول الله ادع الناس بالامان أرأيت ان اعتزلت قريش فكفت أيديها أهم آمنون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم من كف يده

لما

وأغلق داره فهو آمن ثم أراد العباس رضي الله عنه تثبيت اسلام أبي سفيان لئلا يدخل عليه الشيطان من حيث انه كان متبوعا فصح تابعا ليس له من الامر شئ فقال يا رسول الله ان أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيأ قال نعم ثم أعانه أبو بكر رضي الله عنه فقد روى ابن أبي شيبة ان أبا بكر رضي الله عنه قال يا رسول الله ان أبا سفيان رجل يحب السماع أي الشرف يعني فاجعل له شيأ فقال

اوسلم أيضا امرأة يقال لها بركة بنت ثعلبة بن عمرو وكانت تخدم أم حبيبة رضي الله عنها جاءت معها من الحبشة أي ومن ثم قيل لها بركة الحبشية وفي كلام ابن الجوزي بركة بنت يسار مولاة أبي سفيان الحبشية خادمة أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم هذا كلامه ولا مخالفة لانه يجوز أن يكون يسار لقبه ثعلبة وكانت معها في الحبشة ثم قدمت معها مكة كانت تكنى بام يوسف فقال لها صلى الله عليه وسلم حين علم أنها شربت ذلك صحة يا أم يوسف فما مرضت قط حتى كان مرضها الذي ماتت فيه وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال لها لقد احتظرت من النار بحظار وشرب دمه صلى الله عليه وسلم أيضا أبو طيبة الحجام وعلي كرم الله وجهه وكذا عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما فعن عبد الله بن الزبير قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يحتجم فلما فرغ قال يا عبد الله اذهب بهذا الدم فاهريقه حتى لا يراك أحد قال فشربته فلما رجعت قال يا عبد الله ما صنعت قلت جعلته في أخفى مكان علمت أنه يخفى على الناس قال لعلك شربته قلت نعم قال ويل للناس منك وويل لك من الناس وكان بسبب ذلك على غاية من الشجاعة ولما وفد أخوه شقيقه عروة بن الزبير أحد الفقهاء السبعة من المدينة على عبد الملك ابن مروان قال له يوما أريد أن تعطيني سيف أخي عبد الله فقال له عبد الملك هو بين السيوف ولا أميزه فقال له عروة اذا حضرت السيوف ميزته أنا فامر عبد الملك باحضارها فلما أحضرت أخذ منها سيفا مفلل الحد وقال هذا سيف أخي فقال له عبد الملك كنت تعرفه قبل الآن قال لا فقال كيف عرفته قال بقول النابغة الذبياني

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

وأخذ من ذلك بعض أئمتنا طهارة فضلاته صلى الله عليه وسلم حيث لم يأمره بغسل فمه ولم يغسل هو فمه وان شربه جائز حيث أقر على شربه وما أورده في الاستيعاب أن رجلا من الصحابة اسمه سالم حجمه صلى الله عليه وسلم ثم ازدرد دمه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أما علمت أن الدم كله حرام أي شربه غير صحيح فقد قال بعضهم هو حديث لا يعرف له اسناد فلا يعارض ما قبله على انه يمكن أن يكون ذلك سابقا على اقراره على ذلك والله أعلم ونزع أبو عبيدة عامر بن عبد الله الجراح رضي الله عنه احدى الحلقتين من وجنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقطت ثنية أبي عبيدة ثم نزع الاخرى فسقطت ثنيته الاخرى وقيل الذي نزعهما عقبة بن وهب بن كلدة وقيل طلحة ابن عبيد الله ولعل الثلاثة عالجوا اخراجها وكان أشدهم لذلك أبو عبيدة رضي الله عنه قال بعضهم ولما سقط مقدم أسنان أبي عبيدة صار أهتم ولم ير قط أهتم أحسن من أبي عبيدة لان ذلك الهتم حسن فاه وكان أول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهزيمة وقول القائل قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن مالك قال عرفت عينيه تزهران أي تضيآن وتتوقدان من تحت المغفر وهو ما يجعل على الرأس من الزرد فناديت باعلى صوتي يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشار الي ان أنصت وعن بعض الصحابة قال

صلى الله عليه وسلم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن قال وما تسع داري زاد ابن عقبة ومن دخل دار حكيم فهو آمن وهي من أسفل مكة ودار أبي سفيان بأعلاها ومن دخل المسجد فهو آمن قال وما يسع المسجد قال ومن أغلق بابه فهو آمن قال أبو سفيان هذه واسعة وأمر صلى الله عليه وسلم مناديه أن ينادي بذلك كله الا من استثناهم النبي صلى الله عليه وسلم وأمر بقتلهم كما سيأتي ثم قال له العباس النجاء الى قومك أي بعد ان حبسه حتى مرت عليه جنود الله كما سيأتي

وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم بعث أبا سفيان وحكيم بن حزام الى أهل مكة ينادون فيهم بذلك حتى اذا جاء أبو سفيان فوقه صرخ بأعلى صوته يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به اسلموا تسلموا من دخل دار أبي سفيان فهو آمن فقالوا قاتلك الله وما تغني عنا دارك قال ومن أغلق بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن فقامت فيه هند زوجته فأخذت بشاربه وقالت اقتلوا الحميت أي الزق الضخم الدسم الاحمس قبحت من طليعة قوم وفي رواية انها أخذت بلحيته ونادت يا آل غالب اقتلوا الشيخ الاحمق هلا قاتلتم ودفعتم عن أنفسكم وبلادكم فقال لها ويحك اسكتي وادخلي بيتك والله لتسلمن أو لاضربن عنقك وقال لهم ويلكم لا تغرنكم هذه من أنفسكم فقد جاءكم بما لا قبل لكم به فتفرقوا الى دوركم والى المسجد وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال قبل مجيء أبي سفيان ومن معه اليه ان بمكة أربعة نفر اربأ بهم عن الشرك وارغب بهم في الاسلام عتاب بن أسيد وجبير بن مطعم وحكيم بن حزام وسهيل بن عمرو وهذا يدل على أن جبيرا أسلم يوم الفتح كمن ذكر معه وقيل ان اسلامه كان قبل ذلك وحكيم بن حزام رضي الله عنه أبوه حزام بن خويلد أخو خديجة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنها فهي عمة حكيم وكان عمره حين أسلم ستين سنة وعاش في الاسلام ستين وتوفي وعمره مائة وعشرون سنة وكان من أشراف قريش في الجاهلية والاسلام أعتق في الجاهلية مائة رقبة وفي الاسلام مثل ذلك فانه حج في الاسلام ووقف بعرفة وأعتق بها مائة وصيف في أعناقهم أطواق الفضة منقوش عليها اعتقاء الله عن حكيم بن حزام واهدى مائة بدنة قد جللها بالحبرة واهدى ألف شاة رضي الله عنه ولما أراد صلى الله عليه وسلم السير من مر الظهران قال للعباس رضي الله عنه لا آمن أن يرجع

لما صرخ الشيطان قتل محمد لم نشك في انه حق ومازلنا كذلك حتى طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين السعدين فعرفناه بتكفيه اذا مشى ففرحنا حتى كأنه لم يصبنا ما أصابنا فلما عرف المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم نهضوا به ونهض معهم نحو الشعب فهم أبو بكر وعمر وعلي وطلحة والزبير والحرث بن الصمة رضي الله عنهم (وفي خصائص العشرة) للزمخشري وثبت يعني الزبير رضي الله عنه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد وبايعه على الموت هذا كلامه فليتأمل وقول بعض الرافضة انهزم الناس كلهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ممنوع وقوله وتحببت الملائكة من شأن علي وقول جبريل عليه السلام وهو يعرج الى السماء لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى الا علي وقوله وقتل علي كرم الله وجهه أكثر المشركين في هذه الغزوة فكان الفتح فيها على يديه وقال أصابتني يوم أحد ست عشرة ضربة سقطت الى الارض في أربع منهن فجاء في رجل حسن الوجه حسن اللحية طيب الريح وأخذ بضبعي فاقامني ثم قال أقبل عليهم فقاتل في طاعة الله وطاعة رسول الله فانهما عنك راضيان ولما أخبرت النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا علي أما تعرف الرجل فقلت لا ولكن شبهته بدحية الكلبي فقال صلى الله عليه وسلم يا علي أقر الله عينك فانه جبريل عليه السلام جيء به رده الامام أبو العباس بن تيمية بانه كذب باتفاق الناس وبين ذلك بما يطول قال وأقبل عثمان بن عبد الله بن المغيرة على فرس أبلق وعليه لامة كاملة قاصدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوجه للشعب وهو يقول لا نجوت ان نجا فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم فعثر عثمان فرسه في بعض تلك الحفر ومشى اليه الحرث بن الصمة رضي الله عنه فاصطدما ساعة بسيفهما ثم ضربه الحرث على رجله فبرك ووقف عليه وأخذ درعه ومغفره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي أحانه أي أهلكه وأقبل عبيد الله بن جابر العامري يعدو فضرب الحرث على عاتقه فجرحه فاحتمله أصحابه ووثب أبو دجانة رضي الله عنه الى عبيد الله فذبحه بالسيف ولحق برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى فم الشعب خرج علي بن أبي طالب كرم الله وجهه حتى ملأ درقته ماء وغسل به صلى الله عليه وسلم عن وجهه الشريف الدم وهو يقول اشتد غضب الله على من أدمى وجه نبيه أي والسياق يقتضي أنه صلى الله عليه وسلم قال ذلك أيضا بعد قوله كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم ونزول تلك الآية فان ذلك كان قبل غسل وجهه الشريف قال ثم أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعلو الصخرة التي في الشعب فلما ذهب لينهض لم يستطع أي لانه صلى الله عليه وسلم ضعف لكثرة ما خرج من دم رأسه الشريف ووجهه مع كونه صلى الله عليه وسلم عليه درعان فجلس تحته طلحة بن عبيد الله فنهض به حتى استوى عليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوجب طلحة أي فعل شيأ استوجب به الجنة حين صنع برسول الله صلى الله عليه وسلم ما صنع انتهى أي وقيل ان طلحة رضي الله عنه كان في مشيه اختلاف لعرج كان به فلما حمل النبي صلى الله

أبو سفيان فيكفر فاحبسه عند خطم الجبل حتى يرى جنود الله وجاء أن أبا بكر رضى الله عنه هو الذى قال يارسول الله لو أمرت بابى سفيان فحبس على الطريق فحبسه العباس بالمضيق دون الاراك وفى رواية ومعه حكيم بن حزام فقال أبو سفيان اغدرا قال لا ولكن لى اليك حاجة حتى تنظر جنود الله وما أعد الله للمشركين وفى رواية قال له ان أهل النبوة لا يغدرون وأمر صلى الله عليه وسلم كل قبيلة أن تكون عند راية صاحبها وتظهر ٢٦٢ مامعها من القوة والعدة فاصبح الناس على ظهر وقدم بين يديه الكتائب

عليه وسلم تكلف استقامة المشى لئلا يشق عليه صلى الله عليه وسلم فذهب عرجه ولم يعد اليه وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم انطلق حتى أتى أصحاب الصخرة أى الجماعة الذين من الصحابة الذين علوا الصخرة أى اتى فى الشعب فلما رأوه وضع رجل سهما فى قوسه وأراد أن يرميه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا رسول الله ففرحوا بذلك وفرح رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى وجد فى أصحابه من يمنع أى ولعل هذا الذى أراد رميه صلى الله عليه وسلم لم يعرفه ولا من معه من الصحابة لارتفاع الصخرة قال وعطش صلى الله عليه وسلم عطشا شديدا أى ولم يشرب من الماء الذى جاء به على كرم الله وجهه فى درقته لانه صلى الله عليه وسلم وجد له ريحا فعافه أى كرهه فخرج محمد بن مسلمة رضى الله عنه يطلب له ماء فلم يجد فذهب الى مياه فاتى منها بماء عذب فشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا له بخير وفى بعض الروايات ان نساء المدينة خرجن وفيهن فاطمة بنت النبى صلى الله عليه وسلم فلما لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتنقته وجعلت تغسل جراحاته وعلى كرم الله وجهه يسكب الماء فتزايد الدم فلما رأت ذلك أخذت شيأ من حصير أى معمول من البردى فاحرقته بالنار حتى صار رمادا فأخذت ذلك الرماد وكمدته حتى لصق بالجرح فاستمسك الدم انتهى أى لان البردى له فعل قوى فى حبس الدم لان فيه تجفيفا قويا وفى حديث غريب أنه صلى الله عليه وسلم داوى جرحه بعظم بال أى محرق وقد يقال يجوز أن يكون الراوى ظن ذلك البردى المحرق عظما محرقا بناء على صحة تلك الرواية وعن وضع هذا الرماد الحار عبر بعضهم بانه صلى الله عليه وسلم اكتوى فى وجهه وجعله معارضا للحديث الصحيح فى وصف السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة من غير حساب بانهم لا يكتوون وعارضه أيضا بانه صلى الله عليه وسلم كوى سعد بن معاذ مرتين ليرقأ أى ينقطع الدم من جرحه وكوى أسعد بن زرارة رضى الله عنه لمرض الذبحة ففى كلام بعضهم كان موت أسعد بن زرارة رضى الله عنه بمرض يقال له الذبحة فكواه النبى صلى الله عليه وسلم بيده وقال بئس الميتة لليهود يقولون أفلا دفع عن صاحبه وما أملك له ولا لنفسى شيأ وأجيب بان هذا الحديث محمول على من اكتوى خوفا من حدوث الداء أولانهم كانوا يعظمون أمره ويرون أنه يقطع الداء واذا لم يكو العضو عطب وبطل وهو محمل قوله صلى الله عليه وسلم لم يتوكل من اكتوى أو على من يفعله مع قيام غيره من الادوية مقامه ومحمل ما فى الخصائص الكبرى ان الملائكة كانت تصافح عمران بن حصين رضى الله عنه وتسلم عليه من جانب بيته ثلاثين سنة حتى اكتوى أى لبواسير كانت به فكان يصبر على ألمها فلما ترك الكى عادت الملائكة الى سلامها عليه لان ذلك قادح فى التوكل وما فى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الشفاء فى ثلاثة شربة عسل وشرطة محجم وكية نار وأنا انهى أمتى عن الكى وفى رواية وما أحب ان اكتوى أى فالنهى للتنزيه لا للتحريم والا لم يفعله عمران مع علمه بالنهى قال فى الهدى وأراد صلى الله عليه وسلم بقوله وأنا أنهى الى آخره أى انه لا يوفق

وصرت القبائل على قاداتها والكتائب على راياتها فجعلت القبائل تمر كتيبة كتيبة والكتيبة بالفتاء الممتناة القطعة من الجيش وأبو سفيان ينظر اليهم ويسأل عنهم وأول من قدم خالد بن الوليد رضى الله عنه فى بنى سليم وهم ألف وقيل تسعمائة معهم لواآن يحملهما العباس بن مرداس وخفاف بن ندبة فحين مر وابابى سفيان كبروا ثلاثا فقال أبو سفيان للعباس من هؤلاء فقال خالد بن الوليد فقال خالد الغلام قال نعم قال ومن معه قال بنو سليم قال مالى ولبنى سليم ثم مر على اثره الزبير بن العوام رضى الله عنه فى خمسمائة من المهاجرين وافناء العرب فكبروا ثلاثا فقال أبو سفيان للعباس من هؤلاء قال الزبير بن العوام قال ابن أختك قال نعم ثم مرت كتيبة بنى غفار فى ثلثمائة يحمل رايتهم أبوذر رضى الله عنه فلما حاذوه كبروا ثلاثا فقال ياعباس من هؤلاء قال غفار قال مالى ولغفار ثم مرت اسلم فى أربعمائة فيها لواآن يحملهما بريدة بن الحصيب وناجية بن الاعجم فلما حاذوه كبروا ثلاثا فقال من هؤلاء قال أسلم قال مالى ولاسلم ثم مرت بنو كعب بن عمرو وهم خزاعة فى خمسمائة يحمل رايتهم بشر بن سفيان فلما حاذوه كبروا ثلاثا فقال من هؤلاء قال بنو كعب اخوة اسلم قال هؤلاء حلفاء محمد بالكى

قال نعم ثم مرت مزينة فيها مائة فرس وثلاثة ألوية يحملها النعمان وعبد بن عمرو بن عوف وبلال بن الحرث فلما حاذوه كبروا ثلاثا قال من هؤلاء قال مالى ولمزينة قد جاءتنى تقعقع من شواهقها ثم مرت جهينة فى ثمانمائة فيها أربعة ألوية يحملها معبد ابن خالد وسويد بن صخر ورافع بن مكيث وعبد الله بن بدر فلما حاذوه كبروا ثلاثا قال من هؤلاء قال جهينة قال مالى ولجهينة والله

بالكى الا اذا لم ينجع الدواء فلا يأتى به أولا ومن ثم أخره قيل والفصد داخل فى شرطة المحجم والحجامة فى البلاد الحارة أنفع من الفصد هذا كلامه وبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشعب مع أولئك النفر من أصحابه اذ علت طائفة من قريش الجبل معهم خالد بن الوليد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انهم لا ينبغى لهم ان يعلونا اللهم لا قوة لنا الا بك فقاتلهم عمر ابن الخطاب وجماعة من المهاجرين حتى أهبطوا من الجبل أى ونزل قوله تعالى ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون أى لا تضعفوا عن الحرب ولا تحزنوا على ما فاتكم من الظفر بالكفار ولعل هذا كان قبل ان يعلو صلى الله عليه وسلم الصخرة كما تقدم أو لعل الجبل كان أعلى من تلك الصخرة قال وفى بعض الروايات أنه صلى الله عليه وسلم قال اسعد اردد هم قال كيف أردد هم وحدى فقال له اردد هم قال سعد رضى الله عنه فأخذت سهما من كنانتى فرميت به رجلا منهم فقتلته ثم أخذت سهما آخر فاذا هو سهمى الذى رميت به فرميت به آخر فقتلته ثم أخذت سهما آخر فاذا هو سهمى الذى رميت به فرميت به آخر فقتلته ثم أخذت سهما فاذا هو سهمى الذى رميت به فرميت به آخر فقتلته فهبطوا من مكانهم فقلت هذا سهم مبارك فكان عندى فى كنانتى لا يفارق كنانتى وكان بعده عند بنيه انتهى أى وحينئذ يحتاج الى الجمع بين هذا أى كون سعد ردهم وحده بهذا السهم وما قبله الدال على ان الراد لهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه وجماعة من المهاجرين وروى عنه أنه قال لقد رأيتنى أرمى بالسهم يوم أحد فيرده على رجل أبيض حسن الوجه لا أعرفه حتى كان بعد أى حتى بعد انقضاء الحرب لم أعرفه فظننت أنه ملك أى وفى رواية عنه أنه قال رميت بسهم فرده على رسول الله صلى الله عليه وسلم وسهمى أعرفه حتى واليت بين ثمانية أو تسعة كل ذلك يرده على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت هذا سهم دم أى يصيب فجعلته فى كنانتى لا يفارقنى (أقول) ولا منافاة بين هذا وبين قوله ثم أخذت سهما لان قوله المذكور لا ينافى أن يكون أخذه بمناولته صلى الله عليه وسلم لا من كنانته كما قد يتبادر ولا بين قوله فيرده على رجل أبيض حسن الوجه لا أعرفه لانه يجوز أن يكون ذلك الرجل كان يرد السهام التى كان يرمى بها حتى لا تفنى سهامه الا هذا السهم فانه لم يرده له بل يناوله له رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرده عليه ولا منافاة بين قوله حتى واليت بين ثمانية أو تسعة وبين اخباره بقوله ثم أخذت سهما الى أن عد خمس مرات لانه يجوز أن تكون تلك الخمسة قتل فيها وفيما زاد لم يقتل بل جرح فليتأمل والله أعلم وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ظهر ذلك اليوم وهو جالس من الجراحة التى أصابته وصلى المسلمون خلفه قعودا أى واعلم ذلك كان بعد انصرافه عدوهم وانما صلى المسلمون خلفه صلى الله عليه وسلم قعودا موافقة له صلى الله عليه وسلم وقد نسخ ذلك أو ان من صلى قاعدا انما هو لما أصابهم من الجراح وكانوا هم الاغلب فقيل صلى المسلمون خلفه قعودا فقد جاء انه وجد بطلحة رضى الله عنه نيف وسبعون جراحة من طعنة وضربة ورمية وقطعت أصبعه وفى رواية أنامله وعند ذلك قال حسن فقال له صلى الله عليه

ما كان بينى وبينهم حرب قط ثم مرت كنانة بنو ليث وضمرة وسعد بن بكر فى مائتين يحمل لواءهم أبو واقد الليثى فلما حاذوه كبروا ثلاثا قال من هؤلاء قال بنو بكر قال نعم أهل شؤم والله هؤلاء الذين غزانا محمد بسببهم ثم مرت أشجع وهم ثلثمائة معهم لواء آن يحملهما معقل بن سنان ونعيم بن مسعود الاشجعى فكبروا ثلاثا فقال من هؤلاء قال أشجع قال هؤلاء كانوا أشد العرب على محمد فقال له العباس أدخل الله الاسلام فى قلوبهم فهذا فضل الله ومرت بنو تميم وبنو فزارة وسعد بن هذيم وهم من قضاعة فصنعوا مثل ذلك وقيل ان مرورهؤلاء كان قبل أشجع وان أشجع كانت آخرهم ثم قال أبو سفيان أبعد ما مضى محمد فقال له العباس لو أتت الكتيبة التى محمد فيها لرأيت الخيل والحديد والرجال وما ليس لاحد به طاقة قال ومن له بهؤلاء طاقة وجعل الناس يمرون وهو يقول عند مرور كل قبيلة لقد أمر محمد فيقول العباس لا حتى أقبلت كتيبة لم ير مثلها الذى كل بطن منها لواء وهم فى الحديد لا يرى منهم الا الحدق فيهم الفادارع وفيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو سفيان من هؤلاء قال هؤلاء الانصار عليهم سعد بن عبادة رضى الله عنه معه راية الانصار وتقدم أن راية المهاجرين كانت مع الزبير رضى الله عنه وكان جملة من كبار المهاجرين مع النبى صلى الله عليه وسلم والانصار وعمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول رويدا يلحق أولكم آخركم وفى رواية ثم جاءت كتيبة خضراء فيها ألف دارع وفيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه المهاجرون والانصار وفيها الرايات والالوية مع كل بطن من بطون الانصار لواء ورايه وهم فى الحديد لا يرى منهم الا الحديد ولعمر بن الخطاب رضى الله عنه فيها رجل بصوت عال وهو يقول رويدا يلحق أولكم آخركم وفى رواية قال أبو سفيان سبحان الله يا عباس من هؤلاء قال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الانصار فقال ما لاحد بهؤلاء قبل ولا طاقة والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك اليوم عظيما فقال يا أبا سفيان انها النبوة فقال نعم اذن فما حاذى سعد بن عبادة أبا سفيان قال يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة أى يوم الحرب الذى لا يوجد منه مخلص اليوم تستحل الكعبة أى يقتل من أهدر دمه ولو تعلق باستار الكعبة فقال أبو سفيان يا عباس حبذا يوم الذمار أى حبذا يوم الهلاك ثم نى أبو سفيان أن يكون له

يد وقوة فيحمى قومه ويدفع عنهم وقيل معناه هذا يوم الغضب للحريم والاهل والانتصار لهم لمن قدر عليه قال ذلك غلبة وعجزا وقيل المعنى هذا يوم يلزمك فيه حفظى وحمايتى لقربك من النبى صلى الله عليه وسلم وسمع مقالة سعد بن عبادة رجل من المهاجرين قيل هو عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقيل سمعها رجلان وهما عثمان وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهما فقالا يا رسول الله ما نأمن أن تكون لسعد صولة فى قريش فقال لعلى رضى الله عنه أدركه فخذ الراية منه ثم أمره أن يسلمها لابنه قيس بن سعد ابن عبادة ورأى صلى الله عليه وسلم أن الراية لم تخرج عنه حيث صارت لابنه وقيل انما أمر باخذ الراية منه حين حاذى النبى صلى الله عليه وسلم أبا سفيان فانه قال للنبى صلى الله عليه وسلم لما حاذاه وهو مار فى جنود الله أمرت بقتل قومك قال لا فذكر له أبو سفيان ما قال سعد بن عبادة ثم ناشده الله والرحم أى قال له أنشدك الله فى قومك فانك أبر الناس وأرحمهم وأوصلهم فقال يا أبا سفيان اليوم يوم المرحمة اليوم يعز الله قريشا أى بالاسلام والدين وبانقاذهم من الضلال المبين وفى رواية ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة ويوم تكسى فيه الكعبة أشار بهذا الى انه صلى الله عليه وسلم هو الذى يكسوها ذلك العام وقد وقع ذلك فالمراد من اليوم الزمان ثم أرسل الى سعد فاخذ الراية منه فدفعها لابنه قيس رضى الله عنه وروى ابن عساكر عن جابر رضى الله عنه قال لما قال سعد بن عبادة ذلك القول تعرضت امرأة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت

يا نبى الهدى اليك لجا حى
قريش ولات حين لجاء
حين ضاقت عليهم سعة الار
ض وعاداهم اله السماء
والتقت حلقتا البطان على القو * م ونودوا بالصيلم الصلعاء
ان سعدا يريد قاصمة الظهـ * ـر بأهل الحجون والبطحاء
بخلاف خزرجى لو يستطيع من الغيـ * ـظ رمانا بالنسر والعواء
وغر الصدر لا يهم بشئ * غير سفك الدما وسبى النساء
قد تنطى على البطاح وجاءت * عنه هند بالسوأة السوآء
اذ ينادى بذل حى قريش * وابن حرب بذا من الشهداء
فلئن أقحم اللواء ونادى * يا حماة الادبار أهل الثواء
ثم ثابت اليه من بهم الخز * رج والاوس أنجم الهيجاء

وسلم لو قلت بسم الله لرفعتك الملائكة عليهم السلام والناس ينظرون اليك حتى تلج بك فى جو السماء زاد فى لفظ ولرأيت بناءك الذى بنى الله لك فى الجنة وأنت فى الدنيا وفى البخارى عن قيس بن أبى حازم قال رأيت يد طلحة بن عبيد الله شلاء وقى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد أى من سهم وقيل من حربة ونزف به الدم حتى غشى عليه ونضح أبو بكر رضى الله عنه الماء فى وجهه حتى أفاق فقال ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له أبو بكر هو بخير وهو أرسلنى اليك فقال الحمد لله كل مصيبة بعده جلل أى قليلة وكان يقال لطلحة رضى الله عنه الفياض سماه بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة العشيرة كما تقدم وسماه طلحة الجود فى أحد لانه أنفق فى أحد سبعمائة ألف درهم وسماه فى أحد أيضا طلحة الخير وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه أصيب فوه فهتم وجرح عشرين جراحة قال وفى رواية عشرين جراحة فاكثر وجرح فى رجله فكان يعرج منها وأصاب كعب بن مالك رضى الله عنه سبعة عشر جراحة وفى رواية عشرون جراحة قال عاصم بن عمر بن قتادة كان عندنا رجل غريب لا ندرى ممن هو أى يظهر الاسلام يقال له قزمان وكان ذا بأس وقوة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكر يقول انه لمن أهل النار فلما كان يوم أحد قاتل قزمان قتالا شديدا أى فكان أول من رمى من المسلمين بسهم وكان يرمى النبال كأنها الرمال ثم فعل بالسيف الافاعيل فكان يكت كتيت الجمل وقتل ثمانية أو تسعة من المشركين ولما أخبر صلى الله عليه وسلم بذلك قال انه من أهل النار فأعظم الناس ذلك وأثبتته الجراحة فاحتمل الى دار بنى ظفر لانه كان حليفا لهم فجعل رجال من المسلمين يقولون والله لقد ابتليت اليوم يا قزمان فابشر فيقول بماذا أبشر فوالله ما قاتلت الا على أحساب قومى أى على شرفهم ومفاخرهم أى مناصرة لهم ولولا ذلك ما قاتلت أى فلم يقاتل لاعلاء كلمة الله ورسوله وقهر أعدائهما أى وفى رواية أن قتادة رضى الله عنه قال له هنيأ لك الشهادة يا أبا الغيداق فقال انى والله ما قاتلت يا أبا عمرو على دين ما قاتلت الا على الحفاظ ان تسير الينا قريش حتى تطأ أرضنا فلما اشتدت عليه الجراحة أخذ سهما من كنانته فقتل به نفسه أى قطع به عروقا فى باطن الذراع يقال لها الزواهق أى وفى رواية فجعل ذباب سيفه فى صدره أى بين ثدييه كما فى رواية ثم تحامل عليه حتى قتل نفسه قال فى النور وهو الصحيح ولا مانع أن يكون فعل كلا من الامرين أى وعند ذلك جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال أشهد أنك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وما ذاك قال الرجل الذى ذكرت آنفا انه من أصحاب النار فعل كذا وكذا وقد جاء سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء أى ذلك فى سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يقاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله فنص عليه وحينئذ قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار وان الرجل ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة ففيه اشارة الى ان باطن الامر قد يكون

لتكونن بالبطاح قريش * نقعة القاع فى أكف الاماء فانهينه فانه أسد الاسـ * ـد لدى الغاب والغ فى الدماء
انه مطرق يريد لنا الامـ * ـر سكوتا كالحيـة الصماء فلما سمع صلى الله عليه وسلم هذا الشعر دخلته رأفة ورحمة فامر

بالراية فاخذت من سعد ودفعت لابنه قيس وجاء انه لما جاءه الرسول من النبى صلى الله عليه وسلم بتسليمها الابنه أبى أن يسلمها الا بامارة من النبى صلى الله عليه وسلم فارسل اليه بعمامته فسلمها الابنه وجاء فى بعض الروايات انه صلى الله عليه وسلم سلمها على وفى بعضها انه سلمها للزبير بن العوام فدخل مكة برايتين قال الحافظ ابن حجر والذى يظهر فى الجمع بين الروايات انه صلى الله عليه وسلم أرسل عليا رضى الله عنه لينزعها ويدخل بها ثم خشى تغير خاطر سعد فامر بدفعها لابنه قيس ثم ان سعدا خشى أن يقع من ابنه شئ ينكره النبى صلى الله عليه وسلم فسأل النبى صلى الله عليه وسلم أن يأخذها منه فحينئذ أخذها الزبير ثم بعد مر ورجنود الله كلها بابى سفيان قال له العباس النجاء الى قومك فجاء اليهم يصيح بالامان فامسكته زوجته وقالت اقتلوه الى آخر ما تقدم وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تركز رايته بالحجون قال عروة بن الزبير أخبرنى نافع بن جبير بن مطعم رضى الله عنه قال سمعت العباس يقول للزبير رضى الله عنهما فى حجة اجتمعوا فيها بمكة فى خلافة عمر رضى الله عنه يا أبا عبد الله ههنا أمرك رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تركز الراية قال نعم قال الحلبى فى السيرة وفى ذلك المحل بنى مسجد يقال له مسجد الراية ودخل صلى الله عليه وسلم من الثنية العليا وأمر خالد بن الوليد ومن معه أن يدخلوا من الثنية السفلى روى البخارى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما انه

بخلاف ظاهره وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ٥ أى وقد أشار الى هذا الامام السبكى رحمه الله تعالى فى تائيته بقوله

وقلت لشخص يدعى الدين انه * بنار فألقى نفسه للمنية

هذا وفى كلام ابن الجوزى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال شهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر فقال لرجل ممن يدعى الاسلام هذا من أهل النار فلما حضرنا القتال قاتل الرجل قتالا شديدا فأصابته جراحة فقيل يا رسول الله الرجل الذى قلت انه من أهل النار فانه قاتل اليوم قتالا شديدا وقد مات فقال النبى صلى الله عليه وسلم كما قال الى النار ثم قيل انه لم يمت ولكن به جراحة شديدة فلما كان من الليل لم يصبر على الجراحة فقتل نفسه فاخبر النبى صلى الله عليه وسلم فقال الله أكبر أشهد أنى عبد الله ورسوله فامر بلالا فنادى فى الناس انه لا يدخل الجنة الا نفس مسلمة وان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وهذا الرجل اسمه قزمان من المنافقين هذا كلامه فليتأمل فان تعدد الشخص المسمى بهذا الاسم فيه بعد ولعل ذكر خيبر بدل أحد اشتباه من الراوى وقوله صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر عام فيدخل فيه كل من الملك والعالم الذى جعل تسليكه وتعليمه مصيدة للدنيا وأكل الحرام فان الله يحيى بهما قلوبا ويهدى بهما الى سواء السبيل مع انهما فاجران وقتل الاصيرم اصيرم بنى عبد الاشهل قال بعضهم كان الاصيرم يأبى الاسلام على قومه بنى عبد الاشهل فلما كان يوم خروج النبى صلى الله عليه وسلم الى أحد جاء الى المدينة فسأل عن قومه فقيل له باحد فبدا له فى الاسلام أى رغب فيه فأسلم ثم أخذ سيفه ورمحه ولأمته وركب فرسه فغدا بالغين المجمة حتى دخل فى عرض الناس أى بضم العين المهملة وبالضاد المعجمة جانبهم وناحيتهم فقاتل حتى أثبتته الجراحة أصابت مقاتله فبينما رجال من بنى عبد الاشهل يلتمسون قتلاهم فى المعركة اذا هم به فقالوا والله ان هذا الاصيرم فسألوه ما جاء بك مناصرة لقومك أم رغبة فى الاسلام فقال بل رغبة فى الاسلام آمنت بالله وبرسوله صلى الله عليه وسلم ثم جئت وقاتلت حتى أصابنى ما أصابنى ثم لم يلبث أن مات فى أيديهم فذكروه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انه لمن أهل الجنة وكان أبو هريرة يقول حدثونى عن رجل دخل الجنة ولم يصل يعنى الاصيرم ويصدق على هذا قوله عليه الصلاة والسلام وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار الحديث أى وممن يدخل الجنة ولم يصل الاسود الراعى لبعض يهود خيبر الذى جاء النبى صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله اعرض على الاسلام فعرضه عليه فأسلم ثم تقدم ليقاتل فاصابه حجر فقتله وما صلى صلاة قط كما سيأتى فى غزاة خيبر وقتل حنظلة بن أبى عامر الفاسق رضى الله عنه وأبو عامر هذا هو الذى كان يسمى فى الجاهلية الراهب فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسق كما تقدم وكان هو وعبد الله بن أبى ابن سلول من رؤس أهل المدينة وعظمائها المتوجين للرياسة على أهلها كان أبو عامر من الاوس ويقال له ابن صيفى وكان عبد الله من الخزرج فعبد الله بن أبى أظهر الاسلام وأما أبو عامر فأصر على

صلى الله عليه وسلم أقبل يوم الفتح من أعلى مكة على راحلته القصواء مردفا اسامة بن زيد رضى الله عنهما خلفه وهذا من مزيد تواضعه وكريم أخلاقه حيث أردف فى هذا الموكب العظيم خادمه وابن خادمه رضى الله عنهما والمتكبر بعد ارداف ابنه اذا ركب فى السوق عار اعليه ماذا لك الا تكبر برأ الله منه نبيه صلى الله عليه وسلم وفى رواية ودخل صلى الله عليه وسلم مكة يوم الجمعة معتجرا بشقة برد حبرة حمراء وفى رواية وعليه عمامة سوداء حرقانية واضعا رأسه الشريف على رحله تواضعا لله تعالى

حين رأى ما رأى من فتح الله وكثرة المسلمين وهو يقول اللهم ان العيش عيش الآخرة وفى رواية دخل وعلى رأسه المغفر ويمكن الجمع بين ذلك كله وروى البيهقى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال لما دخل صلى الله عليه وسلم عام الفتح أى لما أراد الدخول رأى النساء يلطمن وجوه الخيل بالخمر فتبسم والتفت الى أبى بكر رضى الله عنه وقال يا أبا بكر كيف قال حسان فانشده قوله

عدمت بنيتى ان لم تروها * تثير النقع موعدها كداء ٢٦٦ ينازعن الاعنة مسرجات * يلطمهن بالخمر النساء

فقال صلى الله عليه وسلم ادخلوها من حيث قال حسان وروى الطبرانى عن العباس رضى الله عنه قال لما بعث صلى الله عليه وسلم قلت لابى سفيان بن حرب أسلم بنا قال لا والله حتى أرى الخيل تطلع من كداء قلت ما هذا قال شئ طلع بقلبى لان الله لا يطلع هناك خيلا أبدا قال العباس رضى الله عنه فلما طلع صلى الله عليه وسلم من هناك ذكرت أبا سفيان به فذكره وتقدم هذا الحديث باطول من هذا وانهما توجها الى اليمن فى تجارة واجتمعا بحبر من أحبار اليهود وسألاه عن النبى صلى الله عليه وسلم فسألهما عن صفاته فوصفاه له فقال هو هو ذبحت يهود وقام وترك رداءه فتعجب أبو سفيان من تصديق اليهود به وخوفهم منه فقال له العباس ألا تسلم بنا فقال لا والله حتى أرى الخيل تطلع من كداء الى آخر الحديث قال الحافظ ابن حجر وقد ساق موسى بن عقبة دخول خالد والزبير سياقا واضحا موافقا للاحاديث الصحيحة فقال وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير ابن العوام على المهاجرين وخيلهم وأمره أن يدخل من كداء بالفتح والمد وأمره أن يركز رايته بالحجون وان يمكث عند الراية ولا يبرح حتى يأتيه وبعث خالد بن الوليد فى قبائل منها فضاءة وسليم وأسلم وغفار ومزينة وجهينة وغيرهم عليه وأمره أن يدخل من أسفل مكة وان يغرز رايته عند أدنى البيوت أى أقربها الى الثنية التى دخل منها وهو أول بيوت مكة من الجهة التى دخل منها وكان لواؤه صلى الله عليه وسلم يوم دخل مكة أبيض ورايته سوداء تسمى العقاب وكانت من برد عائشة رضى الله عنها وجعل أبا عبيدة على الرجالة أى المشاة وبعث سعد بن عبادة فى كتيبة الانصار وكانت معه الراية حتى نزعت منه واستمر بلا راية فى

الكفر الى ان مات طريدا وحيدا اجابة لدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث دعا عليه بذلك والى ذلك أشار الامام السبكى رحمه الله فى تائيته بقوله

وميت ابن صيفى على الصفة التى * ذكرت وحيدا بعد طرد وغربة

وقد كان أبو عامر هذا خرج من المدينة مباعدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه خمسون غلاما وقيل خمسة عشر من قومه من الاوس فلحق بمكة وكان يعد قريشا أنه لو لقى قومه أى الاوس لم يختلف عليه منهم رجلان فلما جاء مع قريش نادى يا معشر الاوس أنا أبو عامر قالوا له لا أنعم الله بك عينا يا فاسق أى وفى لفظ قالوا له لا مرحبا بك ولا أهلا يا فاسق ولا مانع من صدور الامرين منهم فلما سمع ردهم عليه قال لعنه الله لقد أصاب قومى بعدى شرا ثم قاتل قتالا شديدا وهو الذى حفر الحفائر ليقع فيها المسلمون وهم لا يعلمون التى وقع فى احداها رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم أى وكان هو أول من أثار الحرب وضرب بالسهم فى وجوه المسلمين واستأذن ولده حنظلة رضى الله تعالى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قتله فنهاه عن قتله وسبب قتل حنظلة رضى الله تعالى عنه ان حنظلة ضرب فرس أبى سفيان فوقع الارض فصاح وعلاه حنظلة رضى الله عنه يريد ذبحه فرآه شداد بن الاوس كذا فى الاصل قيل وصوابه شداد بن الاسود فحمل عليه فقتله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان صاحبكم يعنى حنظلة لتغسله الملائكة أى وفى رواية رأيت الملائكة تغسل حنظلة بين السماء والارض بماء المزن فى صحاف الفضة فسئلت صاحبته أى زوجته وهى جميلة بنت عبد الله بن أبى ابن سلول رأس المنافقين أخت ولده عبد الله رضى الله عنهما فقالت خرج جنبا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك غسلته الملائكة فانه دخل عليها عروسا تلك الليلة التى صبيحتها أحد وقد كان استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك أى فى الدخول بها فلما صلى الصبح غدا يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلزمته فكان معها فاجنب منها ونادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج الى العدو فعجل عن الغسل اجابة للداعى وفى رواية انها قالت خرج وهو جنب حين سمع الهاتفة أى الصياح بالخروج للعدو وفى لفظ الهائعة وفى لفظ الهيعة من الهياع وهو الصياح الذى فيه فزع وقد جاء فى الحديث خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه فلما سمع هيعة طار اليها وفى رواية وقد كان غسل أحد شقيه فخرج ولم يغسل الشق الآخر وقد رأت هى تلك الليلة ان السماء قد فرجت فدخل فيها ثم أطبقت وجاء انها أشهدت أربعة من قومها عليه بالدخول بها خشية أن يكون فى ذلك نزاع قالت لانى رأيت السماء فرجت فدخل فيها ثم أطبقت فقلت هذه الشهادة وعلقت منه بعبد الله بن حنظلة رضى الله عنه فى تلك الليلة وعبد الله هذا هو الذى ولاه أهل المدينة عليهم لما خلعوا يزيد بن معاوية وكان ذلك سببا لوقعة الحرة ولم تغسل قريش بحنظلة رضى الله عنه لكون والده معهم الذى هو أبو عامر الراهب لعنه الله وفى الامتاع وجعل أبو قتادة الانصارى يريد التمثيل من قريش لما رأى من المثلة بالمسلمين فقال له صلى الله

الاوس يابنى عبيد الله وقتل من أصحاب خالد أيضا رجلان حبيش بن الاشعر الخزاعى أخو أم معبد التى مر بها النبى صلى الله عليه وسلم مهاجرا وكرز بن جابر الفهرى وهذا أسلم بعد غزوة بدر وكان قبل ذلك من رؤساء المشركين وهو الذى أغار على سرح النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة بدر الاولى ثم لما أسلم استعمله النبى صلى الله عليه وسلم وبعثه فى طلب العرنيين كما تقدم ولما وقع القتال بأسفل مكة نظر صلى الله عليه وسلم الى بارقة السيوف ٢٦٨ فقال ما هذا وقد نهيت عن القتال فقالوا نظن ان خالدا قوتل وبدئ بالقتال فلم يكن له بد أن يقاتلهم وجاء فى رواية انه قيل له يارسول الله هذا خالد بن الوليد يقتل فقال قم يافلان فقتل له فليرفع يديه من القتل فاتاه الرجل فقال له ان نبى الله يقول لك اقتل من قدرت عليه وأجرى الله ذلك على لسانه فقتل سبعين فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فارسل اليه ألا آمرك ان تنذر خالدا قال أردت أمرا فاراد الله أمرا فكان أمر الله فوق أمرك وما استطعت الا الذى كان فسكت صلى الله عليه وسلم ومارد عليه وقوله قتل سبعين لا ينافى رواية أربعة وعشرين لان زيادة الثقة مقبولة والاقل داخل فى الاكثر وقال موسى بن عقبة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان اطمأن خالد رضى الله عنه قاتلت وقد نهيت عن القتال فقال هم بدؤنا بالقتال وقد كففت يدى ما استطعت فقال صلى الله عليه وسلم قضاء الله خير وجاء فى رواية ان قريشا وبشت أو باشالها أى جمعت جموعا من قبائل شتى فنادى صلى الله عليه وسلم أبا هريرة رضى الله عنه وقال له اهتف لى بالانصار فهتف بهم فجاؤا واطافوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم ترون الى أوباش قريش واتباعهم ثم قال بيديه احداهما على الاخرى احصدوهم حصدا حتى توافونى بالصفا قال أبو هريرة رضى الله عنه فانطلقنا فما نشاء أن نقتل أحدا منهم الا قتلناه اول

تصير صحيحة وعمرو بن الجموح رضى الله عنه كان فى الجاهلية على أصنامهم أى سادنا لها وكان فى الاسلام يوم عنه صلى الله عليه وسلم اذا تزوج وقد وقع منه صلى الله عليه وسلم مثل ذلك لانس ابن النضر عم أنس بن مالك خادم النبى صلى الله عليه وسلم فانه لما كسرت أخته الربيع ثنية جارية من الانصار فطلب أهلها القصاص وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بكسر ثنية الربيع قال أخوها أنس المذكور والله لا تكسر ثنية الربيع وصار كلما يقول صلى الله عليه وسلم كتاب الله القصاص يقول والله لا تكسر ثنية الربيع فرضى القوم بالارش فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من عباد الله من لو أقسم على الله لابره وقال صلى الله عليه وسلم ذلك فى حق البراء بن مالك أخى أنس بن مالك رضى الله عنهما فعن أنس رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال رب أشعث أغبر لا يؤبه به لو أقسم على الله لابره منهم البراء بن مالك ومصداق ذلك ماوقع له رضى الله عنه فى مقاتلة الفرس فان الفرس غلبوا المسلمين فقالوا له يابراء اقسم على ربك فقال أقسم عليك يارب لما منحتنا أكتافهم وألحقتنى بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم فحمل رضى الله عنه وحمل المسلمون معه فقتل عظيم الفرس وانهزم الفرس ثم قتل البراء رضى الله عنه (ومما وقع) أنه كان مع أخيه أنس رضى الله عنه عند بعض حصون العدو بالعراق وكانوا يلقون كلاليب معلقة فى سلاسل محماة يخطفون بها الانسان فكان من جملة من خطف أنس رضى الله عنه فاقبل البراء رضى الله عنه وصعد محلا عاليا وأمسك السلسلة بيده ولازال حتى قطع السلسلة ثم نظر الى يده فاذا عظمها يلوح ليس عليه لحم ونجى الله أنسا رضى الله عنه بذلك وقال صلى الله عليه وسلم ما تقدم فى حق أويس القرنى رضى الله عنه فعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان خير التابعين رجل يقال له أويس بن عامر القرنى فمن لقيه منكم فمروه ان يستغفر لكم وفى رواية خطابا لعمر رضى الله عنه يأتى عليك اويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن كان به برص فبرئ منه الا موضع درهم له أم هو بها بار لو أقسم على الله لابره فان استطعت أن يستغفر لك فافعل والله أعلم وقتل أيضا أحد بنى عمرو بن الجموح وهو خلاد رضى الله عنه وقتل أخو زوجته هند بنت حزام وهو عبد الله والد جابر رضى الله عنه فحملتهم هند على بعير لها تريد أن تدفنهم فى المدينة فلقيتها عائشة رضى الله عنها وقد خرجت فى نسوة يسترون الخبر فقالت لها عائشة رضى الله عنها جاء خبر الجيش فقالت امارسول الله صلى الله عليه وسلم فصالح وكل مصيبة بعده جلل واتخذ الله من المؤمنين شهداء ثم قالت لها من هؤلاء قالت أخى عبد الله وابنى خلاد وزوجى عمرو بن الجموح رضى الله عنهم فبرك بهم البعير وصار كلما توجه الى المدينة يبرك وان وجه الى أرض أحد تزع فرجعت الى النبى صلى الله عليه وسلم وأخبرته فقال ان الجمل مأمور فقبرهم باحد وقال صلى الله عليه وسلم لهند يا هند ما زالت الملائكة مظلة على أخيك من لدن قتل الى الساعة ينظرون أين يدفن ولعل هذا كان قبل أن ينادى برد القتلى الى مضاجعهم قال جابر رضى الله عنه كان أبى

لا يقدر أن يدفع عن نفسه فجاء أبو سفيان فقال يارسول الله أبيحت خضراء قريش لا قريش بعد اليوم فعند ذلك قال صلى الله عليه وسلم من أغلق بابه فهو آمن أى أمر أن ينادى بذلك ويعلن به ووجه صلى الله عليه وسلم اللوم على خالد بن الوليد فقال يارسول الله هم بدؤنا بالقتال وقد كففت ما استطعت ودعوتهم الى الاسلام فابوا حتى اذا لم أجد بدا قاتلتهم فظفرنا الله بهم فهربوا فى كل وجه فقال صلى الله

عليه وسلم فضاء الله خير وجاء في رواية انه صلى الله عليه وسلم قال كفوا القتال الا خزاعة عن بني بكر الى صلاة العصر وهي الساعة التي أحلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان دخوله صلى الله عليه وسلم لعشر بقين من رمضان ومعه صلى الله عليه وسلم زوجتاه أم سلمة وميمونة رضي الله عنهما وتقدم انه صلى الله عليه وسلم استثنى اناسا من الدخول في الامان وأمر بقتلهم وهم خمسة عشر ما بين رجل وامرأة عبد الله بن أبي سرح وعبد الله بن خطل وقينتان كانتا عنده تغنيان بهجاء النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين وعكرمة ابن أبي جهل والحويرث بن نقيذ ومقيس بن صبابة وهبار بن الاسود وكعب بن زهير والحرث ابن هشام وهو أخو أبي جهل لابويه وزهير بن أبي أمية وسارة وهي مولاة لبني المطلب وصفوان ابن أمية وهند بنت عتبة زوج أبي سفيان أم معاوية ووحشي قاتل حمزة وأكثر هؤلاء أسلموا كما سيأتي بيانه أما عبد الله بن أبي سرح بن الحرث العامري فانه كان أسلم ثم ارتد ولحق بمكة وصار يتكلم بكلام قبيح في حق النبي صلى الله عليه وسلم فاهدر دمه صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فلما علم باهدار دمه لجأ الى عثمان بن عفان رضي الله عنه وكان أخاه من الرضاع فقال يا أخي استأمن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يضرب عنقي فغيبه عثمان رضي الله عنه حتى هدأ الناس واطمأنوا ثم أتى به اليه صلى الله عليه وسلم وصار يقول عثمان يا رسول الله أمنته فبايعه والنبي صلى الله عليه وسلم يعرض عنه مرارا ثم قال نعم فبسط يده فبايعه فلما خرج عثمان وعبد الله قال صلى الله عليه وسلم لمن حوله أعرضت عنه مرارا ليقوم اليه بعضكم فيضرب عنقه وكان عباد ابن بشر رضي الله عنه نذر ان رأى عبد الله بن أبي سرح قتله وكان قائما على رأس النبي صلى الله عليه وسلم وهو متقلد سيفه ينتظر النبي صلى الله عليه وسلم يشير اليه ان يقتله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انتظرتك ان تفي بنذرك فقال يا رسول الله خفتك أفلا أومأت الي فقال انه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الاعين وهو الايماء بالطرف قال الزرقاني ثم أدركته العناية الازلية وأتته السعادة الابدية فأسلم وحسن اسلامه وعرف فضله وجهاده وكان على ميمنة عمرو بن العاص رضي الله عنه في فتح مصر وكان له المواقف المحمودة في الفتوح وهو الذي افتتح افريقية في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه سنة ثمان أو سبع

أول قتيل للمسلمين قتلد أبو الاعور السلمي وفي الصحيح ان عائشة رضي الله عنها وأم سليم كانا يسقيان الناس يفرغان من القرب في أفواه القوم أي ولا مخالفة لانه يجوز أن يكون ذلك شأن عائشة بعد وصولها الاحد أي وقد كان صلى الله عليه وسلم خلف اليمان والد حذيفة وثابت ابن وقش في الاطام مع النساء والصبيان لانهما كانا شيخين كبيرين فقال أحدهما لصاحبه لأبالك ما ننتظر فوالله ان بقي لواحد منا في عمره الاظمء حمار أفلا نأخذ أسيافنا ثم نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم لعل الله يرزقنا الشهادة فأخذا أسيافهما ثم خرجا حتى دخلا في الناس من جهة المشركين ولم يعلم المسلمون بهما فاما ثابت فقتله المشركون وأما اليمان فاختلفت عليه أسياف المسلمين فقتلوه ولم يعرفوه (وذكر السهيلي) ان في تفسير ابن عباس رضي الله عنهما أن الذي قتله خطأ هو عتبة بن مسعود أخو عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وعتبة هو أول من سمى المصحف مصحفا وعند ذلك قال حذيفة أبي فقالوا ما عرفناه فاراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يديه فتصدق حذيفة رضي الله عنه بديته على المسلمين فزاده ذلك عند رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا واسم اليمان حسيل وقيل له اليمان لانه نسب الى جده اليمان بن الحرث وقيل انما قيل له اليمان لانه أصاب دما في قومه فهرب الى المدينة فحالف بني الاشهل فسماه قومه اليمان لمحالفته اليمانية أي وهم أهل المدينة (ومما يؤثر عن حذيفة رضي الله عنه) أنه قيل له من ميت الاحياء قال الذي لا ينكر المنكر بيده ولا بلسانه ولا بقلبه وفي الكشاف وعن حذيفة رضي الله عنه انه استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتل أبيه وهو في صف المشركين أي قبل أن يسلم فقال صلى الله عليه وسلم له دعه يليه غيرك هذا كلامه ولم أقف على أي غزاة كان ذلك فيها وسياق ما قبله يدل على انه كان من الانصار كان حليفا لبني عبد الاشهل ولم يحفظ ان أحدا من الانصار قاتله صلى الله عليه وسلم قبل الاسلام فليتأمل ثم ان هندا زوج أبي سفيان والنسوة اللاتي خرجن معها صرن يمثلن بقتلى المسلمين يجدعن أي يقطعن من آذانهم وأنوفهم ويتخذن من ذلك قلائد وبقرت أي شقت هند بطن سيدنا حمزة رضي الله عنه وأخرجت كبده فلاكتها أي مضغتها فلم تستطع أن تسيغها أي تبتلعها فلفظتها أي ألقتها من فيها أي لانها كانت نذرت ان قدرت على حمزة رضي الله عنه لتأكلن من كبده ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم انها أخرجت كبد حمزة قال هل أكلت منه شيأ قالوا لا قال ان الله قد حرم على النار أن تذوق من لحم حمزة شيأ أبدا أي ولو أكلت منه أي استقر في جوفها لم تمسها النار وفي رواية لو أدخل بطنها لم تمسها النار لان حمزة أكرم على الله من أن يدخل شيء من جسده النار أي ورأيت في بعض السير انها شوت منه ثم أكلت وقد يقال لا منافاة لجواز حمل الاكل على مجرد المضغ من غير اساغة قال وفي رواية ان وحشيا هو الذي بقر بطن حمزة رضي الله عنه وأخرج كبده وجاء بها الى هند أي وقال لها ماذا الى ان قتلت قاتل أبيك قالت سلبي فقال هذه كبد حمزة فاعطته ثيابها وحليها ووعدته اذا وصلت الى مكة تدفع له عشرة دنانير وجاء بها الى

وعشرين وكان ذلك الفتح من أعظم الفتوح بلغ سهم الفارس ثلاثة آلاف دينار وغزا الاسود من النوبة سنة احدى وثلاثين وهادن باقي النوبة الهدنة الباقية بعده وغزا ذات الصواري سنة أربع وثلاثين وولاه عمر رضي الله عنه مصر ثم ضم اليه عثمان رضي الله عنه مصر كلها وكان محمودا في ولايته واعتزل الفتنة حتى مات سنة سبع أو تسع وخمسين وروى البغوي باسناد صحيح عن يزيد بن أبي حبيب قال لما كان عند الصبح قال ابن أبي سرح اللهم اجعل آخر عملي الصبح فتوضأ ثم صلى فسلم عن يمينه ثم ذهب يسلم عن يساره فقبض الله روحه رضي الله عنه وأما عبد الله بن خطل فانه انما أمر بقتله لانه كان ممن قدم المدينة قبل فتح مكة وأسلم وكان اسمه عبد العزى فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله وبعثه لاخذ الصدقة وأرسل معه رجلا من الانصار يخدمه وفي رواية كان معه مولى يخدمه وكان مسلما فنزل منزلا وأمر ان يذبح له تيسا ويصنع له طعاما وناما ثم استيقظ فلم يجده صنع له شيأ وهو نائم فعدا عليه فقتله ثم ارتد مشركا وكان شاعرا فجعل يهجو النبي صلى الله عليه وسلم في شعره وكان له قينتان تغنيانه بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يصنعه وقد جاء انه يوم فتح مكة ركب فرسه ولبس درعه وأخذ بيده قناة وصار يقسم لا يدخلها محمد عنوة فلما رأى خيل الله دخله الرعب فانطلق الى الكعبة فنزل عن فرسه وألقى سلاحه ودخل تحت أستارها فأخذ رجل سلاحه وركب فرسه ولحق برسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجون فأخبره فأمر بقتله وقيل لما طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكعبة قيل هذا ابن خطل متعلقا باستار الكعبة فقال اقتلوه فان الكعبة لا تعيذ عاصيا ولا تمنع من اقامة حد واجب فقتله سعيد ابن حريث وأبو برزة الاسلمي وقيل الزبير وقيل سعيد بن ذؤيب وقيل سعيد بن زيد والظاهر انهم اشتركوا في قتله جميعا القوم جمعا بين الاقوال وأمر صلى الله عليه وسلم بقتل قينتيه فقتلت احداهما واستؤمن رسول الله صلى الله عليه وسلم للاخرى فامنها فاسلمت وأما عكرمة بن أبي جهل فانما أمر صلى الله عليه وسلم بقتله لانه كان من أشد الناس أذية للنبي صلى الله عليه وسلم وكان أشد الناس على المسلمين ولما بلغه ان النبي صلى الله عليه وسلم اهدر دمه هرب ليلحق نفسه في البحر أو يموت تائها في البلاد وكانت امرأته أم حكيم رضي

مصرع حمزة رضي الله عنه فجدعت أنفه وأذنيه أي وفي لفظ فقطعت مذاكيره وجدعت أنفه وقطعت أذنيه ثم جعلت ذلك كالسوار في يديها وقلائد في عنقها واستمرت كذلك حتى قدمت مكة (وفي النهر لابي حيان) ان وحشيا جعل له على قتل حمزة أن يعتق فلم يوف له بذلك فندم على ما صنع ثم ان هندا علت على صخرة مشرفة فصرخت باعلى صوتها وأنشدت أبياتا ثم ان زوجها أبا سفيان أشرف على الجبل كذا في البخاري أنه أشرف وفي رواية كان باسفل الجبل وقد يقال لا مخالفة لجواز وقوع الامرين معا ثم صرخ باعلى صوته أنعمت فعال ان الحرب سجال أي ومعنى سجال مرة لنا ومرة علينا يوم أحد بيوم بدر وأنعمت بكسر التاء خطابا لنفسه أو للازلام لانه استقسم بها عند خروجه الى أحد فخرج الذي يحب وهو افعل والفاء من فعال مفتوحة وليست من أبنية الكلمة وهي أمر أي ارتفع عن لومها أي النفس أو الازلام يقال عال عني أي ارتفع عني ودعني أي وزاد في لفظ يوم لنا ويوم علينا ويوم نساء ويوم نسر حنظلة بحنظلة وفلان بفلان أي وقد جاء انه صلى الله عليه وسلم قال الحرب سجال وقد قال تعالى ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس وقد نزل ذلك في قصة أحد باتفاق ثم قال أبو سفيان انكم ستجدون في القوم وفي رواية في قتلاكم مثلة لم آمر بها ولم تسرني وفي رواية والله ما رضيت وما سخطت وما أمرت وما نهيت وفي لفظ ما أمرت ولا نهيت ولا أحببت ولا كرهت ولا ساءني ولا سرني أي وفي لفظ أما انكم ستجدون في قتلاكم مثلا ولم تكن عن رأي سراتنا ثم أدركته حمية الجاهلية فقال أما انه ان كان كذلك لم نكرهه ومر الحليس سيد الاحابيش بابي سفيان وهو يضرب برج الرمح في شدق حمزة رضي الله عنه ويقول ذق عقق أي ذق طعم مخالفتك انا وتركك الذي كنت عليه ياعاق قومه جعل اسلامه عقوقا فقال الحليس يابني كنانة هذا سيد قريش يفعل بابن عمه ما ترون فقال أبو سفيان اكتمها عني فانها زلة وقال أبو سفيان اعل هبل أي اظهر دينك أو ازدد علوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قم ياعمر فاجبه فقل الله أعلى وأجل لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار فقال أبو سفيان انكم تزعمون ذلك لقد خبنا اذا وخسرنا وهبل هذا تقدم أنه صنم وتقدم الكلام عليه (ورأيت) في كلام الشيخ محيي الدين بن العربي رحمه الله أنه الحجر الذي يطؤه الناس في العتبة السفلى من باب بني شيبة وبلاط الملوك فوقه البلاط ثم قال أبو سفيان ان لنا العزى ولا عزى لكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله مولانا ولا مولى لكم ثم قال أبو سفيان لعمر أي بعد ان قال له هلم ياعمر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ائته فانظر ما شأنه فجاءه فقال له أبو سفيان أنشدك الله ياعمر أقتلنا محمد اقال عمر رضي الله عنه لا والله لا يسمع كلامك الآن قال أنت أصدق عندي من ابن قئة وأبر أي لانه لما قتل مصعب بن عمير ظنه النبي صلى الله عليه وسلم فقال قتلت محمدا كما تقدم وفي رواية ان أبا سفيان نادى أفي القوم محمد أفي القوم محمد قال ذلك ثلاثا فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجيبوه ثم قال أفي القوم ابن أبي قحافة قالها ثلاثا ثم قال أفي

القوم عمر قالها ثلاثا وفى رواية أين ابن أبى كبشة أين ابن أبى قحافة أين ابن الخطاب ثم أقبل على أصحابه فقال اما هؤلاء فقد قتلوا وقد كفيتموهم اذلو كانوا أحياء لاجابوا فما ملك عمر رضى الله عنه نفسه أن قال كذبت والله يا عدو الله ان الذى عددت لاحياء كلهم وقد بقى لك ما يسوءك ثم نادى أبو سفيان ان موعدكم بدر العام المقبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من أصحابه قل نعم بيننا وبينكم موعد ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب كرم الله وجهه وقيل سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه فقال اخرج فى آثار القوم فانظر ماذا يصنعون وماذا يريدون فان كانوا قد جنبوا الخيل أى جعلوها منقادة بجانبهم وامتطوا الابل أى ركبوا مطاها أى ظهورها لان المطا الظهر فانهم يريدون مكة وان ركبوا الخيل وساقوا الابل فهم يريدون المدينة والذى نفسى بيده ان أرادوها الاسيرن اليهم فيها ثم لاناجزهم قال على كرم الله وجهه أو سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه فخرجت فى آثارهم أنظر ماذا يصنعون فجنبوا الخيل وامتطوا الابل وتوجهوا الى مكة أى بعد ان تشاوروا فى نهب المدينة فأشار عليهم صفوان بن أمية ان لا تفعلوا أى وقال لهم فانكم لا تدرون ما يغشاكم وفزع الناس لقتالهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل من رجل ينظر الى ما فعل سعد بن الربيع أفى الاحياء هو أم فى الاموات أى زاد فى رواية فانى رأيت الاسنة قد أشرعت اليه فقال رجل من الانصار أى وهو أبى بن كعب وقيل محمد بن مسلمة وقيل زيد بن حارثة وقيل غير ذلك ويجوز أن يكون أرسلهم كلهم قال أنا أنظر لك يا رسول الله أى وفى رواية قال للمرسل ان رأيت سعد بن الربيع فاقرءه منى السلام وقل له يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تجدك فنظر فوجد جريحا به رمق أى بقية روح فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنى أن أنظر أفى الاحياء أنت أم فى الاموات فقال أنا فى الاموات قد طعنت اثنتى عشرة طعنة وانى قد أنفذت مقاتلى فابلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم عنى السلام وقل له ان سعد بن الربيع يقول لك جزاك الله عنا خيرا ما جزى نبيا عن أمته وأبلغ قومك عنى السلام وقل لهم ان سعد بن الربيع يقول لكم لا عذر لكم عند الله ان يخلص الى نبيكم وفيكم عين تطرف وفى رواية شفر يطرف أى يتحرك قال ثم لم أبرح حتى مات فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته خبره أى وفى رواية انه رأى الذى أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم يدور بين القتلى فقال له ما شأنك قال بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم لآتيه بخبرك قال فاذهب اليه الحديث وفى رواية ان محمد بن مسلمة رضى الله عنه نادى فى القتلى يا سعد بن الربيع مرة بعد أخرى فلم يجبه حتى قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلنى أنظر ما صنعت فاجابه بصوت ضعيف الحديث أى وفى رواية افرأ على قومى منى السلام وقل لهم يقول لكم سعد بن الربيع اللهوما عاهدتم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة فوالله ما لكم عند الله عذر الحديث وفيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمه الله نصح لله ولرسوله حيا وميتا وخلف بنتين فاعطاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم من ميراثه

ذهبت اليه زوجته وجاءت به وقد ذكر كثير من المفسرين انه نزل فيه واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد وروى البيهقى ان امرأته قالت يا رسول الله قد ذهب عكرمة عنك الى اليمن وخاف ان تقتله فأمنه فقال هو آمن فخرجت فى طلبه فأدركته وقد ركب سفينة ونوتى يقول له أخلص أخلص قال ما أقول قال قل لا اله الا الله قال ما هربت الا من هذا وان هذا أمر تعرفه العرب والعجم حتى النواتى ما الدين الا ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم قال وغير الله قلبى وجاءت أم حكيم تقول يا ابن عم جئتك من عند أبر الناس وخير الناس لا تهلك نفسك انى قد استأمنت لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع معها وجعل يطلب جماعها فتأبى وتقول انت كافر وانا مسلمة فقال ان أمرا منعك منى لامر كبير فلما وافى مكة أو المدينة قال صلى الله عليه وسلم يأتيكم عكرمة فلا تسبوا اباه فان سب الميت يؤذى الحى قال الزهرى وابن عقبة فلما رآه صلى الله عليه وسلم وثب قائما فرحا به ورمى عليه رداءه وقال مرحبا بمن جاء مؤمنا مهاجرا فوقف بين يديه صلى الله عليه وسلم ومعه زوجته أم حكيم بنت الحرث

ابن هشام رضى الله عنها وهى منتقبة فقال ان هذه أخبرتنى انك امنتنى فقال صلى الله عليه وسلم صدقت فانت آمن فقال الام تدعو قال أدعو الى ان تشهد ان لا اله الا الله وانى رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وكذا وكذا حتى عد خصال الاسلام قال ما دعوت الا الى خير وأمر حسن جميل قد كنت فينا يا رسول الله قبل ان تدعونا وانت اصدقنا حديثا وابرنا ثم قال فانى اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله قال ثم ماذا قال تقول أشهد الله واشهد من حضرنى أنى مسلم مجاهد مهاجر فقال عكرمة ذلك رواه البيهقى وفى رواية قال

عكرمة اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وانك عبده ورسوله وطاطر أسه من الحياء فقال له يا عكرمة ما تسألني شيأ اقدر عليه الا اعطيتكه قال استغفر لي كل عداوة عاديتكها فقال اللهم اغفر لعكرمة كل عداوة عاداني بها او منطق تكلم به ورد صلى الله عليه وسلم زوجته له أي أبقاها على نكاحها الاول حيث اجتمعا في الاسلام قبل تمام عدتها وكان بعد ذلك من فضلاء الصحابة رضي الله عنه وروى ابن عبد البر انه صلى الله عليه وسلم ٢٧٢ رأى في منامه انه دخل الجنة ورأى فيها عذقا فأعجبه فقال لمن هذا فقيل لابي جهل فشق عليه وقال لا يدخلها الا نفس مؤمنة فلما جاءه عكرمة ابن أبي جهل مسلما فرح به وأول ذلك العذق بعكرمة واستدل بذلك على تأخر الرؤيا وانها قد تكون لغير من ترى له ولم يزل عكرمة رضي الله عنه مستقيما حاله حتى استشهد في الشام في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقيل انما استشهد في خلافة عمر رضي الله عنه وتفصيل ذلك ان أبا بكر الصديق رضي الله عنه لما فرغ من قتال أهل الردة قوم مسيلمة الكذاب جهز الجيوش لغزو الروم وأمر عليهم أبا عبيدة رضي الله عنه ثم عزله وولى خالد بن الوليد رضي الله عنه وكان ممن خرج مع الناس عكرمة بن أبي جهل والحرث ابن هشام وسهيل بن عمرو رضي الله عنهم ووقفوا انفسهم للجهاد وانهم لا يرجعون لحضر وافتتوح الشام بعد حروب كثيرة ثم توفي أبو بكر رضي الله عنه واستخلف عمر بن الخطاب رضي الله عنه فولى اما عبيدة رضي الله عنه على الجنود وابقى خالد بن الوليد رضي الله عنه أميرا من الامراء تحت أمر أبي عبيدة فخرجوا من الشام لفتح بقية المدائن التي حوله ففتحوا بعلبك ومدائن كثيرة ثم توجهوا لفتح حمص ولاقتهم الروم بجموع كثيرة فاقتتلوا مع المسلمين قتالا شديدا ولم يكن احد في يوم حمص اشد قتالا واكثر باسا من عكرمة بن ابي جهل حتى كان وقد يقصد الاسنة بنفسه فقيل له اتق الله وارفق بنفسك فقال يا قوم انا كنت اقاتل عن الاصنام فكيف اليوم وأنا أقاتل في طاعة الملك العلام واني أرى الحور العين يتشوقن الي ولو بدت واحدة منهن لاهل الدنيا لافتتنهم عن الشمس والقمر ولقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما وعدنا ثم سل سيفه وغاص في الروم ولم يزد الا اقداما وقد عجبت الروم من حسن صبره وقتاله فبينما هو كذلك

الثلثين فكان ذلك بيان المراد من الآية وهي قوله تعالى فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وفي ذلك نزلت أي اثنتان فما فوقهما أي وحينئذ لا يحتاج الى قياس البنتين على الاختين بجامع أن للواحدة منهما النصف ودخلت بنت له على أبي بكر رضي الله عنه فالقى لها رداءه لتجلس عليه فدخل عمر رضي الله عنه فسأله عنها فقال هذه ابنة من هو خير مني ومنك قال ومن هو يا خليفة رسول الله قال رجل تبوأ مقعده من الجنة وبقيت أنا وأنت هذه ابنة سعد ابن الربيع رضي الله عنه وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتمس عمه حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه فقال له رجل رأيته بتلك الصخرات وهو يقول أنا أسد الله وأسد رسوله اللهم اني أبرأ اليك مما جاء به هؤلاء النفر أبو سفيان وأصحابه وأعتذر اليك مما صنع هؤلاء بانهزامهم وهذا الدعاء نقل عن أنس بن النضر عم أنس بن مالك خادم النبي صلى الله عليه وسلم فانه غاب عن بدر فشق عليه ذلك فلما كان يوم أحد ورأى انهزام المسلمين أي وكان قد قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله اني غبت عن أول قتال وقع قاتلت فيه المشركين والله لئن أشهدني الله قتال المشركين ليرين الله ما أصنع فقال اللهم اني أعتذر اليك مما صنع هؤلاء يعني أصحابه وأبرأ اليك مما فعل هؤلاء يعني المشركين ولما سمع قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما تصنعون بالحياة بعده موتوا على ما مات عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استقبل القوم أي وقال اللهم اني معاذ هذه الجنة ورب الكعبة أجد ريحها دون أحد وقاتل رضي الله عنه حتى قتل أي ووجدوا فيه بضعا وثمانين جراحة ما بين ضربة بسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم ولما قتل مثل به المشركون فما عرفته أخته الربيع الا ببنانه قال ابن أخيه أنس بن مالك رضي الله عنه لما نزل قوله تعالى من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية قلنا ان هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه من المؤمنين رضي الله عنهم فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو حمزة فوجده ببطن الوادي قد بقر بطنه ومثل به فجدع أنفه وأذناه أي وقطعت مذاكيره فنظر صلى الله عليه وسلم الى شيء لم ينظر الى شيء قط كان أوجع لقلبه منه أي وقال ان أصاب بمثلك ما وقفت موقفا أغيظ لي من هذا وقال رحمة الله عليك فانك كنت ما علمتك فعولا للخيرات وصولا للرحم أما والله لامثلن بسبعين وفي رواية بثلاثين رجلا منهم مكانك وفي رواية لئن ظفرني الله تعالى بقريش في موطن من المواطن لامثلن بسبعين منهم مكانك ولما رأى المسلمون جزع رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمه قالوا والله لئن أظفرنا الله تعالى بهم يوما من الدهر لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الله تعالى أنزل في ذلك وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم له وخير للصابرين واصبر وما صبرك الا بالله الآية فكفر رسول الله صلى الله عليه وسلم وصبر ونهى عن المثلة وكفر عن يمينه وكان نزول هذه الآيات بعد أن مثل صلى الله عليه وسلم بالعرنيين وستأتي قصتهم في السرايا واعترضه ابن كثير رحمه الله بان هذه الآيات مكية وقصة أحد في المدينة بعد الهجرة بثلاث سنوات فكيف يلتئم هذا مع هذا كلامه

الذى حمل عليه البطريق الكبير من بطارقتهم ويسمى هربيس وبيده حربة عظيمة تضىء وتلهب فهزها فى كفه وضربه بها فوقعت فى قلبه ومرقت من ظهره فاستشهد وعجل الله بروحه الى الجنة رضى الله عنه فوقف عليه ابن عمه خالد بن الوليد رضى الله عنه وبكى بكاء شديدا ثم كر سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين على البطريق الذى قتل عكرمة فقتله وعجل الله بروحه الى النار ثم فتح الله عليهم حمص وكان جملة من قتل من الكفار فى ذلك اليوم خمسة آلاف وجملة من استشهد من المسلمين مائتان وخمسة وثلاثون رجلا رضى الله عنهم وفى الاحياء للامام الغزالى فى كتاب تلاوة القرآن كان عكرمة بن أبى جهل رضى الله عنه اذا نشر المصحف غشى عليه ويقول هو كلام ربى هو كلام ربى رضى الله عنه ولما انقضت عدة زوجته أم حكيم رضى الله عنها وكانت خرجت مع زوجها الى الشام تزوجها خالد بن سعيد رضى الله عنه وأراد أن يدخل بها فجعلت تقول لو أخرت الدخول حتى يقضى الله هذه الجموع تعنى الروم فقال خالد ان نفسى تحدثنى انى أصاب فى جموعهم قالت فدونك فدخل بها فى خيمته فما أصبح الصبح الا والروم قد اصطفت فخرج خالد رضى الله عنه فقاتل حتى قتل فشدت أم حكيم رضى الله عنها عليها ثيابها وأخذت عمود الخيمة التى دخل بها فيها خالد فقتلت بذلك العمود سبعة من الروم وجاء ان عكرمة رضى الله عنه شكا الى النبى صلى الله عليه وسلم قولهم له عكرمة بن أبى جهل فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا تؤذوا الاحياء بسبب الاموات وفى رواية لا تسبوا الاموات فتؤذوا الاحياء وفى أخرى اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساويهم وقد كان قبل اسلامه رضى الله عنه بارز رجلا من المسلمين فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقد يقال يجوز أن يكون ذلك مما تكرر نزوله فليتأمل وعن ابن مسعود رضى الله عنه ما رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم باكيا أشد من بكائه على حمزة رضى الله عنه وضعه فى القبلة ثم وقف على جنازته وانتحب حتى نشق أى شهق حتى بلغ به الغشى يقول يا عم رسول الله وأسد الله وأسد رسول الله يا حمزة يا فاعل الخيرات يا حمزة يا كاشف الكربات يا حمزة يا ذاب أى بالذال المعجمة يا مانع عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم أى قال ذلك لما مع البكاء فلا يقال هذا من الندب المحرم وهو تعديد محاسن الميت لان ذلك مخصوص بما اذا اقارنه البكاء وليس من نعى الجاهلية المكروه وهو النداء بذكر محاسن الميت على ان النداء بذلك محل كراهته اذا كان على وجه التفاخر والتعاظم ولم يكن وصفا لخصوص الحث على سلوك طريقته وقال صلى الله عليه وسلم جاءنى جبريل عليه السلام وأخبرنى بان حمزة مكتوب فى أهل السموات السبع حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله وأمر صلى الله عليه وسلم الزبير رضى الله عنه أن يرجع أمه صفية أخت حمزة رضى الله عنها عن رؤيته فقال لها يا أمه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن ترجعى فدفعت فى صدره وقالت لم وقد بلغنى أنه مثل باخى وذلك فى الله فما أرضانى بما كان فى الله من ذلك أى أنا أشد رضا بذلك من غيرى لاحتسبن ولاصبرن ان شاء الله تعالى فجاء الزبير رضى الله عنه فاخبره صلى الله عليه وسلم بذلك فقال خل سبيلها فجاءت واسترجعت واستغفرت له وفى رواية ان صفية لقيت عليا والزبير رضى الله تعالى عنهما فقالت لهما ما فعل حمزة فاريا ها انهما لا يدريان أى رحمة بها فجاءت النبى صلى الله عليه وسلم فقال انى أخاف على عقلها فوضع صلى الله عليه وسلم يده الشريفة على صدرها ودعا لها فاسترجعت وبكت أى لما رأته أى وفى رواية لما منعها على والزبير رضى الله عنهما قالت لا أرجع حتى أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأته قالت يا رسول الله أين ابن أمى حمزة قال صلى الله عليه وسلم هو فى الناس قالت لا أرجع حتى أنظر اليه فجعل الزبير رضى الله عنه يحبسها فقال صلى الله عليه وسلم دعها فلما رأته بكت وصارت كلما بكت بكى صلى الله عليه وسلم ثم أمر به فسجى برده وفى رواية قال الا كفن فقام رجل من الانصار فرمى بثوبه عليه ثم قام آخر فرمى بثوبه عليه فقال صلى الله عليه وسلم يا جابر هذا الثوب لابيك وهذا العمى وهذا يدل على أن والد جابر رضى الله عنهما استمر لم يقبر الى ذلك الوقت وهو خلاف ظاهر سياق ما تقدم وفى رواية وجاءت صفية معها بثوبين لحمزة فكان أحدهما لحمزة والآخر لرجل من الانصار واعله والد جابر رضى الله عنهما ولعله لما جاءت صفية بالثوبين جعل صلى الله عليه وسلم أحدهما لحمزة والآخر لوالد جابر وترك ثوبى الرجلين وفى رواية كفن حمزة رضى الله عنه بنمرة كانوا اذا مدوها على رأسه انكشفت رجلاه وان مدوها على رجليه انكشفت رأسه فمدوها على رأسه وجعلوا على رجليه الاذخر وفى لفظ الحرمل أى ويحتاج الى الجمع بين هاتين الروايتين على تقدير صحتهما والمشهور حديث النمرة وقد يقال انما اختار صلى الله عليه وسلم النمرة على الثوب لانه كان بها دم الشهادة أو أراد صلى الله عليه وسلم ان لا يكون لاحد

---

٣٥ سيره ثانى فقال له بعض الانصار ما أضحكك يا رسول الله وقد جمعنا بصاحبنا قال أضحكنى أنهما فى درجة واحدة فى الجنة ومن ثم قتل عكرمة رضى الله عنه شهيدا فى قتال الروم فى وقعة اليرموك كما تقدم وأما الحويرث بن نقيذ بنون وقاف مصغرا ابن وهب بن عبد بن قصى فانما أهدر دمه صلى الله عليه وسلم لانه كان يعظم القول فيه صلى الله عليه وسلم وينشد الهجاء فيه ويكثر أذاه وهو بمكة وكان العباس رضى الله عنه حمل فاطمة وأم كلثوم رضى الله عنهما بنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة يريد

بهما المدينة فنخس الحويرث بهما الجمل فرمى بهما الارض وشارك هبار بن الاسود فى نخس جمل زينب رضى الله عنها لما هاجرت فأهدر صلى الله عليه وسلم دمه فقتله على رضى الله عنه وذلك أنه سأل عنه وهو فى بيته قد أغلق عليه بابه فقيل هو فى البادية فتحى على رضى الله عنه عن بابه فخرج يريد أن يهرب من بيت الى آخر فتلقاه على رضى الله عنه فضرب عنقه وأما مقيس بن صبابة فانه كان أسلم ثم أتى على انصارى فقتله وكان الانصارى ٢٧٤ قتل أخاه هشام بن صبابة خطأ فى غزوة ذى قرد ظنه من العدو فجاء مقيس فأخذ الدية ثم قتل الانصارى ثم ارتد ورجع الى قريش فأهدر صلى الله عليه وسلم دمه فقتله غيلة ابن عبد الله الليثى وأما هبار بن الاسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصى القرشى الاسدى فانه كان شديد الاذى للمسلمين وكان عرض لزينب رضى الله عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هاجرت فنخس بها الجمل حتى سقطت على صخرة وأسقطت جنينها ولم تزل مريضة حتى ماتت رضى الله عنها فأهدر صلى الله عليه وسلم دمه يوم الفتح فهرب واختفى ثم جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو بالجعرانة قال جبير بن مطعم رضى الله عنه كنت جالسا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عند منصرفه من الجعرانة فطلع هبار بن الاسود فقالوا يارسول الله هبار بن الاسود قال قد رأيته فأرادر جل القيام اليه فأشار اليه أن اجلس فوقف هبار فقال السلام عليك يانبى الله أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وقد هربت منك فى البلاد وأردت اللحاق بالاعاجم ثم ذكرت عائدتك وصلتك وصفحك عمن جهل عليك وكنا يارسول الله أهل شرك فهدانا الله بك وأنقذنا من الهلكة فاصفح عن جهلى وعما كان يبلغك عنى فانى مقر بسوء فعلى معترف بذنبى فقال صلى الله عليه وسلم قد عفوت عنك وقد أحسن الله اليك حيث هداك للاسلام والاسلام يجب ما قبله قال الزهرى ان هبارا رضى الله عنه لما قدم المدينة جعلوا يسبونه فشكا ذلك له صلى الله عليه وسلم فقال سب من سبك فكفوا عنه وأما كعب بن زهير بن أبى سلمى المزنى فانما أهدر دمه صلى الله عليه وسلم لانه كان من الشعراء الذين تكلموا بهجاء النبى صلى الله عليه وسلم وصار يغير أخاه بجير احين أسلم وكان من خبر كعب وأخيه بجير أن بجيرا

على حمزة رضى الله عنه منة ويؤيد الاول ما يأتى ولم يكفنوا الا فى ثيابهم التى قتلوا فيها فليتأمل فان السياق يقتضى أن ذلك لغير هو عن احتياج وسيأتى ما يصرح به وسيأتى ما يعارضه فليتأمل وعن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه قال قتل مصعب بن عمير رضى الله عنه يوم أحد وكفن فى بردة ان غطى بها رأسه بدت رجلاه وان غطى بها رجلاه بدت رأسه وفى رواية قتل مصعب بن عمير فلم يترك الا نمرة اذا غطينا بها رجليه خرج رأسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غطوا بها رأسه واجعلوا على رجليه الاذخر وكان مصعب بن عمير هذا قبل الاسلام فتى مكة شبابا وجمالا ولباسا وعطرا واما أسلم رضى الله عنه تشعث وعن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه انه كان صائما وقد جئ له بطعامه فقال قتل مصعب بن عمير رضى الله عنه وهو خير منى فلم يوجد له ما يكفن فيه الا بردة ان غطى رأسه بدت رجلاه وان غطيت رجلاه بدت رأسه وقد بسط لنا من الدنيا ما بسط وأعطينا من الدنيا ما أعطينا وخشيت أن أكون عجلت لنا طيباتنا فى حياتنا الدنيا ثم جعل يبكى حتى ترك الطعام وعن أنس رضى الله عنه قال قلت الثياب وكثرت القتلى فكان الرجل والرجلان والثلاثة فى الثوب الواحد ثم يدفنون فى قبر واحد وقال صلى الله عليه وسلم فى حق حمزة رضى الله عنه لولا أن تجزع صفية ونساؤنا أى يتطاول جزعهن ويدوم وفى رواية لولا تجد صفية فى نفسها أى يطول ذلك وتكون سنة من بعدى لتركنا حمزة ولم ندفنه حتى يحشر من بطون الطير والسباع وفى رواية حتى تأكله العافية ويحشر من بطونها الى شدة غضب الله على من فعل به ذلك ثم صلى عليه فكبر أربع تكبيرات ثم أتى بالقتلى يوضعون الى جنب حمزة أى واحدا بعد واحد فيصلى على كل واحد منهم مع حمزة ثم يرفع ويؤتى بآخر فيصلى عليهم وعليه معهم حتى صلى عليه ثنتين وسبعين صلاة وفى رواية ثنتين وتسعين صلاة وهذا غريب وسبعين ضعيف والرواية الاولى تقتضى أن جملة من قتل باحد اثنان وسبعون والرواية الثانية تقتضى أنهم كانوا اثنين وتسعين وقوله واحدا بعد واحد قد يخالف ما تقدم عن أنس رضى الله عنه من جعل الرجلين أو الثلاثة فى كفن واحد فليتأمل وجاء أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلى على عشرة عشرة أى يؤتى بتسعة وحمزة عاشرهم فيصلى عليهم ثم ترفع التسعة وحمزة مكانه ويؤتى بتسعة أخرى فيوضعون الى جنب حمزة فيصلى عليهم حتى فعل ذلك سبع مرات وحينئذ يكون جملة من قتل ثلاثة وستين وسيأتى الكلام على عدتهم وقيل كبر عليهم كبرتسعا وسبعا وخمسا أى بعد ان كبر على حمزة وحده أربعا فلا ينافى ما تقدم ولم أقف على عدد المرات التى كبر فيها ما ذكر وجاء ان قتلى أحد لم يغسلوا ولم يصل عليهم ولم يكفنوا الا فى ثيابهم التى قتلوا فيها أى غير الجلود أخذا مما يأتى أى ولا يضر تقييم ستر بعضهم بالاذخر وحينئذ لا يكون تكفين حمزة بنمرته ومصعب ببردته وتتميم تكفينهما بالاذخر من احتياج كما تقدم عن عبد الرحمن بن عوف وعن أنس رضى الله عنهما أى وقال مغلطاى وصلى على حمزة والشهداء من غير غسل وهذا أى دفنهم من غير غسل اجماع الا ما شذ به بعض التابعين وفيه نظر ظاهر وقد جاء أنه صلى الله عليه

قال لكعب أثبت فى غنمنا حتى آتى هذا الرجل يعنى النبى صلى الله عليه وسلم فاسمع كلامه وأعرف ما عنده فأقام كعب بارق العزاف وهو ماء لبنى أسد بين المدينة والربذة ومضى بجير فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع كلامه وآمن به وسبب قول بجير لاخيه أثبت فى غنمنا حتى آتى هذا الرجل الخ ان أباهما زهيرا كان يجالس أهل الكتاب فسمع منهم انه قد قرب مبعثه صلى الله عليه وسلم ورأى زهير فى منامه ان قد مد سبب أى حبل من السماء وانه مد يده ليتناوله ففاته ٢٧٥ فأول ذلك بالنبى الذى يبعث فى آخر الزمان وانه لا يدركه وأخبر بنيه بذلك المنام وبما سمعه من أهل الكتاب وأمرهم وأوصاهم ان أدركوه ان يسلموا فكتب بجير الى أخيه كعب يخبره بانه قد ظهر أمره وتحققت نبوته وانه آمن به واتبعه وحثه على القدوم اليه ليؤمن كايمانه فكتب اليه كعب

ألا أبلغا عنى بجيرا رسالة ... فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا

فبين لنا ان كنت لست بفاعل ... على أى شئ غير ذلك دلكا

على خلق لم تلف أما ولا أبا ... عليه ولا تلفى عليه أخا لكا

فان كنت لم تفعل فلست بآسف ... ولا قائل اما عثرت لعالكا

سقاك بها المأمون كأس روية ... فانهلك المأمون منها وعلكا

وكان صلى الله عليه وسلم يسمى فى الجاهلية الامين والمأمون ثم أرسل كعب بالابيات الى أخيه بجير فلما أتت بجيرا كره أن يكتمها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنشده اياها فلما سمع صلى الله عليه وسلم قوله سقاك بها المأمون قال صدق وانه لكذوب وأنا المأمون ولما سمع قوله على خلق لم تلف أما ولا أبا عليه قال أجل لم يلف عليه أباه ولا أمه ثم قال صلى الله عليه وسلم من لقى منكم كعب بن زهير فليقتله فكتب اليه أخوه بجير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل رجالا ممن كانوا يهجونه ويؤذونه فان كانت لك فى نفسك حاجة فطر أى أقبل مسرعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لا يقتل أحدا جاءه تائبا وان أنت لم تفعل فانج الى نجائك من الارض أى الى محل ينجيك وكتب له هذه الابيات

فمن مبلغ كعبا فهل لك فى التى ... تلوم عليها باطلا وهى أحزم

الى الله لا العزى ولا اللات وحده ... فتنجو اذا كان النجاء وتسلم

لدى يوم لا ينجو وليس بفلت ... من الناس الا طاهر القلب مسلم

وسلم قال لقد رأيت الملائكة تغسل حمزة وتقدم ان هذا السياق يقتضى ان هذه رؤيا نوم وحينئذ يظهر التوقف فيما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قتل حمزة جنبا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذكر ولعل الراوى عن ابن عباس ذكر حمزة بدل حنظلة غلطا أما الصلاة عليهم فقال امامنا الشافعى رضى الله عنه جاءت الاخبار كالمتواترة أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يصل على قتلى أحد وما روى انه صلى عليهم وكبر على حمزة سبعين تكبيرة لم يصح وقد كان ينبغى ان عارض بذلك أى بما روى هذه الاحاديث الصحيحة ان يستحيى على نفسه أى فان من رواة ذلك الحديث الدالة على أنه صلى عليهم سعيد بن ميسرة عن أنس رضى الله عنه وقد قال فيه البخارى انه يروى المناكير وقال ابن حبان يروى الموضوعات ومن حمله رواته أى رواة ذلك الحديث مقسم عن ابن عباس رضى الله عنهما وقد قال فيه البخارى منكر الحديث ومن ثم ذكر ابن كثير أن الذى فى البخارى أمر صلى الله عليه وسلم بدفن شهداء أحد بدمائهم ولم يصل عليهم ولم يغسلوا وهو أثبت من صلاته عليهم وأما حديث عتبة بن عامر أى الذى رواه الشيخان وأبو داود والنسائى وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى على قتلى أحد بعد ثمان سنين صلاته على الميت أى دعائهم كدعائه للميت كالمودع للاحياء والاموات أى حين علم قرب أجله أى فذلك كان توديعا لهم بذلك قال قال السهيلى رحمه الله لم يرد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه صلى على شهيد فى شئ من مغازيه الا فى هذه الرواية فى أحد وكذلك لم يصل أحد من الائمة بعده صلى الله عليه وسلم اه وفى النور انه صلى الله عليه وسلم صلى على اعرابى فى غزوة أخرى وفى البخارى عن جابر رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم أمر فى قتلى أحد بدفنهم بدمائهم ولم يغسلوا ولم يصل عليهم بكسر اللام وفى رواية ولم يصل عليهم بفتح اللام لا يقال خبر جابر لا يحتج به لانه نفى وشهادة النفى مردودة مع ما عارضها من خبر الاثبات لانا نقول شهادة النفى انما ترد اذا لم يحط بها علم الشاهد ولم تكن بحضوره والا فتقبل بالاتفاق وهذه قضية معينة أحاط بها جابر وغيره علما واستدل أئمتنا على ان الشهيد لا يغسل ولو كان جنبا بقصة حنظلة رضى الله عنه لان تغسيل الملائكة لا يكتفى به فى اسقاط الحرج عن المكلفين من الانس لعدم تكليفهم بخلاف تغسيل الجن فانهم مكلفون ودفنوا بثيابهم ونزع عنهم الحديد والجلود أى وأسلم وحشى رضى الله عنه بعد ذلك فانه فى يوم فتح مكة فر الى الطائف ثم وفد مع أهل الطائف لما وفدوا ليسلموا وقد قيل له بعد ان ضاقت عليه ويحك والله انه لا يقتل أحدا من الناس دخل دينه قال وحشى فلم يرعه صلى الله عليه وسلم الا أنى قائم على رأسه أشهد شهادة الحق فقال لى أنت وحشى وسألنى كيف قتلت حمزة فاخبرته ثم قال ويحك غيب عنى وجهك فلا أراك وفى رواية لا ترنى وجهك وفى رواية تغل فى وجهى ثلاث تغلات وقيل تغل فى الارض وهو وجد مغضب أى وحينئذ لحق بالشام وكان وحشى لا يزال يحد فى الخمر فى زمن عمر رضى الله عنه حتى خلع من الديوان قال عمر رضى الله عنه قد علمت أنه لم يكن الله ليدع قاتل حمزة رضى

فدين زهير وهو لا شئ دينه * ودين أبي سلمى علي محرم فلما بلغت الابيات كعبا بلغه انه صلى الله عليه وسلم أمر بقتله وارأى دمه ضاقت عليه الارض وخاف على نفسه وأرجف به أى خوفه من كان حاضرا عنده من مجيئه لرسول الله وقالوا له انك لمقتول فلما لم يجد بدا ومخلصا يلتجئ اليه الا الاسلام خرج حتى قدم المدينة بعد رجوع النبي صلى الله عليه وسلم من فتح مكة فنزل على رجل من جهينة كانت بينه وبينه معرفة فغدا به ٢٧٦ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صلى الصبح ثم أشار له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هذا رسول الله فقم اليه واستأمنه فجاء حتى جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع يده في يده وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعرفه فقال يا رسول الله ان كعب بن زهير قد جاءك يستأمنك تائبا مسلما فهل أنت قابل منه ان أنا جئتك به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم فقال أنا يا رسول الله كعب بن زهير ثم تشهد فقال أشهد أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ثم أنشده قصيدته المعروفة التي أولها

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول

الى ان قال فيها

تمشي الوشاة بجنبيها وقولهم
انك يا ابن أبي سلمى لمقتول

وقال كل صديق كنت آمله
لا ألهينك اني عنك مشغول

فقلت خلوا سبيلي لا أبا لكم
فكل ما قدر الرحمن مفعول

كل ابن أنثى وان طالت سلامته
يوما على آلة حدباء محمول

أنبئت ان رسول الله أوعدني
والعفو عند رسول الله مأمول

مهلا هداك الذي أعطاك نافلة الـ
قرآن فيه مواعيظ وتفصيل

لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم
أذنب وان كثرت في الاقاويل

(وقال فيها)

ان الرسول لنور يستضاء به
مهند من سيوف الله مسلول

في عصبة من قريش قال قائلهم * ببطن مكة لما أسلموا زولوا الى آخر القصيدة قال ابن الانباري انه لما وصل الى قوله فمر

ان الرسول لنور يستضاء به * مهند من سيوف الله مسلول رمى عليه الصلاة والسلام اليه بردة كانت عليه وان معاوية رضي الله عنه في زمن خلافته بذل له فيها عشرة آلاف درهم فقال ما كنت لاوثر بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أعطانيه أحدا فلما مات بعث معاوية الى ورثته بعشرين ألفا فاخذها منهم وهي البردة التي عند السلاطين الى اليوم وكان الخلفاء يلبسونها في الاعياد

الله عنه أي لم يكن ليتركه من الابتلاء وهذا أي تكرر حده في شرب الخمر واخراجه من ديوان المجاهدين من أقبح أنواع الابتلاء عافانا الله من ذلك وروى الدارقطني في صحيحه عن سعيد بن المسيب رحمه الله أنه كان يقول عجبت لقاتل حمزة كيف ينجو أي من الابتلاء حتى بلغني انه مات غريقا في الخمر أي وذلك مع ما تقدم ابتلاء فطيع له رضي الله عنه (وممن مثل به عبد الله بن جحش) بدعوة دعاها على نفسه فقال أي قبل أحد بيوم اللهم ارزقني غدا رجلا شديدا بأسه فيقتلني ثم يأخذني فيجدع أنفي واذني فاذا لقيتك قلت يا عبد الله فيم جدع أنفك وأذنك فاقول فيك وفي رسولك فيقول الله صدقت قال وليس هذا من تمني الموت المنهي عنه انتهى أي لان المنهي عنه أن يكون ذلك لضر نزل به فليتأمل وجاء أن عبد الله بن جحش انقطع سيفه يوم أحد فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عرجون نخلة فصار في يده سيفا وكان يسمى العرجون ودفن هو وخاله حمزة رضي الله عنهما في قبر واحد أي وانما كان حمزة خاله لان أم عبد الله أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان القاتل له أبو الحكم بن الاخنس بن شريق وأبو الحكم هذا قتل كافرا يوم أحد وقال صلى الله عليه وسلم ادفنوا عبد الله بن عمرو أي وهو والد جابر رضي الله عنهما وعمرو بن الجموح وهو زوج عمة جابر رضي الله عنهم في قبر واحد لما بينهما من الصفاء وعبد الله بن عمرو هذا قد أصابه جرح في وجهه ومات ويده على جرحه فاميطت يده عن وجهه فانبعث الدم فردت يده الى مكانها فسكن ويقال ان السيل حفر قبر عبد الله بن عمرو والد جابر رضي الله عنهما وعمرو بن الجموح فوجد لم يتغيرا كأنهما ماتا بالامس وانه ازيلت يد عمرو عن جرحه ثم أرسلت فرجعت كما كانت وكان ذلك بعد الوقعة لست وأربعين سنة وعن جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما أنه قال استصرخنا الى قتلانا باحد وذلك حين أجرى معاوية رضي الله عنه العين في وسط مقبرة شهداء احد وأمر الناس بنقل موتاهم فاخرجناهم رطابا تثنى اطرافهم وذلك على رأس أربعين سنة ولعله وما قبله لا يخالف قول السهيلي وذلك بعد ثلاثين سنة وأصابت المسحاة قدم حمزة رضي الله عنه فانبعث دما وذكر أنه فاح من قبورهم مثل ريح المسك وفي لفظ نحو خمسين سنة مع ان أرض المدينة سبخة يتغير الميت في قبره من ليلته أي لان الارض لا تأكل لحوم شهداء المعركة كالانبياء عليهم الصلاة والسلام زاد بعضهم قارئ القرآن والعالم ومحتسب الاذان ويدل للاخير ما في الطبراني من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما المؤذن المحتسب كالمتشحط في دمه لا يدود في قبره أي كشهيد المعركة لا يأكله الدود في القبر وقد نظم هؤلاء الشيخ التتائي المالكي رحمه الله تعالى فقال

لا تأكل الارض جسما للنبي ولا * لعالم وشهيد قتل معترك
ولا لقارئ قرآن ومحتسب * اذانه لا له مجرى الفلك

ودفن خارجة بن زيد وسعد بن الربيع رضي الله عنهما في قبر واحد لانه كان ابن عمه وولده خارجة وهو زيد بن خارجة الذي تكلم بعد الموت ذكر ان خارجة أخذته الرماح فجرح بضعة عشر جرحا

وقيل انها فقدت فى وقعة التتار وروى ابن اسحق انه لما جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وثب عليه رجل من الانصار فقال يارسول الله دعنى وعدو الله أضرب عنقه فقال صلى الله عليه وسلم دعه عنك فانه جاء تائبا نازعا أى مائلا مشتاقا الى الاسلام كافا عن الشرك تاركا له فغضب كعب على هذا الحى من الانصار لما صنع به صاحبهم وخص المهاجرين بمدحته فى قصيدته لانهم لم يتكلموا فيه الا بخير وعرض بذم الانصار فقال له صلى الله عليه وسلم لو لا ذكرت الانصار بخير فانهم أهل لذلك فقال بعد ذلك يمدح الانصار

من سره كرم الحياة فلا يزل
فى مقنب من صالحى الانصار
ورثوا المكارم كابرا عن كابر
ان الخيار هم بنو الاخيار
الناظرون باعين محمرة
كالجمر غير كليلة الابصار
والبائعون نفوسهم لنبيهم
للموت يوم تعانق وكرار
يتطهرون يرونه نسكا لهم
بدماء من علقوا من الكفار

وقد كان كعب بن زهير من فحول الشعراء وكذا أبوه زهير وأخوه بجير وابنه عقبة بن كعب وابن ابنه العوام بن عقبة رضى الله عنه وجاء عن سعيد بن المسيب ان كعبا لما قدم المدينة سأل عن ارق الصحابة رضى الله عنهم فدل على أبى بكر رضى الله عنه فاخبره بخبره فمشى أبو بكر وكعب على اثره حتى صار بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل يا يدعك يارسول الله فمد يده فبايعه قال العلامة الزرقانى والجمع ممكن بانه لما قدم المدينة نزل على الجهنى فاخبره بان أبا بكر ارق الصحابة وأتى به اليه فسار به معه ثم تقدم الصديق وكعب على اثره فلما أمن عرفه بنفسه والله أعلم * واما الحرث بن هشام المخزومى وهو أخو أبى جهل شقيقه فانه كان شديدا على النبى صلى الله عليه

فمر به صفوان بن أمية بن خلف فعرفه فاجهز عليه وقال الآن شفيت نفسى حين قتلت الاماثل من أصحاب محمد قتلت خارجة بن زيد وقتلت أوس بن ارقم وقتلت أبا نوفل ودفن النعمان ابن مالك وعبد بنى الحسحاس فى قبر واحد ورجل دفنوا ثلاثة فى قبر وصار صلى الله عليه وسلم يقول احفروا واوسعوا واعمقوا وكان صلى الله عليه وسلم يقول انظروا أكثرهؤلاء جمعا أى حفظا للقرآن فقدموه فى القبر أى فى اللحد واحتمل ناس من المدينة قتلاهم الى المدينة فردهم صلى الله عليه وسلم ليدفنوا حيث قتلوا وبه استدل أئمتنا رحمهم الله على حرمة نقل الميت قبل دفنه من محل موته الى محل أبعد من مقبرة محل موته وفيه أنهم قالوا الا أن يكون بقرب مكة أو المدينة أو بيت المقدس نص على ذلك امامنا الشافعى رحمه الله وقد يجاب بان هذا مخصوص بغير الشهيد أما هو فالافضل دفنه بمحل موته ولو بقرب مذكر كما بحث ذلك بعض المتأخرين من أئمتنا ويشهد له ما هنا ولا يشكل دفن اثنين أو ثلاثة فى لحد على قول فقهائنا بحرمة جمع الميت فى لحد ولو الوالد وولده لان محل ذلك حيث لا ضرورة ككثرة الموتى ومشقة الحفر لكل واحد كما هنا (ثم رأيت فى بعض السير) وقد ثبت فى صحيح البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يجمع بين الرجلين والثلاثة فى القبر الواحد وانما رخص لهم فى ذلك لما بالمسلمين من الجراح التى يشق معها أن يحفر لكل واحد واحد وفى رواية فحملوهم الى المدينة فدفنوهم فى نواحيها فجاء منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ردوا القتلى الى مضاجعهم فأدرك المنادى واحدا لم يكن دفن فردومن دفن أبقوه (ولما أشرف صلى الله عليه وسلم) على قتلى أحد قال أنا شهيد على هؤلاء ومامن جرح يجرح فى الله الا والله يبعثه يوم القيامة يدمى جرحه اللون لون الدم والريح ريح المسك وفى رواية انه ليس مكلوم يكلم فى الله تعالى الا وهو يأتى يوم القيامة لونه أى لون الكلم أى الجرح لون الدم وريحه ريح مسك أى وفى رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أصيب اخوانكم باحد جعل الله أرواحهم فى اجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى الى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش فلما وجدوا طيب مشربهم ومأكلهم وحسن مقيلهم قالوا يا ليت اخواننا يعلمون ما صنع الله بنا لئلا يزهدوا فى الجهاد ولا ينكلوا أى يمتنعوا عن الحرب فقال الله عز وجل أنا أبلغهم عنكم فانزل الله عز وجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء الآية وقد بينت فى النفخة العلوية ان الارواح فى البرزخ متفاوتة فى مستقرها اعظم تفاوت فلا تعارض بين الادلة الدالة على تلك الاقوال المختلفة وحينئذ تكون أرواح الانبياء عليهم الصلاة والسلام مع كونها فى الملأ الاعلى متفاوتة فيه وأرواح المؤمنين غير الشهداء أو غير الاطفال منها ما هو سماوى ومنها ما هو ارضى وأرواح الاطفال فى حواصل عصافير الجنة عند جبال المسك وارواح الشهداء منهم من تكون روحه على باب الجنة ومنهم من تكون داخلها وحينئذ اما أن تكون فى جوف طير أخضر

وسلم والمسلمين وكذا زهير بن أبى أمية المخزومى أخو أم سلمة رضى الله عنها فانه كان شديدا فى كفره فاهدر دمهما صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فهربا واختبيا فى بيت أم هانئ بنت أبى طالب رضى الله عنها فاجارتهما فاجازصلى الله عليه وسلم جوارها ثم جاءت بهما فاسلما وحسن اسلامهما رضى الله عنهما وكون الذى أجارته مع الحرث بن هشام هو زهير بن أبى أمية هو الصحيح وقيل الذى اجارته معه هو عبد الله بن أبى ربيعة وقيل هو هبيرة بن أبى وهب قال الحافظ ابن حجر وهذا ليس بشئ لان هبيرة هرب عند الفتح الى نجران فلم يزل بها

مشركا حتى مات وكانت أم هانئ رضى الله عنها تحت هبيرة بن أبي وهب المخزومي روى الامام أحمد وغيره عن أم هانئ رضى الله عنها
قالت لما كان يوم الفتح فر الى رجلان من احمائي من بني مخزوم فدخل على رضى الله عنه فقال والله لاقتلنهما فأغلقت عليهما بابي
ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآني قال مرحبا وأهلا بام هانئ ما جاء بك فأخبرته خبر الرجلين وخبر علي رضى الله عنه فقال
النبي صلى الله عليه وسلم قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ والمشهور ان اسلام أم هانئ رضى الله عنها كان عام الفتح
وقيل أسلمت قديما وكانت تكتم اسلامها وعن الحرث بن هشام رضى الله عنه قال لما أجارتني أم هانئ رضى الله عنها وأجاز النبي صلى الله عليه وسلم جوارها صار لا يتعرضني أحد بعد ذلك وكنت أخشى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فمر علي وأنا جالس ولم يتعرض لي وكنت أستحيي ان يراني رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اذكر برؤيته اياي ما كنت أفعله في كل موطن مع المشركين فلقيته وهو داخل المسجد فالقيني بالبشر ووقف حتى جئته فسلمت عليه وشهدت شهادة الحق فقال الحمد لله الذي هدى لك ما كان مثلك يجهل الاسلام ثم صار بعد ذلك من فضلاء الصحابة وابنه عبد الرحمن ابن الحرث بن هشام كان من فضلاء التابعين وعلمائهم وعبادهم رضى الله عنه وكذا ابن ابنه أبو بكر ابن عبد الرحمن وابنه عبد الملك ابن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام رضى الله عنهم وأما سارة فهي مولاة لبني المطلب ابن عبد مناف وانما اهدر صلى الله عليه وسلم دمها لانها كانت مغنية بمكة تغني بهجاء النبي صلى الله عليه وسلم وهي التي كان معها كتاب حاطب بن أبي بلتعة وكانت قدمت المدينة تشكو الحاجة وتطلب الصلة فقال لها صلى الله عليه وسلم ما كان في غنائك ما يغنيك فقالت ان قريشا منذ قتل صلى
من قتل منهم ببدر تركوا الغناء فوصلها وأقرلها بعيرا طعاما فرجعت الى مكة وكان ابن خطل يلقي اليها هجاء رسول الله صلى الله عليه
وسلم فتغني به فاختفت عند فتح مكة ثم استؤمن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءته وأسلمت وحسن اسلامها رضى الله عنها وأما
صفوان بن أمية بن خلف الجمحي فكان أيضا من أشد الناس عداوة وأذية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين فاهدر دمه

أو طيرا أبيض ومنهم من تكون روحه على صورة الطير وفي كلام القرطبي رحمه الله قال علماؤنا
أرواح الشهداء طبقات مختلفة ومنازل متباينة بحسبها انهم يرزقون أي وتقدم الكلام على
رزقهم أي ومن جملة من قتل من الصحابة يوم أحد أبو جابر أي كما تقدم فقال صلى الله عليه وسلم
لجابر رضى الله عنه يا جابر ألا اخبرك ما كلم الله تعالى أحدا قط لعل المراد من هؤلاء الشهداء
كما يرشد اليه السياق الا من وراء حجاب وأنه كلم أباك كفاحا فقال سلني اعطك فقال أسألك
ان أرد الى الدنيا فاقتل فيك ثانية فقال الرب عز وجل انه سبق مني أنهم لا يرجعون الى الدنيا
قال أي رب فأبلغ من ورائي فانزل الله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا الآية
أي ولا مانع من تعدد النزول للآية فلا يخالف ما تقدم قريبا أي وعن جابر بن عبد الله رضى الله
عنهما قال لما قتل أبي جعلت أبكي واكشف الثوب عن وجهه فجعل أصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم ينهوني والنبي صلى الله عليه وسلم لم ينهني وقال النبي صلى الله عليه وسلم تبكيه أو لا تبكيه
ما زالت الملائكة عليهم السلام مظلة له بأجنحتها حتى رفع أي وسيأتي أن جابرا رضى الله عنه
لم يحضر القتال وعن بشير بن عفراء رضى الله عنه ما قال أصيب أبي يوم أحد فمر بي النبي صلى الله
عليه وسلم وأنا أبكي فقال اما ترضى أن تكون عائشة أمك وأكون أنا أباك ومر رسول الله
صلى الله عليه وسلم بامرأة من بني دينار قد أصيب زوجها وأخوها وأبوها وفي رواية وابنها وابوها
أحد فلما نعوا لها قالت ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي ما فعل به قالوا خيرا يا أم فلان
هو بحمد الله كما تحبين قالت ارونيه حتى أنظر اليه فلما رأته صلى الله عليه وسلم قالت كل مصيبة
بعدك جلل تريد صغيرة والجلل كما يقال للشيء الصغير يقال للشيء الكبير فهو من الاضداد
وفي لفظ أنها مرت بأخيها وأبيها وزوجها وابنها صريعي وصارت كلما سألت عن واحد وقالت
من هذا قيل لها هذا أخوك وابنك وزوجك وأبوك فلم تكترث بذلك بل صارت تقول ما فعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون أمامك حتى جاءته أخذت بناحية ثوبه ثم جعلت تقول
بابي أنت وأمي يا رسول الله لا أبالي اذ سلمت من عطب واصيبت يوم أحد عين قتادة بن النعمان
حتى وقعت على وجنته أي فارادوا قطعها فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا افعلوا
فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده أي أخذها بيده الشريفة ورددها الى موضعها أي
براحته الشريفة وقال اللهم اكسه جمالا فكانت أحسن عينيه وأحدهما نظرا وكانت لا ترمد
اذا رمدت الاخرى أي وجاء عن قتادة رضى الله عنه انه قال كنت يوم أحد اتقي السهام بوجهي
عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان آخر هما سهما فدرت منه حدقتي فاخذتها أي رفعتها
بيدي أي وقلت يا رسول الله ان لي امرأة أحبها واخشى أن ترى تقذرني أي وقال له صلى الله
عليه وسلم ان شئت صبرت ولك الجنة وان شئت رددتها ودعوت الله تعالى لك فقال يا رسول الله
ان الجنة لجزاء جزيل وعطاء جليل وانى مغرم بحب النساء وأخاف أن يقلن اعور فلا يردني
ولكن تردها وتسأل الله تعالى لي الجنة فردها ودعا لي بالجنة وجاء عن قتادة رضى الله عنه أنه

صلى الله عليه وسلم فاختفى وأراد أن يذهب ويلقى نفسه بالبحر فجاء ابن عمه عمير بن وهب الجمحى رضى الله عنه وقال يا نبى الله ان صفوان سيد قومه قد هرب ليقذف نفسه فى البحر فأمنه فانك أمنت الاحمر والاسود فقال ادرك ابن عمك فهو آمن فقال اعطنى آية يعرف بها أمانك فانى قد طلبت منذ العود فقال لا أعود معك الا ان تأتينى بعلامة أعرفها فأعطاه صلى الله عليه وسلم عمامته التى دخل بها مكة فلحقه بها وهو يريد بركب البحر فقال له صفوان اعزب عنى لا تكلمنى فقال أى صفوان فداك أبى وأمى جئتك من عند أفضل الناس وأبر الناس وأحلم الناس وخير الناس وهو ابن عمك عزه عزك وشرفه شرفك وملكه ملكك قال انى أخافه على نفسى قال هو أحلم من ذلك وأكرم وأراه العمامة التى جاء بها فرجع معه حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان هذا يزعم انك أمنتنى قال صدق فقال امهلنى بالخيار شهرين فقال صلى الله عليه وسلم أنت بالخيار أربعة أشهر ولما أراد صلى الله عليه وسلم الخروج الى حرب هوازن استقرض منه أربعين ألف درهم وطلب منه دروعا كانت عنده فقال أغصبا يا محمد قال لا ولكن عارية مرجوعة أو مضمونة ثم خرج مع النبى صلى الله عليه وسلم حين خرج لحرب هوازن وهو على شركه فلما قسم صلى الله عليه وسلم غنائم هوازن بحنين اعطاه مائة من الابل ثم مائة ثم مائة ثم رآه صلى الله عليه وسلم يرمق شعبا ملوأ نعما وشاء فقال له صلى الله عليه وسلم يعجبك هذا قال نعم قال هو لك ومافيه وفى رواية ان صفوان رضى الله عنه طاف مع النبى صلى الله عليه وسلم ليتصفح الغنائم اذ مر بشعب مملوء ابلا وغنما فاعجبه وجعل ينظر اليه فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أعجبك هذا الشعب يا أبا وهب قال نعم قال هو لك بما فيه فقبض صفوان ما فى الشعب وقال ان الملوك لا تطيب نفوسها بمثل هذا ما طابت نفس أحد قط بمثل هذا الا نبى أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فاسلم وحسن اسلامه رضى الله عنه وترك المدة التى كان طلبها وكان يقول كان النبى صلى الله عليه وسلم أبغض الخلق الى فما زال يعطينى حتى صار أحب الخلق الى وأما هند بنت عتبة بن ربيعة زوج أبى سفيان وأم ابنه معاوية رضى الله عنهم فانما أهدر دمها صلى الله عليه وسلم لانها مثلت بعمه حمزة رضى الله عنه يوم أحد

صلى الله عليه وسلم لما رآها فى كفى أى مرفوعة دمعت عيناى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم ق قتادة كما وقى وجه نبيك بوجهه فاجعلها أحسن عينيه وأحدهما نظرا أى بعد ان ردها الى موضعها براحته الشريفة كما تقدم والى ذلك أشار صاحب الهمزية بقوله فى وصف راحته الشريفة

وأعادت على قتادة عينا * فهى حتى عمامة النجلاء

أى واعادت تلك الراحة الشريفة على قتادة بن النعمان رضى الله عنه عيناه ذهبت فهى الى عمامة الواسعة أى الكثيرة النظر قال الشيخ ابن حجر الهيثمى ويجمع بين رواية العين الواحدة ورواية الثنتين أى فقد جاء فى حديث غريب اصيبت عيناى فسقطتا على وجنتى فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعادهما وبصق فيهما فعادتا تابرق ان بأن أحد الرواة ظن أن الساقطة واحدة وبعضهم أن الساقط ثنتان فاخبر كل بحسب علمه ومن قواعدهم أن زيادة الثقة مقبولة وبها ترجح رواية احدى الثنتين هذا كلامه فليتأمل وكون ذلك كان يوم أحد هو المشهور وقيل يوم الخندق وقد حكى أبو عمر بن عبد البر أن رجلا من ولد قتادة قدم على عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فقال له من الرجل فقال

أنا ابن الذى سالت على الخد عينه * فردت بكف المصطفى أحسن الرد
فعادت كما كانت لاول أمرها * فياحسن ماعين ويا حسن ما رد

فقال عمر بن عبد العزيز

تلك المكارم لا قعبان من لبن * شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

فوصله عمر وأحسن جائزته ورمى كانوم بن الحصين بسهم فى نحره فجاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبصق عليه فبرأ وحضرت الملائكة عليهم السلام يوم أحد ولم تقاتل قال ويؤيده قول مجاهد رحمه الله لم تقاتل الملائكة الا يوم بدر لكن جاء عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال رأيت عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم احد رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان عنه كأشد القتال ومارأيتهما قبل ولا بعد أى وهما جبريل وميكائيل عليهما السلام ولا منافاة فقد قال البيهقى رحمه الله لم يقاتلوا يوم أحد عن القوم أى فلا ينافى أنهم قاتلوا عنه صلى الله عليه وسلم خاصة اه (أقول) ويجوز أن يكون المراد بمقاتلتهما دفعهما عنه صلى الله عليه وسلم وفيه أنه جاء عن الحرث بن الصمة رضى الله عنه قال سألنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى الشعب عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه فقلت رأيته فى جنب الجبل فقال الملائكة تقاتل معه قال الحرث فرجعت الى عبد الرحمن فاذا بين يديه سبعة صرعى فقلت ظفرت يمينك أكل هؤلاء قتلت قال أما هذا وهذا فانا قتلتهما وأما هؤلاء فقتلتهم من لم أره فقال صدق الله ورسوله أى ومقاتلة الملائكة عن خصوص عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه لا ينافى مقاتلتهم يوم بدر عن عموم القوم وفى الامتاع كان قد نزل قبل أن يخرج صلى الله عليه وسلم الى أحد قوله تعالى ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى

ولا كنت قابله ولم تقدر على ابتلاعه فلفظته فلما كان يوم الفتح ورأت جند الله اختفت فى بيت أبى سفيان زوجها ثم أسلمت وأتته صلى الله عليه وسلم بالابطح وقالت الحمد لله الذى أظهر الدين الذى اختاره لنفسه لتمسنى رحمتك يا محمد انى امرأة مؤمنة بالله مصدقة به ثم قالت أنا هند بنت عتبة فقال صلى الله عليه وسلم مرحبا بك ثم أرسلت اليه بهدية جديين مشويين وقديد مع جارية لها فقالت انها تعتذر اليك وتقول لك ان غنمنا اليوم قليلة الولادة فقال صلى الله عليه وسلم بارك الله لكم فى غنمكم وأكثر ولدها

ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين فلم يصبروا وانكشفوا فلما رسول الله صلى الله عليه وسلم بملك واحد يوم أحد فليتأمل والله أعلم ولما قتل مصعب بن عمير رضى الله عنه وسقط اللواء أخذه ملك فى صورة مصعب أى فانه لما قطعت يده اليمنى أخذ اللواء بيده اليسرى أى وهو يقول وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية فلما قطعت جثى على اللواء وضمه بعضديه الى صدره وهو يقول وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية ولم تكن هذه الآية نزلت بل قالها لما سمع قول القائل قتل محمد وانما نزلت أى بعد قوله فى ذلك اليوم كما فى الدر فهو من القرآن الذى نزل على لسان بعض الصحابة ثم قتل أى هذا لا ينافى ما تقدم من انه قاتل دونه صلى الله عليه وسلم فقتله ابن قمئة لعنه الله وهو يظنه رسول الله صلى الله عليه وسلم أو قتله ابى بن خلف لعنه الله لانه يجوز أن يكون قتله وهو على هذه الكيفية المذكورة ثم رأيت فى بعض الروايات ان ابن قمئة فعل به هذه الكيفية أى ثم قتله وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول للملك الذى على صورة مصعب تقدم يا مصعب فالتفت اليه الملك فقال لست بمصعب فعرف صلى الله عليه وسلم أنه ملك أيده وفى رواية ان عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه لما سمع صلى الله عليه وسلم يقول اقدم مصعب قال يا رسول الله لم يقتل مصعب قال بلى ولكن ملك قام مقامه وتسمى باسمه أى فلا ينافى ذلك قول الملك له صلى الله عليه وسلم لما قال له تقدم يا مصعب لست بمصعب لان مراده لست بمصعب الذى هو صاحبكم ورأيت فى رواية انه لما سقط اللواء أخذه أبو الروم أخو مصعب ولم يزل فى يده حتى دخل المدينة فليتأمل ووجود هذا الملك يخالف ما تقدم من الامتناع من انه صلى الله عليه وسلم لم يمد بملك واحد ولما أراد صلى الله عليه وسلم ان يتوجه الى المدينة ركب فرسه وخرج المسلمون حوله عامتهم جرحى أى ومعه أربع عشرة امرأة فلما كانوا باصل احد قال صلى الله عليه وسلم اصطفوا حتى أثنى على ربى عز وجل فاصطف الرجال خلفه صفوفا وخلفهم النساء فقال اللهم لك الحمد كله اللهم لا قابض لما بسطت ولا باسط لما قبضت ولا هادى لمن أضللت ولا مضل لمن هديت ولا معطى لما منعت ولا مانع لما أعطيت ولا مقرب لما أبعدت ولا مبعد لما قربت الحديث ثم توجه صلى الله عليه وسلم للمدينة فلقيته حمنة بنت جحش بنت عمته صلى الله عليه وسلم أخت زينب بنت جحش أم المؤمنين رضى الله عنها فقال لها صلى الله عليه وسلم احتسبى قالت من يا رسول الله قال خالك حمزة قالت انا لله وانا اليه راجعون غفر الله له هنيأ له الشهادة ثم قال لها احتسبى قالت من يا رسول الله قال أخاك عبد الله بن جحش قالت انا لله وانا اليه راجعون غفر الله له هنيأ له الشهادة ثم قال لها احتسبى قالت من يا رسول الله قال زوجك مصعب بن عمير فقالت واحزناه وصاحت وولولت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان زوج المرأة لمكان ما هو لاحد لما رأى من تثبتها على أخيها وخالها وصياحها على زوجها ثم قال لها لم قلت هذا قالت تذكرت يتم بنيه فراعنى فدعا لها صلى الله عليه وسلم ولولدها

ان بين اسلامها واسلام زوجها ليلة واحدة وكانت هند امرأة ذات انفة ورأى وعقل وجاء فى رواية انه صلى الله عليه وسلم لما فرغ من بيعة الرجال بايع النساء وفيهم هند بنت عتبة منتقبة خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دنين من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهن بايعنى على ان لا تشركن بالله شيأ ولا تسرقن ولا تزنين ولا تقتلن أولادكن ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن ولا تعصينى فى معروف فقالت هند لما قال ولا تسرقن قالت والله انى كنت أصيب من مال أبى

سفيان الهنة بعد الهنة وما كنت أدرى أكان ذلك حلالا أم لا فقال أبو سفيان وكان حاضرا اما ما أصبت فيما مضى فانت منه فى حل
عفا الله عنك فضحك النبى صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال وانك لهند بنت عتبة قالت نعم فاعف عما سلف عفا الله عنك يا نبى الله ولما قال
ولا تزنين قالت أوترنى يا رسول الله الحرة وما قال ولا تقتلن أولادكن قالت ربيناهم صغارا فقتلتهم كبارا وفى لفظ وهل ترکت لنا
ولدا الا قتلته يوم بدر فضحك عمر رضى الله عنه حتى استلقى على قفاه وتبسم صلى الله عليه وسلم ولما قال ولا تأتين ببهتان

تفترينه بين أيديكن وأرجلكن
قالت والله ان اتيان البهتان لقبيح
وما تأمرنا الا بالرشد ومكارم
الاخلاق ولما قال ولا تعصينك
فى معروف قالت والله ما جلسنا
مجلسنا هذا وفى أنفسنا انا نعصيك
فى معروف وحضرت هند قتال
الروم يوم اليرموك مع ابى سفيان
وكانت تشجع المسلمين وتحرضهم
على القتال مع بقية الفسوة اللاتى
كن معها وتوفيت فى خلافة عمر
رضى الله عنه فى اليوم الذى توفى
فيه أبو قحافة والد أبى بكر الصديق
رضى الله عنهم وكان من جملة من
أسلم وبايعه صلى الله عليه وسلم على
الاسلام ابنها معاوية وأخوه
يزيد ابنا أبى سفيان وقيل ان
اسلام معاوية كان عام الحديبية
وعن معاوية رضى الله عنه قال
لما كان عام الحديبية وقع الاسلام
فى قلبى فذكرت ذلك لامى فقالت
اياك أن تخالف أباك فيقطع عنك
القوت فاسلمت وأخفيت اسلامى
فقال لى يوما أبو سفيان وكأنه شعر
باسلامى أخوك خير منك هو على
دينى فلما كان عام الفتح أظهرت
اسلامى ولقيته صلى الله عليه وسلم
فرحب بى وكتبت له بعدان
استشار فى ذلك جبريل عليه
السلام فقال استكتبه فانه أمين
وفى البخارى ان كريبا قال لابن
عباس رضى الله عنهما ان معاوية يوتر بركعة فقال دعه فانه فقيه قد صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وجاء انه صلى الله عليه وسلم أردفه يوما خلفه فقال ما يلينى منك قلت بطنى قال اللهم املأه حلما وعلما وعن العرباض بن سارية رضى
الله عنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم لمعاوية رضى الله عنه اللهم علمه الكتاب والحساب وقه العذاب ومكن له فى البلاد وعن بعض
الصحابة رضى الله عنهم انه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يدعو لمعاوية رضى الله عنه يقول اللهم اجعله هاديا مهديا واهده واهد به ولا تعذبه

ان يحسن الله تعالى عليهم الخلف فتزوجت طلحة بن عبيد الله فكان أوصل الناس لولدها وولدت
له محمد بن طلحة قال وجاءت أم سعد بن معاذ تعدو نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على فرسه
وسعد بن معاذ آخذ بلجامها فقال له سعد يا رسول الله أمى فقال صلى الله عليه وسلم مرحبا بها
فوقف لها فدنت حتى تأملت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم
بابنها عمرو بن معاذ فقالت أما اذ رأيتك سالما فقد اشتويت المصيبة أى استقليتها ودعا رسول
الله صلى الله عليه وسلم لاهل من قتل بأحد أى بعد ان قال لام سعد يا أم سعد أبشرى وبشرى
أهلهم ان قتلاهم تزافقوا فى الجنة جميعا وقد شفعوا فى أهلهم جميعا قالت رضينا يا رسول الله
ومن يبكى عليهم بعد هذا ثم قالت يا رسول الله ادع لمن خلفوا فقال اللهم أذهب حزن قلوبهم
واجبر مصيبتهم وأحسن الخلف على من خلفوا وسمع صلى الله عليه وسلم نساء الانصار يبكين
على أزواجهن أى وأبنائهن واخوانهن فقال حمزة لا بواكى له أى وبكى صلى الله عليه وسلم ولعله
رضى الله عنه لم يكن له بالمدينة لا زوجة ولا بنت فأمر سعد بن معاذ نساء ونساء قومه أن يذهبن
الى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكين حمزة بين المغرب والعشاء أى وكذلك أسيد بن حضير
أمر نساءه ونساء قومه أن يذهبن الى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكين حمزة أى ولما جاء
صلى الله عليه وسلم بيته حمله السعدان وأنزلاه عن فرسه ثم اتكأ عليهما حتى دخل بيته ثم أذن
بلال لصلاة المغرب فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على مثل تلك الحال يتوكأ على السعدين
فصلى صلى الله عليه وسلم فلما رجع من المسجد من صلاة المغرب سمع البكا فقال ما هذا فقيل نساء
الانصار يبكين حمزة فقال رضى الله عنكن وعن أولادكن وأمر ان ترد النساء الى منازلهن
وفى رواية خرج عليهن أى بعد ثلث الليل لصلاة العشاء فان بلالا أذن بالعشاء حين غاب الشفق
فلم يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما ذهب ثلث الليل نادى بلال الصلاة يا رسول الله فقام
من نومه وخرج وهن على باب المسجد يبكين حمزة رضى الله عنه ولا يخالف ما سبق لان بيت
عائشة رضى الله عنها كان ملاصقا للمسجد فقال لهن ارجعن رحمكن الله لقد واسيتن معى رحم
الله الانصار فان المواساة فيهم كما علمت قديمة أى ولا منافاة لانه يجوز ان يكون الامر عند
رجوعه من صلاة المغرب كان لطائفة وبعد ثلث الليل كان لطائفة أخرى وصارت الواحدة
من نساء الانصار بعد لا تبكى على ميتها الا بدأت بالبكا على حمزة رضى الله عنه ثم بكت على
ميتها والمراد بالبكا النوح وباتت وجوه الاوس والخزرج تلك الليلة على بابه صلى الله عليه
وسلم بالمسجد يحرسونه خوفا من قريش ان تعود الى المدينة وجاء انه صلى الله عليه وسلم نهى نساء
الانصار عن النوح وقال له الانصار يا رسول الله بلغنا انك نهيت عن النوح وانما هو شئ ننذب
به موتانا ونجد فيه بعض الراحة فاذن لنا فيه فقال صلى الله عليه وسلم ان فعلن فلا يخمشن
ولا يلطمن ولا يحلقن شعرا ولا يشققن جيبا وجاء انه فى يوم أحد دفع على كرم الله وجهه سيفه
لفاطمة رضى الله عنها وقال لها اغسليه غير ذميم فقال صلى الله عليه وسلم ان تكن احسنت فقد

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاوية رضي الله عنه أنت مني وأنا منك لتزاحمني على باب الجنة كهاتين وأشار بأصبعه الوسطى والتي تليها وقال له النبي صلى الله عليه وسلم اذا ملكت فأحسن وفي رواية اذا ملكت من أمر أمتي شيأ فاتق الله واعدل وفي رواية يا معاوية انك ستلي أمر أمتي فارفق بها ويذكر انه كان عنده قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم وازاره ورداؤه وشئ من شعره فقال عند موته ٢٨٢ كفنوني في القميص وادرجوني في الرداء وآزروني بالازار واحشوا منخري وشدقي من الشعر وخلوا بيني وبين أرحم الراحمين ولما حضرته الوفاة قال اللهم ارحم الشيخ العاصي ذا القلب القاسي اللهم أقل عثرتي واغفر زلتي وعد بحلمك على من لا يرجو غيرك ولم يثق بأحد سواك ثم بكى حتى علا نحيبه وكانت وفاته بدمشق سنة ستين من الهجرة وهو ابن ثنتين وثمانين سنة وقيل ثمان وسبعين سنة وكان أبيض جميلا وهو من الموصوفون بالحلم ولي الشام اعمر وعثمان رضي الله عنهما عشرين سنة وولي الخلافة سنة أربعين ومكث خليفة عشرين سنة الا ستة أشهر وأما ما وقع بينه وبين علي رضي الله عنه فمذهب أهل السنة ان ذلك كان باجتهاد منهما فلا يعترض على أحدهما وقد قال صلى الله عليه وسلم الله الله في أصحابي وأصهاري وأنصاري فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين وأما وحشي بن حرب فأهدر صلى الله عليه وسلم دمه لكونه قتل عمه حمزة رضي الله عنه فلما فتحت مكة هرب الى الطائف قال فكنت بالطائف فلما خرج وفد الطائف ليسلموا ضاقت علي المذاهب فقلت الحق بالشام أو باليمن أو ببعض البلاد فوالله اني لفي ذلك من همي اذ قال لي رجل ويحك والله انه ما يقتل أحدا يدخل في دينه فخرجت حتى قدمت عليه فلم يرعه الا وأنا قائم على رأسه اشهد شهادة الحق فلما رآني قال وحشي قلت نعم يا رسول الله قال اقعد فحدثني كيف قتلت حمزة فحدثته فلما فرغت قال ويحك غيب وجهك عني فكنت أتنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كان لئلا يراني حتى قبضه الله ثم خرج وحشي مع من خرج لقتال أهل الردة في خلافة أبي بكر رضي الله عنه فقتل مسيلمة الكذاب بحربته التي قتل بها حمزة رضي الله عنه فكان يقول أرجو أن تكون هذه بتلك أي ان هذه

أحسن فلان وفلان وعدد جماعة أي منهم سهل بن حنيف وأبو دجانة وما روى عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم في يوم أحد دفع سيفه ذا الفقار لابنته فاطمة رضي الله عنها وقال اغسلي عنه دمه لقد صدقني اليوم ونارلها على كرم الله وجهه سيفه وقال وهذا فاغسلي عنه دمه فوالله لقد صدقني اليوم فقال صلى الله عليه وسلم لعلي كرم الله وجهه لئن صدقت القتال لقد صدق معك سهيل بن حنيف وأبو دجانة وعن ابن عقبة لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم سيف علي كرم الله وجهه مختضبا دما قال ان تكن أحسنت القتال فقد أحسن عاصم بن ثابت بن أبي الافلح والحرث بن الصمة وسهل بن حنيف وكونه صلى الله عليه وسلم دفع سيفه لابنته فاطمة رضي الله عنها رده الامام أبو العباس بن تيمية بأنه صلى الله عليه وسلم لم يقاتل في ذلك اليوم بسيف لكن في النور أن هذا الحديث لم يتعقبه الذهبي قال ففيه رد على ابن تيمية هذا كلامه فليتأمل والاكثر على أن الذين قتلوا يوم أحد من المسلمين سبعون أربعة من المهاجرين وهم حمزة ومصعب وعبد الله بن جحش وشماس بن عثمان وقيل ثمانون أربعة وسبعون من الانصار وستة من المهاجرين قال الحافظ ابن حجر لعل الخامس سعد مولى حاطب بن أبي بلتعة والسادس ثقيف بن عمرو حليف بني عبد شمس وعدهم في الاصل ستة وتسعين وهذا لا يناسب ما تقدم في بدر من قوله صلى الله عليه وسلم ان شئتم أخذتم منهم الفداء ويستشهد منكم سبعون بعد ذلك وقتل من المشركين ثلاثة وعشرون وقيل اثنان وعشرون (أقول) انظر هذا مع ما تقدم من ان حمزة وحده قتل واحدا وثلاثين ورأيت في الطبقات لمولانا الشيخ عبد الوهاب الشعراني نفعنا الله ببركاته ان أويسا القرني كان مشغولا بخدمة والدته فلذلك لم يجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم وقد روي انه اجتمع به مرات وحضر معه وقعة أحد وقال والله ما كسرت رباعيته صلى الله عليه وسلم حتى كسرت رباعيتي ولا شج وجهه الشريف حتى شج وجهي ولا وطئ ظهره حتى وطئ ظهري قال هكذا رأيت هذا الكلام في بعض المؤلفات والله أعلم بالحال هذا كلامه ولم أقف على أنه عليه الصلاة والسلام وطئ ظهره في غزوة أحد فان مجموع ما دلت عليه الاخبار أنه صلى الله عليه وسلم شج وجهه وكسرت رباعيته وجرحت وجنتاه وشفته السفلى من باطنها وهي منكبه وجحشت ركبته ثم رأيت بعض المؤرخين ذكر أن سيدنا عمر رضي الله عنه سمع بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم يقول وهو يبكي بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضلك عند ربك أن جعل طاعتك طاعته فقد قال تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند ربك أن أخبرك بالعفو عنك قبل أن يخبرك بذنبك فقال عفا الله عنك لم أذنت لهم الى أن قال فلقد وطئ ظهرك وأدمى وجهك وكسرت رباعيتك فأبيت ان تقول الا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون ومما يدل على اباء أويس الاجتماع بالنبي صلى الله عليه وسلم ما تقدم من قوله صلى الله عليه وسلم خير التابعين رجل يقال له أويس القرني وما أخرجه البيهقي عن عمر رضي

تكفر ذلك وممن اختفى يوم الفتح عتبة ومعتب ابنا أبي لهب فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعمه العباس أين ابنا أخيك لا أراهما يعني عتبة ومعتبا ابني أبي لهب فقال العباس رضي الله عنه تخيافين تنحى من مشركي قريش قال ائتني بهما فركبت اليهما فأتيته بهما فدعاهما للاسلام فأسلما فسر باسلامهما ودعا لهما ثم قام صلى الله عليه وسلم وأخذ بأيديهما وانطلق بهما حتى أتى الملتزم فدعا ساعة ثم انصرف والسرور يرى في وجهه فقال له العباس رضي الله عنه أسرك الله ٢٨٣ يارسول الله اني أرى السرور في وجهك قال

الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سيكون في التابعين رجل من قرن يقال له أويس ابن عامر وفي رواية ان عمر قال لاويس استغفر لي فقال كيف أستغفر لك وأنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عمر رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان خير التابعين رجل يقال له أويس والمراد من خير التابعين كما في بعض الروايات فلا ينافي ما نقل عن أحمد بن حنبل وغيره ان أفضل التابعين سعيد بن المسيب ومما يدل على أن أويسا لم يكن موجودا في زمنه صلى الله عليه وسلم ما جاء في الجامع الصغير سيكون بعدي في أمتي رجل يقال له أويس القرني وان شفاعته في أمتي مثل ربيعة ومضر وفي أسد الغابة ان أويسا أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره وسكن الكوفة وهو من كبار تابعي الكوفة وكان يسخر به ووفد رجل ممن كان يسخر به مع جماعة من أهل الكوفة على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال عمر هل ههنا أحد من القرنيين فجاء ذلك الرجل فقال له عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال ان رجلا يأتيكم من اليمن يقال له أويس القرني وقد كان به بياض فدعا الله تعالى فاذهب عنه الا قدر الدينار او الدرهم فمن لقيه منكم فمروه أن يستغفر لكم فاقبل ذلك الرجل لما قدم الكوفة لقي أويسا قبل أن يأتي أهله فقال له أويس ما هذا بعادتك قال سمعت عمر رضي الله عنه يقول كذا وكذا فاستغفر لي قال لا أفعل حتى تجعل لي عليك أن لا تسخر بي واذكر قول عمر لاحد فالتزم له ذلك فاستغفر له وقتل أويس يوم صفين مع علي كرم الله وجهه ولما وصل صلى الله عليه وسلم المدينة أظهر المنافقون واليهود الشماتة والسرور وصاروا يظهرون اقبح القول أي ومنه ما محمد الا طالب ملك ما أصيب بمثل هذا نبي قط أصيب في بدنه وأصيب في أصحابه ويقولون لو كان من قتل منكم عندنا ما قتل واستأذنه صلى الله عليه وسلم عمر في قتل هؤلاء المنافقين فقال أليس يظهرون شهادة أن لا اله الا الله وأني رسول الله قال بلى ولكن نعوذ من السيف وقد بان أمرهم وأبدى الله تعالى أضغانهم فقال صلى الله عليه وسلم نهيت عن قتل من اظهر ذلك وصار ابن أبي لعنه الله يوبخ ابنه عبد الله رضي الله عنه وقد ابتلته الجراحة فقال له ابنه الذي صنع الله لرسوله والمسلمين خير قال وكانت عادة عبد الله بن أبي ابن سلول اذا جلس صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة على المنبر قام فقال أيها الناس هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهركم اكرمكم الله تعالى به وأعزكم فانصروه وعزروه واسمعوا له واطيعوا ثم يجلس فبعد أحد أراد ان يفعل كذلك فلما قام أخذ المسلمون بثوبه من نواحيه وقالوا له اجلس عدو الله والله لست لذلك بأهل وقد صنعت ما صنعت فخرج وهو يتخطى رقاب الناس وهو يقول كأني انما قمت هجرا وقال له بعض الانصار ارجع يستغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والله ما أبتغي ان يستغفر لي وأنزل الله تعالى قصة احد في آل عمران قوله تعالى واذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال الآية

انى استوهبت عمي هذين من ربي فوهبهما لي وشهد امعه حنينا والطائف ولزماه يوم حنين وقلعت عين معتب يوم حنين وممن اختفى أيضا سهيل بن عمرو وكان ابنه عبد الله مسلما فجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم ليأخذ له أمانا فقال صلى الله عليه وسلم هو آمن بأمان الله فليظهر ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن حوله من اتى سهيل بن عمرو فلا يحدد النظر اليه فلعمري ان لسهيل له عقل وشرف وما مثل سهيل يجهل الاسلام فخرج ابنه عبد الله اليه فأخبره بمقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سهيل كان والله براصغيرا براكبيرا ثم انه خرج الى حنين وهو على شركه ثم أسلم بالجعرانة رضي الله عنه وصار من فضلاء الصحابة رضي الله عنهم حتى ان الله ثبت به أهل مكة يوم جاءهم خبر وفاته صلى الله عليه وسلم فكادوا أن يرتدوا لخطبهم خطبة مثل خطبة الصديق رضي الله عنه بالمدينة وقال فيها من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية فثبتهم الله به رضي الله عنه واستشهد رضي الله عنه في اليرموك وقيل توفي بالشام في طاعون عمواس ودخل صلى الله عليه وسلم مكة يوم الاثنين بين أبي بكر وأسيد بن حضير رضي الله عنهما وهو متواضع مطأطئ رأسه على ناقته القصواء مردفا اسامة بن زيد رضي الله عنهما خلفه وهو صلى الله عليه وسلم يقرأ سورة الفتح وعن أنس رضي الله عنه قال لما دخل صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح استتر فه الناس فوضع رأسه على رحله متخشعا وفي رواية حتى ان رأسه لتكاد تمس رحله أي تواضعا لله لما رأى ما أكرمه به من الفتح ولم يزل يقرأ سورة الفتح في حال دخوله حتى جاء البيت فطاف به وفي شرح المواهب

للعلامة الزرقاني ان طوافه صلى الله عليه وسلم انما كان بعد ان استقر في خيمته ساعة واغتسل وعاد للبس السلاح والمغفر ودعا بالقصواء فأدنيت الى باب الخيمة وقد حف به الناس فركبها وسار وأبو بكر رضي الله عنه يحادثه فربينات أبي أحيحة بالبطحاء وقد نشرن شعورهن يلطمن وجوه الخيل بالخمر فتبسم الى أبي بكر رضي الله عنه واستشهده قول حسان الماضي * يلطمهن بالخمر النساء *

الى أن انتهى الى الكعبة ومعه المسلمون ٢٨٤ فاستلم الركن بمحجنه وكبر فكبر المسلمون لتكبيره ورجعوا التكبير حتى ارتجت مكة تكبيرا حتى جعل صلى الله عليه وسلم يشير اليهم أن اسكتوا والمشركون فوق الجبال ينظرون فطاف بالبيت ومحمد بن مسلمة آخذ بزمام الناقة سبعا يستلم الحجر الاسود كل طوفة بمحجنه وكان ذلك يوم الاثنين لعشر بقين من رمضان وهو حلال غير محرم وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وعلى الكعبة ثلثمائة وستون صنما لكل حي من أحياء العرب صنم قد شدوا أقدامها بالرصاص فجاء صلى الله عليه وسلم ومعه قضيب فجعل يهوي به الى كل صنم منها فيخر لوجهه وفي رواية لقفاه وفي رواية فما أشار الى صنم منها في وجهه الا وقع لقفاه ولا أشار لقفاه الا وقع لوجهه من غير أن يمسه بما في يده يقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وفي رواية فأتى في طوافه على صنم الى جنب البيت من جهة بابه يعبدونه وهو هبل وكان أعظم الاصنام وكان في يده صلى الله عليه وسلم قوس فجعل يطعن بها في عينيه ويقول جاء الحق الآية ثم أمر به فكسر فقال الزبير بن العوام رضي الله عنه لابي سفيان رضي الله عنه قد كسر هبل أما انك قد كنت يوم أحد في غرور حتى تزعم انه قد أنعم فقال أبو سفيان دع هذا عنك يا ابن العوام لقد أرى لو كان مع اله محمد غيره لكان غير ما كان وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح هذا ما وعدني ربي ثم قرأ اذا جاء نصر الله والفتح وقد أشار صاحب الهمزية الى ذلك فقال

توالت للمصطفى الآية الكبـ * ـرى عليهم والغارة الشعواء واستجابت له بنصر وفتح * بعد ذاك الحضراء والغبراء فاذا ما تلا كتابا من الله تلتـه كتيبة خضراء

القرح

﴿غزوة حمراء الاسد﴾

لما كان صبيحة قدومه صلى الله عليه وسلم من أحد أذن مؤذنه صلى الله عليه وسلم أن يخرجوا خاف قريش وأن لا يخرج الا من حضر أحدا وذلك ارهابا للعدو وليبلغهم أنه صلى الله عليه وسلم خرج في طلبهم ليظنوا به صلى الله عليه وسلم قوة وأن الذي أصابهم لم يوهنهم أي يضعفهم عن عدوهم قال وقيل لانه صلى الله عليه وسلم بلغه أن أبا سفيان يريد أن يرجع بقريش الى المدينة ليستأصلوا من بقي من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد بلغه ان المشركين قالوا له لا محمدا قتلتم ولا الكواعب أردفتم بئس ما صنعتم ارجعوا أي وفي لفظ انهم لما بلغوا بعض الطريق قد موا فقالوا بئس ما صنعتم انكم قتلتموهم حتى اذا لم يبق الا الشريد تركتموهم ارجعوا فاستأصلوهم قبل ان يجدوا قوة وشوكة فقذف الله في قلوبهم الرعب ويذكر ان عبد الله ابن عوف جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم صبيحة قدومه صلى الله عليه وسلم من أحد وأخبره انه أقبل من أهله حتى اذا كان بمحل كذا اذا قريش قد نزلوا به فسمع أبا سفيان وأصحابه يقولون ما صنعتم شيأ قد بقي منهم رؤس يجمعون لكم فارجعوا نستأصل من بقي وصفوان بن أمية يأبى ذلك عليهم ويقول يا قوم لا تفعلوا فاني أخاف أن يجمع عليكم من تخلف عن الخروج فارجعوا والدولة لكم فاني لا آمن ان رجعتم أن تكون الدولة عليكم فقال صلى الله عليه وسلم أرشدهم صفوان وما كان يرشد فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وذكر لهما الخبر أي ما أخبره به عبد الله بن عوف فقالا يا رسول الله اطلب العدو لا يقتحمون على الذرية فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلاة الصبح ندب الناس وأمر بلالا أن ينادي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم بطلب عدوكم ولا يخرج الا من حضر القتال بالامس انتهى وعند تهيئه صلى الله عليه وسلم للخروج جاء جابر بن عبد الله رضي الله عنهما فقال يا رسول الله انما تخلفت عن أحد لان أبي خلفني على اخوات لي سبع أي وقيل وهو الصحيح انهن تسع وقال يا بني انه لا ينبغي لي ولا لك ان نترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهن ولست بالذي أوثرك بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لعل الله يرزقني الشهادة فتخلف على اخواتك فاستخلفت عليهن واستأثرت على بالشهادة فائذن لي يا رسول الله معك فاذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يخرج معه أحد لم يشهد القتال بالامس غيري واستأذنه رجال لم يحضروا القتال أي منهم عبد الله بن أبي قال له أنا راكب معك فأبى ذلك عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلوائه وهو معقود لم يحل فدفعه لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه ويقال لابي بكر الصديق رضي الله عنه واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسه أي المسمى بالسكب ولم يكن مع أصحابه فرس سواه وعليه الدرع والمغفر ومابرى الاعيناه ٥ وخرج الناس معه أي جميع من كان معه صلى الله عليه وسلم في احد وعن عائشة رضي الله عنها انها قالت في قوله تعالى الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم

ولما فرغ صلى الله عليه وسلم من طوافه نزل عن راحلته روى ابن أبي شيبة عن عمر رضي الله عنه قال ما وجدنا منا خافي المسجد لراحلته صلى الله عليه وسلم حتى أنزل على أيدي الرجال فأخرجت الراحلة فأنيخت بالوادي ثم انتهى صلى الله عليه وسلم الى المقام فصلى ركعتين ثم انصرف الى زمزم وقال لولا ان تغلب بنو عبد المطلب لنزعت منها دلوا فنزع له العباس دلوا فشرب منه وتوضأ والمسلمون يبتدرون وضوءه يصبونه على وجوههم والمشركون ينظرون ويعجبون ويقولون ٢٨٥ ما رأينا ملكا قط أبلغ من هذا ولا سمعنا به

الفرح الآية قالت لعروة بن الزبير يا ابن اختي كان أبوك الزبير رضي الله عنه وأبو بكر لما أصاب نبي الله ما أصاب يوم أحد وانصرف عنه المشركون خاف ان يرجعوا فقال من يرجع في اثرهم فانتدب منهم سبعون رجلا قال ابن كثير وهذا السياق غريب جدا فان المشهور عند أصحاب المغازي ان الذين خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حمراء الاسد كل من شهد أحدا وكانوا سبعمائة كما تقدم قتل منهم سبعون وبقي الباقي هذا كلامه فليتأمل مع ما تقدم قال والظاهر أنه لا تخالف لان معنى قولها يعني عائشة انهم سبقوا غيرهم ثم تلاحق بهم الباقون وخرجوا وبهم الجراحات ولم يعرجوا على دواء جراحاتهم أي لم يلتفتوا لذلك والمراد دواء غير تكميد جراحهم بالنار وهو ان تسخن خرقة وتوضع على العضو الوجع ويتابع ذلك مرة بعد أخرى ليسكن الوجع فلا يخالف أنهم فعلوا ذلك أي أوقدوا النيران يكمدون بها جراحاتهم تلك الليلة فمنهم من كان به تسع جراحات وهو أسيد بن حضير رضي الله عنه وعقبة بن عامر رضي الله عنه ومنهم من كان به عشر جراحات وهو خراش بن الصمة رضي الله عنه ومنهم من كان به بضع عشرة جراحة وهو كعب بن مالك رضي الله عنه ومنهم من كان به بضع وسبعون جراحة وهو طلحة بن عبيد الله وقطعت اصبعه قيل السبابة وقيل البنصر فشلت بقية أصابع يده وهي اليسرى وفي رواية أنامله كما تقدم ومنهم من كان به عشرون جراحة وهو عبد الرحمن بن عوف كما تقدم أي وجرح من بني سلمة أربعون جريحا فقال صلى الله عليه وسلم لما رآهم اللهم ارحم بني سلمة وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مجروح في وجهه اثر الحلقتين ومشجوج في وجهه ومكسورة رباعيته وشفته السفلى قد جرحت من باطنها أي وفي المنتقى وشفته العليا قد كلمت من باطنها متوهن منكبه الايمن اضربه ابن قمئة لعنه الله وركبتاه مجروحتان من وقعته في الحفيرة وتلقاه صلى الله عليه وسلم طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه فقال له باطلحة ابن سلاحك فقال قريب فذهب وأتى بسلاحه وبصدره تسع جراحات من تلك الجراحات آلتي به وهي كما تقدم بضع وسبعون جراحة يقول طلحة وأنا أهم بجراح رسول الله صلى الله عليه وسلم مني بجراحي ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال باطلحة ابن ترى القوم فقلت بالسفالة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الذي ظننت اما انهم يا طلحة لن ينالوا منا مثلها حتى يفتح الله مكة علينا وقال صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه يا ابن الخطاب ان قريشا لن ينالوا منا مثل هذا حتى نستلم الركن انتهى وكان دليله صلى الله عليه وسلم في السير ثابت بن الضحاك وليس هو اخا جبير وقيل اخوه ولازال السائرين حتى عسكروا بحمراء الاسد أي وهو محل بينه وبين المدينة ثمانية أميال أي وقيل عشرة أميال وعن رجل من الانصار قال شهدت أحدا انا وأخي فرجعنا جريحين فلما اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج في طلب العدو قال لي أخي اتفوتنا غزوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي لفظ ان تركنا غزوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لفسق والله مالنا من دابة نركبها فخرجنا وكنت أيسر

ثم جلس صلى الله عليه وسلم في ناحية المسجد وأبو بكر رضي الله عنه قائم على رأسه بالسيف ثم دعا عثمان بن طلحة رضي الله عنه ففتح له الكعبة ودخلها صلى الله عليه وسلم هو وبلال وأسامة بن زيد وعثمان بن طلحة الحجبي رضي الله عنهم وصلى ركعتين بين العمودين اليمانيين وفي رواية جعل عمودين عن يمينه وعمودا عن يساره وثلاثة أعمدة وراءه وكان البيت على ستة أعمدة وفي رواية ان بين موقفه صلى الله عليه وسلم وبين الجدار الذي استقبله قريبا من ثلاثة أذرع وفي رواية ان دخوله ذلك كان ثاني يوم الفتح ثم وقف على باب الكعبة فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم خطب خطبة طويلة وذكر فيها جملة من الاحكام منها لا يقتل مسلم بكافر ولا يتوارث أهل ملتين مختلفتين ولا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها والبينة على المدعي واليمين على من أنكر ولا تسافر المرأة مسيرة ثلاثة أيام الا مع ذي محرم ولا صلاة بعد العصر وبعد الصبح ولا يصام يوم الاضحى ويوم الفطر ثم قال يا معشر قريش ان الله أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء والناس من آدم وآدم من تراب ثم تلا هذه الآية يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير ثم قال يا معشر قريش ما ذا تقولون وما ذا تظنون اني فاعل فيكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت وأول من قال ذلك سهيل بن عمرو فقال صلى الله عليه وسلم أقول كما قال أخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين اذهبوا فأنتم الطلقاء أي الذين أطلقوا فلم يسترقوا ولم يؤسروا وخرجوا كأنما نشروا من القبور فدخلوا في الاسلام ومما ذكره في تلك الخطبة قوله أيها الناس ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهي حرام بحرمة الله الى يوم القيامة فلا يحل

لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما أو يعضد بها شجرة فان احد ترخص فيها لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا له
ان الله قد اذن لرسوله صلى الله عليه وسلم ولم يأذن لكم وانما احلت لى ساعة من نهار وقد عادت حرمتها الآن كحرمتها بالامس فليبلغ
الشاهد الغائب ثم قال يا معشر قريش ما ترون انى فاعل فيكم الى آخر ما تقدم وقد اختلفت الروايات فى كيفية احضار مفتاح الكعبة
له حين أراد الدخول والصحيح انه دعا ٢٨٦ عثمان بن طلحة وقال ائتنى بالمفتاح وتقدم انه أسلم فى مدة صلح الحديبية وهاجر هو

وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص رضى الله عنهم فذهب عثمان الى أمه سلافة بنت سعيد الانصارية الاوسية وقد أسلمت بعد ذلك رضى الله عنها فلما جاءها ليأخذ منها المفتاح أبت ان تعطيه فقال يا أمه ادفعى لى المفتاح فانه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبت ان تعطيه وقالت لا واللات والعزى فقال لها لالات ولا عزى قد جاء أمر غير ما كنا فيه والله لتعطينه وانك ان لم تفعلى قتلت أنا وأخى وأنت قتلتينا ووالله لندفعنه أو ليأتين غيرى فيأخذه منك فادخلته فى حجزتها وقالت أى رجل يدخل يده هنا قال الزهرى وأبطأ عثمان على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ينتظر حتى انه ليخيل له منه مثل الجمان من العرق ويقول ما يحبسه وفى رواية فجعلت تقول ان أخذه منكم لا يعطيكموه فبينما هو يكلمها اذ سمعت صوت أبى بكر وعمر رضى الله عنهما فى الدار وعمر رافع صوته وهو يقول يا عثمان اخرج فقالت يا بنى خذ المفتاح فان تأخذه أحب الىّ من أن يأخذه تيم وعدى أى أبو بكر وعمر فأخذه عثمان فخرج يمشى حتى اذا كان قريبا من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم عثر عثمان فسقط منه المفتاح فحنى عليه وتناوله وفى رواية فاستقبله صلى الله عليه وسلم ببشر ففتح له عثمان الباب وفى رواية فأخذه صلى الله عليه وسلم منه وفتح الكعبة الله

جراح منه فكنت اذا غلب حملته عقبة ويمشى عقبة حتى انتهينا الى ما انتهى اليه المسلمون من حمراء الاسد أى وذلك عند العشاء وهم يوقدون النيران فجاءتهما الحرس وكان على حرسه تلك الليلة عباد بن بشر مع طائفة فلما أتى بهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما ما حبسكما فأخبراه بغلبتهما فدعا لهما بخير وقال لهما ان طالت بكما مدة كانت لكما مراكب من خيل وبغال وابل وذلك ليس بخيركم أى وهذا ان الرجلان عبد الله ورافع ابنا سهيل بن رافع والذى ضعف عن المشى رافع والحامل له عبد الله (وأقام) المسلمون بذلك المحل ثلاث ليال وكانوا يوقدون فى كل ليلة من تلك الليالى خمسمائة نار حتى ترى من المكان البعيد وذهب صوت معسكرهم ونيرانهم فى كل وجه فكبت الله تعالى عدوهم قال جابر بن عبد الله رضى الله عنهما وكان عامة زادنا التمر وحمل سعد بن عبادة رضى الله عنه ثلاثين بعيرا حتى وافت حمراء الاسد وساق جزر النحر فنحروا فى يوم اثنين وفى يوم ثلاثا ولقى كفار قريش معبد الخزاعى وكان يومئذ مشركا بالروحاء وكان رأى خروجه صلى الله عليه وسلم خلف قريش فأخبرهم بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم لطلبهم وقد كانوا أرادوا الرجوع الى المدينة فكسرهم خروجه فمادوا الى مكة (قال) لما كان صلى الله عليه وسلم بحمراء الاسد لقيه معبد الخزاعى وكانت خزاعة مسلمهم وكافرهم تحبه صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد والله لقد عز علينا ما أصابك فى نفسك وما أصاب فى أصحابك ولوددنا ان الله تعالى أعلى كعبك وأن المصيبة كانت لغيرك ثم مضى معبد حتى كان بالروحاء فلما رأى أبو سفيان معبدا قال هذا معبد وعنده الخبر ما وراءك يا معبد فقال تركت محمدا وأصحابه قد خرجوا اليكم فى جمع لم أر مثله قط يتحرقون عليكم تحرقا قد اجتمع معه من كان تخلف عنه بالامس من الاوس والخزرج وتعاهدوا على ان لا يرجعوا حتى يلقوكم فيثأروا أى يأخذوا ثأرهم منكم وغضبوا لقومهم غضبا شديدا وندموا على ما فعلوا فيهم من الحق شئ لم أر مثله قط قال ويلك ما تقول قال والله ما أرى أن ترحل حتى ترى نواصى الخيل فقال والله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم قال فانى أنهاك عن ذلك فانصرفوا سراعا اه أى وعند انصرافهم أرسل أبو سفيان مع نفر يريدون المدينة ان يخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بانهم اجمعوا على الرجعة فلما بلغوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك قال صلى الله عليه وسلم حسبنا الله ونعم الوكيل فأنزل الله تعالى الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح الآية وقال صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لقد سومت لهم الحجارة ولو رجعوا لكانوا كأمس الذاهب أى وأرسل معبد الخزاعى رجلا يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بانصراف أبى سفيان ومن معه خائفين فانصرف الى المدينة وظفر صلى الله عليه وسلم فى حمراء الاسد بابى عزة الشاعر الذى من عليه وقد أسر ببدر من غير فداء لاجل بناته وأخذ عليه عهدا أن لا يقاتله ولا يكثر عليه جمعا ولا يظاهر عليه أحدا كما تقدم فنقض العهد وخرج مع قريش لاحد وصار يستنفر الناس ويحرضهم على قتاله صلى

فيحتمل انهما تشاركا فى الفتح فقد روى الفاكهى عن ابن عمر رضى الله عنهما ما قال كانت بنو أبى طلحة يزعمون انه لا يستطيع أحد فتح الكعبة غيرهم فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم المفتاح ففتح بيده قال العلامة الزرقانى ويحتمل الجمع بانه صلى الله عليه وسلم لما فتح الضبة بالمفتاح عاونه عثمان فدفع الباب ففتحه له أى فصح اسناد الفتح لكل منهما وجاء ان خالد بن الوليد كان حين دخل النبى صلى الله

عليه وسلم الكعبة على باب الكعبة يذب الناس ولما خرج صلى الله عليه وسلم من الكعبة جلس فى المسجد ومفتاح الكعبة فى يده فقام
اليه على رضى الله عنه فقال يارسول الله اجمع لنا الحجابة مع السقاية صلى الله عليك وسلم فقال صلى الله عليه وسلم مامعناه انما أعطيكم
ما تبذلون فيه أموالكم للناس أى وهو السقاية لا ما تأخذون فيه من الناس أموالهم وهى الحجابة لشرفكم وعلو مقامكم وفى رواية
عن العباس رضى الله عنه تطاول يومئذ لاخذ المفتاح فى رجال من بنى هاشم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أين عثمان

الله عليه وسلم باشعاره كما تقدم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يفلت فاسر ثم قيل ان
المشركين لما نزلوا بحمراء الاسد تركوه ناعما فاستمر حتى ارتفع النهار وكان الذى أخذه عاصم
بن ثابت وما أسر أحد من المشركين غيره فى تلك الوقعة وقيل أسره عمير بن عبد الله (وفى
النور) لا أستحضر أحدا فى الصحابة اسمه عمير بن عبد الله فلما جىء به اليه صلى الله عليه وسلم قال
يا محمد أقالنى وامنن على وردنى لبناتى وأعطيك عهدا ان لا أعود لمثل ما فعلت فقال صلى الله عليه
وسلم لا والله لا تمسح عارضيك بمكة وفى لفظ تمسح لمية بك تجلس بالحجر تقول خدعت محمدا وفى لفظ
سحرت محمدا مرتين اضرب عنقه يا زيد وفى لفظ يا عاصم بن ثابت وفى لفظ يا زبير وقال صلى الله
عليه وسلم لا يلدغ بالدال المهملة والغين المعجمة وفى لفظ لا يلسع المؤمن من جحر مرتين فضرب
عنقه (وذكر) ان رأسه حمل الى المدينة مشهورة على رمح قال بعضهم وهو أول رأس حمل فى
الاسلام أى ولا ينافيه ماقيل ان أول رأس حمل فى الاسلام رأس كعب بن الاشرف كما سيأتى
فى السرايا لامكان ان يراد أن رأس أبى عزة أول رأس حمل الى المدينة على رمح ولعل هذا
لا ينافى ماحكاه بعضهم أن عمرو بن الجموح كان رابع الاربعة الذين دخلوا على سيدنا عثمان
الدار وكان مع على كرم الله وجهه فى مشاهده فلما ولى معاوية رضى الله عنه فر هاربا الى
العراق فنهشته حية فدخل غارا ومات فأخبر بذلك زيادا والى العراق فأرسل من حز رأسه
وأرسل به الى معاوية فكان أول رأس نقل فى الاسلام من بلد الى بلد (قال بعضهم) فى معنى
هذا المثل أى لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين انه ينبغى للمرء ان يستعمل الحزم وهذا المثل لم يسمع
من غيره صلى الله عليه وسلم ومورده ان شخصا جرد سيفه وقصد النبى صلى الله عليه وسلم فضربه
ليقتله فأخطأت الضربة فقال كنت مازحا يا محمد فعفا عنه ثم عاد لمثل ذلك مرة أخرى وقال مثل
ذلك فأمر صلى الله عليه وسلم بقتله وقال لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين (وأمر) صلى الله عليه
وسلم فى ذلك المحل بقتل معاوية بن المغيرة بن أبى العاص وهو جد عبد الملك بن مروان لامه
وقد كان لجأ الى ابن عمه عثمان بن عفان رضى الله عنه أى فانه لما رجع الكفار من أحد ذهب
على وجهه ثم أتى باب عثمان فدقه فقالت أم كلثوم بنت النبى صلى الله عليه وسلم زوج عثمان
من أنت قال ابن عم عثمان فقالت ليس هو ههنا فقال ارسلى اليه فله عندى ثمن بعير كنت
اشتريته منه فجاء عثمان فلما نظر اليه قال أهلكتنى وأهلكت نفسك فقال يا ابن عم لم يكن
أحد أمس بى رحما منك فأجرنى فادخله عثمان رضى الله عنه منزله وصيره فى ناحية ثم خرج عثمان
ليأخذ له أمانا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ان معاوية بالمدينة فاطلبوه فدخلوا منزل عثمان فأشارت اليهم أم كلثوم رضى الله عنها بانه
فى ذلك المكان فاخرجوه وأتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بقتله فقال عثمان رضى
الله عنه والذى بعثك بالحق ماجئت الا لآخذ له أمانا فوهبه لى فوهبه له وأجله ثلاثا وأقسم
صلى الله عليه وسلم ان وجده بعدها قتله وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حمراء الاسد

ابن طلحة فدعى به فقال هاك
مفتاحك يا عثمان اليوم يوم بر
ووفاء وأنزل الله هذه الآية فى شأن
عثمان بن طلحة ان الله يأمركم ان
تؤدوا الامانات الى أهلها وروى
الازرقى وغيره عن مجاهد قال
نزلت هذه الآية فى عثمان بن طلحة
أخذ عليه الصلاة والسلام منه
مفتاح الكعبة ودخلها يوم الفتح
فخرج وهو يتلوها فدعا عثمان
فدفع المفتاح اليه وقال خذوها
أى الحجابة يا بنى أبى طلحة لا ينزعها
منكم الا ظالم قال وقال عمر رضى
الله عنه خرج صلى الله عليه وسلم من
الكعبة وهو يتلوها هذه الآية
ما سمعته يتلوها قبل ذلك قال
السيوطى ظاهر هذا انها نزلت
فى جوف الكعبة وروى الازرقى
عن ابن المسيب خذوها خالدة
تالدة لا يظلمكموها الا كافر وفى
رواية عند ابن أبى شيبة عن عبد
الرحمن بن سابط انه صلى الله عليه
وسلم دفع المفتاح الى عثمان فقال
خذوها خالدة مخلدة انى لم أدفعها
اليكم ولكن الله دفعها اليكم ولا
ينزعها منكم الا ظالم وروى ابن سعد
وغيره عن عثمان بن طلحة رضى الله
عنه قال لقينى صلى الله عليه وسلم
بمكة قبل الهجرة فدعانى الى
الاسلام فقلت يا محمد العجب لك
حيث تطمع ان اتبعك وقد خالفت
دين قومك وجئت بدين محدث قال وكنا نفتح الكعبة فى الجاهلية يوم الاثنين والخميس فأقبل النبى صلى الله عليه وسلم يوما يريد ان
يدخل الكعبة مع الناس وذلك بعد بعثته فأغلظت له ونلت منه فحلم عنى ثم قال يا عثمان لعلك سترى هذا المفتاح يوما بيدى اضعه حيث
شئت فقلت لقد هلكت قريش يومئذ وذللت يعنى مادامت قريش انت لا تقدر على ذلك فقال بل عمرت وعزت يومئذ ودخل
الكعبة فوقعت كلمته منى موقعا ظننت ان الامر سيصير الى ما قال أى لانه كان معروفا بينهم بالصدق والامانة قال عثمان فأردت

الاسلام فاذا فومى يزبرونني زبراشديدا فلما كان يوم الفتح قال ياعثمان ائتني بالمفتاح فأتيته به ثم دفعه الي وقال خذوها يعني سدانة البيت خالدة تالدة لاينزعها منكم الا ظالم ياعثمان ان الله استأمنكم على بيته فكلوا مما يصل اليكم من هذا البيت بالمعروف قال عثمان فلما وليت ناداني فرجعت اليه فقال لم يكن الذي قلت لك فذكرت قوله لي بمكة قبل الهجرة لعلك سترى هذا المفتاح بيدي أضعه حيث شئت قلت بلى أشهد أنك رسول الله ٢٨٨ وفي تفسير الثعالبي بلاسند أن هذه الآية ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى أهلها انزلت في عثمان بن طلحة الحجبي أمره عليه الصلاة والسلام أن يأتيه بمفتاح الكعبة فأبى عليه وأغلق باب البيت وصعد الى السطح وقال لو علمت انه رسول الله لم أمنعه فلوى علي يده وأخذ منه المفتاح وفتح الباب فدخل صلى الله عليه وسلم البيت فلما خرج سأله العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له بين السقاية والسدانة فأنزل الله هذه الآية فأمر صلى الله عليه وسلم عليا أن يرد المفتاح الى عثمان ويعتذر اليه ففعل ذلك علي رضي الله عنه فقال عثمان لعلي رضي الله عنهما اكرهت وآذيت ثم جئت ترفق فقال علي رضي الله عنه لقد أنزل الله في شأنك قرآنا وقرأ عليه الآية فقال عثمان أشهد ان لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وأسلم قال الحافظ ابن حجر هذه الرواية منكرة والمعروف انه اسلم قبل الفتح وهاجر مع عمرو بن العاص وخالد ابن الوليد وكذا قوله في أول الحديث فلوى علي يده وأخذ المفتاح مع قوله قبله لو علمت انه رسول الله لم أمنعه فان ذلك كله منكر قال الزرقاني ولعله بفرض صحته وقع من ابن عمه شيبة لانه لم يكن أسلم بعد لكن بعده لا يخفى لانه لم يكن من هو اجل منه منع شيئ ولا قول شئ يومئذ والروايات السابقة هي التي صحت بها الاحاديث وعثمان المذكور هذا هو ابن طلحة بن أبي طلحة واسم أبي طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي بن كلاب العبدري وطلحة أبو عثمان قتل كافرا يوم أحد ويقال لعثمان الحجبي ولآل بيته الحجبة ويعرفون الآن بالشيبيين نسبة الى شيبة بن عثمان بن أبي طلحة وهو ابن عم عثمان بن طلحة بن أبي طلحة قال الحافظ ابن حجر ان أبا طلحة له ولدان عثمان وطلحة أتى عثمان بشيبة وأتى طلحة بعثمان فلما مات عثمان بن طلحة بن أبي طلحة أخذ المفتاح ابن عمه شيبة بن عثمان بن أبي طلحة لان

فاقام معاوية ثلاثا يسأله عن أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأتي بها فريشا فلما كان في اليوم الرابع عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة فخرج معاوية هاربا فادركه زيد ابن حارثة وعمار بن ياسر رضي الله عنهما فرمياه حتى قتلاه وقد كان صلى الله عليه وسلم بعثهما اليه وقال لهما انكما ستجدانه بموضع كذا وكذا أي بموضع بينه وبين المدينة ثمانية أميال فوجداه به فقتلاه وقيل تبعه علي كرم الله وجهه فقتله وكان صلى الله عليه وسلم بعث ثلاثة نفر من أسلم طليعة في آثار القوم فلحق اثنان منهم للقوم بحمراء الاسد فقتلوهما فوجدهما صلى الله عليه وسلم قتيلين بحمراء الاسد فدفنهما في قبر واحد ولا يأتي هنا الجواب المتقدم في قتلى أحد وجاءه صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام بعد رجوعه الى المدينة بان الحرث بن سويد في قباء فانهض اليه واقتص منه بمن قتله من المسلمين غدر يوم أحد وهو المجذر وتقدم أنه بالذال المعجمة مشددة مفتوحة ابن ذياد وتقدم انه بكسر الذال المعجمة وفتحها وتخفيف المثناة تحت لان سويدا كان قد قتل ذياد أبا المجذر في الجاهلية فظفر المجذر بسويد والد الحرث فقتله في أبيه وذلك قبل الاسلام وكان ذلك سبب الوقعة بغاث فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أسلم الحرث بن سويد وأسلم المجذر بن ذياد وشهد بدرا فجعل الحرث يطلب مجذرا يقتله بابيه فلم يقدر عليه كما تقدم فلما كان يوم أحد وجال المسلمون تلك الجولة أتاه الحرث من خلفه فضرب عنقه قيل وقتل أيضا قيس بن زيد فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قباء في وقت لم يكن يأتيهم فيه وهو شدة الحر في يوم حار فخرج اليه الانصار من أهل قباء رضي الله عنهم ومنهم الحرث بن سويد وعليه ثوب مورس وفي لفظ في ملحفة مورسة وفي لفظ في ثوبين مضرجين وفي لفظ ممرضين فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم عويمر بن ساعدة بضرب عنقه أي فقال له قدم الحرث بن سويد الى باب المسجد واضرب عنقه وقيل أمر عثمان بن عفان بذلك فقدم ليضرب عنقه فقال الحرث لم يا رسول الله فقال بقتلك المجذر بن ذياد وقيس بن زيد فارتجعه الحرث بكلمة فضرب عنقه قال وفي رواية ان الحرث قال والله قتلته أي المجذر وما كان قتلي اياه رجوعا عن الاسلام ولا ارتيابا فيه ولكن حمية من الشيطان واني أتوب الى الله ورسوله مما عملت وأخرج ديته وأصوم شهرين متتابعين واعتق رقبة فلم يقبل منه النبي صلى الله عليه وسلم ذلك انتهى ولم يذكر قتل قيس بن زيد ولعله اكتفى بذلك في قتله الحرث ويعلم استحقاقه القتل بقتل قيس بن زيد بطريق اولى أي وكان في هذه السنة الثالثة مولد الحسن بن علي رضي الله عنهما وسماه حربا فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن أي لانه صلى الله عليه وسلم لما جاء قال أروني ابني ما سميتموه قال علي حربا يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم هو حسن وحنكه صلى الله عليه وسلم بتمر وكان في هذه السنة تحريم الخمر وقيل كان تحريمها في السنة الرابعة وهو محاصر بني النضير وقيل كان تحريمها بين الحديبية وخيبر وقيل كان بخيبر قال صلى الله عليه وسلم الخمر من هاتين الشجرتين النخلة والعنبة وفي رواية الكرمة والنخلة وفي رواية

عثمان بن طلحة كان لا ولد له و بقى فى أولاد شيبة وهم الشيبيون قال العلامة الزرقانى وفى هذه الاخبار كلها دليل على بقاء عقبهم
الى الآن قال العلامة الشمس الخطاب المالكى المكى ولا التفات الى قول بعض المؤرخين ان عقبهم انقطع فى خلافة هشام بن
عبد الملك فانه غلط لقول مالك رضى الله عنه لا يشرك مع الحجبة فى الخزانة أحد لانها ولاية منه صلى الله عليه وسلم ومالك ولد بعد هشام
ابن عبد الملك بنحو عشرين سنة وذكر ابن حزم وابن عبد البر جماعة منهم فى زمانهما وعاشا الى ما بعد نصف المائة الخامسة

رواية الكرم والنخل كذا فى مسلم ولعل ذكر الكرم كان قبل النهى عنه والا ففى مسلم لا يقولن
أحدكم للعنب الكرم فان الكرم الرجل المسلم وفى رواية فان الكرم قلب المؤمن او قيل ذلك
بيانا للجواز اشارة الى ان النهى للتنزيه وقد حرمت الخمر ثلاث مرات الاولى فى قوله تعالى
يسألونك عن الخمر والميسر أى القمار قل فيهما اثم كبير فانه صلى الله عليه وسلم قدم المدينة
وهم يشربون الخمر ويأكلون القمار فسألوه عن ذلك فنزلت الآية الثانية ان بعض الصحابة
صلى باصحابه صلاة المغرب وهو سكران فخلط فى القراءة فانزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا
لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ثم أنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا انما
الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون فكف
الناس عن شربها وقد جاء ان حمزة رضى الله عنه لما شربها قال للنبى صلى الله عليه وسلم ومن معه
هل أنتم الا عبيد لابى أى فى البخارى ان حمزة رضى الله عنه لما شرب الخمر خرج فوجد ناقتين
لعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه فعلاهما بالسيف وبقر خواصرهما ثم أخذ من أكبادهما وجب
سنامهما قال على كرم الله وجهه فنظرت الى منظر أفظعنى فاتيت نبى الله صلى الله عليه وسلم
وعنده زيد بن حارثة فأخبرته الخبر فخرج صلى الله عليه وسلم ومعه زيد فانطلقت معه فدخل
على حمزة فتغيظ عليه فرفع حمزة رضى الله عنه بصره وقال هل أنتم الا عبيد لابى فرجع النبى
صلى الله عليه وسلم يقهقر حتى خرج وذلك قبل تحريم الخمر ولكون السكر كان مباحا لم يرتب
على قول حمزة مقتضاه مع أن من قال انبى أنت عبدى أو عبد أبى كفر واعترض القول بانها
فى السنة الرابعة بان أنس بن مالك كان ساقيا لها فلما سمع المنادى بتحريمها أراقها وفى البخارى
عن أنس رضى الله عنه وانى لقائم اسقى أبا طلحة وفلانا وفلانا أى أبا أيوب وأبا دجانة ومعاذ
ابن جبل وسهيل بن بيضاء وأبى بن كعب وأبا عبيدة بن الجراح رضى الله عنهم اذ جاء رجل وقال
هل بلغكم الخبر قالوا وما ذاك قالوا حرمت الخمر قالوا اهرق هذه القلال يا أنس فأهرقت وفى
لفظ قال أنس رضى الله عنه فقمت الى مهراس فضربتها بأسفله حتى تكسرت وفى مسلم
عن أبى طارق رضى الله عنه انه قال يا رسول الله انا نصنعه أى الخمر للدواء فقال انه ليس بدواء
ولكنه داء واراقة الخمر حينئذ مع انها كانت مباحة فهى محترمة تغليظ وتوكيد للتحريم وفطم
للنفوس لان اراقتها لم تكن بامر منه صلى الله عليه وسلم وسئل الحافظ السيوطى رحمه الله
عن حكمة رجوعه صلى الله عليه وسلم القهقرى فاجاب بانه لعله كان من خوف الوثوب عليه
ارشاد لمن يخاف الوثوب أو كان مقصوده صلى الله عليه وسلم مداومته لحظه أو ان الراوى أراد
بالقهقرى مطلق الرجوع الى المنزل لا بالظهر وأنس رضى الله عنه لم يكن خادما للنبى صلى الله
عليه وسلم حينئذ أى فى السنة الرابعة بل بعدها وحينئذ يكون القول بأن كونه فى الثالثة
اشكل واشكل من هذا ما حكاه ابن هشام فى قصة الاعشى بن قيس انه خرج الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم يريد الاسلام فلما كان بمكة اعترضه بعض المشركين من قريش فسأله عن

وكذا ذكر العلامة القلقشندى
وعاش الى احدى وعشرين
وثمانمائة ولا دلالة لزاعم انقراضهم
فى اخدام معاوية رضى الله عنه
الكعبة عبيد الان اخدامها غير
ولاية فتحها كما هو معلوم وكثيرا
ما يقع فى كلام المؤرخين
كالازرقى والفاكهى ذكر الحجبة
ثم الخدمة بما يدل على التغاير انتهى
وقد تقدم الكلام على اسلام
عثمان بن طلحة بن أبى طلحة فى قصة
اسلام خالد بن الوليد وعمرو بن
العاص رضى الله عنهم واما شيبة
ابن عثمان بن أبى طلحة فاسلم عام
الفتح وكان رضى الله عنه يحدث
عن سبب اسلامه فيقول ما رأيت
أعجب مما كنا فيه من لزوم بعض
ما عليه آباؤنا من الضلالات ولما
كان عام الفتح ودخل رسول الله
صلى الله عليه وسلم مكة ثم صار الى
حرب هوازن قلت اسير مع قريش
الى هوازن بحنين فعسى ان
اختلطوا ان أصيب من محمد غرة
فاقتله فاكون أنا الذى قتلت بثار
قريش كلها وفى لفظ اليوم ادرك
ثارى من محمد أى لان اباه وعمه
وجملة من بنى عمه قتلوا يوم احد
قتلهم حمزة وعلى وغيرهم رضى
الله عنهم قال وقلت لو لم يبق من
العرب والعجم أحد الا اتبع محمدا

 ما تبعته لا يزداد ذلك الامر عندى الا شدة فلما اختلط الناس يوم حنين ونزل صلى الله
عليه وسلم عن بغلته اصلت السيف ودنوت منه أريد الذى اريد منه ورفعت السيف حتى كدت أوقع به الفعل رفع لى شواظ
من نار كالبرق كاد يمحنى فوضعت يدى على بصرى خوفا عليه وفى رواية فلما عممت به حال بينى وبينه خندق من نار وسور
من حديد ولا مانع من وقوع كل ذلك قال فالتفت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبسم وعرف الذى اريد فناداني يا شيبة

أدن مني فدنوت منه فمسح صدري ثم قال اللهم أعذه من الشيطان قال شيبة فوالله لهو في الساعة صار أحب الي من سمعي وبصري وأذهب الله ما كان في ثم قال ادن فقاتل فتقدمت أمامه أضرب بسيفي والله أعلم اني أحب ان أقيه بنفسي وكل شيء ولو كان أبي حيا ولقيته تلك الساعة لأوقعت السيف به فجعلت ألزمه فيمن لزمه أي ثبت معه يوم حنين حتى تراجع المسلمون وكروا كرة رجل واحد وقربت اليه بغلته فاستوى عليها قائما ٢٩٠ وجاء في رواية عن شيبة بن عثمان الحجبي رضي الله عنه قال خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فوالله اني لواقف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قلت يا رسول الله اني لأرى خيلا بلقا قال ياشيبة انه لا يراها الا كافر فضرب بيده على صدري ثم قال اللهم اهد شيبة ففعل ذلك ثلاثا فما رفع صلى الله عليه وسلم يده عن صدري الثالثة حتى ما أجد من خلق الله أحب الي منه ولما انقضى القتال ورجع صلى الله عليه وسلم الى معسكره فدخل خباءه دخلت عليه ما دخل عليه غيري حبا لرؤية وجهه صلى الله عليه وسلم وسرورا به فقال ياشيبة الذي أراد الله خير مما اردت بنفسك ثم حدثني بكل ما أضمرته في نفسي مما لم أذكره لاحد قط فقلت اني أشهد ان لا اله الا الله وأشهد انك رسول الله ثم قلت له استغفر لي فقال غفر الله لك وجاء ان بلالا رضي الله عنه أمره النبي صلى الله عليه وسلم ان يؤذن ظهر يوم الفتح على ظهر الكعبة ليغيظ بذلك المشركين وكان أبو سفيان وعتاب بن أسيد وفي رواية وخالد بن أسيد أخو عتاب والحرث بن هشام وغيرهم جلوسا بفناء الكعبة فقال عتاب ابن أسيد أو خالد بن أسيد لقد أكرم الله أسيدا أن لا يكون يسمع هذا فيسمع منه ما يغيظه وقال الحرث بن هشام أما والله لو أعلم انه حق لاتبعته ان يكن الله يكره هذا فسيغيره وفي رواية انه قال اما وجد محمد غير هذا الغراب الاسود مؤذنا وقال بعض بني سعيد بن العاص لقد أكرم الله سعيدا قبل أن يرى هذا الاسود على ظهر الكعبة وقال الحكم بن أبي العاص والله ان هذا لحدث عظيم عبد بني جمح يصيح على بنية أبي طلحة وقال أبو سفيان لا أقول شيأ لو تكلمت لاخبرت عني هذه الحصباء فخرج عليهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم قد علمت الذي قلتم ثم ذكر لهم ذلك فقال أما أنت يا فلان فقلت كذا وأما أنت يا فلان

أمره فاخبره انه جاء يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسلم فقال له يا أبا نصير انه يحرم الزنا فقال الاعشى والله ان ذلك لامر مالي فيه من ارب فقال انه يحرم الخمر فقال الاعشى اما هذه ان في النفس منها لعلالات ولكني منصرف فأتروى منها عامي هذا ثم آتيه فاسلم فانصرف فمات في عامه ذلك ولم يعد الى النبي صلى الله عليه وسلم هذا كلامه لما علمت ان الخمر لم تحرم بمكة وانما حرمت بالمدينة في السنة الثالثة أو الرابعة وأجاب بعضهم بان الاعشى أراد المدينة فاجتاز بمكة فعرض له بعض كفار قريش واعترض بانه قيل ان القائل له ذلك أبو جهل لعنه الله وكان في دار عتبة بن ربيعة وأبو جهل قتل ببدر في السنة الثانية واجيب بانه على تسليم صحة ذلك بانه يجوز ان يكون أبو جهل لعنه الله قصد صد الاعشى عن الاسلام بطريق التقول والافتراء لانه كان يعرف ميل الاعشى الى الخمر وعدم صبره على تركها فاختلف هذا القول من عنده ليمنعه بذلك عن الاسلام (أقول) لما حرمت الخمر قال بعض القوم قتل قوم وهي في بطونهم أي لان جماعة شربوها صبح يوم احد فقتلوا من يومهم شهداء فأنزل الله تعالى ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا وكون أنس رضي الله عنه لم يكن خادما للنبي صلى الله عليه وسلم الا بعد السنة الرابعة يخالف ما سبق أن عند قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة جاءت به أمه ليخدمه صلى الله عليه وسلم وفي البخاري عن أنس رضي الله عنه قال قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ليس له خادم ثم أخذ أبو طلحة بيدي فانطلق بي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان أنسا غلام كيس فليخدمك فخدمته صلى الله عليه وسلم في السفر والحضر وتقدم الجمع بين كون الآتي به أبا طلحة والآتي به أمه وفي البخاري أيضا عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي طلحة التمس لي غلاما من غلمانكم يخدمني حين انزل الى خيبر فخرج بي أبو طلحة مردفي وأنا غلام راهقت الحلم فكنت أخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل وقد يقال لا منافاة لانه يجوز أن يكون صلى الله عليه وسلم لم يأمر أنسا بالخروج معه الى خيبر لظنه ان أمه لا تسمح له بذلك فلما قال لابي طلحة ما ذكر جاء اليه بانس رضي الله تعالى عنه والله أعلم

﴿غزوة بني النضير﴾

وهم قوم من اليهود بالمدينة وفي كلام بعضهم بنو النضير هؤلاء حي من يهود خيبر أي وقريتهم كان يقال لها زهرة كانت تلك الغزاة في ربيع الاول أي من السنة الرابعة وقيل كانت قبل وقعة أحد قال وبه قال البخاري قال ابن كثير والصواب ايرادها بعد أحد كما ذكر ذلك ابن اسحق وغيره من أئمة المغازي انتهى أمر النبي صلى الله عليه وسلم الناس بالتهيؤ لحرب بني النضير والسير اليهم واختلف في سبب ذلك فمن جملة ما قيل انه ذهب اليهم ليسألهم كيف الدية فيهم أي لانه كان بينهم وبين بني عامر قبيلة الرجلين اللذين قتلهما عمرو بن أمية الضمري عند رجوعه من

من بئر معونة غيلة حلف وعقد وقيل ذهب اليهم ليستعين بهم فى دية الرجلين المذكورين أى وكان صلى الله عليه وسلم أخذ العهد على اليهود ان يعاونونه فى الديات وقيل لاخذ دية الرجلين منهم لان بنى النضير كانوا حلفاء لقوم الرجلين المذكورين وهم بنو عامر كذا فى الاصل فليتأمل فان فيه أخذ الدية من حلفاء المقتول وسار اليهم صلى الله عليه وسلم فى نفر من أصحابه أى دون العشرة فيهم أبو بكر وعمر وعلى رضى الله تعالى عنهم فقالوا له نعم يا أبا القاسم حتى تطعم وترجع بحاجتك وكان صلى الله عليه وسلم جالسا الى جنب جدار من بيوتهم فخلا بعضهم ببعض وقالوا انكم لن تجدوا الرجل على مثل هذه الحالة فمن رجل يعلو على هذا البيت فيلقى عليه صخرة فيريحنا منه فقال أحدساداتهم انا لذلك أى وهو عمرو بن جحاش وقال لهم سلام بن مشكم لاتفعلوا والله ليخبرن بما هممتم به انه لنقض للعهد الذى بيننا وبينه فلما صعد ذلك الرجل ليلقى الصخرة أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما أرادا القوم فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم أى مظهرا انه يقضى حاجته وترك أصحابه فى مجالسهم ورجع مسرعا الى المدينة ولم يعلم من كان معه من أصحابه فقاموا فى طلبه صلى الله عليه وسلم لما استبطؤه فلقوا رجلا مقبلا من المدينة فسألوه فقال رأيته داخل المدينة فأقبل أصحابه حتى انتهوا اليه فأخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما أرادت بنو النضير وقد أشار الى ذلك الامام السبكى فى تائيته بقوله وجاءك وحى بالذى اضمرت بنو النضير وقد هموا بالقاء صخرة

أى وفى رواية لما رأوا قلة أصحابه صلى الله عليه وسلم قالوا نقتله ونأخذ أصحابه اسارى الى مكة فنبيعهم من قريش أى ولا مانع من وجود الامرين وقيل السبب فى خروجه صلى الله عليه وسلم اليهم انهم أرسلوا اليه أن اخرج الينا فى ثلاثين من أصحابك وليخرج منا ثلاثون حبرا فان صدقوك وآمنوا بك آمنا بك فلما غدا عليهم فى ثلاثين من أصحابه قال بعضهم لبعض كيف تخلصون اليه ومعه ثلاثون كل يحب انه يموت قبله فأرسلوا اليه ان اخرج فى ثلاثة من أصحابك ويلقاك ثلاثة من علمائنا فان آمنوا بك اتبعناك ففعل واشتملت اليهود الثلاثة على الخناجر فأرسلت امرأة من بنى النضير لاخ لها مسلم تعلمه بذلك فأعلم أخوها النبى صلى الله عليه وسلم بذلك فرجع ولا مانع من وجود ذلك مع ماتقدم لكن فى السيرة الشامية ان خبر ذلك بلغه قبل وصوله اليهم فرجع فبينما بنو النضير على ذلك أى على ارادة القاء الحجر والتهيؤ لالقائه اذ جاء جاء من اليهود من المدينة فقال لهم ماتريدون فذكروا له الامر فقال لهم أين محمد قالوا هذا محمد فقال لهم والله لقد تركت محمدا داخل المدينة فاسقط فى أيديهم وقالوا قد اخبر بأمرنا فأرسل اليهم محمد بن مسلمة رضى الله تعالى عنه ان اخرجوا من بلدى يعنى المدينة لان قربتهم من أعمالها فلا تساكنونى بها فقد هممتم بما هممتم به من الغدر أى وأخبرهم بما هو به من ظهور عمرو ابن جحاش على ظهر البيت ليطرح الصخرة فسكتوا ولم يقولوا حرفا قال ويقول لكم قد اجلتكم عشرا فمن رؤى بعد ذلك ضربت عنقه واقتصاره صلى الله عليه وسلم على ذلك لاينافى ماتقدم

من أنه أمهلهم ثلاثا لان ذلك كان بعد هذه العشرة وقد أخرج ابن اسحاق عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال لما أجلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى النضير خرج منهم حيى بن أخطب وسلام بن أبى الحقيق وكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق فى نفر من بنى النضير حتى قدموا خيبر فلما استقرت بهم الدار وبلغهم مكانه بالمدينة وما نزل به من الله تعالى من الظفر بهم وبمن معهم من بنى قريظة وما أعد الله لهم فى الآخرة على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم وما أنزل الله تعالى فيهم من القرآن ذكر لنا بعض أصحابنا عن عبد الله بن كعب أخى بنى سلمة قال كان فيما أنزل الله تعالى فى بنى النضير من القرآن سورة الحشر وما أنزل الله تعالى فى بنى قريظة من القرآن سورة الاحزاب وما أنزل الله تعالى فى بنى قينقاع من القرآن سورة آل عمران وما أنزل الله تعالى فى بنى النضير من القرآن سورة الحشر وما أنزل الله تعالى فى بنى قريظة من القرآن سورة الاحزاب وما أنزل الله تعالى فى بنى قينقاع من القرآن سورة آل عمران وما أنزل الله تعالى فى بنى النضير من القرآن سورة الحشر وما أنزل الله تعالى فى بنى قريظة من القرآن سورة الاحزاب وما أنزل الله تعالى فى بنى قينقاع من القرآن سورة آل عمران

وجود الاسلام وجاء ان فضالة بن عمير بن الملوح حدث نفسه بقتل النبى صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت عام الفتح فلما دنا منه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أفضالة قال نعم فضالة يارسول الله قال ماذا كنت تحدث به نفسك قال لاشئ كنت أذكر الله فضحك النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال استغفر الله ثم وضع يده الشريفة على صدره فسكن قلبه فكان فضالة رضى الله عنه يقول والله مارفع يده عن صدرى حتى ماخلق الله شيأ أحب الى منه وفى سيرة ابن هشام قال فضالة فرجعت الى أهلى فررت بامرأة كنت أتحدث اليها

فقلت كذا وأما أنت يافلان فقلت كذا فقال أبو سفيان أما أنا يارسول الله فما قلت شيأ فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الحرث بن هشام وعتاب بن أسيد وخالد بن أسيد نشهد انك رسول الله والله ما اطلع على هذا أحد كان معنا فنقول أخبرك وصار بعض من قريش يستهزؤن ويحكون صوت بلال غيظا وكان من جملتهم أبو محذورة وكان من أحسنهم صوتا فلما رفع صوته بالاذان مستهزئا سمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر به النبى صلى الله عليه وسلم فمثل بين يديه وهو يظن انه مقتول فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم ناصيته وصدره بيده الشريفة قال فامتلأ قلبى والله ايمانا ويقينا وعلمت انه رسول الله صلى الله عليه وسلم فالقى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الاذان وعلمه اياه وامره أن يؤذن لاهل مكة وكان سنه ست عشرة سنة وأولاده بعده كانوا يتوارثون الاذان بمكة ويروى ان جويرية بنت أبى جهل قالت عند اذان بلال على ظهر الكعبة والله لانحب من قتل الاحبة أبدا ولقد جاء الابى الذى جاء لمحمد من النبوة فردها ولم يرد خلاف قومه ثم أسلمت وحسن اسلامها رضى الله عنها * ومن جاءه صلى الله عليه وسلم يوم الفتح السائب ابن عبد الله المخزومى وقيل عبد الله ابن السائب وقيل السائب بن عويم وقيل قيس بن السائب بن عويم وكان شريكا للنبى صلى الله عليه وسلم قبل بعثته صلى الله عليه وسلم قال لما أسلمت أخذ عثمان وغيره يثنون على فقال صلى الله عليه وسلم لا تعلمونى به كان صاحبى وفى لفظ لما أقبلت عليه قال مرحبا بأخى وشريكى كان لايدارى ولايمارى قد كنت تعمل أعمالا فى الجاهلية لاتتقبل منك أى لتوقفها على الاسلام وهى اليوم تتقبل منك أى

فقالت هلم الى الحديث فقلت لا واتبعت فضالة رضى الله عنه يقول قالت هلم الى الحديث فقلت لا * يأبى على الله والاسلام

لو ما رأيت محمدا وقبيله * بالفتح يوم تكسر الاصنام لرأيت دين الله أضحى بينا * والشرك يغشى وجهه الاظلام

والما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكعبة وجلس فى المسجد والناس حوله ذهب أبو بكر رضى الله عنه وجاء بابيه عثمان ويكنى بابى قحافة يقوده وقد كف بصره فلما رآه صلى الله عليه وسلم قال هلا تركت الشيخ فى بيته حتى أكون أنا آتيه وفى لفظ لو أقررت الشيخ فى بيته لاتيناه تكرمة لابى بكر رضى الله عنه فقال أبو بكر رضى الله عنه يارسول الله هو أحق أن يمشى اليك من أن تمشى أنت اليه فاجلسه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره وقال أسلم تسلم فاسلم ولم يعش لابى قحافة ابن ذكر الا أبو بكر رضى الله عنه وهنأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضى الله عنه باسلام أبيه وعند ذلك قال أبو بكر رضى الله عنه للنبى صلى الله عليه وسلم والذى بعثك بالحق لاسلام أبى طالب كان أقر لعينيك من اسلام أبيه يعنى أباه أبا قحافة وذلك ان اسلام أبى طالب كان أقر لعينيك وكان رأس أبى قحافة رضى الله عنه ولحيته مبيضتين بالشيب فقال صلى الله عليه وسلم غيروهما وجنبوه السواد وكانت أم أبى بكر بنت عم أبيه أسلمت قديما حين أسلم أبو بكر رضى الله عنه واخته ام فروة رضى الله عنها أسلمت أيضا وأبناؤه وبناته قال بعضهم لم يكن أحد من الصحابة أسلم هو ووالداه واخته وجميع أولاده وبناته غير أبى بكر رضى الله عنه وبنوه ثلاثة عبد الله وهو أكبرهم مات أول خلافة أبيه وعبد الرحمن ومحمد وكانت ولادة محمد رضى الله عنه عام حجة الوداع وبناته ثلاثة أسماء وهى اكبرهن وهى شقيقة عبد الله وعائشة وهى شقيقة عبد الرحمن وأم كلثوم مات أبو بكر رضى الله عنه وهى فى بطن امها وأخبر بانها انثى قبل وفاته وهى حمل فى بطن امها حيث قال لعائشة رضى الله عنها انما هما اخواك واختاك ولم تكن تعلم ان لها اختا غير اسماء رضى الله عنها فسألته عن ذلك فاشار الى الحمل المذكور وقال أراها انثى فكان ذلك من كرامات

يحاصرونهم

من ارادة قتله أيضا قيل وأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم ولا ينافى ذلك ما تقدم من نزولها فى حق دعثور فى غزوة ذى امر لجواز تكرار النزول فأرسلوا فى احضار الابل فأرسل اليهم المنافقون أن لا تخرجوا من دياركم ونحن معكم ان قوتلتم فلنكم علينا النصر وان أخرجتم لنخرجن معكم فلا نطيع فيكم خصوصا عبد الله بن أبى ابن سلول لعنه الله فانه أرسل لهم لا تخرجوا من دياركم وأقيموا فى حصونكم فان معى ألفين من قومى وغيرهم من العرب يدخلون حصونكم ويموتون عن آخرهم قبل أن يوصل اليكم وتمدكم قريظة وحلفاؤكم من غطفان فطمع بنو النضير فيما قال ابن أبى فأرسلوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا لا نخرج من ديارنا فاصنع ما بدا لك فأظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم التكبير وكبر المسلمون لتكبيره وقال حاربت يهود قال والمتولى أمر ذلك سيد بنى النضير حيى بن أخطب والد صفية أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها وقد نهاه أحد سادات بنى النضير وهو سلام بن مشكم وقال له مننتك نفسك والله يا حيى الباطل فان قول ابن أبى ليس بشئ وانما يريد أن يورطك فى الهلكة حتى تحارب محمدا فيجلس فى بيته ويترك كل ألا ترى انه أرسل الى كعب بن اسد القرظى سيد بنى قريظة ان تمدكم بنو قريظة فقال له لا ينقض رجل واحد منا العهد فأيس من بنى قريظة وأيضا قد وعد حلفاءه من بنى قينقاع مثل ما وعدك حتى حاربوا ونقضوا العهد وحصروا أنفسهم فى صياصيهم أى حصونهم وانتظروا ابن أبى فجلس فى بيته وسار اليهم محمد حتى نزلوا على حكمه فاذا كان ابن أبى لا ينصر حلفاءه ومن كان يمنعه من الناس ونحن لم نزل نضربه بسيوفنا مع الاوس فى حروبهم أى فانه اذا كان بين الاوس والخزرج حرب خرجت بنو قينقاع مع الخزرج وخرجت بنو النضير وقريظة مع الاوس فكيف يقبل قوله فقال حيى نأبى الا عداوة محمد والا قتاله قال سلام فهو والله جلاؤنا من ارضنا وذهاب أموالنا وشر فنا وسبى ذرارينا مع قتل مقاتلينا فابى حيى الا محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت له بنو النضير أمرنا لامرك تبع لن نخالفك فارسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما ذكر اه فتهيأ الناس لحربهم فلما اجتمع الناس خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم وحمل رايته على بن أبى طالب كرم الله وجهه وسار بالناس حتى نزل بهم وصلى العصر بفنائهم وقد تحصنوا وقاموا على حصنهم يرمون بالنبل والحجارة أى وفى كلام بعضهم انه صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه رضى الله عنهم بالمسير الى بنى النضير فسار بهم اليهم فوجدهم ينوحون على كعب بن الاشرف أى الآتى قتله فى السرايا قالوا يا محمد داعية الرداعية وباكية الرباكية ذرنا نبكى شجونا ثم ائتمر أمرك فقال صلى الله عليه وسلم اخرجوا من المدينة قالوا الموت أهون من ذلك ثم تبادروا بالحرب هذا كلامه قال ولما جاء وقت العشاء رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيته فى عشرة من أصحابه عليه الدرع وهو على فرس واستعمل على العسكر على بن أبى طالب ويقال أبا بكر وبات المسلمون

رضى الله عنه وقد ذكر جملة من المفسرين ان هذه الآية نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه رب أوزعنى ان أشكر نعمتك التى
انعمت على وعلى والدى وان أعمل صالحا ترضاه وأصلح لى فى ذريتى انى تبت اليك وانى من المسلمين أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن
ما عملوا ونتجاوز عن سيآتهم فى أصحاب الجنة وعد الصدق الذى كانوا يوعدون قال بعضهم لا يعرف فى الصحابة أربعة متناسلون
اسلموا وصحبوا النبى صلى الله عليه وسلم وكل واحد ابو الذى بعده الا فى بيت أبى بكر رضى الله عنه أبو قحافة وابنه أبو بكر
وابنه عبد الرحمن وابن عبد الرحمن
محمد ومن اثبت غير ذلك كزيد
ابن حارثة وأبيه حارثة أى فانه
أسلم وابنه اسامة بن زيد وابن
اسامة فقد نوزع فى ثبوت ان ابن
اسامة رآه النبى صلى الله عليه وسلم
فاما أبو بكر رضى الله عنه وأهل
بيته فمتفق على ثبوت ذلك فيهم
وبقى من الاصنام التى كانت على
الكعبة صنم لخزاعة كان فوق
الكعبة وكان من صفر وفى رواية
من نحاس موتدا باوتاد من حديد
الى الارض فامر النبى صلى الله
عليه وسلم عليا رضى الله عنه ان
يرميه فرمى به وكسره وجعل
أهل مكة يتعجبون وروى الحاكم
عن على رضى الله عنه قال انطلق
بى صلى الله عليه وسلم حتى أتى بى
الكعبة فقال اجلس فجلست الى
جنب الكعبة فصعد على منكبى
ثم قال انهض فنهضت فلما رأى
ضعفى تحته قال اجلس فجلست
ثم قال يا على اصعد على منكبى
ففعلت فلما نهض بى خيل لى انى
لو شئت نلت افق السماء فصعدت
فوق الكعبة وتنحى صلى الله عليه
وسلم فقال ألق صنمهم الاكبر
وعالجه قال فلم أزل اعالجه حتى
استمكنت منه فالقيته وقد أجاد
القائل

يحاصرونهم ويكبرون حتى أصبحوا ثم أذن بلال بالفجر فغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى أصحابه الذين كانوا معه فصلى بالناس وأمر بلالا فضرب القبة وهى قبة من خشب عليها
مسوح فدخل صلى الله عليه وسلم فيها وكان رجل من يهود يقال له غزول وكان أعسر راميا يبلغ
نبله ما لا يبلغه نبل غيره فوصل نبله تلك القبة فأمر بها فحولت وفى ليلة من الليالى فقد على رضى
الله تعالى عنه قرب العشاء فقال الناس يا رسول الله ما نرى عليا فقال دعوه أى اتركوه فانه
فى بعض شأنكم فعن قليل جاء برأس الرجل الذى يقال له غزول الذى وصل نبله قبته صلى الله
عليه وسلم كمن له على حين خرج يطلب غرة من المسلمين ومعه جماعة فشد عليه فقتله وفر من كان
معه فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع على أبا دجانة وسهل بن حنيف فى عشرة فأدركوا
أولئك الجماعة الذين كانوا مع غزول وفروا من على فقتلوهم انتهى وذكر بعضهم ان أولئك
الجماعة كانوا عشرة وانهم أنوابر وسهم فطرحت فى بعض الآبار وفى هذا رد على بعض الرافضة
حيث ادعى ان عليا هو القاتل لاولئك العشرة وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع النخل
أى وبحرقها بعد ان حاصرهم ست ليال وقيل خمسة عشر يوما أى وقيل عشرين ليلة وقيل
ثلاثا وعشرين ليلة وقيل خمسا وعشرين ليلة وكان سعد بن عبادة رضى الله تعالى عنه فى تلك
المدة يحمل التمر للمسلمين أى يجاء به من عنده قال واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على قطع
النخل أبا ليلى المازنى وعبد الله بن سلام وكان أبو ليلى يقطع البجوة وعبد الله يقطع اللين أى
ويقال له اللون وهو ما عدا البجوة والبرنى من أنواع التمر بالمدينة ومن أنواع تمر المدينة الصيحانى
وجاء عن على كرم الله تعالى وجهه قال خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فصاحت نخلة
بأخرى هذا النبى المصطفى وعلى المرتضى فقال صلى الله عليه وسلم يا على انما سمى نخل المدينة أى
هذا النوع صيحانيا لانه صاح بفضلى وهو حديث مطعون فيه قيل انه كذب والبرن بالفارسية
حمل مبارك اوجيد وفى شرح مسلم للنووى انها مائة وعشرون نوعا أى وفى تاريخ المدينة
الكبير للسيد السمهودى ان أنواع التمر بالمدينة التى امكن جمعها بلغت مائة وبضعا وثلاثين نوعا
ويوافقه قول بعضهم اختبرناها فوجدناها أكثر مما ذكره النووى قال ولعل ما زاد على ما ذكره
حدث بعد ذلك أى واما أنواع التمر بغير المدينة كالمغرب فلا تكاد تنحصر فقد نقل ان عالم فاس
محمد بن غازى ارسل الى عالم سلجماسة ابراهيم بن هلال يسأله عن حصر أنواع التمر بتلك البلدة
فارسل اليه حملا أو حملين من كل نوع تمرة واحدة وكتب اليه هذا ما تعلق به علم الفقير وان تعدوا
نعمة الله لا تحصوها ثم رأيت فى نشق الازهار ان بهذه البلدة رطبا يسمى البتونى وهو أخضر
اللون واحلى من عسل النحل ونواه فى غاية الصغر وكانت البجوة خير اموال بنى النضير أى
لانهم كانوا يقتاتونها وفى الحديث البجوة من الجنة وتمرها يغذى احسن غذاء أى وتقدم ان آدم
نزل بالبجوة من الجنة وفى البخارى من تصبح كل يوم على سبع تمرات عجوة لم يضره فى ذلك اليوم
سم ولا سحر أى وقد جاء فى عجوة العالية شفاء وانها ترياق اول البكرة من تصبح بسبع تمرات عجوة

يارب بالقدم التى أوطأتها * من قاب قوسين المحل الاعظما وبحرمة القدم التى جعلت لها * كتف المؤيد بالرسالة سلما
ثبت على متن الصراط تكرما * قدمى وكن لى منقذا ومسلما واجعلهما ذخرى فمن كانا له * ذخرا فليس يخاف قط جهنما

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة أبى أن يدخل البيت وفيه الآلهة أى بحسب زعمهم
وكانت تماثيل على صور شتى فامر بها فاخرجت وفى رواية أمر عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو بالبطحاء أن يأتى الكعبة

فيمحو كل صورة فيها فلم يدخلها حتى محيت الصور فكان عمر رضى الله عنه هو الذى أخرجها وأخرجوا صورة ابراهيم واسمعيل عليهما السلام فى أيديهما الازلام التى كانوا يستقسمون بها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلهم الله أما والله لقد علموا انهما لم يستقسما بها قط وفى رواية عن جابر رضى الله عنه وكان عمر رضى الله عنه قد ترك صورة ابراهيم عليه السلام فلما دخل صلى الله عليه وسلم رآها فقال يا عمر ألم آمرك ان لا تدع فيها صورة قاتلهم الله جعلوه شيخا يستقسم بالازلام ثم رأى صورة مريم فقال امسحوا ما فيها من الصورة قاتل الله قوما يصورون مالا يخلقون وفى رواية اسامة بن زيد رضى الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة فرأى صورا فدعا بماء فجعل يمحوها وهو محمول على انه بقيت بقية خفيت على من محاها أولا وذكر بعضهم ان صورة عيسى وامه بقيتا أو بقى بعض أثرهما حتى رآهما بعض من أسلم من نصارى غسان فقال انكما لبلاد عربية فلما هدم ابن الزبير رضى الله عنهما البيت ذهبا فلم يبق لهما أثر ثم نادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع فى بيته صنما الا كسره فكسروا الاصنام التى كانت فى بيوتهم وعمدت هند بنت عتبة رضى الله عنها الى صنم كان فى بيتها وجعلت تضربه وتقول كنا منك فى غرور ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم السرايا الى كسر الاصنام التى حول مكة لانهم كانوا اتخذوا لهم اصناما جعلوا لها بيوتا يعظمونها ويهدون لها ويطوفون بها كما يطوفون بالكعبة فكان فى كل حى صنم فمنها العزى ومناة وسواع وسيأتى ذكر السرايا اليها ولما كان الغد من يوم الفتح عدت خزاعة على رجل من هذيل فقتلوه وهو مشرك فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا بعد الظهر مسندا ظهره الى ابن الكعبة وقيل كان على راحلته فحمد الله وأثنى عليه وقال أيها الناس ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض ويوم خلق الشمس والقمر ووضع هذين الجبلين فهى حرام الى يوم القيامة فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر يسفك بها دما ولا يعضد فيها شجرة لم تحل لاحد كان قبلى ولم تحل لاحد يكون بعدى ولم تحل لى الا هذه الساعة يعنى من صبيحة يوم الفتح الى العصر غضبا على أهلها الا قد

لم يضره فى ذلك اليوم سم ولا سحر أى وفى كلام بعضهم العجوة ضرب من التمر أكبر من الصيحانى تضرب الى السواد وهو مما غرسه النبى صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة بالمدينة أى وقد علمت انها فى نخل بنى النضير وفى العرائس عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما هبط آدم من الجنة بثلاثة أشياء بالآسة وهى سيدة ريحان الدنيا والسنبلة وهى سيدة طعام الدنيا والعجوة وهى سيدة ثمار الدنيا وروى عن ابن عباس وعائشة وأبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان العجوة من غرس الجنة وفيها شفاء وانها ترياق اول البكرة وعليكم بالتمر البرنى فكلوه فانه يسبح فى شجره ويستغفر لآكله هذا كلام العرائس وفى حديث وفد عبد القيس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم ذلك وذكر البرنى أنه من خير تمركم وأنه دواء وليس بداء وجاء بيت لا تمر فيه جياع اهله قال ذلك مرتين ولما قطعت العجوة شق النساء الجيوب وضربن الخدود ودعون بالويل أى وذلك البعض الذى حرق كان يحل يعرف بالبويرة اه أى والبويرة تصغير بورة وهى هنا الحفرة ويقال لها البولة باللام بدل الراء وعند ذلك نادوه أى يا محمد وفى رواية يا أبا القاسم قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه فما بال قطع النخل وتحريقها أى وفى رواية ما هذا الفساد وفى لفظ قالوا يا محمد زعمت انك تريد الصلاح أفمن الصلاح قطع النخل وهل وجدت فيما زعمت أنه أنزل عليك الفساد فى الارض وقالوا للمؤمنين انكم تكرهون الفساد وأنتم تفسدون وحينئذ رفع فى نفوس بعض المسلمين من ذلك شئ فانزل الله تعالى ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فباذن الله وليخزى الفاسقين أى فى قولهم ان ذلك من الفساد قال بعضهم جميع ما قطعوا وحرقوا ست نخلات ولازال عبد الله ابن أبى ابن سلول يبعث لبنى النضير ان اثبتوا وتمنعوا فانكم ان قوتلتم قاتلنا معكم وان خرجتم خرجنا معكم أى ومعه على ذلك جمع من قومه فانتظروا ذلك فخذلهم ولم يحصل لهم منه شئ أى وجعل سلام بن مشكم وكنانة بن صوريا يقولان لحيى أين نصير ابن أبى الذى زعمت فيقول حيى ما اصنع هى ملحمة كتبت علينا ولزم رسول الله صلى الله عليه وسلم حصارهم وقذف الله فى قلوبهم الرعب فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجليهم ويكف عن دمائهم على ان لهم ما حملت الابل من أموالهم الا الحلقة أى آلة الحرب ففعل فاحتملوا النساء والصبيان وحملوا من أموالهم غير الحلقة ما استقلت به الابل وكانت ستمائة بعير فكان الرجل يهدم بيته عما استحسن من خشبه كبابه وكجاف به أى اسكفته ○ فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به أى وفى لفظ صار واينقضون العهد والسقوف وينزعون الخشب حتى الاوتاد وينقضون الجدران حتى لا يسكنها المسلمون حسدا وبغضا وفى رواية جعل المسلمون يهدمون ما يليهم من حصنهم ويهدم الآخرون ما يليهم قال وفى رواية انهم خرجوا مظهرين التجلد خرجت النساء على الهوادج وعليهن الديباج والحرير وقطف الخز الاخضر والاحمر وحلى الذهب والفضة وخلفهم القيان بالدفوف والمزامير ومنهم سلمى أم وهب وقال ابن اسحق أم عمر وصاحبة عروة

رجعت حرمتها اليوم كحرمتها بالامس فليبلغ الشاهد منكم الغائب فمن قال لكم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قاتل فيها فقولوا له ان الله تعالى قد أحلها لرسوله صلى الله عليه وسلم ولم يحلها لكم وقد جاء فى صحيح مسلم لا يحل أن يحمل السلاح بمكة يا معشر خزاعة ارفعوا أيديكم عن القتل فقد كثر القتل فمن قتل بعد مقامى هذا فأهله بخير النظرين ان شاؤا فدم قاتله وان شاؤا فعقله ثم ودى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل الذى قتلته خزاعة وهو ابن الاقرع الذهلى ٢٩٥ وكان مع بنى بكر فلما دخل مكة وهو على شركه عرفته خزاعة فأحاطوا به فطعنه منهم خراش الخزاعى بشقص فى بطنه حتى قتله فلامه صلى الله عليه وسلم وقال لو كنت قاتلا مسلما بكافر لقتلت خراش والشقص ما طال من النصل وعرض وقال صلى الله عليه وسلم يوم الفتح لا تغزى مكة بعد اليوم الى يوم القيامة أى لا تغزى على الكفر أى لا يقاتلوا على أن يسلموا واختلف العلماء رحمهم الله هل فتحت مكة صلحا أو عنوة فقال الاكثرون انها فتحت عنوة وقال الشافعى وأحمد فى رواية عنه انها فتحت صلحا وجمع بعضهم بين الروايات بان أعلاها فتح صلحا أى الذى سلكه النبى صلى الله عليه وسلم وأسفلها فتح عنوة أى الذى سلكه خالد بن الوليد رضى الله عنه ولما قرب صلى الله عليه وسلم من دخول مكة أى قبل أن يدخلها بيوم قال له اسامة بن زيد رضى الله عنهما يا رسول الله أين تنزل غدا زاد فى رواية أتنزل فى دارك فقال له النبى صلى الله عليه وسلم وهل ترك لنا عقيل من منزل وفى رواية وهل ترك لنا عقيل من رباع أو دور وكان عقيل ورث أبا طالب هو وأخوه طالب ولم يرث جعفر ولا على معهما شيأ لانهما كانا مسلمين وترك لهما النبى صلى الله عليه وسلم

ابن الورد الذى قيل فيه من قال ان حاتما أسمح العرب فقد ظلم عروة بن الورد أغار عروة على قومها فسباها ثم اتخذها حليلة له فجاءت منه بأولاد ثم ان بعض بنى النضير اشتراها من عروة بعد ان سقاه الخمر ثم لما أفاق ندم ثم اتفق هو ومن اشتراها على أن تكون عند من تختاره فخيرها فاختارت من اشتراها وقيل ان قومها جاؤا اليه بفدائها فخيرها وكان لا يظن أن تختار عليه أحدا فاختارت قومها فندم وعند مفارقتها له قالت له والله ما علمت امرأة من العرب أرخت ستراء على بعل مثلك أغض طرفا ولا أندى كفا ولا أغنى غناء وانك لرفيع العماد كثير الرماد خفيف على ظهور الخيل ثقيل على متون الاعداء واحنى الاهل والجار وما كنت لاوثر عليك اهلى لولا انى كنت أسمع بنات عمك يقلن قالت أم عروة وفعلت أم عروة فاجد من ذلك الموت والله لا يجامع وجهى وجه احد من أهلك فاستوص ببنيك خيرا ثم تزوجت فى بنى النضير وشقوا سوق المدينة وصف لهم الناس فجعلوا يمرون قطارا فى اثر قطار وان سلام بن ابى الحقيق رافع جلد جمل أى اوثر أو حمار ملوء حليا وينادى باعلى صوته هذا أعددناه لرفع الارض وخفضها وان كنا تركنا نخلا ففى خيبر النخل وحزن المنافقون لخروجهم اشد الحزن انتهى وهذا الحلى كانوا يعيرونه للعرب من أهل مكة وغيرهم وكان يكون عند آل أبى الحقيق وسيأتى فى غزوة خيبر انه صلى الله عليه وسلم عبر عن هذا الحلى بالآنية والكنز وانه كان سبب القتل ولدى ابى الحقيق لما كتماه عنه صلى الله عليه وسلم فمنهم من سار الى خيبر أى ومن جملة هؤلاء اكابرهم حيى بن أخطب وسلام بن أبى الحقيق وكنانة بن أبى الربيع بن أبى الحقيق فلما نزلوا خيبر دان لهم اهلها ومنهم من سار الى الشام أى الى اذرعات وكان فيهم جماعة من ابناء الانصار لان المرأة من الانصار كان اذا لم يعش لها ولد تجعل على نفسها ان عاش لها ولد تهوده فلما أجليت بنو النضير قال آباؤنا أولئك لا ندع ابناءنا وأنزل الله تعالى لا اكراه فى الدين وهى مخصوصة بهؤلاء الذين تهودوا قبل الاسلام والا فاكراه الكفار الحربيين على الاسلام سائغ ولم يسلم من بنى النضير الا رجلان أى وهما يامين بن عمير وأبو سعد بن وهب قال أحدهما لصاحبه والله انك لتعلم انه رسول الله فما ننتظر أن نسلم فنأمن على دمائنا وأموالنا فنزلا من الليل واسلما ٥ فأحرزوا أموالهما أى وجعل يامين لرجل من قيس جعلا أى وهو عشرة دنانير وقيل خمسة أوسق من تمر على قتل عمرو بن جحاش الذى أراد أن يلقى الحجر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتله غيلة أى بعد ان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليامين ألم ترما لقيت من ابن عمك وما هم به من شأنى فسر بذلك النبى صلى الله عليه وسلم ونزل فى أمر بنى النضير سورة الحشر ولذلك كان يسميها ابن عباس رضى الله عنهما سورة بنى النضير كما فى البخارى وفى كلام السبكى رحمه الله لم يختلفوا ان سورة الحشر نزلت فى بنى النضير وقد أشار لقصتهم صاحب الهمزية بقوله

خدعوا بالمنافقين وهل ينـ*ـفق الا على السفيه الشقاء
ونهيم وما انتهت عنه قوم * فابيد الامار والنهاء

ما خصه تفضلا واستمالة وتأليفا لهما وقيل تصحيحا لتصرفات الجاهلية كما تصح أنكحتهم ثم ان عقيلا أسلم وأما طالب ففقد ببدر وكان مع المشركين وقيل اختطفته الجن وفى رواية للبخارى قال صلى الله عليه وسلم منزلنا ان شاء الله اذا فتح الله مكة الخيف وفى رواية بخيف بنى كنانة حيث تقاسموا على الكفر يعنى به المحصب وذلك ان قريشا وكنانة تحالفت على بنى هاشم وبنى المطلب أن لا يناكحوهم ولا يبايعوهم حتى يسلموا اليهم النبى صلى الله عليه وسلم كما تقدم وانما اختار صلى الله عليه وسلم النزول فى ذلك الموضع ليتذكر

ما كانوا فيه فيشكر الله على ما أنعم به عليه من الفتح العظيم وتمكنه من دخول مكة ظاهرا غالبا على رغم من سعى فى اخراجه منها ومبالغة فى الصفح عن الذين أساؤا ومقابلتهم بالمن والاحسان ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وعن جابر رضى الله عنه قال لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بيوت مكة وقف فحمد الله وأثنى عليه ونظر الى موضع قبته أى التى ضربت له بعد وقال هذا منزلنا ياجابر حيث تقاسمت قريش علينا ٢٩٦ قال جابر رضى الله عنه فذكرت حديثا كنت سمعته منه قبل ذلك بالمدينة منزلنا اذا فتح الله علينا مكة فى خيف بنى كنانة حيث تقاسموا على الكفر وقال ذلك أيضا صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع فعن أبى هريرة رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال يوم النحر وهو بمنى نحن نازلون غدا بخيف بنى كنانة حيث تقاسموا على الكفر يعنى بذلك المحصب وبعد ان فتح الله مكة جاء صلى الله عليه وسلم الى الصفا حيث ينظر الى البيت ورفع يديه وقام يدعو ويذكر الله بما شاء وقد أحدقت به الانصار فقال بعضهم لبعض أما الرجل فقد أدركته رغبة فى قريته ورأفة بعشيرته فنزل عليه الوحى بما ذكر القوم فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه وقال يامعشر الانصار قلتم أما الرجل فقد أدركته رغبة فى قريته ورأفة بعشيرته قالوا قد قلنا ذلك يارسول الله قال فما اسمى اذن ان فعلت ذلك كيف اسمى وأوصف بانى عبد الله ورسوله كلا لا أفعل ذلك انى عبد الله ورسوله أى من كان هذا وصفه لا يفعل ذلك هاجرت الى الله واليكم فالمحيا محياكم والممات مماتكم فاقبلوا اليه يكون ويقولون والله ما قلنا الذى قلنا الا الضن أى البخل بالله ورسوله أى لانسح أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غير بلدتنا يعنون المدينة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الله ورسوله يعذرانكم أى يقبلان عذركم ويصدقانكم وفى رواية وايثارهم ان الانصار قالوا فيما بينهم أترون رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها فلما فرغ من دعائه قال ماذا قلتم قالوا لاشئ يارسول الله فلم يزل بهم حتى أخبروه فقال النبى صلى الله عليه وسلم معاذ الله المحيا محياكم والممات مماتكم وتقدم له صلى الله عليه وسلم فى بيعة العقبة نظير ذلك وهو ان الانصار قالوا يارسول الله هل عسيت ان نصرناك وأظهرك الله أن ترجع الى قومك

أسلموهم لاول الحشر لا ميعادهم صادق ولا الايلاء
سكن الرعب والخراب قلوبا * وبيوتا منهم نعاها الجلاء

اى وخدعهم قول المنافقين انهم يكونون معهم وينصرونهم على النبى صلى الله عليه وسلم وما يروج الشقاء الاعلى السفيه والمراد بالمنافقين عبد الله بن أبى ابن سلول ومن كان معه على النفاق لانه كما تقدم لازال يرسل لهم ان ثبتوا وتمنعوا فانكم ان قوتلتم قاتلنا معكم وان خرجتم خرجنا معكم ونهاهم عن موافقته سلام بن مشكم فلم ينتهوا أولئك المنافقون لاول الحشر وهو أى الحشر جلاؤهم وخروجهم من ديارهم فيعادهم لهم بأن ينصروهم على النبى صلى الله عليه وسلم غير صادق وكذا حلفهم لهم على ذلك غير صادق أيضا ذكر موسى بن عقبة انهم كانوا من سبط لم يصبهم جلاء قبلها فلذلك قال لاول الحشر والحشر الجلاء وقيل المراد بالحشر ارض المحشر فانهم قالوا الى أين نخرج يامحمد قال الى الحشر يعنى أرض المحشر والحشر الثانى هو حشر النار التى تخرج من قعر عدن فتحشر الناس الى الموقف وقيل الحشر الثانى لهم كان على يد سيدنا عمر رضى الله عنه اجلاهم من خيبر الى تيماء واريحاء وسيأتى ذكره وسكن الرعب وهو خشية انتقامه صلى الله عليه وسلم منهم قلوبهم وسكن الخراب بيوتهم وقد أخبر تلك البيوت بموت أهلها اخر وجههم وجلاؤهم من أرضهم وأنزل الله تعالى ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب وهم بنو النضير لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أى فى خذلانكم أحدا أبدا وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم مثلهم كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برىء منك انى أخاف الله رب العالمين ووجد صلى الله عليه وسلم من الحلقة أى آلة السلاح خمسين درعا وخمسين بيضة وثلثمائة وأربعين سيفا ولم يخمس ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم أى كما خمس أموال بنى قينقاع قال وقد قال له عمر رضى الله تعالى عنه يارسول الله الا تخمس ما أصبت أى كما فعلت فى بنى قينقاع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أجعل شيأ جعله الله لى دون المؤمنين بقوله تعالى ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى الآية كهيئة ما وقع فيه السهمان ○ أى فكان أموال بنى النضير وعقارهم فيأ لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة وتقدم التنبيه على ذلك فى غزوة بنى قينقاع وفسرت القرى بالصفراء ووادى القرى أى ثلث ذلك كما فى الامتاع وينبع وفسرت القرى ببنى النضير وخيبر أى بثلاث حصون منها وهى الكتيبة والوطيح وسلالم كما فى الامتاع وفدك أى نصفها كما فى الامتاع ذكره الرافعى فى شرح مسند امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه (أقول) قال بعضهم وهذا أول فىء حصل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويرده ما تقدم فى غزوة بنى قينقاع الا ان يقال المراد أول فىء اختص به صلى الله عليه وسلم ولم يقسمه قسمة الغنيمة على ما تقدم ثم دعا الانصار الاوس والخزرج فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم ذكر الانصار وما صنعوا بالمهاجرين من انزالهم فى منازلهم

وايثارهم على أنفسهم باموالهم ثم قال بل الدم الدم والهدم الهدم واستقرض صلى الله عليه وسلم من ثلاثة نفر من قريش أخذ من صفوان بن أمية قبل أن يسلم خمسين ألف درهم ومن عبد الله بن أبي ربيعة أربعين ألف درهم ومن حويطب بن عبد العزى اربعين ألف درهم فرقها فى أصحابه من أهل الضعف ثم وفاها مما غنمه من هوازن وأقام صلى الله عليه وسلم بمكة بعد فتحها تسعة عشر وقيل ثمانية عشر يوما واعتمده البخارى يقصر الصلاة فى مدة اقامته بها لانه كان يترقب المسير الى حرب هوازن لسماعه بتجهزهم لمحاربته وولى مكة عتاب بن أسيد بن أبي العيص ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وكان عمره احدى وعشرين سنة وفى رواية ان عمره كان ثمانى عشرة سنة وجعل معه معاذ بن جبل رضى الله عنه يعلم الناس الفرائض والسنن وجعل رزق عتاب كل يوم درهما فكان رضى الله عنه يقول لا أشبع الله بطنا جاع على درهم كل يوم وفى رواية انه خطب الناس فقال أيها الناس أجاع الله كبد من جاع على درهم فقدر رزقى رسول الله صلى الله عليه وسلم كل يوم درهما فلا حاجة لى الى أحد وبقى على عمله الى آخر خلافة الصديق رضى الله عنه وتوفى فى اليوم الذى توفى فيه الصديق رضى الله عنه وقيل بل استعمله عمر رضى الله عنه وعاش الى سنة احدى وعشرين وكانت وفاته فى خلافة عمر رضى الله عنه وانما استعمله النبى صلى الله عليه وسلم لانه صلى الله عليه وسلم كان رأى فى المنام ان أسيدا والده ولى على مكة مسلما فمات كافرا فكان تأويل تلك الرؤيا ولاية ولده عتاب رضى الله عنه حين أسلم وكان رضى الله عنه من فضلاء الصحابة وعبادهم وجاء انه صلى الله عليه وسلم لما ولاه قال له انطلق فقد

وايثارهم على أنفسهم باموالهم ثم قال لهم ان اخوانكم المهاجرين ليس لهم أموال فان شئتم قسمت هذه الاموال أى التى أفاء الله على وخصنى بها مع أموالكم بينكم جميعا وان شئتم أمسكتم أموالكم وقسمت هذه فيهم خاصة فقالوا بل اقسم هذه فيهم واقسم لهم من أموالنا ماشئت وفى رواية ان أحببتم قسمت بينكم وبين المهاجرين ما أفاء الله على من بنى النضير وكان المهاجرون على ماهم عليه من السكنى فى منازلكم وأموالكم أى الارض والنخل لانه لما قدم المهاجرون من مكة الى المدينة قدموا وليس بأيديهم شئ وكان الانصار أهل الارض والعقار أى النخل فآثروهم بمتاع من أشجارهم فمنهم من قبلها منيحة محضة ويكفونه العمل ومنهم من قبلها بشرط ان يعمل فى الشجر والارض وله نصف الثمار ولم تطب نفسه ان يقبلها منيحة محضة لشرف نفوسهم وكراهتهم ان يكونوا كلا وان أحببتم اعطيتهم أى وخرجوا من دوركم أى واموالكم فتكلم سعد بن عبادة وسعد بن معاذ فقالا يارسول الله بل تقسم بين المهاجرين ويكونون فى دورنا كما كانوا بل نحب ان تقسم ديارنا وأموالنا على المهاجرين الذين تركوا ديارهم واموالهم وعشائرهم وخرجوا حبا لله ولرسوله ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها ونادت الانصار رضينا وسلمنا يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم الانصار وابناء الانصار زاد فى رواية وأبناء ابناء الانصار وقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه جزاكم الله يامعشر الانصار خيرا أى وأنزل الله تعالى فيهم ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة أى ولو كان بهم فاقة وحاجة الى مايؤثرون به فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك بين المهاجرين أى وفى كلام بعضهم أنه صلى الله عليه وسلم لم يعم المهاجرين ولم يعط أحدا من الانصار الا رجلين كانا محتاجين أى وهما سهل بن حنيف وأبو دجانة رضى الله عنهما وبعضهم ضم اليهما ثالثا وهو الحرث بن الصمة ونظر فيه بعضهم بانه قتل فى بئر معونة واعطى صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ سيف بن أبى الحقيق أحد سادات بنى النضير وكان سيفا له ذكر عندهم وكان صلى الله عليه وسلم يزرع أرضهم التى تحت النخل فيدخر من ذلك قوت أهله سنة وما فضل يجعله فى الكراع أى الخيل والسلاح عدة فى سبيل الله تعالى (أقول) فيه تصريح بانه لم يقسم الارض ويحتمل ان المراد بقوله كان يزرع ارضهم التى تحت النخل أى بعض أرضهم ويدل له مايأتى ولم أقف على كيفية زرعه صلى الله عليه وسلم للارض من مزارعة أو غيرها وفى الخصائص الكبرى عن رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قال كان نخل بنى النضير لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة اعطاه الله تعالى اياه وخصه بها فأعطى اكثرها المهاجرين وقسمها بينهم وقسم منها لرجلين من الانصار وهذا السياق يدل على ان مراده بنخل بنى النضير اموالهم كما تقدم فى الروايات لا خصوص النخل ثم رأيت فى عبارة بعضهم واكثر الروايات على ان اموال بنى النضير أى من مواشيهم كالخيل ومزارعهم وعقارهم حق لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة له خصه الله تعالى بها لم يخمسها ولم يسهم منها لاحد وأعطى منها ما أراد ووهب العقار للناس وأعطى أبا بكر

---

٣٨ سيره ثانى استعملتك على أهل الله قال ذلك ثلاثا وفى رواية قال له يا عتاب أتدرى على من استعملتك على أهل الله فاستوص بهم خيرا يقول ذلك ثلاث مرات فكان عتاب رضى الله عنه شديدا على المريب لينا على المؤمن وقال والله لا أعلم متخلفا يتخلف عن الصلاة فى جماعة الا ضربت عنقه فانه لا يتخلف عن الصلاة لا منافق فقال أهل مكة يارسول الله لقد استعملت على أهل مكة عتاب بن أسيد اعرابيا جافيا فقال صلى الله عليه وسلم انى رأيت فيما يرى النائم كأن عتاب بن أسيد أتى باب الجنة فأخذ بحلق الباب

فقلقلها قلقالا شديدا حتى فتح له فدخلها فأعز الله به الاسلام لنصرته للمسلمين على من يريد ظلمهم قال ابن الجوزى انما استعمل صلى الله عليه وسلم عتابا حين أراد الخروج الى حرب هوازن وفى كلام غيره ان ذلك كان بعد غزوة الطائف وعمرة الجعرانة حين أراد صلى الله عليه وسلم الذهاب الى المدينة ولا تخالف لاحتمال أن يراد انه أبقاه على ذلك حين أراد الرجوع الى المدينة وكان لعتاب رضى الله عنه ولد اسمه عبد الرحمن يقال له يعسوب ٢٩٨ قريش حضر وقعة الجمل مع على رضى الله عنه فقتل واحتمل نسر يده وألقاها بمكة فعرفوها بخاتمه فجهزوها وصلوا عليها ودفنوها والكلام على هذه الغزوة الشريفة يطول وفيما ذكر كفاية والله سبحانه وتعالى أعلم وقد أشار الامام البوصيرى لبعض ما وقع فيها فقال

صرعت قومه حبائل بغى
مدها المكرم منهم والدهاء
فأتتهم خيل الى الحرب تختال
ل وللخيل فى الوغى خيلاء
قصدت منهم القنا فقوافى الـ
طعن منها ما شأنه الايطاء
وأثارت بأرض مكة نقعا
ظن أن الغدو منها عشاء
أحجمت عنده الحجون وأكدى
دون اعطائه القليل كداء
ودهت أوجها بها وبيوتا
مل منها الاكفاء والافواء
فدعوا أحلم البرية والعفـ
ـو جواب الحليم والاغضاء
ناشدوه القربى التى من قريش
قطعتها الترات والشحناء
فعفا عفو قادر لم ينغصـ
ـه عليهم بما مضى اغراء
واذا كان القطع والوصل لله
تساوى التقريب والاقصاء
وسواء عليه فيما أتاه
من سواه الملام والاطراء
ولو آن انتقامه لهوى النفـ
ـس لدامت قطيعة وجفاء
قام لله فى الامور فارضى الله
منه تباين ووفاء
فعله كله جميل وهل ينـ
ـضح الا بما حواه الاناء

وقد أجاد العلامة أبو محمد عبد الله بن أبى زكريا يحيى بن على الشقراطسى حيث يقول فى قصيدته المشهورة بعد ما ساق قصة بدر أتبعها بثمانية وعشرين بيتا فى قصة الفتح لانهما كانتا عظيمتين فبدر أول مشهد نصر الله رسوله صلى الله عليه وسلم فيه وهذه يوم استيلائه على مكة التى هى من أشرف البقاع ويوم عزه فى بلاده التى أوذى فيها ودخل الناس فى دين الله أفواجا فقال

ويوم مكة اذ أشرفت فى أمم * تضيق عنها فجاج الوعث والسهل
خوافق ضاق ذرع الخافقين بها * فى قاتم من عجاج الخيل والابل

وعمرو عبد الرحمن بن عوف وصهيبا وأبا سلمة بن عبد الاسد ضياعا معروفة من ضياع بنى النضير ولعل المراد بالضياع الاراضى ويدل لذلك ما فى البخارى اقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير ارضا من اراضى بنى النضير كما ان ذلك هو المراد بقول الامتاع وكانت بنو النضير من صفايا رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلها حبسا لنوائبه وكان صلى الله عليه وسلم ينفق على أهله منها وكانت صدقاته منها وقد يقال لا منافاة لانه يجوز ان يكون اعطى بعض اراض وأبقى بعضها يزرع له صلى الله عليه وسلم ولما اعطى المهاجرين امرهم برد ما كان للانصار لاستغنائهم عنهم ولانهم لم يكونوا ملكوهم ذلك وانما كانوا دفعوا لهم تلك النخيل لينتفعوا بثمرها وظنت أم أيمن ان ذلك ملك لها فامتنعت من رده أى لان أم أنس كانت اعطته صلى الله عليه وسلم نخلات فأعطاها رسول الله صلى الله عليه وسلم أم أيمن ولم ينكر عليها ذلك تطييبا لقلبها لكونها حاضنته وصار يعطيها وهى تمتنع من رده الى ان أعطاها عشرة أمثاله أو قريبا من ذلك وذكر هذا فى بنى النضير يخالف ما فى مسلم ان ذلك كان عند فتح خيبر حيث ذكر انه صلى الله عليه وسلم لما فرغ من قتال أهل خيبر وانصرف الى المدينة رد المهاجرون الى الانصار منائحهم التى كانوا منحوهم من ثمارها وذكر قصة أم أيمن فليتأمل والله أعلم

﴿غزوة ذات الرقاع﴾

أى وتسمى غزوة الاعاجيب أى لما وقع فيها من الامور العجيبة وغزوة محارب وغزوة بنى ثعلبة وغزوة بنى انمار عن ابن اسحق رحمه الله ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد غزوة بنى النضير شهر ربيع الاول وقال غيره شهرى ربيع وبعض جمادى ثم غزا نجدا يريد بنى محارب وبنى ثعلبة حين بلغه صلى الله عليه وسلم انهم جمعوا الجموع أى من غطفان لمحاربته فخرج صلى الله عليه وسلم فى أربعمائة من أصحابه رضى الله عنهم أى وقيل سبعمائة وقيل ثمانمائة ٥ أى واحتج البخارى رحمه الله على ان هذه الغزاة كانت بعد خيبر بما رواه عن أبى موسى رضى الله عنه مما يدل على ان أبا موسى شهد غزاة ذات الرقاع وهو خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة نفر بيننا بعير فنقبت أقدامنا نقبت قدماى وسقطت أظفارى فكنا نلف على أرجلنا الخرق فسميت غزاة ذات الرقاع واذا ثبت ان أبا موسى شهد غزاة ذات الرقاع وثبت انه لم يجئ اليه صلى الله عليه وسلم من الحبشة الا بخيبر لزم أن تكون غزوة ذات الرقاع بعد خيبر الا ان يدعى تعدد غزوة ذات الرقاع مرتين وانها كانت قبل خيبر وبعدها والتى وجدت فيها صلاة الخوف هى الثانية أى والسبب فى تسميتها ذات الرقاع ما تقدم عن أبى موسى رضى الله عنه وحيث كانت بعد خيبر يلزم أن تكون بعد الخندق لقول الحافظ ابن حجر رحمه الله صلاة الخوف فى غزوة الخندق لم تكن شرعت أى لانها لو كانت شرعت لصلاها صلى الله عليه وسلم ولم يؤخر الصلاة كما سيأتى وسيأتى الجواب عن ذلك وقد ذكرها الشمس الشامى رحمه الله تعالى بعد خيبر والاصل لم يذكر ما تقدم عن البخارى بل رواه بالمعنى فقال روينا فى صحيح البخارى من حديث

أبي موسى رضي الله عنه انهم نقبت أقدامهم فلفوا عليها الخرق فسميت غزوة ذات الرقاع قال وجعله أي البخاري حديث أبي موسى هذا حجة على ان غزوة ذات الرقاع متأخرة عن خيبر لان أبا موسى انما قدم في خيبر لا دلالة فيه على ذلك أي لانه يجوز أن يكون قول أبي موسى رضي الله عنه انهم نقبت أقدامهم يعني الصحابة فيكون هذا مما رواه أبو موسى عمن شاهد الوقعة من الصحابة وفيه ان هذا لا يأتي مع قول البخاري عن أبي موسى فنقبت قدماي وسقطت أظفاري اذ هو صريح في ان أبا موسى رضي الله عنه حضرها والاصل تبع في تقديمها على خيبر شيخه الدمياطي وتابعه أيضا في رواية ما تقدم عن البخاري بالمعنى ونظر الدمياطي في رواية أبي موسى أي التي في البخاري التي رواها عنه بالمعنى بانها مخالفة لما عليه أهل المغازي من تقديمها على خيبر قال الحافظ ابن حجر وادعى الدمياطي غلط الحديث الصحيح وان جميع أهل السير على خلافه والاعتماد على ما في الصحيح أي من تأخيرها عن خيبر أولى لان أصحاب المغازي مختلفون في زمانها قال والبخاري مع روايته عن أبي موسى الصريحة في تأخر غزوة ذات الرقاع عن غزوة خيبر قدم غزوة ذات الرقاع على خيبر قال ولا أدري هل تعمد ذلك تسليما لاصحاب المغازي انها كانت قبل خيبر او ان ذلك من الرواة عنه أو اشارة الى احتمال أن تكون ذات الرقاع اسما لغزوتين مختلفتين أي واحدة قبل خيبر والثانية بعدها كما قدمناه أي وقدمنا ان سبب التسمية في الثانية ماذكر عن أبي موسى رضي الله عنه وأما في الاولى فأحد الاسباب الآتية قال في الامتاع وقد قال بعض من أرخ ان غزوة ذات الرقاع أكثر من مرة فواحدة كانت قبل الخندق وأخرى بعدها أي وبعد خيبر ولما غزا صلى الله عليه وسلم استخلف على المدينة أبا ذر الغفاري وقيل عثمان بن عفان رضي الله عنه قال ابن عبد البر وعليه الاكثر أي وقد نظر في الاول بان أبا ذر رضي الله عنه لما أسلم بمكة رجع الى بلاد قومه فلم يجئ حتى مضت بدر وأحد والخندق ﴿أقول﴾ وهذا النظر بناء على انها كانت قبل الخندق وأما على انها كانت بعد الخندق وبعد خيبر فلا يتأتى هذا النظر والله أعلم وسار صلى الله عليه وسلم حتى بلغ نجدا فلم يجد بها أحدا ووجد نسوة فأخذهن وفيهن جارية وضيئة ثم لقي جمعا فتقارب الجمعان ولم يكن بينهما حرب وقد خاف بعضهم بعضا أي خاف المسلمون أن تغير المشركون عليهم وهم غارون أي غافلون حتى صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس صلاة الخوف وكانت أول صلاة للخوف صلاها قال وفي رواية حانت صلاة الظهر فصلاها صلى الله عليه وسلم باصحابه فهم بهم المشركون فقال قائلهم دعوهم فان لهم صلاة بعد هذه هي أحب اليهم من أبنائهم أي وهي صلاة العصر فنزل جبريل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فصلى صلاة العصر صلاة الخوف اه ﴿أقول﴾ سيأتي هذا كله بعينه في غزوة الحديبية التي هي صلاة الخوف بعسفان ولا مانع من تعدد ذلك ويحتمل انه من الاشتباه على بعض الرواة والله أعلم وكان العدو في غير جهة القبلة ففرقهم فرقتين فرقة وقفت في وجه العدو وفرقة صلى بها ركعة

ثم تحفل قذف الارجاء ذي لجب * عرمرم كزهاء السيل منسحل
بنير فوق أغر الوجه منتجب * متوج بعزيز النصر مقتبل
خشعت تحت بهاء العز حين سمت * بك المهابة فعل الخاضع الوجل
والارض ترجف من زهو ومن فرق * والجو يزهر اشراقا من الجذل

وأنت صلى عليك الله تقدمهم * في بهو اشراق نور منك مكتمل
يسمو أمام جنود الله مرتديا * ثوب الوقار لامر الله ممتثل
وقد تباشر أملاك السماء بما * ملكت اذ نلت منه غاية الامل
والخيل تختال زهوا في أعنتها * والعيس تنثال رهوا في ثنى الجدل

لولا الذي خطت الاقلام من قدر * وسابق من قضاء غير ذي حول
أهل تهلان بالتهليل من طرب * وذاب يذبل تهليلا من الذبل
الملك لله هذا عز من عقدت * له النبوة فوق العرش في الازل
شعبت صدع قريش بعد ما قذفت * بهم شعوب شعاب السهل والقلل
قالوا محمد قد زادت كتائبه * كلا سد ترأرى أنيابها العصل
فويل مكة من آثار وطأته * وويل أم قريش من جوى الهبل
فجدت عفوا بفضل العفو منك ولم * تلم ولا باليم اللوم والعذل
أضربت بالصفح صفحا عن طوائلهم * طولا أطال مقيل النوم في المقل
رحمت واسبح أرحام اتيح لها * تحت الوشيج نشيج الروع والوجل
عاذوا بظل كريم العفو ذي لطف * مبارك الوجه بالتوفيق مشتمل
أزكى الخليقة أخلاقا وأطهرها * وأكرم الناس صفحا عن ذوي الزلل
زان الخشوع وقار منه في خفر * أرق من خفر العذراء في الكلل
وطفت بالبيت محبورا وطاف به * من كان عنه قبيل الفتح في شغل
والكفر في ظلمات الرجس مرتكس * تاو بمنزلة البهموت من زحل
حجزت بالامن أقطار الحجاز معا * وملت بالخوف عن حيف وعن طلل
وحل آمن ويمن منك في يمن * لما أجابت الى الايمان عن عجل
وأصبح الدين قد حفت جوانبه * بعزة النصر واستولى على الملل
قد طاع منصرف منهم لمعترف * وانقاد منعدل منهم لمعتدل
أحببت بخلة أهل الحق في الخلل * وعز دولته الغراء في الدول

﴿هدم العزى وتعرف بسرية خالد بن الوليد سيف الله الذي صبه على الكفار﴾ وكانت عقب فتح مكة بخمس ليال بعث صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد رضي الله عنه الى العزى ومعه ثلاثون فارسا ليهدمها واختلف في المراد من العزى فقيل هي شجرة وقيل صنم

وضعه سعد بن ظالم الغطفانى لما قدم مكة ورأى أهلها يطوفون بين الصفا والمروة فأخذ من كل حجرا ونقلهما الى نخلة وهو موضع على ليلة من مكة وكانت العزى لقريش وجميع بنى كنانة وحجابها بنى شيبان من بنى سليم وكانوا احلفاء بنى هاشم وكانت أعظم أصنامهم وذلك ان عمرو بن لحى لعنه الله قال لهم ان الرب يشتى عند اللات ويصيف عند العزى فعظموها وبنوا لها بيتا وكانوا يهدون لها كما يهدون للكعبة ويعظمونها ٣٠٠ كتعظيمها ويطوفون وينحرون عندها ومع ذلك يعرفون فضل الكعبة عليها لانها بيت ابراهيم عليه السلام ومسجده قال ابن اسحق فلما سمع سادن العزى بسير خالد اليه علق سيفه واستند فى الجبل الذى هى فيه وهو يقول

اياعز شدى شدة لاسوى لها
على خالد ألقى القناع وشمرى
اياعز ان لم تقتلى المرء خالدا
فبوئى باثم عاجل أو تنصرى

فلما انتهوا اليها هدموا البيت التى هى فيه وكان على ثلاث سمرات فقطعها خالد رضى الله عنه وهدم البيت وكسر الصنم ثم رجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فأخبره فقال هل رأيت شيأ خرج منها حين هدمتها قال لا قال فانك لم تهدمها أى الهدم الابدى المزيل لها حقيقة فان الذى فعلته هو ازالة الصورة الظاهرة وبقى أمر خفى لا تزول الا بزواله فارجع اليها فاهدمها فرجع خالد رضى الله عنه وهو متغيظ فجرد سيفه فخرجت اليه امرأة عجوز عريانة سوداء ثائرة الرأس تحثو التراب على رأسها ووجهها فجعل السادن يصيح بها وهو يقول

ياعز خبليه * ياعز عوريه
ولا تموتى برغم فضربها خالد رضى الله عنه وهو يقول

ياعز كفرانك لا سبحانك
انى رأيت الله قد أهانك

فجزلها أى قطعها اثنتين وفى رواية فضرب الشجرة بالفأس فقلعها فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية ويلها تعالى واضعة يدها على رأسها فضربها فقطعها اثنتين ورجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال نعم تلك العزى وقد يئست ان تعبد ببلادكم أبدا ﴿هدم سواع وهى سرية عمرو بن العاص رضى الله عنه﴾ الى هدم سواع وهو صنم لهذيل على ثلاثة أميال من مكة وكان بعثه فى رمضان أيضا بعد الفتح قال ابن جرير سواع بن شيث بن آدم لما مات صورت صورته وعظمت لموضعه من الدين ولما عهد را

ثم عند قيامه للثانية فارقته وأتمت بقية صلاتها ثم جاءت ووقفت فى وجه العدو وجاءت تلك الفرقة التى كانت فى وجه العدو واقتدت به فى ثانيته فصلى بها ركعة ثم قام وهو فى جلوس التشهد وأتمت بقية صلاتها ولحقته فى جلوس التشهد وسلم بها وهذه الكيفية فى ذات الرقاع رواها الشيخان ونزل بها القرآن وهو قوله تعالى واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة الآية أى وفى كلام بعضهم فصلى بهم النبى صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف صلى بطائفة ركعتين وبالاخرى أخريين وسيأتى ان هذه صلاته صلى الله عليه وسلم ببطن نخل وفى الخصائص الكبرى وخص صلى الله عليه وسلم بصلاة الخوف فلم تشرع لاحد من الامم قبلنا وبصلاة شدة الخوف عند التحام القتال أى وفى هذه الغزوة نزل صلى الله عليه وسلم ليلا وكانت تلك الليلة ذات ريح وكان نزوله صلى الله عليه وسلم فى شعب استقبله فقال من رجل يكلؤنا أى يحفظنا هذه الليلة فقام عباد بن بشر رضى الله عنه وعمار بن ياسر رضى الله عنهما فقالا نحن يا رسول الله نكلؤكم فجلسا على فم الشعب فقال عباد بن بشر لعمار بن ياسر أنا أكفيك أول الليل وتكفينى آخره فنام عمار رضى الله عنه وقام عباد رضى الله عنه يصلى وكان زوج بعض النسوة التى أصابهن رسول الله صلى الله عليه وسلم غائبا فلما جاء أخبر الخبر فتتبع الجيش وحلف لا ينثنى حتى يصيب محمدا أو يهريق فى أصحاب محمد دما فلما رأى سواد عباد قال هذا ربيئة القوم ففوق سهما فوضعه فيه فانتزعه عباد فرماه بآخر فوضعه فيه فانتزعه فرماه بآخر فانتزعه فلما غلبه الدم قال لعمار اجلس فقد أتيت فلما رأى ذلك الرجل عمارا جلس علم أنه قد نذر به فهرب فقال عمار أى أخى ما منعك أن توقظنى له فى أول سهم رمى به فقال كنت أقرأ فى سورة أى فى سورة الكهف فكرهت أن أقطعها وفى لفظ جعل صلى الله عليه وسلم شخصين من أصحابه يقال لهما عباد بن بشر من الانصار وعمار بن ياسر من المهاجرين فى مقابلة العدو فرمى أحدهما بسهم فأصابه ونزفه الدم وهو يصلى ولم يقطع صلاته بل ركع وسجد ومضى فى صلاته ثم رماه بثان وثالث وهو يصيبه ولم يقطع صلاته أى وهو عباد بن بشر كما تقدم وقد قال عباد اعتذارا عن ايقاظ صاحبه لولا انى خشيت أن أضيع ثغرا أمرنى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انصرفت ولو أتى على نفسى ﴿أقول﴾ وبهذه الواقعة استدل أئمتنا على ان النجاسة الحادثة من غير السبيلين لا تنقض الوضوء لانه صلى الله عليه وسلم علم ذلك ولم ينكره وأما كونه صلى مع الدم فلعل ما أصاب ثوبه وبدنه منه قليل ولا ينافى ذلك ما تقدم فى الرواية قبل هذه فلما غلبه الدم اذ يجوز مع كونه كثيرا انه لم يصب ثوبه ولا بدنه الا القليل منه والله أعلم ويقال ان رجلا من القوم أى وهو غورث بالغين المعجمة مكبرا على الاشهر وقيل غويرث بالتصغير والمهملة ابن الحرث قال لهم الا أقتل لكم محمدا قالوا بلى وكيف تقتله قال أفتك به أى أجىء اليه على غفلة فجاء اليه صلى الله عليه وسلم وسيفه فى حجره فقال يا محمد أرنى أنظر الى سيفك هذا فأخذه من حجره فاستله ثم جعل يهزه ويهم فيكبته الله أى يخزيه ثم قال يا محمد ما تخافنى قال لا بل يمنعنى الله

فى دعائه من الاجابة وأولاده يغوث ويعوق ونسر فلما ماتوا صورت صورهم فلما خلفت الخلوف قالوا ما عظم هؤلاء آباؤنا الا لانها
ترزق وتشفع وتضر فاتخذوها آلهة قال السهيلى وكان بدء عبادتها فى عهد مهلايل بن قينان قبل نوح عليه السلام وفى البخارى عن
ابن عباس رضى الله عنهما صارت الاوثان التى كانت فى قوم نوح فى العرب وهى أسماء قوم صالحين فلما هلكوا أوحى الشيطان الى
قومهم ان انصبوا فى مجالسهم التى كانوا يجلسون انصابا وسموها بأسمائهم ٣٠١ فلم تعبد فلما هلك أولئك ونسخ العلم عبدت قال

تعالى منك ثم دفع السيف اليه صلى الله عليه وسلم فأخذه صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك منى
فقال كن خير آخذ قال تشهد أن لا اله الا الله وانى رسول الله قال أعاهدك على انى لا أقاتلك ولا
أكون مع قوم يقاتلونك قال فخلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيله فجاء الى قومه فقال
جئتكم من عند خير الناس وأسلم هذا بعد وكانت له صحبة وفى رواية جاء اليه صلى الله عليه وسلم
وهو جالس وسيفه فى حجره فقال يا محمد انظر الى سيفك هذا قال نعم فأخذه فاستله ثم جعل يهزه
ثم قال يا محمد أما تخافنى قال لا وما أخاف منك قال وفى يدى السيف قال لا يمنعنى الله تعالى منك
ثم غمد سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فرده عليه وهذه واقعة غير واقعة دعثور المتقدمة
فى غزوة ذى امر فهما واقعتان احداهما مع دعثور والثانية مع غورث فقول أصله والظاهر
ان الخبرين واحد فيه نظر ظاهر فليتأمل قال وفى رواية لما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم
راجعا الى المدينة أدركته القائلة يوما واد كثير العضاه أى الاشجار العظيمة التى لها شوك
وتفرق الناس فى العضاه أى الاشجار يستظلون بالشجر ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم
تحت ظل شجرة أى ظليلة قال جابر رضى الله عنه تركناها للنبى صلى الله عليه وسلم فعلق صلى الله
عليه وسلم سيفه فيها فنمنا نومة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا فجئنا اليه فوجدنا عنده
أعرابيا جالسا فقال ان هذا قد اخترط سيفى وأنا نائم فاستيقظت وهو فى يده مصلتا أى مسلولا
فقال لى من يمنعك منى قلت الله قال ذلك ثلاث مرات ولم يعاقبه صلى الله عليه وسلم اه
وهذه الرواية مع ما قبلها يقتضى سياقهما أنهما واقعتان لا واقعة واحدة و يبعد أن يكون ذلك
الاعرابى هو غورث صاحب الواقعة الاولى فيكون تعدد منه هذا الفعل مرتين أى وأنزل الله
تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم
عنكم وتقدم أن سبب نزولها ارادة القاء الحجر عليه من بعض أهل بنى النضير لعنهم الله وتقدم أنه
لا مانع من تعدد النزول لتعدد الاسباب وفى الشفاء قيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يخاف قريشا فلما نزلت هذه الآية يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم الآية
استلقى ثم قال من شاء فليخذلنى أى وفيه ان هذا لا يحسن الا عند نزول آية والله يعصمك من
الناس الا أن يقال هو صلى الله عليه وسلم علم من ذلك ان الله مانع له ممن يريده بسوء وان كان يجوز
أن يمنعه من شخص دون آخر فليتأمل وانما لم يعاقب صلى الله عليه وسلم ذلك الاعرابى حرصا على
استئلاف قلوب الكفار ليدخلوا فى الاسلام وكانت مدة غيبته صلى الله عليه وسلم خمس عشرة
ليلة و بعث صلى الله عليه وسلم جعال بن سراقة الى المدينة مبشرا بسلامته وسلامة المسلمين
أى وكان رضى الله عنه من أهل الصفة وهو الذى تمثل به ابليس لعنه الله يوم أحد حين نادى ان
محمدا قد قتل كما تقدم وأبطأ جمل جابر بن عبد الله رضى الله عنهما فنخسه صلى الله عليه وسلم وفى
لفظ انه حجنه بمحجنه فانطلق متقدما بين يدى الركب وفى رواية فلقد رأيتنى أكفه عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم حياء منه لا يسبقه أى وهو ينازعنى خطامه مع انى كنت أرجو أن

﴿هدم مناة وهى سرية سعد بن زيد الاشهلى رضى الله عنه الى مناة﴾

وهى صنم للاوس والخزرج ومن دان دينهم وقيل انها أيضا لهذيل وبنى كعب وخزاعة وغسان وكانت بالمشلل بضم الميم وفتح الشين واللام الاولى المشددة جبل على ساحل البحر يهبط منه الى قديد وكان بعثه فى رمضان أيضا بعد الفتح فخرج سعد بن زيد رضى الله عنه فى عشرين فارسا حتى انتهى اليها وعليها سادن قال السادن ما تريد قال أريد هدم مناة قال أنت وذاك تهكما لظنه انه لا يقدر عليها فأقبل سعد يمشى اليها فخرجت اليه امرأة عريانة سوداء ثائرة الرأس أى منتشرة الشعر تدعو بالويل وتضرب صدرها فقال السادن مناة دونك بعض عصاتك فضربها سعد فقتلها وأقبل الى الصنم ومعه أصحابه فهدموه ولم يجدوا فى خزانته شيأ وانصرف راجعا الى النبى صلى الله عليه وسلم ثم ماذكر من ان الذى ذهب لهدمها سعد بن زيد الاشهلى هو ما مشى عليه فى المواهب تبعا لطبقات ابن سعد وقال ابن اسحق ان الذى بعثه النبى صلى الله عليه وسلم لهدمها أبو سفيان ابن حرب رضى الله عنه وفى سيرة ابن هشام انه على بن أبى طالب رضى الله عنه و يمكن ان الجميع ذهبوا لذلك والله أعلم

عمرو بن العاص رضى الله عنه فانتهيت الى سواع وعنده السادن قال ما تريد فقلت أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أهدمه قال لا تقدر على ذلك فقلت لم قال يمنعك قلت حتى الآن أنت على الباطل و يحك وهل يسمع أو يبصر حتى يمنعنى قال فدنوت منه فكسرته وأمرت أصحابى فهدموا بيت خزانته فلم نجد فيه شيأ ثم قلت للسادن كيف رأيت فقال أسلمت لله رب العالمين ولم يذكر أحد عدد الذين كانوا مع عمرو رضى الله عنه

﴿غزوة حنين﴾ وهو اسم موضع فى طريق الطائف الى جنب ذى المجاز وهو سوق كان فى الجاهلية وقيل حنين اسم لما بين مكة والطائف وتسمى غزوة اوطاس وهو اسم لموضع كانت به الوقعة وتسمى أيضا غزوة هوازن وهوازن قبيلة كبيرة من العرب فيها عدة بطون ينسبون الى هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن الياس بن مضر وسببها انه صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة مشت أشراف هوازن وثقيف بعضها الى بعض وتشاوروا على قتاله صلى الله عليه وسلم لانهم خافوا ان يسير اليهم ويغزوهم وقالوا قد فرغ لنا فلا مانع له دوننا فالرأى ان نغزوه قبل ان يغزونا بل جاء فى بعض الروايات انهم قبل فتح مكة كانوا يريدون قتاله صلى الله عليه وسلم وروى عن أبى الزناد ان هوازن أقامت سنة تجمع الجموع وتسير رؤساؤهم فى العرب تجمعهم فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة قالوا لا ناهية له دوننا وعزموا على انهم يغزونه قبل أن يغزوهم وقال بعض منهم والله ما لاقى محمدا قوم يحسنون القتال فأجمعوا أمركم وسيروا اليه قبل ان يسير اليكم فأجمعوا أمرهم على ذلك وكان جماع أمر الناس الى مالك ابن عوف بن سعد بن ربيع بن واثلة بن دهمان بن نصر بن معاوية ابن بكر بن هوازن ويقال له النصرى بالصاد وأسلم بعد ذلك رضى الله عنه فاجتمع اليه من القبائل جموع كثيرة منهم بنو سعد بن بكر وهم الذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مسترضعا فيهم ومعهم دريد بن الصمة وكان شجاعا مجربا لكنه كبر لانه بلغ مائة وعشرين سنة وقيل مائة وخمسين وقيل مائة وسبعين وقيل قارب المائتين وقد عمى وصار لا ينتفع الا برأيه ومعرفته بالحرب لانه كان صاحب رأى وتدبير ومعرفة بالحروب وكان قائد ثقيف كنانة بن عبد ياليل وأسلم بعد ذلك رضى الله عنه وكان جملة من اجتمع من بنى سعد وثقيف أربعة آلاف وانضم اليهم من أعداد سائر العرب جموع كثيرة وكان مجموعهم كلهم ثلاثين ألفا وجعلوا أمر الجميع الى مالك بن عوف النصرى وكان عمره ثلاثين سنة واشترطوا عليه أن يأخذ برأى دريد بن الصمة فامرهم مالك بن عوف أن يسوقوا معهم مواشيهم وأموالهم ونساءهم وأبناءهم كى يثبتوا عند الحرب ولا يفروا فلما نزلوا باوطاس قال دريد بن الصمة مالى أسمع رغاء البعير

يستاق معنا ثم قال له صلى الله عليه وسلم أتبيعنيه فابتاعه منه أى بأوقية وقيل بأربع أواق وقيل بخمس أواق وقيل بخمس دنانير وقيل بأربع دنانير بعد ان أعطاه فيه أولا درهما مما زحاله فقال له جابر رضى الله عنه تبيعنى يارسول الله وفى رواية لا زال صلى الله عليه وسلم يزيده درهما درهما فيقول جابر أخذته بكذا والله يغفر لك يارسول الله قال بعضهم كانه صلى الله عليه وسلم أراد باعطائه درهما درهما أن يكثر استغفاره له وقال له لك ظهره الى المدينة وفى رواية وشرط لى ظهره الى المدينة أى واستغفر لجابر رضى الله عنه فى تلك الليلة خمسا وعشرين مرة وقيل سبعين مرة فلما وصل صلى الله عليه وسلم المدينة أعطاه الثمن ووهب له الجمل أى وقيل ان هذه القصة أى ابطاء جمل جابر رضى الله عنه انما كانت فى رجوعه صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة وقيل كانت فى رجوعه من غزوة تبوك أى والذى فى البخارى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر فكنت على جمل ثقال انما هو فى آخر القوم فمر به النبى صلى الله عليه وسلم فقال من هذا فقلت جابر بن عبد الله قال فما لك قلت انى على جمل ثقال قال أمعك قضيب قلت نعم قال أعطنيه فضربه فزجره فكان من ذلك المكان من أول القوم قال بعنيه قلت بل هو لك يارسول الله قال بل بعنيه فقد أخذته بار بعة دنانير ولك ظهره الى المدينة فلما قدمت المدينة قال يا بلال اقضه وزده فاعطاه أربعة دنانير وزاده قيراطا قال جابر رضى الله عنه وأعطانى الجمل وسهمى مع القوم وفى لفظ عن جابر قال دخل النبى صلى الله عليه وسلم المسجد فدخلت اليه فعلفت الجمل فى ناحية البلاط فقلت يارسول الله هذا جملك فخرج صلى الله عليه وسلم فجعل يطوف بالجمل قال الثمن والجمل لك وفى لفظ انما باعه له بوقية أى ذهب وانه استثنى حملانه الى أهله فلما قدم المدينة وأنقده الثمن وانصرف أرسل على اثره وقال له ما كنت لآخذ جملك فخذ جملك وعن جابر رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم اشتراه بطريق تبوك بأربع أواق وفى لفظ بعشرين دينارا فليتأمل الجمع بين هذه الروايات على تقدير صحتها فان التعدد بعد ذها بعيد قيل وسميت ذات الرقاع باسم شجرة كانت فى ذلك المحل يقال لها ذات الرقاع أو لانهم رفعوا راياتهم أو لانهم لفوا على أقدامهم الخرق لما حصل لهم الحفاء كما تقدم أو لان الصلاة رقعت فيها أو لان الجبل الذى نزلوا به كانت أرضه ذات ألوان تشبه الرقاع فيه بقع حمر وسود وبيض واستغربه الحافظ ابن حجر قال الامام النووى رحمه الله ويحتمل انها سميت بالجموع قال وفى هذه الغزوة جاءته صلى الله عليه وسلم امرأة بدوية بابن لها فقالت يارسول الله هذا ابنى قد غلبنى عليه الشيطان ففتح فاه فبزق فيه وقال اخسأ عدو الله أنا رسول الله ثم قال صلى الله عليه وسلم شأنك بابنك لن يعود اليه شئ مما كان يصيبه أى فكان كذلك وفيها أيضا جاء رجل بفرخ طائر فأقبل أحد أبويه حتى طرح نفسه بين يدى الذى أخذ فرخه فعجب الناس من ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتعجبون من هذا الطائر أخذتم فرخه فطرح نفسه رحمة لفرخه والله لربكم أرحم بكم من هذا الطائر بفرخه وفيها أيضا جاء الله صلى

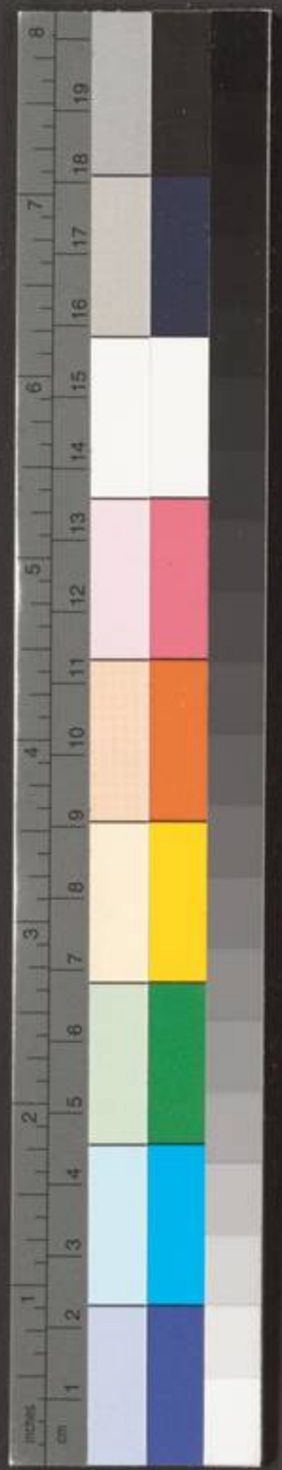

ونهاق الحمير وبكاء الصغير ويعار الشاء وخوار البقر قالوا ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم قال أين هو
فحضر بين يديه فقال له انك تقاتل رجلا كريما قد أوطأ العرب وخافته العجم وأجلى يهود أى غابهم اما قتلا واما اخراجا عن ذل وصغار
فقال له مالك لا تخالفك فى أمر تراه فقال يا مالك أصبحت رئيس قومك وان هذا يوم كان له ما بعده من الايام مالى أسمع رغاء البعير
ونهاق الحمير وبكاء الصغير ويعار الشاء وخوار البقر قال سقت مع الناس أبناءهم ٣٠٣ ونساءهم وأموالهم قال له ولم قال أردت

صلى الله عليه وسلم بثلاث بيضات من بيض النعام فقال لجابر دونك يا جابر فاعمل هذه البيضات
قال جابر رضى الله عنه فعملتهن ثم جئت بهن فى قصعة فجئنا نطلب خبزا فلم نجد فجعل صلى الله
عليه وسلم وأصحابه يأكلون من ذلك البيض بغير خبز حتى انتهى كل الى حاجته أى الى الشبع
والبيض فى القصعة كما هو وفيها أيضا جاء جمل يرفل أى حتى وقف عنده صلى الله عليه وسلم
وارغا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون ما قال هذا الجمل هذا الجمل يستعيذ بى على
سيده يزعم أنه كان يحرث عليه منذ سنين وانه أراد أن ينحره اذهب يا جابر الى صاحبه فأت به قال
جابر رضى الله عنه فقلت لا أعرفه قال أنه سيدلك عليه قال جابر فخرج بين يدى حتى وقف على
صاحبه فجئته به فكلمه صلى الله عليه وسلم فى شأن الجمل اه وعن عبد الله بن جعفر رضى الله
عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل حائط رجل من الانصار فاذا جمل فلما رأى النبى صلى الله
عليه وسلم حن وذرفت عيناه فأتاه النبى صلى الله عليه وسلم فمسح عليه فسكن ثم قال من رب هذا
الجمل فجاء فتى من الانصار فقال هذا لى يا رسول الله فقال ألا تتقى الله عز وجل فى هذه البهيمة التى
ملكك الله فانه شكا الى أنك تجيعه وتدئبه وفى رواية كنا جلوسا مع النبى صلى الله عليه وسلم اذا
بعير أقبل حتى وقف على هامة رسول الله صلى الله عليه وسلم فرغا فقال له النبى صلى الله عليه وسلم
أيها البعير اسكن فان تك صادقا فلك صدقك وان تك كاذبا فعليك كذبك ان الله تعالى قد أمن
عذابك ولن يخيب لا تذنا فقلنا يا رسول الله ما يقول هذا البعير قال يريد أهله ينحره وأكل لحمه فهرب
منهم واستغاث بنبيكم فبينما نحن كذلك اذ أقبل أصحابه يتعادون فلما نظر اليهم البعير عاد الى
هامة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلاذ بها فقالوا يا رسول الله هذا بعيرنا هرب منذ ثلاثة أيام فلم
نجده الا بين يديك فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اما انه يشكو فقالوا يا رسول الله ما يقول
قال يقول انه ربى فيكم سنين وكنتم تحملون عليه فى الصيف الى موضع الكلأ فاذا كان الشتاء
جئتم عليه الى موضع الدفا فلما كبر استفحلتموه فرزقكم الله به ابلا سليمة فلما أدركته هذه
السنة الجدبة هممتم بنحره وأكل لحمه فقالوا والله يا رسول الله قد كان ذلك فقال لهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما هذا جزاء المملوك الصالح من مواليه فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
أما لا تتعبه ولا ننحره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبتم قد استغاث بكم فلم تغيثوه وأنا
أولى بالرحمة منكم لان الله قد نزع الرحمة من قلوب المنافقين وأسكنها فى قلوب المؤمنين فاشتراه
صلى الله عليه وسلم منهم بمائة درهم وقال أيها البعير انطلق حيث شئت فرغا البعير على هامة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له آمين ثم رغا الثانية فقال له آمين ثم رغا الثالثة فقال له
آمين ثم رغا الرابعة فبكى النبى صلى الله عليه وسلم فقلنا يا رسول الله ما يقول هذا البعير فقال
قال جزاك الله خيرا أيها النبى عن الاسلام والقرآن قلت آمين قال سكن الله رعب أمتك كما
سكنت قلبى قلت آمين قال حقن الله دماء أمتك كما حقنت دمى قلت آمين قال لا جعل الله بأسهم
بينهم شديدا فبكيت لانى سألت ربى فيما أى فى هذه الرابعة فمنعنى اعطاءها وقوله صلى الله عليه

ان هذا فاضحكم فى عورتكم يعنى النساء والذرية وتمكن منكم عدوكم ولا حق بحصن ثقيف وتاركتكم فانصرفوا واتركوه فابوا فلما
رأى دريد انهم خالفوه قال * يا ليتنى فيها جذع * أخب فيها واضع * اقود وطفاء الزمع * كأنها شاة صدع
ثم أمر مالك بالخيل فجعلت صفوفا وجعل المشاة خلفهم ثم جعل النساء فوق الابل وراء المقاتلة صفوفا ثم جعل الابل والبقر والغنم وراء
ذلك كى لا يفروا ويقاتلوا عن مالهم ونسائهم وذراريهم ثم قال للناس اذا رأيتمونى شددت عليهم شدوا عليهم شدة رجل واحد

ان أجعل خلف كل رجل أهله
وماله يقاتل عنهم فزجر كما تزجر
الدابة وهو أن يلصق اللسان
بالحنك الاعلى ويصوت به وهو
معنى قول بعضهم صوت بلسانه
فى فيه ثم قال له رويعى ضأن والله
ماله وللحرب أى من كانت هذه
صفته ماله وللحرب ثم أشار عليه
برد الذرية والاموال وقال هل
يرد المنهزم شئ هى ان كانت لك لم
ينفعك الا رجل بسيفه ورمحه
لا هؤلاء النساء والصبيان
والمواشى وان كانت عليك فضحت
فى أهلك ومالك فلم يقبل ذلك منه
مالك ثم قال دريد ما فعلت كعب
وكاب قالوا لم يشهدها منهم أحد
قال غاب الحد والجد لو كان يوم
علاء ورفعة ما غاب ثم قال دريد
لمالك ان يومك هذا الذى تلقى
فيه محمدا ما بعده يوم فقال له مالك
انى لاطمع ان ترى ما يسرك ثم
أشار دريد عليه بأمور لم يقبلها
مالك وقال والله لا أطيعك انك قد
كبرت وضعف رأيك فقال لهوازن
قد شرط مالك ان لا يخالفنى وقد
خالفنى فأنا أرجع الى أهلى فمنعوه
وقال مالك والله لتطيعننى يا معشر
هوازن أو لاتكئن على هذا السيف
حتى يخرج من ظهرى وكره أن
يكون لدريد فيها رأى أو ذكر فقالوا
اطعناك فقال دريد يا معشر هوازن

ولما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم اجتماعهم وتحزبهم اجمع على الخروج اليهم وكان خروجه من مكة يوم السبت لست خلون من شوال وكان معه صلى الله عليه وسلم اثنا عشر ألفا منهم عشرة آلاف الذين جاؤا معه من المدينة لفتح مكة والفان من الذين أسلموا في فتح مكة الذين من عليهم واطلقهم يوم الفتح وفصل بعضهم العشرة الآلاف الذين جاؤا معه من المدينة وخرجوا لحرب هوازن فقال اربعة آلاف من الانصار والف من المهاجرين ٣٠٤ وألف من جهينة وألف من مزينة والف من أسلم وألف من غفار وألف من

اشجع وتقدم انه صلى الله عليه وسلم استقرض من ثلاثة نفر من قريش اخذ من صفوان بن أمية خمسين ألف درهم ومن عبد الله بن ربيعة أربعين ألف درهم ومن حويطب ابن عبد العزى أربعين ألف درهم فرقها في أصحابه أهل الضعف ليستعينوا بها وكان ذلك عند عزمه على الخروج لحرب هوازن ثم وفاها مما غنمه من هوازن وقال اغا جزاء السلف الحمد والاداء وكان صفوان بن أمية على دين قومه واخذ اماناً من النبي صلى الله عليه وسلم وسأله ان يعطيه مهلة شهرين ثم ان شاء تبعه ودخل في الاسلام وان شاء ذهب حيث شاء فأعطاه أربعة أشهر ثم أسلم بعد ذلك رضي الله عنه وتقدم الكلام على قصة اسلامه مستوفى عند ذكره في عداد من أهدر دمهم صلى الله عليه وسلم واستثناهم من الدخول في الامان ثم انه صلى الله عليه وسلم ذكر له عند عزمه على الخروج لحرب هوازن ان عند صفوان بن أمية أدراعا وسلاحا فارسل اليه فقال يا أبا أمية أعرنا سلاحك لنلقى به عدونا غدا فقال صفوان أغصبا يا محمد قال بل عارية وهي مضمونة حتى نؤديها اليك فقال ليس بهذا بأس فاعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح وفي رواية أربعمائة درع وسأله النبي صلى الله عليه وسلم أن يكفيهم حملها الى موضع القتال ففعل * وذكر بعضهم ان بعض تلك الادراع

وسلم للجمل اذهب كيف شئت لا يناسب ما عليه أئمتنا من عدم جواز ارسال الدواب تقربا الى الله تعالى لانه في معنى سوائب الجاهلية الا أن يقال المراد بقوله صلى الله عليه وسلم له اذهب كيف شئت أي أنت آمن في سائر أحوالك مما شكوت منه ورأيت في كلام ابن الجوزي رحمه الله ما يؤيد ذلك وهو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمه سمة نعم الصدقة ثم بعث به وعليه لا اشكال والى قصة الجمل أشار الامام السبكي رحمه الله في تائيته بقوله

ورب بعير قد شكا لك حاله * فأذهبت عنه كل كل وثقلة

وفي هذه أعني السنة الرابعة تزوج صلى الله عليه وسلم أم سلمة هند رضي الله تعالى عنها بعد موت أبي سلمة بن عبد الاسد رضي الله عنه وما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما انه قال تزوجها سنة اثنتين ليس بشئ قيل وفيها شرع التيمم

﴿غزوة بدر الآخرة﴾

ويقال لها بدر الموعد أي لموعد أبي سفيان رضي الله عنه حيث قال حين منصرفه من أحد موعدنا وبينكم بدر أي موسمها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه قل نعم ان شاء الله تعالى كما تقدم لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة ذات الرقاع أقام بقية جمادى الاولى الى آخر رجب ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعبان وعليه اقتصر الاصل وقيل خرج في شوال وقيل في مستهل ذي القعدة كل ذلك في سنة أربع ومن الوهم قول موسى بن عقبة رحمه الله انها كانت في شعبان سنة ثلاث لما علمت انها بعد أحد وأحد كانت في شوال سنة ثلاث والحافظ الدمياطي قدم هذه الغزوة على غزوة ذات الرقاع وتبعه الشمس الشامي وصاحب الامتاع وكان وصوله صلى الله عليه وسلم الى بدر هلال ذي القعدة وهذا لا يناسب الا القول بان خروجه صلى الله عليه وسلم كان في شوال وكان ذلك موسما لبدر في كل سنة يحضره الناس ويقيمون به ثمانية أيام كما تقدمت الحوالة عليه وحين خرج صلى الله عليه وسلم من المدينة استخلف عليها عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول رضي الله تعالى عنه وقيل عبد الله بن رواحة رضي الله عنه وخرج في ألف وخمسمائة من أصحابه وكان الخيل عشرة أفراس وعند تهيؤ المسلمين للخروج قدم نعيم بن مسعود الاشجعي أي وكان ذلك قبل اسلامه رضي الله تعالى عنه وأخبر قريشا ان المسلمين تهيؤا للخروج لقتالهم ببدر فكره أبو سفيان الخروج لذلك وجعل لنعيم ان رجع الى المدينة وخذل المسلمين عن الخروج لبدر عشرين بعيرا وفي لفظ عشرة من الابل وحمله على بعير أي وقال له أبو سفيان انه بدا لي أن لا أخرج وأكره أن يخرج محمد ولا أخرج أنا فيزيدهم ذلك جراءة فلان يكون الخلف من قبلهم أحب الي من أن يكون من قبلي فالحق بالمدينة واعلمهم انا في جمع كثير ولا طاقة لهم بنا ولك عندي من الابل كذا وكذا أدفعها لك على يد سهيل بن عمرو فجاء نعيم الى سهيل بن عمرو فقال له

يا أبا

فقد فاراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يضمنها له فابى بعد اسلامه وقال أنا اليوم يا رسول الله في الاسلام أرغب واستعار صلى الله عليه وسلم من نوفل بن الحرث بن عبد المطلب وهو ابن عمه صلى الله عليه وسلم ثلاثة آلاف رمح وقال كأني أنظر الى رماحك هذه تقصف ظهر المشركين ثم خرج النبي صلى الله عليه وسلم وخرج الناس معه وأهل مكة ركبانا ومشاة حتى النساء خرجن يمشين على غير وهن رجاء

للغنائم ومن لم يكمل اسلامه لم يكره ان الصدمة برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه واستعمل صلى الله عليه وسلم على مكة عتاب بن أسيد رضى الله عنه وترك معه معاذ بن جبل رضى الله عنه يعلم الناس الاحكام والشرائع وقد تقدم الكلام على ذلك فى غزوة الفتح وخرج معه صلى الله عليه وسلم من المشركين الذين أمنهم ولم يسلموا حين خروجه ثمانون رجلا منهم صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو رضى الله عنهما فانهما أسلما بعد ذلك وقد تقدم قصة اسلامهما فلما قرب

النبى صلى الله عليه وسلم من محل العدو رتب أصحابه وصفهم ووضع الالوية والرايات مع المهاجرين والانصار فلواء المهاجرين أعطاه عليا رضى الله عنه وقسم الرايات على كل بطن فأعطى سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه رأية واعطى عمر بن الخطاب رضى الله عنه رأية وهكذا واعطى لواء الخزرج للحباب بن المنذر رضى الله عنه ولواء الاوس لاسيد بن حضير رضى الله عنه وجعل لكل بطن راية يحملها واحد منهم ثم رتب قبائل العرب التى كانت معه وفرق عليهم الالوية والرايات ولبس صلى الله عليه وسلم درعين والبيضة والمغفر وركب بغلته البيضاء وفى رواية الشهباء وهى بغلة واحدة سماها بعضهم بيضاء وبعضهم شهباء لان بياضها كان يميل الى الشهبة واسمها دلدل وارسل مالك بن عوف رئيس هوازن ثلاثة نفر عيونا وجواسيس ينظرون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه فرجعوا الى مالك وقد تفرقت أوصالهم من الفزع فقال ويلكم ماشأنكم قالوا رأينا رجالا بيضا على خيل بلق فوالله ما تماسكنا ان اصابنا ما نرى وان أطعتنا رجعت بقومك فقال اف لكم بل انتم اجبن القوم وحبسهم عنده خوفا ان يشيع ذلك فى جيشه ولم يصرفه ذلك ومضى على ما يريد وارسل اليهم

يا أبا يزيد تضمن لى هذه الابل وأنطلق الى محمد وأثبطه قال نعم فقدم نعيم المدينة وأرجف بكثرة جموع أبى سفيان أى وصار يطوف فيهم حتى قذف الرعب فى قلوب المسلمين ولم يبق لهم نية فى الخروج واستبشر المنافقون أى واليهود وقالوا محمدا لا يفلت من هذا الجمع فجاء أبو بكر وعمر رضى الله عنهما الى النبى صلى الله عليه وسلم وقد سمعا ما أرجف به المسلمون وقالا له يا رسول الله ان الله مظهر نبيه ومعز دينه وقد وعدنا القوم موعد الا نحب أن نتخلف عنه فيرون ان هذا جبن فسر لموعدهم فوالله ان فى ذلك لخيرة فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ثم قال والذى نفسى بيده لا خرجن وان لم يخرج معى أحد فأذهب الله عنهم ما كانوا يجدون وحمل لواءه رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب كرم الله وجهه وخرج المسلمون معهم بتجارات الى بدر فربحت الضعف ثم ان أبا سفيان قال لقريش لقد بعثنا نعيما ليخذل أصحاب محمد عن الخروج ولكن نخرج نحن فنسير ليلة أو ليلتين ثم نرجع فان كان محمد لم يخرج وبلغه انا خرجنا فرجعنا لانه ان لم يخرج كان هذا تاعليه وان خرج أظهرنا ان هذا عام جدب ولا يصلحنا الا عام عشب قالوا نعم ما رأيت فخرج أبو سفيان فى قريش أى وهم ألفان ومعهم خمسون فرسا حتى انتهوا الى مجنة أى بفتح الميم والجيم وتشديد النون وهو سوق معروف من ناحية مر الظهران وقيل الى عسفان ثم قال يا معشر قريش لا يصلحكم الا عام خصب ترعون فيه الشجر وتشربون فيه الماء وان عامكم هذا عام جدب وانى راجع فارجعوا فرجع الناس فسماهم أهل مكة جيش السويق يقولون انما خرجتم لتشربوا السويق وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على بدر ينتظر أبا سفيان لميعاده مدة الموسم التى هى ثمانية أيام أى فانه صلى الله عليه وسلم انتهى الى بدر هلال ذى القعدة كما تقدم. قام السوق صبيحة الهلال وأقاموا ثمانية أيام والسوق قائمة أى وصار المسلمون كلما سألوا عن قريش وقيل لهم قد جمعوا لكم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل حتى نيل لهم لما قربوا من بدر انها قد امتلأت من الذين جمعهم أبو سفيان يرعبونهم ويرهبونهم فيقول المؤمنون حسبنا الله ونعم الوكيل فلما قدموا بدرا وجدوا أسواقا لا بأس بها فيها أحد فأنزل الله تعالى الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فالمراد بالناس الاول نعيم نزل منزلة الجماعة وعن امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه ان القائلين ذلك كانوا أربعة ولا مانع أن يكون هؤلاء الاربعة من المنافقين انعم الله وافقوا نعيما على ما قال حتى ان قائلهم قال للمسلمين انما أنتم لهم أكلة رأس وان ذهبتم اليهم لا يرجع منكم أحد وقيل القائلون ركب من عبد القيس كانوا قاصدين المدينة للميرة فجعل لهم أبو سفيان حمل أبعرتهم زبيبا ان هم خذلوا المسلمين وأرجفوهم ولا مانع من وجود ذلك كله هذا وقد نقل ابن عطية رحمه الله عن الجمهور ان هذه الآية الواقعة المذكورة انما كانت بحمراء الاسد عند انصرافه من أحد فليتأمل ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة أى وبلغ قريشا خروج المسلمين لبدر وكثرتهم وانهم كانوا أصحاب الموسم أى والمخبر لهم

رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من أصحابه وهو عبد الله بن أبى حدرد الاسلمى رضى الله عنه وأمره ان يدخل فيهم ويسمع منهم ما أجمعوا عليه فدخل فيهم ومكث يوما أو يومين وسمع ما يقولون ثم أتى النبى صلى الله عليه وسلم واخبره انه انتهى الى خباء مالك بن عوف وعنده رؤساء هوازن فسمعه يقول لاصحابه ان محمدا لم يقاتل قوما قط قبل هذه المرة وانما كان يلقى قوما غمار الا علم لهم بالحرب فيظهر عليهم فاذا كان السحر فصفوا مواشيكم ونساءكم وابناءكم من ورائكم ثم صفوا ثم تكون الحملة منكم

واكسروا اغماد سيوفكم فتلقونه بعشرين الف سيف واحملوا حملة رجل واحد واعلموا ان الغلبة لمن حمل اولا وفى رواية ان ابن أبى
حدرد رضى الله عنه قال للنبى صلى الله عليه وسلم انى انطلقت بين أيديكم حتى طلعت جبل كذا وكذا فاذا بهوازن عن بكرة أبيهم بظعنهم
أى نسائهم ونعمهم وشائهم اجتمعوا الى حنين فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال تلك غنيمة المسلمين ان شاء الله فقال رجل من
المسلمين لن تغلب اليوم عن قلة فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله فيما تقدم بعشرين الف سيف حتى

بذلك معبد بن أبى معبد الخزاعى فانه بعد انقضاء الموسم خرج سريعا الى مكة وأخبرهم بذلك
فقال صفوان بن أمية لابى سفيان قد والله نهيتك يومئذ ان تعد القوم وقد اجترؤا علينا ورأوا انا
أخلفناهم وانما خلفنا الضعف

﴿غزوة دومة الجندل﴾

بضم الدال ويجوز فتحها واقتصر الحافظ الدمياطى على الاول أى وأما دومة بالفتح لا غير فوضع
آخر ومن ثم قال الجوهرى الصواب الضم وأخطأ المحدثون فى الفتح سميت بدومى بن اسمعيل
عليه السلام لانه كان نزلها وهى بلدة بينها وبين دمشق خمس ليال وهى أقرب بلاد الشام الى
المدينة وبينها وبين المدينة خمس أو ست عشرة ليلة أى وهى بقرب تبوك بلغ رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان بها جمعا كثيرا يظلمون من مر بهم وأنهم يريدون أن يدنوا من المدينة فندب
رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس لذلك فخرج فى ألف من المسلمين أى وذلك فى أواخر السنة
الرابعة وذكر بعضهم انها كانت فى ربيع الاول من السنة الخامسة ويوافقه قول الحافظ
الدمياطى انها كانت على رأس تسعة وأربعين شهرا من مهاجرته صلى الله عليه وسلم أى
واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة الغفارى ○ فكان يسير الليل ويكمن النهار ومعه
دليل له من بنى عذرة أى يقال له مذكور رضى الله تعالى عنه فلما دنا منهم جاء اليهم الخبر
فتفرقوا فهجم على ماشيتهم ورعاتهم فأصاب من أصاب وهرب من هرب ونزل رسول الله صلى
الله عليه وسلم بساحتهم فلم يلق بها أحدا وبعث السرايا فرجعت ولم تلق منهم أحدا أى ورجعت
كل سرية بابل وأخذ محمد بن مسلمة رجلا منهم وجاء به الى النبى صلى الله عليه وسلم فسأله رسول
الله صلى الله عليه وسلم عنهم فقال هربوا حيث سمعوا أنك أخذت نعمهم فعرض عليه الاسلام
فأسلم ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وفى رجوعه وادع أى صالح عيينة بن حصن
واسمه حذيفة الفزارى ان يرعى بحمل بينه وبين المدينة ستة وثلاثون ميلا أى لان أرضه كانت
أجدبت ولما سمن حافره وخفه وانتقل الى أرضه غزا على لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالغابة كما سيأتى وقيل له بئس ما جزيت به محمدا صلى الله عليه وسلم أحللت أرضه حتى سمن
حافرك وخفك وتفعل معه ذلك فقال هو حافرى وقيل له عيينة لانه أصابته لقوة فجعظت عيناه
وسمى عيينة وعيينة هذا أسلم بعد الفتح وشهد حنينا والطائف وكان من المؤلفة كما سيأتى وكان
يقال له الاحمق المطاع كان يتبعه عشرة آلاف فتاة ودخل على النبى صلى الله عليه وسلم بغير
اذن وأساء الادب فصبر النبى صلى الله عليه وسلم على جفوته وقال فيه صلى الله عليه وسلم ان
شر الناس من تركه الناس اتقاء فحشه وقيل ان ذلك انما قيل فى مخرمة بن نوفل أى ولا مانع
من تعدد ذلك وقد ارتد عيينة بعد ذلك فى زمن الصديق رضى الله عنه فانه لحق بطليحة بن
خويلد حين تنبأ وآمن به فلما هرب طليحة أسره خالد بن الوليد رضى الله عنه وأرسل به الى

وهو الراجح كما حقق ذلك العلامة الزرقانى فى شرح المواهب وقيل كانوا ثلاثين الفا واما رواية انهم كانوا اربعة آلاف فمرجوحة ولما كان صلى الله عليه وسلم بحنين وانحدر فى الوادى وذلك عند غبش الصبح خرج عليهم القوم وكانوا قد كمنوا لهم فى شعاب الوادى ومضايقه وذلك باشارة دريد بن الصمة فانه قال لمالك بن عوف اجعل كمينا يكون لك عونا ان حمل القوم عليك جاءهم الكمين من خلفهم وكررت عليهم انت بمن معك وان كانت الحملة لك لم يفلت من القوم احد فحملوا عليهم حملة رجل واحد وكانت هوازن رماة فاستقبلوهم بالنبل كأنه جراد منتشر لا يكاد يسقط لهم سهم وقال البراء بن عازب رضى الله عنهما كانت هوازن رماة وانا لما حملنا عليهم انكشفوا فأكببنا على الغنائم فاستقبلونا بالسهام فأخذ المسلمون فى الرجوع منهزمين لا يلوى أحد على أحد وفى رواية فاستقبلهم من هوازن مالم ير وامثله قط من السواد والكثرة وذلك فى غبش الصبح وخرجت الكتائب من مضيق الوادى فحملوا حملة واحدة فانكشفت خيل بنى سليم مولية وكانت مع النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه فتبعهم أهل مكة والناس فانهزموا وقيل ان الطلقاء وهم أهل مكة قال بعضهم ابعض أى قال من كان منهم اسلامه مدخولا خذلوهم فهذا وقته الصديق فانهزموا أول من انهزم وتبعهم الناس وسأل رجل البراء بن عازب رضى الله عنهما فررتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فقال البراء ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انحاز ذات اليمين ومعه نفر قليل منهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى والعباس وابنه الفضل وأبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب ابن عمه صلى الله عليه وسلم وأسامة بن زيد وربيعة بن

الحرث بن عبد المطلب وعتبة ومعتب ابنا أبي لهب وايمن ابن أم ايمن وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين وايمن هذا استشهد يومئذ واختلف في عدد الذين ثبتوا معه يومئذ فقيل مائة وقيل ثمانون وقيل اثنا عشر وقيل عشرة وقيل ثلثمائة ولا مخالفة لامكان الجمع باختلاف اللحظات فكانوا تارة قليلا وتارة كثيرا وتارة يجتمعون معه وتارة يتفرقون عن يمينه وشماله يقاتلون وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فولى الناس وبقيت معه في ثمانين رجلا من المهاجرين والانصار فقمنا على أقدامنا ولم نولهم الدبر وهم الذين أنزل الله عليهم السكينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته لم يمض قدما وكان العباس ابن عبد المطلب رضي الله عنه عم النبي صلى الله عليه وسلم آخذا بلجام بغلته يكفها أن تتقدم في نحر العدو وجاء في رواية ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان آخذا باللجام فلعله كان يمسكه هو تارة والعباس تارة وكان أبو سفيان بن الحرث وهو ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنه آخذا بركابه صلى الله عليه وسلم قال رضي الله عنه لما لقينا العدو بحنين انهزمت عن فرسي وبيدي السيف مصلتا والله يعلم اني أريد الموت دونه صلى الله عليه وسلم وهو ينظر الي فقال له العباس رضي الله عنه يا رسول الله اخوك وابن عمك أبو سفيان فارض عنه فقال صلى الله عليه وسلم غفر الله له كل عداوة عاداني بها قال ثم التفت الي وقال يا أخي فقبلت رجله في الركاب وقال صلى الله عليه وسلم فيه أبو سفيان بن الحرث من شباب أهل الجنة وفي رواية سيد فتيان أهل الجنة وكان النبي صلى الله عليه وسلم يركض ناحية هوازن ويقول

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

واخذ كفا من تراب فرماه في وجوههم وقال شاهت الوجوه فما خلق الله منهم انسانا الا ملأ الله عينيه من تلك القبضة وجاء في بعض الروايات انه حين أراد تناول التراب حادت به بغلته ومال به السرج وكان ابن مسعود رضي الله عنه قريبا منه قال فقلت ارتفع رفعك الله فقال ناولني كفا من تراب فناولته فضرب به وجوههم فامتلأت ترابا وقيل انه نزل عن بغلته وأخذ التراب بيده وفي رواية قال للعباس ناولني من الحصباء فألهم الله البغلة فانخفضت به حتى كاد بطنها يمس الارض فتناول من البطحاء فحثا في وجوههم وقال شاهت الوجوه حم لا ينصرون وعن

الصديق في وثاق فلما دخل المدينة صار أولاد المدينة يخسونه بالحديد ويضربونه ويقولون أي عدو الله كفرت بالله بعد ايمانك فيقول والله ما كنت آمنت فمن عليه الصديق فأسلم ولم يزل مظهرا للاسلام وفي سنة أربع نزلت آية الحجاب لازواجه صلى الله عليه وسلم وكان فيها قصر الصلاة وولادة الحسين رضي الله عنه ووقع له لما ولد سماه علي كرم الله وجهه حربا فلما جاء صلى الله عليه وسلم قال أروني ابني ما سميتموه قالوا حربا قال بل اسمه حسين أي كما فعل ذلك بالحسن كما مر فلما ولد الثالث جاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال أروني ابني ما سميتموه قال علي كرم الله وجهه سميته حربا فقال بل هو محسن ثم قال صلى الله عليه وسلم اني سميتهم باسماء ولد هرون شبر وشبير ومشبر ومن المستطرف ما حكاه بعضهم قال وقع بين الحسن والحسين كلام فتهاجرا فلما كان بعد ذلك أقبل الحسن على الحسين وأكب على رأسه يقبله فقال له الحسين ان الذي منعني من ابتدائك بهذا انك أحق بالفضل مني فكرهت أن أنازعك ما أنت أحق به ورجم اليهوديين الزانيين وفرض الحج وقيل فرض في الخامسة وقيل في السادسة وقيل في السابعة وقيل في الثامنة وقيل في التاسعة وقيل في العاشرة قيل وفيها أي الرابعة شرع التيمم أي كما تقدم وقيل شرع في الغزوة التي تلي هذه وهي غزوة بني المصطلق وقيل كان في غزوة أخرى أي وفي غيبته صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة ماتت أم سعد بن عبادة وكان ابنها رضي الله عنه معه صلى الله عليه وسلم ولما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة صلى على قبرها وذلك بعد شهر وقال له سعد يا رسول الله أتصدق عنها قال نعم قال أي الصدقة أفضل قال الماء فحفر بئرا وقال هذه لام سعد رضي الله عنها

﴿غزوة بني المصطلق﴾

ويقال لها غزوة المريسيع ويقال لها غزوة محارب وقيل محارب غيرها ويقال لها غزوة الاعاجيب لما وقع فيها من الامور العجيبة أي كما قيل بذلك كذلك في غزوة ذات الرقاع كما تقدم وبنو المصطلق بطن من خزاعة وهم بنو جذيمة وجذيمة هو المصطلق من الصلق وهو رفع الصوت والمريسيع اسم ماء من مياههم أي من ماء خزاعة مأخوذة من قولهم رسعت عين الرجل اذا دمعت من فساد وذلك الماء في ناحية قديد وسببها انه صلى الله عليه وسلم بلغه ان الحرث بن ضرار سيد بني المصطلق رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك كما سيأتي جمع لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم من قدر عليه من قومه ومن العرب فأرسل صلى الله عليه وسلم بريدة بالتصغير ابن الحصيب بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين في آخره موحدة كما تقدم أي ليعلم علم ذلك قال واستأذن بريدة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقول ما يتخلص به من شرهم أي وان كان خلاف الواقع فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج

مالك بن اوس قال حدثني عدة من قومي شهدوا ذلك اليوم يقولون لقد رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الرمية من الحصى فما منا احد الا شكى القذى في عينيه ولقد كنا نجد في صدورنا خفقا كوقع الحصى في الطاس ما يهدأ ذلك الخفقان وعن يزيد بن عامر السوائي وكان حضر ذلك اليوم فسئل عن الرعب فكان يأخذ الحصاة فيرمي بها في الطست فيطن فيقول انا كنا نجد في اجوافنا مثل هذا وعن أبي عبد الرحمن الفهري ٣٠٨ قال حدثني ابناؤهم عن آبائهم انهم قالوا لم يبق منا احد الا امتلأت عيناه وفمه ترابا وسمعنا صلصلة من السماء كامر الحديد على الطست وهذا الرمي وقع في هذه الغزوة وفي غزوة بدر وفي ذلك قال الله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى والى ذلك أشار صاحب الهمزية بقوله

ورمى بالحصى فأقصد جيشا ما العصا عنده وما الالقاء

وعن عبد الرحمن بن مولى عن رجل كان في المشركين يوم حنين قال لما التقينا نحن وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين لم يقوموا لنا حلب شاة فلما لقيناهم جعلنا نسوقهم ونحن في آثارهم حتى انتهينا الى صاحب البغلة البيضاء فاذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقاعنده رجال بيض الوجوه حسان فقالوا لنا شاهت الوجوه ارجعوا قال فانهزمنا وركبوا اكتافنا ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأى من الهزيمة صار يقول الى ايها الناس الى قال الراوي للحديث فلم أر الناس يلوون على شيء فقال صلى الله عليه وسلم لعمه العباس رضي الله عنه اصرخ يا معشر الانصار يا أصحاب السمرة يعني الشجرة التي كانت تحتها بيعة الرضوان وفي رواية اصرخ يا للمهاجرين الذين بايعوا تحت الشجرة ويا للانصار الذين آووا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان العباس رضي الله عنه رفيع الصوت حتى جاء انه كان يسمع صوته من مسافة جملة ثمانية أميال وفي رواية قال له ناديا أصحاب البيعة يوم الحديبية يا أصحاب سورة البقرة وفي لفظ ناديا أنصار الله وانصار رسوله يا بني الخزرج ولا تنافي بين الروايات لاحتمال تكرر قول النبي صلى الله عليه وسلم له وتكرر ندائه وانه نادى بكل تلك الالفاظ وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم نادى بنفسه أيضا بعد نداء العباس فالتفت عن يمينه فقال يا معشر الانصار فقالوا لبيك يا رسول الله أبشر نحن

حتى ورد عليهم ورأى جمعهم فقالوا له من الرجل قال رجل منكم قد مت لما بلغني من جمعكم لهذا الرجل فأسير في قومي ومن أطاعني فنكون يدا واحدة حتى نستأصلهم فقال له الحرث فنحن على ذلك فجعل علينا قال بريدة أركب الآن فآتيكم بجمع كثير من قومي فسروا بذلك منه ورجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره خبر القوم انتهى فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس اليهم فاسرعوا الخروج وكان في شعبان لليلتين خلتا منه سنة خمس من الهجرة وقيل أربع كما في البخاري نقلا عن ابن عقبة وعليه جرى الامام النووي في الروضة قال الحافظ ابن حجر وكأنه سبق قلم أراد أن يكتب سنة خمس من الهجرة فكتب سنة أربع لان الذي في مغازي ابن عقبة من عدة طرق سنة خمس وقيل سنة ست وان عليه أكثر المحدثين وقادوا الخيل وهي ثلاثون فرسا عشرة للمهاجرين أي منها فرسان له صلى الله عليه وسلم اللزاز والطرب وعشرون للانصار رضي الله عنهم واستخلف صلى الله عليه وسلم على المدينة زيد بن حارثة رضي الله عنهما وقيل أبا ذر الغفاري رضي الله عنه وقيل نميلة تصغير نملة بن عبد الله الليثي رضي الله عنه وخرج معه صلى الله عليه وسلم من نسائه عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما أي وخرج معه صلى الله عليه وسلم ناس كثير من المنافقين لم يخرجوا في غزوة قط مثلها منهم عبد الله بن أبي ابن سلول وزيد بن الصلت ليس لهم رغبة في الجهاد وانما غرضهم أن يصيبوا من عرض الدنيا مع قرب المسافة وسار صلى الله عليه وسلم حتى بلغ محلا نزل به فأتى برجل من عبد القيس فسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أين أهلك قال بالروحاء قال أين تريد قال اياك جئت لاومن بك وأشهد أن ما جئت به حق وأقاتل معك عدوك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي هداك للاسلام وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الاعمال أحب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة لاول وقتها فكان بعد ذلك يصلي الصلاة لاول وقتها وأصاب صلى الله عليه وسلم عينا للمشركين كان وجهه الحرث ليأتيه بخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فلم يذكر من شأنهم شيأ فعرض عليه الاسلام فأبى فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يضرب عنقه فضرب عنقه فلما بلغ الحرث مسير رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه قتل عينه سيء بذلك ومن معه وخافوا خوفا شديدا وتفرق عنه جمع كثير ممن كان معه وانتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المريسيع فضربت له صلى الله عليه وسلم قبة من أدم وكان معه فيها عائشة وأم سلمة رضي الله تعالى عنهما فتهيأ المسلمون للقتال ودفع صلى الله عليه وسلم راية المهاجرين الى أبي بكر رضي الله عنه وقيل لعمار بن ياسر وراية الانصار الى سعد بن عبادة رضي الله عنه أي وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يقول لهم قولوا لا اله الا الله تعنعوا بها أنفسكم وأموالكم ففعل عمر ذلك فأبوا فترامو ا بالنبل ساعة ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه فحملوا



ثم التفت عن يساره فقال يامعشر الانصار فقالوا لبيك يارسول الله ابشر نحن معك وفي رواية فأجابوه لبيك لبيك نحن معك يارسول الله وصار الرجل منهم اذا لم يطاوعه بعيره على الرجوع أي لم ينقد معه بسهولة انحدر عنه وتركه ورجع وسيفه وترسه معه يؤم الصوت حتى ينتهي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعض الرواة ماشبهت عطفة الانصار على رسول الله صلى الله عليه وسلم الا عطفة الابل وفي لفظ عطفة البقر على أولادها وفي رواية أقبلوا كأنهم الابل اذا حنت على أولادها وفي رواية فجاء المهاجرون والانصار بسيوفهم في أيديهم كأنها الشهب فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يصدقوا الحملة فاقتتلوا مع الكفار قتالا شديدا فنظر الى قتالهم فقال الآن حمي الوطيس وهو التنور يخبز فيه يضرب مثلا لشدة الحرب التي يشبه حرها حر التنور وهذا من فصيح الكلام ولم يسمع من أحد قبل النبي صلى الله عليه وسلم فولى المشركون الادبار والمسلمون يقتلون ويأسرون فيهم وكان في ركوبه صلى الله عليه وسلم البغلة في هذا الموطن الذي هو موطن الحرب والطعن والضرب تحقيق لنبوته لما خصه الله به من مزيد الشجاعة وتمام القوة والا فالبغال عادة من مراكب الطمأنينة والامن ولا يصلح لمواطن الحرب في العادة الا الخيل لان الخيل مخلوقة للكر والفر بخلاف البغال والابل فبين عليه الصلاة والسلام ان الحرب عنده كالسلم قوة قلب وشجاعة نفس وثقة بالله وتوكلا عليه وقد أجمعت الصحابة رضي الله عنهم انه صلى الله عليه وسلم ما انهزم مع من انهزم بل صار يقدم في وجه العدو بل ما انهزم في موطن قط وقد انعقد الاجماع على ذلك قال القاضي عياض من قال انه انهزم يستتاب فان تاب والا قتل ولما انهزم المشركون تبع آثرهم المسلمون قتلا وأسرا حتى حدث بعض من هوازن بعد اسلامه قال ما خيل لنا الا ان كل حجر وشجر فارس يطلبنا وأنزل الله من الملائكة خمسة آلاف وقيل ثمانية آلاف وقيل ستة عشر ألفا فقيل انهم قاتلوا وقيل لم يقاتلوا وانما نزلوا لالقاء السكينة في قلوب المؤمنين بالقاء الخواطر الحسنة وجاء ان النبي صلى الله عليه وسلم رفع يديه ودعا وقال اللهم انشدك ما وعدتني اللهم لا ينبغي ان يظهروا علينا اللهم كنت وتكون وانت حي لا تموت تنام العيون وتنكدر النجوم وأنت حي قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ياحي ياقيوم اللهم ان

حملة رجل واحد فما أفلت منهم انسان وقتل منهم عشرة وأسر سائرهم الرجال والنساء والذرية واستاق ابلهم وشياههم فكانت الابل ألفي بعير والشاء خمسة آلاف شاة واستعمل صلى الله عليه وسلم على ذلك مولاه شقران أي بضم الشين المعجمة واسمه صالح وكان رضي الله عنه حبشيا وكان السبي مائتي أهل بيت وفي كلام بعضهم كانوا أكثر من سبعمائة وكانت برة بنت الحرث الذي هو سيد بني المصطلق في السبي وقيل أغار عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم غافلون فقتل مقاتلهم وسبى سبيهم أي وهذا القول هو الذي في صحيح البخاري أي ومسلم والاول هو الذي في السيرة الهشامية وجمع بانه يجوز أن يكون صلى الله عليه وسلم لما أغار عليهم بيتوا وصفوا للقتال ثم انهزموا ووقعت الغلبة عليهم أي وقتل منهم من قاتل ولم يستأسر وكان شعار المسلمين أي علامتهم التي يعرفون بها في ظلمة الليل أو عند الاختلاط يامنصور أمت تفاؤلا بان يحصل لهم النصر بعد موت عدوهم وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاسارى فكتفوا واستعمل عليهم بريدة رضي الله عنه ثم فرق صلى الله عليه وسلم السبي فصار في أيدي الناس أي وفي هذا دليل لقول امامنا الشافعي رضي الله عنه في الجديد يجوز استرقاق العرب لان بني المصطلق عرب من خزاعة خلافا لقوله في القديم انهم لا يسترقون لشرفهم وقد قال في الام لولا اتاأثم بالتمني لتمنينا أن يكون هكذا أي لا يجري الرق على عربي وبعث صلى الله عليه وسلم أبا ثعلبة الطائي الى المدينة بشيرا من المريسيع أي وجمع صلى الله عليه وسلم المتاع الذي وجده في رحالهم والسلاح والنعم والشاء وعدلت الجزور بعشرة من الغنم ووقعت برة بنت الحرث في سهم ثابت بن قيس وابن عم له فجعل ثابت لابن عمه نخلات له بالمدينة في حصته من برة وكاتبها أي على تسع أواق من ذهب فدخلت عليه صلى الله عليه وسلم فقالت له يارسول الله انى امرأة مسلمة أي أسلمت لانى أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله وانى برة بنت الحرث سيد قومه أصابنا من الامر ما قد علمت ووقعت في سهم ثابت بن قيس وابن عم له وخلصني ثابت من ابن عمه بنخلات في المدينة وكاتبني على مال طاقة لي به وانى رجوتك فأعني في مكاتبتي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو خير من ذلك قالت ما هو قال أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك قالت نعم يارسول الله قد فعلت فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ثابت بن قيس فطلبها منه فقال ثابت رضي الله عنه هي لك يارسول الله بأبي أنت وأمي فأدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان كاتبها عليه وأعتقها وتزوجها أي وهي ابنة عشرين سنة وسماها جويرية أي وكان اسمها برة وكذلك ميمونة وزينب بنت جحش كان اسم كل منهما برة فغيره صلى الله عليه وسلم وكذا كان اسم بنت أم سلمة برة فسماها زينب ويذكر ان عليا كرم الله وجهه هو الذي أسرها (أقول) ولا مانع أن يكون على كرم الله وجهه أسرها ثم وقعت في سهم ثابت وابن عمه رضي الله عنهما عند القسمة لانه لم يثبت في هذه الغزوة انه صلى الله عليه وسلم جعل الاسرى لمن أسرهم كما وقع في بدر الا ما يأتي من قول أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ورغبنا في الفداء وقد

تشأ أن لا تعبد بعد اليوم اللهم لك الحمد واليك المشتكى وأنت المستعان فقال له جبريل عليه السلام لقد لقنت الكلمات التي لقن الله موسى يوم فلق له البحر كان البحر أمامه وفرعون خلفه وكان في يوم حنين أمام المشركين رجل على جمل أحمر بيده راية سوداء في رأس رمح طويل وهوازن خلفه ان أدرك من امامه طعنه برمحه وان فاته دفع رمحه لمن وراءه فاتبعوه فبينما هو كذلك اذ أهوى اليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه ورجل من الأنصار يريدانه فأتى علي رضي الله عنه من خلفه وضرب عرقوبي الجمل فوقع على عجزه ووثب الانصاري على الرجل فضربه ضربة أطن قدمه بنصف ساقه واجتلد الناس فوالله ما رجعت راجعة المسلمين من هزيمتهم حتى وجدوا الاساري مكتوفين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما انهزم المسلمون تكلم رجال من أهل مكة لما في نفوسهم من الضغن وكان ذلك قبل ان يتمكن الاسلام في قلوبهم وقالوا لا تنتهي هذه الهزيمة دون البحر وقالوا غلبت والله هوازن ولم يرض صفوان بن أمية بتلك المقالة وكان ذلك قبل اسلامه فقال لقائل ذلك بفيك الكثكث أي الحجارة والتراب وقال هشام ابن كلدة وكان اخا صفوان لامه بطل سحر محمد فقال له صفوان اسكت فض الله فاك فوالله لأن يربني رجل من قريش احب الي من ان يربني رجل من هوازن ومر رجل على صفوان فقال له أبشر بهزيمة محمد وأصحابه فوالله لا يجبرونها أبدا فغضب صفوان وقال اتبشرني بظهور الاعراب فوالله لرب من قريش أي مالك بدا مري احب الي من رجل من الاعراب وقال عكرمة بن أبي جهل لمن قال لا يجبرونها ابدا ليس هذا لك ولا بيدك الامر بيد الله ليس الى محمد منه شئ ان ديل عليه اليوم فان له العاقبة غدا ووصلت الهزيمة الى مكة وفي وسر بذلك قوم لم يتمكن الاسلام في قلوبهم واظهروا الشماتة وقال قائل منهم ترجع العرب الى دين آبائها وثبت الله عتاب بن أسيد وجماعة معه فلم يتغيروا عما هم عليه حتى جاءتهم البشرى بنصرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وانهزام هوازن ومن معهم وعن قتادة قال مضى سرعان المنهزمين الى مكة يخبرون أهلها بالهزيمة فسر بذلك قوم من أهلها واظهروا الشماتة وقال قائلهم

يقال رغبوا في الفداء بعد القسمة والله أعلم قال وعن عائشة رضي الله عنها قالت كانت جويرية امرأة حلوة لا يكاد يراها أحد الا أخذت بنفسه فبينما النبي صلى الله عليه وسلم عندي ونحن على الماء أي الذي هو المريسيع اذ دخلت جويرية تسأله في كتابتها فوالله ما هو الا ان رأيتها فكرهت دخولها على النبي صلى الله عليه وسلم وعرفت انه سيرى منها مثل الذي رأيت فقالت يا رسول الله اني امرأة مسلمة الحديث انتهى واغا كرهت ذلك لما جبلت عليه النساء من الغيرة ومن ثم جاء انه صلى الله عليه وسلم خطب امرأة فأرسل عائشة رضي الله تعالى عنها لتنظر اليها فلما رجعت اليه قالت ما رأيت طائلا فقال بلى لقد رأيت خالا في خدها فاقشعرت منه كل شعرة في جسدك أي وفي لفظ آخر عن عائشة رضي الله عنها فما هو الا أن وقفت جويرية بباب الحباء لتستعين برسول الله صلى الله عليه وسلم على كتابتها فنظرت اليها فرأيت على وجهها ملاحة وحسنا فأيقنت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رآها أعجبته عليها منها بموقع الجمال منه صلى الله عليه وسلم فما هو الا ان كلمته صلى الله عليه وسلم فقال لها صلى الله عليه وسلم خير من ذلك أنا أؤدي كتابتك وأتزوجك فقضى عنها كتابتها وتزوجها والملاح أبلغ من الملح والمليح مستعار من قولهم طعام مليح اذا كان فيه الملح بمقدار ما يصلحه قال الاصمعي رحمه الله الحسن في العينين والجمال في الانف والملاحة في الفم وهذا السياق يدل على انه صلى الله عليه وسلم تزوجها وهم على الماء الذي هو المريسيع ويؤيده ما يأتي عنها رضي الله تعالى عنها قال الشمس الشامي رحمه الله ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم لجويرية حتى عرف من حسنها ما دعاه لتزوجها لانها كانت أمة مملوكة أي لانها مكاتبة ولو كانت غير مملوكة أي حرة ما ملأ صلى الله عليه وسلم عينه منها أو أنه صلى الله عليه وسلم نوى نكاحها أو ان ذلك كان قبل آية الحجاب (أقول) تبع في هذا السهيلي رحمه الله وقد قدمنا ان من خصائصه صلى الله عليه وسلم جواز نظر الاجنبية والخلوة بها لامنه صلى الله عليه وسلم من الفتنة فلا يحسن قوله ولو كانت حرة ما ملأ صلى الله عليه وسلم عينه منها * ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم حرمة نكاح الامة فلا يحسن قوله أو انه نوى نكاحها وان نزول آية الحجاب كان في سنة ثلاث على الراجح ومذهب الشافعي رضي الله عنه حرمة نظر سائر بدن الامة الاجنبية كالحرة على الراجح عند الشافعية ومنهم الشمس الشامي فلا يحسن قوله لانها كانت أمة مملوكة والله أعلم روى الشيخان عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة بني المصطلق فسبينا كرائم العرب أي واقتسمناها وملكناها فطالت علينا العزبة ورغبنا في الفداء فأردنا نستمتع ونعزل فقلنا نفعل ذلك وفي لفظ فأصبنا سبايا وبنا شهوة للنساء واشتدت علينا العزوبة وأحببنا الفداء وأردنا أن نستمتع ونعزل وقلنا نعزل ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا فسألناه عن ذلك فقال صلى الله عليه وسلم لا عليكم أن لا تفعلوا ما كتب الله خلق نسمة أي نفس قدرها هي كائنة الى يوم القيامة الا ستكون وفي لفظ ما عليكم أن لا تفعلوا فان الله قد كتب من هو خالق الى يوم القيامة

ترجع العرب الى دين آبائها وقد قتل محمد وتفرق أصحابه فقال عتاب بن أسيد رضى الله عنه ان قتل محمد فان دين الله قائم والذى يعبده محمد حى لا يموت فما أمسوا حتى جاءهم الخبر بنصره صلى الله عليه وسلم فسر عتاب ومعاذ وكبت الله من كان يسره خلاف ذلك ولما انعطف المسلمون راجعين انتهوا فى قتالهم هوازن الى قتل الذرية فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الذرية وقال صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه روى ان أبا طلحة الانصارى رضى الله عنه قتل وحده عشرين قتيلا وأخذ أسلابهم

وفى رواية لا عليكم أن لا تفعلوا ذلك فانما هو القدر وفى رواية ما من كل الماء يكون الولد واذا أراد الله خلق شئ لم يمنعه أى ما عليكم حرج فى عدم فعل العزل وهو الانزال فى الفرج لان العزل الانزال خارج الفرج فيجامع حتى اذا قارب الانزال نزع فأنزل خارج الفرج ما من نسمة كائنة الى يوم القيامة الا وهى كائنة أى عزلتم أم لا فلا فائدة فى عزلكم لان الماء قد يسبق العزل الى الرحم فيجىء الولد وقد ينزل فى الفرج ولا يجئ الولد وكون ذلك كان فى بنى المصطلق هو الصحيح خلافا لما نقل عن موسى بن عقبة رحمه الله تعالى ان ذلك كان فى غزوة أوطاس وقول أبى سعيد رضى الله عنه قد طالت علينا العزبة واشتهينا النساء أى لعل أباسعيد الخدرى رضى الله عنه ومن تكلم على لسانه كان فى المدينة أعزب والا فايام تلك الغزوة لم تطل فانها كانت ثمانية وعشرين يوما قال أبو سعيد رضى الله عنه فقدم علينا وفدهم أى بالمدينة فى الامتاع وكانوا قدموا المدينة ببعض السبى فقدم عليهم أهلوهم فافتدوا الذرية والنساء كل واحد بست فرائض ورجعوا الى بلادهم قال أبو سعيد رضى الله عنه وخرجت بجارية أبيعها فى السوق أى قبل أن يقدم وفدهم فى فدائهم فقال لى يهودى يا أباسعيد تريد بيعها وفى بطنها منك سخلة هى فى الاصل ولد الغنم فقلت كلا انى كنت أعزل عنها فقال تلك الوأدة الصغرى أى المرة من الوأد وهو ان يدفن الرجل بنته حية فالموؤدة البنت تدفن فى القبر وهى حية كانت الجاهلية خصوصا كندة تفعل ذلك فجئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال كذبت يهود كذبت يهود زاد فى رواية لو أراد الله عز وجل أن يخلقه ما استطعت ان تصرفه وبهذا مع ما تقدم من نفى الحرج استدل أئمتنا رحمهم الله على جواز العزل مع الكراهة فى كل امرأة سرية او حرة فى كل حال سواء رضيت أم لا وقال جمع بحرمته قالوا لانه طريق الى قطع النسل وفى مسلم ما يوافق ما قالته يهود ففى مسلم سألوه صلى الله عليه وسلم عن العزل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الوأد الخفى أى بمثابة دفن البنت حية الذى كان يفعله الجاهلية خوف الاملاق أو خوف حصول العار الا أن يقال هذا كان منه صلى الله عليه وسلم قبل ان يوحى اليه بحل ذلك ثم نسخ فلا مخالفة ويدل لذلك ما فى مسلم أيضا عن جابر رضى الله عنه كنا نعزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن ينزل فلم ينهنا وفى رواية ان رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان لى جارية هى خادمنا وساقيتنا فى النخل وانا أكره أن تحمل فقال صلى الله عليه وسلم اعزل عنها ان شئت فانه سيأتيها ما قدر لها فلبث الرجل ثم أتاه صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان الجارية قد حبلت فقال قد أخبرتك انه سيأتيها ما قدر لها فقد أرشده صلى الله عليه وسلم الى العزل الذى لا يكون معه الولد غالبا وأخبر بان ذلك لا يمنع وجود ما قدر لها من حصول الولد وعن عبد الله بن زياد رضى الله عنه قال افاء أى غنم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة بنى المصطلق جويرية بنت الحرث وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فأقبل أبوها فى فدائها فلما كان بالعقيق نظر الى ابله التى يفدى بها ابنته فرغب فى بعيرين منها كانا من أفضلها

وأدرك ربيعة بن رفيع السلمى دريد بن الصمة فاخذ بخطام جمله وهو يظن انه امرأة فاذا هو شيخ كبير أعمى ولا يعرفه الغلام فقال له دريد ماذا تريد فقال أقتلك قال ومن أنت قال ربيعة بن رفيع السلمى ثم ضربه بسيفه فلم يغن شيأ فقال له دريد بئس ما سلحتك أمك خذ سيفى هذا من مؤخر الرحل ثم اضرب به وارفع عن العظام واخفض عن الدماغ فانى كذلك كنت أضرب الرجال ثم اذا أتيت أمك فاخبرها انك قتلت دريد بن الصمة فرب يوم قد منعت فيه نساءك فقتله فلما أخبر ربيعة أمه بقتله قالت له أما والله لقد أعتق اثنين بل ثلاثا هلا تكرمت عن قتله لما أخبرك بمنه علينا فقال ما كنت لاتكرم عن رضا الله ورسوله وقيل القاتل لدريد الزبير بن العوام رضى الله عنه وكانت أم سليم رضى الله عنها مع زوجها أبى طلحة زيد بن سهل الانصارى رضى الله عنه وكانت رضى الله عنها حازمة وسطها ببرد لها وفى حزامها خنجر وكانت حاملا بابنها عبد الله بن أبى طلحة فقال لها زوجها ما هذا الخنجر الذى معك يا أم سليم قالت ان دنا منى أحد من المشركين بعجته به فقال أبو طلحة ألا تسمع يا رسول الله ما تقول أم سليم فاعاد عليه القول فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك وقالت أم سليم رضى الله عنها للنبى صلى الله عليه وسلم بابى أنت وأمى يا رسول الله اقتل هؤلاء الذين انهزموا عنك فانهم لذلك أهل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد كفى وأحسن أى وقد غفر الله لهم كما قال تعالى وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم وجرح خالد بن الوليد رضى الله عنه جراحات أثقلت به وعن بعض الصحابة رضى الله عنهم قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم

بعد ما هزم الله الكفار ورجع المسلمون الى رحالهم يمشي في المسلمين ويقول من يدلني على رحل خالد بن الوليد حتى دل عليه فوجده قد أسند الى مؤخرة الرحل لانه أثقل بالجراحة فتفل صلى الله عليه وسلم في جراحاته فبرأ لوقته وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال لقد رأيت قبل هزيمة هوازن والناس يقتتلون شيأ أسود أقبل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم فاذا نمل مبثوث قد ملأ الوادي فلم أشك انه الملائكة ولم تكن الاهزيمة القوم وعن جمع من هوازن قالوا لقد رأينا يوم حنين رجالا بيضا على خيل بلق عليهم عمائم صفر قد أرخوها بين أكتافهم بين السماء والارض كتائب لا نستطيع أن نقاتلهم من الرعب منهم وكان جملة من قتل من المسلمين في هذه الوقعة أربعة فقط وقتل من المشركين وقت الحرب أكثر من سبعين قيل وفي الانهزام أكثر من ثلثمائة وأسر منهم خلق كثير ومن النساء ستة آلاف نفس وغنم المسلمون من الابل أربعة وعشرين ألف بعير ومن الغنم أكثر من أربعين ألف شاة ومن الفضة أربعة آلاف أوقية ولم يذكروا عدد البقر لانها كانت قليلة بالنسبة لما ذكروا ولما وقعت هزيمة هوازن أسلم كثير من كفار مكة وغيرهم لما رأوا من نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عائذ بن عمرو رضي الله عنه قال أصابتني رمية يوم حنين في جبهتي وسال الدم على وجهي وصدري فسلمت النبي صلى الله عليه وسلم بيده عن وجهي وصدري الى نرفوتي ثم دعا لي فصار أثر يده غرة سائلة كغرة الفرس ولما انهزم القوم عسكر بعضهم باوطاس فارسل اليهم صلى الله عليه وسلم أبا عامر الاشعري رضي الله عنه كما يأتي على الاثر والله أعلم

﴿سرية أبي عامر الاشعري رضي الله عنه﴾

وهو عم أبي موسى الاشعري رضي الله عنه وتسمى هذه السرية غزوة أوطاس بعث صلى الله عليه وسلم من أبا عامر خلف الفارين من هوازن ومعه جمع من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم منهم سلمة بن الاكوع رضي الله عنه فالتقوا باوطاس وهو واد في ديار هوازن وكان المنهزمون انقسموا ثلاث فرق فرقة منهم لحقت بالطائف وفرقة بنخلة وفرقة باوطاس فانتهى اليهم أبو عامر وذاهم مجتمعون فناوشوه القتال وقتل منهم أبو عامر تسعة اخوة مبارزة بعد ان ردعوكل واحد منهم الى الاسلام ويقول

فعقبهما في شعب من شعاب العقيق ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اصبر ابنتي وفي رواية قال يا رسول الله كريمة لا تسبى وهذا فداؤها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فأين البعيران اللذان عقبتهما بالعقيق في شعب كذا وكذا فقال الحرث أشهد انك رسول الله ما اطلع على ذلك الا الله وأسلم وأسلم ولده دخل بالامان الى المدينة وفي رواية أنه أسلم قبل ذلك وأسلم معه ابنان وناس من قومه وعليه فيكون قوله فأسلم أي أظهر اسلامه وعند ذلك أمره صلى الله عليه وسلم بأن يخيرها فقال أحسنت واجملت فقال لها أبوها يا بنية لا تفضحي قومك قالت اخترت الله ورسوله وفيه كيف يأمره صلى الله عليه وسلم بتخييرها بعد ان تزوجها كما تقدم ان مقتضى السياق انه تزوجها وهم على الماء ثم رأيت الامام أبا العباس بن تيمية أنكر مجيء أبيها وتخييره فليتأمل وفي الاستيعاب ان عبد الله بن الحرث أخا جويرية بنت الحرث زوج النبي صلى الله عليه وسلم قدم على النبي صلى الله عليه وسلم في فداء أسارى بني المصطلق وغيب في الطريق ذودا وجارية سوداء فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم في فداء الاسارى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم فما جئت به قال ما جئت بشيء قال فأين الذود والجارية السوداء الذي غيبت في موضع كذا قال أشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله والله ما كان معي أحد ولا سبقني اليك أحد فاسلم وفيه ما تقدم في أبيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لك الهجرة حتى تبلغ بركك الغمامة هذا كلامه والذود من الابل ما بين الثلاث الى العشر والمتبادر من هذا السياق انه جاء بذلك الذود وتلك الجارية للفداء فعن له أن يسأل في الفداء من غير شيء فغيب ذلك الذود وتلك الجارية طمعا في أنه صلى الله عليه وسلم يجيبه لذلك لمكان أخته عنده ويحتمل أن العبارة فيها اختصار وحينئذ يكون الاصل في قوله صلى الله عليه وسلم فما جئت به المال الزائد على هذا الذي جئت به فيكون الذود والجارية بعض ما جاء به للفداء فقال ما جئت بشيء أي زائد على هذا الذي جئت به لانه يبعد أن يطلب الفداء من غير شيء فليتأمل وفي لفظ انه لما جاء أبوها في فدائها دفعت اليه ابنته جويرية وأسلمت وحسن اسلامها فخطبها النبي صلى الله عليه وسلم الى أبيها فزوجه اياها وأصدقها أربعمائة درهم وفي الامتاع يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم جعل صداقها عتق كل أسير من بني المصطلق ويقال جعل صداقها عتق أربعين من قومها ولا يخفى ان مجيء أبيها في فدائها وتزويجها للنبي صلى الله عليه وسلم يخالف السياق ما تقدم أنه تزوجها وهم على الماء ويحتاج للجمع بين ما ذكر وبين ما روى انه لما رأى المسلمون أنه صلى الله عليه وسلم تزوج جويرية قالوا في حق بني المصطلق اصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتقوا ما بأيديهم منهم وعبارة الامتاع ولما تزوجها صلى الله عليه وسلم خرج الخبر الى الناس وتداقتسموا رجال بني المصطلق وملكوهم ووطؤا نساءهم فقالوا اصهار النبي صلى الله عليه وسلم فاعتقوا ما بايديهم من ذلك السبي وعن جويرية رضي الله عنها قالت لما أعتقني رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزوجني والله ما كلمته في قومي حتى كان المسلمون هم الذين أرسلوهم وما شعرت الا بجارية

اللهم اشهد عليه بأني دعوته الى الاسلام فلم يجب ثم برز له العاشر فدعاه الى الاسلام وقال اللهم اشهد عليه فقال اللهم لا تشهد علي فكف عنه أبو عامر ظنا منه انه أسلم فانفلت ثم أسلم بعد فحسن اسلامه فكان صلى الله عليه وسلم اذا رآه قال هذا شريد أبي عامر ثم استشهد أبو عامر رضي الله عنه قتله أخوان وهما العلاء وأوفى ابنا الحرث بن جشم وجاء ان أبا موسى أدرك قاتل عمه فقتله وقيل ان الذي قتله عاشر الاخوة التسعة وهو الذي أسلم بعد ثم خاف أبا عامر أبو موسى رضي الله عنه باستخلاف عمر له فأقره الناس فقاتل القوم حتى هزمهم وفتح الله على يديه وظفر المسلمون بالغنائم والسبا ياودعا النبي صلى الله عليه وسلم لابي عامر وقال اللهم اغفر لابي عامر واجعله من أعلى أمتي في الجنة وفي رواية وادخله يوم القيامة مدخلا كريما

﴿ثم سرية الطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه الى ذي الكفين﴾

وهو صنم من خشب كان لعمرو ابن حممة الدوسي وذلك انه لما أراد صلى الله عليه وسلم السير الى الطائف لمحاصرة من تحصنوا به من ثقيف بعث الطفيل لاحراق ذلك الصنم وان يوافيه بالطائف فخرج سريعا فهدمه وجعل يلقي النار في وجهه ويقول

ياذا الكفين لست من عبادكا
ميلادنا أقدم من ميلادكا
اني حشوت النار في فؤادكا

وانحدر معه من قومه أربعمائة سراعا لانه كان مطاعا في قومه فوافوا النبي صلى الله عليه وسلم بعد مقدمه من الطائف باربعة أيام

﴿غزوة الطائف﴾

وذلك انه صلى الله عليه وسلم حين خرج من حنين وحبس الغنائم بالجعرانة سار الى الطائف وجعل خالد بن الوليد على مقدمته في ألف من أصحابه وكانت ثقيف لما انهزموا

من بنات عمي تخبرني الخبر فحمدت الله سبحانه وتعالى (أقول) وذكر بعضهم أن ليلة دخوله صلى الله عليه وسلم بها طلبتهم منه فوهبهم لها ويحتاج للجمع ويقال في الجمع بين ما تقدم من فدائهم واطلاقهم من غير فداء بانه يجوز أن يكون الفداء وقع لبعضهم قبل عتق جويرية والتزوج بها فلما تزوجها صلى الله عليه وسلم أطلق بعضهم الآخر الباقي فالفداء وقع لبعضهم والاعتاق وقع لبعضهم الآخر فان السبي كان لاهل مائتي بيت ويؤيد ذلك قول بعضهم كان السبي منهم من من عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير فداء ومنهم من افتدى ويؤيد ذلك ما يأتي في كلام عائشة رضي الله عنها ان الاعتاق كان لاهل مائة بيت أي فيكون الفداء لاهل مائة بيت والاطلاق في الفداء لاهل المائة الاخرى ويكون مراد جويرية رضي الله عنها بقولها ما كلمته في قومي أي فيمن بقي منهم ثم لا يخفى ان مجيء أبيها وأخيها ومجيء وفدهم لفدائهم مخالف لما تقدم من انه أسر سائرهم الرجال والنساء والذرية ولم يفلت منهم أحد ويبعد غياب هؤلاء خصوصا أباها الذي كان يجمع القوم فعليك ان تتنبه للجمع بين هذه الروايات على تقدير صحتها والله أعلم ثم بعد ذلك أسلم بنو المصطلق وبعد بعامين بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الوليد بن عقبة بن أبي معيط لاخذ الصدقة أي وكان بينهم وبينه شحناء في الجاهلية فخرجوا للقائه وهم متقلدون السيوف فرحا وسرورا بقدومه فتوهم انهم خرجوا لقتاله ففر راجعا وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بانهم ارتدوا فهم عليه الصلاة والسلام بقتالهم أي واكثر المسلمون ذكر غزوهم فعند ذلك قدم وفدهم واخبروا بأنهم خرجوا اليه ليكرموه ويؤدوا ما عليهم من الصدقة أي وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم أرسل اليهم خالد بن الوليد فأخبروه الخبر وعند ارساله قال له صلى الله عليه وسلم اره قهم عند الصلاة فان كان القوم تركوا الصلاة فشأنك بهم فدنا منهم عند غروب الشمس فكمن حيث يسمع الصلاة فاذا هو بالمؤذن قد قام حين غربت الشمس فأذن ثم أقام الصلاة فصلوا المغرب ثم لما غاب الشفق اذن مؤذنهم ثم أقام الصلاة فصلوا العشاء ثم لما كان جوف الليل فاذا هم يتهجدون ثم عند طلوع الفجر أذن مؤذنهم وأقام الصلاة فصلوا فلما انصرفوا وأضاء النهار فاذا هم بنواصي الخيل في ديارهم فقالوا ما هذا قيل خالد بن الوليد فقالوا يا خالد ما شأنك قال أنتم والله شأني أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقيل له انكم تركتم الصلاة وكفرتم بالله فجئتوا يكون وقالوا معاذ الله وهذا الوليد بيننا وبينه شحناء في الجاهلية وانما خرجنا بالسيوف خشية ان يكافئنا بالذي كان بيننا وبينه فرد الخيل عنهم ورجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة الآيتين قال ابن عبد البر رحمه الله لا خلاف بين أهل العلم بتأويل القرآن فيما علمت ان قوله ان جاءكم فاسق بنبأ نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني المصطلق لاخذ صدقاتهم أي ونزل فيه وفي علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون أي فكان يدعى

دخلوا حصنهم بالطائف وأغلقوه عليهم بعد ان أدخلوا فيه ما يصلحهم من القوت لسنة وتهيؤا للقتال وكان معهم مالك بن عوف وجمع من أشراف قومه ومر صلى الله عليه وسلم في طريقه بحصن لمالك بن عوف فأمر به فهدم ومر بحائط أي بستان لرجل من ثقيف قد تمنع فيه فارسل اليه النبي صلى الله عليه وسلم اما ان تخرج واما ان نحرق عليك حائطك فابى أن يخرج منه فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم باحراقه ولما وصل خالد رضي الله عنه الطائف نزل بمن معه من المسلمين قريبا من

الحصن وعسكر هناك فرموا المسلمين بالنبل رميا شديدا حتى أصيب كثير من المسلمين بجراحات وقتل من المسلمين اثنا عشر رجلا منهم عبد الله بن أبي أمية المخزومي رضي الله عنه وهو أخو أم سلمة رضي الله عنها وأصيبت عين أبي سفيان رضي الله عنه فاتى النبي صلى الله عليه وسلم وعينه في يده فقال يا رسول الله هذه عيني أصيبت في سبيل الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان شئت دعوت فردت عليك وان شئت فعين في الجنة قال في الجنة ورمى بها من يده وأصيبت عينه الثانية يوم اليرموك عند قتال الروم كما تقدم الكلام على ذلك ولما وصل صلى الله عليه وسلم الطائف نزل قريبا من الحصن ثم لما قتل من قتل من المسلمين ارتفع الى موضع مسجد الطائف اليوم وحاصرهم ثمانية عشر يوما ونصب عليهم المنجنيق وهو أول منجنيق رمى به في الاسلام وكان الذي أشار به سلمان الفارسي رضي الله عنه بل قيل انه صنعه بيده وأقبل خالد بن الوليد رضي الله عنه ينادي أهل الحصن ويقول من يبارز فلم يطلع اليه أحد وناداه عبد يا ليل لا ينزل اليك منا أحد ولكن نقيم في حصننا فان به من الطعام ما يكفينا سنين فان أقمت حتى يذهب ذلك الطعام خرجنا اليك باسيافنا جميعا حتى نموت عن آخرنا ودخل جماعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم تحت دبابتين لينقبوا عليهم السور وزحفوا بها الى جدار الحصن ليخرقوه ففطن لهم ثقيف فارسلوا اليهم سكك الحديد محماة بالنار فخرجوا من تحتها فرموهم بالنبل فقتلوا منهم رجالا والدبابة بفتح الدال المهملة وموحدة مشددة وبعد الالف موحدة ثم هاء التأنيث هي آلة من آلات الحرب تجعل من الجلود يدخل فيها الرجال فيدبون بها الى الاسوار لينقبوها وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع أعنابهم وتحريقها فقطع المسلمون قطعا ذريعا فسألوه أن يدعها لله وللرحم فقال صلى الله عليه وسلم فاني أدعها لله وللرحم ونادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما عبد نزل من الحصن وخرج الينا فهو حر فخرج منهم بضعة عشر وقيل ثلاثة وعشرون رجلا ونزل منهم شخص في بكرة فقيل له أبو بكرة وكان عبدا للحرث بن كلدة فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفع كل رجل منهم الى رجل من المسلمين يمونه فشق ذلك على أهل الطائف مشقة شديدة ان

الفاسق وبعثه لاخذ صدقات بني المصطلق يرد قول من قال انه ممن أسلم يوم الفتح وكان قد ناهز الحلم أي ويرد ما روي بعضهم عنه انه قال لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة جعل أهل مكة يأتونه بصبيانهم فيمسح على رؤسهم ويدعو لهم بالبركة فاتي بي اليه وأنا مضمخ بالخلوق فلم يمسح على رأسي ولم يمنعه من ذلك الا وجود الخلوق ويرد ذلك أيضا ما سيأتي انه خرج هو وأخوه عمارة ليردا اختهما أم كلثوم عن الهجرة وكانت هجرتها في الهدنة هدنة الحديبية والوليد هذا كان أخا عثمان بن عفان لامه وولاه الكوفة أي وعزل عنها سعد بن أبي وقاص فلما قدم الوليد الكوفة على سعد رضي الله عنه قال له والله ما أدري اصرت كيسا بعدنا أم حمقنا بعدك فقال له لا تجزعن أبا اسحق وانما هو الملك يتغداه قوم ويتعشاه آخرون فقال سعد أراكم يعني بني أمية ستجعلونها والله يعني الخلافة ملكا وعند ذلك قال الناس بئسما فعل عثمان رضي الله عنه عزل سعدا المهين اللين الورع المستجاب الدعوة وولى أخاه الخائن الفاسق كما تقدم ولقي الوليد بن مسعود رضي الله عنه فقال له ما جاء بك فقال جئت أميرا فقال له ابن مسعود ما أدري أصلحت بعدنا أم فسد الناس وكان الوليد شاعرا ظريفا حليما شجاعا كريما شرب الخمر ليلة من أول الليل الى الفجر فلما أذن المؤذن لصلاة الفجر خرج الى المسجد وصلى باهل الكوفة الصبح أربع ركعات وصار يقول في ركوعه وسجوده اشربوا واسقني ثم قاء في المحراب ثم سلم وقال هل أزيدكم فقال له ابن مسعود رضي الله عنه لا زادك الله خيرا ولا من بعثك الينا وأخذ قردة خفه وضرب بها وجه الوليد وحصبه الناس فدخل القصر والحصباء تأخذه وهو مترنح والى ذلك يشير الحطيئة بقوله

شهد الحطيئة يوم يلقى ربه * ان الوليد أحق بالعذر

نادى وقد تمت صلاتهم * أأزيدكم سكرا ومايدري

ولما شهدوا عليه بشرب الخمر عند عثمان بن عفان رضي الله عنه استقدمه وأمر به فجلد أي أمر عليا كرم الله وجهه ان يقيم عليه الحد فجلده وقيل فقال علي كرم الله وجهه لابن أخيه عبد الله ابن جعفر رضي الله عنهما أقم عليه الحد أي بعد ان أمر ابنه الحسن رضي الله عنه بذلك فامتنع فاخذ عبد الله رضي الله عنه السوط وجلده وعلي كرم الله وجهه يعد عليه حتى بلغ أربعين فقال لعبد الله امسك جلد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخمر أربعين وجلد أبو بكر رضي الله عنه أربعين وجلد عمر رضي الله عنه ثمانين وكل سنة وهذا أي ما فعلته من جلده أربعين أحب الي من جلد عمر ثمانين هذا وفي البخاري ان عبد الله جلده ثمانين واجيب عنه بان السوط كان له رأسان وحينئذ يكون قوله وكل سنة أي طريقة فاربعون طريقته صلى الله عليه وسلم وطريقة الصديق رضي الله عنه والثمانون طريقة عمر رضي الله عنه رآها اجتهادا مع استشارته لبعض الصحابة في ذلك لما رآه من كثرة شرب الناس للخمر وبعد ان جلده عزله عن الكوفة وأعاد سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه ولما أراد سعد أن يصعد المنبر قال لا أصعد عليه حتى تغسلوه من آثار الوليد الفاسق فانه نجس فغسلوه كما تقدم وارسال الوليد بن عقبة لبني المصطلق كان ينبغي

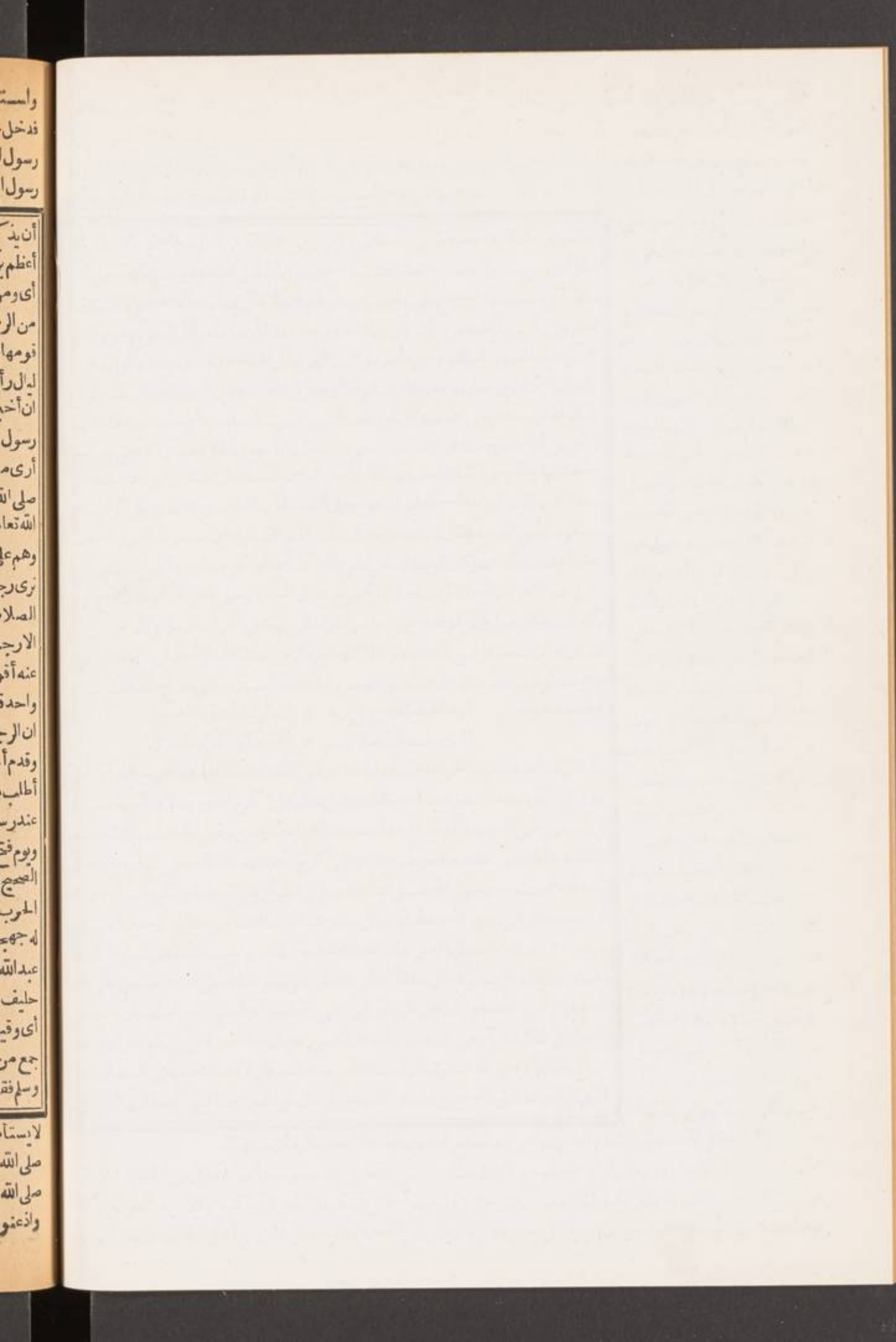

واستأذن عيينة بن حصن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أن يأتى ثقيفا فى حصنهم ليدعوهم الى الاسلام فأذن له فى ذلك فاتاهم فدخل حصنهم فقال لهم تمسكوا فى حصنكم فوالله لنحن أذل من العبيد ولا تعطوا بايديكم ولا يشق عليكم قطع هذا الشجر ثم رجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ما قلت لهم يا عيينة قال أمرتهم بالاسلام ودعوتهم اليه وحذرتهم النار ودللتهم على الجنة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبت انما قلت لهم كذا وقص عليه القصة

فقال صدقت يارسول الله أتوب الى الله واليك من ذلك وكان جملة من قتل من المسلمين اثنى عشر منهم عبد الله بن أبى أمية المخزومى رضى الله عنه أخو أم سلمة رضى الله عنها ولم يؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى فتح الطائف قالت خولة بنت حكيم رضى الله عنها قلت له يارسول الله ما يمنعك أن تنهض الى أهل الطائف قال لم يؤذن لنا حتى الآن فيهم وما أظن أن نفتحها الآن فذكرت خولة ذلك لعمر بن الخطاب رضى الله عنه فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ما حديث حدثتنيه خولة زعمت لك قلته لها قال قلته قال أوما أذن الله فيهم يارسول الله قال لا واستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم نوفل بن معاوية الديلى فى الذهاب أو المقام فقال له ثعلب فى جحران أقمت أخذته وان تركته لم يضرك قال ابن اسحق وبلغنى انه صلى الله عليه وسلم قال لابى بكر الصديق رضى الله عنه انى رأيت انى أهديت لى قعبة مملوأة زبدا فنقرها ديك فهراق ما فيها فقال أبو بكر رضى الله عنه ما أظن أن تدرك منهم يومك هذا ما تريد فقال صلى الله عليه وسلم وأنا لا أرى ذلك وكان الحكمة فى انه لم يؤذن له فى فتح الطائف ذلك العام ان لا يستأصل أهل ذلك الحصن قتلا فاخر الله أمرهم حتى جاؤا طائعين مسلمين كما سيأتى ذكره فى الوفود ان شاء الله ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه فاذن فى الناس بالرحيل فضج الناس من ذلك وقالوا نرحل ولم يفتح علينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاغدوا على القتال فغدوا فأصابت المسلمين جراحات فقال صلى الله عليه وسلم انا قافلون ان شاء الله فسروا بذلك واذعنوا وجعلوا يرحلون ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك تعجبا من سرعة تغير رأيهم لانهم رأوا ان رأيه صلى الله عليه وسلم أبر لهم

أن يذكر فى السرايا وكذا ارسال خالد رضى الله عنه لهم قالت عائشة رضى الله عنها الا اعلم امرأة أعظم بركة على قومها من جويرية اعتق بتزويجها لرسول الله صلى الله عليه وسلم أهل مائة بيت أى ومن المعلوم ان هذا كان قبل سبايا اوطاس الذين اطلقوا بسبب اخته صلى الله عليه وسلم من الرضاعة على ما سيأتى فى بعض الروايات وقيل فى حقها ما عرفت امرأة هى أيمن على قومها منها وذكرت جويرية رضى الله عنها انها قبل قدومه صلى الله عليه وسلم عليهم بثلاث ليال رأت كأن القمر يسير من يثرب حتى وقع فى حجرها أى وعنها رضى الله عنها قالت فكرهت ان أخبر بها أحدا من الناس فلما سبينا رجوت الرؤيا قال وعنها رضى الله عنها انها قالت لما أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن على المريسيع فأسمع أبى يقول اتانا ما لا قبل لنا به فلبثت أرى من الناس والخيل والسلاح ما لا أصف من الكثرة فلما ان أسلمت وتزوجنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجعنا جعلت أنظر الى المسلمين فاذا هم سوا كما كنت أرى فعلمت أنه رعب من الله تعالى يلقيه فى قلوب المشركين أى وهذا مما يؤيد ما تقدم من أنه صلى الله عليه وسلم تزوجها وهم على الماء الذى هو المريسيع وكان رجل منهم ممن أسلم وحسن اسلامه يقول لقد كنا نرى رجالا بيضا على خيل بلق ما كنا نراهم قبل ولا بعد انتهى وهو يدل على ان الملائكة عليهم الصلاة والسلام كانت مددا لهم فى هذه الغزوة ولم يقتل فى غزوة بنى المصطلق من المسلمين الا رجل واحد قتله رجل من الانصار خطأ يظنه من العدو والمقتول هشام بن صبابة رضى الله عنه أقول وهذا يحمل قول الحافظ الدمياطى رحمه الله فى سيرته انه لم يقتل من المسلمين الا رجل واحد فاعتراض صاحب الهدى عليه بان هذا وهم لانهم لم يكن بينهم قتال ليس فى محله لانه فهم ان الرجل قتله الكفار وقد علمت انه انما قتله شخص من الانصار يظنه من العدو والله أعلم وقدم أخو هذا المقتول من مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم مظهرا الاسلام وقال جئت أطلب دية أخى فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بدية أخيه فأخذها مائة من الابل وأقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم غير كثير ثم عدا على قاتل أخيه فقتله ثم خرج الى مكة مرتدا ويوم فتح مكة اهدر رسول الله صلى الله عليه وسلم دمه فقتل فى ذلك اليوم كما سيأتى وما هنا هو الصحيح خلافا لما يأتى عن الاصل فى فتح مكة ان قتل أخيه كان فى غزوة ذى قرد ثم بعد انقضاء الحرب وهم على الماء اختصم أجير لعمر بن الخطاب رضى الله عنه أى كان يقود له فرسه يقال له جهجاه رضى الله عنه مع رجل من حلفاء الخزرج قيل حليف عمرو بن عمر وقيل حليف عبد الله بن أبى ابن سلول وهو سنان بن فروة رضى الله عنه أى فضرب أجير عمر رضى الله عنه حليف الخزرج فسال الدم وفى لفظ كسعه أى دفعه فنادى حليف الخزرج يا معشر الانصار أى وقيل قال يا للخزرج ونادى أجير عمر يا معشر المهاجرين وقيل قال يا للكنانة يا للقريش فاقبل جمع من الجيشين وشهروا السلاح حتى كاد أن تكون فتنة عظيمة فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما بال دعوى الجاهلية فاخبر بالحال أى فقالوا رجل من المهاجرين ضرب رجلا من

وأنفع من رأيهم فرجعوا اليه وقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده فلما ارتحلوا قال قولوا آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون وقيل له يارسول الله ادع على ثقيف أهل الطائف فقال اللهم اهد ثقيفا واتت بهم مسلمين ورحم الله الابوصيرى حيث يقول

جهلت قومه عليه فأغضى * وأخو الحلم دأبه الاغضاء
وسع العالمين علما وحلما * فهو بحر لم تعيه الاعباء

وعند انحداره الى الجعرانة لقيه سراقة بن مالك وهو واضع

للكتاب الذى كتبه له صلى الله عليه وسلم عند الهجرة بين أصبعيه وينادى أنا سراقة وهذا كتابى فقال صلى الله عليه وسلم هذا يوم وفاء ومودة ادنوه فادنوه منه فاسلم رضى الله عنه وسأل النبى صلى الله عليه وسلم عن الضالة من الابل ترد حوضه الذى ملأه لابله هل له فى ذلك أجر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم فى كل ذات كبد حرى أجر ولما وصل صلى الله عليه وسلم الجعرانة أمر باحصاء السبى فكان كما تقدم ستة آلاف من النساء والذرية والاسرى ومن الابل أربعة وعشرين ألفا ومن الغنم أكثر من أربعين ألفا ومن الفضة أربعة آلاف أوقية غير ما يتبع ذلك من الامتعة وكان صلى الله عليه وسلم قد انتظر قدوم هوازن وتربص بهم بضع عشرة ليلة ثم بدأ بقسمة الغنائم فقسمها ثم قدم عليه هوازن مسلمين وردد عليهم السبى كما سيأتى وسألهم عن رئيسهم مالك بن عوف النصرى فقالوا هو مع ثقيف بالطائف فقال اخبروه انه ان أتانى مسلما رددت عليه أهله وماله وأعطيته مائة من الابل فلما أخبروا مالكا بذلك ركب مستخفيا فادرك النبى صلى الله عليه وسلم بالجعرانة وقيل بمكة فرد عليه أهله وماله وأعطاه مائة من الابل كما وعد صلى الله عليه وسلم وأسلم وحسن اسلامه

من رضى الله عنه وقال حين أسلم يمدح النبى صلى الله عليه وسلم

ما ان رأيت ولا سمعت بمثله * فى الناس كلهم بمثل محمد
أوفى وأعطى للجزيل اذا احتدى * ومتى تشا يخبرك عما فى غد
فكأنه ليث على اشباله * وسط الهباة جاذر فى مرصد

واستعمله النبى صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه فكان يقاتل بهم ثقيفا لا يخرج لهم سرح الا أغار عليه وضيق عليهم حتى

الانصار فقال صلى الله عليه وسلم دعوها أى تلك الكلمة التى هى يا للفلان فانها منتنة أى مذمومة لانها من دعوى الجاهلية وجاء من دعا دعوى الجاهلية كان من محثى جهنم أى مما يرمى به فيها قيل يارسول الله وان صلى وزعم أنه مسلم قال وان صام وان صلى وزعم انه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم لينصر الرجل أخاه ظالما أو مظلوما ان كان ظالما فلينهه فانه ناصر أى له وان كان مظلوما فلينصره أى بزيل ظلامته ثم كملوا ذلك المضروب فترك حقه فسكنت الفتنة وانطفت نائرة الحرب وجهجاه هذا روى عنه عطاء بن يسار أن النبى صلى الله عليه وسلم قال الكافر يأكل فى سبعة أمعاء والمؤمن يأكل فى معى واحد وهو المراد بهذا الحديث فى كفره واسلامه لانه شرب حلاب سبع شياه قبل أن يسلم ثم أسلم فلم يستتم حلاب شاة واحدة أى وسيأتى نظير ذلك لثمامة الحنفى ونقل أبو عبيد أن الرجل الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه المقالة هو أبو بصرة الغفارى أى ولا مانع أن يكون صلى الله عليه وسلم قال ذلك فى حق الرجل المذكور أيضا فقد تكرر منه صلى الله عليه وسلم ذلك ثلاث مرات لرجال ثلاثة أكل كل واحد منهم فى الكفر أكثر مما أكل فى الاسلام قال ابن عبد البر رحمه الله وجهجاه هذا هو الذى تناول عصا رسول الله صلى الله عليه وسلم من يد عثمان رضى الله عنه وهو يخطب فكسرها على ركبته فاخذته أكلة فى ركبته فمات منها هذا كلامه وفى كلام السهيلى رحمه الله انه انتزع تلك العصا من عثمان حين اخرج من المسجد ومنع من الصلاة فيه وكان هو أحد المعينين عليه هذا كلامه وقد يقال لا مخالفة بين كونه أخذ العصا منه وهو يخطب وبين كونه أخذها حين اخرج من المسجد لانه يجوز أن يكون اخرج من المسجد فى أثناء الخطبة وأخذت العصا منه حينئذ وعند تخاصم الرجلين غضب عبد الله بن أبى ابن سلول وكان عنده رهط من قومه من الخزرج من المنافقين وكان عندهم زيد بن أرقم رضى الله عنه وهو غلام حديث السن فقال عبد الله بن أبى لعنه الله والله ما رأيت كاليوم مذلة أو قد فعلوها انا فرونا أى غلبونا وكاثرونا فى بلادنا أى وانكرونا ملتنا والله ما أعدنا أى أظننا يعنى معاشر الانصار وقريش وفى رواية وجلابيب قريش هؤلاء يعنى معاشر المهاجرين الا كما قال الاول أى الاقدمون فى أمثالهم سمن كلبك يأكلك أى ويقولون اجع كلبك يتبعك والله لقد ظننت انى سأموت قبل ان اسمع هاتفا يهتف بما سمعت أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل يعنى بالاعز نفسه وبالاذل النبى صلى الله عليه وسلم وفى الاستيعاب ان عبد الله بن أبى قال ذلك فى غزوة تبوك هذا كلامه وفيه نظر ظاهر والجلابيب جمع جلباب ما يجلب من بلد الى غيره يعنى أغراب وقيل شبهوا بالجلابيب التى هى الازر الغلاظ القليلة القيمة ثم أقبل على من حضر من قومه فقال هذا ما فعلتم بانفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم أما والله لو أمسكتم عنهم ما بايديكم لتحولوا الى غير داركم أى ثم لم ترضوا بما فعلتم حتى جعلتم أنفسكم أغراضا لنا فقتلتم دونه يعنى النبى صلى الله عليه وسلم فايتم أولادكم وقللتم وكثروا فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا

أسلموا وشهد فتح القادسية وفتح دمشق فى خلافة عمر رضى الله عنه ولما جاء وفد هوازن الى النبى صلى الله عليه وسلم بعد ان قسم الغنائم سألوه ان يرد عليهم سبيهم وأموالهم فقال صلى الله عليه وسلم معى من ترون يعنى من المسلمين وقد استأنيت بكم حتى ظننت انكم لا تقدمون وقد قسمت فاختاروا اما المال فاختاروا السبى فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين فى رد سبيهم عليهم فردوه كلهم الا عيينة بن حصن فانه أبى أن يرد عجوزا كبيرة وقال هذه أم الحى ٣١٧ لعلهم ان يغلوا فداءها ثم ردها بست

من عند محمد صلى الله عليه وسلم فسمع ذلك زيد بن أرقم رضى الله عنه على ما هو الصحيح وقيل سفيان بن تيم فمشى به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره الخبر وعنده عمر بن الخطاب رضى الله عنه أى ونفر من المهاجرين والانصار وفى البخارى عن زيد بن أرقم رضى الله عنه فذكرت ذلك لعمى أو لعمر فذكره للنبى صلى الله عليه وسلم فدعانى فحدثته فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك وتغير وجهه وقال له ياغلام لعلك غضبت عليه قال والله يارسول الله لقد سمعته منه قال لعله اخطأ سمعك ولامه من حضر من الانصار وقالوا عمدت الى سيد قومك تقول عليه ما لم يقل أى وفى البخارى فكذبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصابنى هم لم يصبنى مثله قط وجلست فى البيت أى الخباء فقال لى عمى ما اردت الا ان كذبك رسول الله صلى الله عليه وسلم ومقتك فقال زيد والله لقد سمعت ما قال ولو سمعت هذه المقالة من أبى لنقلتها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وانى لارجو أن ينزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم ما يصدق حديثى أى وقيل ان زيد بن أرقم رضى الله عنه قال لابن أبى لما قال أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل أنت والله الذليل المنقص فى قومك ومحمد صلى الله عليه وسلم فى عز من الرحمن وقوة من المسلمين فقال له ابن أبى لعنه الله اسكت فانما كنت ألعب فعند تغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم استأذنه عمر رضى الله عنه فى ان يقتل ابن أبى والتمس منه ان يامر غيره بقتله اذا لم يأذن له فى ذلك أى فعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لما كان من أمر ابن أبى ما كان جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى فىء شجرة أى ظلها عنده غليم أسود يغمز ظهره أى يكبسه فقلت يارسول الله كأنك تشتكى ظهرك فقال تقحمت بى الناقة أى ألقتنى الليلة فقلت يارسول ائذن لى أن أضرب عنق ابن أبى أو مر محمد بن مسلمة بقتله أى وفى رواية مر به عباد بن بشر فليقتله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف ياعمر اذا تحدث الناس بان محمدا يقتل أصحابه وفى لفظ ان عمر رضى الله عنه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كرهت ان يقتله مهاجرى فامر به انصار يا فقال ترعدله اذن انف كثيرة بيثرب يعنى المدينة ولعل تسميته صلى الله عليه وسلم لها بذلك ان كان بعد النهى لبيان الجواز وبعد أن يكون ذلك كان قبل النهى عن ذلك ولكن أذن بالرحيل وكان ذلك فى ساعة لم يكن يرتحل فيها أى وفى رواية لما شاع الخبر ولم يكن للناس حديث فى ذلك اليوم أى الوقت الا ذلك اذن بالرحيل وكانت ساعة لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحل فيها أى لشدة الحر فارتحل الناس وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه أسيد بن حضير رضى الله عنه فحياه بتحية النبوة وسلم عليه أى قال السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته وقال يانبى الله لقد رحلت فى ساعة منكرة ما كنت تروح فى مثلها أى فانه صلى الله عليه وسلم كان لا يرحل الا ان برد الوقت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أما بلغك ما قال صاحبكم فقال أى صاحب يارسول الله قال عبد الله بن أبى ابن سلول قال وما قال قال زعم انه ان رجع الى المدينة اخرج الاعز منها الاذل قال فأنت والله يارسول الله تخرجه ان شئت

قلائص كما سيأتى وكانت فى السبى أخته صلى الله عليه وسلم من الرضاع وهى الشيماء قيل وأمه حليمة رضى الله عنها ولما قالت له الشيماء أنا أختك يارسول الله قال وما علامة ذلك فاخبرته بعضة كان عضها اياها حين كان مسترضعا عندهم وأرته اياها فعرفها وتذكر ذلك فقام وبسط لها رداءه وصنع مثل ذلك بامه حليمة رضى الله عنها حين جاءته ودمعت عيناه وقال للشيماء لما ان عرفها سلى تعطى واشفعى تشفعى وقيل ان قومها قالوا لها ان هذا الرجل أخوك فلو أتيته فسألته فى قومك لرجونا ان يحابينا فاتته فقالت أتعرفنى قال من أنت قالت أنا أختك بنت أبى ذؤيب وآية ذلك انى حملتك فعضضت كتفى عضة شديدة هذا أثرها فرحب بها فاستوهبته السبى وهم ستة آلاف فوهبهم لها فلما عرفت مكرمة مثلها ولا امرأة أيمن على قومها منها وخيرها صلى الله عليه وسلم فقال ان أحببت فعندى محببة مكرمة وان أحببت ان امتعك وترجعى الى قومك قالت بل تمتعنى وأرجع الى قومى فاعطاها نعما وشاء وغلاما يقال له مكحول وجارية وقيل أعطاها ثلاثة أعبد وجارية ونعما وشاء وقيل القادم عليه أمه وقيل

هما معا جمعا بين الروايات وجاءه أبو صرد ويكنى بابى برقان وكان عما له صلى الله عليه وسلم من الرضاع فقال يارسول الله انا أصل وعشيرة وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك وان فيمن أصبت الامهات والاخوات والعمات والخالات ونرغب الى الله والبك يارسول الله وقال زهير بن صرد يارسول الله ان ما فى الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتى كن يكفلنك أى لان مرضعته حليمة رضى الله عنها كانت من هوازن لو أرضعنا للحرث بن أبى شمر ملك الشام أو للنعمان بن المنذر ملك العراق ثم نزل بنا مثل ما نزلت بنا رجونا عطفه

وعائذه علينا وأنت خير المكفولين ثم أنشده أبياتا يستعطفه بها منها قوله امنن علينا رسول الله فى كرم * فانك المرء نرجوه ونتنظر
امنن على نسوة قد كنت ترضعها * اذ فوك يملؤه من محضها الدرر انا نؤمل عفوا منك تلبسه * هذى البرية ان تعفو وتنتصر
فألبس العفو من قد كنت ترضعه * من أمهاتك ان العفو مشتهر فقال صلى الله عليه وسلم ان أحسن الحديث أصدقه أبناؤكم
ونساؤكم أحب اليكم أم أموالكم فاختاروا احدى الطائفتين اما السبى واما المال وقد كنت استأنيت بكم حتى ظننت
انكم لا تقدمون لانه كما تقدم انتظارهم بعد ان قفل من الطائف بضع عشرة ليلة وفى رواية قال لهم قد وقعت المقاسم مواقعها فأى الامرين أحب اليكم السبى أم الاموال وفى رواية قال لهم اما مالى ولبنى عبد المطلب فهو لكم ثم قال لهم اذا أنا صليت الظهر بالناس فقوموا فقولوا انا نستشفع برسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسلمين وبالمسلمين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أبنائنا ونسائنا واظهروا اسلامكم وقولوا نحن اخوانكم فى الدين فسأسأل لكم الناس فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر قاموا فتكلموا بالذى أمرهم به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان أثنى على الله بما هو أهله أما بعد فان اخوانكم هؤلاء جاؤنا تائبين وانى قد رأيت ان أرد اليهم سبيهم فمن أحب منكم أن يطيب بذلك فليفعل ومن أحب منكم ان يكون على حظه حتى نعطيه اياه من أول ما يفيء الله علينا فليفعل وفى رواية قال وأما من تمسك منكم بحقه من السبى فله بكل انسان ست فلائص وفى رواية فرائض لان البعير يسمى فريضة لكونه يؤخذ فى الزكاة ونعطيه ذلك من أول سبى نصيبه وفى رواية فمن أحب ان يعطى غير مكره فليفعل ومن كره أن يعطى وأراد أخذ الفداء فعلى فداؤهم ثم قال اما ما كان لى ولبنى عليهم عبد المطلب فهو لكم فقال المهاجرون والانصار ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الاقرع بن حابس اما أنا وبنو تميم فلا وقال عيينة بن حصن الفزارى اما أنا وبنو فزارة فلا وقال العباس بن مرداس السلمى اما أنا وبنو سليم فلا فقال بنو سليم بلى ما كان لنا فهو لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم فقال لهم العباس وهنتمونى أى أضعفتمونى حيث صيرتمونى منفردا وفى رواية فقال رسول الله

هو والله الذليل وأنت العزيز ثم قال يا رسول الله ارفق به فوالله لقد جاء الله بك وفى رواية لقد جاءنا الله بك وان قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه ما بقيت عليهم الا خرزة واحدة عند يوشع اليهودى فانه ليرى انك استلبته ملكا وقد تقدم الاعتذار عنه بذلك فى غير ما مرة ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس سيرا حثيثا أى صار يضرب راحلته بالسوط فى مراقها أى مارق من جلد أسفل بطنها وسار يومهم ذلك وليلتهم وصدر ذلك اليوم الثانى حتى آذتهم الشمس ثم نزل بالناس فلم يلبثوا ان وجدوا مس الارض وقعوا نياما وانما فعل صلى الله عليه وسلم ذلك ليشتغل الناس عن الحديث الذى كان بالامس من حديث عبد الله بن أبى ابن سلول قال وذهب بعض الانصار الذين سمعوا قول النبى صلى الله عليه وسلم ورده على الغلام الى ابن أبى لعنه الله فقال له يا أبا الحباب ان كنت قلت ما نقل عنك فأخبر به النبى صلى الله عليه وسلم فليستغفر لك ولا تجعده فينزل فيك ما يكذبك وان كنت لم تقله فائت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذر له واحلف له ما قلته فحلف بالله العظيم ما قال من ذلك شيأ ثم مشى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن أبى ان كانت سبقت منك مقالة فتب فجعل يحلف بالله ما قلت ما قال زيد وما تكلمت به انتهى أى وفى لفظ انه صلى الله عليه وسلم ارسل الى ابن أبى فأتاه فقال له أنت صاحب هذا الكلام الذى بلغنى عنك فقال والذى انزل عليك الكتاب ما قلت شيأ من ذلك وان زيدا لكاذب فقال من حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الانصار يا رسول الله عسى أن يكون الغلام أوهم فى حديثه ولم يحفظ ما قال الرجل أى وفى لفظ انهم قالوا يا رسول الله شيخنا وكبيرنا لا يصدق عليه كلام غلام ثم ان عبد الله رضى الله عنه ولد عبد الله بن أبى ابن سلول أى وكان اسمه الحباب فسماه صلى الله عليه وسلم يوم موت أبيه عبد الله لما بلغه مقالة عمر رضى الله عنه من قتل أبيه جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انه قد بلغنى انك تريد قتل عبد الله بن أبى يعنى والده فيما بلغك عنه فان كنت فاعلا فمرنى ان أحمل لك رأسه فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجل أبر بوالده منى انى اخشى ان تأمر به غيرى فيقتله فاقتل مؤمنا بكافر فأدخل النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقى معنا قال وفى رواية فمرنى فوالله لاحملن اليك رأسه قبل ان تقوم من مجلسك هذا وانى لاخشى يا رسول الله ان تأمر به غيرى فيقتله فلا تدعنى نفسى أن أنظر الى قاتل أبى يمشى فى الناس فأقتله فأدخل النار فعفوك أفضل ومنتك أعظم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أردت قتله ولا امرت به ولنحسن صحبته ما كان بين أظهرنا فقال عبد الله يا رسول الله ان أبى كانت أهل هذه البحيرة أى المدينة اتفقوا على ان يتوجوه عليهم فجاء الله عز وجل بك ففوضعه ورفعنا بك أى زاد فى رواية ومعه قوم أى من المنافقين يطيفون به ويذكرونه امورا قد غلب الله عليها وتقدم انه وقع لعبد الله رضى الله عنه مثل ذلك مع أبيه روى الدارقطنى مسندا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على جماعة فيهم عبد الله بن أبى فسلم

صلى الله عليه وسلم هؤلاء القوم مسلمون وقد خيرتهم فلم يعدلوا بالابناء والنساء شيأ فمن كان عنده من النساء سبي فطابت نفسه ان يرده فليرده ومن ابى فليرد ذلك قرضا علينا بكل انسان ست فرائض من أول ما يفيء الله علينا قالوا رضينا وسلمنا فردوا عليهم نساءهم وأبناءهم وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم قال انا لا ندري لعل فيكم من لم يرض فمروا عرفاءكم فليرفعوا الينا فرفعت العرفاء اليه انهم قد رضوا وكان صلى الله عليه وسلم عند تفريق السبي على المسلمين قد امر مناديا ينادي أن لا توطأ الحبالى حتى يضعن ولا غير الحبالى حتى يستبرأن بحيضة وقد اشار صاحب الهمزية الى عفوه صلى الله عليه وسلم عن هوازن ومنه عليهم بقوله

من فضلا على هوازن اذ كا
ن له قبل ذاك فيهم رباء
واتى السبي فيه أخت رضاع
وضع الكفر قدرها والسباء
فحباها برا توهمت النا
س به انما السباء هداء
بسط المصطفى لها من رداء
أي فضل حواه ذاك الرداء
فغدت فيه وهي سيدة النسـ
ـوة والسيدات فيه اماء

والصحيح انه صلى الله عليه وسلم رد عليهم جميع السبي ولم يتخلف منه أحد الا عجوز من عجائزهم كانت عند عيينة بن حصن كما تقدم فأبى ان يردها وقال حين اخذها ارى عجوزا اني لاحسب ان لها في الحي نسبا وعسى ان يعظم فداؤها فمر عليه ولدها وهو زهير بن صرد فسامها منه وأعطاه مائة من الابل فيها فأبى عيينة وطمع في الزيادة فتركه وذهب وغاب عنه ثم مر عليه معرضا فقال له عيينة خذها بالمائة فأبى وقال لا أدفع الا خمسين فأبى عيينة فغاب عنه ثم مر معرضا فقال خذها بالخمسين فقال لا أدفع الا خمسة وعشرين فأبى عيينة فغاب عنه ثم مر عليه معرضا فقال خذها بالخمسة والعشرين فقال لا آخذها الا بعشرة فأبى عيينة فغاب عنه ثم مر معرضا فقال خذها بالعشرة فقال لا آخذها الا بستة والله ما ثديها بناهد ولا بطنها بوالد ولا فوها ببارد ولا صاحبها بواجد عند فوتها أي حزين ولا درها بناكد أي غزير فقال له عيينة خذها لا بارك الله لك فيها وذلك بسبب دعائه صلى الله عليه وسلم فانه دعا على من أبى ان يرد من السبي شيأ ان يبخس أي يكسد ثمنه ولما أخذها ولدها قال لعيينة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كسا السبي قبطية فقال لا والله ما ذاك لها عندي فما فارقه حتى أخذ لها منه ثوبا والقبطية بضم القاف

عليهم ثم ولى فقال عبد الله لقد عثا ابن أبي كبشة في هذه البلاد فسمعها ابنه عبد الله فاستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ان يأتيه برأس أبيه فقال لا ولكن بر أباك ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بقرب المدينة هاجت ريح شديدة تخوفوها كادت تدفن الراكب أي خافوا أن تكون لامر حدث بالمدينة على أهلهم فان مدة الموادعة التي كانت بينه صلى الله عليه وسلم وبين عيينة بن حصن كان ذلك حين انقضائها فخافوا على المدينة منه فقال صلى الله عليه وسلم ليس عليكم منه يعني من عيينة بن حصن بأس ما بالمدينة من نقب أي باب الا وملك يحرسه وما كان ليدخلها عدو حتى تأتوها ولكن تعصف هذه الريح لموت عظيم من الكفار وفي رواية لموت منافق وفي لفظ مات اليوم منافق عظيم النفاق بالمدينة فكان كما قال صلى الله عليه وسلم مات في ذلك اليوم زيد بن رفاعة بن التابوت وكان كهفا للمنافقين كان من عظماء يهود بني قينقاع وكان ممن أسلم ظاهرا والى ذلك أشار الامام السبكي رحمه الله تعالى في تائيته بقوله

وقد عصفت ريح فأخبرت أنها * لموت عظيم في اليهود بطيبة

قال وفي رواية أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر بموته فقد جاء ان عبادة بن الصامت قال لابن أبي يا أبا حباب مات خليلك قال أي خليل قال من موته فتح للاسلام وأهله قال من قال زيد بن رفاعة قال واويلاه من أخبرك يا أبا الوليد بموته قال قلت رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبرنا انه مات هذه الساعة فحزن حزنا شديدا انتهى وذكر أهل المدينة ان هذه الريح وجدت بالمدينة وانه لما دفن عدو الله سكنت (أقول) لكن في كلام ابن الجوزي رفاعة بن زيد بن التابوت وهو عم قتادة بن النعمان قد ذكر عنه قتادة رضي الله عنه ما يدل على صحة اسلامه أي وقد يقال جاز أن يكون أظهر ذلك لقتادة ليظن به ما ظنه من صحة اسلامه قال ابن الجوزي ولهم رفاعة بن التابوت معدود في الصحابة ذكره في الاصابة قال جاء ذكره في حديث مرسل كانوا في الجاهلية اذا أحرموا لم يأتوا بيتا من قبل بابه ولكن من قبل ظهره الا الحمس فانها كانت تأتي البيوت من أبوابها فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم حائطا ثم خرج من بابه فاتبعه رجل يقال له رفاعة بن التابوت ولم يكن من الحمس فقالوا يا رسول الله نافق رفاعة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حملك على ما صنعت ولم تكن من الحمس قال فان ديننا واحد فنزلت وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها وسيأتي نحو هذه القصة لقطبة بن عامر ولعلها وقعت لهما واما الحديث الذي أخرجه مسلم ان ريحا عظيمة هبت فقال النبي صلى الله عليه وسلم انها هبت لموت منافق عظيم النفاق وهو رفاعة بن التابوت فهو آخر غير هذا فقد جاء من وجه آخر رافع بن التابوت أي فذكر رفاعة بدل رافع من تصرف بعض الرواة وذكر في الاصابة ان رفاعة بن زيد عم قتادة بن النعمان رضي الله عنه لم يوصف بانه ابن التابوت كما ذكره ابن الجوزي أي فوصفه بابن التابوت من تصرف بعض الرواة فليتأمل والله أعلم وعن جابر رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فهاجت ريح منتنة فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان ناسا من المنافقين اغتابوا

ثوب أبيض من ثياب مصر منسوبة للقبط روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر رجلا ان يقدم مكة فيشترى للسبى ثيابا فلا يخرج الحر منهم الا كاسيا وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحبس أهل مالك بن عوف النصرى عند عمته عاتكة ام عبد الله بن أبى امية المخزومى حتى جاء مالك فسلم اليه اهله وكان الوفد كلموه صلى الله عليه وسلم فى ذلك فقال انما اريد بهم الخير ولم يجز ان تجرى السهمان فى مال مالك بن عوف حتى حضر لما رجع صلى الله عليه وسلم الى الجعرانة قسم الغنائم وبدأ بالمؤلفة قلوبهم وهم ناس من قريش أسلموا يوم الفتح اسلاما ضعيفا واراد صلى الله عليه وسلم ان يتمكن الايمان فى قلوبهم وكان فيهم من لم يسلم بعد ثم اسلم كصفوان ابن أمية ولما جمعت الغنائم واحصيت جاء أبو سفيان الى النبى صلى الله عليه وسلم فلما رأى كثرة المال قال يا محمد اصبحت اكثر قريش فتبسم صلى الله عليه وسلم ثم اعطاه مائة من الابل وأربعين أوقية من فضة فقال يا رسول الله ابنى يزيد وكان يقال له يزيد الخير وكان أكبر من معاوية فاعطى صلى الله عليه وسلم لابنه يزيد مائة من الابل وأربعين أوقية من فضة فقال يا رسول الله ابنى معاوية فأعطاه مائة من الابل واربعين أوقية من فضة فأخذ أبو سفيان وابناه ثلثمائة من الابل ومائة وعشرين أوقية من الفضة فقال أبو سفيان بابى أنت وأمى يا رسول الله لانت كريم فى الحرب وكريم فى السلم لقد حاربتك فنعم المحارب كنت وسالمتك فنعم المسالم كنت هذا غاية الكرم جزاك الله خيرا وجاء حكيم بن حزام فسأل النبى صلى الله عليه وسلم فأعطاه مائة من الابل ثم سأل النبى صلى الله عليه وسلم فأعطاه مائة ثم قال له يا حكيم هذا المال خضر حلو فمن اخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ومن اخذه باشراف نفس لم يبارك له فيه وكان كالذى يأكل ولا يشبع واليد العليا خير من اليد السفلى فاخذ حكيم المائة الاولى وترك ما عداها وقال يا رسول الله والذى بعثك بالحق لا أرزأ احدا بعدك شيأ حتى افارق الدنيا فكان أبو بكر رضى الله عنه يدعو حكيما ليعطيه العطاء فيأبى ان يقبل منه شيأ ثم كان عمر رضى الله عنه فى زمن خلافته يدعوه ليعطيه فيأبى ان يقبل فكان عمر رضى الله على

ورده عليه وزاده مائة من الابل كما تقدم

ناسا من المؤمنين فلذلك هاجت هذه الريح ولم يعين جابر السفرة فيحتمل ان تكون هى هذه الغزوة وهو ظاهر سياقها فيها ويحتمل ان تكون غيرها وفقدت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم القصواء من بين الابل أى ليلا فجعل المسلمون يطلبونها من كل وجه فقال زيد بن الصلت وكان منافقا كما علمت من بنى قينقاع وكان بمجمع من الانصار أين يذهب هؤلاء فى كل وجه قالوا يطلبون ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ضلت قال أفلا يخبره الله بمكانها أى وفى لفظ كيف يدعى أنه يعلم الغيب ولا يعلم مكان ناقته ولا يخبره الذى يأتيه بالوحى فانكر عليه القوم وقالوا قاتلك الله يا عدو الله نافقت وأراد واقتله فعمد هاربا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم متعوذا به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك الرجل يسمع ان رجلا من المنافقين شمت ان ضلت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ألا يخبره الله بمكانها والله قد أخبرنى بمكانها ولا يعلم الغيب الا الله وانها فى الشعب مقابلكم قد مسك زمامها بشجرة فاعمدوا نحوها فذهبوا فأتوا بها من حيث قال صلى الله عليه وسلم فقام ذلك الرجل سريعا الى رفقائه فقالوا له حين دنا لا تدن منا فقال لهم انشدكم الله هل أتى أحدمنكم محمدا فاخبره خبرى قالوا لا والله ولا قمنا من مجلسنا فقال انى وجدت ما تكاملت به عنده فاشهد أن محمدا رسول الله كأنى لم أسلم الا اليوم فقالوا له فاذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لك فذهب اليه واعترف بذنبه واستغفر له قال ويقال انه لم يزل فشلا أى جبانا حتى مات ووقع مثل هذا أى هبوب الريح واضلال ناقته صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك وأوقع صلى الله عليه وسلم السباق بين الابل فسابق بلال رضى الله عنه على ناقته صلى الله عليه وسلم القصواء فسبقت غيرها من الابل وسابق أبو سعيد الساعدى رضى الله عنه على فرسه صلى الله عليه وسلم الذى يقال له الظراب فسبق غيره من الخيل اه أى وجاء ان ناقته صلى الله عليه وسلم العضباء كانت لا تسبق فجاء اعرابى على قعود فسبقها فشق ذلك على المسلمين فقال صلى الله عليه وسلم حق على الله أن لا يرفع شيأ من الدنيا الا وضعه اه (أقول) فى الامتاع انه صلى الله عليه وسلم فى هذه الغزوة تسابق مع عائشة رضى الله عنها فتحزمت بقبائها وفعل كذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استبقا فسبقها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لها هذه بتلك التى كنت سبقتنى يشير صلى الله عليه وسلم الى انه جاء الى بيت أبى بكر رضى الله عنه فوجد مع عائشة شيأ فطلبه منها فابت وسعت وسعى صلى الله عليه وسلم خلفها فسبقته هذا وفى كلام ابن الجوزى عن عائشة رضى الله عنها انها قالت خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم فقال للناس تقدموا فتقدموا ثم قال تعالى حتى أسابقك فسابقته فسبقته فسكت عنى حتى حملت اللحم وخرجت معه فى سفرة أخرى فقال للناس تقدموا فتقدموا ثم قال لى تعالى حتى أسابقك فسابقته فسبقنى فجعل يضحك وهو يقول هذه بتلك فليتأمل قال ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى وادى العقيق تقدم عبد الله رضى الله عنه ابن عبد الله بن أبى ابن سلول وجعل يتصفح الركاب حتى مر أبوه فاناخ به ثم وطئ

عنه يقول يامعشر المسلمين انى اعرض على حكيم حقه الذى قسم الله له من هذا الفئ فيأبى ان يقبله رضى الله عنه والذين اعطاهم النبى
صلى الله عليه وسلم مائة مائة من الابل كثير منهم ابوسفيان وابناه يزيد ومعاوية وحكيم بن حزام والاخنس بن شريق وجبير بن مطعم
والجد بن قيس السهمى والحرث بن الحرث والحرث بن هشام اخوابى جهل وحاطب بن عبد العزى وحرملة بن خودة وحويطب
ابن عبد العزى وحكيم بن طليق وخالد بن اسيد وخلف بن هشام وزهير بن ابى اسيد وزيد الخيل والسائب بن ابى

على يد راحلته فقال أبوه ماتريد بالكع فقال والله لاتدخل حتى تقر انك الذليل وان رسول الله
صلى الله عليه وسلم العزيز حتى يأذن لك رسول الله صلى الله عليه وسلم لتعلم أيضا الاعز من الاذل
أنت أورسول الله صلى الله عليه وسلم فصار يقول لانا أذل من الصبيان لانا أذل من النساء حتى
جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خل عن أبيك فخلى عنه أى وفى لفظ انه لما جاء قال له ابنه
وراءك قال مالك ويلك قال والله لاتدخلها يعنى المدينة حتى يأذن لك رسول الله صلى الله عليه
وسلم وتعلم اليوم من الاعز من الاذل وفى لفظ حتى تقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الاعز
وأنت الاذل فقال له أنت من بين الناس فقال نعم أنا من بين الناس وانصرف الى النبى صلى الله
عليه وسلم وشكا له ماصنع ابنه رضى الله عنه فأرسل صلى الله عليه وسلم الى ابنه ان خل عنه
وفى لفظ قال له ابنه رضى الله عنه لئن لم تقر لله ولرسوله بالعزة لاضربن عنقك فقال ويحك أفاعل
أنت قال نعم ولما رأى منه الجد قال أشهد أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لابنه جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرا وأنزل الله تعالى سورة المنافقين
قال زيد بن أرقم رضى الله عنه رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم تأخذه البرحاء ويعرق جبينه
الشريف وتثقل يدا راحلته فقلت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوحى اليه ورجوت أن ينزل
الله تصديقى فلما سرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ باذنى وأنا على راحلتى يرفعها الى
السماء حتى ارتفعت عن مقعدى وهو يقول وعت أذنك ياغلام وصدق الله حديثك وكذب
المنافقين وفى رواية هذا الذى أوفى الله باذنه ونزل وتعيها أذن واعية فكان يقال لزيد بن أرقم
رضى الله عنه ذو الاذن الواعية وذكر بعض الرافضة ان قوله تعالى وتعيها أذن واعية جاء فى
الحديث أنها نزلت فى على كرم الله وجهه قال الامام ابن تيمية وهذا حديث موضوع باتفاق
أهل العلم أى وعلى تقدير صحته لامانع من التعدد وصار قوم عبد الله بن أبى عند نزول سورة
المنافقين يعاتبونه و يعنفونه ولما بلغه صلى الله عليه وسلم أى بغض قومه له ومعاتبتهم له قال
صلى الله عليه وسلم لعمر رضى الله عنه كيف ترى ياعمر انى والله لو قتلته يوم قلت لارعدت له أنوف
لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته فقال عمر رضى الله عنه قد والله علمت لامر رسول الله صلى الله عليه
وسلم أعظم بركة من أمرى اه وجاء أنه لما نزلت سورة المنافقين وفيها تكذيب ابن أبى قال له
أصحابه اذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لك فلوى رأسه ثم قال أمرتمونى ان
أومن فآمنت وأمرتمونى ان أعطى زكاة أموالى فاعطيت فبقى الا ان أسجد لمحمد صلى الله
عليه وسلم فانزل الله تعالى واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم الآية وفى
تفسير القرطبى عند قوله تعالى لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر قال السدى نزلت فى
عبد الله بن أبى جلس الى النبى صلى الله عليه وسلم فشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له بالله
يارسول الله اما أبقيت فضلة من شرابك اسقها أبى لعل الله يطهر بها قلبه فأفضل له فاتاه بها
فقال له عبد الله ماهذا فقال هى فضلة من شراب النبى صلى الله عليه وسلم جئتك بها تشربها

سائب وصيفى بن عائذ وسهل
وسهيل ابنا عمرو وشيبة بن عثمان
الحجبى وعبد الرحمن بن يعقوب
الثقفى وسفيان بن عبد الاسد
المخزومى وصفوان بن أمية وكان
قد خرج مع من خرج وهو على
شركه فأعطاه النبى صلى الله عليه
وسلم مائة ثم مائة ثم مائة ثم واديا
مملوأ ابلا وغنما فلم يزل يعطيه حتى
أسلم رضى الله عنه وتقدمت قصته
عند ذكره فيمن اهدر دمهم صلى
الله عليه وسلم وممن أعطاه النبى
صلى الله عليه وسلم مائة الاقرع بن
حابس التميمى وعيينة بن حصن
الفزارى وأعطى العباس بن
مرداس السلمى دون المائة وكان
مثلهما رئيسا على قومه كما انهما
رئيسان على قومهما فقال يخاطب
النبى صلى الله عليه وسلم

اتجعل نهبى ونهب العبيـ
ـد بين عيينة والاقرع
فما كان حصن ولا حابس
يفوقان مرداس فى مجمع
وقد كنت فى الحرب ذا تدر ؤ
فلم اعط شيأ ولم امنع
وما كنت دون امرئ منهما
ومن تخفض اليوم لم يرفع

فقال النبى صلى الله عليه وسلم
اقطعوا عنى لسانه واعطوه مثل
أصحابه وفى رواية ياأبا بكر اقطع
عنى لسانه واعطه مائة من الابل

 فاعطى تمام المائة والعبيد اسم فرسه واعطى صلى الله عليه وسلم جماعة من المؤلفة خمسين خمسين من الابل
منهم عثمان بن وهب المخزومى وعمير بن ودقة وعمير بن وهب وعدى بن قيس السهمى وعمرو بن مرداس السلمى أخو العباس بن
مرداس ومخرمة بن نوفل الزهرى وهشام بن عمر والعامرى وسعيد بن يربوع وذكر بعضهم ان ممن اعطاه مائة اباجهم بن حذيفة
العدوى وابا سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وهو ابن عم النبى صلى الله عليه وسلم وعكرمة بن عامر العبدرى وعلقمة بن علاثة

وعمرو بن الاهتم والعلاء بن جارية الثقفي وكعب بن الاخنس ولبيد بن ربيعة العامري ومالك بن عوف رئيس هوازن ومطيع بن الاسود القرشي والنضير بن الحرث بالتصغير اخو النضر المقتول ببدر ونوفل بن معاوية الكناني وهشام بن الوليد المخزومي وذكر بعضهم عكرمة بن أبي جهل فيمن اعطاه مائة وقيل انه لم يكن حاضرا وهو الصحيح لانه اختفى ثم ركب البحر حتى ذهبت اليه زوجته بامان من النبي صلى الله عليه وسلم فرجع ٣٢٢ كما تقدم ثم قسم النبي صلى الله عليه وسلم بقية الغنائم على بقية الاعراب قال أهل المغازي امر صلى الله عليه وسلم زيد ابن ثابت رضي الله عنه وكان من اعظم كتابه صلى الله عليه وسلم باحضار الناس والغنائم ثم قسمها على الناس فكانت سهامهم لكل رجل أربعة من الابل وأربعين شاة فان كان فارسا اخذ اثني عشر من الابل ومائة وعشرين شاة وان كان معه اكثر من فرس لم يسهم للزائد ولم يعط الانصار ولا كبار المهاجرين شيأ فقال رجل من المنافقين هذه قسمة ما عدل فيها وما اريد بها وجه الله تعالى فأخبر صلى الله عليه وسلم بذلك فغضب وقال اذا لم اعدل فمن يعدل رحم الله اخي موسى لقد اوذي باكثر من هذا فصبر فقال عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد رضي الله عنهما ائذن لنا نضرب عنقه يا رسول الله فقال دعوه فانه سيكون له شيعة يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية لا يتحدث الناس اني اقتل اصحابي فعامل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل بظاهر حاله تألفا للناس ليدخلوا في الاسلام وقال ناس من الانصار ليسوا منافقين يغفر الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم والله ان هذا لهو العجب اذا كانت شدة فنحن ندعى لها وتعطى الغنائم لغيرنا ودنا أن نعلم ممن كان هذا فان كان من الله تعالى صبرنا وان كان من النبي صلى الله عليه وسلم استعتبناه فبلغ وكثرة الخبر النبي صلى الله عليه وسلم فارسل الى الانصار فجمعهم في قبة من ادم فلما اجتمعوا قام صلى الله عليه وسلم فقال ما حديث بلغني عنكم فقال فقهاء الانصار أما فقهاؤنا فلم يقولوا شيأ وأما ناس منا حديثة أسنانهم فقالوا يغفر الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم فقال صلى الله عليه وسلم اني اعطي رجالا حديثي عهد بكفر ومصيبة أتألفهم واني أردت أن أخبرهم

لعل الله يطهر قلبك بها فقال له أبوه فهلا جئتني ببول أمك فانه أطهر منها فغضب وجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله بالله اما أذنت لي في قتل أبي فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل ترفق به وتحسن اليه وقد جاء ان ابنه رضي الله عنه قال يا رسول الله ذرني أسقي والدي من وضوئك اعل قليه ان يلين فتوضأ صلى الله عليه وسلم وأعطاه فذهب به الى أبيه فسقاه وقال له هل تدري ما سقيتك قال نعم سقيتني بول أمك قال لا والله لكن سقيتك بول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة هلال رمضان فكانت غيبته ثمانية وعشرين ليلة قال وفي هذه الغزوة جاءت امرأة بابن لها وقالت يا رسول الله هذا ابني غلبني عليه الشيطان ففتح صلى الله عليه وسلم فم الولد وبزق فيه وقال اخسأ عدو الله أنا رسول الله قال ذلك ثلاثا ثم قال للمرأة شأنك بابنك لن يعود اليه شيء مما كان يصيبه وفي هذه الغزوة جاء شخص بثلاث بيضات له صلى الله عليه وسلم من بيض النعام فقال صلى الله عليه وسلم لجابر رضي الله عنه دونك يا جابر فاعمل هذه البيضات قال جابر فعملتهن ثم جئت بهن فجعلنا نطلب خبزا فلم نجد فجعل كل من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يأكل من ذلك بغير خبز حتى انتهى كل الى حاجته والبيض كما هو وفي هذه الغزوة جاء جمل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفل أي يختال في مشيه وصوت فقال صلى الله عليه وسلم تدرون ما يقول هذا الجمل هذا يستعديني على سيده يقول انه كان يحرث عليه وانه أراد أن ينحره اذهب يا جابر الى صاحبه فأت به فقلت لا أعرفه قال انه سيدلك عليه فخرج بين يدي حتى وقف على صاحبه فجئت به الى النبي صلى الله عليه وسلم فكلمه في شأن الجمل اه (أقول) قد تقدمت هذه الامور الثلاثة التي هي قصة ابن المرأة وقصة البيض وقصة الجمل في ذات الرقاع والتعدد فيهما حتى لاجل هذه الامور سميت كل منهما بغزوة الاعاجيب بعيد والذي أراه انه اشتباه من بعض الرواة فليتأمل وفي هذه الغزوة كانت قصة الافك أي الكذب على عائشة الصديقة المبرأة المطهرة رضي الله عنها قالت لما دنونا من المدينة قافلين أي راجعين آذن ليلة بالرحيل فقمت وذهبت لاقضي حاجتي حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني أقبلت الى رحلي فاذا عقد لي من جزع اظفار كذا بالالف عند البخاري وفي رواية ظفار بغير ألف قال القرطبي ومن قيده بالالف فقد أخطأ أي ولعل المراد خالف الرواية وفي لفظ ظفاري أي بياء النسبة وفي لفظ الجزع الظفري وقد يقال لا مانع من وقوع هذه الالفاظ من الصديقة في أوقات مختلفة قال بعضهم الجزع بفتح الجيم واسكان الزاي وآخره عين مهملة خرز وظفار بالطاء المهملة ٢ كوبار مبنية على الكسر قرية من قرى اليمن كان ثمنه يسيرا وفي كلام بعضهم كان يساوي اثني عشر درهما فانقطع فالتمست عقدي أي ذهبت الى التماسه في المحل الذي قضيت فيه حاجتي وحبسني التماسه أقبل الرهط الذين كانوا يرحلون لي هو بتخفيف الحاء أي يجعلون هودجها على الرحل فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب وهم يحسبون اني فيه وكان النساء اذ ذاك خفافا لقلة أكلهن أي لان السمن

٢ قوله وظفار بالطاء المهملة سبق قلم والصواب بالظاء المعجمة كما في البخاري وشرحه للقسطلاني

أو أجبرهم أما ترضون أن يرجع الناس بالاموال وفى رواية بالشاة والبعير وترجعون برسول الله الى بيوتكم فوالله لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به قالوا يا رسول الله قد رضينا وفى رواية فوالذى نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار ولو سلك الناس شعبا وسلكت شعب الانصار اللهم ارحم الانصار وأبناء الانصار فبكى القوم حتى اخضلت لحاهم وقالوا رضينا برسول الله قسما وحظا وفى رواية انه خطبهم فقال يا معشر الانصار ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بى وكنتم متفرقين فألفكم الله بى وكنتم عالة فاغناكم الله بى وكلما قال شيأ قالوا الله ورسوله أمن قال ما يمنعكم أن تجيبوا رسول الله لو شئتم لقلتم فصدقتم وصدقتم أتيتنا مكذبا فصدقناك ومخذولا فنصرناك وطريدا فآويناك وعائلا فواسيناك وخائفا فامناك قالوا بل المن علينا لله ورسوله صلى الله عليه وسلم وانما قال ذلك صلى الله عليه وسلم تواضعا وانصافا واظهار الشرف قدرهم والافالحجة البالغة والمنة الظاهرة فى جميع ذلك له عليهم فلولا هجرته وسكناه عندهم لما كان بينهم وبين غيرهم فرق وقد اقتضت حكمة الله ان الغنائم لما حصلت قسمت على من لم يتمكن الايمان من قلبه المابقى فيه من طمع البشر من حب المال فكان ذلك سببا لاجتماع قلوبهم على محبته صلى الله عليه وسلم لان القلوب جبلت على حب من أحسن اليها وانما لم يعط صلى الله عليه وسلم أكابر المهاجرين والانصار مع استحقاقهم جميعا لرسوخ الايمان فى قلوبهم فوكلهم الى قوة ايمانهم فكان فى قسمها على المؤلفة استجلاب قلوبهم وقلوب اتباعهم الذين كانوا يرضون اذا رضى رئيسهم فيكون سببا لاسلامهم ولتقوية قلب من دخل فى الاسلام منهم فيتبعهم من دونهم فكان فيه مصلحة عظيمة ولذا لم يقسم من أموال مكة عند فتحها شيأ مع احتياج الجيوش الى المال الذى يعينهم على ما هم عليه وما قيل له صلى الله عليه وسلم أعطيت عيينة والاقرع وتركت جعيل بن سراقة قال أما والذى نفس محمد بيده لجعيل خير من طلوع الارض كلها مثل عيينة والاقرع ولكنى أتألفهما ليسلما أى يقوى اسلامهما ووكلت جعيل بن سراقة لاسلامه وانى لاعطى الرجل وغيره أحب الى منه مخافة أن يكبه الله فى النار على وجهه وفى رواية انى لاعطى أقواما أخاف هلعهم وجزعهم وأكل أقواما

وكثرة اللحم غالبا تنشأ عن كثرة الاكل وسار وأى وعن عائشة رضى الله عنها ان الذى كان يرحل هودجها ويقود بعيرها أبو موسى هبة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رجلا صالحا ولا يخالف هذا قولها وأقبل الرهط الى آخره وقولها فى بعض الروايات ولم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه لانه يجوز ان جماعة كانوا يعاونون أبا موسى هبة فى ذلك فوجدت عقدى فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب وأقمت بمنزلى الذى كنت فيه وظننت أنهم سيفقدونى فيرجعون الى فبينا أنا جالسة فى منزلى غلبتنى عينى فنمت وكان صفوان السلمى خلف الجيش أى لانه كان على ساقة الجيش يتخلف عن الجيش ليلتقط ما يسقط من المتاع وقيل كان ثقيل النوم لا يستيقظ حتى يرتحل الناس وقد جاء ان زوجته شكته الى النبى صلى الله عليه وسلم وقالت له انه لا يصلى الصبح فقال يا رسول الله انى امرؤ ثقيل النوم لا أستيقظ حتى تطلع الشمس فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استيقظت فصل أى وفى رواية شكته الى النبى صلى الله عليه وسلم أنه يضربها فقال انها تصوم بغير اذنى فقال لها لا تصومى الا باذنه قالت انه ينام عن الصلاة أى صلاة الصبح قال انه شئ ابتلاه الله به فاذا استيقظ فليصل وهذا يدل على انه صلى الله عليه وسلم كان يعلم من حاله انه ينام عن صلاة الصبح قالت انه اذا سمعنى أقرأ يضربنى فقال ان معى سورة ليس معى غيرها هى تقرؤها قال لا تضربها فان هذه السورة لو قسمت فى الناس لوسعتهم أى وهذا الجواب منه صلى الله عليه وسلم يدل على ان صفوان ظن ان امرأته اذا قرأت تلك السورة شاركته فى ثوابها فليتأمل فادلج أى سار ليلا فاصبح عند منزلى أى على خلاف عادته فرأى سوادا أى شخص انسان نائم فاتانى فعرفنى فاستيقظت باسترجاعه أى بقوله انا لله وانا اليه راجعون أى لان تخاف أم المؤمنين عن الرفقة فى مضيعة مضيعة أى مصيبة قالت فخمرت وجهى بجلبابى وهو ثوب أقصر من الخمار ويقال له المقنعة تغطى بها المرأة رأسها أى لان ذلك كان بعد نزول آية الحجاب أى يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى الآية أى لانه تقدم ان ذلك كان فى سنة ثلاث على الراجح عند الاصل وفى الامتاع وذكر بعض علماء الاخبار ان تزوجه صلى الله عليه وسلم زينب التى نزلت آية الحجاب بسببها كان فى ذى القعدة سنة خمس ولا يخفى ان هذا القول ينافيه ما يأتى عن عائشة رضى الله عنها من قولها ان زينب هى التى كانت تسامينى من أزواج النبى صلى الله عليه وسلم اذ هو صريح فى انها كانت زوجة له صلى الله عليه وسلم قبل هذه الغزوة بناء على ان هذه الغزوة كانت سنة ست قالت والله ما كلمنى وفى لفظ والله ما يكلمنى كلمة وما سمعت منه كلمة أى فلا كلمها ولا كلم نفسه قبل استعمل الصمت أدبا لهول هذا الامر الذى هو فيه فلم يقع منه غير الاسترجاع حين أناخ ناقته فوطئ على يدها فركبتها وفى رواية ثم قرب البعير فقال اركبى أى وفى لفظ قال أمه قومى فاركبى وأخذ برأس البعير وجاء انها لما ركبت قالت حسبى الله ونعم الوكيل وفى سيرة ابن هشام أنه لما قال لها ما خلفك يرحمك الله قالت فما كلمته أى ويحتاج الى الجمع بين هذه الروايات الثلاث

الى ماجعل الله فى قلوبهم من الخير والغنى منهم عمرو بن تغلب قال عمرو فوالله ما أحب ان لى بها حمر النعم وقد جاءت أحاديث كثيرة فى مدح الانصار رضى الله عنهم والدعاء لهم ولابنائهم وأبناء أبنائهم وقال حسان رضى الله عنه فى مدحهم سماهم الله أنصارا بنصرهم * دين الهدى وعدان الحرب تستعر وسارعوا فى سبيل الله واعترضوا * للنائبات وما خافوا وما ضجروا

وفى البخارى عن جبير بن مطعم رضى الله عنه بينما أنا مع النبى صلى الله عليه وسلم مقفله من حنين اذ علقت برسول الله صلى الله عليه وسلم الاعراب يسألونه أن يعطيهم من الغنيمة يقولون يارسول الله اقسم علينا فيأنا حتى اضطروه أى ألجؤه الى سمرة فخطفت رداءه فوقف صلى الله عليه وسلم فقال اعطونى ردائى فلو كان عندى عدد هذه العضاه نعما وفى رواية لو كان عندى عدد شجر تهامة نعما لقسمته بينكم ثم لا تجدونى بخيلا ولا كذوبا ولا جبانا أى اذا جربتمونى لا تجدونى ذا بخل ولا ذا كذب ولا ذا جبن ثم قام صلى الله عليه وسلم الى جنب بعير وأخذ وبرة من سنامه فرفعها ثم قال للناس والله مالى من فيئكم أى غنيمتكم ولا هذه الوبرة الا الخمس والخمس مردود عليكم أى لان أكثره كان يصرفه صلى الله عليه وسلم فى مصالح المسلمين ثم بعد تمام قسمة الغنائم اعتمر صلى الله عليه وسلم من الجعرانة لخمس ليال خلون من ذى القعدة وقيل لثنتى عشرة ليلة بقيت من ذى القعدة ليلة الاربعاء وقيل ليلة الخميس ودخل مكة وطاف وسعى وحلق ورجع الى الجعرانة من ليلته فكأنه كان بائتا بها والجعرانة بالتخفيف أفصح من التشديد وهو موضع بينه وبين مكة ثمانية عشر ميلا سمى باسم امرأة تلقب بالجعرانة وكانت مدة اقامته بها ثلاث عشرة ليلة وجاء فى الحديث انه اعتمر من الجعرانة سبعون نبيا ثم توجه صلى الله عليه وسلم الى المدينة واستعمل على أهل مكة عتاب بن أسيد أى تركه باقيا على عمله وترك معه معاذ بن جبل وأبا موسى الاشعرى رضى الله عنهما يعلمان الناس القرآن والفقه فى الدين وكان قدومه المدينة لثلاث بقين من ذى القعدة وقيل لست بقين منه قال الحافظ ابن حجر ان مدة غيبته كانت أكثر من ثمانين يوما قال كثير من أهل المغازى ان غزوة بدر وغزوة حنين كسر الله بهما سورة الكفر وأطفأنا

وما قبلها على تقدير صحتها وقد يقال انها لم تسمع منه غير استرجاعه ولا كلمها ولا تكلم قبل أن يقرب اليها البعير كما علمت فلما قرب البعير اليها قال لها يا أمه قومى فاركبى لان اناخة البعير وتقريبه ليس صريحا فى الاذن لها فى الركوب فاتى بذلك اللفظ الدال على مزيد احترامها واجلالها وتعظيمها وبعض الرواة اقتصر على قولها اركبى وبعد ان ركبت أى وحصلت الطمأنينة واندفعت الريبة قال لها متعجبا لا مستفهما ما خلفك قالت فانطلق يقود بى الراحلة حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا وذلك فى نحر الظهيرة أى وسطها وهو بلوغ الشمس منتهاها من الارتفاع وبهذه الواقعة استدل فقهاؤنا على انه يجوز الخلوة بالمرأة الاجنبية اذا وجدها منقطعة ببرية أو نحوها بل يجب استصحابها اذا خاف عليها لو تركها هذا وفى الخصائص الصغرى وفى معانى الآثار للطحاوى رحمه الله قال أبو حنيفة كان الناس لعائشة رضى الله عنها محرما فمع أيهم سافرت فقد سافرت مع محرم وليس غيرها من النساء كذلك أى وقوله وليس غيرها من النساء كذلك يشمل بقية أزواج النبى صلى الله عليه وسلم وحينئذ فليتأمل الفرق بينها وبين بقية أمهات المؤمنين فيما ذكر وفيما سيأتى عن بعضهم ان من قذف عائشة يقتل ويحد فى غيرها من أزواجه صلى الله عليه وسلم حدين قالت عائشة رضى الله عنها فلما نزلنا هلك من هلك بقول البهتان والافتراء والذى تولى كبره أى معظمه عبد الله بن أبى ابن سلول أى فانه كان أول من أشاعه فى العسكر أى فانه كان ينزل مع جماعة المنافقين متبعدين من الناس فمرت عليهم فقال من هذه قالوا عائشة وصفوان فقال فجر بها ورب الكعبة وفى لفظ ما برئت منه وما برئ منها وفى لفظ والله ما نجت منه ولا نجا منها وصار يقول امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت ثم أشاع ذلك فى المدينة بعد دخولهم لها لشدة عداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم أى والذى فى البخارى كان يتحدث به عنده فيقره ويستمعه ويستوشيه أى يستخرجه بالبحث عنه وقد يقال لا منافاة لانه يجوز أن يكون هو أول من أشاعه عند دخول المدينة ثم صار يستخرجه بالبحث عنه ليكثر اشاعته قالت فقدمنا المدينة فاشتكيت أى مرضت حين قدمت شهرا والناس يفيضون فى قول أصحاب الافك أى ووصل الخبر الى النبى صلى الله عليه وسلم والى أبوى ولا أشعر بشئ من ذلك وكان يريبنى أنى لا أعرف من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذى كنت أرى منه حين اشتكى أى حين أمرض واللطف بضم اللام وسكون الطاء وقيل بفتح اللام والطاء وهو من الانسان الرفق ومن الله التوفيق انما يدخل على فيسلم أى وعندى أمى تمرضنى ثم يقول كيف تيكم أى لا يزيد على ذلك ثم ينصرف فذاك الذى يريبنى حتى خرجت بعد ما نقهت بكسر القاف وفتحها أى أول ما أفقت من المرض فخرجت معى أم مسطح وهى بنت خالة أبى بكر أى وما فى لفظ وكان مسطح ابن خالة أبى بكر هو على ضرب من التجوز والمسامحة وكان مسطح يتيما فى حجر أبى بكر وكان فقيرا ينفق عليه أبو بكر قالت وخروجنا كان الى المحل الذى تخرج اليه النساء ليلا أى لقضاء حاجة الانسان وذلك قبل ان تتخذ الكنف أى فان

أزواج

جمرة العرب وأنفدتا سهامهم وأذلتا جموعهم حتى لم يجدوا بدا من الدخول فى دين الله وجبر الله أهل مكة بغزوة حنين وفرحهم بما نالوا من النصر والمغنم فكانت كالدواء لما نالهم من كسرهم وأنجز الله بها الوعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانه وعده اذا فتح مكة أن يدخل الناس فى دين الله أفواجا وتدين له العرب باسرها فلما تم له الفتح اقتضت حكمته تعالى أن يمسك قلوب هوازن ومن تبعها عن الاسلام وأن يجمعوا من قدروا على جمعه ويتأهبوا لحربه صلى الله عليه وسلم ليظهر الله أمره واعزازه لرسوله صلى الله عليه وسلم ونصره لدينه ولتكون غنائمهم جبرانا لاهل الفتح وليظهر الله تعالى رسوله وعباده المؤمنين ويعلى دينهم على سائر الاديان بقهر هذه الشوكة العظيمة التى لم يلق المسلمون قبلها مثلها حتى لا يقاومهم بعدها أحد من العرب واقتضت حكمته سبحانه وتعالى ان أذاق المسلمين أولا مرارة الهزيمة مع كثرة عددهم وعددهم وقوة شوكتهم ليخفض بذلك رؤسا رفعت بالفتح لمكة والنصر على أهلها فابتلاهم الله بقصة حنين منعا لهم عن الترفع وتنبيها على ان المطلوب منهم التواضع واظهار الشكر كما فعل صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة فانه دخل منحنيا على ناقته متواضعا خاضعا لربه وليبين سبحانه لمن قال لن نغلب اليوم عن قلة ان النصر انما هو من عند الله وان من ينصره الله فلا غالب له ومن يخذله فلا ناصر له وانه سبحانه وتعالى هو الذى تولى النصر لنبيه صلى الله عليه وسلم وهو الذى أنزل سكينته عليه وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وقد اقتضت حكمته سبحانه وتعالى ان خلع النصر وجوائزه انما تفاض على أهل الانكسار كما قال تعالى ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين وافتتح الله غزو العرب ببدر واختتمه بحنين وهما أعظم غزواته صلى الله عليه وسلم ولهذا يجمع بينهما فى الذكر فيقال بدر وحنين وفى لبسه صلى الله عليه وسلم الدرع والبيضة والمغفر دليل على ان من تمام التوكل استعمال الاسباب التى نصبها الله لمسبباتها قدرا وشرعا فانه صلى الله عليه وسلم أكمل الخلق توكلا وقوة يقين وقد دخل مكة والبيضة على رأسه ولبس يوم حنين درعين وقد أنزل الله عليه والله يعصمك من الناس ومن تمام العبودية استعمال الاسباب فى مسبباتها مع اعتقاد ان التأثير لله وحده لا شريك له

أزواج النبى صلى الله عليه وسلم كن يخرجن بالليل اذا تبرزن نحو المنصع وهو محل متسع قالت فلما فرغنا من شأننا وأقبلت عثرت أم مسطح فى مرطها أى ازارها فقالت تعس مسطح بفتح العين وكسرها هلك مسطح تعنى ولدها ومسطح فى الاصل عمود الخيمة قلت لها بئس ما قلت أتسبين رجلا شهد بدرا قالت يا هنتاه بفتح الهاء الاولى وسكون النون وضم الهاء الثانية أى يا هذه أولم تسمعى ما قال قلت وما قال فاخبرتنى بقول أهل الافك فازددت مرضا على مرضى أى عاودنى المرض وازددت عليه أى وفى لفظ فخرت مغشيا عليها وفى رواية خرجت لبعض حاجتى ومعى أم مسطح قد حملت السطل وفيه ماء فعثرت ووقع السطل منها فقالت تعس مسطح فقلت أى أم تسبين ابنك فسكتت ثم عثرت الثانية فقالت تعس مسطح فقلت أى أم تسبين ابنك ثم عثرت الثالثة فقالت تعس مسطح فنهرتها فقالت والله ما أسبه الا فيك فقلت فى أى شأنى فبقرت أى كشفت لى الحديث فقلت وقد كان هذا قالت نعم فاخذتنى حمى نافضة ورجعت الى بيتى فلما رجعت الى بيتى مكثت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لى دمع ولا أكتحل بنوم ثم أصبحت أبكى ودخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعد ان سلم كيف تيكم فقلت أتأذن لى ان آتى بيت أبوى وأنا اريد ان اتثبت الخبر من قبلهما أى لان أمها فارقتها لما نقهت من المرض وذهبت الى بيتها فلا ينافى ما سبق من قولها وعندى أمى تمرضنى قالت فاذن لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت أبوى أى وارسل معى الغلام فدخلت الدار فوجدت أم رومان فى السفل وأبا بكر فوق يقرأ فقالت أمى ما جاء بك فاخبرتها فذهابها الى أبويها كما علمت كان بعد ان صحت من المرض وبعد اخبار أم مسطح لها بالقصة والذى فى السيرة الهشامية ما يفيد أنه كان قبل ذلك وهو أنها رضى الله عنها قالت كان صلى الله عليه وسلم كلما يدخل يقول كيف تيكم لا يزيد على ذلك حتى وجدته فى نفسى فقلت يا رسول الله حين رأيت ما رأيت من جفائه لو أذنت لى قال لا عليك قالت فانتقلت الى أمى تمرضنى ولا علم لى بشئ مما كان حتى نقهت من وجعى بعد بضع وعشرين ليلة وكنا قوما عربا لا نتخذ فى بيوتنا هذه الكنف التى تتخذها الاعاجم أى بيوت الاخلية نعافها ونكرهها انما كنا نذهب فى فسح المدينة فخرجت ليلة ومعى أم مسطح بنت خالة أبى بكر اذ عثرت فى مرطها فقالت تعس مسطح قلت بئس لعمر الله ما قلت لرجل من المهاجرين وقد شهد بدرا قالت أوما بلغك الخبر يا ابنة أبى بكر قلت وما الخبر فاخبرتنى بالذى كان من قول أهل الافك قلت أوقد كان هذا قالت نعم والله لقد كان فوالله ما قدرت على ان أقضى حاجتى ورجعت فوالله ما زلت أبكى حتى ظننت ان البكاء سيصدع كبدى فليتأمل الجمع بين ما فى السيرة الهشامية وما فى غيرها على تقدير صحتهما قالت وقلت لامى يغفر الله لك تحدث الناس بما تحدثوا به لا تذكرين لى من ذلك شيأ الحديث وفى رواية فقلت لامى يا أماه ما يتحدث الناس وفى لفظ قلت لامى يغفر الله لك تحدث الناس بما تحدثوا ألا تذكرين لى من ذلك شيأ قالت يا بنية هونى عليك وفى لفظ خفضى عليك الشأن فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة

ولولا ان الله تعالى ستر قضاءه وقدره بظواهر الاسباب لما انقسم الناس الى مؤمن وكافر وشقى وسعيد فلو كانت جميع الاشياء تجرى على خرق العادة لما بقى كافر بل يكونون كلهم ملجئين الى الاسلام بظهور الخوارق ولو بقيت الاشياء كلها على ظواهرها من ربطها باسبابها من غير وجود خارق للعادة لما انقاد أحد للاسلام وربما كانوا كلهم يعتقدون تأثير تلك الاسباب فأظهر الله بعض الاشياء على وفق العادة وخرق فى بعضها العادة

ثم انه كشف ذلك لاناس وحجب عنه آخرين ليضل من يشاء ويهدى من يشاء ولا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وفى صبره صلى الله عليه وسلم على جفاء الاعراب عند قسمة الغنائم دليل لما كان عليه صلى الله عليه وسلم من الكرم والحلم وحسن الخلق وسعة الجود والصبر وغير ذلك من صفاته الحميدة صلى الله عليه وسلم والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿بعث قيس بن سعد الى صداء﴾

بعث صلى الله عليه وسلم قيس بن سعد بن عبادة الخزرجى رضى الله عنهما الى ناحية اليمن بعد انصرافه من الجعرانة فى أربعمائة فارس وأمره أن يقاتل قبيلة صداء بضم الصاد وفتح الدال والمدوهم حى من اليمن فقدم زياد بن الحرث الصدائى فسأل عن ذلك البعث فأخبر به فقال يارسول الله أنا وافدهم اليك فارددالجيش وأنا أتكفل باسلام قومى وطاعتهم فقال اذهب اليهم فردهم فقال ان راحلتى قد كلت فبعث صلى الله عليه وسلم اليهم خلفهم فردهم ورجع الصدائى الى قومه فقدموا بعد خمسة عشر يوما فأسلموا

﴿البعث الى بنى تميم﴾

وتعرف بسرية عيينة بن حصن الفزارى الى بنى تميم وسببها أنه صلى الله عليه وسلم بعث بشر بن سفيان العدوى الكعبى الى بنى كعب من خزاعة لاخذ صدقاتهم وكانوا مع بنى تميم على ماء فأخذ بشر صدقات بنى كعب فقال لهم بنو تميم وقد استكثروا ذلك لم تعطوهم أموالكم فاجتمعوا وانتهزوا لا السلاح ومنعوا بشرا من أخذ الصدقة فقال لهم بنو كعب نحن أسلمنا ولا بد فى ديننا من دفع الزكاة فقال بنو تميم والله لا ندع بعيرا واحدا يخرج فلما رأى بشر ذلك قدم المدينة وأخبر النبى صلى الله عليه وسلم بذلك فعند ذلك بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عيينة بن حصن الفزارى الى بنى تميم فى خمسين فارسا من العرب ليس فيهم مهاجرى ولا أنصارى فكان يسير الليل ويكمن النهار فهجم عليهم وأخذ

أى جميلة عند رجل يحبها ولها ضرائر الا أكثرن عليها أى القول فى تنقيصها وفيه ان ضرائرها أمهات المؤمنين لم يكن السبب فى اشاعة ذلك ولم ينقصنها به الا ان يقال ظنت أمها ذلك على ما هو العادة فى ذلك وعند ذلك قالت فقلت سبحان الله واقد تحدث الناس بهذا أى وقلت قد علمه أبى قالت نعم قلت ورسول الله قالت نعم فاستعبرت وبكيت فسمع أبو بكر صوتى فنزل فقال لامى ما شأنها فقالت بلغها الذى ذكر من شأنها ففاضت عيناه فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لى دمع أى لا يرتفع ولا اكتحلت بنوم فى الليلة الثانية كذلك ولما أصبحت أصبح أبواى عندى يظنان ان البكاء فالق كبدى فبينما هما جالسان عندى وأنا أبكى أى وهما يبكيان وأهل الدار يبكون فاستأذنت على امرأة من الانصار فأذنت لها فجلست تبكى معى وسمعت من بعض الشيوخ ان هرة كانت بالبيت جالسة تبكى أيضا فبينا نحن على ذلك اذ دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم جلس ولم يجلس عندى منذ قيل ما قيل وقد لبث صلى الله عليه وسلم شهرا لا يوحى اليه فى شأنى فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس ثم قال أما بعد ياعائشة فانه قد بلغنى عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله وان كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله وتوبى فان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب الى الله تعالى تاب الله عليه قال بعضهم دعاها الى الاعتراف ولم يأمرها بالستر أى مع انه المطلوب ممن أتى ذنبا لم يطلع عليه وفى لفظ قال ياعائشة انه قد كان ما بلغك من قول الناس فاتقى الله فان كنت قارفت أى اكتسبت سوأ مما يقول الناس فتوبى الى الله تعالى فان الله تعالى يقبل التوبة عن عباده قالت فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمعى أى ارتفع حتى ما أحس منه بقطرة فقلت لابى أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال قال فوالله لا أدرى ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لامى أجيبى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت والله ما أدرى ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفى لفظ قلت لابوى ألا تجيبان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا والله لا ندرى بماذا نجيبه فقلت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر فى نفوسكم فلئن قلت لكم انى برئية والله يعلم انى برئية لا تصدقونى بذلك ولئن اعترفت لكم بامر والله يعلم انى منه برئية لتصدقنى فوالله لا أجد لى ولكم وفى لفظ لا أجد لى مثلا الا قول أبى يوسف عليهما السلام أى والتمست اسم يعقوب فلم أقدر عليه اذ يقول فصبر جميل والله المستعان أى وفى رواية كما فى البخارى مثلى ومثلكم كيعقوب وبنيه والله المستعان على ما تصفون وفى لفظ انما أشكو بثى وحزنى الى الله وبذلك استدل على جواز ضرب المثل من القرآن أيضا ثم تحولت فاضطجعت على فراشى وما كنت أظن ان الله ينزل فى شأنى وحيا يتلى وفى لفظ قرآنا يقرأ به فى المسجد ويصلى به ولشأنى فى نفسى كان أحقر من ان يتكلم الله فى بامر يتلى وكنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا فى النوم يبرئنى الله بها أى وعند ذلك قال أبو بكر رضى الله عنه ما أعلم أهل بيت من العرب دخل عليهم ما دخل على والله ما قيل لنا هذا فى الجاهلية حيث

منهم احد عشر رجلا واحدى وعشرين امرأة وثلاثين صبيا فجاء بهم الى المدينة فأمر بهم صلى الله عليه وسلم فحبسوا فى دار رملة
بنت الحرث فجاء فى اثرهم جماعة من رؤسائهم منهم عطارد بن حاجب والزبرقان بن بدر والاقرع بن حابس وقيس بن الحرث ونعيم
بن سعد وعمرو بن الاهيم ورياح بن الحرث فلما رأوهم بكى اليهم النساء والذرارى فجاؤا الى باب النبى صلى الله عليه وسلم بعد ان دخلوا
المسجد ووجدوا بلالا يؤذن بالظهر والناس ينتظرون خروج رسول الله ٣٢٧ صلى الله عليه وسلم فاستبطؤه فجاؤا من وراء الحجرات

لا بعد الله فيقال لنا فى الاسلام وأقبل على عائشة مغضبا فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما كان يأخذه عند نزول الوحى أى من شدة الكرب فسجى أى غطى بثوبه ووضعت له وسادة
من أدم تحت رأسه وفى لفظ قالت عائشة رضى الله عنها فاما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت
فوالله ما فزعت لانى قد عرفت انى برئية وان الله غير ظالمى وأما أبواى فوالذى نفس عائشة
بيده ما سرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أى وأخبر بما أخبر حتى ظننت لتخرجن أنفسهما
فرقا أى خوفا من ان يأتى من الله تحقيق ما قال الناس فلما سرى عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم سرى عنه وهو يضحك وانه ليتحدر منه العرق كالجمان وهى حبوب مدحرجة تجعل من
الفضة أمثال اللؤلؤ فجعل يمسح العرق عن وجهه الكريم فكان أول كلمة تكلم بها يا عائشة
اما ان الله قد برأك فقالت أمى قومى اليه صلى الله عليه وسلم فقلت والله لا أقوم اليه ولا أحمد
الا الله وفى لفظ قال أبشرى يا عائشة فقد أنزل الله تعالى براءتك قلت نحمد الله لا نحمد أحدا
قالت عائشة رضى الله عنها نزلت تلك الآيات فى يوم شات قالت وتناول رسول الله صلى الله عليه
وسلم درعى فقلت بيده هكذا أى ادفع يده عن درعى فأخذ أبو بكر النعل ليعلونى بها فمنعته فضحك
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له أقسمت عليك لا تفعل وفى رواية لما أنزل الله براءتها قام
اليها أبو بكر رضى الله عنه فقبل رأسها فقالت له هلا كنت عذرتنى فقال أى بنية أى سماء
تظلنى وأى أرض تقلنى ان قلت بما لا أعلم ولا مخالفة بين هذه الرواية وما قبلها لجواز أن يكون
ما قبلها بعدها وأنزل الله تعالى ان الذين جاؤا بالافك الآيات العشر أى وفى تفسير البيضاوى
الثمانية عشر قال السهيلى وكان نزول براءة عائشة رضى الله عنها بعد قدومهم المدينة أى من
الغزوة المذكورة لسبع وثلاثين ليلة فى قول بعض المفسرين فمن نسبها رضى الله عنها الى الزنا
كملائة الرافضة كان كافرا لان فى ذلك تكذيبا للنصوص القرآنية ومكذبها كافر وفى حياة
الحيوان عن عائشة رضى الله عنها لما تكلم الناس فى الافك رأيت فى منامى فتى فقال لى مالك
قلت حزينة مما ذكر الناس فقال ادعى بهذه يفرج الله عنك قلت وما هى قال قولى يا سابغ النعم
ويا دافع النقم ويا فارج الغم ويا كاشف الظلم ويا أعدل من حكم ويا حسيب من ظلم ويا أول
بلا بداية ويا آخر بلا نهاية اجعل لى من أمرى فرجا ومخرجا قالت فقلت ذلك فانتبهت وقد
أنزل الله فرجى قال بعضهم برأ الله تعالى أربعة بأربعة برأ يوسف بشاهد من أهل زليخة وبرأ
موسى عليه السلام من قول اليهود فيه ان له أدرة بالحجر الذى فر بثوبه وبرأ مريم بانطاق ولدها
وبرأ عائشة بهذه الآيات وكان أبو بكر رضى الله عنه ينفق على مسطح لقرابته منه أى كما تقدم
والفقره فحلف لا ينفق عليه أى فانه قال والله لا أنفق على مسطح أبدا ولا أنفعه بنفع أبدا بعد
ما قال لعائشة وادخل علينا وفى لفظ أخرجه من منزله وقال له لا وصلتك بدرهم أبدا ولا
عطفت عليك بخير أبدا فأنزل الله تعالى ولا يأتل أولوا الفضل أى الفضيلة والافضال منكم
والسعة أى فى الرزق أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا

فنادوا بصوت جاف اخرج الينا
نفاخرك ونشاعرك فان مدحنا
زين وذمنا شين يا محمد اخرج الينا
فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد تأذى من صياحهم وفيهم
أنزل الله ان الذين ينادونك من
وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون
ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم
لكان خيرا لهم والله غفور رحيم
وأقام بلال الصلاة وتعلقوا برسول
الله صلى الله عليه وسلم يكلمونه
فوقف معهم فقالوا له نحن ناس
من تميم جئنا بشاعرنا وخطيبنا
لنشاعرك ونفاخرك فقال لهم
النبى صلى الله عليه وسلم ما بالشعر
بعثنا ولا بالفخار أمرنا ثم مضى
فصلى الظهر ثم جلس فى صحن
المسجد ثم قالوا ان مدحنا زين
وان شتمنا شين نحن أكرم العرب
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كذبتم بل مدح الله الزين وشتمه
الشين وأكرم منكم يوسف بن
يعقوب ثم قالوا فأذن لخطيبنا
وشاعرنا قال أذنت فليقم وفى
رواية انى لم أبعث بالشعر ولم أومر
بالفخر ولكن هاتوا فقدموا
عطارد بن حاجب وفى رواية قال
الاقرع بن حابس لشاب منهم قم
يا فلان فاذكر فضلك وفضل قومك
فتكلم وخطب فقال الحمد لله الذى
له علينا الفضل وهو أهله الذى

جعلنا ملوكا ووهب لنا أموالا عظاما نفعل فيها المعروف وجعلنا أعز أهل المشرق عددا فمن مثلنا فى الناس ألسنا رؤس الناس
وأولى فضلهم فمن فاخرنا فليعدد مثل ما عددنا وانا لو شئنا أكثرنا واغنا أقول هذا لان يأتوا بمثل قولنا أو أمر أفضل من أمرنا ثم جلس
وفى رواية أنه قال الحمد لله الذى جعلنا خير خلقه وأعطانا أموالا نفعل فيها ما نشاء فنحن خير أهل الارض أكثرهم عددا وأكثرهم
سلاحا فمن أنكر علينا قولنا فليأت بقول هو أحسن من قولنا أو بفعال هى أفضل من فعالنا فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت

ابن قيس بن شماس أن يجيبه فقال له قم فأجب الرجل فى خطبته فقام ثابت رضى الله عنه فقال * الحمد لله الذى السموات والارض خلقه قضى فيهن أمره ووسع كرسيه علمه ولم يكن شئ قط الا من فضله ثم ان من فضله ان جعلنا ملوكا واصطفى من خير خلقه رسولا أكرمهم نسبا وأصدقهم قلبا وأفضلهم حسبا فأنزل عليه كتابه وائتمنه على خلقه فكان خيرة الله من العالمين ثم دعا الناس الى الايمان فآمن برسول الله صلى الله عليه وسلم ٣٢٨ المهاجرون من قومه وذوو رحمه أكرم الناس احسابا وأحسن الناس وجوها وخير الناس مقالا ثم كان أول الخلق اجابة واستجابة لله حين دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن فنحن أنصار الله ورسوله نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله ورسوله فمن آمن بالله ورسوله منع ماله ودمه ومن كفر جاهدناه فى الله وكان قتله علينا يسيرا أقول هذا واستغفر الله لى وللمؤمنين والمؤمنات والسلام عليكم وفى رواية أنه قال الحمد لله نحمده ونستعينه ونؤمن به ونتوكل عليه وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله دعا المهاجرين من بنى عمه أحسن الناس وجوها وأعظم الناس أخلاقا فأجابوه والحمد لله الذى جعلنا أنصاره ووزراء رسوله وعز الدين فنحن نقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله فمن قالها منع منا نفسه وماله ومن أباها قاتلناه وكان رغمه فى الله علينا هينا أقول قولى واستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات ثم قال الزبرقان لرجل منهم قم يا فلان قل أبياتا تذكر فيها فضلك وفضل قومك فقام فقال أبياتا منها

نحن الكرام فلا حى يعادلنا
نحن الرؤس وفينا يقسم الربع
اذا أبينا فلا يأبى لنا أحد
انا كذلك عند الفخر نرتفع

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم على بحسان بن ثابت رضى الله عنه فحضر فقال له قم فأجبه فقال يسمعنى ما قال فأسمعه فقال حسان رضى الله عنه أبياتا منها أى

نصرنا رسول الله والدين عنوة * على رغم عات من بعيد وحاضر
وأحيا ونا من خير من وطئ الحصا * وأمواتنا من خير أهل المقابر

وثابت بن قيس رضى الله عنه كان يعرف بخطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم افتقده رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال من يعلم لى علمه فقال رجل أنا يا رسول الله فذهب فوجده فى منزله جالسا منكسا رأسه فقال له ما شأنك فقال أخشى أن أكون من أهل

وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم وعند ذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم لابى بكر رضى الله عنه أما تحب أن يغفر الله لك قال أبو بكر رضى الله عنه والله انى لاحب أن يغفر لى فرجع الى مسطح بالنفقة التى كان ينفق عليه وقال والله انى لا أنزعها عنه أبدا وفى معجم الطبرانى الكبير والنسائى انه أضعف له النفقة التى كان يعطيه اياها قبل القذف أى أعطاه ضعف ما كان يعطيه قبل ذلك أى وكفر عن يمينه وبهذا وبما فى الصحيح من قوله صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين ورأى غيرها خيرا منها فليأت الذى هو خير وليكفر عن يمينه استدل فقهاؤنا على ان الافضل فى حق من حلف على ترك مندوب أو فعل مكروه أن يحنث ويكفر عن يمينه وهنا لطيفة وهى ان ابن المقرى رحمه الله منع عن ولده النفقة تأديبا له على أمر وقع منه فكتب الى والده رحمه الله تعالى هذه الابيات

لا تقطعن عادة برا ولا * تجعل عقاب المرء فى رزقه
فان أمر الافك من مسطح * يحط قدر النجم من أفقه
وقد جرى منه الذى قد جرى * وعوتب الصديق فى حقه

فكتب اليه والده رحمه الله تعالى هذه الابيات

قد يمنع المضطر من ميتة * اذا عصى بالسير فى طرقه
لانه يقوى على توبة * تكون ايصالا الى رزقه
لو لم يتب مسطح من ذنبه * ما عوتب الصديق فى حقه

ووصف الله تعالى الصديق بأولى الفضل موافق لوصفه صلى الله عليه وسلم له بذلك فقد جاء ان عليا كرم الله وجهه دخل على النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الصديق رضى الله عنه جالس عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنحى أبو بكر عن مكانه وأجلس عليا كرم الله وجهه بينه وبين النبى صلى الله عليه وسلم فتهلل وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحا وسرورا وقال لا يعرف الفضل لاهل الفضل الا أولو الفضل وعنها رضى الله عنها انها قالت لما استلبث الوحى عنه صلى الله عليه وسلم أى أبطأ عليه ولم ينزل استشار الصحابة فقال له عمر رضى الله عنه من زوجها لك يا رسول الله قال الله تعالى قال أفتظن ان الله دلس عليك فيها سبحانك هذا بهتان عظيم فنزلت ودعا على بن أبى طالب كرم الله وجهه واسامة بن زيد رضى الله عنهما ليستأمرهما فى فراق أهله أى تعنى نفسها فاما اسامة بن زيد فقال أهلك أى الزم أهلك يا رسول الله ولا نعلم الا خيرا وأما على بن أبى طالب كرم الله وجهه فقال يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وانك لتقدر أن تستخلف وفى لفظ قد أحل الله لك فطلقها وأنكح غيرها وان تسأل الجارية تصدقك يعنى بريرة رضى الله عنها أى لانها كانت تخدم عائشة اما قبل شرائها لها أو بعده وقبل عتقها لها كان بعد الفتح فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة فقال أى بريرة هل رأيت من شئ يريبك قالت بريرة والذى بعثك بالحق ما رأيت عليها أمرا أغمصه بالغين المعجمة والصاد المهملة بينهما ميم مكسورة

النار لانى رفعت صوتى فوق صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم أى وقد أنزل الله لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون وكان ثابت بن قيس رضى الله عنه يرفع صوته لثقل فى سمعه فكان يظن ان الناس لا يسمعونه الا ان رفع صوته فرجع الرجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعلمه بما قال ثابت فقال اذهب اليه فقل له لست من أهل النار ولكنك من أهل الجنة وقال صلى الله عليه وسلم فيه نعم الرجل ثابت بن قيس بن شماس ولم يزل رضى الله عنه فى عمل صالح وحسن استقامة حتى استشهد يوم اليمامة فى خلافة الصديق رضى الله عنه وكان عليه درع نفيسة فمر به رجل من المسلمين فأخذها فبينما رجل من المسلمين نائم اذ رآه فى منامه يقول له انى أوصيك بوصية فاياك أن تقول حلم فتضيعها انى لما قتلت مر بى رجل من المسلمين فأخذ درعى ومنزله فى أقصى الناس وعند خبائه فرس وقد كفأ على الدرع برمة وفوق البرمة رحل فأت خالدا فمره فليأخذها فاذا قدمت المدينة على خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى أبا بكر رضى الله عنه فقل له ان على من الدين كذا وكذا وان فلانا من رقيقى عتيق فاستيقظ الرجل فأتى خالدا فأخبره فبعث الى الدرع فأتى بها بعد ان وجدها على ما وصفه ثم لما قدم المدينة أخبر أبا بكر رضى الله عنه برؤياه فاجاز وصيته ولا يعلم أحد أحدثت وصيته بعد موته وأجيزت سواه ووقعت مفاخرة بين الزبرقان بن بدر وحسان رضى الله عنه كل واحد منهما يذكر قصيدة فيها مفاخره فمن قصيدة الزبرقان وهو مطلعها

نحن الكرام فلا حى يعادلنا
من المعوك وفينا تنصب البيع

ومن قصيدة حسان رضى الله عنه وهو مطلعها

أى أعيبه عليها أكثر من انها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتى الداجن وهى الدابة التى تألف البيوت ولا تخرج للمرعى وهى هنا الشاة فتأكله وفى لفظ فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة فسألها فقام اليها على كرم الله وجهه فضربها ضربا شديدا وجعل يقول لها أصدقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقول والله ما أعلم الا خيرا وما كنت أعيب على عائشة شيأ الا انى كنت أعجن عجينى فآمرها ان تحفظه فتنام عنه فتأتى الشاة فتأكله أى وضربها كما قال السهيلى ولم تستوجب ضربا ولا استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ضربها لانه اتهمها فى انها خانت الله ورسوله فتكلمت من الحديث ما لا يسعها كتمه هذا كلامه والذى فى البخارى وانتهرها بعض الصحابة فقال أصدقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت سبحان الله والله ما علمت عليها الا ما يعلم الصائغ على تبر الذهب الاحمر وفى الامتاع جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم لبريرة وسألها فقالت هى أطيب من طيب الذهب والله لا أعلم عليها الا خيرا والله يا رسول الله ان كانت على غير ذلك ليخبرك الله بذلك أى وبريرة هذه روى عنها عبد الملك بن مروان فقد ذكر انه قال كنت أجالس بريرة رضى الله عنها بالمدينة قبل ان آتى الى هذا الامر يعنى الخلافة فكانت تقول لى يا عبد الملك انى أرى فيك خصالا وانك لخليق أن تلى هذا الامر يعنى الخلافة فان وليته فاحذر الدماء فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الرجل ليدفع عن باب الجنة بعد أن ينظر اليها على محجمة من دم يريقه من مسلم بغير حق قالت عائشة رضى الله عنها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل زينب بنت جحش أم المؤمنين عن أمرى يقول ماذا علمت أو رأيت فتقول يا رسول الله أحمى سمعى وبصرى أى أصون سمعى من أن أقول سمعت ولم أسمع وأصون بصرى من أن أقول أبصرت ولم أبصر ما علمت الا خيرا أى وفى رواية حاشا سمعى وبصرى ما علمت الا خيرا والله ما أكلمها وانى لمها جرتها وما كنت أقول الا الحق قالت عائشة وهى التى كانت تسامينى من أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى لفظ تناصينى أى تعادلنى من أزواج النبى صلى الله عليه وسلم فى المنزلة والمحبة عنده صلى الله عليه وسلم فعصمها الله تعالى أى ولهذا جعلها فى النور أفضل نسائه صلى الله عليه وسلم بعد عائشة وخديجة حيث قال والذى يظهر أن أفضلهن أى زوجاته صلى الله عليه وسلم بعد خديجة وعائشة زينب بنت جحش وقالت عائشة رضى الله عنها فى وصفها لم أر امرأة قط خيرا من زينب فى الدين وأتقى لله وأصدق حديثا وأوصل للرحم وأعظم صدقة وأشد ابتذالا لنفسها فى العمل الذى يتقرب به الى الله ما عدا سورة أى حدة تسرع فيها الفيئة أى ترجع عنها سريعا قالت عائشة رضى الله عنها وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم أى عند استلبات الوحى وتأخره فى الناس وخطابهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس ما بال رجال يؤذوننى فى أهلى ويقولون عليهم غير الحق وفى رواية فاستعذر من عبد الله بن أبى ابن سلول فقال وهو على المنبر من يعذرنى أن ينصفنى من رجل قد بلغنى أذاه فى أهل بيتى فوالله ما علمت على أهلى الا خيرا ولقد ذكروا

٤٢ سيره ثانى

انا أبينا ولن يأبى لنا أحد * انا كذلك عند الفخر نرتفع وقال الاقرع بن حابس انى والله يا محمد قلت شعرا فاسمعه فقال هات فانشده

أتيناك كيما تعرف الناس فضلنا * اذا حالفونا عند ذكر المكارم وانا رؤس الناس من كل معشر * وان ليس فى أرض الحجاز كدارم

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا حسان فأجبه فقال حسان رضى الله عنه

بنى دارم لا تفخروا ان فخركم * يعود وبالا عند ذكر المكارم هبلتم علينا تفخرون وأنتم * لنا خول من بين ظئر وخادم

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للاقرع لقد كنت غنيا يا أخا بني دارم ان تذكر ما كنت ترى ان الناس قد نسوه فكان هذا القول من رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم أشد من قول حسان رضى الله عنه وحينئذ قال الاقرع بن حابس لخطيبه يعني النبي صلى الله عليه وسلم اخطب من خطيبنا ولشاعره أشعر من شاعرنا ولاصواتهم أعلى من أصواتنا ثم دنا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يضرك ما كان قبل هذا روى ان الاقرع بن حابس

رضى الله عنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الحسن بن علي رضى الله عنهما فقال يا رسول الله ان لي من الولد عشرة ما قبلت واحدا منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لا يرحم لا يرحم واسم الاقرع فراس وانما لقب الاقرع لقرع كان في رأسه والقرع انحصاص الشعر وكان شريفا في الجاهلية والاسلام ووقع ان عمرو بن الاهيم مدح الزبرقان للنبي صلى الله عليه وسلم فقال انه لمطاع في أنديته سيد في عشيرته فقال الزبرقان لقد حسدني يا رسول الله لشرفي ولقد علم أفضل مما قال فقال عمرو انه لزمر المروأة ضيق العطن لئيم الخال وفي رواية ان الزبرقان قال يا رسول الله أنا سيد تميم والمطاع فيهم والمجاب منهم آخذ لهم بحقوقهم وأمنعهم من الظلم وهذا يعلم ذلك يعني عمرو بن الاهيم فقال عمرو انه لشديد العارضة مانع لجانبه مطاع في اديه فقال الزبرقان والله لقد كذب يا رسول الله وما يمنعه أن يتكلم الا الحسد فقال عمرو أنا أحسدك والله انك لئيم الخال حديث المال أحمق الوالد مبغض في القبر فعرف عمرو الانكار في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله والله لقد صدقت في الاولى وما كذبت في الثانية رضيت فقلت أحسن ما علمت وسخطت فقلت أقبح ما علمت فعند ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا ثم انه صلى الله عليه وسلم رد عليهم الاسارى والسبي وأحسن جوائزهم بعد ان أسلموا كلهم وأعطى كل واحد اثنتي عشرة أوقية من الفضة واختلف في عدد هذا الوفد فقيل كانوا سبعين رجلا وقيل ثمانين وقيل تسعين قال ابن عبد البر في الاستيعاب ان القوم لما أسلموا بقوا في المدينة مدة يتعلمون القرآن

رجلا يعني صفوان ما علمت عليه الا خيرا أي وزاد في رواية ولا يدخل بيتي وفي لفظ بيتا من بيوتي الا وأنا حاضر ولا غبت في سفر الا غاب معي يقولون عليه غير الحق فقام سعد بن معاذ أي سيد الاوس فقال يا رسول الله أنا أعذرك منه ان كان من الاوس ضربت عنقه وان كان من اخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وقد احتملته الحمية وفي لفظ أجهلته الحمية وكان قبل ذلك رجلا صالحا أي لما ذكر سعد بن معاذ الخزرج الذين هم قوم سعد بن عبادة غضب سعد بن عبادة لاجلهم وحملته الحمية لهم على أن يجهل أي قال قول الجهل فقال لسعد بن معاذ كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد بن معاذ كما تقدم فقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لنقتلنه وانك راغم فانك منافق تجادل عن المنافقين أي والمراد بكونه منافقا أنه يفعل فعل المنافقين ومن ثم لم ينكر صلى الله عليه وسلم ذلك ان كان سمعه فثار الحيان الاوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا لانه كان بين الحيين قبل الاسلام مشاحنة ومحاربة كما تقدم ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا قالت وأنا لا أعلم بشيء من ذلك ﴿أقول﴾ فيه ان سعد بن معاذ لم يقل انه ان كان من الخزرج نقتله بل قال نفعل فيه ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم فلا يحسن رد سعد بن عبادة عليه بما ذكر ثم رأيت بعضهم ذكر ان الاظهر عندي ان ابن عبادة لم يقل ذلك حمية لقومه وانما أراد الانكار على ابن معاذ في كونه يقتل شخصا من قومه الذين هم الاوس مع أنه يظهر الاسلام لانه صلى الله عليه وسلم لم يكن يقتل من يظهر الاسلام فكأنه قال لا تقل ما لا تفعل ولا تقدر على فعله حيث لم يأمرك بذلك النبي صلى الله عليه وسلم وانما انتصر أسيد بن حضير لسعد بن معاذ نصرة للنبي صلى الله عليه وسلم في مثل هذه الحالة العظيمة التي طلب النبي صلى الله عليه وسلم فيها من يعذره من ذلك القائل وانكاره على سعد بن عبادة انما هو انكار ظاهر لفظه وان كان لباطنه مخلص حسن وكم من لفظ ينكر اطلاقه على قائله وان كان في الباطن له مخلص هذا كلامه ثم رأيت في السيرة الهشامية ان المتكلم أسيد بن حضير وانه قال يا رسول الله ان يكونوا من الاوس نكفيكهم وان يكونوا من اخواننا الخزرج فرنا أمرك فوالله انهم لاهل لان نضرب أعناقهم فقام سعد ابن عبادة فقال كذبت لعمر الله والله ما تضرب أعناقهم أما والله ما قلت هذه المقالة الا أنك قد عرفت انهم من الخزرج ولو كانوا من قومك يعني الاوس ما قلت هذا أي لان عبد الله بن أبي ابن سلول من الخزرج وكذا حسان بن ثابت رضى الله عنه بناء على أنه كان من أصحاب الافك وفي البخاري ان سعد بن معاذ قال ائذن لي يا رسول الله أن أضرب أعناقهم فقام رجل من الخزرج وكانت أم حسان من رهط ذلك الرجل أي من الخزرج فقال كذبت أما والله لو كانوا من الاوس ما أحببت أن تضرب أعناقهم وعلى هذه الرواية فلا اشكال وقول البخاري وكانت أم حسان الى آخره يشعر بان حسانا لم يكن من الخزرج وهو يخالف ما تقدم وما

سيأتي

والدين ثم أرادوا الخروج الى قومهم فاعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم أموالهم ونساءهم وقال أما بقي منكم أحد وكان عمرو بن الاهيم في ركائبهم فقال قيس بن عاصم وكان مشاحنا له لم يبق منا الا غلام حدث في ركابنا وازري به فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما أعطاهم وقيل بل أعطاه خمس أواق فقط ولما بلغ عمرو بن الاهيم ما قاله قيس بن عاصم في حقه أنشد أبياتا تتضمن لومه على ذلك وكان عمرو خطيبا بليغا شاعرا يقال ان شعره كان حللا مستورة ٣٣١ وكان جميلا يدعى الكحل لجماله وهو القائل

لعمرك ما ضاقت بلاد باهلها
ولكن أخلاق الرجال تضيق

والله سبحانه وتعالى أعلم

سيأتي انه من الخزرج الا أن يقال وصفه بذلك على المسامحة لكون أمه منهم فليتأمل ولا يخفى ان ذكر المنبر يخالف ما في الاصل من ان اتخاذ المنبر كان في السنة الثامنة وقصة الافك كانت في السنة الخامسة أو السادسة وفي النور المراد بالمنبر شئ مرتفع قال والا فالمنبر انما اتخذ في السنة الثامنة أي فيكون المراد المنبر الذي اتخذ في السنة الثانية كان من الطين والذي كان من خشب انما اتخذ في السنة الثامنة وقد بينا ذلك مبسوطا والله أعلم ثم بعد نزول آيات الافك أي وهي ان الذين جاؤا بالافك عصبة الى قوله أولئك مبرؤن مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم خرج صلى الله عليه وسلم الى الناس وخطبهم وتلا عليهم تلك الآيات وأمر بجلد أصحاب الافك أي وهم عبد الله بن أبي ومسطح وحمنة بنت جحش أخت زينب بنت جحش أم المؤمنين وأخوها عبيد الله بالتصغير ابن جحش ويقال له أبو أحمد كان ضريرا أي وكان يدور مكة أعلاها وأدناها في أي محل من غير قائد وكان شاعرا وهو ابن عمة أميمة بنت عبد المطلب عمة النبي صلى الله عليه وسلم وأما أخوها عبد الله مكبرا فقد قتل يوم أحد كما تقدم وزاد بعضهم خامسا وهو زيد ابن رفاعة وفيه أنه تقدم انهم لما قدموا المدينة وجدوه قد مات الا أن يقال ان لهم زيد بن رفاعة غيره فيجوز أن يكون هو ذلك ويقال وحسان بن ثابت فجلدوا الحد وهو ثمانون قال بعضهم وذكر سعد بن معاذ في هذه الرواية أي انه القائل أنا أعذرك وهم من بعض الرواة وانما المتكلم بذلك أسيد بن حضير أي كما تقدم عن السيرة الهشامية لان سعد بن معاذ مات بعد بني قريظة قال في الاصل لو اتفق أهل المغازي على ان غزوة الخندق وبني قريظة متقدمة على غزوة بني المصطلق لكان الوهم لازما ولكنهم مختلفون ﴿أقول﴾ أي فالوهم لا يلزم الا من جعل هذه الغزوة التي هي غزوة بني المصطلق متأخرة عن بني قريظة ويذكر فيها سعد بن معاذ كالاصل ومن ثم لما قال ابن اسحق بأنها بعد بني قريظة روى عن عائشة بدل سعد بن معاذ أسيد بن حضير قال في الامتاع وهذا هو الصحيح والوهم لم يسلم منه أحد من بني آدم وفيه ان مما يدل على تقدمها وان ذكر سعد بن معاذ ليس من الوهم في شئ ما ذكره في الكتاب المذكور الذي هو الامتاع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث أياما ثم أخذ بيد سعد بن معاذ في نفر حتى دخل على سعد بن عبادة فتحدثوا ساعة وقرب لهم سعد بن عبادة طعاما فأصابوا منه ثم انصرفوا فمكث أياما ثم أخذ بيد سعد بن عبادة في نفر فانطلقوا حتى دخلوا منزل سعد بن معاذ فتحدثوا ساعة وقرب لهم سعد بن معاذ طعاما فأصابوا منه ثم خرجوا فذهب من أنفسهم ما كان وان ذكر سعد بن معاذ وقع في الصحيحين وغيرهما والله أعلم وذكر ان صفوان بن المعطل رضي الله عنه الذي كان الافك بسببه ظهر انه كان حصورا لا يأتي النساء أي انما معه مثل الهدبة أي عنين وقد قال الشيخ محيي الدين الحصور عندنا العنين أي ويدل له ما في البخاري أنه رضي الله عنه ما كشف كنيف امرأة قط أي ستر هالان الكنيف الساتر وقد جاء في تفسير وصف يحيى بن زكريا بحصورا أنه صلى الله عليه وسلم أهوى الى الارض وأخذ قذاة وقال كان ذكره يعني يحيى

﴿بعث الوليد بن عقبة الى بني المصطلق﴾

بعث النبي صلى الله عليه وسلم الوليد بن عقبة بن أبي معيط لاخذ الصدقات من بني المصطلق وبنو المصطلق بطن من خزاعة وكان بينهم وبين الوليد عداوة في الجاهلية وكانوا قد أسلموا وبنوا المساجد فلما سمعوا بدنو الوليد خرج منهم عشرون رجلا بالابل والغنم يؤدونها عن زكاتهم فرحابه وتعظيما لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم فحدثه الشيطان انهم يريدون قتله لرؤية السلاح معهم مع انهم انما خرجوا بالسلاح تجملا فرجع من الطريق قبل أن يصلوا اليه وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم مستندا لظنه انهم لقوه بالسلاح يحولون بينه وبين الصدقة وفي رواية أخبره انهم ارتدوا فهم صلى الله عليه وسلم أن يبعث اليهم من يغزوهم ويلغ ذلك القوم وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم بعث اليهم خالد بن الوليد لاستكشاف الخبر خفية في عسكر معه وأمره أن يخفي عنهم قدومه فلما دنا منهم بعث عيونا ليلا فاذا هم ينادون بالصلاة ويصلون فأتاهم خالد فلم ير منهم الا طاعة وخيرا فرجع اليه صلى الله عليه وسلم فأخبره وفي رواية بعث صلى الله عليه وسلم اليهم بعثا فاستقبلهم الحرث بن ضرار الخزاعي وكان رئيس القوم فقال الى أين بعثتم قالوا اليك قال ولم قالوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الوليد فزعم انك منعته الزكاة وأردت قتله فقال لا والذي بعث محمدا بالحق ما رأيته ولا أتاني ثم قدم على النبي صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه صلى الله عليه وسلم قال له صلى الله عليه وسلم منعت الزكاة وأردت قتل رسولي قال

لا والذى بعثك بالحق وقدم الركب الذين اقوا الوليد فأخبروا النبى صلى الله عليه وسلم الخبر على وجهه فبعث صلى الله عليه وسلم معهم عباد بن بشر يأخذ صدقات أموالهم ويعلمهم شرائع الاسلام ويقرئهم القرآن والوليد بن عقبة بن أبى معيط كان أخا لعثمان رضى الله عنه لامه ولاه عثمان رضى الله عنه الكوفة ثم عزله ولما مات عثمان رضى الله عنه اعتزل الوليد الفتنة فلم يشهد مع على رضى الله عنه ولا غيره وأقام بالرقة

الى أن توفى فى خلافة معاوية رضى الله عنه

﴿سرية عبد الله بن عوسجة﴾

رضى الله عنه الى بنى عمرو بن حارثة وقيل حارثة بن عمرو فى مستهل صفر وقيل ربيع الاول سنة تسع من الهجرة يدعوهم الى الاسلام فابوا أن يجيبوا واستخفوا بصحيفة النبى صلى الله عليه وسلم ففسلوها ورقعوا بها أسفل دلوهم فاخبر صلى الله عليه وسلم بذلك فدعا عليهم بذهاب العقل فقال مالهم ذهب الله بعقولهم فهم الى اليوم أهل رعدة أى اضطراب فى أجسادهم وعجلة فى كلامهم وكلام مختلط لا يفهم قال الواقدى رأيت بعضهم ذاعى لا يحسن الكلام

﴿سرية قطبة بن عامر﴾

الخزرجى رضى الله عنه الى خثعم قريبا من تربة بضم الفوقية وفتح الراء من أعمال مكة على يومين أو أكثر وكانت فى صفر سنة تسع وبعث معه عشرين رجلا وأمره أن يشن الغارة عليهم فجاؤهم واقتتلوا قتالا شديدا حتى كثرت الجرحى فى الفريقين ثم هزموهم وساقوا النعم والشاء والنساء الى المدينة والله أعلم

﴿سرية الضحاك بن سفيان﴾

الكلابى رضى الله عنه الى بنى كلاب فى ربيع الاول سنة تسع بجيش فجاءهم ودعاهم الى الاسلام فأبوا فقاتلهم بمن معه فهزمهم وغنم أموالهم

خيبرا

﴿سرية علقمة بن مجزز﴾

بضم الميم وفتح الجيم ومعجمتين الاولى مكسورة ثقيلة المدلجى رضى الله عنه الى طائفة من الحبشة بساحل البحر قريبا من جدة بعثه فى ثلثمائة فانتهى الى جزيرة فى البحر فلما خاض البحر ليصل اليهم هربوا فرجع علقمة ومن معه ولم يلقوا كيدا ولما أراد الرجوع علقمة أراد بعض القوم التعجيل والرجوع الى أهلهم قبل بقية الجيش وكان فيهم

عليه السلام مثل هذه القذاة ولعل المراد التشبيه فى الارتخاء وعدم الشدة فلا يخالف ما قبله لكن فى النهر الحصور الذى لا يأتى النساء مع القدرة على ذلك أى ورد ما يؤيد ذلك ما جاء أربعة لعنوا فى الدنيا والآخرة وأمنت الملائكة رجل جعله الله ذكرا فانثث نفسه وتشبه بالنساء وامرأة جعلها الله أنثى فتذكرت وتشبهت بالرجال والذى يضل الاعمى ورجل حصور ولم يجعل الله حصورا الا يحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام فالحصور وصف مذموم الا فى يحيى عليه السلام خصوصية له دون غيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام والا فقد امتن سبحانه على الانبياء عليهم الصلاة والسلام بقوله ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية قيل وهذا الوصف جاء ليحيى من أثر همة والده زكريا عليهما السلام فانه لما شهد مريم منقطعة عن الازواج أحب أن يرزقه الله ولدا مثلها أى منقطعا عن الزوجات فجاء يحيى عليه السلام حصورا ويؤيد ذلك ما فى أنس الجليل وكان يحيى عليه السلام لا يأتى النساء لانه لم يكن له ما للرجال كذا قيل وهو غير مرضى وقد تكلم القاضى عياض رحمه الله فى الشفاء على معنى كون يحيى حصورا بما حاصله ان هذا الذى قيل نقيصة وعيب لا يليق بالانبياء عليهم الصلاة والسلام وانما معناه انه معصوم من الذنوب لا يأتيها فكأنه حصر عنها وأنه حصر نفسه عن الشهوات قال ما هذا كلامه فليتأمل أى وعلى الاول لا ينافى ذلك كون صفوان كان متزوجا لما تقدم ان زوجته شكته للنبى صلى الله عليه وسلم أى على ان ابن الجوزى نقل عن شيخه ابن ناصر الدين رحمه الله تعالى ان صفوان رضى الله عنه انما تزوج بعد حديث الافك ومما يدل على أن حسان رضى الله عنه لم يكن من أصحاب الافك تبرؤه مما نسب اليه فى أبيات مدح بها عائشة رضى الله عنها منها

مهذبة قد طيب الله خيمها * وطهرها من كل سوء وباطل
فان كنت قد قلت الذى قد زعمتم * فلا رفعت سوطى الى أنامل
وكيف ودى ما حييت ونصرتى * لآل رسول الله زين المحافل

ومن ثم قال ابن عبد البر وقد أنكر قوم كون حسان رضى الله عنه خاض فى الافك وانه جلد وجاء ان عائشة رضى الله عنها برأته من ذلك أى فقد ذكر الزبير بن بكار أنه قيل لعائشة رضى الله عنها وقد قالت فى حق حسان رضى الله عنه انى لارجو أن يدخله الله الجنة بذبه باسانه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أليس هو ممن لعنه الله فى الدنيا والآخرة بما قال فيك قالت لم يقل شيأ ولكنه القائل فان كان ما قد قيل عنى قلته * فلا رفعت سوطى الى أنامل

وقد قال مثل هذا البيت أنس بن زنيم وقد بلغه ان النبى صلى الله عليه وسلم أهدر دمه لما بلغه صلى الله عليه وسلم انه هجاه فجاء اليه صلى الله عليه وسلم معتذرا وأنشده أبياتا منها

ونبى رسول الله أنى هجوته * فلا رفعت سوطى الى أذن يدى

لكن فى رواية أنها كانت تأذن لحسان بن ثابت وتلقى له الوسادة وتقول لا تقولوا لحسان الا

عبد الله بن حذافة السهمى رضى الله عنه فأمره علقمة عليهم وكان فيه دعابة أى مزاح فنزلوا ببعض الطريق وأوقدوا نارا يصطلون عليها فقال لهم عبد الله بن حذافة عزمت عليكم الا توا ثبتم فى هذه النار فلما هم ببعضهم بذلك قال امنعوا انفسكم فانما كنت امزح فذكروا ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم لما قدموا فقال من أمركم بمعصية فلا تطيعوه وفى رواية انهم لما أوقدوا النار وهموا بالدخول فيها جعل بعضهم يمسك بعضا ويقولون فررنا من النار أى فكيف نلقى أنفسنا فيها وفى رواية انه غضب فأمرهم بذلك ليرى امتثالهم له فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لو دخلوها ما خرجوا منها أى ان كانوا مستحلين الدخول وجاء فى بعض الروايات وصف الامير المذكور بالانصارى قال الحافظ ابن حجر يحتمل حمله على المعنى الاعم أى انه نصر النبى صلى الله عليه وسلم فى الجملة فلا ينافى ان عبد الله بن حذافة من المهاجرين وفى رواية ان الذى أمّره عليهم النبى صلى الله عليه وسلم فيحتمل انه أسند اليه صلى الله عليه وسلم فى هذه الرواية لان تأميره تأميره كما ميره صلى الله عليه وسلم وعبد الله بن حذافة هذا رضى الله عنه من قدماء المهاجرين ممن شهد بدرا ومات بمصر فى خلافة عثمان رضى الله عنه ومن مناقبه ما أخرجه البيهقى عن أبى رافع رضى الله عنه قال وجه عمر رضى الله عنه جيشا الى الروم وفيهم عبد الله بن حذافة رضى الله عنه فقال له ملك الروم تنصر وأشركك فى ملكى فأبى فأمر به ان يصلب ان لم يتنصر فلما ذهبوا به بكى ففقال ردوه فقال له لم بكيت قال تمنيت أن لى مائة نفس تلقى هذا فى الله فعجب منه ثم قال له قبل رأسى وأنا أخلى عنك فقال وعن جميع اسارى المسلمين قال نعم فقبل رأسه فخلى سبيلهم فقدم به على عمر رضى الله عنه فقام عمر فقبل رأسه رضى الله عنهما

﴿سرية على بن أبى طالب رضى الله عنه﴾ لهدم صنم طيئ يوضع يسمى الفلس بضم الفاء وسكون اللام بعثه صلى الله عليه وسلم فى ربيع الاول سنة تسع وبعث معه مائة وخمسين رجلا من الانصار وفى رواية كانوا مائتى رجل فاغار على أحياء من العرب وشن الغارة على محلة آل حاتم مع الفجر وحرق الصنم بعد هدمه ووجد فى خزانته ثلاثة أسياف وثلاثة أدرع وغنم سبيا ونعما

خيرا فانه كان يرد عن النبى صلى الله عليه وسلم بلسانه وقد قال تعالى والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم وقد عمى والعمى عذاب عظيم والله قادر على ان يحيل ذلك ويغفر لحسان ويدخله الجنة وفيه انه سيأتى عن عائشة وغيرها ان الذى تولى كبره عبد الله بن أبى ابن سلول كما تقدم الا أن يقال كبره مقول بالتشكيك والذى بلغ فيه الغاية عبد الله بن أبى ابن سلول فليتأمل وعن الزهرى قال كنت عند الوليد بن عبد الملك ليلة من الليالى وهو يقرأ سورة النور مستلقيا على سريره فلما بلغ والذى تولى كبره جلس ثم قال يا أبا بكر من تولى كبره أليس على بن أبى طالب قال الزهرى فقلت فى نفسى ماذا أقول ان قلت لا لا آمن أن ألقى منه شرا وان قلت نعم جئت بأمر عظيم ثم قلت لنفسى لقد عود فى الله على الصدق خيرا فقلت لا فضرب بقضيبه السرير قال فمن بكر ذلك مرارا قلت لكن عبد الله بن أبى ابن سلول ووقع لسليمان بن يسار مع هشام بن عبد الملك نحو ذلك فان سليمان بن يسار رحمه الله دخل على هشام بن عبد الملك فقال له يا أبا سليمان الذى تولى كبره من هو قال عبد الله بن أبى قال كذبت هو على قال أنا أكذب لا أبا لك لو نادى منادمن السماء ان الله أحل الكذب ما كذبت حدثنى عروة وسعيد وعبد الله وعلقمة رحمهم الله عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت الذى تولى كبره عبد الله بن أبى وعن عائشة رضى الله عنها انه ذكر عندها حسان بسوء فنهتهم وقالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحبه الا مؤمن ولا يبغضه الا منافق وفى البخارى كانت عائشة رضى الله عنها تكره أن يسب عندها حسان وتقول انه الذى قال

فان أبى ووالدتى وعرضى ✻ لعرض محمد منكم وقاء

فهذا البيت يغفر الله تعالى له وذكر بعضهم ان الذين كانوا يهجون رسول الله صلى الله عليه وسلم من مشركى قريش عبد الله بن الزبعرى وأبو سفيان ابن عمه صلى الله عليه وسلم وعمرو بن العاص وضرار بن الحرث ولما أراد حسان رضى الله عنه أن يهجوهم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تهجوهم وأنا منهم وكيف تهجو أبا سفيان ابن عمى فقال له والله لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين فقال له صلى الله عليه وسلم ائت أبا بكر فانه أعلم بانساب القوم منك فكان يجىء الى أبى بكر ليوقفه على أنسابهم فجعل حسان يهجوهم فلما سمعوا هجوه قالوا ان هذا الشعر ما غاب عنه ابن أبى قحافة وعاش حسان رضى الله عنه مائة وعشرين سنة نصفها فى الجاهلية ونصفها فى الاسلام وعاش والده أيضا مائة وعشرين سنة وكذا جده ووالد جده قال بعضهم ولا يعرف أربعة تناسلوا وتساوت أعمارهم غيرهم ولم يشهد حسان مع النبى صلى الله عليه وسلم مشهدا لانه كان يخشى الموت فكان ينسب للجبن ومن ثم جعل يوم الخندق مع النساء والذرارى فى الآطام وما وقع له مع صفية عمته صلى الله عليه وسلم فى أمر اليهودى الذى قتلته فى ذلك المكان وما قاله لها يدل على انه كان جبانا شديد الجبن ويرد انكار بعض العلماء كونه جبانا قال اذ لو صح ذلك لهجى به فانه كان يهاجى الشعراء وكانوا يردون عليه فما عيره أحد منهم به ولا وسمه به ولعله كان به علة اقتضت جعله مع الذرارى فى الآطام منعته

وشئ وفضة وقدم بذلك المدينة وكان فى السبى سفانة بنت حاتم الطائى وهى بفتح السين وتشديد الفاء بعدها نون مفتوحة فتاة تأنيث فاسلمت وحسن اسلامها رضى الله عنها ومن عليها صلى الله عليه وسلم فدعت له فقالت شكرتك يد افتقرت بعدغنى ولا ملكتك يد استغنت بعد فقر وأصاب الله بمعروفك مواضعه ولا جعل لك الى لئيم حاجة ولا سلب نعمة من كريم الا وجعلك سببا لردها عليه وكان المن عليها سببا لاسلام أخيها عدى بن حاتم رضى الله عنه وكان رضى الله عنه من فضلاء الصحابة ولم يرتد من ارتد من العرب بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم بل ثبت على الاسلام وكان يبعث بصدقات قومه الى الصديق رضى الله عنه وحضر فتوح العراق مات سنة ثمان وستين وهو ابن مائة وعشرين وقيل مائة وثمانين سنة وروى له أصحاب السنن الستة قال ابن اسحق فى قصة سبى اخت حاتم أصابت خيل صلى الله عليه وسلم ابنة حاتم فى سبايا فجعلت فى حظيرة فى المسجد فمر بها صلى الله عليه وسلم فقامت اليه وكانت جزلة فقالت يارسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فقال ومن وافدك قالت عدى بن حاتم قال الفار من الله ورسوله فمضى حتى كان الغد قالت مر بى فقلت له وقال لى مثل ذلك حتى كان بعد الغد مر بى ويئست فأشار الى على بن أبى طالب رضى الله عنه وهو خلفه أى قومى اليه فكلميه فقمت فقلت يارسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فامنن على من الله عليك قال قد فعلت فلا تعجلى حتى تجدى ثقة يبلغك بلادك ثم آذنينى فقدم رهط من طيئ قالت فأخبرته ان لى فيهم ثقة وبلاغا فكسانى وحملنى وأعطانى نفقة فخرجت حتى قدمت الشام على أخى فقال ماترين فى هذا الرجل قالت أرى والله أن تلحق به سريعا فان يك نبيا فللسابق اليه فضيلة وان يكن ملكا فلن تزال فى عز اليمن

من شهود القتال هذا كلامه وقد يقال على تسليم انه لم يج بالجبن يجوز أن يكون لكونه كان لا يتأثر بوصفه بذلك وذكر بعضهم ان حسان رضى الله عنه شلت يداه بضربة ضربها له صفوان بسيف لما هجاه فذكر ذلك حسان لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا حسان وصفوان أى وأظهر التغيظ على صفوان بسبب اظهاره السلاح على حسان وضربه به فقال صفوان يارسول الله آذانى وهجانى فاحتملنى الغضب فضربته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان ياحسان أحسن فيما أصابك قال هى لك وفى رواية قال كل حق لى قبل صفوان فهو لك فقال له صلى الله عليه وسلم قد أحسنت وقبلت ذلك منك وأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عوضا منها حديقة له يقال لها بئرحا بفتح الراء فى الاحوال الثلاثة مع قصر حا قيل لها ذلك لان الابل يقال لها اذا وردت وزجرت عن الماء حاحا وفيه انه كان القياس أن يقال بئر حا بضم الراء فى حالة الرفع وحدها الا أن يقال المجموع اسم مركب وكانت هذه البئر لابى طلحة رضى الله عنه فتصدق بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضعها حيث شاء ثم باعها حسان من معاوية بمال عظيم (أقول) الذى فى البخارى كان أبو طلحة رضى الله عنه أكثر أنصارى بالمدينة مالا وكان أحب أمواله اليه بيرحا وهى حديقة كانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويستظل بها ويشرب من ماء فيها طيب فلما نزلت لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قام أبو طلحة رضى الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ان الله يقول فى كتابه لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وان أحب أموالى الى بيرحا وانه صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله تعالى فضعها يارسول الله حيث شئت فقال صلى الله عليه وسلم بخ ذلك مال رابح ذلك مال رابح قد سمعت ما قلت فيها وقد قبلناها منك ورددناها عليك وأرى أن تجعلها فى الاقربين قال أفعل يارسول الله فقسمها أبو طلحة فى أقاربه وبنى عمه وفى لفظ آخر فى البخارى قال صلى الله عليه وسلم لابى طلحة اجعله لفقراء أقاربك فجعلها لحسان وأبى بن كعب وفيه ان أبى بن كعب كان غنيا وبين فى البخارى وجه قرابتهما من أبى طلحة فذكر أن حسان يجتمع مع أبى طلحة فى الاب الثالث وأبى يجتمع معه فى الاب السادس وذكر بعضهم أن أبى ابن كعب كان ابن عمة أبى طلحة وفى الامتاع انه صلى الله عليه وسلم أعطى حسان تلك الحديقة وأعطاه سيرين جاريته أخت مارية أم ولده صلى الله عليه وسلم ابراهيم فجاءت منه بابنه عبد الرحمن وكان يفتخر بانه ابن خالة ابراهيم ابن النبى صلى الله عليه وسلم وقد روت سيرين هذه عن النبى صلى الله عليه وسلم حديثا قالت رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم خلالا فى قبر ابنه ابراهيم فأصلحه وقال ان الله يحب من العبد اذا عمل عملا أن يتقنه وأعطاه سعد بن عبادة رضى الله عنه بستانا كان يتحصل منه مال كثير وحاصل ما فى الامتاع فيما وقع بين حسان وصفوان ان حسان رضى الله عنه لما قال

امسى

وأنت أنت فقلت والله هذا هو الرأى فقدم فأسلم والقصة طويلة وروى ابن المبارك فى الزهد عن عدى بن حاتم رضى الله عنه ما دخل وقت صلاة قط الا وأنا اشتاق اليها وفى رواية ما أقيمت الصلاة منذ اسلمت الا وأنا على وضوء وكان جوادا وقد روى الامام أحمد أن رجلا سأله مائة درهم فقال تسألنى مائة درهم وانا ابن حاتم والله لا اعطيك وروى ابن سعد ان الذى سبى اخت حاتم خالد بن الوليد

وجمع بعضهم بين الروايتين بان خالدا كان فى جيش على رضى الله عنهما ونوزع بان الجيش كله كان من الانصار ويمكن ان يقال المراد أكثر الجيش من الانصار فلا ينافى كون خالد معهم أو يكون منهم نظر المعنى النصرة بالمعنى الاعم والله أعلم

﴿ثم سرية عكاشة بن محصن الاسدى رضى الله عنه﴾ الى الجباب بكسر الجيم وموحدتين بينهما ألف أرض عذرة بضم العين وسكون الذال المعجمة وبلى بفتح الباء وكسر اللام وشد التحتية وهما قبيلتان من قضاعة ٣٣٥ وقيل ان الجباب أرض فزارة وكلب ولعذرة فيها شرك وكانت هذه السرية فى شهر ربيع الآخر سنة تسع ولم يذكروا سببها ولا عدد من ذهب فيها ولا ما جرى والله أعلم

﴿غزوة تبوك﴾

على وزن تقول لا ينصرف للعلمية ووزن الفعل وقيل للعلمية والتأنيث وجوز بعضهم صرفه على ارادة المكان وهو مكان معروف بينه وبين المدينة من جهة الشام أربع عشرة مرحلة وبينه وبين دمشق احدى عشرة مرحلة وقيل اثنتا عشرة مرحلة وقيل هو نصف الطريق بين المدينة ودمشق وهى غزوة العسرة بهملتين الاولى مضمومة بعدها سكون مأخوذ من قوله تعالى الذين اتبعوه فى ساعة العسرة وتعرف بالفاضحة لافتضاح المنافقين فيها قالوا لا تنفروا فى الحر وقد فضحهم الله فى آيات كثيرة فى سورة التوبة كقوله تعالى ومنهم من يقول ائذن لى وكقوله تعالى ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب وكانت فى رجب سنة تسع من الهجرة قال الحافظ ابن حجر وذكر البخارى لها بعد حجة الوداع من خطأ النساخ قال بعضهم ولعل البخارى تعمد تأخيرها للاشارة الى انها آخر

أمسى الجلابيب قد عزوا وقد كبروا * وابن القريعة أمسى بيضة البلد

قال صفوان ما أراه الا عنانى أى بالجلابيب وتقدم ان ابن أبى ابن سلول قد قالها فى حق المهاجرين والقريعة بالقاف جدة حسان رضى الله عنه وقيل أمه وقريعة الشئ خياره وقريعة القبيلة سيدها واستعمل بيضة البلد فى الذم بقرينة المقام والا فكما تستعمل فى الذم تستعمل فى المدح يقال فلان بيضة البلد أى واحد فى قومه عظيم فيهم فعند ذلك خرج صفوان مصلتا السيف وجاء الى حسان وهو فى نادى قومه الخزرج وضربه فلقى بيده فوقع السيف فيها فقام قومه وأوثقوا صفوان رباطا ثم انه حل وجىء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حسان رضى الله عنه يا رسول الله شهر على السيف فى نادى قومى ثم ضربنى ولا أرانى الا ميتا من جراحتى فقال صلى الله عليه وسلم لصفوان ولم ضربته وجملت السلاح عليه وتغيظ لحسان فقال صفوان ما تقدم ثم قال لقوم حسان احبسوا صفوان فان مات حسان فاقتلوه به فحبسوه فبلغ ذلك سيد الخزرج سعد بن عبادة فأقبل على قومه ولامهم على حبسه فقالوا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحبسه وقال لنا ان مات صاحبكم فاقتلوه فقال سعد والله ان أحب الامر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم العفو عنه ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بالحق والله لا أبرح حتى يطلق فاستحى القوم وأطلقوه وأخذه سعد وانطلق به الى منزله وكساه حلة وجاء به الى المسجد فلما رآه صلى الله عليه وسلم قال صفوان قالوا نعم يا رسول الله قال من كساه قالوا سعد ابن عبادة قال كساه الله من ثياب الجنة ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كلم حسان رضى الله عنه فى العفو عن صفوان فقال يا رسول الله كل حق لى قبل صفوان فهو لك فقال صلى الله عليه وسلم قد أحسنت وقبلت ذلك ثم أعطاه صلى الله عليه وسلم أرضا له وسيرين جاريته أخت مارية أم ولده ابراهيم وأعطاه أيضا سعد بن عبادة رضى الله عنه حائطا كان يتحصل منه مال كبير جاء فعا عن حقه وقيل انما أعطاه سيرين لذبه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بشعره فقد قال ابن عبد البر رحمه الله اعطاء رسول الله صلى الله عليه وسلم سيرين أخت مارية لحسان ابن ثابت يروى من وجوه وأكثرها ان ذلك ليس بسبب ضرب صفوان له بل لذبه بلسانه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل وكان لسان حسان يصل لجبهته والى نحره وكذلك كان أبوه وجده وكان حسان رضى الله عنه يقول على لسانه والله لو وضعته على صخر لفلقه أو شعر لحلقه وقد عمى مسطح أيضا أى وقد روى أصحاب السنن الاربعة عن عائشة رضى الله عنها انه صلى الله عليه وسلم أمر برجمين وامرأة فضربوا حدهم قال الترمذى حسن غريب أى والمرأة حمنة بنت جحش والرجلان أخوها عبيد الله أبو أحمد ابن جحش ومسطح ولم يحد الخبيث عبد الله بن أبى ابن سلول لان الحد كفارة وليس من أهلها وقيل لانه لم تقم عليه البينة بذلك بخلاف أولئك وقيل لانه كان لا يأتى بذلك على انه من عنده بل على لسان غيره وفى الطبرانى ومعجم النسائى عن عائشة رضى الله عنها ان عبد الله بن أبى ابن سلول جلد مائة وستين أى حد حدين قال عبد الله بن عمر

مغازيه صلى الله عليه وسلم وكان الوقت حين خروجه صلى الله عليه وسلم حر شديد وقحط كثيرا ولذلك لم يورّ عنها كعادته فى سائر الغزوات وقد روى البخارى ومسلم عن كعب بن مالك رضى الله عنه قال لم يكن صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الا ورى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة غزاها فى حر شديد واستقبل سفرا بعيدا وغزا عدوا كثيرا فجلا للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوتهم بالوجه الذى يريد والتورية ذكر لفظ يحتمل معنيين أحدهما أقرب من الآخر فيتوهم السامع ارادة القريب والمتكلم يريد البعيد

وروى عبد الرزاق أنهم خرجوا فى قلة من الظهر مع كثرتهم وفى حر شديد حتى كانوا ينحرون البعير فيشربون ما فى كرشه من الماء فسميت غزوة العسرة أى الشدة والضيق واختلف فى سببها فقال بعضهم سببها أنه صلى الله عليه وسلم بلغه من الانباط الذين يقدمون بالزيت من الشام الى المدينة أن الروم تجمعت بالشام مع هرقل وهو قيصر ملك الروم واجتمعت معهم لخم وجذام وعاملة وغسان وغيرهم من متنصرة العرب وجاءت مقدمتهم الى البلقاء فلما بلغه صلى الله عليه وسلم ذلك ندب الناس الى الخروج

وأعلمهم بالمكان الذى يريد ليتأهبوا لذلك بما يحتاجونه فى السفر والحرب وروى الطبرانى من حديث عمران بن حصين الخزاعى رضى الله عنهما قال كانت نصارى العرب كتبت الى هرقل ان هذا الرجل الذى يدعى النبوة هلك واصابتهم سنون فهلكت أموالهم فان كنت تريد أن تلحق دينك فالآن فبعث رجلا من عظمائهم يقال له قباذ اوجهز معه أربعين ألفا فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم ولم يكن للناس قوة فى الذهاب لتلك الارض لفقد الظهر والنفقة وكان عثمان رضى الله عنه قد جهز عيرا الى الشام فلما سمع النبى صلى الله عليه وسلم يحث على النفقة والحملان قال يارسول الله هذه مائتا بعير بأقتابها واحلاسها ومائتا أوقية قال عمران رضى الله عنه فسمعته صلى الله عليه وسلم يقول لا يضر عثمان ما عمل بعدها وهذا اشارة الى أن الله منعه من وقوع زلة ببركة انفاقه فى سبيل الله وانه صلح أن يغفر له ما عساه أن يكون ذنبا ان وقع ولا يلزم من الصلاحية وجوده وقد أظهر الله صدق رسوله صلى الله عليه وسلم فان عثمان رضى الله عنه لم يزل على أعمال أهل الجنة حتى فارق الدنيا وقيل سبب هذه الغزوة ان الله لما منع المشركين من قرب المسجد الحرام فى الحج وغيره قالت قريش لتقطعن عنا المتاجر والاسواق وليذهبن ما كنا نصيب منها فعوضهم الله بالامر بقتال أهل الكتاب كما قال تعالى يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس الى قوله حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة فعزم صلى الله عليه وسلم على قتال الروم لانهم أقرب الناس اليه وأولاهم بالدعوة الى الحق لقربهم الى الاسلام ولما أراد

رضى الله عنهما وهكذا يفعل بكل من قذف زوجة نبى أى ولعل المراد انه يجوز أن يفعل به ذلك فلا ينافى ما تقدم من ان الحد كان ثمانين جلدة وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما زنت وفى لفظ لم تبغ امرأة نبى قط وأما قوله تعالى فى امرأة نوح وامرأة لوط فخانتاهما فالمراد آذتاهما قالت امرأة نوح عليه السلام فى حقه انه لمجنون وامرأة لوط عليه السلام دلت على أضيافه قيل انما جاز أن تكون امرأة النبى كافرة كامرأة نوح ولوط عليهما السلام ولم يجز أن تكون فاجرة أى زانية لان النبى مبعوث الى الكفار ليدعوهم فيجب أن لا يكون معه منقص ينفرهم عنه والكفر غير منقص عندهم وأما الفجور فمن أعظم النقصان وفى الخصائص الصغرى ومن قذف أزواجه صلى الله عليه وسلم فلا توبة له البتة كما قاله ابن عباس وغيره ويقتل كما نقله القاضى عياض وغيره وقيل يختص القتل بمن قذف عائشة ويحد فى غيرها حدين وقد وقع ان الحسن بن يزيد الراعى من أهل طبرستان وكان من العظماء كان يلبس الصوف ويأمر بالمعروف وكان يرسل فى كل سنة الى بغداد عشرين ألف دينار تفرق على أولاد الصحابة فحضر عنده رجل من أشياع العلويين فذكر عائشة رضى الله عنها بالقبيح فقال الحسن لغلامه ياغلام اضرب عنق هذا فنهض اليه العلويون وقالوا هذا رجل من شيعتنا فقال معاذ الله هذا طعن على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات فان كانت عائشة رضى الله عنها خبيثة فان زوجها يكون خبيثا وحاشاه صلى الله عليه وسلم من ذلك بل هو الطيب الطاهر وهى الطيبة الطاهرة المبرأة من السماء ياغلام اضرب عنق هذا الكافر فضرب عنقه وفى كتاب الاشارات للفخر الرازى أنه صلى الله عليه وسلم فى تلك الايام التى تكلم فيها بالافك كان أكثر أوقاته فى البيت فدخل عليه عمر رضى الله عنه فاستشاره صلى الله عليه وسلم فى تلك الواقعة فقال يارسول الله أنا أقطع بكذب المنافقين وأخذت براءة عائشة رضى الله عنها من الذباب لان الذباب لا يقرب بدنك فاذا كان الله تعالى صان بدنك ان يخالطه الذباب لمخالطته للقاذورات فكيف أهلك ودخل عليه صلى الله عليه وسلم عثمان رضى الله عنه فاستشاره فقال له عثمان يارسول الله اخذت براءة عائشة رضى الله عنها من ظلك انى رأيت الله تعالى صان ظلك أن يقع على الارض أى لان ظل شخصه الشريف كان لا يظهر فى شمس ولا قمر لئلا يوطأ بالاقدام فاذا صان الله ظلك فكيف بأهلك أى وقد أشار الى ذلك الامام السبكى رحمه الله فى تائيته بقوله

لقد نزه الرحمن ظلك ان يرى * على الارض ملقى فانطوى المزية

(وهنا لطيفة لا بأس بها) وهى ان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما كان مسافرا وكان يسايره يهودى فلما أراد المفارقة قال عبد الله رضى الله عنه لليهودى بلغنى انكم تدينون بايذاء المسلمين فهل قدرت على شئ من ذلك معى واقسم عليه فقال ان امنتنى أخبرتك فأمنه فقال لم أقدر عليك فى شئ أكثر من انى كنت اذا رأيت ظلك وطئته بقدمى وفاء بأمر ديننا ودخل عليه صلى الله

صلى الله عليه وسلم الخروج حث الناس على النفقة والحملان فجاؤا بصدقات كثيرة فكان أول من جاء أبو بكر الصديق رضى الله عنه فجاء بماله كله أربعة آلاف درهم فقال صلى الله عليه وسلم هل أبقيت لاهلك شيأ قال أبقيت لهم الله ورسوله وجاء عمر رضى الله عنه بنصف ماله فسأله هل أبقيت لهم شيأ قال نعم نصف مالى وجاء عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه بمائتى أوقية اليه صلى الله عليه وسلم وتصدق عاصم بن عدى بسبعين وسقا من تمر وجهز عثمان رضى الله عنه ثلث الجيش ٢٣٧ حتى كان يقال ما بقيت لهم حاجة حتى كفاهم

عليه وسلم على كرم الله وجهه فاستشاره فقال له على كرم الله وجهه أخذت براءة عائشة من شئ هو انا صلينا خلفك وأنت تصلى بنعليك ثم انك خلعت احدى نعليك فقلنا ليكون ذلك سنة لنا قلت لا ان جبريل عليه السلام اخبرنى ان فى تلك النعل نجاسة فاذا كان لا تكون النجاسة بنعليك فكيف تكون بأهلك فسر صلى الله عليه وسلم بذلك أى ويحتاج أمتنا الى الجواب عن خلع احدى نعليه فى أثناء الصلاة لنجاسة بها واستمر فى الصلاة وعن أبى أيوب الانصارى رضى الله عنه انه قال لزوجته ام أيوب الا ترين ما يقال أى من الافك فقالت له لو كنت بدل صفوان اكنت تهم بسوء لمحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا قالت ولو كنت أنا بدل عائشة ما خنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعائشة خير منى وصفوان خير منك وفى السيرة الشامية ان أبا أيوب رضى الله عنه قالت له زوجته أم أيوب ألا تسمع ما يقول الناس فى عائشة قال بلى وذلك الكذب أكنت يا ام أيوب فاعلة قالت لا والله ما كنت لافعله قال فعائشة والله خير منك وجاء ان ابن عباس رضى الله عنهما دخل على عائشة رضى الله عنها فى مرض موتها فوجدها وجلة من القدوم على الله فقال لها لا تخافى فانك لا تقدمين الا على مغفرة ورزق كريم فغشى عليها من الفرح بذلك لانها كانت تقول متحدثة بنعمة الله عليها لقد أعطيت تسعا ما أعطيتهن امرأة لقد نزل جبريل عليه السلام بصورتى فى راحته حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتزوجنى ولقد تزوجنى بكرا وما تزوج بكرا غيرى ولقد توفى وان رأسه فى حجرى ولقد قبر فى بيتى وان الوحى ينزل عليه فى أهله فيفرقون منه وان كان لينزل عليه وأنا معه فى لحاف واحد وأبى رضى الله عنه خليفته وصديقه واقد نزلت براءتى من السماء ولقد خلقت طيبة عن طيب ولقد وعدت مغفرة ورزقا كريما قيل وفى هذه الغزوة فقدت عائشة رضى الله عنها عقدها أيضا فاحتبسوا على طلبه أى فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طلبه رجلين من المسلمين أى أحدهما أسيد ابن حضير فحضرت الصلاة أى صلاة الصبح وكانوا على غير ماء زاد فى رواية وليس معهم ماء فنزلت آية التيمم وهذا القيل نقله امامنا الشافعى رضى الله عنه عن عدة من أهل المغازى أى وعليه يكون سقط عقدها فى تلك الغزوة مرتين لاختلاف القضيتين باختلاف سياقهما والصحيح ان ذلك كان فى غزوة اخرى أى متأخرة عن هذه الغزوة فعن عائشة رضى الله عنها قالت لما كان من أمر عقدى ما كان وقال أهل الافك ما قالوا لخرجت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة اخرى فسقط أيضا عقدى حتى حبس التماسه الناس أى فانه صلى الله عليه وسلم بعث رجالا فى طلبه وهو لا يخالف ما سبق انه صلى الله عليه وسلم أرسل فى طلبه رجلين وطلع الفجر فلقيت من أبى بكر رضى الله عنه ماشاء الله أى لان الناس جاؤا لابى بكر رضى الله عنه وشكوا اليه ما نزل بهم فجاء اليها ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع رأسه الشريف على فخذها قد نام فقال لها حبست رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء فجعل يطعن بيده فى خاصرتها ويقول يا بنية فى كل سفرة تكونين عناء وبلاء وليس

شنق أسقيتهم قال ابن اسحق أنفق عثمان رضى الله عنه فى ذلك الجيش نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثلها وروى عن قتادة أنه قال جهز عثمان رضى الله عنه فى جيش العسرة على ألف بعير وسبعين فرسا وروى الامام أحمد والبيهقى عن عبد الرحمن بن سمرة رضى الله عنه قال جاء عثمان رضى الله عنه بالف دينار فى كمه حين جهز جيش العسرة فنثرها فى حجره صلى الله عليه وسلم فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقلبها فى حجره ويقول ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم وجاء فى رواية عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما ان الذى جاء به عثمان رضى الله عنه عشرة آلاف دينار قال بعضهم يمكن ان الالف جاء بها والعشرة بعث بها وجاء فى هذه الرواية زيادة ان الدنانير صبت بين يديه صلى الله عليه وسلم فجعل صلى الله عليه وسلم يقول بيده ويقلبها ظهر البطن ويقول غفر الله لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت وما هو كائن الى يوم القيامة ما يبالى عثمان بعدها ففيه بشارة عظيمة بان الله غفر له الذنوب أى سترها عنه ففعه منها بركة دعائه له ونفقته فى سبيل الله فليس يبالى بما عمل اذ لا يقع منه الا الخير وفى

٤٣ سيره ثانى بعض الروايات قال صلى الله عليه وسلم اللهم ارض عن عثمان فانى عنه راض وروى البيهقى عن عبد الرحمن بن خباب رضى الله عنه قال خطب صلى الله عليه وسلم فحث الناس على جيش العسرة فقال عثمان على مائة بعير بأحلاسها واقتابها ثم نزل مرقاة أخرى من المنبر فحث الناس فقال عثمان على مائة بعير أخرى باحلاسها واقتابها ثم نزل مرقاة أخرى فحث فقال عثمان على مائة بعير اخرى باحلاسها واقتابها قال فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بيده هكذا يحركها كالمتعجب وقال ما على عثمان بعد هذا

اليوم أوقال بعدها وأرسل صلى الله عليه وسلم الى أهل مكة وقبائل العرب يستنفرهم وجاء البكاؤن يستحملونه أى يطلبون منه ما يركبون عليه فقال ما أجد ما أحملكم عليه وهم سالم بن عمير الانصارى وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعب الانصارى والعرباض بن سارية السلمى وهرم بن عبد الله بن رفاعة الانصارى وعمرو بن عمة الانصارى وعبد الله بن مغفل المزنى وآخرون غيرهم وهم الذين قال الله فيهم ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم ٣٣٨ قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا أن لا يجدوا ما ينفقون ومنهم قوم أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه ففى البخارى عن أبى موسى رضى الله عنه انه أرسله أصحابه الى النبى صلى الله عليه وسلم يسأله الحملان فقال والله لا احملكم وفى رواية وما عندى ما أحملكم عليه فرجع حزينا الى قومه ثم جاء النبى صلى الله عليه وسلم ذود من الابل فبعث اليه وأعطاه اياها واستخلف صلى الله عليه وسلم على المدينة على بن أبى طالب رضى الله عنه وخلفه أيضا على أهله وعياله فأرجف به المنافقون وقالوا ما خلفه الا استثقالا له وتخففا أخذ على رضى الله عنه سلاحه ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بالجرف فقال يا نبى الله زعم المنافقون انك انما خلفتنى لانك استثقلت منى وتخففت منى فقال كذبوا ولكن خلفتك لما تركت ورائى فارجع فى أهلى وأهلك افلا ترضى يا على ان تكون منى بمنزلة هرون من موسى الا انه لا نبى بعدى فرجع الى المدينة وفى رواية فقال على رضى الله عنه رضيت ثم رضيت ثم رضيت قال أهل السنة ان هرون عليه السلام انما كان خليفة فى حياة موسى عليه السلام حين ذهب الى الميقات فدل ذلك على تخصيص خلافة على رضى الله عنه بحياة النبى صلى الله عليه وسلم فقط فلا حجة فيه للشيعة على ان الخلافة لعلى وانه أوصى الله بها وكفرت الروافض جميع الصحابة بتقديم غيره وزاد بعضهم فكفر عليا لكونه لم يقم لطلب حقه ولا حجة لهم فى الحديث المذكور ولا متمسك لهم به لانه انما قال هذا حين استخلفه بالمدينة فى هذه الغزوة فالحديث انما دل على ان عليا رضى الله عنه خليفة على أهل النبى صلى الله عليه وسلم مدة غيبته بتبوك كما كان هرون عليه السلام خليفة عن موسى عليه السلام فى قومه مدة غيبته عنهم

مع الناس ماء قالت فلا يمنعنى من التحرك الا مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذى أى لانه صلى الله عليه وسلم كان اذا نام لا يوقظه أحد حتى يكون هو يستيقظ لانهم لا يدرون ما يحدث له فى نومه فقام حين أصبح وفى لفظ فاستيقظ وحضرت الصلاة فالتمس الماء فلم يجد فأنزل الله تعالى الرخصة بالتيمم وفى لفظ فانزل الله تعالى آية التيمم أى التى فى المائدة ففى بعض الروايات فنزلت يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة الآية وقيل المراد بالآية آية النساء لان آية المائدة تسمى آية الوضوء وآية النساء لاذكر الوضوء فيها فيتجه تسميتها بآية التيمم وكلام الواحدى رحمه الله فى أسباب النزول يدل عليه فقال أبو بكر عند ذلك والله يا بنية انك كما علمت مباركة أى وقال لها صلى الله عليه وسلم ما أعظم بركة قلادتك وقال اسيد بن حضير ما هذا بأول بركتكم يا آل أبى بكر أى وفى رواية انه قال لها جزاك الله خيرا فما نزل بك أمر تكرهينه الا جعل الله منه مخرجا وللمسلمين فيه خيرا أى وهذا ربما يفيد تكرر وقوع ما تكرهه وان فى ذلك خيرا للمسلمين فليتأمل وفى لفظ قال أسيد بن حضير لقد بارك الله للناس فيكم يا آل أبى بكر ما أنتم الا بركة لهم قال الحافظ ابن حجر رحمه الله وانما قال أسيد بن حضير ما قال دون غيره لانه كان رأس من بعث فى طلب العقد أى بل تقدم فى بعض الروايات الاقتصار على بعثه لطلب ذلك قالت فبعثنا البعير الذى كنت عليه أى أقتناه من مبركه فوجدنا العقد تحته (أقول) فى النور اعلم ان العقد سقط مرتين مرة كان لها ومرة كان لاختها اسماء استعارته وبهذا يجمع بين الاحاديث التى فى المسئلة هذا كلامه فليتأمل وينظر تلك الاحاديث ما هى أى وكون هذا العقد لاسماء اختها لا يخالف ذلك قولها عقدى لان الاضافة تأتى لادنى ملابسة أى فعقد أسماء كان فى المرة الثانية وفى البخارى أيضا ان آية التيمم نزلت بعد ان صلوا بلا وضوء فعن عائشة رضى الله عنها أنها استعارت من أسماء رضى الله عنها قلادة فهلكت أى ضاعت فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا فوجدها فأدركتهم الصلاة وليس معهم ماء فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى آية التيمم وقد ترجم البخارى عن تلك بقوله باب اذا لم يجد ماء ولا ترابا وقوله فبعث رجلا فوجدها يجوز أن يكون هذا الرجل هو الذى أقام البعير أو من جملة من أقامه فلا يخالف ما سبق مما يدل على ان الذين بعثهم فى طلبه لم يجدوه ثم رأيت الحافظ ابن حجر رحمه الله قال وطريق الجمع بين هذه الروايات ان أسيدا كان رأس من بعث لذلك فلذلك سمى فى بعض الروايات دون غيره ولذا اسند الفعل الى واحد منهم وكانهم لم يجدوا العقد أولا فلما رجعوا نزلت آية التيمم وأراد والرحيل وأثاروا البعير وجده أسيد رضى الله عنه هذا كلامه قيل وفى هذه الغزوة خرجوا عن الطريق وأدركهم الليل بقرب وادوعر فهبط جبريل عليه السلام وأخبره صلى الله عليه وسلم ان طائفة من كفار الجن بهذا الوادى يريدون كيده صلى الله عليه وسلم وايقاع الشر بأصحابه فدعا صلى الله عليه وسلم بعلى كرم الله وجهه وعوذه وأمره بنزول الوادى فقتلهم قال الامام ابن تيمية وهذا من الاحاديث المكذوبة على رسول الله صلى

للمناجاة وقد استخلف صلى الله عليه وسلم فى مرات أخر غير على رضى الله عنه فيلزم أن يكون مستحقا للخلافة والسائل على رضى الله عنه فى زمن خلافته هل أوصى لك النبى صلى الله عليه وسلم بالخلافة قال لا ولو أوصى لى بها القاتلت عليها حتى لو لم يبق معى الا سيفى وردائى ولو أوصى له بها لبايع أبا بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم وقول الرافضة ان ذلك كان منه تقية كذب وزور فانه كان رضى الله عنه ذا قوة وشجاعة وقد توفرت عشيرته من بنى هاشم فكانوا أهل قوة ومنعة

فيلزم الرافضة نسبته للجبن والذل وحاشاه الله من ذلك ورضى عنه وكرم وجهه ولما ارتحل صلى الله عليه وسلم عن ثنية الوداع متوجها الى تبوك عقد الالوية والرايات فدفع لواءه الاعظم لابى بكر رضى الله عنه ورايته العظمى للزبير رضى الله عنه ودفع راية الاوس لاسيد بن حضير وراية الخزرج للحباب بن المنذر ودفع لكل بطن من الانصار وقبائل العرب لواء أو راية أى لبعضهم لواء ولبعضهم راية وسار بالناس وهم ثلاثون ألفا وقيل أربعون ألفا وقيل سبعون ألفا وكانت الخيل عشرة آلاف وقيل اثنى عشر ألفا ووقع له صلى الله عليه وسلم فى هذه الغزوة كثير من الاخبار بالمغيبات وغيرها من المعجزات وخوارق العادات وسيأتى ان شاء الله تعرض لكثير منها وتخلف جماعة من المنافقين منهم عبد الله بن أبى ابن سلول بعد ان كان قد خرج بقومه وعسكر بهم أسفل من ثنية الوداع ثم قال يغزو محمد بنى الاصفر أى وهم الروم مع جهد الحال والحر والبلد البعيد الى ما لا طاقة له به يحسب محمد أن قتال بنى الاصفر معه اللعب والله لكأنى انظر الى أصحابه مقرنين فى الحبال يقول ذلك ارجافا برسول الله صلى الله عليه وسلم وباصحابه ثم رجع بقومه وتخلفوا واجتمع جمع من المنافقين فى بيت سويلم اليهودى فقال بعضهم أتحسبون جلاد بنى الاصفر كقتال العرب بعضهم بعضا والله لكأنى بهم يعنى الصحابة غدا مقرنين فى الحبال يقولون ذلك ارجافا وترهيبا للمؤمنين والجلاد الضراب بالسيوف فأوحى الله الى النبى صلى الله عليه وسلم اجتماع القوم وما قالوا فقال لعمار بن ياسر رضى الله عنهما ادرك القوم فاسألهم عما قالوا فان انكروا فقل بلى قلتم كذا وكذا فانطلق اليهم عمار فقال ذلك لهم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون اليه وقالوا انما كنا نخوض ونلعب

الله عليه وسلم وعلى على كرم الله وجهه قال ابن تيمية ومن هذا ما روى فى عام الحديبية انه قاتل الجن فى بئر ذات العلم وهى بئر فى الجحفة وهو حديث موضوع عند أهل المغازى أى وجاء فى سبب مشروعية التيمم غير ماذكر ففى الطبرانى عن أسلع قال كنت أخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرحل له ناقته فقال لى ذات يوم يا أسلع قم فارحل فقلت يارسول الله أصابتنى جنابة أى ولا ماء فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاه جبريل بآية الصعيد أى التراب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا أسلع فتيمم فأرانى التيمم ضربة للوجه وضربة لليدين الى المرفقين فقمت فتيممت ثم رحلت له حتى مر بماء فقال يا اسلع امس هذا جلدك وفى الامتاع نزلت آية التيمم طلوع الفجر فمسح المسلمون أيديهم بالارض ثم مسحوا بأيديهم الى المناكب أى ويحتاج أئمتنا الى الجواب عن هذه الرواية وفى هذه السنة الخامسة خسف القمر فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه صلاة الخسوف حتى انجلى القمر وصارت اليهود تضرب بالطساس ويقولون سحر القمر

﴿غزوة الخندق﴾

ويقال لها غزوة الاحزاب أى وهى الغزوة التى ابتلى الله تعالى فيها عباده المؤمنين وثبت الايمان فى قلوب أوليائه المتقين أى وأظهر ما كان يبطنه أهل النفاق والشقاق المعاندين وسببها انه لما وقع اجلاء بنى النضير من أماكنهم كما تقدم سار منهم جمع من كبرائهم منهم سيدهم حيى بن اخطب أبو صفية أم المؤمنين رضى الله عنها وعظيمهم سلام بن مشكم ورئيسهم كنانة بن أبى الحقيق وهوذة بن قيس وأبو عامر الفاسق الى أن قدموا مكة على قريش يدعونهم ويحرضونهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا انا سنكون معكم عليه حتى نستأصله أى ونكون معكم على عداوته فقال أبو سفيان مرحبا وأهلا وأحب الناس الينا من أعاننا على عداوة محمد زاد فى رواية فقال لهم لكن لا نأمنكم الا ان سجدتم لآلهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا فقالت قريش لاولئك اليهود يامعشر يهود انكم أهل الكتاب الاول والعلم أخبرونا عما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمدا فدينا خير أم دين محمد قالوا بل دينكم خير من دينه وأنتم أولى بالحق منه وفى رواية أنحن أهدى سبيلا أم محمد فقالوا أنتم أهدى سبيلا أى لانكم تعظمون هذا البيت وتقومون على السقاية وتنحرون البدن وتعبدون ما كان يعبد آباؤكم أى فانتم أولى بالحق منه فانزل الله تعالى فيهم ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت الآيات فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ونشطهم لما دعوهم اليه من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند ذلك خرج من بطون قريش خمسون رجلا وتحالفوا وقد الصقوا أكبادهم بالكعبة متعلقين باستارها أن لا يخذل بعضهم بعضا ويكونون كلهم يدا واحدة على محمد صلى الله عليه وسلم ما بقى منهم رجل وقد أشار الى ذلك صاحب الهمزية رحمه الله

وقال صلى الله عليه وسلم للجد بن قيس ياجد هل لك فى جلاد بنى الاصفر قال يارسول الله اوتأذن لى فى التخلف ولا تفتنى فوالله لقد عرف قومى انه ما من رجل باشد عجبا بالنساء منى وانى أخشى ان رأيت نساء بنى الاصفر ان لا اصبر فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قد أذنت لك فأنزل الله تعالى فيه ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى الا فى الفتنة سقطوا والفتنة التى سقطوا فيها هى التخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والرغبة عنه ٣٤٠ وفى رواية انه لام الجد على مقالته ولده عبد الله وقال له والله ما يمنعك الا النفاق وسينزل الله فيك قرآنا فأخذ نعله وضرب به وجهه فلما نزلت الآية قال له ألم أقل لك فقال له اسكت يالكع فوالله لانت اشد على من محمد وفى رواية ان الجد لما امتنع واعتذر بما تقدم قال للنبى صلى الله عليه وسلم ولكن اعينك بمالى فأنزل الله تعالى قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم والمحققون على ان الجد بن قيس تاب من النفاق وحسنت توبته رضى الله عنه وعاش الى خلافة عثمان رضى الله عنه وقال بعض المنافقين لبعض لا تنفروا فى الحر فانزل الله تعالى وقالوا لا تنفروا فى الحر قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون وجاء المعذرون من الاعراب وهم الضعفاء والمقلون ليؤذن لهم فى التخلف فأذن لهم وكانوا اثنين وثمانين رجلا وقعد آخرون من المنافقين بغير عذر واظهار علة جراءة على الله ورسوله وقد عناهم الله تعالى بقوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله وتخلف جمع من المسلمين منهم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع من غير عذر وكانوا ممن لا يتهم فى اسلامهم وستأتى قصتهم ان شاء الله تعالى وكان ممن تخلف أبو خيثمة الانصارى رضى الله عنه فلما ان سار صلى الله عليه وسلم ومضت أيام دخل أبو خيثمة على أهله فى يوم حار فوجد امرأتين له فى عريشين لهما فى حائط قد رشت كل منهما عريشتها وبردتا فيها ماء وهيئتا ابن طعاما وكان اليوم يومئذ شديد الحر فلما دخل نظر الى امرأتيه وما صنعتا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحر وأبو خيثمة فى ظل بارد وطعام مهيأ وامرأة حسناء ما هذا بالنصف ثم قال والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فهيآ لى زادا ففعلتا ثم قدم ناضحه فارتحله واخذ سيفه ورمحه ثم خرج فى طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ادركه نزل بتبوك وقد

بابيات ذم فيها اليهود لعنهم الله بامور بقوله

لا تكذب أن اليهود وقدزا * غواعن الحق معشر لؤماء
جحدوا المصطفى وآمن بالطا * غوت قوم هم عندهم شرفاء
قتلوا الانبياء واتخذوا العجـ * ـل ألا انهم هم السفهاء
وسفيه من ساءه المن والسلـ * ـوى وأرضاه الفوم والقثاء
ملئت بالخبيث منهم بطون * فهى نار طباقها الامعاء
لو أريدوا فى حال سبت بخير * كان سبتا لديهم الاربعاء
هو يوم مبارك فيل للتصـ * ـريف فيه من اليهود اعتداء
فبظلم منهم وكفر عدتهم * طيبات فى تركهن ابتلاء

أى لا تكذب ان اليهود والحال انهم قد مالوا عن الحق قوم لؤماء واللئيم الدنى الاصل الشحيح النفس ومن عظيم لؤمهم انهم جحدوا نبوته صلى الله عليه وسلم ورسالته والحال انه قد آمن بالطاغوت وهو كل ما عبد من دون الله مأخوذ من الطغيان قوم هم عندهم شرفاء وهم كفار قريش وردان اليهود قتلوا فى يوم واحد سبعين نبيا ومن جملة من قتلوا زكريا ويحيى واتخذوا العجل الها يعبدونه ومن يفعل ذلك لا سفيه غيره ومن أرضاه الفوم والقثاء بدل المن وهو نوع من الحلواء والسلوى نوع من الطير سفيه بلا شك ملئت بالحرام كالربا بطون منهم فبطونهم نار لاشتمالها على ما يؤدى الى تلك النار طباق تلك النار المصارين ولو أراد الله لليهود فى حال سبتهم الذى اختاروا تعظيمه على ما تقدم خيرا لكان يوم الاربعاء يوم سبتهم لانه يوم خلق فيه النور فاختيار يوم السبت دون يوم الاربعاء لسبتهم أى سكوتهم عما عدا العبادة دليل على انه تعالى لم يرد بهم الخير ويوم السبت ابتدأ الله فيه خلق العالم خلافا لهم حيث قالوا ان ذلك أى ابتداء الخلق كان يوم الاحد وفرغ من الخلق يوم الجمعة واستراح يوم السبت قالوا فنحن نستريح فيه كما استراح الرب تعالى فيه قالوا فان الله لا يقضى يوم السبت شيأ من الخلق ولا رزق ولا رحمة ولا عذاب ولا احياء ولا اماتة ومن مات يوم السبت يكون محى اسمه من اللوح المحفوظ قبل ذلك وقد كذبهم الله تعالى بقوله كل يوم هو فى شأن فكان فيه منهم ظلم وعدوان لاجل التصريف فيه بغير العبادة فبسبب ظلم وكفر حاصل منهم فيه فاتتهم طيبات كانت حلالا لهم فحرمها الله تعالى عليهم فكان فى ذلك ابتلاء لهم ونقل عن ابن حجر الهيثمى رحمه الله أنه بحث استحباب صوم يوم الاربعاء لما ذكر من أنه خلق فيه النور فليتامل ثم جاء أولئك الى غطفان ودعوهم وحرضوهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا لهم انا سنكون معكم وان قريشا قد بايعوهم على ذلك وجعلوا لهم ثمر خيبر سنة ان هم نصروهم عليه فتجهزت قريش أى وأتباعها من القبائل وغطفان أى وأتباعها وقائد قريش أبو سفيان بن حرب وكانوا أربعة آلاف ومعهم ثلثمائة فرس أى وألف أو خمسمائة بعير وعقد اللواء فى دار الندوة وحمله عثمان

كان أبو خيثمة ادرك عمير بن وهب في الطريق يطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فثر افقا حتى دنوا من تبوك فقال أبو خيثمة لعمير
ان لي ذنبا فلا عليك ان تتخلف عني حتى آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعل فلما دنا أبو خيثمة قال الناس هذا راكب مقبل فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم كن اباخيثمة فلما دنا ونظروه قالوا يارسول الله هو والله أبو خيثمة فلما اناخ أقبل يسلم على رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اولى لك يا اباخيثمة واولى لك ٣٤١ كلمة تهديد وتوعد ثم أخبر رسول الله صلى

ابن طلحة بن أبي طلحة المقتول والده الذي هو طلحة يوم أحد وكذا عماه أي عما عثمان بن طلحة
وهما عثمان بن أبي طلحة وأبو سعيد بن أبي طلحة وعثمان بن أبي طلحة هو أبو شيبة كما تقدم
شيبة ابن عم عثمان بن طلحة وقتل يوم أحد اخوة عثمان بن طلحة الاربعة وهم مسافع بن
طلحة والحرث بن طلحة وكلاب بن طلحة والجلاس بن طلحة وعثمان بن طلحة هذا أي الحامل
لواء قريش أسلم بعد ذلك ويقال له الحجبي لانه كان من بني عبد الدار وهم سدنة الكعبة وبنو
عبد الدار كان لهم ولابيهم حمل لواء قريش عند الحرب دون غيرهم كما تقدم وقائد غطفان عيينة
ابن حصن الفزاري في بني فزارة أي وهم ألف وتقدم ان عيينة اسلم بعد ذلك ثم ارتد بعد اسلامه
وأخذ أسيرا في زمن خلافة الصديق رضي الله عنه ثم أسلم وكان قبل اسلامه يتبعه عشرة
آلاف فتاة وكان عنده جفوة وغلظة ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم في حقه انه الاحمق المطاع
وقال فيه ان شر الناس من ودعه الناس اتقاء شره وقائد بني مرة أي وهم أربعمائة الحرث بن
عوف المري وأسلم بعد ذلك أي وقيل لم تحضر بنو مرة وقائد بني أشجع أبو مسعود بن رخيلة
بضم الراء وفتح الخاء المعجمة واسلم بعد ذلك أي وقائد بني سليم وهم سبعمائة سفيان بن عبد شمس
لا يعلم اسلامه أي وقائد بني أسد طليحة بن خويلد الاسدي وأسلم بعد ذلك أي بعد ان كان ارتد
بعد اسلامه ثم حسن اسلامه وكانت أشجع وبنو أسد تمة العشرة آلاف فقد قال بعضهم
كانت الاحزاب عشرة آلاف وهم ثلاث عساكر وملاك أمرها لابي سفيان أي المدبر لامرها
والقائم بشانها ولما تهيأت قريش للخروج اتى ركب من خزاعة في أربع ليال حتى أخبروا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بما أجمعوا عليه ندب الناس
أي دعاهم وأخبرهم خبر عدوهم وشاورهم في أمرهم أي قال لهم هل نبرز من المدينة أو نكون
فيها فاشير عليه باالخندق أي أشار عليه بذلك سلمان الفارسي رضي الله عنه فقال يارسول الله انا
كنا بارض فارس اذا تخوفنا الخيل خندقنا علينا أي فان ذلك كان من مكايد الفرس وأول من
فعله من ملوك الفرس ملك كان في زمن موسى بن عمران صلوات الله وسلامه عليه فاعجبهم ذلك
فضرب على المدينة الخندق أي وعند ذلك ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا له ومعه عدة
من المهاجرين والانصار فاراد موضعا ينزل له وجعل ساعا خلف ظهره وأمرهم بالجد ووعدهم
النصر ان هم صبروا فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم مع المسلمين أي وحمل التراب على
ظهره الشريف ودأب المسلمون يبادرون قدوم العدو قال واستعاروا من بني قريظة آلة كثيرة
من مساحي وكرازين ومكاتل وكان من جملة من يعمل في الخندق جعال أو جعيل بن سراقة
وكان رجلا دميما قبيح الوجه صالحا من أصحاب الصفة وهو الذي تمثل به الشيطان يوم أحد
وقال ان محمدا قد قتل كما تقدم فغير صلى الله عليه وسلم اسمه وسماه عمرا فجعل المسلمون يرتجزون
ويقولون سماه من بعد جعيل عمرا * وكان للبائس يوما ظهرا
وصار رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قالوا عمرا قال عمرا واذا قالوا ظهرا قال ظهرا انتهى أي

الله عليه وسلم خبره فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم خيرا ودعا له
بخير ولما مر صلى الله عليه وسلم
بالحجر ديار ثمود سجى ثوبه على رأسه
واستحث راحلته وقال لا تدخلوا
بيوت الذين ظلموا الا وأنتم باكون
خوفا ان يصيبكم ما أصابهم وانما
سجى ثوبه على رأسه لان الغطاء
يتبعه الفكر والاعتبار فكأنه
أمرهم بالفكر في أحوال توجب
البكاء من تقدير الله عز وجل على
أولئك بالكفر مع تمكينه لهم في
الارض وامهالهم فيها مدة طويلة
ثم ايقاع نقمته بهم وشدة عذابه
وهو سبحانه مقلب القلوب فلا
يأمن المؤمن ان تكون عاقبته
مثل ذلك ونهى صلى الله عليه وسلم
الناس ان يشربوا من مائها شيأ
وان يتوضؤا به للصلاة وان يعجن
منه عجين وان يحاس به حيس
وان يطبخ به طعام والعجين الذي عجن
به أو الحيس الذي فعل به يعلفونه
الابل والطعام الذي طبخ به يلقى
ولا يأكلوا منه شيأ ثم ارتحل صلى
الله عليه وسلم بالناس ولم يزل سائرا
بهم حتى نزل على البئر التي كانت
تشرب منها الناقة واخبرهم صلى
الله عليه وسلم انها تهب عليهم الليلة
ريح شديدة وقال من كان له بعير
فليشد عقاله ونهى الناس في تلك
الليلة عن ان يخرج احد منهم وحده

بل معه صاحبه فخرج شخص وحده لحاجته فخنق وخرج آخر في طلب بعير له ندفاحتملته الريح حتى ألقته في جبل طيئ فأخبر
بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ألم انهكم ان يخرج احد منكم الا ومعه صاحبه ثم دعا للذي خنق فشفي والذي القته
الريح بجبل طيئ ارسلته طيئ له صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستخلف على عسكره أبا بكر
الصديق رضي الله عنه يصلي بالناس واستعمل على حرس العسكر عباد بن بشر فكان يطوف في أصحابه على العسكر وأصبح الناس

يوما ولا ماء معهم وحصل لهم من العطش ما كاد يقطع رقابهم حتى حملهم ذلك على نحر ابلهم ليشقوا كرشها ويشربوا ماءها فمن عمر رضى الله عنه خرجنا فى حر شديد فنزلنا منزلا اصابنا فيه عطش حتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقى على كبده وفى لفظ على صدره فشكوا ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال له أبو بكر يا رسول الله قد عودك الله من الدعاء خيرا فادع الله لنا فقال اتحب ذلك قال نعم فرفع يديه صلى الله عليه وسلم ٣٤٢ فلم يرجعهما حتى أرسل الله سحابة فمطرت حتى ارتوى الناس واحتملوا ما يحتاجون اليه وذكر بعضهم ان تلك السحابة لم تتجاوز العسكر وان رجلا من الانصار قال لآخر منهم بالنفاق ويحك قد ترى فقال انما مطرنا بنوء كذا وكذا فانزل الله وتجعلون رزقكم انكم تكذبون أى وتجعلون بدل شكر رزقكم تكذيبكم حيث تنسبون المطر للانواء وقيل انه قال له ويحك هل بعد هذا شئ قال سحابة مارة وفى لفظ انهم لما شكوا اليه شدة العطش قال لعلى لو استسقيت لكم فسقيتم قالوا نعم بنوء كذا وكذا فقالوا يا نبى الله ما هذا بحين أنواء فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بماء فتوضأ ثم قام فصلى فدعا الله تعالى فهاجت ريح وثارت سحابة فمطرت حتى سال كل واد فشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل يغترف بقدحه وهو يقول هذا نوء كذا فنزلت الآية وضلت ناقته صلى الله عليه وسلم يوما فقال رجل من المنافقين الذين خرجوا معه ان محمدا يزعم انه نبى وانه يخبركم بخبر السماء وهو لا يدرى أين ناقته فقال صلى الله عليه وسلم ان رجلا يقول كذا وكذا وانى والله لا أعلم الا ما علمنى الله وقد دلنى الله عليها انها فى شعب كذا وكذا قد حبستها شجرة بزمامها فانطلقوا حتى تأتونى بها فذهبوا فوجدوها كذلك فجاؤا بها قيل وقع نظير هذا فى غزوة بنى المصطلق وان الواقعة تعددت وقيل انه من الاشتباه على بعض الرواة ولما قال صلى الله عليه وسلم ان رجلا يقول كذا وكذا الخ جاء بعض الصحابة الى رحله وقال لمن فى الرحل والله لا يحب فى شئ حدثناه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مقالة رجل قال كذا وكذا وأخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم به فقال له بعض من فى الرحل هذه المقالة قالها فلان قبل ان تأتى بيسير يعنى شخصا حاضرا فى رحله فقال يا عباد الله فى رحلى داهية وما اشعر اخرج أى عدو الله من رحلى ولا تصحبنى فيقال انه تاب ويقال انه

وسياق أسد الغابة يدل على ان هذا الذى غير رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه وسماه عمرا غير جعيل المذكور وحصل للصحابة رضى الله عنهم تعب وجوع لانه كان فى زمن عسرة وعام مجاعة ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بأصحابه من النصب والجوع قال متمثلا بقول ابن رواحة رضى الله عنه اللهم لا عيش الا عيش الآخره * فارحم الانصار والمهاجره

قيل وانما قال ابن رواحة لاهم ان العيش من غير ألف ولام فقد غيره صلى الله عليه وسلم على ما هو عادته كما تقدم وفى لفظ

اللهم لا خير الا خير الآخره * فبارك فى الانصار والمهاجره

وفى لفظ فأكرم الانصار والمهاجره وتقدم فى بناء المسجد

اللهم ان الاجر أجر الآخره * فارحم الانصار والمهاجره

زاد فى الامتاع اللهم العن عضلا والقاره * هم كلفونى نقل الحجاره

وفى لفظ هم كلفونا ننقل الحجاره قال الحافظ ابن حجر ولعله كان والعن الحى عضلا والقاره أى والتغيير منه صلى الله عليه وسلم وفى لفظ

اللهم لا خير الا خير الآخره * فارحم المهاجرين والانا صره

وفى لفظ فانصر الانصار والمهاجره وأجابوه رضى الله عنهم بقولهم

نحن الذين بايعوا محمدا * على الجهاد ما بقينا أبدا

وقال صلى الله عليه وسلم متمثلا بقول ابن رواحة وهو ينقل التراب وقد وارى الغبار جلد بطنه الشريف

اللهم لولا أنت ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا * وثبت الاقدام اذ لاقينا
والمشركون قد بغوا علينا * وان أرادوا فتنة أبينا

يعد بها صوته مكررا لها أبينا أبينا ولما بدأ صلى الله عليه وسلم بالحفر فى الخندق قال

* بسم الاله وبه بدينا * بكسر الدال
ولو عبدنا غيره شقينا * يا جبذار باوحب دينا

وفى الامتاع انه صلى الله عليه وسلم قال ما تقدم عنه فى بناء المسجد وهو

هذا الحمال لا حمال خيبر * هذا أبر ربنا وأطهر

وتقدم الكلام عليه وعلى انشاده الشعر فى الكلام على بناء المسجد أى ورأيت ان عمار بن ياسر رضى الله عنه حين كان يحفر فى الخندق جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح رأسه ويقول ابن سمية تقتلك الفئة الباغية أى كما تقدم له فى بناء المسجد صار الشخص منهم اذا نابته النائبة من الحاجة التى لا بد له منها يذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويستأذنه فى اللحوق بها فاذا قضى حاجته رجع الى ما كان عليه من عمله رغبة فى الخير وتبطأ رجال من المنافقين وجعلوا يورون بالضعف وصار الواحد منهم يتسلل الى أهله من غير استئذان له صلى الله عليه وسلم أى

لم يزل على شرّ حتى هلك وتباطأ جمل أبي ذر رضي الله عنه لما به من الاعياء فتخلف عن الجيش فأخذ متاعه وحمله على ظهره ثم خرج يتبع
أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشيا فأدركه نازلا في بعض المنازل وقبل مجيئه قالوا له تخلف أبو ذر يا رسول الله بطأ به بعيره فقال
دعوه فان يكن فيه خير فسيلحقه الله بكم وان يكن غير ذلك فقد اراحكم الله منه ولما اشرف على ذلك المنزل ونظره شخص فقال يا رسول
الله هذا رجل يمشي على الطريق وحده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن أبا ذر فلما تأمله القوم قالوا يا رسول الله

وكان زيد بن ثابت ممن ينقل التراب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حقه أما انه نعم الغلام
وغلبته عينه فنام في الخندق فاخذ عمارة بن حزم سلاحه وهو نائم فلما قام فزع على سلاحه
فقال له صلى الله عليه وسلم يا يار قدغت حتى ذهب سلاحك ثم قال من له علم بسلاح هذا الغلام
فقال عمارة أنا يا رسول الله وهو عندي فقال ردّه عليه ونهى أن يروع المسلم ويؤخذ متاعه
لاعبا واليه استند أئمتنا في تحريم أخذ متاع الغير مع عدم علمه بذلك واشتد على الصحابة رضي الله
عنهم في حفر الخندق كدية أي محل صلب فشكوا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ
المعول وضرب فصارت كثيبا أهيل أو أهيم أي رملا سائلا وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم دعا
بماء ثم تفل عليه ثم دعا بما شاء الله ان يدعو به ثم نضح ذلك الماء أي رشه على تلك الكدية قال
بعض الحاضرين فوالذي بعثه بالحق لانها لت حتى عادت كالكثيب أي الرمل ما ترد فأساولا
مسحاة وهي المجرفة من الحديد أي وكان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ينقلان التراب في ثيابهما
اذا لم يجدا مكاتل من العجلة وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال ضربت في ناحية من
الخندق فغلظت عليّ ورسول الله صلى الله عليه وسلم قريب مني فلما رآني اضرب ورأى شدة
المكان عليّ نزل فأخذ المعول من يدي فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقة ثم ضرب به اخرى
فلمعت تحته برقة اخرى ثم ضرب به الثالثة فلمعت برقة اخرى فقلت بأبي أنت وامي يا رسول الله
ما هذا الذي رأيت يلمع تحت المعول وأنت تضرب قال أوقد رأيت ذلك يا سلمان قال قلت نعم قال
أما الاولى فان الله تعالى فتح علي بها اليمن وأما الثانية فان الله فتح علي بها الشام والمغرب وأما
الثالثة فان الله فتح علي بها المشرق قال وقد ذكر ان سلمان الفارسي رضي الله عنه تنافس فيه
المهاجرون والانصار فقال المهاجرون سلمان منا وقالت الانصار سلمان منا فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم سلمان منا أهل البيت ولذلك يشير بعضهم بقوله

لقد فرى في سلمان بعد رقه * منزلة شامخة البنيان
وكيف لا والمصطفى قد عده * من أهل بيته العظيم الشان

وانما وقع التنافس في سلمان رضي الله عنه لانه كان رجلا قويا يعمل عمل عشرة رجال في الخندق
أي فكان يحفر في كل يوم خمسة اذرع في عمق خمسة اذرع حتى أصيب بالعين اصابه بالعين قيس بن
صعصعة فلبط به أي بلام مضمومة فوحدة مكسورة فطاء مهملة صرع فجأة وتعطل عن العمل
فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال صلى الله عليه وسلم مروه فليتوضأ وليغتسل ويكفئ
الاناء خلفه ففعل فكأنما نشط أي حل من عقال وفي لفظ فامر أن يتوضأ قيس لسلمان ويجمع
وضوأه في ظرف ويغتسل سلمان بتلك الغسالة ويكفئ الاناء خلف ظهره وذكر انه لما اشتدت
تلك الكدية على سلمان أخذ صلى الله عليه وسلم المعول من سلمان وقال بسم الله وضرب ضربة
فكسر ثلثها وبرقت برقة فخرج نور من قبل اليمن كالمصباح في جوف ليل مظلم فكبر رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال أعطيت مفاتيح اليمن اني لابصر أبواب صنعاء من مكاني الساعة كأنها

هو والله أبو ذر فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم رحم الله أبا ذر يمشي
وحده ويموت وحده ويبعث
وحده وكان كما قال صلى الله عليه وسلم
فقدمات وحده بالربذة رضي
الله عنه سكنها في خلافة عثمان
رضي الله عنه بسبب اختلاف
وقع بينه وبين بعض الصحابة في
بعض الفاظ القرآن وتفسير بعض
من معانيه فخشي عثمان وأبو ذر
رضي الله عنهما اتساع الامر
فاستأذن أبو ذر عثمان رضي الله
عنهما أن يسكن الربذة فأذن له
فبقي بها حتى توفي وحده كما أخبر
صلى الله عليه وسلم وعن المغيرة بن
شعبة رضي الله عنه قال لما كنا بين
الحجر وتبوك ذهب رسول الله صلى
الله عليه وسلم لحاجته بعد الفجر
وتبعته بماء فأبطأ حتى أسفر الناس
بصلاة الفجر ولم يأتهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقدموا عبد
الرحمن بن عوف رضي الله عنه
فصلى بهم فانتهى رسول الله صلى
الله عليه وسلم بعد ان توضأ ومسح
خفيه الى عبد الرحمن بن عوف
وقد صلى ركعة فصلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم مع عبد الرحمن
ركعة ثم قام وأتى بالركعة الثانية
وقال لهم بعد فراغه أحسنتم
أو أصبتم ثم قال لم يتوف نبي حتى
يؤمه رجل صالح من أمته وهذا

لا ينافي انه صلى الله عليه وسلم صلى خلف ابي بكر رضي الله عنه بل قال ابن عباس رضي الله عنهما لم يصل النبي صلى الله عليه وسلم خلف
أحد من أمته الا خلف أبي بكر والمراد صلاة كاملة فلا ينافي صلاته ركعة خلف عبد الرحمن بن عوف ولم ينقل انه صلى الله عليه
وسلم صلى خلف أحد غير ابي بكر وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما وتقدم انه صلى الله عليه وسلم كان يستخلف أبا بكر رضي الله عنه
على عسكره يصلي بالناس فاعمل ذلك في بعض الايام فلا ينافي صلاة عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه بهم في هذا اليوم او انه كان يصلي

مع أبي بكر رضي الله عنه بعض القوم ومع النبي صلى الله عليه وسلم بعض لكثرة القوم فلما أخر صلى الله عليه وسلم في قضاء الحاجة صلى عبد الرحمن رضي الله عنه بالذين كانوا يصلون مع النبي صلى الله عليه وسلم والله أعلم وما زالوا بتبوك وجدوا عينها قليلة الماء فاغترف رسول الله صلى الله عليه وسلم غرفة بيده من مائها فضمض بها فاه ثم بصقه فيها ففارت عينها حتى امتلأت وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم تبوك وقد قال لهم انكم تأتون غدا ان شاء الله عين

تبوك وانكم لن تنالوها حتى يضحى النهار فمن جاءها فلا يمس من مائها شيأ حتى آتي وامر مناديا ينادي بذلك فجئناها فاذا العين مثل الشراك تبض من ماء وقد سبق اليها اربعة وقيل رجلان من المنافقين ومسا من مائها فسبهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه ذلك ثم انهم غرفوا من تلك العين قليلا قليلا حتى اجتمع شيء في شن فغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهه ويديه ومضمض ثم اعاده فيها فجرت العين بماء كثير وفي رواية فجعلوا فيها سهاما دفعها اليهم فجاشت بالماء وقال صلى الله عليه وسلم لمعاذ رضي الله عنه يا معاذ يوشك ان طالت بك حياة ان ترى ما هنا قد ملئ جنانا أي بساتين فرأى ذلك وروى ابن عبد البر عن بعضهم قال انا رأيت ذلك الموضع كله حوالي تلك العين جنانا خضرة نضرة وقبل قدومهم تبوك بليلة نام رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يستيقظ حتى كانت الشمس قيد رمح وقد كان قال لبلال رضي الله عنه اكلأ لنا الفجر فاسند بلال ظهره الى راحلته فغلبته عيناه ثم قال له صلى الله عليه وسلم ألم أقل لك يا بلال اكلأ لنا الفجر وفي رواية ان بلالا قال لهم ناموا وأنا اوقظكم فاضطجعوا ولم يستيقظوا الا بحر الشمس فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بلال أين ما قلت قال يا رسول الله ذهب بي مثل الذي ذهب بك وفي رواية ولواء أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك وقال صلى الله عليه وسلم للصديق رضي الله عنه ان الشيطان صار يهدي بلالا للنوم كما يهدي الصبي حتى ينام ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا وسأله عن سبب نومه فاخبر بما قاله النبي صلى الله عليه وسلم للصديق فقال الصديق رضي الله عنه للنبي أشهد أنك رسول الله ثم انتقل صلى الله عليه وسلم غير بعيد ثم صلى الصبح قضاء وفي منصرفه صلى الله عليه وسلم من

أنياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقطع ثلثا آخر فخرج نور من قبل الروم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أعطيت مفاتيح الشام والله اني لابصر قصورها أي زاد في رواية الحمر ثم ضرب الثالثة فقطع بقية الحجر وبرق برقة فكبر وقال أعطيت مفاتيح فارس والله اني لابصر قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب في مكاني هذا أي وفي رواية اني لابصر قصر المدائن الابيض الآن وجعل صلى الله عليه وسلم يصف لسلمان أماكن فارس ويقول سلمان صدقت يا رسول الله هذه صفتها أشهد انك رسول الله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه فتوح يفتحها الله بعدي يا سلمان اه أي وعند ذلك قال جمع من المنافقين منهم معتب بن قشير ألا تعجبون من محمد يعدكم ويمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح لكم وأنتم انما تحفرون الخندق من الفرق أي الخوف لا تستطيعون ان تبرزوا فانزل الله تعالى قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء الآية وقيل في سبب نزولها انه صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة وعد أمته ملك فارس والروم فقال المنافقون واليهود هيهات هيهات من أين لمحمد ملك فارس والروم وهم أعز وأمنع من ذلك ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من حفر الخندق أقبلت قريش ومن معها وكانوا عشرة آلاف كما تقدم فنزلت قريش بمجمع الاسيال وغطفان ومن معهم الى جانب أحد وكان المسلمون ثلاثة آلاف أي وقد قال ابن اسحق سبعمائة ووهم في ذلك وقال ابن حزم انه الصحيح الذي لا شك فيه ولا وهم وعسكر بهم صلى الله عليه وسلم الى سفح سلع وهو جبل فوق المدينة أي فجعل ظهر عسكره الى سلع كما تقدم والخندق بينه وبين القوم أي وضربت له صلى الله عليه وسلم قبة من أدم قال وكان صلى الله عليه وسلم يعقب فيها بين ثلاثة من نسائه عائشة وأم سلمة وزينب بنت جحش فتكون عائشة عنده أياما أي فانه مكث في عمل الخندق بضع عشرة ليلة وقيل أربعا وعشرين ليلة أي وقيل عشرين ليلة وقيل قريبا من شهر وقيل شهرا قال بعضهم وكونه قريبا من شهر هو أثبت الاقاويل وقيل أثبت الاقاويل انها كانت خمسة عشر يوما وبه جزم النووي رحمه الله في الروضة وسائر نسائه صلى الله عليه وسلم في بني حارثة وجعل النساء والذراري في الآطام وعرض الغلمان وهو يحفر الخندق وكانوا بإجمعهم من بلغ ومن لم يبلغ يعملون فيه فلما التحم الامر أمر من لم يبلغ خمس عشرة سنة ان يرجع الى أهله وأجاز من بلغ خمس عشرة سنة فمن أجازه عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما وزيد بن ثابت وأبو سعيد الخدري والبراء بن عازب رضي الله عنهم اه وشبكوا المدينة بالبنيان من كل ناحية فصارت كالحصن وفي كلام بعضهم كان أحد جوانب المدينة عورة وسائر جوانبها مشتبكة بالبنيان والنخيل لا يتمكن العدو منه فاختار ذلك الجانب للخندق واستخلف صلى الله عليه وسلم على المدينة ابن أم مكتوم رضي الله عنه وأرسل سليطا وسفيان بن عوف طليعة للاحزاب فقتلوهما فاتى بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفنهما في قبر واحد فهما الشهيدان القرينان وأعطى لواء المهاجرين لزيد بن حارثة

تبوك قال أبو قتادة رضى الله عنه بينا نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قافل من تبوك وانا معه اذ خفق خفقة وهو على راحلته فمال على شقه فدنوت منه فدعمته فانتبه فقال يا أبا قتادة هل لك فى التعريس أى النزول للنوم فقلت ماشئت يا رسول الله قال انظر من خلفك فنظرت فاذا رجلان أو ثلاثة فقال ادعهم فقلت اجيبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاؤا فعرسنا وفى رواية قال أبو قتادة فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير حتى ابهار الليل وانا الى جنبه فنعس ٣٤٥ فمال عن راحلته فدعمته من غير ان

ولواء الانصار لسعد بن عبادة وبعث مسلمة بن أسلم فى مائتى رجل وزيد بن حارثة فى ثلثمائة رجل يحرسون المدينة ويظهرون التكبير تخوفا على الذرارى من بنى قريظة أى لما بلغه صلى الله عليه وسلم انهم نقضوا ما بينه وبينهم من العهد كما سيأتى أى وانهم يريدون الاغارة على المدينة فان حيى بن أخطب أرسل الى قريش أن يأتيه منهم ألف رجل والى غطفان أن يأتيه منهم ألف رجل أخرى ليغيروا على المدينة وجاء الخبر بذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعظم البلاء وصار الخوف على الذرارى أشد من الخوف على أهل الخندق ولما نظر المشركون الى الخندق قالوا والله ان هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها وصار المشركون يتناوبون فيغدو أبو سفيان فى أصحابه يوما ويغدو خالد بن الوليد يوما ويغدو عمرو بن العاص يوما ويغدو هبيرة بن أبى وهب يوما ويغدو عكرمة بن أبى جهل يوما ويغدو ضرار بن الخطاب يوما فلا يزالون يجيلون خيلهم ويغترقون مرة ويجتمعون أخرى ويناوشون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أى يقربون منهم ويقدمون رجالهم فيرمون ومكثوا على ذلك المدة المتقدمة ولم يكن بينهم حرب الا الرمى بالنبل والحصا وفى تلك المدة أقبل نوفل بن عبد الله بن المغيرة على فرس له ليثوبه الخندق فوقع فى الخندق ففتله الله أى اندقت عنقه أى وفى لفظ وأما نوفل بن عبد الله فضرب فرسه ليدخل الخندق فوقع فيه مع فرسه فتحطما جميعا وقيل رمى بالحجارة فجعل يقول قتلة أحسن من هذه يا معشر العرب فنزل اليه على كرم الله وجهه فقتله أى ضربه بالسيف فقطعه نصفين وكبر ذلك على المشركين فارسلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا نعطيك الدية على ان تدفعه الينا فندفنه فرد عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بانه خبيث الدية فلعنه الله ولعن ديته ولا نمنعكم ان تدفنوه ولا ارب أى غرض لنا فى ديته وقيل اعطوا فى جثته عشرة آلاف أى وفى رواية انهم أرسلوا اليه صلى الله عليه وسلم ان أرسل الينا بجسده ونعطيك اثنى عشر ألفا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا خير فى جثته ولا فى ثمنه ادفعوه اليهم فانه خبيث الجسد خبيث الدية وفى لفظ اغاهى جيفة حمار ثم ان عدو الله حيى بن أخطب سيد بنى النضير كان يقول لقريش فى مسيره معهم ان قومى بنى قريظة معكم وهم أهل حلقة وافرة وهم سبعمائة مقاتل وخمسون مقاتلا فقال له أبو سفيان ائت قومك حتى ينقضوا العهد الذى بينهم وبين محمد صلى الله عليه وسلم فعند ذلك خرج حيى لعنه الله حتى أتى كعب بن أسد القرظى سيد بنى قريظة وولى عهدهم الذى عاهدهم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أى المتقدم ذكره فدق عليه باب حصنه فابى أن يفتح له وألح عليه فى ذلك فقال له ويحك يا حيى انك امرؤ مشؤم وانى قد عاهدت محمدا فلست بناقض ما بينى وبينه ولم أر منه الا وفاء وصدقا فقال له ويحك افتح لى أكلمك فقال ما أنا بفاعل فغاظه فقال له والله ما أغلقت دونى الا تخوفا على جشيشتك أى بالجيم المفتوحة والشين المعجمة وهى البر يطحن غليظا ويقال له الدشيش ان آكل معك منها ففتح له فقال له ويحك يا كعب جئت بعز الدهر جئتك بقريش حتى أنزلتهم بمجمع الاسيال وبغطفان حتى

اوقظه حتى اعتدل على راحلته ثم سار حتى اذا تهور الليل مال ميلة أخرى فدعمته حتى اعتدل على راحلته ثم سار حتى اذا كان من آخر السحر مال ميلة هى أشد من الميلتين الاولتين حتى كاد يسقط فدعمته فرفع رأسه فقال من هذا قلت أبو قتادة قال متى كان هذا مسيرك معى قلت مازال هذا مسيرى منذ الليلة قال حفظك الله بما حفظت به نبيه صلى الله عليه وسلم وذكر بعضهم ذلك عند منصرفه من خيبر فيحتمل تعدد ذلك أو انه من الاشتباه على بعض الرواة قال أبو قتادة رضى الله عنه ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل ترى من أحد يعنى من الجيش قلت هذا راكب ثم قلت هذا راكب آخر حتى اجتمعنا وكنا سبعة وفى رواية خمسة برسول الله صلى الله عليه وسلم فمال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطريق ثم قال احفظوا علينا صلاتنا فكنا حتى خرج الوقت وكان أول من استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم والشمس فى ظهره فقمنا فزعين ثم قال اركبوا فركبنا فسرنا حتى ارتفعت الشمس ثم دعا بميضأة كانت معى فيها شئ من ماء فتوضأ منها وبقى فيها شئ وفى رواية جرعة من ماء ثم قال لى احفظ علينا ميضأتك فسيكون لها نبأ فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر بعد طلوع الشمس أى بعد ان ارتحلوا وفى رواية ارتحلوا فان هذا منزل حضرنا فيه الشيطان وفى البخارى عن عمران بن حصين رضى الله عنهما قال كنا فى سفر مع النبى صلى الله عليه وسلم وانا لنسير حتى كنا فى آخر الليل وقعنا وقعة ولا وقعة أحلى للمسافر منها فما أيقظنا الا حر الشمس وكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا نام لم يوقظه أحد حتى يكون هو يستيقظ لا ندرى ما يحدث له فى نومه أى من الوحى فكانوا يخافون من ايقاظه قطع الوحى فلما

أستيقظ عمر رضى الله عنه و رأى ما أصاب الناس أى من فوت صلاة الصبح كبر ورفع صوته بالتكبير فما زال يكبر و يرفع صوته بالتكبير حتى استيقظ النبى صلى الله عليه وسلم وفى رواية ان الصديق استيقظ أولا ثم لا زال يسبح و يكبر حتى استيقظ عمر ولا زال يكبر حتى استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما استيقظ شكوا اليه الذى أصابهم أى من فوات صلاة الصبح فقال صلى الله عليه وسلم لا ضير ارحلوا فارتحلوا فسار غير بعيد ثم نزل فدعا بالوضوء فتوضأ ونودى بالصلاة فصلى بالناس وعن بعض الصحابة رضى الله عنهم قال وبعد ان صلينا وركبنا جعل بعضنا يهمس الى بعض ما كفارة ما صنعنا من تفريطنا فى صلاتنا فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما هذا الذى تهمسون دونى فقلنا يا نبى الله تفريطنا فى صلاتنا قال أما لكم فى أسوة ثم قال ليس فى النوم تفريط انما التفريط على من لم يصل الصلاة حتى يجىء وقت الاخرى وقد اختلفت الروايات فى حكاية هذه القصة فرواها بعضهم فى غزوة خيبر و بعضهم فى الحديبية و بعضهم فى تبوك فاختلف العلماء فى توجيه ذلك فذهب بعضهم الى تعدد القصة و بعضهم حمل ذلك على الاشتباه من الرواة وجزم بعضهم بانها فى غزوة تبوك واستشكل هذا النوم بقوله صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء تنام اعيننا ولا تنام قلوبنا واجيب بان القلب انما يدرى المعانى المتعلقة به لا ما يتعلق بالعين كرؤية الشمس وطلوع الفجر واجيب أيضا بانه صلى الله عليه وسلم كان له نومان نوم تنام فيه عينه وقلبه ونوم تنام فيه عينه فقط و ينبغى أن يكون هذا الثانى أغلب أحواله وان الانبياء مثله فى ذلك ثم ان أكثر الجيش كان قد تقدم ومابقى معه صلى الله عليه وسلم الا سبعة أو خمسة كما تقدم فقال صلى الله عليه وسلم لمن كان معه ماترون الناس يعنى الجيش فعلوا قالوا الله ورسوله اعلم فقال لواطاعوا أبا بكر وعمر واتفق رشدهما وذلك ان أبا بكر وعمر رضى الله عنهما أرادا أن ينزلا بالجيش على الماء فابى ذلك عليهما فنزلوا عند زوال الشمس على غير ماء بفلاة من الارض لا ماء بها وقد كادت اعناق الخيل والركاب تنقطع عطشا فقال صلى الله عليه وسلم اين صاحب الميضأة قيل هو ذا يا رسول الله قال جئنى بميضأتك فجاء بها وفيها شئ من ماء وفى رواية دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالركوة فافرغ ما فى الاداوة فيها ووضع أصابعه

أنزلتهم بجانب أحد قد عاهدونى وعاقدونى ان لا يبرحوا حتى يستأصلوا محمدا ومن معه فقال له كعب جئتنى والله بذل الدهر وكل ما يخشى فانى لم أر فى محمد الا صدقا ووفاء وفى لفظ جئتنى بجهام أى سحاب قد هراق ماءه أى لا ماء فيه يرعد و يبرق وليس فيه شئ ويحك يا حيى دعنى وما أنا عليه فلم يزل حيى بكعب حتى أعطاه عهدا من الله وميثاقا لئن رجعت قريش وغطفان ولم يقتلوا محمدا ان يكون معه فى حصنه و يصيبه ما أصابه فعند ذلك نقض كعب العهد و برئ مما كان بينه و بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ومزقوا الصحيفة التى كان فيها العقد وجمع رؤساء قومه وهم الزبير بن مطا وشاس بن قيس وعزال بن ميمون وعقبة بن زيد وأعلمهم بما صنع من نقض العهد وشق الكتاب الذى كتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلجم الامر لما أراد الله من هلاكهم وكان حيى بن أخطب فى اليهود يشبه بابى جهل فى قريش فلما انتهى الخبر بذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أى أخبره بذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال يا رسول الله بلغنى ان بنى قريظة قد نقضت العهد وحاربت فاشتد الامر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وشق عليه ذلك وأرسل سعد بن معاذ سيد الاوس وسعد بن عبادة سيد الخزرج وأرسل معهما ابن رواحة وخوات بن جبير وأسقطهما فى الامتاع وذكر بدلهما أسيد بن حضير وقال لهم انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم فان كان حقا فالحنوا الى لحنا أعرفه دون القوم أى وروا وكنوا فى كلامكم بما لا يفهمه القوم أى لئلا يحصل لهم الوهن والضعف والا فاجهروا بذلك بين الناس فان اللحن العدول بالكلام عن الوجه المعروف عند الناس الى وجه لا يعرفه الا صاحبه كما ان اللحن الذى هو الخطأ عدول عن الصواب المعروف ومنه قول القائل وخير الحديث ما كان لحنا فخرجوا حتى أتوا بنى قريظة فوجدوهم قد نقضوا العهد ونالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أى قالوا من رسول الله وتبرؤا من عقده وعهده وقالوا لا عهد بيننا و بين محمد فشتمهم سعد بن معاذ وهم حلفاؤه أى وقيل سعد بن عبادة أى وكان فيه حدة وشاتموه أى ولا مانع من وجود الامرين وقال سعد بن معاذ لسعد بن عبادة أو بالعكس دع عنك مشاتمتهم فما بيننا و بينهم أربى أى أقوى من المشاتمة ثم أقبل السعدان ومن معهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكنوا له عن نقضهم العهد أى قالوا عضل والقارة أى غدروا كغدر عضل والقارة باصحاب الرجيع وسيأتى خبر ذلك فى السرايا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر أى وقال أبشروا يا معاشر المسلمين نصرة الله تعالى وعونه وتقنع صلى الله عليه وسلم بثوبه واضطجع ومكث طويلا فاشتد على الناس البلاء والخوف حين رأوه صلى الله عليه وسلم اضطجع ثم رفع رأسه فقال ابشروا بفتح الله ونصره أى ولعل هذا أى ارسال السعدين ومن معهما كان بعد ارساله صلى الله عليه وسلم الزبير اليهم ليأتى بخبرهم هل نقضوا العهد استثباتا للامر فعن عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما قال كنت يوم الاحزاب أنا وعمر و بن أبى سلمة مع النساء فى أطم حسان بن ثابت أى وكان حسان مع النساء ومن جملتهم صفية بنت عبد المطلب

الشريفة عليها فنبع الماء من بين أصابعه واقبل الناس فاستقوا وفاض الماء حتى رووا وروت خيلهم وركابهم قال بعضهم وواضح ان هذا العطش غير المتقدم الذى دعا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل المطر وفى كلام بعضهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حصل للقوم العطش أرسل نفرا من أصحابه وفيهم على والزبير رضى الله عنهم لكن تقدم ان عليا رضى الله عنه تخلف فى غزوة تبوك فان صح ارساله مع النفر فلعله لحق النبى صلى الله عليه وسلم او ان ذلك كان فى غزوة أخرى بعث صلى الله عليه وسلم أولئك النفر لطلب الماء وامرهم أن يستعرضوا الطريق واعلمهم ان عجز واتمر بهم فى محل كذا على ناقة معها سقاء فقال لهم اشتروا منها ماء هاجاء عزوهان وائتوا بها مع الماء فلما بلغوا ذلك المكان اذا بالمرأة ومعها السقاء وفى رواية اذا بامرأة سادلة رجليها بين مزادتين فسألوها عن الماء فقالت أنا وأهلى احوج اليه منكم فسألوها ان تاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الماء فابت وقالت هذا الساحر وفى رواية الذى يقال له الصابئ وخير الاشياء ان لا آتيه فشدوها وثاقا واتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم حلوا عنها ثم قال لها ائاذنين لى فى الماء ولتصيبن ماءك كما جئت به قالت شأنكم فقال لابى قتادة رضى الله عنه هات الميضأة فقربت اليه فحل السقاء وتفل فيه وصب فى الميضأة ماء قليلا ثم وضع يده فيه ثم قال ادنوا فخذوا واجعل الماء يفور ويزيد والناس يأخذون حتى ماتركوا معهم اناء الا ملؤه وارووا ابلهم وخيلهم وبقى فى الميضأة ثلثاها والميضأة هى الاداوة التى يتوضأ منها وهذا السياق يدل على ان هذا عطش ثالث لان الثانى وضع صلى الله عليه وسلم يده فى الركوة التى صب فيها من الميضأة وفى هذا وضع يده فى الميضأة بعد ان لم يجد وا فى الميضأة شيأ وفى رواية ان تلك المرأة اخبرته صلى الله عليه وسلم انها مؤتمة أى لها ايتام فقال للقوم هاتوا ما عندكم فجمعوا لها من كسر وتمر ثم قال لها اذهبى واطعمى هذا عيالك وفى رواية ايتامك وصارت تعجب مما رأت ولما قدمت على أهلها قالوا لها لقد احتبست علينا فقالت حبسنى انى رأيت عجبا رأيتم مزادتى هاتين فوالله لقد شرب منهما قريب من سبعين نفرا وملؤا من القرب والمزاد والمطاهر مالا احصى ثم هما الآن اوفر منهما يومئذ فما أن يكون ذلك الرجل اسحر

واتفق أن يهوديا جعل يطوف بذلك الحصن فقالت صفية لحسان ياحسان لا آمن هذا اليهودى ان يدلهم على عورة الحصن فيأتون الينا فانزل فاقتله قال حسان رضى الله عنه يابنت عبد المطلب قد عرفت ما أنا بصاحب هذا قالت فلما أيست منه أخذت عمودا ونزلت ففتحت باب الحصن وأتيته من خلفه فضربته بالعمود حتى قتلته وصعدت الحصن فقلت ياحسان انزل اليه فاسلبه فانه لم يمنعنى من سلبه الا انه رجل فقال يابنة عبد المطلب مالى بسلبه حاجة أى وهذا يدل على ما قيل ان حسان بن ثابت كان من أجبن الناس كما تقدم قال عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما فنظرت فاذا الزبير على فرسه يختلف الى بنى قريظة مرتين أو ثلاثا فلما رجعت قلت ياأبت رأيتك تختلف الى بنى قريظة قال رأيتنى يابنى قلت نعم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من يأتى بنى قريظة فيأتينى بخبرهم فلما رجعت جمع لى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه فقال فداك أبى وأمى أخرجه الشيخان أى وفى كلام ابن عبد البر رحمه الله ثبت عن الزبير رضى الله عنه انه قال جمع لى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه مرتين يوم أحد ويوم بنى قريظة فقال ارم فداك أبى وأمى وقال ولعل ذلك كان فى أحد ان لكل نبى حواريا وان حوارى الزبير وقال الزبير ابن عمتى وحوارى من أمتى ويذكر أن الزبير رضى الله عنه كان له ألف مملوك يؤدون اليه الخراج وكان يتصدق بذلك كله ولا يدخل بيته من ذلك درهما واحدا وذلك من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم فقد جاء أنه لما نزل قوله تعالى ثم لتسألن يومئذ عن النعيم قال له الزبير يارسول الله أى نعيم نسئل عنه وانما هما الاسودان التمر والماء قال أما انه سيكون وقد جعله سبعة من الصحابة وصيا على أولادهم فكان يحفظ على أولادهم مالهم وينفق عليهم من ماله وهؤلاء السبعة منهم عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف والمقداد وابن مسعود وعظم عند ذلك البلاء على المسلمين لما وصل اليهم الخبر أى خبر نقض بنى قريظة العهد ولا منافاة بين بلوغهم الخبر وما تقدم من عدم الافصاح به لانهم جاءهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظن المسلمون كل الظن وأنزل الله تعالى اذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وظهر النفاق من المنافقين حتى قال بعضهم كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب الى الغائط ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا فانزل الله تعالى واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم شدة الامر بعث الى عيينة بن حصن الفزارى والى الحرث بن عوف المرى فى أن يقطعهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه فجاء مستخفيين من أبى سفيان فوافقاه على ذلك أى بعد ان طلبا النصف فابى عليهما الا الثلث فرضيا وكتبا بذلك صحيفة أى وفى رواية أحضرت الصحيفة والدواة ليكتب عثمان بن عفان رضى الله عنه الصلح فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يوقع الصلح على ذلك بعث الى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة رضى الله عنهما فذكر لهما ذلك

أهل الارض اوهو نبى كما يقول فكان الصحابة يغزون على من كان حولهم ممن لم يسلم ويتركونهم اوقومهم فكان الناس يقولون ما رأينا امرأة ادخلت على قومها من البركة مثل ما ادخلت هذه المرأة على قومها وفى صحيح مسلم لما كان يوم غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة بحيث صارت التمرة الواحدة تقسم جماعة بيننا وبينهم افقالوا يارسول الله لو اذنت لنا فنحرنا فاكلنا وادهنا فقال عمر يارسول الله ان فعلت قتى الظهر ولكن ادعهم بفضل أزوادهم وادع الله لهم فيها بالبركة لعل الله ان يجعل فى ذلك البركة فقال صلى الله عليه وسلم نعم فدعا بنطع فبسطه ثم دعاهم بفضل أزوادهم فجعل رجل يأتى بكف ذرة ويجىء الآخر بكف تمر ويجىء الآخر بكسرة حتى اجتمع على النطع من ذلك شئ يسير فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبركة ثم قال لهم خذوا فى اوعيتكم فاخذوا حتى ماتركوا فى العسكر وعاء الا ملؤه واكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشهد ان لا اله الا الله وانى رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيحجب عن الجنة وفى رواية الاوقاه الله النار وتقدم تطيير ذلك فى الرجوع من غزوة الحديبية ولا مانع من التعدد اوهو من خلط بعض الرواة ولعل هذا كان بعد ان ذبح لهم طلحة بن عبيد الله جزورا فاطعمهم وسقاهم فقال له صلى الله عليه وسلم انت طلحة الفياض وسماه يوم احد طلحة الخير ويوم حنين طلحة الجود لكثرة انفاقه على العسكر وعن بعض الصحابة قال كنت فى غزوة تبوك على نحى السمن فنظرت الى النحى وقد قل ما فيه وهيأت للنبى صلى الله عليه وسلم طعاما فوضعت النحى فى الشمس وغت فانتبهت لتحرير النحى فقمت فاخذت رأسه بيدى فقال صلى الله عليه وسلم وقد رأى ذلك لو تركته لسال الوادى سمنا وعن العرباض بن سارية رضى الله عنه قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبوك يا عمرو فقال ليلة لبلال رضى الله عنه هل من عشاء فقال والذى بعثك بالحق لقد نفضنا جرابنا فقال انظر عسى ان نجد شيأ فاخذ الجراب ينفضها جرابا جرابا فتتبع التمرة والتمرتان حتى رأيت فى يده سبع تمرات ثم دعا بصحفة فوضع التمر فيها ثم وضع يده على التمرات وقال كلوا باسم الله فاكلنا ثلاثة انفس واحصيت أربعا وخمسين تمرة اعدها اعدا ونواها فى يدى الاخرى وصاحباى يصنعان كذلك فشبعنا ورفعنا ايدينا

واستشارهما فيه فقالا يارسول الله أمر تحبه فتصنعه أم شيأ أمرك الله به لابد لنا من العمل به أم شيأ تصنعه لنا أى وفى لفظ ان كان أمرا من السماء فامض له وان كان أمر لم تؤمر به ولك فيه هوى فسمع وطاعة وان كان انما هو الرأى فانا لهم عندنا الا السيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أمرنى الله ما شاورتكما والله ما أصنع ذلك الا لانى رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب فأردت ان أكسر شوكتهم الى أمر ما فقال له سعد بن معاذ يارسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم أى غطفان على الشرك بالله وعبادة الاوثان لا نعبد الله ولا نعرفه وهم لا يطمعون ان يأكلوا منا تمرة الا قرى أو بيعا أى وان كانوا ليأكلون العلهز فى الجاهلية من الجهد أفحين أكرمنا الله بالاسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نقطعهم أموالنا أى وفى لفظ نعطى الدنية مالنا بهذا من حاجة والله لا نعطيهم الا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنت وذاك فأخذ سعد الصحيفة فمحى ما فيها من الكتابة أى وهذا انما يناسب الرواية الاولى وكذا ما جاء فى لفظ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شق الكتاب فشقه سعد وقال لعيينة والحرث ارجعا بيننا وبينكم السيف رافعا صوته ثم قال اسعد ليجهد واعلينا ثم ان طائفة من المشركين أقبلوا أى وأكرهوا خيولهم على اقتحام الخندق من مضيق به ٥ وفيهم عكرمة بن أبى جهل رضى الله عنه فانه أسلم بعد ذلك وفيهم هبيرة بن أبى وهب أى وهو زوج أم هانئ أخت على كرم الله وجهه رضى الله عنها وأبو أولادها مات على كفره وضرار بن الخطاب وعمرو بن ودّ أى قيل ونوفل بن عبد الله وكان عمرو بن ودّ عمره اذ ذاك تسعين سنة فقال من يبارز فقام على كرم الله وجهه وقال أنا له يا نبى الله فقال صلى الله عليه وسلم له اجلس انه عمرو بن ودّ ثم كرر عمرو النداء وجعل يوبخ المسلمين ويقول أين جنتكم التى تزعمون أنه من قتل منكم دخلها أفلا تبرز لى رجلا وأنشد أبياتا منها

ولقد بححت من النّدا * بجمعكم هل من مبارز
ان الشجاعة فى الفتى * والجود من خير الغرائز

فقام على كرم الله وجهه فقال أنا له يارسول الله فقال اجلس انه عمرو بن ودّ ثم نادى الثالثة فقام على كرم الله وجهه فقال أنا له يارسول الله فقال انه عمرو فقال وان كان عمرا فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنشد سيدنا على أبياتا منها

لا تعجلن فقد أتا * ك مجيب قولك غير عاجز
ذو نية وبصيرة * والصدق منجى كل فائز

وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم أعطاه سيفه ذا الفقار وألبسه درعه الحديد وعممه بعمامته وقال اللهم أعنه عليه أى وفى لفظ اللهم هذا أخى وابن عمى فلا تذرنى فردا وأنت خير الوارثين زاد فى رواية انه صلى الله عليه وسلم رفع عمامته الى السماء وقال الهى أخذت عبيدة منى يوم بدر وحمزة يوم أحد وهذا على أخى وابن عمى الحديث فمشى اليه على كرم الله وجهه فقال له

فاذا التمرات السبع كما هي فقال يا بلال ارفعها فانه لا يأكل منها احد الا نهل منها شبعا فلما كان من الغد دعا بالتمرات فوضع صلى الله عليه وسلم يده عليهن ثم قال كلوا باسم الله فاكلنا حتى شبعنا وانا لعشرة ثم رفعنا ايدينا واذا التمرات كما هي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا اني استحيي من ربي لاكلنا من هذه التمرات حتى نرد الى المدينة من آخرنا فاعطاها غلاما فولى وهو يلوكهن ولما وصل صلى الله عليه وسلم تبوك أرسل خالد بن الوليد رضي الله عنه في اربعمائة فارس ٣٤٩ الى أكيدر بن عبد الملك النصراني وكان ملكا

يا عمرو انك كنت قد عاهدت الله لا يدعوك رجل من قريش الى احدى خلتين أي خصلتين الا أخذتها منه قال له أجل أي نعم فقال له علي كرم الله وجهه فأنا أدعوك الى الله والى رسوله صلى الله عليه وسلم والى الاسلام فقال لا حاجة لي بذلك قال له علي فاني أدعوك الى البراز قال وفي رواية انك كنت تقول لا يدعوني أحد الى واحدة من ثلاث الا قبلتها قال أجل فقال علي فاني أدعوك أن تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وتسلم لرب العالمين فقال يا ابن أخي أخر عني هذه قال وأخرى ترجع الى بلادك فان يك محمد صلى الله عليه وسلم صادقا كنت أسعد الناس به وان يك كاذبا كان الذي تريد قال هذا ما لا تتحدث به نساء قريش أبدا كيف وقد قدرت على استيفاء ما نذرت أي فانه نذر لما أفلت هاربا يوم بدر وقد جرح ان لا يمس رأسه دهنا حتى يقتل محمدا صلى الله عليه وسلم قال فالثالثة ما هي قال البراز فضحك عمرو وقال ان هذه لخصلة ما كنت أظن ان أحدا من العرب يرومني بها ثم قال له عند طلب المبارزة لم يا ابن أخي فوالله ما أحب ان أقتلك فقال علي كرم الله وجهه ولكني والله أحب ان أقتلك فحمي عمرو عند ذلك أي أخذته الحمية وفي رواية ان عمرا قال له من أنت أي لان عليا كرم الله وجهه كان مقنعا بالحديد قال علي قال ابن عبد مناف قال أنا علي بن أبي طالب فقال غيرك يا ابن أخي من أعمامك من هو أشد منك فاني أكره ان اهريق أي أسيل دمك أي وزاد في رواية فان أباك كان لي صديقا أي وفي لفظ كنت له نديما فقال علي وأنا والله ما أكره ان اهريق دمك فغضب فقال له علي كرم الله وجهه كيف أقاتلك وأنت على فرسك ولكن انزل معي فاقتحم عن فرسه وسل سيفه كأنه شعلة نار فعقر فرسه وضرب وجهه وأقبل على علي كرم الله وجهه فاستقبله علي بدرقته فضربه عمرو فيها فقدها وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجه فضربه علي كرم الله وجهه على حبل عاتقه أي وهو موضع الرداء من العنق فسقط وكبر المسلمون فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم التكبير عرف ان عليا كرم الله وجهه قتل عمرا لعنه الله أي وذكر بعضهم ان النبي صلى الله عليه وسلم عند ذلك قال قتل علي لعمرو بن ود أفضل من عبادة الثقلين قال الامام أبو العباس بن تيمية وهذا من الاحاديث الموضوعة التي لم ترد في شيء من الكتب التي يعتمد عليها ولا بسند ضعيف وكيف يكون قتل كافر أفضل من عبادة الثقلين الانس والجن ومنهم الانبياء قال بل ان عمرو ابن ود هذا لم يعرف له ذكر الا في هذه الغزوة (أقول) ويرد قوله ان عمرو بن ود هذا لم يعرف له ذكر الا في هذه الغزوة قول الاصل وكان عمرو بن ود قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة فلم يشهد يوم أحد فلما كان يوم الخندق خرج معلما أي جعل له علامة يعرف بها ليرى مكانه أي ويرده أيضا ما تقدم من أنه نذر أن لا يمس رأسه دهنا حتى يقتل محمدا صلى الله عليه وسلم واستدلاله بقوله وكيف يكون الى آخره فيه نظر لان قتل هذا كان فيه نصرة للدين وخذلان للكافرين وفي تفسير الفخر أنه صلى الله عليه وسلم قال لعلي كرم الله وجهه بعد قتله لعمرو بن ود كيف وجدت نفسك معه يا علي قال وجدته لو كان أهل المدينة كلهم في جانب وأنا في جانب

عظيما من قبل هرقل بدومة الجندل وذلك حصن وقرى بينها وبين الشام خمس ليال وقال له انك ستجده ليلا يصيد البقر فانتهى اليه خالد وقد خرج من حصنه في ليلة مقمرة الى بقر يطاردها هو واخوه حسان فشدت عليه خيل خالد فاستأسروا أكيدر وقتلوا حسانا وكان عليه قباء من ديباج مخوص بالذهب فاستلبه خالد وبعث به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل قدومه فجعل المسلمون يلمسونه بايديهم فيعجبون منه فقال صلى الله عليه وسلم أتعجبون من هذا فوالذي نفسي بيده لمناديل سعد في الجنة أحسن من هذا وهرب من كان معهما فدخلوا الحصن وأغلقوه ثم أجار خالد أكيدر من القتل حتى يأتي به رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان يفتح له دومة الجندل وصالحه على ألفي بعير وثمانمائة فرس وأربعمائة درع وأربعمائة رمح ففتح الحصن فدخله خالد وأخذ ما صالحه عليه وخمسه ثم قدم باكيدر على النبي صلى الله عليه وسلم فحقن صلى الله عليه وسلم دمه وصالحه على الجزية وخلى سبيله وكان هرقل مقيما بحمص وفي هذه الغزوة كتب له صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام وسيأتي ذلك

ان شاء الله تعالى في مكاتباته صلى الله عليه وسلم واتاه صلى الله عليه وسلم وهو بتبوك صاحب ايلة ومعه أهل جرباء تاذيث أجرب بدو يقصر وهي قرية بالشام وأهل أذرح بالذال المعجمة والراء المضمومة والحاء المهملة مدينة هناك وأهدى صاحب ايلة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بغلة بيضاء فكساه رسول الله صلى الله عليه وسلم بردا فصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم على اعطاء الجزية بعد ان عرض عليه الاسلام فلم يسلم وكتب له ولاهل ايلة كتابا صورته بسم الله الرحمن الرحيم هذا امنة من الله ومحمد النبي

رسول الله ليحنة بن رؤبة وأهل ايلة سفنهم وسيارتهم فى البر والبحر لهم ذمة الله تعالى ومحمد النبى صلى الله عليه وسلم ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر فمن احدث منهم حدثا فانه لا يحول ماله دون نفسه وانه لطيبة لمن أخذه من الناس وانه لا يحل ان يمنعوا ماء يردونه ولا طريقا يريدونه من بر أو بحر وكتب لاهل اذرح وجرباء ماصورته بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب محمد النبى صلى الله عليه وسلم لاهل أذرح وجرباء انهم آمنون بامان الله وأمان محمد صلى الله عليه وسلم وان عليهم مائة دينار فى كل رجب وافية طيبة والله كفيل بالنصح والاحسان الى المسلمين وصالح أهل ميناء على ربع ثمارهم وأقام صلى الله عليه وسلم بتبوك بضع عشرة ليلة وقيل عشرين ليلة ولم يلق كيدا وفر الناس من أهل الكتاب وغيرهم رعبا منه صلى الله عليه وسلم عند سماعهم بمسيره فكان من الحكمة فى هذه الغزوة ما حصل من اغاظة الكفار وظهور عز المسلمين وفضيحة المنافقين واذلالهم واستشار صلى الله عليه وسلم أصحابه فى مجاوزة تبوك فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه يارسول الله ان كنت أمرت بالسير فسر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أمرت بالسير لم أستشركم فيه فقالوا يارسول الله ان للروم جموعا كثيرة وليس بها أحد من أهل الاسلام وقد دنوا وقد أفزعهم دنوك فلو رجعنا هذه السنة حتى نرى ويحدث الله أمرا وأخرج البيهقى عن عبد الرحمن بن غنم ان اليهود قالوا له صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة يا أبا القاسم ان كنت صادقا انك نبى فالحق بالشام فانها أرض المحشر وارض الانبياء فصدق ما قالوا فغزا تبوك لا يريد الا الشام فلما بلغ تبوك أنزل الله عليه آيات من سورة بنى اسرائيل وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها الآيتين فامره الله بالرجوع الى المدينة وقال فيها محياك ومماتك ومنها تبعث فرجع صلى الله عليه وسلم فقال جبريل سل ربك فان لكل نبى مسئلة وكان جبريل له ناصحا وكان النبى صلى الله عليه وسلم له مطيعا قال فما تأمرنى أن أسأل فقال جبريل قل رب أدخلنى مدخل صدق الآية ثم انصرف صلى الله عليه وسلم قافلا الى المدينة وبنى فى طريقه عشرين مسجدا وكان فى بعض الطريق ماء قليل جدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبقنا الى ذلك الماء فلا يستقين منه شيأ حتى نأتيه فسبق

لقدرت عليهم وفى كلام السهيلى رحمه الله ولما أقبل على كرم الله وجهه بعد قتله لعمرو بن ود على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متهلل قال له عمر بن الخطاب رضى الله عنه هلا سلبته درعه فانه ليس فى العرب درع خير منها قال انى حين ضربته استقبلنى بسوأته فاستحييت يا ابن عمى أن أسلبه هذا كلامه وعندى أن هذا اشتباه من بعض الرواة لان هذه الواقعة لعلى كرم الله وجهه انما كانت فى يوم أحد مع طلحة بن أبى طلحة كما تقدم وعمرو بن ود لم يشهد أحدا كما تقدم عن الاصل فليتأمل قال وذكر ابن اسحق أن المشركين بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشترون جيفة عمرو بعشرة آلاف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو لكم ولا نأكل ثمن الموتى وحين قتل عمرو رجع من وصل الخندق من المشركين بخيلهم هاربين فتبعهم الزبير رضى الله عنه وضرب نوفل بن عبد الله بالسيف فشقه نصفين ووصلت الضربة الى كاهل فرسه فقيل له يا أبا عبد الله ما رأينا مثل سيفك فقال والله ما هو السيف ولكنها الساعد أى وفيه أنه تقدم ان نوفل بن عبد الله وقع فى الخندق فاندقت عنقه الى آخر ما تقدم لكنى رأيت بعضهم قال ان وقوع نوفل فى الخندق ورميه بالحجارة وقتل على كرم الله وجهه له فى الخندق غريب من وجهين فليتأمل وحمل الزبير رضى الله عنه على هبيرة بن أبى وهب وهو زوج أم هانى أخت على بن أبى طالب كما تقدم فضرب ثغر فرسه فقطعه وسقطت درع كان محقبها الفرس أى جعلها على مؤخر ظهرها فأخذها الزبير وألقى عكرمة بن أبى جهل رمحه وهو منهزم انتهى أى وفى رواية ثم حمل ضرار بن الخطاب أخو عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهبيرة بن أبى وهب على على كرم الله وجهه فأقبل على عليهما فاما ضرار فولى هاربا ولم يثبت وأما هبيرة فثبت ثم ألقى درعه وهرب وكان فارس قريش وشاعرها وذكر ان ضرار بن الخطاب لما هرب تبعه أخوه عمر بن الخطاب وصار يشتد فى اثره فكر ضرار راجعا وحمل على عمر رضى الله عنه بالرمح ليطعنه ثم أمسك وقال يا عمر هذه نعمة مشكورة أثبتها عليك ويدى عندك غير مجزى بها فاحفظها أى ووقع له مع عمر رضى الله عنه مثل ذلك فى أحد فانه التقى معه فضرب عمر رضى الله عنه بالقناة ثم رفعها عنه وقال له ما كنت لاقتلك يا ابن الخطاب ثم من الله على ضرار فاسلم وحسن اسلامه وكان شعار المسلمين حم لا ينصرون أى ولعل المراد بالمسلمين الانصار فلا يخالف ما فى الامتاع وكان شعار المهاجرين ياخيل الله وفيه خرجت طائفتان للمسلمين ليلا لا يشعر بعضهم ببعض ولا يظنون الا انهم العدو فكانت بينهم جراحة وقتل ثم نادوا بشعار الاسلام حم لا ينصرون فكف بعضهم عن بعض وقد يقال يجوز ان تكون الطائفتان كانتا من الانصار وجاؤا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم جراحكم فى سبيل الله ومن قتل فهو شهيد وبهذا استدل أئمتنا على ان من قتله مسلم خطأ فى الحرب يكون شهيدا ورمى سعد بن معاذ بسهم قطع أكحله وهو عرق فى الذراع تتشعب منه عروق البدن ولعله محل الفصد الذى يقال له المشترك أى ويقال لهذا العرق عرق الحياة أى رماه ابن العرقة اسم جدته سميت بذلك لطيب عرقها

اليه نفر من المنافقين فاستقوا الماء الذى فيه فلما أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف عليه فلم يجد فيه شيأ فقال من سبقنا الى هذا الماء فقيل له فلان وفلان فقال أولم أنههم أن يستقوا منه شيأ حتى آتيه ثم لعنهم ودعا عليهم ثم نزل فى موضع الماء ومسحه بيديه ودعا بما شاء أن يدعو به فجرى الماء وصار له حس كحس الصواعق فشرب الناس واستقوا حاجتهم منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن بقيتم أو بقى منكم أحد لتسمعن بهذا الوادى وقد أخصب ما بين يديه وما خلفه ٣٥١ أى وهذا خلاف عين تبوك التى تقدم له

عرفها وقال خذها وأنا ابن العرقة فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك قال عرق الله وجهه فى النار وقيل قائل ذلك سعد رضى الله عنه وعند ذلك قال سعد اللهم ان كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم يعنى قريشا فاجعلها الى شهادة ولا تمتنى حتى تقر عينى وفى لفظ حتى تشفينى من بنى قريظة وفى لفظ اللهم ان كنت أبقيت من حرب قريش شيأ فابقنى لها فانه لا قوم أحب الى ان أجاهدهم من قوم آذوا رسولك وأخرجوه وكذبوه وفى يوم استمرت المقاتلة قيل من سائر جوانب الخندق الى الليل ولم يصل صلى الله عليه وسلم ولا أحد من المسلمين صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء أى وصار المسلمون يقولون ما صلينا فيقول صلى الله عليه وسلم ولا أنا فلما انكشف القتال جاء صلى الله عليه وسلم الى قبته وأمر بلالا فاذن وأقام الظهر فصلى ثم أقام بعد كل صلاة اقامة وصلى هو وأصحابه ما فاتهم من الصلوات وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما فامر بلالا فاذن وأقام فصلى الظهر ثم أمره فاذن وأقام فصلى العصر ثم أمره فاذن وأقام فصلى المغرب ثم أمره فاذن وأقام فصلى العشاء (أقول) فى الرواية الاولى ما يشهد لقول امامنا الشافعى يندب أن يؤذن للاولى من الفوائت ويقيم لما عداها اذا قضاها متوالية وكونه يؤذن للاولى من الفوائت هو ما ذهب اليه فى القديم وهو المفتى به وفى الرواية الثانية دليل على انه يؤذن لكل من الفوائت اذا قضاها متوالية ولم يقل به امامنا فانه جاء عن ابن مسعود رضى الله عنه مرسلا لانه رواه عنه ابنه أبو عبيدة ولم يسمع منه لصغر سنه وروى امامنا الشافعى رضى الله عنه باسناد صحيح عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال حبسنا يوم الخندق حتى ذهب هوى أى طائفة من الليل حتى كفينا القتال وذلك قوله تعالى وكفى الله المؤمنين القتال فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا فامره فاقام الظهر فصلاها كما كان يصلى ثم أقام العصر فصلاها كذلك ثم أقام المغرب فصلاها كذلك ثم أقام العشاء فصلاها كذلك أى وفى لفظ فصلى كل صلاة كأحسن ما كان يصليها فى وقتها وهو دليل لعدم ندب الاذان للفائتة وهو ما ذهب اليه امامنا الشافعى رضى الله عنه فى الجديد وهو مرجوح وجمع الامام النووى فى شرح المهذب بين رواية لى الليل ورواية حتى ذهب هوى من الليل بأنهما قضيتان جرتا فى أيام الخندق قال فانها كانت خمسة عشر يوما أى على ما تقدم وفيه أن كونهما قضيتين أمر واضح لا خفاء فيه لان فى الاولى وفى يوم استمرت المقاتلة الى الليل وفى الثانية حتى كفينا القتال فمع ذلك كيف يظن انهما قضية واحدة حتى يحتاج الى الجمع وظاهر سياق هذه الروايات أنه صلى الاربع صلوات بوضوء واحد وبه صرح البغوى فى تفسير سورة المائدة وحينئذ يحتاج للجمع بينه وبين ما يأتى فى فتح مكة وروى الطحاوى واستدل به مكحول والاوزاعى على جواز تأخير الصلاة لعذر القتال ان الشمس ردت له صلى الله عليه وسلم بعد ما غربت حين شغل عن صلاة العصر حتى صلى العصر وذكر الامام النووى فى شرح مسلم أن رواته ثقات وفى البخارى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه جاء يوم الخندق بعد ما كادت الشمس تغرب فقال

أفودها وعمار بن ياسر يسوقها أو أنا أسوقها وعمار يقودها أى يتناوبان ذلك فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير فى العقبة اذ سمع حس القوم قد غشوه فنفرت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سقط بعض متاعه فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر حذيفة أن يردهم فرجع حذيفة اليهم وقد رأى غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه محجن فجعل يضرب وجوه رواحلهم ويقول اليكم اليكم يا أعداء الله فاذا هو بقوم ملثمين وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم صرخ بهم فولوا مدبرين فعلموا

فيها ما يشبه هذا حيث قال لمعاذ يا معاذ يوشك ان طالت بك حياة أن ترى ما هنا ملئ جنانا الان تلك العين كانت عين تبوك وهذا عند منصرفه من تبوك وأجمع رأى من كان معه من المنافقين وهم اثنا عشر رجلا وقيل أربعة عشر وقيل خمسة عشر رجلا على أن يؤذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العقبة التى بين تبوك والمدينة فقالوا اذا أخذ فى العقبة دفعناه عن راحلته فى الوادى فأخبر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بذلك فلما وصل الجيش العقبة نادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يسلك العقبة فلا يسلكها أحد واسلكوا بطن الوادى فانه أسهل لكم وأوسع فلما سمع المنافقون النداء أسرعوا وتلثموا وسلكوا العقبة وسلك الناس بطن الوادى وسلك رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة وأمر عمار بن ياسر رضى الله عنهما أن يأخذ بزمام ناقته صلى الله عليه وسلم وأمر حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما أن يسوق من خلفه وفى دلائل النبوة للبيهقى عن حذيفة رضى الله عنه قال كنت ليلة العقبة آخذا بزمام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلع على مكرهم به فانحطوا من العقبة مسرعين الى بطن الوادى واختاطوا بالناس فرجع حذيفة رضى الله عنه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل عرفت أحدا من الركب الذين رددتهم قال لا كان القوم متلثمين والليلة مظلمة وفى رواية ان حذيفة رضى الله عنه قال عرفت راحلة فلان وفلان قال هل علمت ما كان من شأنهم وما أرادوه قال لا قال انهم مكروا وأرادوا أن يسيروا معى فى العقبة ٣٥٢ فيزحمونى ويطرحونى منها الى الوادى وان الله أخبرنى بهم وبمكرهم وسأخبركم بهم فاكتماهم ولما أصبح صلى الله عليه وسلم جاءه أسيد بن حضير فقال يارسول الله ما منعك البارحة من سلوك الوادى فقد كان أسهل من العقبة فقال أتدرى ما أراد المنافقون وذكر له القصة فقال يارسول الله قد نزل الناس واجتمعوا فمر كل بطن أن يقتل الرجل الذى هم بهذا وان أحببت فبين أسماءهم والذى بعثك بالحق لأبرح حتى آتيك برؤسهم فقال انى أكره أن يقول الناس ان محمدا قاتل بقوم حتى اذا أظهره الله بهم أقبل عليهم يقتلهم فقال يارسول الله هؤلاء ليسوا باصحاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أليسوا يظهرون الشهادة ثم جمعهم صلى الله عليه وسلم وأخبرهم بما قالوه وما أجمعوا عليه فحلفوا بالله ما قالوا ولا أرادوا الذى ذكر فأنزل الله يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا الآية * وقال صلى الله عليه وسلم للمسلمين عند انصرافهم من تبوك ان بالمدينة أقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم قالوا يارسول الله وهم بالمدينة قال نعم حبسهم العذر ولما قرب صلى الله عليه وسلم من المدينة خرج الناس لتلقيه وقد كان المنافقون الذين تخلفوا بالمدينة يخبرون عن النبى صلى الله عليه وسلم أخبار السوء يقولون ان محمدا وأصحابه قد جهدوا فى سفرهم وهلكوا فلما بلغهم سلامة النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه وبان كذبهم ساءهم ذلك وأنزل الله ان تصبك حسنة تسؤهم الآية وخرج مع الناس لتلقيه صلى الله عليه وسلم النساء والصبيان والولائد وصعدت المخدرات على الاسطحة يقلن

طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع وجب الشكر علينا * مادعا لله داع أيها المبعوث فينا * جئت بالامر المطاع

رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ما صليتها يعنى العصر فنزلنا مع النبى صلى الله عليه وسلم بطحان فتوضأ للصلاة وتوضأنا لها فصلى العصر بعد ما غربت الشمس ثم صلى بعدها المغرب وهذه الرواية تقتضى انه لم يفته الا العصر وانه صلاها بعد الغروب قال الامام النووى رحمه الله وطريق الجمع ان هذا كان فى بعض ايام الخندق وكون صلاة العصر هى الوسطى قد جاء فى بعض الروايات شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر حتى غابت الشمس ملأ الله اجوافهم وفى لفظ بطونهم وقبورهم نارا والذى فى البخارى ومسلم وابى داود والنسائى والترمذى وقال حسن صحيح ملأ الله عليهم بيوتهم وقبورهم نارا كما شغلونا عن صلاة الوسطى حتى غابت الشمس وكون صلاة الوسطى هى صلاة العصر هو قول من تسعة عشر قولا ذكرها الحافظ الدمياطى فى مؤلف له سماه كشف الغطا عن الصلاة الوسطى وفى الينبوع ان كون الصلاة الوسطى هى العصر هو الذى اعتقده والله أعلم قال وجاء انه صلى الله عليه وسلم صلى المغرب فلما فرغ قال احد منكم علم انى صليت العصر قالوا يارسول الله ما صليتنا اى لا نحن ولا انت فأمر المؤذن فاقام الصلاة فصلى العصر ثم اعاد المغرب قيل وكان ذلك قبل ان تنزل صلاة الخوف فان خفتم فرجالا أو ركبانا اه أقول يحتاج الى الجواب عن اعادة المغرب وقد يقال اعادها مع الجماعة وان قوله فان خفتم فرجالا أو ركبانا يرشد الى ان المراد بصلاة الخوف صلاة شدته لا صلاة ذات الرقاع التى نزل فيها قوله تعالى واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة الآية كما تقدم فلا ينافى ما تقدم من صلاته فى ذات الرقاع بناء على تقدمها على هذه الغزوة التى هى غزوة الخندق وحينئذ يندفع الاستدلال على ان ذات الرقاع متأخرة عن الخندق بقولهم ولم تكن شرعت صلاة الخوف أى صلاة ذات الرقاع والا لصلاها فى الخندق ولم يخرج الصلاة عن وقتها المعلمت أن المراد بصلاة الخوف التى لم تشرع زمن الخندق صلاة شدته لا صلاة ذات الرقاع وسقط القول بان الآية التى نزلت فى صلاة ذات الرقاع منسوخة فتركه صلى الله عليه وسلم تلك الصلاة فى الخندق لان الخندق وان لم يلتحم فيه القتال الا أنهم لا يأمنون هجوم العدو عليهم فلو صلوها لكانت تلك الصلاة صلاة شدة الخوف لا صلاة ذات الرقاع لان شرطها أمن هجوم العدو وصلاة شدة الخوف اما ان يلتحم فيها القتال او يخافوا هجوم العدو وقول بعضهم ان ابن اسحق وهو امام أهل المغازى ذكر أنه صلى الله عليه وسلم صلى صلاة الخوف بعسفان وذكر انها قبل الخندق فتكون صلاة عسفان منسوخة أيضا فيه نظر ظاهر لان صلاة عسفان انما كانت فى الحديبية كما سيأتى وعلى تسليم أن صلاة عسفان كانت قبل الخندق فتلك يشترط فيها الامن من هجوم العدو والله أعلم قال ثم ان طائفة من الانصار خرجوا اليه فنوا ميتا منهم بالمدينة فصادفوا عشرين بعيرا لقريش محملة شعيرا وتمرا وتبنا حملها ذلك حيى بن أخطب شدادا وتقوية لقريش فأتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوسع بها أهل الخندق ولما بلغ أبا سفيان ذلك قال ان حييا المشؤم قطع بنا ما نجد من نحمل عليه اذا رجعنا ثم ان خالد بن الوليد كر

وقد ذكر بعضهم هذا عند مقدمه الى المدينة ولا مانع من تعدد ذلك ولما أشرف صلى الله عليه وسلم على المدينة قال هذه طابة وهذا أحد جبل يحبنا ونحبه والمحققون على ان ذلك حقيقة ولا مانع منه بان يخلق له المحبة كتسبيح الحصا وحنين الجذع وقيل المراد يحبنا أهله ونحبهم ولما دخل المدينة قال العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه أتأذن لى يارسول الله أن أمتدحك قال قل لا يفضض الله فاك فقال

من قبلها طبت فى الظلال وفى * مستودع حيث يخصف الورق ٣٥٣ ثم هبطت البلاد لا بشر * أنت ولا مضغة ولا علق

بل نطفة تركب السفين وقد
ألجم نسرا وأهله الغرق
تنقل من صالب الى رحم
اذا مضى عالم بدا طبق
وردت نار الخليل مكتتما
فى صلبه أنت كيف يحترق
حتى احتوى بيتك المهيمن من
خندف علياء تحتها النطق
فنحن فى ذلك الضياء وفى الـ
ـنور وسبل الرشاد نخترق

ولما دنا من المدينة تلقاه عامة الذين تخلفوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه لا تكلموا رجلا منهم فأعرض عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى ان الرجل ليعرض عن أبيه وأخيه وقد كان تخلف من المنافقين بضعة وثمانون رجلا وتخلف أيضا كعب ابن مالك رضى الله عنه وكان من الخزرج ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية رضى الله عنهما وكانا من الاوس ولم يكن الثلاثة من أهل النفاق فأما المنافقون فجعلوا يحلفون ويعتذرون فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرهم وعلانيتهم واستغفر لهم ووكل سريرتهم الى الله تعالى وأما الثلاثة فأرجاهم وأخر أمرهم ينتظر أمر الله فيهم وأنزل الله فيهم وآخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم والله عليم

ذكر بطائفة من المشركين يطلب غرة للمسلمين أى غفلتهم فصادف أسيد بن حضير على الخندق فى مائتين من المسلمين فناوشوهم أى تقاربوا منهم ساعة وكان فى أولئك المشركين وحشى قاتل حمزة رضى الله عنه فزرق الطفيل بن النعمان فقتله ثم بعد ذلك صاروا يرسلون الطلائع بالليل يطمعون فى الغارة أى الاغارة فاقام المسلمون فى شدة من الخوف أى وفى الصحيحين ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاحزاب فقال اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الاحزاب اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم وزلزلهم أى وقام فى الناس فقال يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فان لقيتم العدو فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف أى السبب الموصل الى الجنة عند الضرب بالسيف فى سبيل الله تعالى ودعا صلى الله عليه وسلم بقوله ياصريخ المكروبين يامجيب المضطرين اكشف همى وغمى وكربى فانك ترى منزلى وباصحابى وقال له المسلمون رضى الله عنهم هل من شئ نقوله فقد بلغت القلوب الحناجر قال نعم قولوا اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا فأتاه جبريل عليه السلام فبشره ان الله يرسل عليهم ريحا وجنودا وأعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بذلك وصار يرفع يديه قائلا شكرا شكرا وجاء أن دعاءه صلى الله عليه وسلم عليهم كان يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الاربعاء واستجيب له ذلك اليوم الذى هو يوم الاربعاء بين الظهر والعصر فعرف السرور فى وجهه صلى الله عليه وسلم أى ومن ثم كان جابر رضى الله عنه يدعو فى مهماته فى ذلك اليوم فى ذلك الوقت ويتحرى ذلك والاحاديث والآثار التى جاءت بذم يوم الاربعاء محمولة على آخر أربعاء فى الشهر فان فى ذلك اليوم ولد فرعون وادعى الربوبية وأهلكه الله فيه وهو اليوم الذى أصيب فيه أيوب عليه الصلاة والسلام بالبلاء قال وكان صلى الله عليه وسلم يختلف الى ثلمة فى الخندق والثلمة الخلل فى الحائط فعن عائشة رضى الله عنها قالت كان صلى الله عليه وسلم يذهب الى تلك الثلمة فاذا أخذه البرد جاء فأدفأته فى حضنى فاذا دفئ خرج الى تلك الثلمة ويقول ما أخشى ان تؤتى المسلمون الا منها فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حضنى صار يقول ليت رجلا صالحا يحرس هذه الثلمة الليلة فسمع صوت السلاح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا فقال سعد بن أبى وقاص سعد يارسول الله أتيتك أحرسك فقال عليك هذه الثلمة فاحرسها ونام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى غط وقام صلى الله عليه وسلم فى قبته يصلى لانه صلى الله عليه وسلم كان اذا أحزنه أمر فزع الى الصلاة ومن ثم لما نعى لابن عباس أخوه قثم وهو فى سفر استرجع وتنحى عن الطريق وصلى ركعتين أطال فيهما الجلوس وتلا واستعينوا بالصبر والصلاة ثم خرج صلى الله عليه وسلم من قبته فقال هذه خيل المشركين تطيف بالخندق ثم نادى صلى الله عليه وسلم ياعباد بن بشر قال لبيك قال هل معك أحد قال نعم أناس نفر حول قبتك يارسول الله وكان الزم الناس لقبة رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرسها فبعثه صلى الله عليه وسلم يطيف بالخندق وأعلمه بأن خيل المشركين تطيف بهم ثم قال اللهم ادفع عنا شرهم وانصرنا عليهم واغلبهم

٤٥ سيره ثانى حكيم نزلت هذه الآية فى أول أمرهم ونزل فى آخر أمرهم عند قبول توبتهم وعلى الثلاثة الذين خلفوا الآية وكان كعب بن مالك رضى الله عنه يحدث عن تخلفه وصاحبيه فى غزوة تبوك قال كعب رضى الله عنه لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة غزاها قط الا فى غزوة تبوك غير انى تخلفت فى غزوة بدر ولم يعاتب صلى الله عليه وسلم أحدا ممن تخلف عنها انما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد وقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه

وسلم ليلة العقبة حين تواثقنا على الاسلام وما أحب ان لي بها مشهد بدر وان كانت بدر أذكر في الناس وكان من خبري حين تخلفت عنه في غزوة تبوك اني لم أكن قط أقوى مني ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة والله ما جمعت قبلها راحلتين قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الا ورى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد واستقبل ٣٥٤ صلى الله عليه وسلم سفرا بعيدا ومفاوز واستقبل عدوا كثيرا فجلا للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم وأخبر الناس بوجههم الذي يريدون والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير لا يجمعهم كتاب حافظ يريد بذلك الديوان قال كعب فقل رجل يريد أن يتغيب الا ظن ان ذلك يخفى ما لم ينزل فيه وحي من الله تعالى وغزا صلى الله عليه وسلم حين طابت الثمار والظلال فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه فطفقت أغدو لكي أتجهز معهم فأرجع ولم أقض شيأ وأقول في نفسي أنا قادر على ذلك اذا أردت فلم يزل يتمادى بي ذلك حتى استمر الناس بالجد فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غاديا والمسلمون معه ولم أقض شيأ فهممت أن أرتحل فأدركهم فيا ليتني فعلت ثم لم يقدر لي ذلك فطفقت اذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزنني أن لا أرى لي اسوة الا رجلا مغموصا عليه في النفاق أو رجلا ممن عذره الله من الضعفاء ولم يذكرني رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس في القوم بتبوك ما فعل كعب بن مالك فقال رجل من بني سلمة يا رسول الله حبسه حب برديه والنظر في عطفيه فقال له معاذ بن جبل رضي الله عنه بئسما قلت والله يا رسول الله ما علمنا عليه الا خيرا فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كعب فقال فلما بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم توجه قافلا من تبوك طفقت أتذكر الكذب وأقول بم أخرج من سخط الله غدا واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي فلما قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظل قادما زاح عني الباطل حتى عرفت اني لم أنج منه بشيء أبدا فأجمعت على الصدق فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادما وكان اذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس

لا يغلبهم غير لك واذا أبو سفيان في خيل يطيفون بعضيق من الخندق فرماهم المسلمون حتى رجعوا ثم ان نعيم بن مسعود الاشجعي أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أي ليلا فقال يا رسول الله اني أسلمت وان قومي لم يعلموا باسلامي فمرني بما شئت قال وفي رواية ان نعيما لما سارت الاحزاب سار مع قومه أي غطفان وهو على دينهم فقذف الله في قلبه الاسلام فخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المغرب والعشاء فوجده يصلي فلما رآه جلس ثم قال له النبي صلى الله عليه وسلم ما جاء بك يا نعيم قال جئت اصدقك واشهد ان ما جئت به حق فاسلم انتهى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما أنت رجل واحد فخذل عنا ما استطعت فان الحرب خدعة بفتح الخاء وسكون الدال المهملة أي ينقضي أمرها بالمخادعة فقال له نعيم يا رسول الله اني أقول أي ما يقتضيه الحال وان كان خلاف الواقع قال قل ما بدا لك فانت في حل ٥ فخرج نعيم رضي الله عنه حتى أتى بني قريظة وكان لهم نديما قال فلما رأوني رحبوا بي وعرضوا علي الطعام والشراب فقلت اني لم آت لشيء من هذا انما جئتكم لتخوفا عليكم لا شير عليكم برأيي يا بني قريظة قد عرفتم ودي اياكم وخاصة ما بيني وبينكم قالوا صدقت لست عندنا بتهم فقال لهم اكتموا عني قالوا نفعل قال لقد رأيتم ما وقع ابني قينقاع ولبني النضير من اجلائهم وأخذ أموالهم وان قريشا وغطفان ليسوا كأنتم البلد بلدكم وبها أموالكم ونساؤكم وأبناؤكم لا تقدرون على أن ترحلوا منه الى غيره وان قريشا وغطفان قد جاؤا لحرب محمد وأصحابه وقد ظاهرتموهم أي عاونتموهم عليه وبلدهم وأموالهم ونساؤهم بغيره فليسوا كأنتم فان رأوا نهزة أي فرصة اصابوها والا كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين بلدكم والرجل ببلدكم ولا طاقة لكم به ان خلا بكم فلا تقاتلوا معهم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم أي سبعين رجلا يكونون بايديكم ثقة لكم على ان يقاتلوا معكم محمدا حتى يناجزوه أي يقاتلوه قالوا له لقد اشرت بالرأي والنصح ودعوا له وشكروا وقالوا لنحن فاعلون قال ولكن اكتموا عني قالوا نفعل ثم خرج رضي الله عنه حتى اتى قريشا فقال لابي سفيان ومن معه من اشراف قريش قد عرفتم ودي لكم وفراقي لمحمد وانه قد بلغني أمر قد رأيت ان ابلغكموه نصحا لكم فاكتموا قالوا نفعل قال تعلمون ان معشر يهود يعني بني قريظة قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد أي من نقض عهده وقد ارسلوا اليه أي واناعندهم انا قد ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك ان نأخذ لك من القبيلتين قريش وغطفان رجالا من اشرافهم أي سبعين رجلا فنعطيكهم فتضرب اعناقهم أي وترد جناحنا الذي كسرت الى ديارهم يعنون بني النضير ثم نكون معك على من بقي منهم حتى نستأصلهم فأرسل اليهم نعم فان بعثت اليكم يهود يطلبون منكم رهنا من رجالكم فلا تدفعوا اليهم رجلا واحدا واحذروهم على اسراركم ولكن اكتموا عني ولا تذكروا من هذا حرفا قالوا لا نذكره ثم خرج رضي الله عنه حتى أتى غطفان فقال يا معشر غطفان انكم اهلي وعشيرتي واحب الناس الي ولا أراكم تتهمونني قالوا صدقت ما أنت عندنا بتهم قال فاكتموا علي قالوا نعم

فلما فعل ذلك جاءه المخلفون يعتذرون اليه ويحلفون له فقبل منهم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم الى الله تعالى حتى جئت فتبسم تبسم المغضب ثم قال تعال فجئت أمشي حتى جلست بين يديه فقال ما خلفك ألم تكن قد ابتعت ظهرك قلت يا رسول الله اني لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت اني سأخرج من سخطه بعذر لقد أعطيت جدلا ولكن والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني يوشك ان الله يسخطك علي ولئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه اني لارجو فيه عفو الله والله ما كان لي من عذر ما كنت أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضي الله فيك فقمت وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني وقالوا ما علمناك أذنبت ذنبا قبل هذا لقد عجزت أن لا تكون اعتذرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر اليه المخلفون فقد كان كافيك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم ومازالوا يؤنبوني حتى كدت أرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكذب نفسي قال ثم قلت لهم هل لقي هذا معي أحد فقالوا نعم لقيه معك رجلان قالا مثل ما قلت وقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم مثل ما قال لك قلت من هما قالوا مرارة بن الربيع وهلال ابن أمية فذكروا رجلين صالحين قد شهدا بدرا فقلت لي فيهما اسوة ومضيت حين ذكروهما لي ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا أيتها الثلاثة من بين من تخلف عنه وتغير علينا الناس حتى أنكرت في نفسي الارض فما هي بالارض التي أعرف فلبثنا على ذلك خمسين ليلة فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان وأما أنا فكنت أشد القوم وأجلدهم فكنت أخرج فأشهد الصلاة وأطوف في الاسواق فلا يكلمني أحد وآتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة فأقول في نفسي هل حرك شفتيه برد السلام أم لا ثم أصلي قريبا منه وأسارقه النظر فان أقبلت على صلاتي نظر الي واذا التفت نحوه أعرض عني حتى اذا طال علي ذلك من جفوة المسلمين مشيت حتى تسورت حائط ابي قتادة وهو ابن عمي وأحب الناس الي فسلمت عليه فوالله ما رد علي السلام فقلت يا أبا قتادة أنشدك الله هل تعلمني أحب الله ورسوله قال فسكت فعدت فناشدته فقال الله ورسوله

فقال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم فلما كان ليلة السبت أرسل أبو سفيان ورؤس غطفان الى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل في نفر من قريش وغطفان فقالوا لهم انا لسنا بدار مقام وقد هلك الخف والحافر فأعدوا للقتال حتى نناجز أي نقاتل محمدا ونفرغ مما بيننا وبينه فارسلوا اليهم ان اليوم أي الذي يلي هذه الليلة يوم السبت وقد علمتم ما نال منا من تعدى في السبت ومع ذلك فلا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا أي سبعين رجلا فقالوا صدق والله نعيم وفي رواية ان بني قريظة أرسلت لقريش قبل مجيء رسل قريش اليهم رسولا يقول لهم ما هذا التوافي والرأي ان تتواعدوا على يوم يكونون معكم فيه لكنهم لا يخرجون حتى ترسلوا اليهم رهنا سبعين رجلا من أشرافكم فانهم يخافون ان أصابكم ما تكرهون رجعتم وتركتموهم فلم ترد لهم قريش جوابا وجاءهم نعيم وقال لهم كنت عند أبي سفيان وقد جاءه رسولكم فقال لو طلبوا مني عنانا ما دفعتها لهم فاختلفت كلمتهم أي وجاء حيي بن أخطب لبني قريظة فلم يجد منهم موافقة له وقالوا لا نقاتل معهم حتى يدفعوا الينا سبعين رجلا من قريش وغطفان رهنا عندنا وبعث الله تعالى ريحا عاصفا أي وهي ريح الصبا في ليال شديدة البرد فنقلت بيوتهم وقطعت أطنابها وكفأت قدورهم على أفواهها وصارت الريح تلقى الرجال على أمتعتهم وفي رواية دفنت الرجال واطفأت نيرانهم أي وأرسل الله اليهم الملائكة زلزلتهم قال تعالى فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها ولم تقاتل الملائكة بل نفثت في روعهم الرعب وقال صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور وفي لفظ نصر الله المسلمين بالريح وكانت ريحا صفراء ملأت عيونهم ودامت عليهم ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه اختلاف كلمتهم وكانت تلك الليلة شديدة البرد والريح في اصوات ريحها أمثال الصواعق وسيأتي انهم لم تجاوز عسكر المشركين وشديدة الظلمة بحيث لا يرى الشخص اصبعه اذا مدها فجعل المنافقون يستأذنون ويقولون ان بيوتنا عورة أي من العدو لانها خارج المدينة وحيطانها قصيرة يخشى عليها السرقة فاذن لنا ان نرجع الى نسائنا وأبنائنا وذراريناً فاذن صلى الله عليه وسلم لهم قيل ولم يبق معه صلى الله عليه وسلم تلك الليلة الا ثلثمائة وقال من يأتينا بخبر القوم فقال الزبير رضي الله عنه انا قال صلى الله عليه وسلم ذلك ثلاثا والزبير يجيبه بما ذكر فقال النبي صلى الله عليه وسلم لكل نبي حواري أي ناصر وان حواري الزبير أي وهذا قاله صلى الله عليه وسلم له ايضا عند ارساله لكشف خبر بني قريظة هل نقضوا العهد أو لا كما تقدم وسيأتي قول ذلك له أيضا في خيبر وفي الحديث حواري الزبير من الرجال وحواري من النساء عائشة وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم قال ألا رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع اسأل الله ان يكون رفيقي في الجنة وفي لفظ يكون معي يوم القيامة وفي لفظ يكون رفيق ابراهيم يوم القيامة قال ذلك ثلاثا فما قام أحد من شدة الخوف والجوع والبرد فدعا صلى الله عليه وسلم حذيفة بن اليمان قال فلم أجد بدا من القيام حيث فوه باسمي فجئته صلى الله عليه وسلم فقال تسمع كلامي منذ الليلة ولا تقوم فقلت لا والذي بعثك بالحق

اعلم فغاضت عيناى وتوليت فبينا أنا أمشى فى سوق المدينة اذا نبطى من نبط أهل الشام ممن قدم بطعام يبيعه بالمدينة يقول من يدل على كعب بن مالك فطفق الناس يشيرون له حتى جاءنى فدفع لى كتابا من ملك غسان وكنت كاتبا فقرأته فاذا فيه اما بعد فانه بلغنا ان صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا بضيعة فالحق بنا نواسك قال فقلت حين قرأته وهذه الرسالة أيضا من البلايا فالقيتها فى التنور فسجرتها حتى اذا مضت أربعون ٣٥٦ من الخمسين واستلبث الوحى فاذا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتينى فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تعتزل امرأتك قال فقلت الحقى بأهلك فكونى معهم حتى يقضى هذا الامر قال فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله ان هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم فهل تكره أن أخدمه قال لا ولكن لا يقربنك فقالت والله مابه حركة الى شئ فوالله مازال يبكى منذ كان من أمره ما كان الى يومه هذا قال كعب فقال لى بعض أهلى لو استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أهلك قال قلت وما يدرينى ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب قال فلبثت بعد ذلك عشر ليال حتى كمل لنا خمسون ليلة من حين نهى عن كلامنا قال ثم صليت الفجر صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا فبينا أنا جالس على الحالة التى ذكر الله تعالى عنا قد ضاقت على الارض بما رحبت وضاقت على نفسى اذ سمعت صارخا أوفى على سلع يقول باعلى صوته يا كعب بن مالك ابشر فقد تاب الله عليك فخررت ساجدا لله تعالى وعلمت انه قد جاء فرج قال وآذن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بتوبة الله تعالى علينا حين صلاة الفجر فذهب الناس يبشروننا فذهب قبل صاحبى مبشرون وركض رجل على فرسا ومعه ساع من أسلم وهو حمزة بن عمرو الاسلمى رضى الله عنه وأوفى رجل على الجبل وكان الصوت اسرع الى من الفرس وجاءنى صاحب الفرس بهو الزبير بن العوام رضى الله عنه وفى رواية فلما جاءنى الذى سمعت صوته يبشرنى نزعت ثوبى له فكسونه اياهما ببشارته والله ما أملك غيرهما يومئذ واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلقانى الناس

ان قدرت أى ما قدرت على مابى من الجوع والبرد والخوف فقال اذهب حفظك الله من امامك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك حتى ترجع الينا قال حذيفة فلم يكن لى بد من القيام حين دعانى وقال ياحذيفة اذهب فادخل فى القوم فقمت مستبشرا بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنى احتملت احتمالا وذهب عنى ما كنت اجد من الخوف والبرد وعهد صلى الله عليه وسلم الى ان لا احدث حدثا وفى رواية اما سمعت صوتى قلت نعم قال فما منعك ان تجيبنى قلت البرد قال لا برد عليك حتى ترجع كما يدل على ذلك الرواية الآتية فقال ان فى القوم خبرا فاتنى بخبر القوم قال وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم لما كرر قوله الا رجل ياتينى بخبر القوم يكون معى يوم القيامة ولم يجبه احد قال أبو بكر رضى الله عنه يارسول الله حذيفة قال حذيفة فرعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما على جنة من العدو والبرد الا مر طالا مر أتى ما يجاوز ركبتى وانا جاث على ركبتى فقال من هذا قلت حذيفة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حذيفة قال حذيفة رضى الله عنه فتقاصرت بالارض قلت بلى يارسول قال قم فقمت فقال انه كائن فى القوم خبر فاتنى بخبر القوم فقلت والذى بعثك بالحق ماقمت الا حياء منك من البرد قال لا بأس عليك من حر ولا برد حتى ترجع الى فقمت والله مابى ان اقتل ولكن اخشى ان اوسر فقال انك لن توسر اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته فضيت كأنى امشى فى حمام مأخوذ من الحميم وهو الماء الحار وهو عربى قال حذيفة فلما وليت دعانى فقال لى لا تحدثن شيأ وفى رواية لا ترم بسهم ولا حجر ولا تضرب بسيف حتى تأتينى فجئت اليهم ودخلت فى غمارهم فسمعت اباسفيان يقول يامعشر قريش ليتعرف كل امرئ منكم جليسه واحذروا الجواسيس والعيون فاخذت بيد جليسى على يمينى وقلت من انت فقال معاوية ابن أبى سفيان وقبضت يدى من على يسارى وقلت من انت قال عمرو بن العاص فعلت ذلك خشية ان يفطن بى فقال أبو سفيان يامعشر قريش والله انكم لستم بدار مقام ولقد هلك الكراع والخف واخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذى نكره ولقينا من هذه الريح ما ترون فارتحلوا فانى مرتحل ووثب على جمله فاحل عقال يده الا وهو قائم أى فانه لما ركبه كان معقولا فلما ضربه وثب على ثلاثة قوائم ثم حل عقاله فقال له عكرمة بن أبى جهل انك رأس القوم وقائدهم تذهب وتترك الناس فاستحيا أبو سفيان وأناخ جمله وأخذ بزمامه وهو يقوده وقال ارحلوا فجعل الناس يرحلون وهو قائم ثم قال لعمرو بن العاص يا أبا عبد الله نقيم فى جريدة من الخيل بازاء محمد واصحابه فانا لا نأمن ان نطلب فقال عمرو انا اقيم وقال لخالد بن الوليد ما ترى ابا سليمان فقال انا أيضا اقيم فاقام عمرو وخالد فى مائتى فارس وسار جميع العسكر قال حذيفة رضى الله عنه ولولا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حين بعثنى ان لا احدث شيأ لقتلته يعنى اباسفيان بسهم وسمعت غطفان بما فعلت قريش فاشتدوا راجعين الى بلادهم وفى رواية فدخلت العسكر فاذا الناس فى عسكرهم يقولون الرحيل الرحيل لا مقام لكم والريح تقلهم

فوجا فوجا يهنونى بالتوبة يقولون بهنيئك الله بالتوبة عليك حتى دخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم حوله الناس فقام طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحنى وتلقانى والله ما قام الى رجل من المهاجرين غيره ولا أنساها الطلحة فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبرق وجهه من السرور قال ابشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك قال قلت أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله قال بل من عند الله وكان صلى الله عليه وسلم اذا سر استنار وجهه حتى كأن ٣٥٧ وجهه قطعة قمر قال وكنا نعرف ذلك منه فلما جلست بين يديه قلت يا رسول الله انما نجانى الله بالصدق وان من توبتى ان لا احدث الا صدقا ما بقيت قال فوالله ما زلت فى صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى يومى هذا وانى لارجو أن يحفظنى الله فيما بقى وجاء فى رواية قلت يا رسول الله ان من توبتى أن أنخلع من مالى صدقة الى الله ورسوله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك قال فانزل الله لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة حتى بلغ انه بهم رؤف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين قال كعب والله ما انعم الله على بنعمة قط بعد ان هدانى للاسلام أعظم فى نفسى من صدقى رسول الله أن لا أكون كذبته فاهلك كما هلك الذين كذبوا ان الله عز وجل قال للذين كذبوا حين نزل الوحى شر ما قال لاحد فقال سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم

على بعض امتعتهم وتضربهم بالحجارة والريح لا تجاوز عسكرهم فلما اتصفت الطريق اذا انا بنحو عشرين فارسا معتمين فخرج الى منهم فارسان وقالا اخبر صاحبك ان الله كفاه القوم قال حذيفة ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدته قائما يصلى فخبرته فحمد الله تعالى واثنى عليه أى وفى رواية فاخبرته الخبر فضحك حتى بدت ثناياه فى سواد الليل وعاودنى البرد فجعلت اقرقف فاومأ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فدنوت منه فسدل على من فضل شملته فنمت ولم أزل نائما حتى الصبح أى طلوع الفجر فلما ان أصبحت أى دخل وقت صلاة الصبح قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا نومان أى يا كثير النوم لان النبى صلى الله عليه وسلم انما قال له لا باس عليك من برد حتى ترجع الى أى ومن هذا أى ارسال حذيفة رضى الله عنه وما تقدم أى من ارسال الزبير رضى الله عنه تعلم ان ذلك كان فى الخندق ولا مانع منه لانه يجوز أن يكون صلى الله عليه وسلم عدل عن ارسال الزبير واختار حذيفة لامر قام عنده صلى الله عليه وسلم من جملة ذلك كون الزبير رضى الله عنه كان عنده حدة وشدة لا يملك نفسه ان يحدث بالقوم ما نهى عنه حذيفة رضى الله عنه وحينئذ يرد قول بعضهم ان الزبير انما أرسل لكشف أمر بنى قريظة هل نقضوا العهد أم لا لان كشف أمر قريش وحذيفة رضى الله عنه ذهب لكشف أمر قريش هل ارتحلوا أو لا وقد اشتبه الامر على بعض الناس فظنهما قضية واحدة فليتأمل ذلك وكان يقال لحذيفة رضى الله عنه صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى لا يعلمه غيره فقد قال حذيفة رضى الله عنه لقد حدثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كان وبما يكون حتى تقوم الساعة أى وتقدم ان ابن مسعود رضى الله عنه كان يقال له أيضا صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ذكر ابن ظفر فى ينبوع الحياة فى تفسير قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وهبت ريح الصبا ليلا فقلعت الاوتاد وألقت عليهم الابنية وكفأت القدور وسفت عليهم التراب ورمتهم بالحصا وسمعوا فى ارجاء أى نواحى معسكرهم التكبير وقعقعة السلاح أى من الملائكة فصار سيد كل حى يقول لقومه يا بنى فلان هلموا الى فاذا اجتمعوا قال النجاء النجاء فارتحلوا هربانا فى ليلتهم وتركوا ما استثقلوه من متاعهم أى والصباهى الريح الشرقية وعن ابن عباس رضى الله عنهما قالت الصبا للشمال اذهبى بنا ننصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان الحرائر لا تهب بالليل فغضب الله عليها فجعلها عقيما ويقال لها الدبور فكان نصره صلى الله عليه وسلم بالصبا وكان اهلاك عاد بالدبور وهى الريح الغربية وحين انجلاء الاحزاب قال صلى الله عليه وسلم الآن نغزوهم ولا يغزوننا وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم لسبع ليال من ذى القعدة أى بناء على انها كانت فى القعدة وهو قول ابن سعد وقيل كانت فى شوال وكان ذلك سنة خمس أى كما قاله الجمهور قال الذهبى وهو المقطوع به وقال ابن القيم انه الاصح وقال الحافظ ابن حجر هو المعتمد وقيل سنة أربع وصححه الامام النووى فى الروضة قال بعضهم وهو عجيب فانه صح ان غزوة

لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم انهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين وفى رواية عن كعب رضى الله عنه فاجتنب الناس كلامنا فلبثت كذلك حتى طال على الامر فيما تنى أهم الى من ان أموت فلا يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم أو يموت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكون من الناس بتلك المنزلة فلا يكلمنى أحد منهم ولا يصلى على قال وانزل الله توبتنا على نبيه صلى الله عليه وسلم حين بقى الثلث الاخير من الليل

ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند أم سلمة رضى الله عنها وكانت أم سلمة محسنة فى شأنى معتنية فى أمرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أم سلمة تيب على كعب فقالت يارسول الله أفلا أرسل اليه ابشره قال اذن يحطمكم الناس فيمنعونكم النوم سائر الليل حتى اذا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الفجر اذن صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا وذكر بعضهم فيمن تخلف عن غزوة تبوك أبا لبابة رضى الله عنه وانه ربط نفسه بسارية المسجد وأنزل الله توبته فى قوله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم والصحيح ان قصة أبى لبابة انما كانت فى غزوة بنى قريظة لما استشاروه فى النزول على حكم النبى صلى الله عليه وسلم فأشار لهم الى عنقه يعنى انه الذبح قال فما برحت قدماى من موضعهما حتى علمت انى خنت الله ورسوله فذهب وربط نفسه بسارية من سوارى المسجد حتى نزلت توبته وتقدمت القصة بتمامها فى غزوة بنى قريظة وان الله انزل فى ذنبه يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون الآية وانزل فى توبته وآخرون اعترفوا بذنوبهم الآية وما رجع صلى الله عليه وسلم من تبوك قبل أن يدخل المدينة جاءه جماعة من المنافقين وسألوه ان يأتى مسجدهم ليصلى فيه وهو مسجد الضرار الذى بنوه لاضرار المسلمين وتفريق كلمتهم وجماعتهم فدعا صلى الله عليه وسلم بقميصه ليلبسه ويأتيهم فأنزل الله عليه والذين اتخذوا مسجدا ضرارا الآية الى قوله والله يشهد انهم لكاذبون لا تقم فيه أبدا فدعا صلى الله عليه وسلم مالك بن الدخشن ومعن بن عدى بن عامر ابن السكن ووحشيا وقال انطلقوا الى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه واحرقوه فخرجوا مسرعين حتى أتوا بنى سالم بن عوف وهم صلى رهط مالك بن الدخشن فقال مالك انظروني حتى آتيكم بنار فدخل عند أهله فاخذ من سعف النخل فاشعله ثم خرجوا يشتدون حتى دخلوا المسجد وفيه أهله فحرقوه وهدموه وتفرق عنه أهله وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتخذوا ذلك الموضع كناسة تلقى فيه الجيف والقمامات وقدم صلى الله عليه وسلم من تبوك فى رمضان سنة تسع وبعد قدومه صلى الله عليه وسلم وجد عويمر العجلانى امرأته

بنى قريظة كانت فى الخامسة ومعلوم انها كانت عقب الخندق أى وفيه انه يجوز ان تكون بنو قريظة أوائل الخامسة والخندق اواخر الرابعة فتكون فى ذى الحجة واستدل من قال ان الخندق كانت سنة أربع بما صح عن ابن عمر رضى الله عنهما انه عرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد وهو ابن أربع عشرة سنة فلم يجزه ثم عرض عليه يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة سنة فاجازه فيكون بينهما سنة واحدة أى وكانت سنة ثلاث فيكون الخندق سنة أربع قال الحافظ ابن حجر ولا حجة فيه لاحتمال ان يكون ابن عمر رضى الله عنهما فى أحد كان اول ما طعن فى الرابعة عشر وكان فى الاحزاب قد استكمل الخمسة عشر وسبقه الى ذلك البيهقى وحينئذ يكون بين أحد والخندق سنتان كما هو الواقع لا سنة واحدة ومما وقع من الآيات فى هذه الغزوة فى مدة حفر الخندق غير ما تقدم ان بنت بشير بن سعد جاءت لابيها وخالها أى عبد الله بن رواحة بحفنة من التمر ليتغديا بها فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم هاتيه فصبته فى كفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فملأهما ثم أمر بثوب فبسطت له ثم قال لانسان عنده اصرخ فى أهل الخندق ان هلموا الى الغداء فاجتمع أهل الخندق عليه فجعلوا يأكلون منه وجعل يزيد حتى صدر أهل الخندق عنه وانه ليسقط من أطراف الثوب أى فان أهل الخندق أصابهم مجاعة قال بعض الصحابة لبثنا ثلاثة أيام لا نذوق زادا وربط صلى الله عليه وسلم الحجر على بطنه من الجوع (أقول) أورد ابن حبان فى صحيحه لما أورد الحديث الذى فيه نهيه صلى الله عليه وسلم عن الوصال وقالوا له مالك تواصل يارسول الله قال انى لست مثلكم انى أبيت يطعمنى ربى ويسقينى قال يستدل بهذا الحديث على بطلان ما ورد انه صلى الله عليه وسلم كان يضع الحجر على بطنه من الجوع لانه كان يطعم ويسقى من ربه اذا واصل فكيف يترك جائعا مع عدم الوصال حتى يحتاج الى شد الحجر على بطنه قال وانما لفظ الحديث الحجر بالزاى وهو طرف الازار فصحفوا وزادوا لفظ من الجوع وأجيب بانه لا منافاة كان صلى الله عليه وسلم يطعم ويسقى اذا واصل فى الصوم أى يصير كالطاعم والساقى تكرمة له ولا يحصل له ذلك دائما بل يحصل له الجوع فى بعض الاحايين على وجه الابتلاء الذى يحصل للانبياء عليهم الصلاة والسلام تعظيما لثوابهم والله أعلم وان جابر بن عبد الله رضى الله عنهما لما علم ما به صلى الله عليه وسلم من شدة الجوع صنع شويهة وصاعا من شعير قال جابر وانما أريد أن ينصرف معى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده فلما قلت له أمر صارخا فصرخ ان انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيت جابر بن عبد الله قال جابر فقلت انا لله وانا اليه راجعون فاقبل الناس معه أى بعضهم فجلس صلى الله عليه وسلم فاخرجناها اليه فبرك ثم سمى الله تعالى ثم أكل وتواردها الناس كلما فرغ قوم قاموا أى وذهبوا الى الخندق وجاء آخرون حتى صدر أهل الخندق عنها وهم ألف فاقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانصرفوا وان برمتنا لتغط كما هى وان عجيننا ليخبز كما هو قال وفى رواية أن جابرا رضى الله عنه لما رأى ما به صلى الله عليه وسلم من الجوع استأذن رسول الله

حبلى فقذفها بشريك بن سحماء فلاعن بينهما صلى الله عليه وسلم فى المسجد بعد العصر وقصتهما طويلة فى الصحيحين وغيرهما

﴿سرية أبى سفيان والمغيرة بن شعبة رضى الله عنهما﴾ وكانت هذه السرية بعد ان رجع صلى الله عليه وسلم من تبوك وذلك انه وفد عليه صلى الله عليه وسلم ثقيف مسلمين بعد رجوعه من تبوك وستأتى قصة وفدهم فارسل صلى الله عليه وسلم أبا سفيان والمغيرة بن شعبة رضى الله عنهما لهدم اللات بالطائف فذهبا فى بضعة عشر رجلا فهدموها ٣٥٩ حتى سووها بالارض وفى رواية ان المغيرة

صلى الله عليه وسلم فى الانصراف الى بيته فاذن له قال جابر فجئت لامرأتى وقلت لها انى رأيت برسول الله صلى الله عليه وسلم خمصا شديدا أفعندك شئ قالت عندى صاع من شعير وعناق فذبحت العناق وطحنت الشعير وجعلت اللحم فى برمة فلما امسينا جئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسارر ته وقلت له طعيم لى فقم أنت يارسول الله ورجل أو رجلان فشبك صلى الله عليه وسلم اصابعه فى اصابعى وقال كم هو فذكرت له قال كثير طيب لا تنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينكم حتى اجىء وصاح رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أهل الخندق ان جابرا قد صنع لكم سؤارا أى ضيافة فحيهلا بكم أى سيروا مسرعين وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدم الناس قال جابر رضى الله عنه فلقيت من الحياء مالا يعلمه الا الله والله انها الفضيحة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادخلوا عشرة عشرة أى بعد ان أخرجت له عجينا فبصق فيه وبارك ثم عمد صلى الله عليه وسلم الى برمتنا وبصق فيها وبارك الحديث أى ومجىء القوم كان على الوجه المتقدم وان أم عامر الاشهلية ارسلت بقصعة فيها حيس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى القبة عنده أم سلمة رضى الله عنها فأكلت أم سلمة حاجتها ثم خرج بالقصعة ونادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم هلموا الى عشائه فأكل أهل الخندق حتى نهلوا منها وهى كما هى وقد ذكر الشيخ عبد الوهاب الشعرانى رحمه الله ونفعنا ببركاته انه قدم لاربعة عشر رجلا من الفلاحين رغيفا واحدا فأكلوا منه كلهم وشبعوا قال وقدمت مرة الطاجن الذى نعمله فى الفرن الى سبعة عشر نفسا فأكلوا منه وشبعوا وذكر انه شاهد شيخه الشيخ محمد الشناوى رحمه الله ونفعنا ببركاته وقد جاء من الريف ومعه نحو خمسين رجلا ونزل بزاوية شيخه الشيخ محمد السروى فتسامع مجاورو الجامع الازهر بمجيئه فأتوا لزيارته فامتلأت الزاوية وفرشوا الحصر فى الزقاق ثم قال لنقيب شيخه هل عندك طبيخ قال نعم الطبيخ الذى أفعله لى ولزوجتى فقال له لا تعرف شيأ حتى احضر ثم غطى الشيخ الدست بردائه وأخذ المغرفة وصار يغرف الى ان كفى من فى الزاوية ومن فى الزقاق وهذا شئ رأيته بعينى هذا كلامه ولا بدع فقد ذكر غير واحد من العلماء كالحافظ ابن كثير ان كرامات الاولياء معجزات للانبياء عليهم الصلاة والسلام لان الولى انما نال ذلك ببركة متابعته لنبيه وثواب ايمانه به هذا كلامه قال وارسل أبو سفيان كتابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيه باسمك اللهم فانى احلف باللات والعزى أى واساف ونائلة وهبل كما فى لفظ لقد سرت الينا فى جمع وانا اريد ان لا أعود اليك أبدا حتى استأصلكم فرأيتك قد كرهت لقاءنا واعتصمت بالخندق أى وفى لفظ قد اعتصمت بكيدة ما كانت العرب تعرفها وانا تعرف ظل رماحها وشباسيوفها وما فعلت هذا الا فرارا من سيوفنا ولقائنا ولك منى يوم كيوم أحد فأرسل له صلى الله عليه وسلم جوابه فيه اما بعد أى بعد بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى صخر بن حرب كذا فى كلام سبط ابن الجوزى فقد اتانى كتابك وقد يمانعرك بالله الغرور أما ما ذكرت انك سرت الينا وأنت لا تريد ان تعود

أراد أن يقدم أبا سفيان فى هدمها فأبى ذلك أبو سفيان عليه وقال ادخل أنت على قومك فلما دخل المغيرة عمدا لها اليضربها بالمعول أى الفاس العظيم التى يقطع بها الصخر وقام قومه دونه يحمونه خشية أن يرميه أحد بسهم وخرج نساء ثقيف من الحجال حسرا أى مكشوفات يبكين على الطاغية وكانوا يظنون انه لا يمكن هدمها لانها تمنع من ذلك وفى رواية وأراد المغيرة أن يسخر بثقيف فقال لاصحابه لاضحككم من ثقيف فلما علا على الطاغية ليهدمها ألقى نفسه وفى لفظ أخذ يرتكض فصاحوا صيحة واحدة فقالوا ابعد الله المغيرة قتلته الربة وقالوا والله لا يستطيع هدمها فوثب وقال لهم قبحكم الله انما هى لكاع حجارة ومدر فاقبلوا عافية الله واعبدوه ثم أخذ فى هدمها فهدمها الى أن كسر بابها وهدم أساسها وأخرج ترابه لما سمع سادنها يقول ليغضبن الاساس فليخسفن بهم ثم أخذوا حليتها وكسوتها وما فيها من طيب وذهب وفضة وأقبلوا حتى دخلوا عليه صلى الله عليه وسلم فحمد الله على نصره واعزاز دينه والله أعلم

﴿سرية جرير بن عبد الله البجلى رضى الله عنه﴾

الى ذى الخلصة بفتح المعجمة واللام بعدها مهملة وذو الخلصة اسم بيت كان فيه صنم لقوم جرير وكانت هذه السرية قبل وفاته صلى الله عليه وسلم بنحو شهرين قال جرير رضى الله عنه قال لى النبى صلى الله عليه وسلم الا تريحنى من ذى الخلصة فقلت بلى فانطلقت فى خمسين ومائة فارس من أحمس وكانوا أصحاب خيل وكنت لا أثبت على الخيل فذكرت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فضرب فى صدرى وقال اللهم ثبته واجعله هاديا مهديا فما وقعت عن فرس بعد وكان ذو الخلصة بيتا فى اليمن لخثعم وبجيلة يقال له الكعبة فانطلق اليها

فكسرها وحرقها ثم بعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول جرير والذى بعثك بالحق ما جئت حتى تركتها كأنها جمل أجرب فبارك فى خيل احمس ورجالها خمس مرات وروى الطبرانى عن جرير قال بعثنى النبى صلى الله عليه وسلم الى اليمن أقاتلهم وأدعوهم أن يقولوا لا اله الا الله قال الحافظ ابن حجر والذى يظهر أنه غير بعثه الى الصنم ويحتمل أنه بعثه الى الجهتين على الترتيب ويؤيده ما وقع عند ابن حبان فى حديث جرير ٣٦٠ انه صلى الله عليه وسلم قال له يا جرير انه لم يبق من طواغيت الجاهلية الا بيت ذى الخلصة فانه يشعر بتأخير هذه القصة جدا وقد شهد جرير حجة الوداع فكان ارساله بعدها فهد مها ثم توجه الى اليمن ولما رجع بلغته وفاة النبى صلى الله عليه وسلم وحكى بعضهم ان موضع ذى الخلصة صار مسجدا جامعا بالبلدة يقال لها العبلات من أرض خثعم والله أعلم

﴿سرية اسامة بن زيد رضى الله عنهما﴾

الى أبنى بضم الهمزة وسكون الباء الموحدة وفتح النون فالف مقصورة وهى ناحية بالبلقاء من أرض الشام وهى آخر السرايا كما ان غزوة تبوك آخر الغزوات لما كان يوم الاثنين لاربع ليال بقين من صفر سنة احدى عشرة من الهجرة أمر صلى الله عليه وسلم بالتهيئ لغزو الروم فلما كان من الغد دعا اسامة بن زيد فقال سر الى موضع قتل ابيك فأوطئهم الخيل فقد وليتك هذا الجيش فاغز صباحا على أهل أبنى وحرق عليهم وأسرع السير لتسبق الاخبار فان اظفرك الله عليهم فأقل اللبث فيهم وخذ معك الادلاء وقدم العيون والطلائع معك فلما كان يوم الاربعاء بدأبه صلى الله عليه وسلم وجعه فحم وصدع فلما أصبح يوم الخميس عقد صلى الله عليه وسلم لاسامة لواء بيده ثم قال اغز بسم الله وفى سبيل الله فقاتل من كفر بالله فخرج بلوائه معقودا فدفعه الى بريدة وعسكر بالجرف فلم يبق أحد من المهاجرين الاولين والانصار الا انتدب لذلك وتهيأ للخروج منهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح وسعد بن أبى وقاص رضى الله عنهم فتكلم قوم وقالوا يستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على المهاجرين الاولين والانصار هذا الغلام وكان سن اسامة سبع عشرة سنة وقيل تسع عشرة سنة وقيل عشرين فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالتهم فغضب غضبا

حتى تستأصلنا فذلك أمر يحول الله بينك وبينه ويجعل لنا العاقبة وليأتين عليك يوم اكسر فيه اللات والعزى واسافا ونائلة وهبل حتى اذكرك ذلك يا سفيه بنى غالب انتهى

﴿غزوة بنى قريظة﴾

وهم قوم من اليهود بالمدينة من حلفاء الاوس وسيد الاوس حينئذ سعد بن معاذ رضى الله عنه كما تقدم لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق وكان وقت الظهيرة أى وقد صلى الظهر ودخل بيت عائشة رضى الله عنها وقيل زينب بنت جحش رضى الله عنها ودعا بماء فبينما هو صلى الله عليه وسلم يغتسل أى غسل شق رأسه الشريف وفى رواية بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغسل يرجل رأسه قدرجل أحد شقيه أى وفى رواية غسل رأسه واغتسل ودعا بالمجمرة ليتبخر أتى جبريل عليه السلام النبى صلى الله عليه وسلم معتجرا بعمامة أى سوداء من استبرق وهو نوع من الديباج مرخيا منها بين كتفيه وفى رواية عليه لامته ولا معارضة لانه يجوز أن يكون الاعتجار بالعمامة على تلك اللامة وهو على بغلة أى شهباء عليها قطيفة وهى كساء له وبر من ديباج أى أحمر وفى رواية جاءه على فرس أبلق فقال أوقد وضعت السلاح يا رسول الله قال نعم قال جبريل عليه السلام ما وضعت السلاح وفى رواية ما وضعت ملائكة الله السلاح بعد قال وفى رواية انه قال يا رسول الله ما اسرع ما حللتم عذيرك من محارب عفا الله عنك أى من يعذرك وفى لفظ غفر الله لك أوقد وضعتم السلاح قبل أن تضعه الملائكة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال فوالله ما وضعناه وفى لفظ ما وضعت الملائكة السلاح منذ نزل بك العدو وما رجعنا الا الآن الا من طلب القوم يعنى الاحزاب حتى بلغنا الاسد انتهى أى حمراء الاسد ان الله يأمرك يا محمد بالمسير الى بنى قريظة فانى عامد اليهم زاد فى رواية بمن معى من الملائكة فزلزل بهم الحصون زاد فى رواية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى أصحابى جهدا فلو نظرتهم أياما فقال جبريل عليه السلام انهض اليهم فوالله لادقنهم كدق البيض على الصفا ولادخلن فرسى هذا عليهم فى حصونهم ثم لاضعضعنها فاد برجبريل عليه السلام ومن معه من الملائكة حتى سطع الغبار فى زقاق بنى غنم وهم طائفة من الانصار وفى البخارى عن أنس قال كأنى أنظر الى الغبار ساطعا فى زقاق بنى غنم موكب جبريل عليه السلام حين سار لبنى قريظة والموكب بكسر الكاف اسم لنوع من السير وعن عائشة رضى الله عنها انها قالت لما رجع النبى صلى الله عليه وسلم يوم الخندق بينا هو عندى اذ دق الباب أى وفى رواية نادى منادأى فى موضع الجنائز عذيرك من محارب ٥ أى من يعذرك فارتاع لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم أى فزع ووثب وثبة منكرة وخرج فخرجت فى اثره فاذا رجل على دابة والنبى صلى الله عليه وسلم متكئ على معرفة الدابة يكلمه فرجعت فلما دخل قلت من ذلك الرجل الذى كنت تكلمه قال ورأيته قلت نعم قال بئن تشبهينه قلت بدحية الكلبى قال ذاك بكسر

شديد الخرج وقد عصب رأسه بعصابة وعليه قطيفة فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال اما بعد أيها الناس فما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري اسامة والله طعنتم في امارته فلقد طعنتم في امارة أبيه من قبله وأيم الله ان كان لخليقا بالامارة وان ابنه من بعده لخليق بالامارة وان كان من أحب الناس الي وانه لمظنة لكل خير فاستوصوا به خيرا فانه من خياركم ثم نزل فدخل بيته وذلك في يوم السبت لعشر خلون من شهر ربيع الاول سنة احدى عشرة وجاء المسلمون الذين ٣٦١ يخرجون مع اسامة يودعون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخرجون الى المعسكر بالجرف وثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول انفذوا بعث اسامة واستثنى أبا بكر وأمره بالصلاة بالناس فلا منافاة بين من روى ان أبا بكر رضي الله عنه كان من ذلك الجيش ومن روى انه تخلف لانه كان من جملة الجيش أولا ثم تخلف لما استثناه صلى الله عليه وسلم وأمره بالصلاة بالناس وبهذا يرد قول بعض الرافضة طعنا في أبي بكر رضي الله عنه انه تخلف عن جيش اسامة وانه صلى الله عليه وسلم لعن المتخلف عن جيش اسامة لما علمت ان تخلفه كان بامر منه صلى الله عليه وسلم لاجل صلاته بالناس وفيه اشارة الى انه الخليفة بعده وأما اللعن الذي ذكروه فلم يرد في حديث فلما كان يوم الاحد اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه فجاء اسامة رضي الله عنه فطأطأ فقبله صلى الله عليه وسلم وهو لا يتكلم ثم جعل يرفع يديه الى السماء ثم يضعهما على اسامة قال اسامة فعرفت انه يدعو لي ثم رجع اسامة الى معسكره ثم دخل عليه صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين فقال له اغد على بركة الله فودعه اسامة وخرج الى معسكره وأمر الناس بالرحيل

الكاف جبريل عليه السلام أمرني أن أمضي الى بني قريظة أي وهذا يؤيد أنه صلى الله عليه وسلم كان عند منصرفه من الخندق في بيت عائشة وأبرز رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذنا أي وهو بلال كما في سيرة الحافظ الدمياطي فاذن في الناس من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر اي وفي رواية الظهر الا ببني قريظة قال في النور والجمع بينهما أن الامر بعد دخول وقت الظهر بالمدينة وقد صلى بعضهم دون بعض فقيل للذين لم يصلوا الظهر لا تصلوا الظهر الا في بني قريظة وقيل للذين صلوها لا تصلوا العصر الا في بني قريظة وفي رواية بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ منادا يا خيل الله أي يا فرسان خيل الله اركبي ثم سار اليهم قال وقد لبس صلى الله عليه وسلم السلاح الدرع والمغفر والبيضة وأخذ قناة بيده الشريفة وتقلد السيف وركب فرسه اللجيف بالضم وقيل ركب حمارا وهو اليعفور عريانا والناس حوله قد لبسوا السلاح وركبوا الخيل وهم ثلاثة آلاف والخيل ستة وثلاثون فرسا له صلى الله عليه وسلم منها ثلاثة واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم رضي الله عنه وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه برايته الى بني قريظة أي وفي رواية دفع اليه لواءه وكان اللواء على حاله لم يحل من مرجعه من الخندق ومر صلى الله عليه وسلم بنفر من بني النجار قد لبسوا السلاح فقال هل مر بكم أحد قالوا نعم دحية الكلبي مر على بغلة بيضاء أي وفي رواية على فرس أبيض عليه اللامة وأمرنا بحمل السلاح وقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلع عليكم الآن فلبسنا سلاحنا وصففنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك جبريل عليه السلام بعث الى بني قريظة ليزلزل حصونهم ويقذف الرعب في قلوبهم فلما دنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه من الحصن أي ومعه نفر من المهاجرين والانصار وغرز اللواء عند أصل الحصن سمع من بني قريظة مقالة قبيحة في حقه صلى الله عليه وسلم أي وحق أزواجه أي فسكت المسلمون وقالوا السيف بيننا وبينكم فلما رأى علي كرم الله وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا أمر أبا قتادة الانصاري رضي الله عنه أن يلزم اللواء ورجع اليه صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الاخابث قال لعلك سمعت منهم لي أذى قال نعم يا رسول الله قال لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيأ فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم قال يا اخوان القردة هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته قال وفي رواية نادى بأعلى صوته نفرا من أشرافهم حتى أسمعهم وقال أجيبوا يا اخوة القردة والخنازير وعبدة الطاغوت أي وهو ما عبد من دون الله كما تقدم هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته أتشتمونني فجعلوا يحلفون ويقولون ما قلنا اه ويقولون يا أبا القاسم ما كنت جهولا أي وفي لفظ ما كنت فاحشا وفي رواية تقدمه صلى الله عليه وسلم الى يهود أسيد بن حضير رضي الله عنه فقال لهم يا أعداء الله لا تبرحوا من حصنكم حتى تموتوا جوعا انما أنتم بمنزلة ثعلب في جحر فقالوا يا ابن الحضير نحن مواليك وخارر وا أي خافوا قال لا عهد بيني وبينكم وتقدم أسيد الى بني قريظة يجوز أن يكون قبل مقدم علي لهم ويجوز

٤٦ سيره ثاني فبينما هو يريد الركوب وفي رواية سار حتى بلغ الجرف فأرسلت اليه امرأته فاطمة بنت قيس تقول لا تحمل فان رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقيل فأقبل وأقبل معه عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم وانتهوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد توفي حين زاغت الشمس فدخل المسلمون الذين عسكروا بالجرف الى المدينة ودخل بريدة بلواء اسامة معقودا حتى أتى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فغرزه عنده فلما بويع لابي بكر رضي الله عنه أمر بريدة ان يذهب باللواء الى بيت اسامة وان

يمضى اسامة لما أمر ولما اشتهرت وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ظهر النفاق وقويت شوكة أهله وقويت نفوس أهل النصرانية واليهودية ومن كان يرغب فيهم وصارت المسلمون كالغنم المطيرة فى الليلة الشاتية وارتدت طوائف من العرب وقالوا نصلى ولا ندفع الزكاة وكل ذلك ظهر قبل ان يتوجه جيش اسامة فعند ذلك كلم الناس أبا بكر رضى الله عنه ان يمنع اسامة من السفر وقالوا كيف يتوجه هذا الجيش الى الروم وقد ارتدت العرب ٣٦٢ حول المدينة فأبى أبو بكر رضى الله عنه ان يمنع اسامة من الخروج وقال

أن يكون بعده وانما قال لهم يا اخوان القردة والخنازير لان اليهود مسخ شبانهم قردة وشيوخهم خنازير عند اعتدائهم يوم السبت بصيد السمك وقد حرم عليهم ذلك كسائر الاعمال وقد أمرهم ان يتفرغوا العبادة ربهم فى ذلك اليوم وكان ذلك فى زمن داود عليه السلام فلما مسخوا خرجوا من تلك القرية هائمين على وجوههم متحيرين فشوا ثلاثة أيام لا يأكلون ولا يشربون ثم ماتوا وهذا دليل لمن يقول ان الممسوخ لا يعيش أكثر من ثلاثة أيام ولم يحصل منه توالد ولا تناسل وفى الكشاف قيل ان أهل ايلة أى وهى قرية بين مصر ومدين لما اعتدوا فى السبت قال داود عليه الصلاة والسلام اللهم العنهم واجعلهم للناس آية فمسخوا قردة ولما كفر أصحاب عيسى عليه الصلاة والسلام بعد المائدة قال عيسى اللهم عذب من كفر بعد ما أكل من المائدة عذابا لم تعذبه أحدا من العالمين والعنهم كما لعنت أصحاب السبت فأصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ما فيهم امرأة ولا صبى هذا كلامه فلينأمل فمكثوا ثلاثة أيام لا يأكلون ولا يشربون فماتوا ثم ان جماعة من الصحابة شغلهم ما لم يكن لهم منه بد عن المسير لبنى قريظة ليصلوا بها العصر فاخروا صلاة العصر الى ان جاؤا بعد عشاء الآخرة امتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم لا يصلين العصر الا فى بنى قريظة فصلوا العصر بها بعد عشاء الآخرة أى وبعضهم قال نصلى ما يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم منا أن ندع الصلاة ونخرجها عن وقتها وانما أراد الحث على الاسراع فصلوها فى أماكنهم ثم ساروا ○ فما عابهم الله فى كتابه ولا عنفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أى لان كلا من الفريقين تأول قال فى الهدى كل من الفريقين مأجور بقصده الا أن من صلى حاز الفضيلتين ولم يعنف الذين أخروها لقيام عذرهم فى التمسك بظاهر الامر وهو دليل على أن كل مختلف فى الفروع من المجتهدين مصيب وادعى ابن التين رحمه الله ان الذين صلوا العصر صلوها على ظهور دوابهم قال لانهم لو صلوا نزولا لكان مضادة لما أمروا به من الاسراع ولا يظن ذلك مع تقرب افهامهم قال الحافظ ابن حجر رحمه الله وفيه نظر لانه لم يأمرهم بترك النزول ولم أرانهم صلوا ركبانا فى شئ من طرق القصة والتعليل بالاسراع يقتضى انهم صلوا على ظهور دوابهم سائرة لا واقفة وحاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى قريظة خمسا وعشرين ليلة وقيل خمسة عشر يوما أى وقيل شهرا وكان طعام الصحابة التمر يرسل به اليهم سعد بن عبادة رضى الله عنه أى يجاء به من عنده وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ نعم الطعام التمر ○ حتى جهدهم الحصار وقذف الله فى قلوبهم الرعب وكان حيى بن أخطب دخل مع بنى قريظة حصنهم حين رجعت الاحزاب وفاء لكعب بما كان عاهده عليه أى كما تقدم فلما أيقنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير منصرف عنهم حتى يناجزهم أى يقاتلهم قال كبيرهم كعب بن أسيد يا معشر يهود قد نزل بكم من الامر ما ترون وانى عارض عليكم خلالا ثلاثا أيها شئتم قالوا وما هى قال نتابع هذا الرجل ونصدقه فوالله لقد تبين لكم أنه نبى مرسل وأنه الذى تجدونه فى كتابكم فتأمنون على دمائكم وأموالكم ونسائكم وأبنائكم

وشبانكم قالوا لا نفارق حكم التوراة ولا نستبدل به غيره قال فان أبيتم على هذه فهلموا فلنقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج إليهم رجالا مصلتين السيوف لم نترك وراءنا ثقلا يهمنا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد فان نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلا يهمنا وان نظهر لنجدن النساء والابناء قالوا نقتل هؤلاء المساكين فما خير العيش بعدهم قال فان أبيتم على هذه فان الليلة ليلة السبت وعسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنوا فيها فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرة قالوا نفسد سبتنا ونحدث فيه ما لم يكن أحدثه من كان قبلنا فأصابه ما قد علمت وما قد بلغك قال ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه من هذا اليوم حازما ليلة واحدة فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرة فقالوا نفعل فلما أبوا عليه بعث إليهم أن ابعثوا إلينا بالذرارى والنساء نستعين بهم على الجلاء عن بلدنا فبعثوا إليه بالذرارى والنساء فلما رأوا أن قد عزم على الجلاء وأن قد دفعوا إليه ما دفعوا قالوا له ان كنت صادقا فى أن تجالد معنا فاضرم نارا وألق فيها سلاحك ثم اقتحم فيها حتى نعلم أنك لا تريد الرجعة إلى ما كنت عليه وأن ما تريد الجلاء عن بلدك فلما فعل ذلك ألقى سلاحه ثم اقتحم فيها فلما رأوا ذلك أيقنوا بالهلكة وأن لا نصر لهم ولا وفاء فى عهدهم فأرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ابعث إلينا أبا لبابة نستشيره فى أمرنا وكان أبو لبابة حليفا لهم وكان له عندهم مال وولد وكانوا قد استشاروه فى النزول على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشار إليهم أنه الذبح فلما أرسلوا إليه أن ابعث إلينا أبا لبابة نستشيره فى أمرنا رق له رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثه إليهم فلما رأوه قام إليه الرجال وجهش النساء والصبيان فى وجهه بالبكاء فرق لهم فقالوا يا أبا لبابة أترى أن ننزل على حكم محمد فقال نعم وأشار بيده إلى حلقه أنه الذبح ثم ندم فى الحال على ما فعل وعلم أنه خان الله ورسوله فانطلق على وجهه ولم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ارتبط فى المسجد بحبل وحلف لا يحله أحد حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يحله فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره قال أما لو جاءنى لاستغفرت له فأما إذ قد فعل ما فعل فما أنا بالذى أحله حتى يتوب الله عليه فمكث أبو لبابة مرتبطا بالجذع ست ليال تأتيه امرأته عند كل صلاة فتحله للصلاة ثم يعود فيرتبط بالجذع فلما تاب الله عليه قيل له يا أبا لبابة قد تيب عليك فقال لا والله حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يحلنى بيده فلما مر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صلاة الصبح حله بيده ثم قال أبو لبابة من توبتى أن أهجر دار قومى التى أصبت فيها الذنب وأن أنخلع من مالى كله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجزيك الثلث أن تتصدق به وقال ثكلتك أمك وعدمتك يا ابن الخطاب استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وتأمرنى ان انزعه فخرج عمر رضى الله عنه الى الناس فقال امضوا ثكلتكم امهاتكم ما لقيت اليوم بسببكم من خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ولعل الذين قالوا ذلك من الانصار لم يكونوا سمعوا من النبى صلى الله عليه وسلم الانكار على من طعن فى ولاية اسامة رضى الله عنه ولا بلغهم أو جوزوا ان الصديق يوافق على ذلك حيث رأى فيه مصلحة وسيدنا عمر رضى الله عنه يكون جوز ذلك أيضا ثم

كلم أبو بكر رضي الله عنه اسامة في عمر رضي الله عنه ان يأذن له في التخلف ليستعين به الصديق رضي الله عنه في مشورته وأمره الخلافة ففعل وكان استئذان أبي بكر لاسامة رضي الله عنهما تطييبا لقلبه فلما كان هلال شهر ربيع الآخر سنة احدى عشرة خرج اسامة رضي الله عنه في ثلاثة آلاف فيهم ألف فرس وودعه أبو بكر رضي الله عنه بعد ان سار الى جانبه ساعة ماشيا واسامة رضي الله عنه راكب وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه يقود براحلة الصديق

رضي الله عنه فقال اسامة يا خليفة رسول الله اما ان تركب واما ان انزل فقال والله لست بنازل ولست براكب ثم قال له الصديق استودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك ثم ان اسامة رضي الله عنه سار الى أهل أبنى فشن عليهم الغارة أي فرق الناس عليهم وكان شعارهم يا منصور أمت فقتل من قتل وأسر من أسر وحرق منازلهم وحرث أرضها وافزل نخلها وأجال الخيل في عرصاتهم ولم يقتل من المسلمين أحد وكان أسامة رضي الله عنه على فرس أبيه وقتل قاتل أبيه وأسهم للفارس سهمين وللراجل سهما وأخذ لنفسه مثل ذلك فلما أمسى أمر الناس بالرحيل وأسرع السير وبعث مبشرا الى المدينة بسلامتهم وخرج أبو بكر في المهاجرين والانصار ممن لم يكن في تلك السرية يتلقون أسامة ومن معه وسروا بسلامتهم ودخل أسامة واللواء بين يديه حتى انتهى الى باب المسجد فدخل فصلى ركعتين ثم انصرف الى بيته وكان في خروج هذا الجيش نعمة عظيمة فانه كان سببا لعدم ارتداد كثير من طوائف العرب أرادوا ذلك وقالوا لولا قوة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ما خرج مثل هؤلاء من عندهم فثبتوا على الاسلام وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى بعد أن ولي الخلافة اذا رأى أسامة رضي الله عنه قال السلام عليك أيها الامير فيقول أسامة غفر الله لك يا أمير المؤمنين تقول لي هذا فيقول لا أزال أدعوك ما عشت الامير مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت علي أمير وقد كان أسامة رضي الله عنه يدعى حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن حبه وفي الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم كان يأخذ أسامة والحسن رضي الله عنهما فيقول اللهم احبهما فاني أحبهما وفي حديث المخزومية التي سرقت وأراد صلى الله عليه وسلم قطع يدها فلم يجسر أحد أن يكلمه

قال وزاد في لفظ آخر وما منعنا من الدخول معه الا الحسد للعرب حيث لم يكن من بني اسرائيل ولقد كنت كارها النقض العهد ولم يكن البلاء والشؤم الا من هذا الجالس يعني حيي بن أخطب أتذكرون ما قال لكم ابن خراش حين قدم عليكم انه يخرج بهذه القرية نبي فاتبعوه وكونوا له أنصارا وتكونوا آمنتم بالكتابين الاول والآخر اه أي التوراة والقرآن أي وكانت يهود بني قريظة يدرسون ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتبهم ويعلمون الولدان صفته وان مهاجره المدينة وفيه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كانت يهود بني قريظة وبني النضير وفدك وخيبر يجدون صفة النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث وان دار هجرته المدينة ولما قال لهم كعب ذلك قالوا لا نفارق حكم التوراة أبدا ولا نستبدل به غيره قال كعب فاذا أبيتم علي هذه فهلم فلنقتل ابناءنا ونساءنا ثم نخرج الى محمد وأصحابه رجالا مصلتين السيوف ولم نترك وراءنا ثقلا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد فان نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلا أي ولدا يخشى عليه وان نظفر فلعمري لنجدن النساء والابناء قالوا نقتل هؤلاء المساكين فما خير العيش بعدهم قال فان أبيتم علي هذه فان الليلة ليلة السبت وان عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنوا فيها فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرة أي غفلة فقالوا نفسد سبتنا ونحدث فيه ما لم يحدث فيه من كان قبلنا الا من قد علمت وأصابه ما لم يخف عليك من المسخ قال وقال لهم عمرو بن سعدى قد خالفتم محمدا فيما جاءكم به أي عاهدتموه عليه ولم أشركم في غدركم فان أبيتم ان تدخلوا معه فائتوا على اليهودية واعطوا الجزية فوالله ما أدري يقبلها أم لا قالوا نحن لا نفر للعرب بخراج في رقابنا يا أخدونه القتل خير من ذلك قال فاني بريء منكم وخرج في تلك الليلة فمر بحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه محمد بن مسلمة فقال محمد بن مسلمة من هذا قال عمرو بن سعدى قال مر اللهم لا تحرمني اقالة عثرات الكرام وخلى سبيله وبعد ذلك لم يدر أين هو وقيل وجدت رمته وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره فقال ذلك رجل نجاه الله بوفائه وفي لفظ انه قال لهم قبل ان يقدم النبي صلى الله عليه وسلم لحصارهم يا بني قريظة لقد رأيت عبرا رأيت دار اخواننا يعني بني النضير خالية بعد ذلك العز والخلد والشرف والرأي الفاضل والعقل تركوا أموالهم قد تملكها غيرهم وخرجوا خروج ذل لا والتوراة ما ساط هذا على قوم قط ولله بهم حاجة وقد أوقع بني قينقاع وكانوا أهل عدة وسلاح ونخوة فلم يخرج أحد منهم رأسه حتى سباهم فكلم فيهم فتركهم على اجلائهم من يثرب يا قوم قد رأيتم ما رأيتم فأطيعوني وتعالوا نتبع محمدا فوالله انكم لتعلمون انه نبي وقد بشر به علماؤنا ثم لا زال يخوفهم بالحرب والسبي والجلاء ثم أقبل على كعب بن أسيد وقال والتوراة التي انزلت على موسى عليه السلام يوم طور سيناء انه للعز والشرف في الدنيا فبينما هم على ذلك لم يرعهم الا مقدمة النبي صلى الله عليه وسلم قد حلت بساحتهم فقال هذا الذي قلت لكم أي وبعد الحصار قيل أرسلوا بنبش بن قيس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزلوا على ما نزلت عليه بنو النضير من ان

صلى الله عليه وسلم غير اسامة بن زيد رضى الله عنهما فكلمه فقال صلى الله عليه وسلم أتشفع فى حد من حدود الله ومناقبه رضى الله عنه كثيرة توفى بالمدينة أو بوادى القرى سنة خمس أو أربع وخمسين وهو ابن خمس وسبعين سنة والله أعلم ومما ينبغى ان يلحق بالغزوات والسرايا بعوثه صلى الله عليه وسلم ﴿بعث الصديق رضى الله عنه﴾ بعث صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضى الله عنه فى السنة التاسعة يحج بالناس وأما فى السنة الثامنة فأمر عتاب بن أسيد رضى الله عنه ان يحج بالناس وكان أميرا على أهل مكة كما تقدم فى قصة فتح مكة فخرج أبو بكر رضى الله عنه فى ثلثمائة رجل من المدينة وبعث صلى الله عليه وسلم معه بعشرين بدنة قلدها وأشعرها بيده الشريفة وساق أبو بكر رضى الله عنه خمس بدنات ثم تبعه على رضى الله عنه على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم القصواء بفتح القاف والمد وقيل بالضم والقصر فقال له أبو بكر رضى الله عنه استعملك رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحج قال لا ولكن بعثنى اقرأ براءة على الناس وانبذ الى كل ذى عهد عهده وكان العهد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين عاما وخاصا فالعام ان لا يصد أحد عن البيت اذا جاءه ولا يخاف أحد فى الاشهر الحرم والخاص بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قبائل العرب الى آجال مسماة وكانت عادة العرب ان لا ينبذ العهد الا من كان قريبا ممن أراد النبذ فلذلك بعث صلى الله عليه وسلم عليا رضى الله عنه ولم يكتف بأبى بكر رضى الله عنه فمضى أبو بكر رضى الله عنه فحج بالناس قيل كان الحج ذلك العام فى ذى القعدة للنسىء الذى كانوا يصنعونه والصحيح انه كان فى ذى الحجة وجاء فى رواية انه بعد ان توجه أبو بكر رضى الله عنه من المدينة نزلت سورة براءة فقيل له صلى الله عليه وسلم صلى

لو بعثت بها أبا بكر فقال صلى الله عليه وسلم لا يؤدى عنى الا رجل من أهل بيتى ثم دعا عليا رضى الله عنه فقال اخرج بصدر براءة وأذن فى الناس يوم النحر اذا اجتمعوا بمنى فقرأ على بن أبى طالب رضى الله عنه براءة يوم النحر وقال لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان لانهم كانوا يحجون مع المسلمين و يرفعون أصواتهم بقولهم لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك وكانوا يطوفون عراة

لهم ما حملت الابل الا الحلقة فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحقن دماءهم و يسلم لهم نساءهم والذرية فارسلوه ثانيا بأنه لا حاجة لهم بشئ من الاموال لا من الحلقة ولا من غيرها فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أن ينزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعاد نباش اليهم بذلك اه ثم انهم بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أبعث الينا أبا لبابة أى وهو رفاعة بن المنذر لنستشيره فى أمرنا أى لانه كان من حلفاء الاوس و بنو قريظة منهم وفى لفظ وكان أبو لبابة مناصحا لهم لان ماله و ولده وعياله كانت فى بنى قريظة فأرسله صلى الله عليه وسلم اليهم فلما رأوه قام اليه الرجال وجهش أى أسرع اليه النساء والصبيان يبكون فى وجوههم من شدة المحاصرة وتشتيت مالهم فرق لهم وقالوا يا أبا لبابة أترى أن ننزل على حكم محمد قال نعم وأشار بيده الى حلقه أى انه الذبح أى وفى لفظ ما ترى ان محمدا قد أبى أن لا ننزل الا على حكمه قال فانزلوا أو ما الى حلقه و يروى انهم قالوا له ما ترى انزل على حكم سعد بن معاذ فأومأ و ما أبو لبابة بيده الى حلقه انه الذبح فلا تفعلوا قال أبو لبابة رضى الله عنه فوالله ما زالت قدماى من مكانهما حتى عرفت انى خنت الله ورسوله أى لان فى ذلك تنفير الهم عن الانقياد له صلى الله عليه وسلم ومن ثم انزل الله فيه يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول الآية أى وقيل نزل وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ عسى الله أن يتوب عليهم الآية وهذا اثبت من الاول وقد يقال كلا هما نزل فيه تلك الآية فى توجه اللوم عليه وهذه فى توبته لا يقال هى ليست نصا فى توبة الله عليه لانا نقول الترجى فى حقه تعالى أمر محقق وعن أبى لبابة رضى الله عنه لما أرسلت بنو قريظة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه أن يرسلنى اليهم دعانى قال اذهب الى حلفائك فانهم ارسلوا اليك من بين الاوس فذهبت اليهم فقام كعب بن أسيد فقال يا أبا بشير قد عرفت ما بيننا وقد اشتد علينا الحصار وهلكنا ومحمد لا يفارق حصننا حتى ننزل على حكمه فلو زال عنا لحقنا بأرض الشام أو خيبر ولم نطأ له أرضا ولم نكثر عليه جمعا أبدا ما ترى قد اخترنا لك على غيرك انتنزل على حكم محمد قال أبو لبابة نعم فانزلوا و أومأ الى حلقه بالذبح قال فندمت واسترجعت فقال لى كعب مالك يا أبا لبابة فقلت خنت الله ورسوله فنزلت وان عينى لتسيل من الدموع ثم انطلق أبو لبابة على وجهه فلم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتبط بالمسجد الى عمود من عمده أى وهى السارية و يقال لها الاسطوانة وهى التى كانت عند باب أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم فى حرشد يد وقيل الاسطوانة المخلقة التى يقال لها اسطوانة التوبة والاول اثبت وكانت تلك الاسطوانة أكثر تنفلا صلى الله عليه وسلم عندها وكان ينصرف اليها من صلاة الصبح فكان يستبق اليها الفقراء والمساكين ومن لا بيت له الا المسجد فيجىء اليهم صلى الله عليه وسلم و يتلو عليهم ما انزل من ليلته و يحدثهم و يحدثونه وكان ارتباطه بسلسلة ريوض أى ثقيلة وقال والله لا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله على مما صنعت وعاهد الله أن لا يطأ بنى قريظة أبدا ولا يرى فى بلد خان الله ورسوله فيه أبدا فلما بلغ رسول الله

بالليل وليس على رجل منهم ثوب و يقول الواحد منهم أطوف بالبيت كما ولدتني أمي ليس علي شيء من الدنيا خالطه الظلم وكان لا يطوف من أراد الثياب منهم الا بثوب من ثياب الحمس وهم قريش يستعيره أو يكتريه واذا طاف بثوب من ثيابه ألقاه بعد طوافه فلا يمسه وقيل كانت المرأة تلبس درعا مفرجا وقد كانت امرأة تطوف وهي عارية ويدها على قبلها وهي تقول

اليوم يبدو بعضه أو كله * فما بدا منه فلا أحله

وفي ايجاب ستر العورة ٣٦٥ أنزل الله تعالى يا بني آدم خذوا زينتكم الآية وفي رواية لما لحق علي أبا بكر رضي الله عنه قال له أمير أو مأمور قال بل مأمور فكان علي رضي الله عنه في تلك السفرة يصلي خلف أبي بكر الى ان رجع الى المدينة وفي ذلك رد على الرافضة قبحهم الله فانهم زعموا ان النبي صلى الله عليه وسلم عزل أبا بكر رضي الله عنه عن امارة الحج بعلي وقد تواتر ان أبا بكر رضي الله عنه لم يعزل وانه حج بالناس وكان علي من جملة رعيته في تلك السفرة و يصلي خلفه الى ان رجعوا الى المدينة وفي حديث جابر رضي الله عنه في هذه القصة قام أبو بكر رضي الله عنه فخطب الناس فحدثهم عن مناسكهم حتى اذا فرغ قام علي رضي الله عنه فقرأ على الناس براءة وجاء في رواية انه فعل ذلك بمكة يوم التروية وفعل مثله يوم عرفة ثم يوم النحر ثم يوم النفر فيحمل على تعدد وقوع ذلك و بذلك يجمع بين الروايات وكان هلاك رأس المنافقين عبد الله بن أبي ابن سلول في السنة التاسعة في ذي القعدة وجاء ابنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان أبي احتضر فاحب أن تشهده وتصلي عليه قال ما اسمك قال الحباب فقال بل أنت عبد الله الحباب اسم الشيطان وكان من

صلى الله عليه وسلم خبره وكان قد استبطأه قال ما الوجاء في لا ستغفرت له وأما اذ فعل ما فعل فما أنا الذي أطلقه حتى يتوب الله عليه هذا وفي كلام البيهقي وأورده في الدر أن ارتباطه انما كان لتخلفه عن تبوك فقد ذكر انه لما أشار بيده الى حلقه وأخبر عنه صلى الله عليه وسلم بذلك قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسبت ان الله غفل عن يدك حيث تشير اليهم بها الى حلقك فلبث حينا ورسول الله صلى الله عليه وسلم عاتب عليه ثم لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تبوك كان أبو لبابة فيمن تخلف فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي رجع جاءه أبو لبابة يسلم عليه فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ففزع أبو لبابة وارتبط بالسارية واستغرب ذلك بعضهم فقال واغرب من ادعى ان أبا لبابة انما فعل ذلك لتخلفه عن غزوة تبوك ثم ان بني قريظة نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر بهم فكتفوا وجعلوا ناحية وكانوا ستمائة وقيل سبعمائة وخمسين مقاتلا وهو الذي تقدم عن حيي بن أخطب ولا يخالف هذا ما قيل انهم كانوا بين الثمانمائة والسبعمائة وقيل كانوا أربعمائة مقاتل ولا يخالف ما قبله لانه يجوز أن يكون مازد على ذلك كانوا اتباعا لا يعدون وأخرج النساء والذراري من الحصون وجعلوا ناحية أي وكانوا ألفا واستعمل عليهم عبد الله بن سلام فتواثب الاوس وقالوا يا رسول الله موالينا وحلفاؤنا وقد فعلت في موالي اخواننا بالامس ما قد فعلت يعنون بني قينقاع لانهم كانوا حلفاء الخزرج ومن الخزرج عبد الله بن أبي ابن سلول وقد نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كلمه فيهم عبد الله بن أبي ابن سلول فوهبهم له على أن يجلوا كما تقدم أي قطنت الاوس من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يهب لهم بني قريظة كما وهب بني قينقاع للخزرج فلما كلمته الاوس أبى أن يفعل بيني قريظة ما فعل بيني قينقاع ثم قال لهم أما ترضون يا معشر الاوس أن يحكم فيهم رجل منكم قالوا بلى فقال فذلك الى سعد بن معاذ أي وقيل أنه صلى الله عليه وسلم قال لهم اختاروا من شئتم من أصحابي فاختاروا سعد بن معاذ أي وهو رضي الله عنه سيد الاوس حينئذ كما تقدم وقيل انهم قالوا ننزل على حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه فرضي بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم أي وكان سعد بن معاذ رضي الله عنه يومئذ في المسجد في خيمة رفيدة رضي الله عنها وقد كان صلى الله عليه وسلم قال لقوم سعد بن معاذ حين أصابه السهم بالخندق اجعلوه في خيمة رفيدة حتى أعوده من قرب أي لان رفيدة رضي الله عنها كان لها خيمة في المسجد تداوي فيها الجرحى من الصحابة ممن لم يكن له من يقوم عليه فاتاه قومه فحملوه على حمار ثم أقبلوا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يقولون له يا أبا عمرو أحسن في مواليك فان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما ولاك ذلك لتحسن فيهم فاحسن فيهم فقد رأيت ابن أبي وما صنع في حلفائه وهو ساكت فلما أكثروا عليه قال رضي الله عنه لقد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم فقال بعضهم واقوماه فلما انتهى سعد رضي الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى المسلمين وهم حوله جلوس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قوموا الى سيدكم أي زاد

فضلاء الصحابة رضي الله عنه وكان يحمل أمر أبيه على ظاهر الاسلام وقد ورد ما يدل على انه انما جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وسأله ان يعطيه قميصه يكفن فيه أباه بعهد من أبيه بل جاء في رواية الطبراني وعبد الرزاق عن قتادة قال أرسل عبد الله بن أبي الى النبي صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه قال أهلكك حب يهود فقال يا رسول الله انما أرسلت اليك لتستغفر لي ولم أرسل اليك لتوبخني ثم سأله ان يعطيه قميصه يكفن فيه فاجابه وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما لما مرض ابن أبي جاءه صلى الله عليه وسلم فكلمه فقال

فدفعه منه ما تقول فامتن علي فكفني في قميصك وصل علي فاعطاه القميص ثم لما أراد صلى الله عليه وسلم ان يصلي عليه وثب اليه عمر ابن الخطاب رضي الله عنه وقال يارسول الله أتصلي عليه وقد قال يوم كذا وكذا كذا وكذا وعدد عليه أشياء مثل قوله لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا وقوله ليخرجن الاعز منها الاذل وفي رواية فقام عمر رضي الله عنه فأخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أتصلي عليه وقد نهاك ربك ان تصلي عليه وكان عمر رضي الله عنه فهم ذلك من قوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انما خيرني الله بين الاستغفار وتركه فقال استغفر لهم أولا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم وسأزيد على السبعين قال عمر رضي الله عنه انه منافق فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لم ينزل عليه نهي صريح بترك ذلك ولم يأخذ بقول عمر رضي الله عنه اجراءه على ظاهر حكم الاسلام واستصحابا للظاهر الحكم ولاكرام ولده الذي تحقق صلاحه واستئلافا لقومه فانه جاء انه رجع جملة منهم عن النفاق ذلك اليوم لما رأوا عبد الله يسأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يكفنه في قميصه وأن يصلي عليه وصلى عمر مع النبي صلى الله عليه وسلم وترك رأي نفسه وأطال صلى الله عليه وسلم في تلك الصلاة وأكثر من الاستغفار لعبد الله بن أبي وعن مجمع بن جارية رضي الله عنه قال ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أطال على جنازة قط ما أطال على جنازة عبد الله بن أبي من الوقوف وفي حديث ابن عباس ومشى معه صلى الله عليه وسلم حتى قام على قبره حتى فرغ منه وانما فعل صلى الله عليه وسلم ذلك لكمال شفقته على من تعلق بطرف من الدين ولتطييب قلب ولده الرجل الصالح ولتأليف الخزرج خلف لرياسته فيهم فلو لم يجب ابنه وترك الصلاة عليه قبل ورود النهي لكان سبة على ابنه وعارا على قومه فاستعمل صلى الله عليه وسلم أحسن الامرين في السياسة الى ان كشف الله الغطاء وقيل انما أعطاه قميصه مكافأة له فان عبد الله بن أبي أعطى قميصه للعباس رضي الله عنه حين أسر يوم بدر كما تقدم ثم أنزل الله تعالى على النبي صلى الله عليه وسلم ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره

في رواية فانزلوه فقال عمر رضي الله عنه السيد هو الله وفي رواية الى خيركم أي معاشر المسلمين من المهاجرين والانصار أو معاشر الانصار فقاموا اليه فقالوا يا أبا عمر وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولاك أمرهم اليك لتحكم فيهم وفي رواية فقمنا صفين يحبيه كل رجل منا حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احكم فيهم يا سعد فقال الله ورسوله أحق بالحكم قال قد أمرك الله أن تحكم فيهم فقال سعد أي لمن في الناحية التي ليس فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بذلك عهد الله وميثاقه ان الحكم فيهم كما حكمت قالوا نعم قال وعلى من ههنا مثل ذلك وأشار الى الناحية التي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معرض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اجلالا له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم أي وفي لفظ فقال سعد لبني قريظة أترضون بحكمي قالوا نعم فاخذ عليهم عهد الله وميثاقه ان الحكم ما حكم به قال سعد فاني أحكم فيهم أن تقتل الرجال وفي لفظ أن يقتل كل من جرت عليه الموسى وتغنم الاموال وتسبى الذراري والنساء زاد بعضهم وتكون الديار للمهاجرين دون الانصار فقالت الانصار اخوانا يعنون المهاجرين لنا معهم فقال اني أحببت أن يستغنوا عنكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة ارقعة أي السموات السبع قيل سميت بذلك لانها رقعت بالنجوم وجاء في الصحيح من فوق سبع سموات والمراد ان شأن هذا الحكم العلو والرفعة قد طرقني بذلك الملك سحرا ثم أمر صلى الله عليه وسلم أن يجمع ما وجد في حصونهم من الحلقة والسلاح وغير ذلك فجمع فوجد فيها ألفا وخمسمائة سيف وثلثمائة درع وألفي رمح وخمسمائة ترس وجحفة ووجد اثاثا كثيرا وآنية كثيرة واجمالا نواضح أي يسقى عليها الماء وماشية وشياها كثيرة وخمس ذلك أي مع النخل والسبي حتى الرثة وهو السقط من أمتعة البيت خمسة أجزاء ففض أربعة أسهم على الناس فجعل للفارس ثلاثة أسهم أي سهم له وسهمان لفرسه وللراجل سهم قال بعضهم وهو أول فيء وقعت فيه السهام ورضخ للنساء اللاتي حضرن القتال وهن صفية عمته صلى الله عليه وسلم وأم عمارة وأم سليط وأم العلاء والسميراء بنت قيس وأم سعد بن معاذ وكبشة بنت رافع ولم يسهم لهن وأخذه وصلى الله عليه وسلم جزأ وهو الخمس وعبارة بعضهم وهو أول فيء وقعت فيه السهمان وخمس أي جزئ خمسة أجزاء وكتب في سهم لله ثم أخذ ذلك السهم الذي خرج عليه وعلى سنته مضت قسمة الغنائم وفي كون هذا أول فيء جرت فيه السهمان نظر انما كان ذلك في بني قينقاع فان الفيء الحاصل منهم خمس خمسة أخماس أخذ صلى الله عليه وسلم واحدا والاربعة لاصحابه أي ووجد جرار خمر فاهريق ولم يخمس وهذا يدل على أن الخمر كانت محرمة قبل ذلك ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بالاساري أن يكونوا في دار اسامة بن زيد رضي الله عنهما والنساء والذرية في دار ابنة الحرث النجارية أي لان تلك الدار كانت معدودة للنزول الوفود من العرب وقيل في دار كبشة بنت الحرث بن كريز كانت تحت مسيلمة الكذاب ثم

انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون فكان فى ذلك تأييد لرأى عمر رضى الله عنه فهى من الآيات التى جاءت موافقة لرأيه رضى الله عنه وكان نزولها بعد فراغه صلى الله عليه وسلم من أمره على الصحيح وقيل بعد فراغ الصلاة وفى الصحيح من حديث ابن عباس رضى الله عنهما فصلى عليه ثم انصرف فلم يمكث الا يسيرا حتى نزلت وروى الطبرانى عن قتادة قال ذكر لنا انه صلى الله عليه وسلم قال وما يغنى عنه قميصى من الله وانى لارجو بذلك ان يسلم ألف من قومه فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على منافق بعده حتى قبضه الله وفى شرح القسطلانى على البخارى أسلم ألف من الخزرج لما رأوه يستشفع بثوبه صلى الله عليه وسلم ويتوقع اندفاع العذاب عنه والله سبحانه وتعالى أعلم

خلف عليها عبد الله بن عامر بن كريز وهذه انما نزل فى دارها وفد بنى حنيفة كما سيأتى وبالمتاع أن يحمل وترك المواشى هناك ترعى الشجر ثم غدا صلى الله عليه وسلم الى المدينة ثم خرج الى سوق المدينة فخندق فيها خنادق أى حفر فيها احفائر ثم أمر بقتل كل من انبت فبعث اليهم فجاؤا اليه أرسالا تضرب أعناقهم ويلقون فى تلك الخنادق وقد قال بعضهم لسيدهم كعب بن أسيد يا كعب ما تراه يصنع بنا قال فى كل موطن لا تعقلون أما ترون ان من ذهب منكم لا يرجع هو والله القتل قد دعوتكم الى غير هذا فابيتم على قالوا ليس حين عتاب فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أى وذلك ليلا على شعل السعف ثم ردم عليهم التراب فى تلك الخنادق وعند قتلهم صاحت نساؤهم وشقت جيوبها ونشرت شعورها وضربت خدودها وملأت المدينة نواحا وكان من جملة من أتى معهم عدو الله حيى بن أخطب مجموعة يداه الى عنقه بحبل فلما نظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أى وذلك ليلا على شعل السعف ثم ردم عليهم التراب قال بلى أبى الله الا تمكينك منى اما والله ما لمت نفسى فى عداوتك ولكنه من يخذل الله يخذل وفى كلام السهيلى رحمه الله أنه صلى الله عليه وسلم لما قال له ألم يمكن الله منك فقال بلى ولقد قلقلنا كل مقلقل ولكنه من يخذلك يخذل فقوله يخذلك كقول الآخر فى البيت ولكنه من يخذل الله يخذل لانه انما نظم فى البيت كلام حيى ثم اقبل على الناس فقال أيها الناس انه لا بأس بامر الله كتاب وقدر وملحمة أى قتال كتب الله على بنى اسرائيل ثم جلس فضربت عنقه قال ولما أتى بكعب بن أسد سيد بنى قريظة قال له النبى صلى الله عليه وسلم يا كعب قال نعم يا أبا القاسم قال ما انتفعت بنصح ابن خراش لكم وكان مصدقا بى أما أمركم باتباعى وان رأيتمونى تقرونى منه السلام قال بلى والتوراة يا أبا القاسم ولو لان تعيرنى يهود بالجزع من السيف لاتبعتك ولكنه على دين يهود فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقدم فيضرب عنقه ففعل به ذلك أى وكان المتولى لقتلهم على بن أبى طالب كرم الله وجهه والزبير بن العوام رضى الله عنه (أقول) فى الامتاع وجاء سعد بن عبادة والحباب بن المنذر فقالا يا رسول الله ان الاوس قد كرهت قتل بنى قريظة لمكان حلفهم فقال سعد بن معاذ رضى الله عنه ما كرهه أحد من الاوس فيه خير فمن كرهه فلا أرضاه الله فقام أسيد بن حضير فقال يا رسول الله لا تبق دارا من دور الاوس الا فرقتهم فيها ففرقهم فى دور الانصار فقتلوهم هذا كلامه والضمير فى قتلوهم ظاهر فى رجوعه للاوس وانهم المراد بالانصار وقد يقال لا مخالفة لانه يجوز أن يكون المراد بالاوس الذين كرهوا ذلك طائفة منهم وان تلك الطائفة قتلوا من بعث به الى دورهم وما عدا ذلك تعاطى قتله على والزبير والله أعلم ولم يقتل من نسائهم الا امرأة واحدة أخرجت من بين النساء يقال لها بنانة وقيل مزنة كانت طرحت رحى على خلاد بن سويد رضى الله عنه فقتلته بارشاد زوجها الانه أحب أن لا تبقى بعده فيتزوجها غيره وقد أسهم صلى الله عليه وسلم لخلاد بن سويد هذا وقال ان له أجر شهيدين واسهم لسنان بن محصن وقدمات فى زمن الحصار وعن عائشة رضى الله عنها انها

﴿البعث الى اليمن﴾

بعث صلى الله عليه وسلم أبا موسى الاشعرى ومعاذ بن جبل رضى الله عنهما الى اليمن قبل حجة الوداع فى السنة العاشرة وقيل فى التاسعة عند منصرفه من تبوك وقيل عام الفتح سنة ثمان كل واحد منهما على مخلاف واليمن مخلافان والمخلاف بكسر الميم وسكون الخاء المعجمة بلغة أهل اليمن الناحية ويقال له الكورة بضم الكاف والاقليم والرستاق وكان جهة معاذ العليا الى صوب عدن وكان من عمله الجند بفتح الجيم وفتح النون بلدة باليمن وله بها مسجد مشهور الى اليوم وكانت جهة أبى موسى السفلى وقال لهما النبى صلى الله عليه وسلم يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا وفى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ انك ستأتى قوما أهل كتاب فاذا جئتهم فادعهم الى أن يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فان هم أطاعوا لك بذلك فاخبرهم ان الله قد فرض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة فان هم أطاعوا لك بذلك فاخبرهم ان الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم فان هم أطاعوا لك بذلك فاياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب وروى الامام أحمد عن معاذ رضى الله عنه قال لما بعثنى صلى الله عليه وسلم الى اليمن قال انك تبعثنى الى قوم ريفة فلو بهم فقاتل بمن أطاعك من عصاك وروى الامام أحمد أيضا وأبو يعلى انه صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذا

الى اليمن خرج يوصيه ومعاذ راكب ورسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي تحت ظل راحلته فلما فرغ قال يا معاذ انك عسى ان لا تلقاني بعد عامي هذا ولعلك ان تمر بمسجدي وقبري فبكى معاذ رضي الله عنه لفراقه وروى ابن عساكر انه صلى الله عليه وسلم مشى معه ميلا ومعاذ رضي الله عنه راكب لامره صلى الله عليه وسلم له بذلك قال الحافظ ابن حجر واتفقوا على ان معاذا رضي الله عنه لم يزل على اليمن الى ان قدم في خلافة أبي بكر رضي الله عنه ثم توجه الى الشام فمات بها واختلفوا هل كان معاذ واليا أو قاضيا

فقال ابن عبد البر انه كان قاضيا وقال الغساني انه كان أميرا على المال وحديث ابن ميمون فيه التصريح بانه كان أميرا على الصلاة وهذا يرجح انه كان واليا وقد جاءت أحاديث كثيرة في فضله رضي الله عنه منها أعلم أمتي بالحلال والحرام معاذ بن جبل ومنها معاذ بن جبل امام العلماء يوم القيامة ضبطه بعضهم بكسر همزة امام وبعضهم بفتحها وأما أبو موسى رضي الله عنه فقدم على النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع والتقى به بمكة واستدل العلماء بارساله على انه كان عالما فطنا حاذقا ولولا ذلك لم يوله النبي صلى الله عليه وسلم الامارة ولذلك اعتمد عليه عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم وأما الخوارج والروافض فنسبوه الى الغفلة وعدم الفطنة لما صدر منه في التحكيم بصفين والحق انه لم يصدر منه ما يقتضي وصفه بذلك وغاية ما وقع منه انه أداه اجتهاده الى أن يجعل الامر شورى بين من بقي من الصحابة من أهل بدر لما شاهد من الاختلاف الشديد بين الطائفتين بصفين فآل الامر الى ما آل اليه والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿بعث خالد بن الوليد﴾

بعث النبي صلى الله عليه وسلم خالد ابن الوليد رضي الله عنه الى اليمن قبل حجة الوداع في ربيع الاول سنة عشر وقيل في ربيع الآخر وقيل في جمادى الاولى سنة عشر الى بني عبد المدان بفتح الميم بوزن سحاب اسم صنم وعبد المدان الذي نسبت القبيلة اليه هو جدهم الاعلى واسمه عمرو بن يزيد بن قطن بن زياد بن الحرث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحرث ويقال لتلك القبيلة بنو الحرث وهم بنجران موضع باليمن سمي باسم نجران بن زيد بن سبا فأمر صلى الله عليه وسلم خالدا ان يدعوهم الى الاسلام قبل ان يقاتلهم ثلاثا قال فان

اخطب

قالت لم يقتل من نسائهم يعني بني قريظة الا امرأة واحدة قالت والله انها لعندي تتحدث معي وتضحك ظهرا وبطنا أي وكانت جارية حلوة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل رجالها في السوق أي لانها دخلت على عائشة وبنو قريظة يقتلون اذ هتف هاتف باسمها أين فلانة قالت أنا والله قالت عائشة فقلت لها ويلك مالك قالت أقتل قلت ولم قالت لحدث أحدثته أي وفي لفظ قتلني زوجي فقالت لها عائشة كيف قتلك زوجك قالت أمرني أن ألقى رحى على أصحاب محمد كانوا تحت الحصن مستطلين في فيئة فادركت خلاد بن سويد فشدخت رأسه فمات وأنا أقتل به وفي لفظ آخر اني كنت زوجة رجل من بني قريظة وكان بيني وبينه كأشد ما يتحاب الزوجان فلما اشتد أمر المحاصرة قلت لزوجي يا حسرتي على أيام الوصال كادت ان تنقضي وتتبدل بليالي الفراق وما أصنع بالحياة بعدك فقال زوجي انك صادقة في دعوى المحبة تعالي فان جماعة من المسلمين جالسون في ظل حصن قال الزبير بن بطا وهو بفتح الزاي وكسر الباء الموحدة فالقي عليهم حجر الرحا لعله يصيب واحدا منهم فيقتله فان ظفروا بنا فانهم يقتلونك بذلك ففعلت قالت فانطلق بها فضرب عنقها فكانت عائشة رضي الله عنها تقول والله ما ألقى عجبا منها طيب نفسها وكثرة ضحكها وقد عرفت أنها تقتل وكان في بني قريظة الزبير بن بطا وهو جد الزبير بن ابنه عبد الرحمن وهو بفتح الزاي وكسر الموحدة كاسم جده وقيل بضم الزاي وفتح المثناة وهو قول البخاري في التاريخ وكان شيخا كبيرا وكان قد من على ثابت بن قيس في الجاهلية يوم بغاث وهي الحرب التي كانت بين الاوس والخزرج قبل قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة وكان الظفر فيها للاوس على الخزرج آخرا كما تقدم أخذه فجز ناصيته ثم خلى سبيله فجاء ثابت رضي الله عنه للزبير فقال له يا أبا عبد الرحمن هل تعرفني قال فهل يجهل مثلي مثلك قال اني أردت أن أجزيك بيدك عندي قال ان الكريم يجزي الكريم وأحوج ما كنت اليك اليوم وعبد الرحمن هذا هو الذي تزوج امرأة رفاعة وشكته للنبي صلى الله عليه وسلم بان الذي معه كهدبة الثوب وأحبت طلاقه لها ثم أتى ثابت رضي الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انه كان للزبير علي منة وقد أحببت أن أجزيه بها فهب لي دمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو لك فأتاه فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وهب لي دمك فهو لك فقال شيخ كبير لا أهل له ولا ولد فما يصنع بالحياة قال ثابت فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله بابي أنت وأمي امرأته وولده فقال هم لك قال فأتيته فقلت قد وهب لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أهلك وولدك فهو لك فقال أهل بيت بالحجاز لا مال لهم فما بقاؤهم على ذلك قال فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ماله قال هو لك فأتيته فقلت له قد أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك فهو لك فقال أي ثابت أما أنت فقد كافأتني وقد قضيت الذي عليك ما فعل بالذي كان وجهه مرآة مضيئة تتراءى منها عذارى الحي كعب بن أسد أي سيد بني قريظة قلت قتل قال فما فعل بسيد الحاضر والبادي أي من يحملهم في الجدب ويطعمهم في المحل حيي بن

أخطب قلت قتل قال فما فعل بقة دمتنا بكسر الدال مشددة اذا شددتا وحامينا اذا فررنا عزال بالعين المهملة وتشديد الزاى ابن سموأل بالسين المهملة مفتوحة ومكسورة قلت قتل قال فما فعل المجلسان بكسر اللام محل الجلوس وبفتحها المصدر يعنى بنى كعب بن قريظة وبنى عمرو بن قريظة قلت قتلا وفى لفظ قتلوا قال فانى أسألك بالثابت بيدك عندى الا ألحقتنى بالقوم فوالله مالعيش بعد هؤلاء من خير أرجع الى دار قد كانوا حلولا فيها فاخلد فيها بعدهم لا حاجة لى فما أنا بصابر لله افراغة دلو ناضح أى مقدار الزمن الذى يفرغ فيه ماء الدلو وفى رواية قتلة دلو ناضح بالفاء والتاء المثناة فوق وقيل بالقاف والباء الموحدة أى مقدار ما يتناول المستسقى للدلو حتى ألقى الاحبة قال ثابت فقدمته فضربت عنقه أى وقيل ان ثابتا رضى الله عنه قال له ما كنت لاقتلك فقال لا أبالى من قتلنى فقتله الزبير بن العوام رضى الله عنه ولما بلغ أبا بكر رضى الله عنه مقالته ألقى الاحبة قال يلقاهم والله فى نار جهنم خالدا فيها مخلدا قال فى الاصل وذكر أبو عبيدة هذا الخبر وفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لك أهله وماله ان أسلم أى ولم يسلم فكان أهله وماله من جملة الفىء وكان القتل لكل من انبت ومن لم ينبت يكون فى السبى قال عطية القرظى رضى الله عنه كنت غلاما فوجدونى لم انبت فخلوا سبيلى أى عن القتل وكان رفاعة قد انبت فاراد وا قتله فلاذ بسلمى بنت قيس أم المنذر وكانت احدى خالاته صلى الله عليه وسلم أى خالات جده عبد المطلب لانها من بنى النجار فقالت بابى أنت وأمى يا رسول الله هب لى رفاعة فوهبه لها أى فاسلم وقرت عين سعد بن معاذ رضى الله عنه بقتل بنى قريظة حيث استجاب الله دعوته فانه سأل الله تعالى لما أصيب بالسهم فى الخندق وقال لا تمتنى حتى تقر عينى من بنى قريظة كما تقدم أى وفى بعض الروايات أن دعاءه رضى الله عنه بذلك كان فى الليلة التى فى صبيحتها نزلت بنو قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما تقدم عن بعض الروايات أى ويجوز أن يكون رضى الله عنه دعا بذلك مرتين وفى لفظ فدعا الله أن لا يميته حتى يشفى صدره من بنى قريظة ويمكن أن يكون صاحب الهمزية رحمه الله أشار الى سب بنى قريظة له صلى الله عليه وسلم ونهى بعض أشرافهم لهم عن نقضهم العهد الذى كان بينهم وبينه صلى الله عليه وسلم الذى سببه حيى بن أخطب لعنه الله واغترارهم بالاحزاب بقوله

وتعهدوا الى النبى حدودا * كان فيها عليهم العدواء
واطمأنوا بقول الاحزاب اخوا * نهم انا لكم أولياء
وبيوم الاحزاب اذ زاغت الابـ * ـصار فيه وضاقت الآراء
وتعاطوا فى أحمد منكر القو * ل ونطق الاراذل العوراء
كل رجس يزيده الخلق السو * ء عسفا هاوالملة العوجاء
فانظروا كيف كان عاقبة القو * م وما ساق للبذى البذاء
وجد السب فيه سعا ولم يد * راذ المسىء فى موضع باء
كان من فيه قتله بيديه * فهو من سوء فعله الزباء
أو هو النحل قرصها يجلب الحتـ * ـف اليها وماله انكفاء

أى ولما انقضى شأن بنى قريظة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ولكنكم تغزونهم فكان كذلك وتقدم أنه صلى الله عليه وسلم قال ذلك بعد انقضاء الاحزاب وانفجر جرح سعد بن معاذ أى الذى فى يده وسال الدم واحتضنه صلى الله عليه وسلم فجعلت الدماء تسيل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فمات منه وحمل الى منزله ولم يعلم صلى الله

استجابوا فاقبل منهم وان لم يفعلوا فقاتلهم فخرج حتى قدم عليهم فبعث الركبان يضربون فى كل وجه ويدعون الى الاسلام ويقولون أيها الناس اسلموا تسلموا فأسلموا ودخلوا فيما دعوا اليه فأقام خالد يعلمهم الاسلام والكتاب والسنة ثم كتب الى النبى صلى الله عليه وسلم يعلمه بذلك فكتب اليه صلى الله عليه وسلم ان يقدم اليه وفدهم ففعلوا فأمر عليهم قيس بن الحصين فرجعوا الى قومهم فى بقية شوال أو صدر ذى القعدة وسيأتى فى الوفود مزيد لذلك ان شاء الله تعالى

﴿بعث على بن أبى طالب رضى الله عنه الى اليمن﴾

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب رضى الله عنه الى اليمن فى شهر رمضان سنة عشر وعقد له لواء وعممه بيده وقال له امض ولا تلتفت فقال على رضى الله عنه يا رسول الله ما أصنع قال اذا نزلت بساحتهم فلا تقاتلهم حتى يقاتلوك وادعهم الى قول لا اله الا الله فان قالوا نعم فرهم

بالصلاة فان أجابوا فلا تبغ منهم غير ذلك والله لان يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك مما طلعت عليه الشمس أو غربت وروى أبو داود وغيره من حديث على رضى الله عنه قال بعثنى النبى صلى الله عليه وسلم الى اليمن فقلت يارسول الله تبعثنى الى قوم أسن منى وأنا حديث السن لا أبصر القضاء قال فوضع يده صلى الله عليه وسلم فى صدرى وقال اللهم ثبت لسانه واهد قلبه وقال ياعلى اذا جلس اليك الخصمان فلا تقض بينهما حتى تسمع من الآخر فانك اذا فعلت ذلك تبين لك القضاء قال على والله ما شككت فى قضاء بين اثنين فخرج على رضى الله عنه فى ثلثمائة فارس فلما انتهى الى تلك الناحية فرق أصحابه فأتوا بنهب غنائم ونساء وأطفال وكانت الغنائم نعما وشاء ثم لقى جمعهم فدعاهم الى الاسلام فأبوا ورموا المسلمين بالنبل والحجارة وخرج منهم رجل من مذحج يدعو الى المبارزة فبرز اليه الاسود بن خزاعى فقتله الاسود وأخذ سلبه ثم صف على رضى الله عنه أصحابه ودفع لواءه الى

عليه وسلم بموته فاتى جبريل النبى صلى الله عليه وسلم من الليل معتجرا بعمامة من استبرق فقال يامحمد من هذا العبد الصالح وفى لفظ من هذا الميت الذى فتحت له أبواب السماء واهتز له العرش وفى رواية عرش الرحمن أى فتحت أبواب السماء لصعود روحه واهتز العرش أى تحرك فرحا بذلك وقال النووى اهتزاز العرش هو فرح الملائكة بقدوم روحه وفيه أن هذا لا يحتاج اليه الا لو كان تحرك العرش مستحيلا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا يجر ثوبه الى سعد بن معاذ فوجده قد مات وعن سلمة بن أسلم بن حريش رضى الله عنه قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وما فى البيت أحد الا سعد صحيح فرأيته يتخطى وأوما صلى الله عليه وسلم الى قف فوقفت وترددت من ورائى وجلس صلى الله عليه وسلم ساعة ثم خرج فقلت يارسول الله ما رأيت أحدا ورأيتك تتخطى فقال ما قدرت على مجلس حتى قبض لى ملك من الملائكة أحد جناحيه ﴿أقول﴾ قد وقع له صلى الله عليه وسلم نظير ذلك عند تشييعه لجنازة ثعلبة بن عبد الرحمن الانصارى رضى الله عنه فانه صار يمشى على أطراف أنامله فلما دفن قيل يارسول الله رأيناك تمشى على أطراف أنامل قال والذى بعثنى بالحق ما قدرت أن أضع قدمى من كثرة ما نزل من الملائكة لتشييعه وقصته مذكورة فى السيرة الشامية ولما حملوا نعش سعد رضى الله عنه وكان جسيما وجدوا له خفة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان له حملة غيركم أى من الملائكة لقد نزل سبعون ألف ملك شهدوا سعدا أى جنازته ومنهم جملة ما وطؤا الارض الا يومهم هذا وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال كنت ممن حفر لسعد رضى الله عنه قبره فكان يفوح علينا المسك كلما حفرنا قبره من تراب وجاء لو كان أحد ناجيا من ضمة القبر لنجا منها سعد ضم ضمة ثم فرج الله عنه وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال لما دفن سعد رضى الله عنه ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبح الناس معه ثم كبر فكبر الناس معه فقالوا يارسول الله لم سبحت أى وكبرت قال لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره حتى فرجه الله عنه وجاء ان بعض أهل سعد رضى الله عنه سئل ما بلغكم من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أى فى سبب تضايق القبر على سعد كما يرشد اليه جوابهم بقولهم فقالوا ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك فقال كان يقصر فى بعض الطهور من البول بعض التقصير وهذا قد يخالف ما فى الخصائص الصغرى وخص صلى الله عليه وسلم بانه لا يضغط فى قبره وكذلك الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولم يسلم من الضغطة صالح ولا غيره سواهم وكذا ما فى التذكرة للقرطبى الا فاطمة بنت أسد ببركته صلى الله عليه وسلم أى حيث اضطجع صلى الله عليه وسلم فى قبرها ويحتاج للجمع بينه وبين ما فى الخصائص وجاء عن عائشة رضى الله عنها انها قالت يارسول الله ما انتفعت بشئ منذ سمعتك تذكر ضغطة القبر وضمته فقال ياعائشة ان ضغطة القبر على المؤمن كضمة الام الشفيقة يديها على رأس ابنها يشكو اليها الصداع وضرب منكر ونكير عليه كالكحل فى العين ولكن ياعائشة ويل للشاكين الكافرين أولئك الذين يضغطون فى قبورهم ضغطا يقبض على الصخر أى وحينئذ يكون المراد بالمؤمن الذى هذا شأنه الذى لم يحصل منه تقصير فلا ينافى ما تقدم عن سعد فليتأمل وقد روى البيهقى رحمه الله أنه صلى الله عليه وسلم حمل جنازة سعد بن معاذ رضى الله عنه بين العمودين وبه استدل أئمتنا على أن ذلك أفضل من حمل الجنازة بالتربيع الذى اعتاده الناس الآن ومشى صلى الله عليه وسلم أمام جنازته ثم صلى عليه وجاءت أمه رضى الله عنها ونظرت اليه فى اللحد وقالت أحتسبك عند الله وعزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم

وهو واقف على قدميه على القبر فلما سوى التراب على قبره رش عليه الماء ثم وقف صلى الله عليه وسلم ودعا ثم انصرف وناحت عليه أمه فقال صلى الله عليه وسلم كل نائحة تكذب الا نائحة سعد بن معاذ رضى الله عنه أى فانه رضى الله عنه موصوف بكل ما يقال فيه من الاوصاف الحسنة بخلاف غيره وبعث صاحب دومة الجندل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بجبة من سندس كما سيأتى فجعل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم يعجبون من تلك الجبة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمناديل سعد بن معاذ فى الجنة أحسن يعنى من هذا ومن المعلوم ان المنديل أدنى الثياب لانه معد للامتهان فثيابه رضى الله عنه فى الجنة أعلى وأغلى وقد وهب صلى الله عليه وسلم تلك الجبة لعمر بن الخطاب رضى الله عنه ونزلت توبة أبى لبابة رضى الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى بيت أم سلمة رضى الله عنها قالت أم سلمة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من السحر يضحك قالت فقلت مم تضحك يا رسول الله أضحك الله سنك قال تيب على أبى لبابة قالت قلت أفلا أبشره يا رسول الله قال بلى ان شئت فقامت على باب حجرتها قبل وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب وهو لا يناسب ما تقدم فى قصة الافك فقالت يا أبا لبابة أبشر فقد تاب الله عليك قال فثار الناس اليه ليطلقوه فقال لا والله حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يطلقنى بيده الشريفة ونيل المبشر له عائشة رضى الله تعالى عنها فلما مر صلى الله عليه وسلم على أبى لبابة خارجا الى صلاة الصبح اطلقه وجاء ان فاطمة رضى الله عنها أرادت اطلاقه فأبى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة بضعة منى أى وظاهر هذا انه رضى الله عنه كان يبر باطلاق سيدتنا فاطمة رضى الله عنها له فليتأمل وقد أقام مربوطا ست ليال أو سبع ليال وقيل سبع عشرة ليلة وقيل خمس عشرة ليلة وعليه اقتصر فى الامتاع وكانت تأتيه امرأته أو بنته فى وقت كل صلاة فتحله للصلاة وكذا اذا أراد حاجة الانسان ثم يعود فيربط بالعمود حتى كاد يذهب سمعه وبصره ولا مانع ان امرأته وبنته كانتا تتناوبان فى ذلك أى وجاء انه رضى الله عنه قال للنبى صلى الله عليه وسلم من تمام توبتى ان اهجر دار قوم أصبت فيها الذنب وفيه انه تقدم انه عاهد الله على ذلك قال وان أنخلع من مالى فقال له عليه الصلاة والسلام يجزيك الثلث ان تتصدق به أى ولم يأمره صلى الله عليه وسلم أن يهجر تلك الدار والجمع بينه وبين ما تقدم من انه عاهد الله أن لا يطأ تلك الدار ممكن ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن زيد الانصارى بسبايا بنى قريظة الى نجد فابتاع لهم بهم خيلا وسلاحا قال وفى لفظ بعث سعد بن عبادة الى الشام بسبايا يبيعهم ويشترى بهم سلاحا وخيلا أى فاشترى بذلك خيلا كثيرا قسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسلمين واشترى عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهما جملة من السبايا فجعلت تلك الجملة من السبايا قسمين جعلت الثواب على حدة وجعلت العجائز على حدة ثم خير عبد الرحمن بن عوف عثمان بن عفان فأخذ العجائز وأخذ عبد الرحمن الثواب وجعل عثمان رضى الله تعالى عنه على كل واحدة منهن شيأ ان أتت به عتقت فكان المال يوجد عند العجائز ولا يوجد عند الثواب فربح عثمان مالا كثيرا ﴿أقول﴾ ويحتاج الى الجمع وقد يقال ان كان المراد بالسبايا فى قصة سعد بن عبادة وعثمان وعبد الرحمن سبايا بنى قريظة فيكون قسموا ثلاثة أقسام قسم أعطى لسعد بن زيد وقسم أعطى لسعد بن عبادة وقسم اشتراه عثمان وعبد الرحمن ووقع الفداء فى سبايا بنى قريظة وحينئذ يكون المراد بقول القائل وبعث سعد بن زيد بسبايا بنى قريظة أى بجملة منهم وبعث سعد بن عبادة بسبايا أى بسبايا بنى قريظة أى مسعود بن سنان الاسلمى فقتل منهم عشرين رجلا فتفرقوا وانهزموا فكف عن طلبهم قليلا ثم لحقهم ودعاهم الى الاسلام فاسرعوا وأجابوا وبايعه نفر من رؤسائهم على الاسلام وقالوا نحن على من وراءنا من قومنا وهذه صدقاتنا فخذ منها حق الله وجمع على الغنائم فجزأها خمسة أجزاء فكتب فى سهم منها لله وأقرع عليها فخرج أول السهام سهم الخمس وقسم على أصحابه بقية المغنم ثم قفل على رضى الله عنه فوافى النبى صلى الله عليه وسلم بمكة قد قدمها للحج سنة عشر وجاء فى بعض الروايات انه صلى الله عليه وسلم بعث عليا رضى الله عنه الى اليمن وذلك فى رمضان سنة عشر فأسلمت همدان كلها فى يوم واحد فكتب بذلك اليه صلى الله عليه وسلم فخر ساجدا لله ثم جلس فقال السلام على همدان وتتابع أهل اليمن على الاسلام لكن قوله فى التاريخ سنة عشر وهم لان بعثه على الى همدان لم يكن سنة عشر انما كان سنة عشر بعثه الى بنى مذحج وأما بعثه الى همدان

بجملة منهم وان كان المراد بالسبايا فى قصة سعد بن عبادة غير سبايا بنى قريظة فالامر ظاهر ويدل لهذا الثانى اسقاط بنى قريظة منه ثم رأيته فى الامتاع أسقط قصة سعد بن زيد الانصارى واقتصر على سعد بن عبادة حيث قال ولما سبيت السبايا والذرية بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بطائفة الى الشام مع سعد بن عبادة رضى الله عنه يبيعهم ويشترى سلاحا هذا كلامه والله أعلم ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفرق بين الام وولدها أى فى السبايا الا عم من بنى قريظة وقال لا يفرق بين أم وولدها حتى يبلغ قيل يا رسول الله وما بلوغه قال تحيض الجارية ويحتلم الغلام وكان اذا وجد الولد الصغير ليس له أم لم يبع من المشركين أى مشركى العرب ولا من يهود وانما يباع من المسلمين أى وكانت أم الولد الصغير تباع من المشركين هى وولدها من العرب ومن يهود المدينة ٥ قال فى الامتاع وكان يفرق بين الاختين اذا بلغتا ومقتضاه انهما اذا لم يبلغا لا يفرق بينهما وأئمتنا معاشر الشافعية لم يحرموا الا التفرقة بين الاصول والفروع اذا لم يميزوا وهو محمل قوله صلى الله عليه وسلم من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة واعله لم تصح تلك الرواية عندا مامنا الشافعى رضى الله عنه واصطفى صلى الله عليه وسلم لنفسه منهم ريحانة بنت عمرو وهو شمعون مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى النضير وكانت متزوجة فى بنى قريظة ولعله مراد من قال انها كانت من بنى قريظة أى وكانت جميلة وأسلمت بعد ان أبت الاسلام ووجد صلى الله عليه وسلم فى نفسه أى غضب بسبب ذلك أى بسبب عدم اسلامها ولم يظهر ذلك ثم لما أسلمت سر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقد جاء لما أبت ريحانة الاسلام عزلها صلى الله عليه وسلم ووجد فى نفسه لذلك وأرسل الى ثعلبة بن شعبة وكان ممن نزل من حصون بنى قريظة فى الليلة التى صبيحتها نزلت بنو قريظة على حكم سعد بن معاذ أى على ما فى بعض الروايات وأسلم هو واخوته أسيد وأسيد وأسد وابن عمه وأحرز دماءهم وأموالهم وليسوا من بنى قريظة وانما هم من بنى هذيل فذكر له صلى الله عليه وسلم ذلك فقال سعد فداك أبى وأمى هى مسلمة أى ظنا منه انها تسلم فخرج حتى جاءها ولا زال بها يقول لها أسلمى يصطفيك رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه فأجابت الى ذلك وأسلمت فبينما هو صلى الله عليه وسلم فى مجلس من أصحابه اذ سمع وقع نعلين خلفه فقال ان هاتين لنعلا مبشرى باسلام ريحانة فكان كذلك وأخبره أنها أسلمت فسر صلى الله عليه وسلم بذلك واستمرت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى فى ملكه اختارت بقاءها فى ملكه على العتق والنكاح أى فقد خيرها صلى الله عليه وسلم بين أن يعتقها ويتزوجها أو تكون فى ملكه يطؤها بالملك فاختارت أن تكون فى ملكه قال بعضهم والاثبت عند أهل العلم انه أعتقها وتزوجها وأصدقها اثنتى عشرة أوقية ونشا وأعرس بها فى المحرم سنة ست بعد ان حاضت حيضة وضرب عليها الحجاب فغارت عليه فطلقها تطليقة فأكثرت من البكاء فراجعها ولم تزل عنده صلى الله عليه وسلم حتى ماتت عند مرجعه من حجة الوداع سنة عشر فدفنها بالبقيع

و وجوب استبرائها بحيضة يدل لما قاله فقهاؤنا ان من ملك أمة وطئها غيره
وطأ غير محرم لا يحل له تزوجها قبل استبرائها وان أعتقها وتقدم
ان قريظة والنضير اخوان من أولاد هرون على نبينا وعليه
وعلى سائر الانبياء أفضل الصلاة والسلام

﴿تم الجزء الثانى ويليه الجزء الثالث أوله غزوة بنى لحيان﴾

فكان سنة ثمان بعد فتح مكة فيكون بعث على رضى الله عنه الى اليمن حصل مرتين وفى البخارى عن البراء رضى الله عنه قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع خالد الى اليمن ثم بعث عليا بعد ذلك مكانه فقال مر أصحاب خالد من شاء منهم ان يعقب معك فليعقب ومن شاء فليقبل فكنت فيمن عقب معه فغنمت أواقى ذوات عدد زاد الاسماعيلى فلما دنونا من القوم خرجوا الينا فصلى بنا على وصففنا صفا واحدا ثم تقدم بين أيدينا فقرأ عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلمت همدان جميعا فكتب على الى رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلامهم فلما قرأ الكتاب خر ساجدا ثم رفع رأسه وقال السلام على همدان وكان البعث بعد رجوعهم من الطائف وقسمة الغنائم بالجعرانة فهذا صريح فى ان البعث الاول كان فى أواخر سنة ثمان وانه الى همدان واما الثانى فكان فى رمضان سنة عشر الى مذحج

3947
(48) 14-3 FRIM 85

BOBST LIBRARY
3 1142 02809 2107

Elmer Holmes
Bobst Library
New York
University

NEW
UNIVERSITY
LIBRARIES

GENERAL UNIVERSITY
LIBRARY